العــدد ١٨ ـ مايو ١٩٥٩

السنة الثانية)

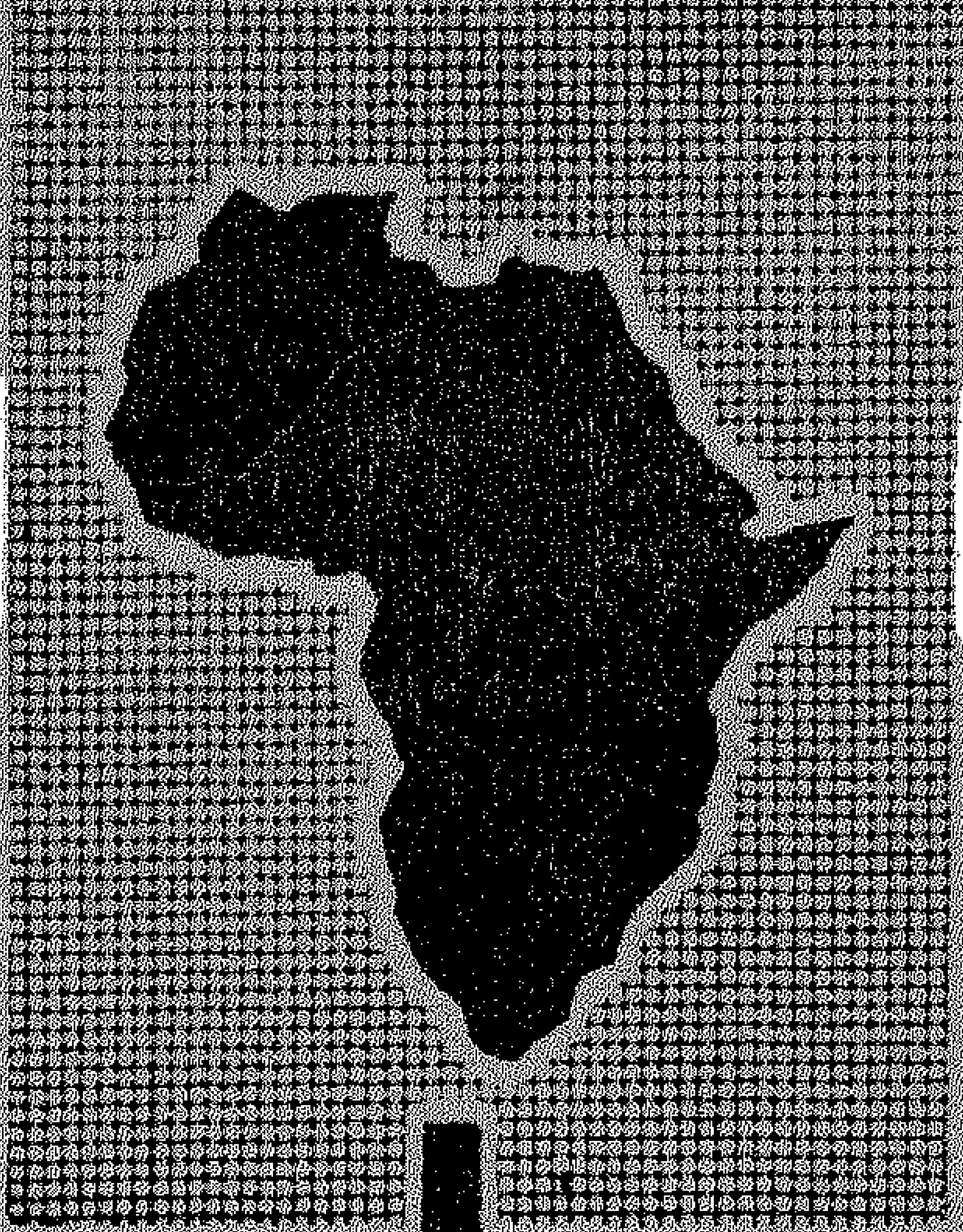

نهضة افريقية

فى هذا العدد

* الرئيس يتحدث عن افريقية
* معارك القومية فى افريقية الغربية
* التوسع الايطالى فى افريقية
* الاستعمار الاقتصادى فى أوغندا
* العروبة فى شرق افريقية
* نقد الكتب

الثمن
م
٣

الاحتجاج فى أوغندة على انجلترا

نهضة افريقيا

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل أفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة أفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٥ شارع احمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع لصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

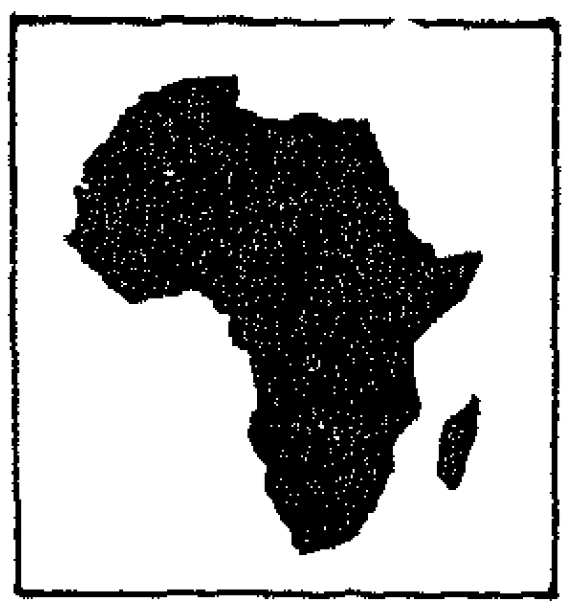

نهضة افريقيه

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

فكرة ..

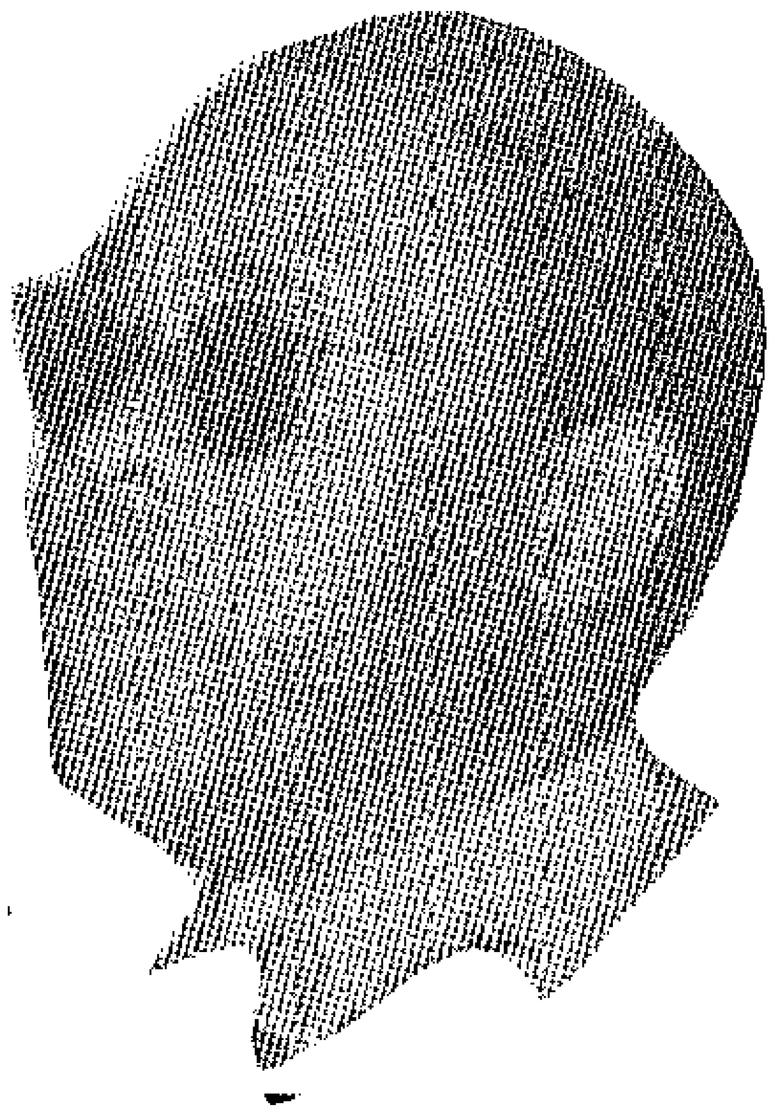

.. والآن قد أتى دور دولة افريقية أخرى لتتحرر . فجميع الدلائل تؤكد اليوم فى ((أوغندة)) أن هذه الدولة تسير بخطى ثابتة فى طريق الاستقلال ، وأن هذه الارض المشهورة بالخصب ، والمراعى ، والبحيرات . ستعود الى أهلها بعد تسعة وستين عاما من الاحتكار ، واهدار كرامة الانسان .

فقد بدأ هذا الاستعمار على يد ((ف. ج. لوجارد)) الذى شارك فى خدمة مصر ، وعمل مع ((صمويل بيكر)) ثم انفصل عن هذه الخدمة ، وعمل على تكوين الشركة البريطانية لشرق افريقية ، وعن طريق هذه الشركة توغل الاستعمار فى قلب البلاد ، وظل يقمع الحركات التحررية التى كانت أهمها ثورة ١٩٤٥ ، ١٩٥٣ ، ثم أخيرا ثورة ١٩٥٥ التى ارغمت الانجليز على عودة الملك ((امتيسة)) الى البلاد بعد أن كان قد نفى عنها !

واليوم يسود الشعور الوطنى محتدما على تلك القرارات التى أعلنها الحاكم العام بحل الحركة الوطنية ، ومعاقبة كل من يشتغل فى السياسة بشدة .

ولكن خطى التحرر تتجمع فيها من الشرق الكينى ، والغرب الكونغى ، والشمال السودانى ، والجنوب التنجانيقى . ومن هنا يحمل الاصرار كل ملامح القارة ، وتتلاقى فى الضربة كل قوى افريقية .

ان فجرا جميلا يطل على القارة اليوم من سماء هذا البلد المكافح من سماء أوغندة

عبده بدوى

محتويات العدد

	صفحة
معارك القومية فى افريقية الغربية : للاستاذ محمد عبد العزيز اسحق	٣
الرئيس يتحدث عن افريقية :	٦
الاستعمار الاقتصادى فى أوغندة للدكتور عبد العزيز كامل	٨
العروبة فى شرق افريقية : للدكتور ابراهيم احمد العدوى	١٨
اقتصاد غينيا :	٢١
التوسع الايطالى فى شرق افريقية : للدكتور جلال يحيى	٢٧
نقد الكتب : للاستاذ عبده بدوى	٣٣
من مظاهر الاحتجاج بأوغندة	٤٠
دكتور أجراى : للاستاذ فؤاد دوارة	٤٢
قبيلة ((الجاز)) الافريقية	٤٦
العرافة والسحر : للدكتور عبد العزيز الرفاعى	٥٠
الروح الافريقية فى الموسيقى : للاستاذ حلمى شعراوى	٥٤
طبيعة الحركة التحررية فى افريقية للاستاذ عبد الواحد ابراهيم حسن	٦٠
قبيلة ((فرانت)) فى غانة	٦٥
دور الزنوج فى ثورة كوبا	٦٩

معارك القومية
في افريقية الغربية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

فى بقاع مترامية الاطراف من هذه القارة ، تمتد من داكار على المحيط الاطلنطى ، وتنبسط على ضفاف أنهار السنغال ، والفولتا والنيجر ، وتحيط ببحيرة تشاد ، ثم تنعطف الى الجنوب فتنضم الكاميرون ، وتلتقى مرة ثانية بالمحيط ، فى تلك البقاع تتدافع الآن تيارات ودوامات سياسية بعضها صادر من الارض الطيبة ، أرض أفريقية ، وبعضها الآخر وارد فى حقائب الاستعمار .. من وراء البحار .

فقد بلغ « المد القومى » الافريقى احدى مراحله التاريخية باضطرار فرنسا للاعتراف بالشخصية الافريقية .. والسماح لمستعمراتها السابقة بأن تسمى « جمهوريات » ، وأن تتمتع بنصيب من الحكم الذاتى ، على أن تظل فى نطاق مايسمى « بالمجتمع الفرنسى » .

ومعنى ذلك أن تترك تلك الجمهوريات شئون الدفاع ، والشئون الخارجية ، والشئون المالية فى يد فرنسا ، أى أن تترك فى يد فرنسا أهم مقومات الاستقلال ، وان فازت ، أى المستعمرات ، باقرار شخصيتها الذاتية وكيانها القومى .

وكانت بريطانيا قد سارعت ــ قبل ذلك ــ وتحت ضغط الحركات الوطنية ، فصاغت لبعض مستعمراتها المهمة اطارا من الحكم الذاتى ، وعندما زاد الضغط وسعت من ذلك الاطار ، بحيث يبدو استقلالا تاما **« فى نطاق الكومنولث »** .

وظلت أمريكا متمثلة فى شركة **« فايرستون »** محتفظة برأس جسر ، متمثلا فى ليبيريا ، وهى تترقب الاحداث ، وتحاول توجيهها لمصلحتها ، ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

وفى أواخر العام الماضى ، كان **« زمام** المبادأة » فى يد غانا ، فقد كانت هى أوفر المستعمرات السابقة حظا من مقومات الاستقلال ، وكان الجو مهيأ أمامها ، لكى ترفع راية القومية ، وراية الاتحاد مع الاقطار المجاورة فى وقت واحد ، وعندما أفلتت غينيا من براثن « المجتمع الفرنسى » سارعت غانا ، فمدت اليها يد المعونة وعروض الاتحاد ، وظهر حينئذ مشروع اتحاد دول غرب افريقية الذى ناهضته ليبيريا ، وتوجست منه خيفة ، وحاربته فرنسا ، وتحفظت ازاءه ، تمهيدا لاجتذابه برمته اليها ..

وتوالت الاحداث ، وانبعث الجديد من التيارات ، فانعقد مؤتمر أكرا للشعوب الافريقية ، وعلى الرغم من ظهور الفوارق الواضحة فى المؤتمر بين ممثلى « الاقاليم الفرنسية » وممثلى « الاقاليم البريطانية » فى أسلوب التفكير والتعبير ، الا أن دعوة **(الاتحاد)** قد صادفت تجاوبا تاما بين الجميع ، ولم تمض فترة قصيرة على انفضاض المؤتمر حتى تكون **« اتحاد مالى »** رغم سخط فرنسا ، ليربط بين السنغال والسودان الفرنسى ، وداهومى ، والفولتا العليا ، وترك الباب مفتوحا لمن يريد الانضمام اليه .

ولئن كان هذا « الاتحاد » لايهدف الى الانفصال عن فرنسا ، أو الى الحصول على مقومات جديدة للاستقلال .. فانه كان ، فى حد ذاته ، خطوة عملية من شأنها أن تمهد بطبيعتها لتحقيق تلك الاهداف .

وقد صاحب « حركة مالى » وسايرها تيار آخر لا يقل عنها أهمية وخطورة ، تيار عمالى نقابى ، تجلى فى اجتماع ممثلى نقابات العمال فى أفريقية الغربية ، فى مدينة « كوناكرى » عاصمة غينيا وانتخابهم الزعيم « سيكوتورى » رئيسا عاما لتلك النقابات .

وكانت هذه ، فيما يبدو ، قاصمة الظهر بالنسبة لفرنسا ، فقد ألقت بثقلها كله ، لتحطيم « اتحاد مالى » وناصرها فى ذلك بعض زعماء « ساحل العاج » الذين ضغطوا بدورهم على أضعف نقطة فى الاتحاد ، وهى جمهورية الفولتا العليا ، فهددوها — وهى تقع الى الداخل منهم ولا سواحل لها ولا موانىء على المحيط — أن يمنعوا مرور صادراتها ، عن طريق ساحل العاج الى الاسواق الخارجية .. وخرجت الفولتا العليا من « اتحاد مالى » ..

وفى الوقت عينه تحرك الدكتور انكروما صوب الشرق ، فذهب الى نيجيريا ، وطاف بأقاليمها الثلاثة الكبرى داعيا الى « اتحاد غرب أفريقية » ، وقد صادفت دعوته استجابة ، زادها هو تفاؤلا حينما صرخ قائلا : **منذ اليوم يمكنكم أن تعتبروا غانا ونيجيريا شيئا واحدا .**

ولكن الامر لم يكن فى الواقع بهذا اليسر ، فان نيجيريا لن تملك ، قبل أواخر العام القادم ، وهو الموعد المحدد لاستقلالها ، أن تقرر الاتحاد مع أية دولة مجاورة ، بل ان عليها تبعة تنتظرها ، هى أن تجرب تجربة الاتحاد فى داخل أراضيها ، وفى نطاق أقاليمها الثلاثة ، وبين شعوبها المتنوعة الاصول واللغات والديانات ، والتى يزيد تعدادها على خمسة وثلاثين مليونا ...

ولقد وجد الدكتور انكروما فى طريقه دعوة اتحادية جديدة ، قد لا يراها متسقة تمام الاتساق مع اتجاهاته وتصوراته الخاصة ، تلك هى الدعوة الليبيرية لتكوين « اتحاد أفريقى عام » يضم الدول المستقلة ، والتى هى على وشك الاستقلال ، ويرعى مصالح الافريقيين جميعا من النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ...

وان الافق القريب لينطوى على تيارات جديدة غير منظورة ، فان مؤتمر أكرا للشعوب الافريقية لم تتبلور نتائجه بعد ، ولم تتكون الاجهزة والتنظيمات التى أوصى بتكوينها ، وقد اجتمعت احدى الهيئات المتفرعة عنه ، وهى اللجنة التوجيهية ، منذ أسابيع فى مدينة كوناكرى ، ولم يكن الاجتماع ، فيما يظهر ، مثمرا . وان على هذه اللجنة أن تجتمع من جديد ، وأن تمهد لعقد الدورة القادمة للمؤتمر فى شهر ديسمبر القادم .

وفى الوقت الذى تأخر فيه « **اتحاد مالى** » خطوة ، تقدم الاتحاد بين غانا وغينيا بضع خطوات ، فقد وضعت أسس دستور « كونفدرالى » يرمى الى توحيد مصالح الدولتين ، والتقريب بين شعبيهما ، وتنسيق سياستهما الخارجية ، وهو يحتفظ فى الوقت نفسه لكل منهما بالشخصية الدولية ، وبالتمثيل الخارجى ، وعضويتها فى الامم المتحدة ..

واذا كان لا يبدو الآن احتمال تطورات سريعة تخطف البصر فى نطاق المستعمرات البريطانية فى افريقية الغربية ، فان فرنسا تتوقع الكثير ، وخاصة بعد أن تدخل الكاميرون وتوجولاند الميدان بعد استقلالهما فى العام القادم .

والذى يلاحظ اليوم فى افريقية الغربية الفرنسية أن الضغط الشعبى

يتزايد يوما بعد يوم ، على الزعماء الذين سبق أن نصحوا شعوبهم بقبول « دستور ديجول » والقناعة بجمهورية رمزية داخل المجتمع الفرنسى ..

ويتجلى هذا الضغط فى كثرة تبديل الحكام الموالين لفرنسا ، وفى الخطط والمناورات المضادة « لاتحاد مالى » وللحركة النقابية التى يرفع رايتها **« سيكوتورى » ...**

وموطن الخطر على الاستعمار الفرنسى ، فى الوقت الحاضر ، أن دستور ديجول يمنح « الجمهورية الافريقية » حق الانسحاب من المجتمع الفرنسى ..

نعم ، انها ، من الوجهة الواقعية ، لا « تستطيع » أن تنسحب ، وتقف على أقدامها ، فقد عمد الاستعمار ، على مدى الاجيال ، الى أن يفكك اقتصادها ، ويحرمها التعليم ، والخبرة الفنية والادارية ، فضلا عن القوة العسكرية ، وجعلها تعتمد فى كل ذلك حتى اليوم ، اعتمادا تاما ، على « الدولة الام » فرنسا . وقد وضحت خطورة « المجازفة » بالخروج من المجتمع الفرنسى ، عندما رفضت غينيا دستور ديجول ، وأعلنت استقلالها ، وصاح « سيكوتورى » صيحته المشهورة : « العزة مع الفقر ، ولا الغنى مع العبودية » . فقد قررت فرنسا أن « تنسحب » من غينيا لتهدمها ، وكان معنى الانسحاب أن تكف فرسا يدها عن ادارة مرافق الاقليم ، وكانت — أى المرافق — كلها فى أيدى الفنيين الفرنسيين ، كما قررت فرنسا أن تسحب من غينيا المعلمين والاطباء ، ورجال الشرطة وحفظة الامن ، وأن تمتنع عن تقديم الاعانة المالية التى كانت تدفع غينيا منها رواتب الموظفين ... بل انها قررت أن تسحب من غينيا الادوات المدرسية والآلات الزراعية ، اذ كانت كلها ملكا لفرنسا .

وقد استطاعت غينيا أن تدفع عن نفسها هول الكارثة بما عقدته من قروض ، وما استعانت به من دول صديقة ، وما اتخذته من تدبيرات حاسمة ، لمواجهة الطوارىء ، وتحطيم الحصار الاقتصادى ، الذى حاطتها به فرنسا ، وتمكن « سيكوتورى » أن يجبر فرنسا فى النهاية على أن تخطب وده ، وأن تمتنع عن سحب ما هددت بسحبه من قبل ، وأن تأذن للجمهورية الافريقية المنضوية تحت اشرافها فى أن تتعامل واياه ..

هذا الخطر اذن ، خطر الاحتذاء حذو غينيا ، ما يزال قائما فى وجه فرنسا ، ولسوف يزيد منه نهوض المستعمرات البريطانية المجاورة من كبوتها ، فان افريقية الغربية تمثل فى الواقع منطقة واحدة مترامية الاطراف ، لا يفصل بين أجزائها حاجز طبيعي واحد ، ولم تقو الحدود السياسية التى رسمها المستعمرون على الخرائط ، وقسموا بها تلك المنطقة الى شرائح ، يسهل التهامها ، لم تقو تلك الحدود على الفصل بين الشعوب بعضها وبعض ، وانك لترى اليوم جماعات من شعب « الهوسة » النيجيرى تجوس أسواق أكرا ، عاصمة غانا ، بصنعها ذلك الشعب الفنان . وقد تحدثنا من قبل عن شعب « الزبرمه » الذى يقطن توجولاند ، ومع ذلك تجد أفراده فى أنحاء داهومى وغانا وساحل العاج ، وقد تخصصوا فى تجارة « القطاعى » وهم الذين يحملون السلع الصغيرة الى أدغال افريقية الغربية .

وقد ثبت بتجربة السنوات القليلة الماضية أن ضغط الشعوب فى تلك المنطقة كان أقوى من التيارات الاستعمارية المتنوعة ، ومن عملاء الاستعمار ، ومن « الزعماء المعتدلين » الذين ينعطفون مع اتجاه النفوذ والمصلحة الشخصية ، ذات اليمين وذات اليسار ...

الرئيس يتحدث عن أفريقية

فى الحديث الذى ادلى به السيد الرئيس للصحفى الامريكى ((جون كنيدى)) صاحب ورئيس تحرير جريدة ((ارجبوس ليدر)) تحدث الرئيس بصدق وحب عن افريقية .

وانه ليسعد مجلة نهضة افريقية ان تنقل لقرائها

جواب الرئيس وسؤال الصحفى .

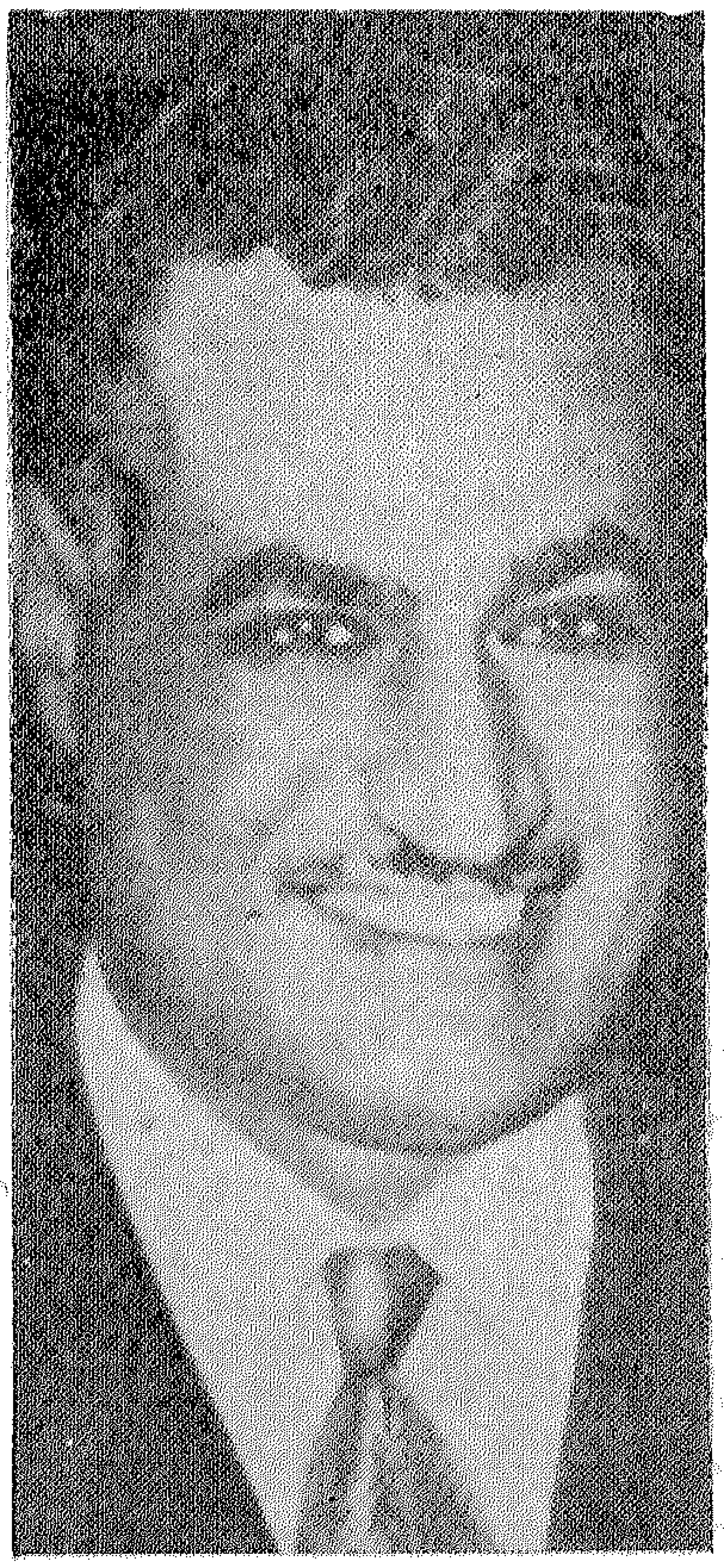

الرئيس جمال عبد الناصر

س ـ لقد باعت تشيكوسلوفاكيا أخيرا أسلحة الى غينيا . فهل تظنون أن هذه العملية ستفتح أبواب افريقية أمام الشيوعية لكى تتسلل اليها .

ج ـ ان الذى يستورد السلاح من بلد لايستورد المبادىء معه .

ان السلاح نتيجة حاجة مادية محددة اليه تقتضيها ظروف عابرة .

أما المبادىء فهى نتيجة تيارات أبعد عمقا من مقتضيات الظروف العابرة .

وبالنسبة لظروف غينيا فى شراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا ، فان الامر ليس على الاطلاق بالصورة التى تتخيلونها ، ولعلكم تذكرون أن غينيا بعد أن قررت الخروج من دائرة النفوذ الفرنسى لتصبح جمهورية مستقلة كانت فى حاجة ماسة الى السلاح لصون أمنها الداخلى . ان فرنسا بعد أن انسحبت من غينيا ـ ـ بارادة شعب غينيا ـ سحبت معها مرة واحدة كل الخبراء الذين كان الاحتلال يركز فى أيديهم وحدهم ادارة

شئون غينيا . وبعد الاستقلال لم يعد فى غينيا الا أقل من مائتى شخص من الفنيين من أهلها يمكن الاعتماد عليهم فى ادارة شئون تلك البلاد الواسعة وكانت هناك ضرورة حماية الامن الداخلى بعد الاستقلال . وكان هدف رئيس حكومة غينيا سيكوتورى أن يسلح جيشا من ألفى رجل فقط ذلك أنه لم يجد فى بلاده بعد الانسحاب الفرنسيين مدفعا رشاشا واحدا . ولذلك تذكر سيكوتورى، طلب السلاح من الولايات المتحدة أول ماطلب، وكان يطلب السلاح ولا يطلب النفوذ الامريكى . ولكن أمريكا رفضت بسبب عدم رغبتها فى اغضاب حليفتها فرنسا فلجأ سيكوتورى الى تشيكوسلوفاكيا يطلب السلاح ولا يطلب أى نفوذ أجنبى .

مررنا بالتجربة قبل غيرنا

وانى أستطيع أن أفهم تماما موقف رئيس غينيا . فلقد مررت قبله بنفس التجربة حين تعرضت بلادى لاحتكار السلاح وواجهت فى نفس الوقت أخطار التهديد العدوانى الاسرائيلى . هذا فيما يتعلق بالسلاح . أما فيما يتعلق بالمبادىء فان شعوب افريقية وآسيا تواجهها اليوم مشكلة التنمية الاقتصادية . ان شعوبها تريد أن تعوض حرمانها الطويل بأن تتيح لافرادها أن يعيشوا على مستوى أفراد الشعوب التى سبقتها فى مجالات التنمية . ولقد قلت لك ان العالم الآن صغير ، وأن العزلة فيه مستحيلة ولكى تستطيع أن تتصور ذلك فان أبرز مايصوره أن الملايين من أفراد الشعوب فى أفريقية وآسيا أصبحوا اليوم عن طريق أجهزة الراديو فى قراهم النائية يستطيعون أن يتابعوا مجالات التقدم فى كل أنحاء العالم .

انهم يعرفون الكثير مثلا عن مستوى الحياة فى الولايات المتحدة الامريكية وأظن أن من حقهم ـ من غير ماحسد أو ضغينة على الشعب الامريكي ـ أن يتمنوا لانفسهم مستوى مماثلا من الحياة وأن يعملوا لذلك وأن يجهدوا فكرهم فى البحث عن أفضل الطرق للوصول الى هذه النتيجة .

***

وهكذا يضع السيد الرئيس ايدينا على الحقيقة، ويكشف عن صور الاستعمار ، ويوضح لنا تلك الروابط القوية بين جميع اجزاء القارة ، ومن خلال كل هذا نلمح الحب ،والتقدير لكل امجاد القارة

انه الفجر ، والمستقبل

فجر القارة العظيم

ومستقبلها المجيد !

ع . ب

جوانب من الاستعمار الاقتصادى فى أوغنده ..

للدكتور عبد العزيز كامل

قد يقال ان البريطانيين أسدوا خيرا كثيرا الى أوغندة بحكمهم الاستعمارى فهم قد أخرجوهم من ظلمات افريقية الى نور الحضارة الحديثة .. ومدوا الخط الحديدى الذى يربط أوغندة بالمحيط الهندى والعالم الخارجى ، واستطاعوا بهذا أن ينتزعوها من سباتها القديم ، وعبدوا الطرق حتى استطاع السكان أن يصلوا فى يسر الى أماكن لم يكونوا بالغيها الا بشق الانفس ، وأدخلوا زراعة القطن حتى أصبح عماد الثروة هناك ، ووضعوا بذلك فى أيدى المواطنين مفاتيح الثروة وبالمال الذى وصل الى أيديهم من زراعة القطن ، زادت قوتهم الشرائية ، فاستطاعوا الحصول على مايشتهون ، وانتشرت الحوانيت فى أوغندة تعرض منتجاتها على الزراع .. وتجمع فى هذه الحوانيت من انتاج العالم شىء كثير .. فلماذا يلومون بريطانيا على استعمارها أوغندا بعد هذا ؟

ويغالى الكتاب الاستعماريون فى تصوير جوانب الحياة العنيفة عند الشعوب الافريقية ، والمذابح التى كانت تقوم بين القبائل ، والعسف الذى كانت تلقاه الشعوب من حكامها وكيف كانت تعبث الاوبئة والامراض بالبشر والثروة الحيوانية عبثا منكرا مرهفا تهتز معه أصول الحياة الافريقية وتتعرض لذبذبات عنيفة من المجاعات والفقر تتحول بها القرى الى مقابر ، وحصيلة العمر من الجهد الى قبض الريح .. فلما جاء الاستعمار مست عصاه السحرية هذا كله فحولته الى استقرار وتقدم !!

وكان – ولا زال – من الممكن أن تصل أوغنده وأى قطر افريقى تحت النفوذ الاستعمارى ، الى مستوى كريم من الحياة بالتطور الطبيعى ، دون فقد الاستقلال والسيادة ، بل لعل هذه الاقطار تكون أقدر على سرعة السير واجتياز العقبات اذا تركت وشأنها ، متحررة من قيود الاستعمار التى وجهت اقتصادها وجهات معينة تخضع أساسا لصالح الدولة المستعمرة . واذا كان هناك بعض فوائد عادت على المواطنين الافريقيين من وراء ذلك ، فقد جاءت تابعة لصالح المستعمر لا مقصودة لذاتها .

وقبل أن نعرض بعض جوانب الاستعمار الاقتصادى فى أوغندة كنموذج لما يقوم به الاستعمار فى القارة يحسن أن نذكر كلمة عنها .

الارض والسكان :

فمساحة أوغنده ٩٣٫٩٨١ ميلا مربعا منها ١٣٫٦١٠ أميال مربعة مسطحة مائية ، وهى مربعة الشكل تقريبا . وأقصى طولها من الشرق الى الغرب نحو ٣٥٠ ميلا ومن الشمال الى الجنوب نحو ٤٠٠ ميل . وتقع أوغنده فى هضبة شرق افريقية على جانبى خط الاستواء وان كان امتدادها شماليه أكبر وتطل بجبهة بحيرية على الجزء الشمالى والشمالى الغربى من بحيرة فكتوريا . وتشاركها فى البحيرة كينيا وتنجانيقيا

والى الغرب من أوغنـده يمتد الكنغو البلجيكي ويشتركان في بحيرتي ادورد والبرت • أما بحيرة كيوجا فتقع كلها في اوغنده • ومن هذه البحيرات تتكون منابع النيل العليا الاستوائية التى تنحدر شمالا الى السودان •

وأوغندا تقع فى الجزء الذى يطلق عليه أحيانا اسم « سقف افريقية » حيث تنحدر مياه الامطار شمالا الى البحر المتوسط وشرقا الى المحيط الهندى وغربا الى المحيط الاطلسى • ومتوسط الارتفاع يزيد قليلا عن ألف متر ، وتهبط المنسوبات الى أقل من ذلك فى الاجزاء الاخدودية ، وترتفع فى الاجزاء الجبلية ومن أهمها جبل ألجن فى شمال شرق بحيرة فكتوريا ورونزورى فى الغرب بين بحيرتى ادورد والبرت

وتمتاز أوغندة نسبيا بجودة تربتها وانتظام مطرها مما جعلها أغنى أقطار شرق افريقية فى الاستغلال الزراعى القائم فعلا والمنتظر • وبسبب ظروف الارتفاع أصبحت الغابات الاستوائية فيها محدودة على حين نجدها واسعة الانتشار فى حوض الكنغو المجاور • وهذه الغابات تحل محلها مناطق زعوية واسعة سمحت باستقرار بشرى وانتظام فى الحياة أدى الى قيام وحدات سياسية قديمة من أهمها مملكة بوغنده ولا يزال لها وضعها الادارى المتميز فى داخل أوغنده •

ويبلغ عدد السكان نحو ٤/١ ٥ مليون ، أغلبهم من الافريقيين ، وهناك نحو ٥٠ ألفا من الآسيويين يعمل معظمهم فى التجارة ويحترف بعضهم حلج القطن والزراعة • أما الاوروبيون فعددهم أقل من عشرة آلاف ولهذا لا نجد فى أوغندا حاجزا لونيا خطرا كما نجد فى كينيا ووسط وجنوب افريقية •

ويرجع توغل النفوذ البريطانى فى هضبة شرق افريقية ومنابع النيل الاستوائية الى أواخر القرن التاسع عشر • وفى عام ١٨٩٠ م عقدت بريطانيا اتفاقية مع ألمانيا يقتسمان بها النفوذ فى الاقليم ، وعلى أساس هذه الاتفاقية دخلت كينيا وأوغندا فى النطاق البريطانى على حين دخلت تنجانيقا فى النطاق الالمانى وكانت وقتئذ تسمى شرق افريقية الالمانية

وتقدم لوجارد ــ القائد البريطانى ــ الى أوغندا لدعم مركز شركة شرق افريقية البريطانية التى مهدت لاحتلال هذه الاجزاء كما مهدت شركة الهند الشرقية لاحتلال شبه القارة الهندية من قبل • وبعد مراحل من الصراع بين الارساليات التبشيرية واضطراب الامور فى المنطقة ، وضعت بريطانيا يدها لتحل محل الشركة وأعلنت حمايتها فى عام ١٨٩٤ على مملكة موانجا ــ ملك بوغندة ــ ومدت نفوذها عام ١٨٩٦ حتى وصل الى معظم الاراضى التى تكون الآن محمية أوغندة • ونفت الحكومة البريطانية الملك موانجا الى سيشل وظل هناك حتى توفى عام ١٩٠٣ وخلفه على عرش بوغنده ولده داودى شوا وهو والد الكابكا ــ الملك ــ الحالى لبوغندة •

تأثير البيئة الجغرافية على مشكلة حيازة الارض :

وعندما وطئت أقدام المستعمرين أوغنده تطلعت أنظارهم الى الاستيلاء على الاراضى الزراعية •• هذه الارض التى قامت عليها ممالك مستقرة مثل بوغندة ويونيورو •• والتى ترتبط بها أساطير السكان عن مملكة كبيرة كانت تضم هذه الممالك جميعا ، يردونها الى خمسة قرون • وألهبت كتابات الرحالة ــ مثل ستانلى ــ خيال المستعمرين فرأوا فى أوغندة الفردوس المفقود الذى سيفيض عليهم بالخيرات

وامتدت الانظار الطامعة الى أوغندة كما امتدت الى كينيا • والارض بالنسبة الى الافريقى كل شىء فى حياته • وقد

اهتم علماء الانثربولوجيا الذين درسوا هذه الاقطار بتوضيح الرباط الروحى الذى يربط الافريقي بالارض التي يعيش فوقها والتى يعتقد أن أرواح أجداده تأوى اليها ، وزعماء القبائل الافريقية يستمدون سلطانهم فى الواقع من صلتهم بالارض : فهم يدافعون عنها وقت الحرب ويحلون مشكلاتها وقت السلم • ومن الناحية العملية لازالت الارض المورد الرئيسى للحياة عند الافريقى ، وبدونها يجد نفسه مضطرا الى الالتحاق بجموع العمال المهاجرين الى العمل فى المزارع الجديدة أوالمناجم •• وبهذا يدع الافريقى موطن قبيلته فى رحلة تطول أو تقصر ويتعرض لتغير أساسى فى نظام حياته •

وهناك ناحية أخرى لها أهميتها فى نظرة الافريقى الى الارض واختلافها عن نظرة الاوربى المستعمر ، فالاوربى ينظر الى الارض باعتبارها مكانا يعيش فوقه بعض أفراد المجتمع •• مكانا يتكون من مجموعة من الوحدات الطبيعية •• وللافراد فى هذا المكان ، «حقوق فردية» يشغلون بها الارض ويستخدمونها ويتصرفون فيها • أما بالنسبة الى الافريقى ــ بعامة ــ فالفهم الغالب هو الفهم الجمعى لا الفردى • والتقاليد الافريقية تعطى الفرد وأسرته حق حيازة الارض مادام يستغلها ، ولكن اذا توقف هذا الاستغلال فانها تعود الى المجتمع ومن الممكن أن يستغلها أفراد آخرون •

هذا هو الاطار العام الذى يمكن أن نراه فى شرق افريقية ، وحيث تزداد الخصوبة ويتكاثف السكان تقوى الصلة بالارض وتصبح أكثر فردية • وفى أوغنده كان هناك نظامان لحيازة الارض يرتبطان بالنظم الاجتماعية السائدة ، ففى أوغندة سيادة تمثلها جماعات الهيما ، وتمتاز هذه الجماعات بأنها أشد تأثرا بالدماء الحامية المهاجرة من الشمال ، ويمكن أن نجد هذه السيادة فى أوغندة من حدود رواندا فى الغرب الى بوسوغا فى الشرق • والهيما رعاة فى الاصل ، وحرفة الرعى تستلزم قوة وشدة بأس • وفى أوغنده تتكرر هذه الظاهرة كثيرا : جماعات من أصل رعوى تمارس نوعا من السيادة على جماعات البانتو الزراعية المستقرة ، وتتمثل هذه السيادة فى أن يقدم الزراع ضرائب فى صورة خدمات أو غلات فى مقابل أن يحميهم الهيما ويدافعوا عنهم ويمكنوهم من زراعة الارض ، فهذا النظام اذن نوع من التعاقد يلتزم فيه كل من الطرفين بتتبعات خاصة تناسب وضعه الاجتماعى وحرفته •

وكان هناك نظام آخر عند القبائل النيلية فى الاجزاء الشمالية من أوغندة حيث انتهت الزعامة الى أسر خاصة أصبحت تتوارث قيادة القبيلة • وهذا النظام الوراثى اعتراف من بقية القبيلة بأن الأسرة الحاكمة أقدر على سياسة أمور القبيلة ورعاية مصالحها • والزعيم عند القبائل النيلية هو الذى يتولى توزيع الارض • أى أن الفرد لم يكن مرتبطا بقطعة « معينة » من الارض وان كانت القبيلة مرتبطة بمساحة تستغلها

وفى اتفاقية أوغندة التى عقدت فى عام ١٩٠٠ بين زعماء أوغندة الذين تولوا المفاوضة مع بريطانيا ، أخذت بريطانيا بعين الاعتبار ماقال به الزعماء من حقوق فى الارض • وأطلق على الارض التى سجلتها الحكومة البريطانية للزعماء اسم « أرض الميلو » واعتبرت كل أرض بوغنده خلاف أرض الميلو تابعة للتاج أو بعبارة أخرى ملك الحكومة المركزية ••

وليس هذا مجال متابعة مشكلة حيازة الارض فى بوغندة بخاصة وأوغندة بعامة ، ولعلى أعرض له فى مقالات قريبة • وانما هناك سؤال يكاد يفرض نفسه علينا فرضا :

ما الذى دعا بريطانيا الى هذا الموقف فى أوغنده بينما امتدت مخالبها فى عنف تنتزع الارض من أصحابها فى

كينيا وتلقى بهم فى معازل ضيقة يزدحمون فيها بلا شفقة ، ثم يندفعون منها تحت ضغط الجوع والحاجة ليعملوا فى أرض المستعمرين ومصانعهم ومناجمهم ؟ لماذا خلقت بريطانيا فى كينيا ماسمته بالمرتفعات البيضاء حيث ترتفع الارض ويعتدل الاقليم وتتوفر البيئة المناسبة للاستقرار الاوربى ؟ وكيف رضيت بريطانيا أن تدع الارض لاهلها فى أوغندة يزرعون فيها ويحيون بينما اندفعت كالاعصار المدمر فى كينيا الذى أتى على كثير من القبائل فأرهقها من أمرها عسرا ؟

وقبل الاجابة على هذا السؤال نستطيع أن نربط فى أوغندة بين اختلاف نظم الحيازة واختلاف الظروف المناخية • فحيث يغزر المطر وتساعد ظروف البيئة الطبيعية على الاستقرار ظهرت نظم حيازة تمثل هذا الاستقرار ويقوى فيها — نسبيا — ارتباط ساكن الارض بها • وفى الاجزاء الشمالية التى يسكنها النيليون كان هناك ارتباط عام بين القبيلة والارض ولم يكن هناك ارتباط خاص بين الساكن وقطعة معينة فيها •

مرض النوم :

أما العامل الذى أثر على اتجاه الاستعمار الاقتصادى فى أوغنده نحو مشكلة الارض ، فلم يكن رحمة فى قلوب المستعمرين ولا احتراما لاوضاع قائمة وانما كان « مرض النوم »

ففى كثير من جهات افريقية المدارية قامت الامراض بأدوار خطيرة فى مشكلة حيازة الارض وتكوين الجاليات الاستعمارية ، ففى غرب افريقية مثلا حيث تنتشر الملاريا ، يصرخ الزعيم ازيكوى بقوله : « ان البعوضة أعظم أصدقاء الشعب النيجيرى » ذلك لانها صرفت أنظار المستعمرين عن الاستيطان فقنعوا بالاستغلال الاقتصادى •

وفى عام ١٩٠٠ م أثبت البحث وجود حالات فى مستشفى منجو — فى أوغنده — شخصها الاطباء بأنها مرض النوم • وسرعان ما انتشر المرض بصورة وبائية وقبل أن تتمكن السلطات القائمة من ضبطه ، استطاع أن يقضى على ربع مليون من السكان ، وزاد من تعقيد المشكلة حاجة المسئولين الى معلومات محددة واضحة عن سبب انتشار المرض ومصدره ، وحتى الآن لا زالت طريقة انتشار المرض ومصدره غامضتين الى حد كبير ، ولم يكن من المنتظر وقتئذ دخول المرض أوغنده ولا انتشاره فيها ، وأحدث هذا تأثيرا نفسيا عميقا عند المستعمرين صرفهم عن فكرة الاستيطان وقنعوا بالاستغلال الاقتصادى الذى يستغلون فيه اليد العاملة المحلية ، وتطلبت مقاومة المرض اخلاء المناطق الموبوءة من سكانها على اعتبار أن ذباب تسى تسى — الذى ينقل مرض النوم — لا يستطيع أن يبتعد عن مورد الماء أكثر من ميلين ، وطبق مبدأ الاخلاء على مساحات واسعة من شواطىء بحيرة فكتوريا وجزائرها وبدأ هذا من عام ١٩٠٧ م ، وتحول الزراع الى مناطق مما أطلق عليه أرض التاج ، وتوسعت الادارة فى عملية الاخلاء فطبقتها على جزائر فى بحيرة البرت وعلى الاراضى المجاورة للنيل ومنابعه • ومع أن هذه السياسة أدت الى نتائج سريعة فان الانتشار المفاجىء لمرض النوم كون عقدة عند المستعمرين ظلت قائمة فى نفوسهم • ولم تبدأ الادارة فى استغلال الارض التى كانت موبوءة الا بعد عام ١٩٢٠ ، أى بعد أن استقرت نظم الحيازة وأصبح من الصعب اجراء تعديل جوهرى فيها •

ويمكن أن تضيف الى السبب السابق الجوهرى عاملا آخر •• هو الظروف التاريخية لممالك البانتو المزارعين حول البحيرات النيلية •• فالمستعمرون وجدوا أمامهم أوضاعا فيها الكثير من الاستقرار ، ووجدوا أمامهم فى الوقت

نفسه مرضا آخذا فى الانتشار ، فحاولوا أن يبقوا على الاوضاع السياسية القائمةويتجنبوا الاستيطان

ويستطيعوا فى الوقت نفسه أويحاولوا على الاقل تطويع بعض الزعامات المحلية حتى تخدم الاهداف الاقتصادية الجديدة

التحول الى زراعة القطن :

ويرتبط تحول أوغنده الى زراعة القطن ارتباطا مباشرا بالاستعمار البريطانى وأسلوبه فى توجيه اقتصاديات الاقطار التى تقع تحت سيطرته ٠

ويمكن أن نرجع بقصة القطن فى أوغنده الى علاقات بريطانيا بالدول المنتجة لهذه المادة الخام الضرورية لصناعة النسيج فيها ، فقد كان من نتائج الحرب الاهلية فى الولايات المتحدة فى العقد السابع من القرن الماضى أن نقص انتاج القطن الامريكى الى درجة كبيرة ، ولم يستطع الانتاج الامريكى بعد الحرب أن يستجيب للمطالب العالمية وقتئذ ، على حين أخذ استهلاكها للقطن فى الزيادة مع توسع صناعتها المحلية ، مما قلل المعروض من القطن الامريكى للبيع فى السوق العالمية ، وارتفعت أسعاره فى أواخر القرن التاسع عشر الى درجة جعلت النساجين الاوربيين يحسون بكثير من القلق ، وأنهم فى يوم قد يقعون تحت سيطرة النفوذ الاقتصادى الامريكى

وبدأ النساجون فى أوربا يتخذون خطوات مشتركة لفتح حقول جديدة لزراعة القطن ، وتكونت فى كل من ألمانيا وبريطانيا هيئة خاصة لانتاج القطن والتوسع فيه ، وقامت الهيئات - البريطانية والالمانية - بجهود مشتركة مثمرة فى هذه السبيل وعقد فى مايو ١٩٠٤ اجتماع دولى ضم المشتغلين بالصناعات القطنية اتفقوا فيه على ضرورة الكفاح المشترك من أجل التوسع فى زراعة القطن ٠

وفى السنوات التى سبقت عام ١٩٠٤ نستطيع أن نقرأ الكثير مما كتبه الرحالة وقادةالاستعمار «كستانلى

و« لوجارد» عن امكانيات زراعةالقطن فى أوغندة ومدى حثهم الرأسماليين البريطانيين ، على توظيف أموالهم هناك ٠٠ ومحاولة ضغطهم على الاداة المحلية والحكومة البريطانية ولكن أنظار البريطانيين فى أوغندة اتجهت أول الامر الى غلات أخرى غير القطن ٠٠ كانوا يريدون الربح السريع والجهد القليل ٠٠ والقطن يحتاج أولا الى جهود طويلة وتجارب ومحطات وادارة لها تكاليفها وتبعاتها وتعرضها للنجاح والفشل ٠٠

وشاهدت أوغندة تسابقا بين عشرات الهيئات الاوربية والافراد فى العقد الاول من القرن العشرين ، هدفه استغلال موارد الغابات وبخاصة المطاط دون نظر الى المحافظة على الاشجار ، ولكن انتشار مرض النوم واصرار الحكومة على شروط خاصة للاستغلال خفف من حدة هذا التسابق

وكان الارتفاع المفاجىء لاسعار المطاط فى أوائل القرن العشرين سببا فى حماس كبير بين رجال الاعمال البريطانيين ، الذين شاهدوا الارباح العالية توزعها الشركات على المساهمين فى مزارع المطاط فى سيلان والمضايق وأرادت بريطانيا أن تنشىء مزارع مطاط بقدر ما تستطيع ، ودخل رأس المال البريطانى شرق افريقية الالمانية - تنجانيقا فيما بعد -

واستطاع البريطانيون أن يستولوا فيها على عدد كبير من المزارع ، وتوسعوا فى هذا الى درجة أخافت الالمان ،وظهر فى شرق افريقية نوع من التخصص فى الانتاج ،قلت فيه أهمية أوغندة وفى انتاج المطاط ، وحاول المستعمرون بعد هذا التوسع استغلال بعض موارد الغابات

الاخرى كألياف البردى وقشي الرافيا ولكن هذه التجارب والمحاولات خفت حدتها شيئا فشيئا ، وأخلت مكانها للقطن الذى أخذ طريقه ليصبح فيما بعد ، المحور الرئيسي الذي يدورحوله الاقتصاد الاوغندى ، وان كانت هناك الى جـواره غلات أقل أهمية كالبن والطباق والشاى ٠

وقدعثر الرواد السابقون فيالقرن التاسع عشر مثل سبيك وجرانت على القطن ناميا فى أوغنـــدة ، وأحضر صمويل بيكر معه بعض بذور القطن المصرى التى زرعت فى ماســـندس وبوريتور شرق بحيرة ألبرت ، ولكن هذه المصادر لم تكن السبب المباشر للتطور الاقتصـادى الذى حدث فى القرن العشرين ٠

وعندما اتجهت بريطانيا فى أوائل هذا القرن لانتاج القطن وفى أوغندة اســـتوردت عام ١٩٠٣ أصنافا من مصر : الاشمونى والعباسى والعفيفي، وبدأت تجربتها فى ابريل ومايو عام ١٩٠٤ ، كما أجرت فى الوقت نفسه تجارب على أصناف أخرى من أهمها « الامريكان آبلاند » ، وبرهنت هـذه التجارب على ملاءمة النوع الامريكى لاوغندة ، وكانت التجارب الاولى فى بوغندة وبونيور وبوسوغا وأنكومى ، ونظمت ادارة المحميـة نفسها مـــع الهيئة البريطانية لمنتجى القطن التى صـــدر بها مرسوم ملكى عام ١٩٠٤ والتى تولت التوسع فى انتاج القطن فى الامبراطورية البريطانية ٠وتولت هذه الهيئة أمر انشاء محطة التجارب الاولى لانتاج القطن فيشرق افريقية٠

وفى عام ١٩٠٧ اتخذ الحاكم العام هسلث بل قرارا هاما بعد استشارة المعنيين بانتاج القطن من المستعمرين البريطانيين ٠ فقـد برهنت التجارب عمليا على أن صنف الامريكان أبلاند هو الملائم لأوغندا،وان خلطالاصناف يؤدى الى انتـــاج قطن من رتبة غير معترف بها فى السوق الدولية ،وقرر « بل » أنه حالمـــا ينتهى موســـم الزراعة ينبغى أن يقتـــلع من الارض ويحرق كل صـــنف ماعدا الامريكان آبلاند ، وينبغى أيضـــــا اتلاف جميع البذور المحلية فى المحالج،وتحل محلها البذور المعتمدة التى تنتجهـا المزارع التجريبية التيأنشأتها الادارة فى عدة مراكز ، وصـدر فى مارس ١٩٠٨ قانون قطن أوغندا ، ويعطى الحاكم العام الحق فى اتخاذ القوانين للمحافظة على القطن فى المحمية ورفع مستواه ٠

واستطاعت ادارة المحمية ـعمليا ـ عام ١٩٠٧ أن تجعل القطن فى رأس قائمة الصـادرات ، وحل محل العاج والجلود المدبوغة وغير المدبوغة ٠٠ ٠ التى كانت من قبل تكون معظم تجارة أوغندة الخارجية ٠

وكان الانتاج ضئيلا أول الامر ٠ كان نحو ٩ أطنان فيموسم ١٩٠٥/٤، وارتفع الى ٧١٦ فى موسم ١٩٠٨/٧ ووصل فى موسم ١٠ / ١٩١١ الى ٢٥٠٠ طن،وتوالى ارتفاعه حتىوصل الى ذروة قدرها ٤١٨ ألـف بالة فى موسم ١٩٣٨/٧ ٠ ويمكن أن نقدر معدل الانتاج فى الوقت الحاضر بنحو ٤٠٠ ألف بالة تزرع فيمـا يزيد عن ١ ١/٢ مليون فدان ٠

ويتأثر المحصـــول تأثرا مباشرا بالتغييرات المفاجئة ، فاذا تأخر المطر بدأ السكان بزراعة الغلات الغذائية، ولهذاقد تتأخر زراعة القطن الىمابعد سقوط الامطار المناسبة ٠ وقد نقص انتاج القطن فى فترة الحرب وما بعدها لحاجة القـوات المحاربة الى الغـــلات الغذائية ، ووضع سياســـة توسعية على حساب مساحة القطن ٠

وكان تصدير القطن أول الامر عن طريق المحالج مباشرة أو السماسرة، ولكن منذ قيام الحرب العالمية الثانية تولت الادارة البريطانية أمر تسويق المحصول ، واستطاعت أن تحصل بهذا على قدر كبير من الارباح صرفت جانبا منها للزراع واحتفظت بالشطر الاكبر تحت اسم مشروعات التنمية وتثبيت أسعار القطن ٠

مشكلات المواصلات

وكانت المواصلات من أهم العقبات التى صادفت الادارة الاستعمارية فى تحويل أوغندة الى حقل ينتج القطن لصالح الغزالين البريطانيين ، فاذا أمكن نقل القطن الى كمبالا وجنجا على بحيرة فكتوريا ، أصبح من الممكن — بعد هذا — نقله بأقل مشقة عبر البحيرة الى ثغر كيسومو ومنها بالسكة الحديدية الى ممبسة على شاطىء المحيط الهندى ، ولكن القطن كان — ولايزال — زراعة يقوم بها المواطنون فى حقولهم الصغيرة المنتشرة فى أوغندة، وتتراوح مساحة هذه الحقول بين ١/٤ ، ٥ أفدنة ، ولم يكن الزراع راغبين فى أن يحملوا انتاجهم على رءوسهم فى رحلة قد تطول عن يومين من دورهم٠

وأنفقت الادارة الاستعمارية أموالا باهظة على انشاء الطرق ، واتخذت سياسة محددة ترمى الى انشاء شبكة من الطرق تربط بها المراكز الادارية والتجارية بالعاصمة واشتدت الحكومة فى حمل الاهالى على زراعة القطن ، ولم تستطع الطرق أن تستجيب للضغوط الشديدة عليها ، فتحولت بعض الطرق الى مسالك غير صالحة لخدمة السيارات ، وأصبحت الكبارى — عبر المستنقعات — كمصايد الموت للسائقين وكثر ضحايا الانحناءات الحادة ، وتلال النمل الابيض التى تخفيها الحشائش وسط الطرق ٠

ولم يقف خيال الادارة الاستعمارية عند هذا الحد ٠٠ بل ان هسلث بل يجمح به التخيل بعيدا ٠٠ فقد أراد أن يوفر طريقة رخيصة وسهلة للاتصال بين شرق افريقية وأوغندة والسودان عن طريق بحيرة كيوجا والنيل وامكان ربط المحيط الهندى بالبحر المتوسط دون حاجة الى العبور فى قناة السويس ؟! ٠٠

هذا الطريق البديل كان له — فى عقل هسلث بل — فائدة عسكرية أخرى ٠٠ ولكنه صرف النظر عن هذا الامر ٠ واكتفت الادارة وقتئذ بالخط الحديدى الذى يربط أوغنده بالمحيط الهندى وأمكن بعد هذا مده ليصل الى كمبالا ويتفرع من الخط القديم عند بلدة ناكورو فى كينيا ويمر بالمديرية الشرقية فى أوغنده ٠ وتم فتح هذا الخط رسميا فى أول يناير ١٩١٢ ٠

وكلف المفتشون فى المناطق التى يمر فيها الخط الجديد بحمل المزارعين على انتاج القطن وبذلت الادارة جهودا متواصلة فى تعبيد الطرق ، ولكنها كانت دائما متخلفة عن التوسع فى الزراعة ، وحتى الخط الحديدى الذى كان يعتبر المنفذ الرئيسى لتجارة القطن أصبحت خدماته غير كافية لقلة عرباته وقاطراته ٠

كان المفتشون يضغطون على الزراع ويحولونهم الى زراعة القطن ، والمشترون من ناحية أخرى يرون رءوس أموالهم معطلة ، حتى ان بعض القطن استغرق ستة أشهر ليصل من أوغندة الى انجلترا ، وبدأت الادارة تخشى أن ينكص المزارعون عن الانتاج ، وبدأت مهاجمة ادارة السكة الحديدية بأنها توظف هواة غير مدربين فى الوظائف الحيوية التى تصل بين أوغندة والعالم الخارجى ، وتدخلت بريطانيا فى الامر واتخذت خطوات لتوفير

الاعماق المناسبة في ميناء كلنديني وهي نهاية خط كينيا – أوغندة ، واهتمت كذلك بتعبيد الطرق وأنشأت ميناء لكمبالا أطلقت عليه اسم بورت بل ، وبذلت جهودا في الملاحة البحرية وبخاصة بحيرة فكتوريا ٠

بعض نتائج السياسة القطنية :

يذكر مكرجي في كتابه « مشكلة أوغندة » ٠٠ ان القطن وهو انتاج افريقي بحت كانت مساحته في موسم ١٩٥١ – وهو موسم درسه مكرجي بكثير من التفصيل – تمثل ٨٤ ٠/٠ من الغلات التغذية ٠ أما البن والطباق ، وهما أساسا غلات افريقية – فكانت تمثل ١٣ ٠/٠ والغلات النقدية الاخرى كالمطاط والشاي والسكر والسيسل – وهي غلات غير إفريقية الاصل – فتمثل ٣ ٠/٠ فقط ٠

وهذه النقطة تستدعي منا كثيرا من الانتباه ، فكثيرا مايقول البريطانيون ان أهم ماقدموه لاوغندة واقتصادها هو زراعة القطن ، مع ان هذا الوضع كما بدا من الدراسة السابقة – أملته مصالح الاستعمار الاقتصاد البريطاني من أول الامر ، وكان التوسع فيه على حساب مساحة الغلات الغذائية التي تكون عصب الحياة الفعلي في أوغندة: فمن قبيل الحرب العالمية الثانية كانت تتراوح مساحة الارض المزروعة في أوغنده بين ٧،٦ ملايين فدان يشغل القطن وحده منها نحو ٢/١ ١ مليون فدان ، وفي عام ١٩٤٦ قدرت مصلحة الزراعة في أوغندة ، انه على حين بلغت قيمة الانتاج الكلي للغلات التي ينتجها الافريقيون بوسائلهم البدائية والاوربيون والآسيويون بوسائلهم الاكثر تقدما مايقرب من ٩و٧ ملايين من الجنيهات ، فان القطن الذي أنتجه الافريقيون وبذور القطن تبلغ قيمتها وحدها ٢ر٤ مليون جنيه أو نحو ٧ر٥٣ في المائة من كل قيمة الغلات ٠

وأظهرت الدراسة الشاملة التي أجرتها بريطانيا لاقتصاديات شرق أفريقية عام ١٩٥١ ان أغلبية السكان في أوغندة يعملون في الارض كزراع، وانهم ينتجون الغلات الغذائية والنقدية وان بيع القطن هو المورد الرئيسي للايراد، وان كانت هناك بعض الغلات الاخرى، أخذت أهميتها أخيرا تتزايد وان هناك فائضا ضئيلا من الغلات الغذائية يمكن عرضه للبيع ٠

وعلى هذا أصبح الاقتصاد الاوغندي يقوم مع غلة تعتمد أساسا على التصدير الى الخارج ٠ والادارة الاستعمارية هي التي تتولى الاشراف على الزراعة وتحديد البذور ، ثم تستولى على المحصول ، وتتولى تسويقه ونقله الى الساحل ، ثم نقلته الى مناطق غزله ونسجه ، وتتولى بعد هذا استيراد المنسوج لبيعه للسكان الذين يتعرضون لذبذبات وتقلبات أسعار القطن العالمية وهكذا استطاع الاستعمار أن يشد أوغندة الى عربته ،مما يجعل أوغندة في حاجة الى كفاح كبير تستطيع أن تتحرر به أولا من سيطرة بريطانيا على القطن ومن سيطرة القطن على الاقتصاد الاوغندي ٠

الكهرباء والتعدين :

يطلق على القطن في أوغندة الذهب الابيض ، كما يطلق على الكهرباء الفحم الابيض ٠ ومن أوائل القرن العشرين فكر هسلث بل في توليد الكهرباء من مساقط ريبون التي تقع عند مخرج النيل من بحيرة فكتوريا٠ كان هذا في عام ١٩٠٦ ورأى ان هذا هو السبيل الوحيد الى تصنيع أوغنده ، واتجهت أنظار العالم الى هذا الاقتراح بعد زيارة ونستون تشرشل لاوغنده بوصفه نائب السكرتير

البرلماني للمستعمرات فيعام ١٩٠٧، ولكن هذه الفكرة لم تر طريقها الى عالم الحقيقة الا بعد نصف قرن تقريبا ،

ففي عام ١٩٤٧ دعي سير شارلي وتليك ليقدم تقريره ٠ عن اقامة سد لتوليد الكهرباء من النيل قرب مساقط أوين ،ووضع هذا التقرير، وأوصى بانشاء « لجنة كهرباء أوغندة ، التي أشرفت على المشروع من وقت انشائه في عام ١٩٤٨ :

ويقع السدعلى ١ ١/٢ ميل أسفل مخرج النيل من فكتوريا ، وسوق تغمر مياه الخزان عند ارتفاعها مساقط ريبون ٠ والنهر في هذه الاجزاء يجري بين ضفاف شديدة الانحدار ترتفع على جانبيه نحو أربعين مترا ، وصخور القاع — تتخللها تكوينات صلبة أعطت أساسا ثابتا لعملية السد،ويبلغ الارتفاع الكلي للسد ٨٥ قدما وطوله ٢٧٢٥ قدما ، ويمكن تقدير حوض الخزان بنحو ٢٦ ألف ميل مربع تمتد في بحيرة فكتوريا نفسها ، وسيرتفع سطح البحيرة بما يتراوح بين ٤ و٢/١ ٤ قدم ، فوق أعلى منسوب حالي وان كان هذا سيحدث في مدى عشرين عاما ٠

وقد تم افتتاح السد والمحطة الكهربائية في ابريل ١٩٥٤ ،وأقصى قوته ١٥٠ ألف كيلو وت ساعة تولدها عشرة تربينات قوة كل منها ١٥ ألف كيلو وت ساعة ٠ وعند افتتاح المحطة كانت تعمل وحدتان من الوحدات العشر والتخطيط على أن يتم تشغيل الوحدات الثماني الباقية على مرحلتين٠

ويكفي أن نذكر أن ماكانت تحتاج اليه أوغندة عام ١٩٥٣ — السابق لافتتاح السد والمحطة الكهربائية — ١٣ ألف كيلو وت ساعة ، وهو حمل يمكن توليده من وحدة واحدة ٠

وترتبط بخزان أوين مشروعات تنمية صناعية كبيرة في أوغندة ، فمن المنتظر ان تصبح جنجا — قرب مخرج النيل من فكتوريا — مركزا صناعيا هاما ٠وبها في الوقت الحاضر مصنع طباق وعصارات زيت ومحالج قطن وصوامع لخزن الغلال احتياطا للمجاعات ، وقد اشتدت الحاجة الى التخزين بعد التحول الى زراعة القطن والغلة النسبية لمساحة الارض المخصصة للغلات الغذائية ،الا أن أهم مستهلك للتيار الكهربائي في التخطيط الصناعي هناك ، هو مصنع لصهر النحاس الذي يستخرج من مناجم كيلمبي في جبال رونزوري — في غرب أوغنده —وهذه الصناعة ستكون حجز الزاوية في تصنيع جنجا وسترتبط بها صناعات كيمائية أخرى٠ وقد ارتفع عدد سكان جنجا من نحو ثلاثة آلاف في عام ١٩٣٠ الى مايقرب من تسعة آلاف عام ١٩٤٨ ، وكانوا في عام ١٩٥١ نحو ٢١ ألفا ، وتخطيط المدينة موضوع على أساس حد أقصى للسكان قدره ٨٠ ألفا ٠

وستمتد الشبكة الكهربائية الى المناطق الصناعية الجديدة في رنزوري في الغرب وفي تورورو في الشرق حيث أمكن العثور على مناجم بها معادن ثمينة جنوب غرب جبل الجون منها البيزوكلور وله أهمية استيراتيجية في صناعة المحركات النفاثة ، وهو مصدر هام للفوسفات ٠٠ وتقوم بدراسة هذا الركاز بعثات تمولها الحكومة والهيئات الاقتصادية الخاصة ٠ وقد استطاع مصنع الاسمنت في تورورو أن يوفر ٣/١ الاسمنت الذي استخدم في انشاء السد ، وأن يمد السوق المحلية بما تحتاج اليه من هذه المادة وهناك اتجاه يرمي الى مد الشبكة الكهربائية الى القسم الغربي من

كينيا والى خدمة نيروبى – عاصمة كينيا – . ويمكن القول بأن كل قوة الكهرباء المولدة يمكن استهلاكها فى أعمال التوسع فى التعدين ومايرتبط به من توسع مدينى . ومما تجدر الاشارة اليه أيضا أن أوغنده فى عام ١٩٥٦ مدت الخط الحديدى غربا حتى وصل الى كاسيسى فى منطقة رونزورى لخدمة مناجم النحاس فيها .

ولم يكن من المستطاع – قانونا – انشاء السد دون موافقة الجمهورية العربية المتحدة بنص اتفاقية ١٩٢٩ ومع ان تأثير الخزان محدود على زيادة المياه الممكن وصولها الى السودان واقليم مصر ، الا أن ضبط النهر عند منبعه سيساعد على انشاء الاعمال التالية فى مشروعات النيل . وتدفع مصر القيمة الاضافيه لرفع السد مترا واحدا حتى يمكن توفير مياه اضافية فى البحيرة ، وتعويضا لاوغندة مقابل تخفيض القوة الكهربائية المولدة كما انها تتحمل أيضا نفقات تعويض من يسكنون أى أرض سيغمرها الماء من شواطىء البحيرة نتيجة تنفيذ المشروع ، وفيما عدا هذا لاتساهم مصر فى نفقات السد .

ولاشك فى أن هذه التنمية الاقتصادية فى أوغنده تكون مصدر خير كبير لو كانت تسيطر عليها أيد افريقية .. ولكن يبدو من العرض السابق أن خطوط المواصلات الجديدة تخدم أساسا أهداف التعدين كما خدمت الخطوط السابقة أهداف زراعة القطن ، وأن تحكم الادارة الاستعمارية فى التعدين لايقل قوة عن تحكمها فى السيطرة على القطن .

وقد بدأ الافريقيون فى أوغنده يحسون هذا الضغط الاقتصادى ، وحاولت الادارة الاستعمارية تحويل الطاقة الافريقية الى صراع مع الآسيويين باعتبار أنهم يسيطرون الى حد كبير على صناعة حلج القطن وكثير من الاعمال التجارية .. وحدث صراع فى أوغندة بين الافريقيين والآسيويين . ولكن الخطر الحقيقى أكبر من هذا وأضخم .. فهو يكمن فى النفوذ الاستعمارى الذى صنع هذا الاقتصاد الجديد . .. وبالرغم من فوائده التى يعود بعضها على الافريقيين فان مفاتحه لاتزال بين الادارة الاستعمارية ، وعن طريقها يتدفق الخبراء وتأتى رءوس الاموال من وراء البحار لتعمل فى موارد الثروات المعدنية الجديدة .

ان أوغنده فى حاجة الى اقتصاد متوازن لاتسيطر عليه غلة واحدة ، ولا يسيطر عليه مستعمر دخيل .. وتطور الحوادث فى افريقية يضعف من نفوذ الاستعمار يوما بعد يوم .

فهو فى قارتنا الآن لايكسب أى أرض جديدة ، بل لا يستطيع المحافظة على ماتحت يده من أرض ، وظلاله الباهتة آخذة فى التقلص مع ارتفاع شمس الحرية الافريقية .

بعض المراجع :

Hailey (1957), An African Survey.

Ingham (1958), The Making of Modern Uganda.

Mac Master (April 1955). Some effects of the Owen Falls Scheme, Uganda, Geography, Vol 40, part 2, pp. 123 - 126.

Matheson & Bovill (1950), East African Agriculture.

Mukherjee (1956), The Problem of Uganda.

Thomas & Scott (1949), Uganda.

Tothill (1940), Agriculture in Uganda.

العروبة في شرق أفريقية

للدكتور ابراهيم أحمد العدوى

أشرقت شمس العروبة منذ عصر مبكر على شرق افريقية ، وغذت بدفئها بضع قواعد كبرى ، صارت بدورها مراكز اشعاع للحضارة العربية فى قارة افريقية ، ومساعدة أهلها على السير فى ركب التقدم وخدمة الانسانية . وكان للموقع الجغرافى أثر كبير فى جعل الساحل الشرقى لافريقية أحد الابواب الرئيسية الذى وصل القارة الافريقية بالينبوع الاول للعروبة وأهلها ، اذ يقترب هذا الساحل الشرقى من بلاد اليمن مهد الحضارة العريقة التى عرفها العرب قبل الاسلام ، وقامت بينهما علاقات وثيقة رائدها المنفعة المتبادلة وخدمة الحضارة العالمية . فاشتهرت بلاد اليمن فى العصر الجاهلى برواج متاجرها ونشاط أهلها فى نقل متاجر البلاد القريبة منها والبعيدة كذلك ، بحيث صارت تتحكم فى الميزان التجارى العالمى فى تلك العصور القديمة .

ووصل تجار عرب اليمن قبل الاسلام الى الساحل الشرقى لافريقية ، يحملون منتجاته من العاج والذهب وغيرهما من السلع ، وذلك فى مقابل ما يعطونه للسكان المحليين من صادرات الشرق الاقصى من التوابل والعطور ، وصناعات الشرق الادنى من الاقمشة وأنواع الثياب المتعددة . غير أن عرب اليمن لم يقتصروا على القيام بالوساطة فى نقل المتاجر فحسب ، وانما دأبوا بفطرتهم السليمة على اختيار قواعد على الساحل الشرقى تصلح لتخزين السلع ، وتساعد على خلق مراكز للعمران يجتمع حولها السكان المحليون ، فيرجع الى أولئك التجار العرب الذين وفدوا من اليمن اختيار الموقع الذى عرف باسم زنزبار ، والذى صار مركزا يصل الساحل الشرقى بهضبة البحيرات فى قلب القارة الافريقية .

ثم زادت تلك الاتصالات التجارية والعمرانية بين الساحل الشرقى لافريقية وبلاد اليمن بعد ظهور الاسلام وتأسيس الدولة الاسلامية الكبرى ، ذلك أن العرب انتقلوا الى الساحل الافريقى ليس لاعمال التجارة فحسب ، وانما لنشر الدين الاسلامى كذلك ، ومن ثم ظهرت قواعد عربية اخرى كثيرة فى مقدشو وممبسة وكلوة ، وانتشرت فى أرجاء كثيرة فى أقصى جنوب الساحل الشرقى حتى سفالة ، واتصف مؤسسو تلك القواعد الافريقية بالاصل العريق ، والتمسك بالتقى والصلاح ، اذ ينتسب معظمهم الى بيت على بن أبى طالب ، الذى اتخذ من بلاد اليمن مقرا لدعوته الى الخلافة ، ونشر حركته فى سائر الاقطار الاسلامية .

ولم تلبث مظاهر العمران وأسباب الحضارة أن بدأت تسود تلك القواعد العربية الافريقية ، وكذلك سائر الجهات الافريقية المحيطة بها ، ذلك ان العرب المسلمين لم يقتصروا على الاشتغال بالتجارة ، وانما أدى اتصالهم بالسكان المحليين وأخذوا يلقنونهم تعاليم الاسلام ، مع اشتغالهم

بأعمال أخرى مما تقتضيه حاجات الاستقرار ، فاشتغل العرب بالزراعة ، وعلموا تلك الحرفة لجيرانهم من أهل البلاد ، مما كسب تلك الجهات الافريقية نضرة وجمالا ، فغرس العرب هناك أشجار الكوكو ، وعددا لايحصى من الاشجار التى جلبوها من بلاد اليمن ، وغير ذلك من الاشجار التى أعجب بها التجار فى الشرق الاقصى مثل المانجو والرمان والاترج، كما أدخلوا زراعة قصب السكر والقطن والسمسم الهندى والبهارات والارز، وذلك فضلا عن حيوانات جديدة جلبوها لتنمية الثروة الحيوانية فى تلك الجهات الافريقية .

وكانت مقدشو عنوانا على هذا التطور الجديد الذى أدخله العرب على افريقية الشرقية ، التى تعتبر الآن عاصمة الصومال الايطالى فى مطالع العصر الحديث ، فقد امتزج العرب بالسكان الاصليين ، وصاروا قوة سياسية لها أهميتها فى العمل لخدمة تلك البلاد ، والدفاع عنها ضد أية أخطار تستهدف لها من الخارج. وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر أسس أبو بكر بن فخر الدين سلطنة وراثية فى مقدشو بمساعدة أقوى العشائر العربية الصومالية ، وهى عشائر المقرى ، التى تربط نسبها بقحطان . وفى سنة ١٣٣١ م زار الرحالة العربى المغربى ابن بطوطة الساحل الشرقى لافريقية ، وخلف لنا أوصافا دقيقة ورائعة عن ازدهار قواعد العروبة فيه ، والروابط الوثيقة التى قامت بين تلك الجهات الافريقية وغيرها من أرجاء العالم العربى سواء فى ميدان التجارة أو العلم .

ووصف ابن بطوطة مقدشو بأنها مدينة متناهية فى الكبر ، وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها . وكان سلطانها فى ذلك الوقت هو أبو بكر ابن الشيخ عمر ، وهو من أسرة فخر الدين الذى أسس تلك السلطنة ، ويعرف الى جانب لغة الاهالى المحليين اللسان العربى . ولما سرت فى مقدشو أنباء وصول ابن بطوطة هرع لاستقباله نيابة عن السلطان القاضى ابن البرهان الذى كان من أصل مصرى، مما يكشف عن قوة الروابط العربية بين افريقية الشرقية ومركز العروبة فى مصر كذلك ، ثم أشاد ابن بطوطة أيضا بالصلات التجارية بين تلك الجهات ومصر بذكر انتشار المنسوجات والملابس المصرية بين أهاليها ، ذلك أن سلطان مقدشو بعث لابن بطوطة بكسوة كانت عبارة عن فوطة خز يشدها الانسان فى وسطه عوض السراويل لانهم كانوا لايعرفونها وكذلك « دراعة من المقطع المصرى معلمة وفرجية من القدسى المبطن وعمامة مصرية معلمة» وحرص سلطان مقدشو على دعوة ابن بطوطة للخروج معه فى صلاة الجمعة والترحيب به باللغة العربية حيث يقول له : « قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وآنستنا » .

ووصف ابن بطوطة كذلك مظاهر العمران التى سادت سائر القواعد العربية الاخرى بالساحل الشرقى لافريقية ، وكثرة تردد كبار الشخصيات العربية من بلاد العرب على تلك القواعد . فبعد انتهاء زيارته لمقدشو سار متوجها الى مدينة كلوة ، التى ينسب تأسيسها الى أحد أحفاد على بن أبى طالب ويدعى زيدا . وقال عن كلوة انها مدينة عظيمة ساحلية ، ومن أعظم المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب ، وهى على اتصال بمدينة سفالة التي تعتبر مخزنا للتبر . وشاهد ابن بطوطة عند سلطان كلوة بعض الشرفاء العرب الذين قصدوا اليه من العراق والحجاز ، وعدد منهم بعض الاسماء الكبرى ، وأشاد بترحيب السلطان لهم ، ورعايته لغيرهم من عامة العرب الذين وفدوا على دياره من بلاد اليمن .

وظل تيار العروبة يتدفق على شرق افريقيــة ، ويربطه بسائر الحركات سواء أكانت دينية أم ثقافية مما تمتلىء به أرجاء العالم كله . فانتشرت الطرق الصوفية التى عرفتها البلاد العربيــة فى شرق افريقيــــة ، وفيها الطريقة القــادرية التى ينتمى اليهـــا أهالى الصومال وهى تنتسب الى عبد القادر **الجيلانى ، وتميزت تلك الطائفة بأنها** من أقدم الطرق الصوفية التى دخلت شرق افريقية وأكثرها ثقافة وتمدنا . **فاشتهر أفرادها** بالاشــتغال بمهنة التــدريس ونشر نور الثقافة العربية بين أهالى الصومال . وانتشرت الى جانب القادرية طائفة الاحمدية نسبة الى الزعيم الصوفى احمد بن ادريس الذى توفى بالعسير فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، والصالحية ، وهم فرع نشــأ أخيرا من الاحمدية ، أسســها محمد صــــالح ، الذى أقام بمكة .

وكان لانتشار الطوائف الصــوفية والتنافس فيما بينها على نشر تعاليمها أثر كبير فى قيام نهضة ثقافية عربية فى شرق افريقية ، تركزت بصفة خاصة فى بلاد الصـــومال ، فألف علمــــاء الصومال باللغة العربية كتبا ورسائل ونظموا القصـــائد باللغة العربيــة ، وأكثرها فى المسائل الصوفية . ومن تلك الرسائل المجموعة التى جمعهـــا الشيخ عبد الله بن يوسف أحد أهالى شيخال ، وطبعها فى القاهرة وعنوانها « نصر المؤمنين على المردة الملحدين » . ومن القصائد العربيـــة الديوان الذى جمعه قاسم بن محيى الدين أحد أهالى براوة لعدة من شعراء الصومال ، وفى هذا الديوان قصيدتان من نظم الشيخ ادريس محمـــد البراوى وقد عثر على مخطوط فى براوة يشتمل على همزية البوصيرى مترجمة الى الشعر السواحلى مما يدل على انتشــار الآراء والثقافة العربية الى سائر السكان .

وقد استرعى نظر الاوربيين معالم تلك الحضارة العربية التى انبعثت من القواعد العربية الكبرى على الساحل الشرقى لافريقية ، وأشادوا بآثارها فى تلك البلاد من الناحية الاجتماعية والثقافية . وقد وصفها أحد العلماء الالمـان الذين درســـوا مناطق شرق افريقية فى مطالع الاستعمار الاوروبى بقوله : « ان أهالى البـــلاد اختلطوا بالعرب منذ الف سنة ، وصورهم جميلة وتقاطيعهم لطيفــة ، وهم أهل نظافة ينظفون أسنانهم ويغتسلون دائمـــا ، ولا يستعملون الوشم مثل الزنوج .. ومن عاداتهم لبس البياض ، ويجعلون على رءوسهم كمة بيضاء ان لم يلبسوا الطربوش الاحمر ، ونساؤهم يأتزرن بشىء اسمه (الشقة) يغطى الجسم ، ويجعلون على الاكتاف شــيئا اسمه (كسونو) .. وعند الســكان أدب وكياسة ، ومن صفاتهم حسن المعاشرة وقرب الالفة ، وسرعة العاطفة ، والبر بالأهل والحنــــو على الاولاد ، وهم يحبون السكنى بعضهم بقرب بعض ، ومنــــازلهم فى غاية النظـــافة ، بل الشــوارع التى بين بيــوتهم نظيفة ، ويبنون بيوتهم صــفوفا ، ويغرسون أمامها صنوفا من الاشجار الكبيرة مثل الكوكو . وبالاجمال فتلك الامة من بين الامم الموصــــوفة بالوداعة ، وأهلهـــا عندهم ميل عظيم الى الطرب ، ويحبون الزفن والغنـــاء ، ويعزفون بالطبول والطنابير ، ويقضون أوقاتهم بالسرور .

وهذا الوصف الاوروبى الفياض يدل بوضوح على أن مايتحلى به أهل شرق **أفريقية من خصال ، انما هى خصال** العروبة الحقة ، وأنهم شعب جدير بأن يتبوأ مكانة عالية بين مجموعة الامم العالمية المتحضرة . وكشف سكان شرق افريقية وعلى رأسهم أهالى السومال عن تأصل روح العروبة فيهم ، وما تتسم به من عشق للحرية واســتماتة فى الدفاع عنهـــا فى قيـــام حركات كثيرة

ومتصلة ضد الاستعمار الاوروبى على اختلاف أنواعه ، والذى بدأت طلائعه فى زحف البرتغاليين أولا ، ثم الفرنسيين والانجليز والالمان والايطاليين على تلك الجهات الافريقية ، فحملت قواعد العروبة بشرق افريقية لواء الدفاع عن حرية هذه البقاع من القارة الافريقية

ضد البرتغاليين مدى مائة وخمسين عاما . ولم يكلل هذا الجهاد العربى الافريقى بالنجاح ، لان الاستعمار الاوروبى قد تكاتف فى مطالع العصور الحديثة على شل حركة العالم العربى كله ، ومنع التعاون بين سائر أفراد أهله .

ولكن تيار العروبة لايعرف الركود فظلت الاتصالات العربية قائمة بين شرق افريقية وغيرها من أرجاء العالم العربى ، كما شد من أزر الحركات التحررية فى شرق افريقية انتشار الوعى العربى ، والعمل على توثيق أواصر الروابط مع الامة العربية الناهضة . واتخذ الوعى العربى الافريقى الحديث مظهرا يمكن أن

نسميه « حركة التعريب » ، وقوامها الاعتزاز بالاصل العربى ، لانه الرباط الذى يجمع بين سائر أبناء الامة العربية وتجلت «حركة التعريب» فى الاساطير التى رواها السكان ، ولا سيما أهل الصومال ، عن أنهم من نسل عقيل بن أبى طالب عم النبى الكريم ، أى أنهم امتداد للدوحة الهاشمية ، أكرم دوحات العرب .

وأعلن عن حركة التعريب الجديدة بشرق أفريقية **محمد بن عبد الله** الملقب بمهدى الصومال (١٨٦٠ — ١٩٢٠ م) . فهو ينتمى الى قبيلة صومالية ، امتزجت بأصول عربية ، وصار يحلو له أن يلقب نفسه بالهاشمى أى يريد العودة الى الاصل العربى الذى يضم كل السلالة العربية ، وامتدادها فى سائر العالم العربى . وقد رسم هذا الزعيم العربى الافريقى خطة لخلق وحدة بين جيرانه ممن تجمعهم رابطة النسب والدين ، حيث قال ان أعز أمانيه : أن يفرش سجادة صلاة على هذا البحر لتؤلف بين المسلمين وتؤاخى بينهم ، ولم يكن هذا البحر الا الوسيلة التى ربطت منذ القدم بين اليمن وشرق افريقية . وقد اجتمع حول مهدى الصومال خلق كثير ، وأخذ يشن حربا على المستعمرين الاوروبيين الذين احتلوا بلاده ، ولكن الانجليز الذين انفردوا بالسيطرة على شرق افريقية ضيقوا عليه الخناق شأنهم فى وأد كل حركة تحرر فى العالم العربى ، ولكن لابد من انتصار العروبة ، وعندئذ يتحقق المثل العربى القديم الذى يقول ان أية حركة تقوم فى شرق افريقية لابد أن يهتز لها قلب تلك القارة ، أو كما عبر العرب أنفسهم عن ذلك المثل بقولهم : « عندما تزمر فى زنزبار ترقص كل افريقية الى البحيرات الكبرى » .

اقتصاد غينيا

في ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ فوجيء العالم باعلان غينيا لاستقلالها، بعد الخطة الدقيقة التي رسمها الزعيم الشاب سيكوتوري لتخليص غينيا من دستور ديجول اللعين . وقد كانت هذه المفاجأة سببا في اعلان كثير من الجهات المسئولة تخوفها على غينيا من الانهيار . والذين أعلنوا ذلك كانوا يعرفون مدى سيطرة الفرنسيين على أبسط الاشكال الادارية والتنظيمية ، وان كان يمكن تلافي ذلك بسرعة ، فماذا ستفعل غينيا في اقتصادها الذي كان الفرنسيون يسيطرون عليه كذلك ، سيطرة أدت الى انهيار الاقتصاد الفرنسي نفسه ، فضلا عن انهيار الاقتصاد في مستعمراتها ؟ . ولكن بعض الصحف الفرنسية راحت تقول : « ان تخلي فرنسا عن غينيا يضع سيكوتوري في حرج خطير » . لقد كانت فرنسا تمد غينيا باثني عشر مليونا من الدولارات كل عام فحسب — وذلك من وقت قريب — وهي تظن أن حرمانها من هذه المعونة سيضعف غينيا كثيرا ، وهي تود أن يحدث ذلك فعلا حتى تكون مثالا تهدد به بقية المستعمرات الفرنسية المجاورة في غرب أفريقية ، الا أن سيكوتوري أسرع في ذلك الوقت ، وأعلن ادراكه لهذه الحقيقة ولكنه قال : « اننا نفضل الحرية مع الفقر ، على الرخاء مع العبودية ! » . ومع ذلك فليس من المتوقع بسهولة أن تعاني غينيا كثيرا من الفقر . وهي تتمتع بامكانيات اقتصادية طيبة ، وانما الذي تعانيه الآن هو سوء استغلال السلطات الاجنبية لهذه الامكانيات ، كما سنرى بعد .

ونظرة عامة الى اقتصادياتها ستغير ولا شك من وجهة نظر المتخوفين :

يبلغ عدد السكان في غينيا حوالي ٢ر٥ مليون نسمة ، وهم يزيدون كل عام بنسبة ٢ر٥ ٠/٠ وهي نسبة مرتفعة بلا شك ، ولكنها ستفيد البلاد حين تكون مقدراتها في أيدي أبنائها . كما ان المعيب الآن أن ٩٥٪ من أهلها يشتغلون بالزراعة ، لان المناجم الهامة التي يستخرج منها الحديد والبوكسيت لا يعمل بها غير ٥ آلاف عامل ، ولا يتوقع زيادتهم بتوسع عمليات التعدين الا الى ٧ آلاف عامل ، وأن الحكم الوطني الذي أعلن حديثا عن اتجاهه الاشتراكي، سيعمل بالطبع على ادخال الايدي العاملة الوطنية في كل العمليات الانتاجية التي يحرم من العمل بها بها الافريقيون في كل المستعمرات .

ويبلغ انتاج البلاد الزراعي من الموز والبن ، وانتاجها المعدني من الحديد والبوكسيت (الالمنيوم) حوالي ثلاثة أرباع صادرات غينيا .

وقد كان انتاج هذه المواد في السنوات الاخيرة على هذا النحو سنويا : حوالي ٨٠ الف طن من الموز على مساحة قدرها ١٠ آلاف فدان في شمال غرب غينيا . أما البن فيوجد في منطقة المرتفعات الداخلية ، وينتج

حوالى ١٠ آلاف طن . ويبلغ الحديد الخام بها ، وخاصة فى منطقة كالوم ، حوالى ٢ مليونى طن . أما البوكسيت فتنتج منه غينيا سنويا الآن ٥٠٠ ألف طن ، وخاصة فى بوكى ودابولا وكنديا قرب الساحل الشمالى الغربى .

وسترى بعد قليل أن معظم هذه الكميات يصدر الى الخارج لفائدة السوق الاجنبية . أما الارز الذى يعتبر هناك الآن غذاء رئيسيا ، فان ماتنتجه البلاد منه لايكفى الاهالى بحال ، وتضطر الى استيراده من السنغال والبلاد الاخرى المجاورة بمقدار ١٠ آلاف طن سنويا تقريبا .

ولم تعمل فرنسا يوما على تحسين زراعته فى الوديان التى يجود فيها « ذلك أن مجموع ما أنفقته فرنسا على - مستعمرة غينيا - فى السنوات الثلاث الاخيرة لم يزد على ٢٧ مليون دولار ، منها ٩ ملايين فقط للقطاع الاقتصادى كله ، و ٦ ملايين أخرى للمشروعات الخاصة بالفرنسيين هناك ، والباقى على الادارة والقوة العسكرية » (مجلة أفريكا - تقرير خاص - عدد ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٨) .

ويقوم على عمليات التعدين فى غينيا شركات ليست فرنسية خالصة ، وان كان رأس المال الفرنسى يتركز فى استغلال الحديد والماس وتساعده الحكومة فى ذلك بوجه خاص ، فان هناك شركتين كبيرتين لاستغلال البوكسيت - الذى يعد الثروة المعدنية الرئيسية ذات المستقبل .

أولاهما Bauxite du Midi Company « شركة بوكسيت ميدى » ، وهى احدى توكيلات شركة الالمنيوم الكندية وهى تضع مبلغ ١١٤ مليون دولار لمشروع تنمية البوكسيت حتى سنة ١٩٦٢ وذلك لترفع انتاجه فى مشروعها شمال غرب غينيا الى مايقدر بـ ١٧٫٥ مليون دولار سنويا . فى حين أنه الآن لا يزيد على مليونى دولار .

والشركة الثانية هى شركة Fria وتشترك فيها رءوس الاموال الامريكية بـ ٥٠٪ . ولشركة الالمنيوم البريطانية ١٧ ٪ منه .. أما رءوس الاموال الفرنسية فلا تزيد على ٢٣٪ لشركة «بشيتى وبوجينى» و ١٠ ٪ للشركة الصناعية السويسرية . وستستثمر هذه الشركة ١٢٥ مليون دولار لتنمية انتاجها فى منطقة « فريا » وسط غينيا .

والآن علينا ان نبرز جانبا هاما من اقتصاد غينيا فى حركته الديناميكية فنعرض لحساب الصادرات والواردات والميزان التجارى ، حتى نرى مالغينيا وما عليها . على أننا لابد أن نلاحظ فى الجداول والارقام :

أولا : ان الميزان التجارى ليس فى صالح غينيا حتى الآن ، وانها تبدو ضعيفة مهلهلة اقتصاديا .

ثانيا : أن هذا الاقتصاد المهلهل ليس من طبيعة البلاد الانتاجية ، وليس نتيجة توجيه أبناء البلاد لاقتصادياتهم ، فمقدرات الاقتصاد فى أيدى أجنبية فرنسية ، وفرنسا نفسها تعانى انهيارا اقتصاديا شنيعا تنعكس حالته على اقتصاديات مستعمراتها ، وخاصة فى السنوات الاخيرة التى تستنزف فيها حرب المقاومة جزءا كبيرا من أموال الحكومة الفرنسية .

ثالثا : أن التقدم الكبير فى زيادة منتجات غينيا الزراعية والمعدنية ينبىء بالرواج الاقتصادى بعد أن توجه القوى الوطنية الحاكمة هذا الانتاج .

والجدول الآتى يبين مقدار ما أصدرته غينيا للخارج من أهم حاصلاتها الزراعية والمعدنية (١٩٥٧) ويبلغ

وزن الصادرات كلها ١٠٩٠ر٤٩ر١١٥١٥ر١ طنا . حيث تبلغ بالفرنكات ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ر٥ فرنكا . وتوزع كما يلى :

اهم المحصولات	الحمولة بالطن	بالنسبة للمجموع	القيمة بمليون الفرنكات	بالنسبة للمجموع
الموز	١١٨ر٧٣	٨٣ر٤	٥٨٠ر١	٦٦ر٢٠
البن	٦٦٠ر٩	٦٣ر٠	٤٤٤ر١	١٩ر٢٨
بالميتس	٥٤٣ر٢٠	٣٥ر١	٥٠٠	٧٦ر٩
الماس	٠٠٠ر٨٠جرام	٠٠٠٠٠٠٥٢ر١	٢٥١	٩٠ر٤
خام الحديد	٠٠٠ر٠١٩ر١	٠٩ر٥٥	٧٧٣	٠٩ر١٥
الالمنيوم	٠٠٠ر٣٧٥	٨٠ر٢٤	٤٠٨	٩٦ر٧

ومن ذلك نرى أن الحاصلات الزراعية تشغل جزءا كبيرا من صادراتها ، اذ تبلغ حوالى ٦٥ ٪ من مجموع الصادرات ، على حين تبلغ الصادرات المعدنية حوالى ٣٠ ٪ فقط .

وقد قلنا انه بالرغم من ذلك فان غينيا تستورد غذاءها الرئيسى وهو الارز من الخارج ومن المستعمرات المجاورة .

ولقد جعلت أعمال التنقيب عن المعادن التى تتولاها شركات أجنبية مختلفة على ما بينا الانتاج المعدنى يفوق فى درجة ازدياده كثيرا الانتاج الزراعى . ونظرة الى الجدول الآتى تبين كيف تتقدم غينيا فى هذا الصدد تقدما كبيرا ، سيكون فى صالحها حين تتولى السلطة الوطنية توجيه الاقتصاد القومى .

جدول تطور الصادرات الرئيسية (مقدرة بالطن)

السنة	البن	الموز	بالمستس	الحديد	البوكسيت
١٩٣٨	٢٨١	٨٥٦ر٥٢	٩٤٧ر١٨	—	—
١٩٥٢	٧٢٠ر٦	٩٠٠ر٦١	٤٠٠ر١٩	—	٢٨٤ر٥٩
١٩٥٣	١٢ر١١٥	٨٠٠ر٧١	٨٠٠ر٢٦	٠٠٠ر٣٥٢	٧٠٠ر٣٧٥
١٩٥٤	٠٦٣ر٦	٨٠٠ر٨٣	١٠٠ر٢٤	٠٠٠ر٥٩٤	٠٠٠ر٤٦٧
١٩٥٥	٣١٠ر٩	٠٠٠ر٩٨	٣٠١ر٢١	٠٠٠ر٦٧٨	٠٠٠ر٤٤٩
١٩٥٦	٠٦٤ر١١	٠٦٠ر٩١	٨٧٨ر٢١	٧١٢ر٨٣٢	٠٦٣ر٤٥٧
١٩٥٧	٦٦٠ر٩	١١٨ر٧٣	٥٤٣ر٢٠	٠٠٠ر١٩٠ر١	٠٠٠ر٣٧٥

واذا كان يلاحظ أن التقدم الكبير فى الصادرات الزراعية ليس مثل التقدم فى الصادرات المعدنية ، فان ذلك يرجع الى أن الاولى تديرها الادارة الفرنسية ، وتشرف عليها المشروعات الفرنسية الخاصة ، والثانية تخضع بدورها للقوة الاقتصادية العامة فى فرنسا ، ونحن نعرف ضعفها فى السنين الاخيرة ، كما أن قانون الغلة لا يجعل التقدم

الزراعى كبيرا ، لذا نرى أن الزيادة لا تتجاوز ٥٠ ٪ فى الصادرات الزراعية .

هذا على حين نجد صادرات الحديد تزيد بنسبة ٣٠٠ ٪ تقريبا وتبلغ فى البوكسيت ٦٠٠ ٪ تقريبا . ويرجع ذلك فى الغالب الى أن الشركات المستغلة لهذه المعادن أكثرها فرنسية كما رأينا .

ومع ذلك فان لهذا الجدول نفسه دلالة هامة اخرى ، هى أن غينيا تقدمت فى ميدان انتاج المعادن خلال خمس سنوات بنسبة مرتفعة الغاية تنبىء بامكانيات صناعية طيبة لو استغلتها أيد أمينة .

وقبل أن نتعرض للميزان التجارى نعرض لأهم الواردات التى تدخل غينيا ، وهى كما يلى مقدرة بملايين الفرنكات C, F, A وذلك فى سنة ١٩٥٧ :

الارز	٢٨٣	مليون
الدقيق	٨٨	«
النسيج	١٫٢١٨	«
المنجات البترولية	٩٥٣	مليون
الاسمنت والجير	١٩٥	«

وقد ذكرنا من قبل ان اقتصاد غينيا ــ كأى مستعمرة ــ يهتز باهتزاز الحالة الاقتصادية فى فرنسا نفسها ، ويضيف الى ذلك أنه قد جعل مجال اسواق غينيا مفتوحة لرءوس الاموال الاخرى ، سواء الامريكية أو الانجليزية ، وسواء كان ذلك فى التصدير أو الاستيراد لصالح الدولة المستغلة ، وذلك مما يجعل الميزان التجارى لغينيا فى عجز دائم ، كما سنعرض فى الجدول التالى .

ولكنى من جهة أخرى أريد من القارىء أن يعرف أن هذا الجدول أصدرته حكومة اقليم غينيا (أول يناير سنة ١٩٥٨) ويخشى أن تكون الادارة الفرنسية فى ذلك الحين تقصد خداعنا بالمبالغة فى الارقام حتى تبين أن غينيا فى حالة من العجز والاحتياج لفرنسا دائما .. ولكن على كل حال فانه لابد وان يكون هناك عجز وان اختلف فى الدرجة .

جدول الصادرات والواردات للمناطق النقدية المختلفة
مقدرا بملايين الفرنكات C, F, A

السنة	المنطقة النقدية	الواردات	الصادرات	الفرق
١٩٥٦	منطقة الفرنك	٥٫٠٤٩	٣٫٥٢٧	١٫٥٢٢ −
	منطقة الاسترلينى	٢٥٦	٦٣٧	٣٨١ +
	منطقة الدولار	٤٣٠	٤٧٣	٤٣ +
	مناطق أخرى	٩٠٣	٤٣٦	٤٦٧ −
	المجموع	**٦٫٦٣٨**	**٥٫٠٧٣**	**١٫٥٦٥ −**
١٩٥٧	منطقة الفرنك	٦٫٩٠١	٣٫٤٧٥	٣٫٤٢٦ −
	منطقة الاسترلينى	٤٥٨	٦٣٦	١٧٨ +
	منطقة الدولار	٨٦٩	٤٠١	٤٦٨ −
	مناطق أخرى	١٫٠٢٢	٦٠٩	٤١٣ −
	المجموع	**٩٫٢٥٠**	**٥٫١٢١**	**٤٫١٢٩ −**

ومن هـذا الجدول نرى كيف أن غينيا أغرقت خلال عام واحد بهـذا الفارق الكبير بين الصادر والوارد. كما يلاحظ أن الدولارات الامريكية بدأت تتضاعف فى غزو سوق الخامات . وكذلك الاسترلينى فى هذه المنطقة. وترجع مجلة « أفريـكا » الامريكية هذا العجز جزئيا «الى كثرة واردات فرنسـا من الكماليـات ، والى أن ما تنفقـه على غينيـا لا ينفق على الضروريات مثل الارز الذى تضـطر غينيا الى اسـتيراده ، وانما ينفق على الادارات الفرنسية والاستعدادات العسكرية » (عدد ١١ نوفمبر سـنة ١٩٥٨) .

هذا وقد قامت علاقات اقتصادية بين غينيـا والسنغـال تنبىء بنمو العلاقة بين دول غرب أفريقيا ، بحيث انها لو استقلت أمكن أن يؤدى اتحاد الدول الافريقية الى تكامل الاقتصاد الافريقى . فغينيا تستورد من السنغال مثلا: ٦٩٥ طنا من الارز و ٣٤٨ر٨ طنا من الدقيق و٤٥٩ر٤ طنا من الاسمنت و ٤٨٩ر١ طنا من المنتجات البترولية ونحن نعرف أن هـذه هى المواد الاساسية فى مستوردات غينيـا .

وليست علاقتهـا بالدول الافريقيـة وحـدها من عوامل اعتدال ميزانهـا التجـارى وانما هناك عدة مشروعات أخرى بالرغم من أنها فى أيدى أجنبية الا أنها يمكن أن تساهم فى تقدم غينيا ، من هذه المشروعات مثلا :

١ ـ مشروع بنـاء سـد على نهر كوناكرى

٢ ـ مشروع توليد الكهرباء وكانت فرنسـا قد طلبت من البنك الدولى تغطية نفقات المشروع ، وزارت بعثة من البنك غينيا لهذا الغرض فى ربيع سنة ١٩٥٨ . ولا شـك أن هـذين المشروعين سيفيدان الزراعة والصناعة على حد سواء .

كما أن هناك مشروع الالمنيوم الذى سيستثمر فيه على الاقل ٢٢٢ مليون دولار تساهم فيه شركة فريا وميدى ورءوس أموال ايطالية وألمانية ، لخلق شركة جديدة تسمى « شركة الالمنيوم الافريقى » « Afréel » لتنفيذ آخر مشروعات « البوكسيت » فى غينيا . وهدفها أن تجعل انتاج الالمنيوم يصل الى ١٥٠ ألف طن فى العام .

هذا وتحاول غينيا الآن أن تدعم اقتصادها وميزانيتها تارة عن طريق تنمية هذه المشروعات ، وتارة أخرى عن طريق عقـد اتفاقات اقتصـادية خارجية مثل الاتفاقيات الاخيرة مع الاتحاد السوفيتى ، وتارة ثالثـة عن طريق التعاون الأخوى مع غانا ، الذى انتهى باعلان الاتحاد بينهما بعد أن قدم نكروما ١٠ مليون دولارا لغينيا فور اعـلان اسـتقلالها ، والأمـل معقود فى أن تحقق غينيا استقرارها الاقتصادى فى أقرب وقت ممكن .

التوسع الإيطالى فى شرق افريقية

للدكتور جلال يحيى

(١)

بدأت علاقات ايطاليا مع شرق السودان عن طريق رجال التبشير والمستكشفين الجغرافيين ، كما هى الحال مع بقية الدول الاستعمارية الاخرى فى اتصالها بافريقية · وتعود اتصالات رجال التبشير الايطاليين مع وزير خارجية **بيدمنت** حول هذا الموضوع الى عام ١٨٥٢ حيث دار بحث موضوعات متعددة تهم الدولة وتهم الكنيسة فى نفس الوقت مثل انشاء مستعمرة للمنفيين وأعمال السخرة فى تلك المناطق ، تكون أساسا لانشاء احدى مستعمرات الدولة ولاستغلال مجهود رجال الدين والتمهيد لخلق حركة تجارية يفيد منها الايطاليون ·

فكرت حكومة **بيدمونت** سنة ١٨٥٧ فى عقد معاهدة مع بعض رءوس ورؤساء الاحباش ، وشجع ماسايا هذا المشروع ، وأبلغ وزير خارجية تورين رغبة نجوسى ، ورأس تجره ، التنازل عن جزء من ساحل البحر الاحمر بين زولع وحنفيلة لحكومة سردينيا ، وذلك لانشاء مستعمرة ، فى نظير بعض المساعدات المادية التى تعاونه فى حربه ضد الامبراطور تيودور ، وفكر الاب ستيلا فى انشاء مستعمرة صغيرة لسردينيا فى اقليم البوغوص ، ووصلت هذه المراسلات الى تورين فى عام ١٨٥٩ ، ولكن الاحداث السياسية التى اجتاحت ايطاليا فى هذه الفترة اضطرت الحكومة الى عدم التفكير فى هذا النشاط الافريقى فترة من الزمن ·

ثارت ايطاليا ضد حكم الاجانب فى بلادها ، وسعت الى تحرير نفسها وبناء دولة ايطالية ، وأخذ بعض عناصر الشباب فى البحث عن ميادين جديدة للعمل ، فاتجهت أنظارها الى أفريقية التى حدثهم عنها المستكشفون وأثاروا شغفهم بما رووه من غرائب ، فرغبوا فى رؤيتها ، والقيام بالمغامرة فى انمائها وكانوا من الشبان الذين لا يملكون شيئا ، ويعرفون انهم لن يفقدوا شيئا ، وساعد تحسن وسائل المواصلات البرية والبحرية على تقريب المسافات البعيدة واغراء العاطلين على ترك البلاد .

اضطرت الحكومة اذن الى الاهتمام بالمشروعات الافريقية ، وخصوصا أنها كانت تفقد عددا كبيرا من مواطنيها كل عام ، نتيجة لهجرتهم الى أمريكا اللاتينية بشكل عام والارجنتين بشكل خاص ، وقد حرمت هذه الهجرات ايطاليا من عناصر تعد من بين أكثر أبنائها شجاعة وصحة وحبا للمخاطرة ، ولم يكن فى مقدور الايطاليين منافسة الفرنسيين أو الالمان فى البلاد التى يهاجرون اليها ، وخصوصا فى الولايات المتحدة ، فاضطر معظمهم الى قبول الاشتغال بأعمال لا تحتاج الى مهارة مثل بناء المنازل ، اذ أن أصحاب رؤوس الاموال

كانوا يفضـــلون المهاجرين الانجلو سكسون على المهاجرين من العنصر اللاتينى فى العمل فى المصانع وأمام الآلات ٠

بدأ الرأى العام الايطالى يفكر فى تحسين حالة الايطاليين المهاجرين ، وأخذ يطالب الحكومة بالاستفادة من الموجة التى ســادت أوروبا لتقسيم افريقيـــة ، وذلك للحصـــول على مستعمرات تساعد فى التنفيس عن زيادة السكان فى شبه الجزيرة،وعلى أراض أفريقية تضعها الحكومة تحت سلطتها المباشرة ، ويستطيع فيهـــا الايطاليـــون ان يعملوا ويســـتغلوا ويربحوا ، تحت حماية علم دولتهم وجنود الحكومة ٠

ثم بدأ رجال الاعمال الايطاليون يؤيدون هذا الاتجاه ، ويحــاولون اســـتغلاله لمصلحتهم ، فكروا فى الاستعانة بالايدى العاملة الايطالية فى الحصول على المواد الخام من افريقية ، وفى استغلال المستعمرات الايطالية فى توزيع تجارتهم ومصنوعاتهم ٠ وكان وجود العلم الايطالى على جزء من القارة الافريقية يضمن لهم حماية رؤوس أموالهم أمام الاهالى الافريقيين،وأمام نشاط الدول الاســتعمارية الاخرى ومنافستها ٠

واستندت هذه الحركة الى نشاط المستكشفين الايطاليين فى افريقية ٠ ثم أخذت غرفة جنوا التجارية تطالب الحكومة بالاستيلاء على احدى الموانىء الافريقية ، حتى يتمكن الايطاليون من العمل فى ظل حماية دولتهم الرسمية ٠٠ وبعد تأسيس الجمعية الجغرافية الايطالية ، وجمعيات الدراســـات الجغرافية والاستعمارية فى فلورنسا ، والجمعية الافريقية فى نابولى ٠ حاولت ان تسعى فى مجموعها الى معـــرفة أحسن الطرق للتجارة ، وللاستفادة من افريقية ٠

وشعر الايطاليون بأن أهمية البحر الاحمر وشرق السودان ستزداد بعد حفر قناة السويس ، فأخـــذ الامل يراودهم فى أن تتمكن بلادهم من ان تلعب دورا دوليا هاما نتيجة لموقعها الجغرافى الممتاز ، وخصوصا اذا ما أصبحت مركزا تجاريا للحركة بين أوروبا والشرق ٠ واذا كان مشروع انشاء مستعمرة للمجرمين ، قـــد فشل فى عام ١٨٥٩ فان ذلك لم يثبط من عزائم الايطاليين أو يمنعهم من اعداد مشروعات جديدة أكثر جرأة ٠

***

كان الاب **ســـابيتو** من رجال التبشير الذين عاشوا فى منطقة شرق السودان ، ودرسوا سواحل البحـــر الاحمر وأقاليم تجـــرة وبوغوص ، وعرفوا ما يمكن ان تستفيده بلادهم من هذه المناطق ٠ وأصبح أمله الاكبر ان تنجح ايطاليا فى الاستيلاء على ميناء فى البحر الاحمر فاتصل برجل الاعمال **روباتينو** ، وبدأ هذا الاخير يدرس الامكانيات الجـــديدة التى ستترتب على حفر قناة السويس ، وعرض تقاريره على الغرفة التجارية فى جنوا واقترح اقامة محطة بحرية فى عصب تقوم باستغلال هذه المنطقة وتزود السفن بما يلزمها من وقـــود ومياه ولحوم وخضراوات فى أثنـــاء رحلتها بين جنوا والهنـــد ٠ وأراد روباتينو بطبيعـــة الحاله أن يتشبه بعرسا التى اشترك أوبوك فى عام ١٨٦٢ ٠ وكان هذا هو الاساس الذى دعا الغرفة التجارية الايطاليـــة الى اقتراح انشاء وكالة تجارية فى احدى موانى البحر الاحمر لخـــدمة السفن المسافرة الى الهند ٠ وشرح روباتينو لوزير البحرية الايطالية ضرورة انشاء خط ملاحة جديد يصل ايطاليا بمصر يبدا من جنوا وينتهى عند الاسكندرية انتظارا لمده حتى الهند عبر قنـــاة

السويس ·

وفى أثناء ذلك الوقت تم وصل البحر الابيض بالبحر الاحمر بالقناة الجديدة فتبلورت أفكار الرأى العام تجاه شرق السودان بعد ان كانت مجرد أمانى غير محدودة ، ساعد على اظهارها حملة انجلترا ضد تيودور ملك الحبشة وحاجة ايطاليا الى اعطاء فرص جديدة لابنائها ورغبتها فى التشبه بالدول العظمى ·

وافقت الحكومة الايطالية على اقتراح روباتينو ، وأعطته اعانة تبلغ بضعة ملايين من الفرنكات مساعدة له على شراء السفن اللازمة للملاحة فى البحر الاحمر · وفى أثناء ذلك الوقت أخذ سابيتو يفاوض الشيوخ المحليين على سواحل البحر لشراء الارض اللازمة لايطاليا ·

***

اشترى سابيتو فى نوفمبر سنة ١٨٦٩ قطعة من الارض من بعض الشيوخ المحليين ودفع (العربون) ووقع على عقد ابتدائى باسمه الشخصى ثم حضر الى ايطاليا وتحدث مع **منابريا** ،وعاد ثانية الىشرقالسودان بصفته وكيلا لشركة روباتينو ، وأسرع فى اتمام عملية الشراء · تمت هذه العملية فى خلال شهر مارس سنة ١٨٧٠ ، ثم قام سابيتو بزيارة **برهان** شيخ رهيطة الذى وصفهبأنه « سلطان » ، ولم يكن برهان فى حقيقة الامر الا « شيخ ناحية » يخضع لنائب أو عمدة عيد فى قائمقامية أو محافظة مصوع التى تديرها مصرتحت ظل السياسة العثمانية ، ولكن الايطاليين أنعموا عليه بلقب السلطنة تمهيدا للاستيلاء علىأراضيه ولادعائهم بأنه مستقل وغير خاضع لسيادة « الدولة » · وعلى أية حال فان برهانا لم يقبلبيع الجزر القريبة منالساحل للايطاليين اذ أنه كان يخشى منالنتائج التى ستترتب على مثل هذا البيع ، ولكن سابيتو واصل محاولاته معه بأسلوب هدأ من شعوره وجعله يتناسى واجباته ووخز ضميره اذ أنه أخذ يؤكد له انه هو السلطان الفعلى لكل اقيم رهيطة وانه ورث ادارةهذا الاقليم من أسرته · ولقد اشترط برهان نظير بيع الشريط الساحلى والجزر القريبة منه ان يدفع الايطاليون له مبلغ ٦٠٠٠ر٦ ريال . وأن يتعهدوا بحمايته من البحر ضد أيه عملية تقوم بها سلطات الدولة المصرية تجاهه ، ولكن سابيتو لميكن يستطيع اعطاء مثل هذا الضمان ، وكان المبلغ الذى طلبه برهان منه يزيد على ال ٠٠٠ر١٥ ليرة التى زودته بها شركة روباتينو ، فاقتصر سابيتو على شرائط بعض الجزر على فترة عشر سنوات تصبح بعدها وعند دفع باقى الثمن ملكا للشركة الايطالية ·

وضع سابيتو لافتتين على الساحل عند الحدود الشمالية والجنوبية للأراضى التى اشتراها تحمل هذه العبارة : ((ملك لشركة روباتينو ــ مشتراة فى ١١ من مارس سنة ١٨٧٠)) · ثم عاد بعد ذلك الى ايطاليا ·

وهكذا نرى أن مسألة عصب لم تكن الا مجرد عمل أفراد اعتبروها خطوة أولى فى سبيل وضعهذهالمنطقة تحت سيادة الدولة الايطالية ، ثم اعتبرت شركة روباتينو الشيوخ المحليين الذين باعوا لها هذه الاراضى على أنهم ((كانوا دائما مستقلين)) ، وحاولت أن تعطىحقوقملكيتها للدولة الايطالية ، وأخذ الايطاليون يحمون بازدهار هذا الجزء من الساحلقريبا مع نشاط التجارة معشرق السودان وهضبة الحبشة .

***

كانت المسألة فى منتهى الخطورة

بالنسبة الحكومة المصرية اذ أنها كانت تهدد سيادة الدولة وسلامةأراضيها وتفتح باب التلاعب فى أراضى الدولة ، فأسرع **شريف باشا** الى ابلاغ حكومة ايطاليا أن الحكومة الخديوية تعتبر أن أمر التنازل عن أراض واقعــة على خليج عصب لصـالح شركة روباتينو من بعض العـربان الرحـل الذين لايتمتعون بأى حقوق ملكية على هذه الأراضى وبالتالى لايمكنهم أن يتصرفوا فيهـا — يعتبر أمرا غير قانونى ، واتخذت حكومة القـاهرة فى نفس الوقت الاجراءات الضرورية لتـلافى النتائج التى قد تترتب على هذاالعقد الباطل بطبيعته وعلى كل احتلال لها الامر الذى سيكون فى الحقيقة عبارة عن اعتـداء على حقوق السـيادة الاقليمية . ورأت مصر بوضوح أنه لايمكن لاحد المشـايخ المحليين الذين يعملون فى خدمتها ويتقاضون راتبـا منها أن يتصرف فى هذه السيادة أو حتى فى هذه الملكية ، فأصدرت أمرها الى احدى السفن الحربية بالتوجه الى عصب فى التو .

قامت سلطات مصـوع المصرية بالتحقيق فى الامر وكتب شيخ رهيطة — برهان المذكور — خطابا الى وكيل هذه المحافظة لايترك أى مجال للشك فى اختصاصات هذا الشيخ وسلطاته ويشهد بوضوح بتعارضه مع وجهـة النظر التى ادعاها الايطاليون فى مسألة حقوق السيادة الاقليميـة ، ونفى فى هذا الخطاب قيام سـابيتو بأى شىء أكثر من شراء قطعة أرض بنى عليها أحد الاكشاك الخشبية ثم سفره بعد ذلك قافلا الى بلاده . فاحتجت مصر فى أول يونيو سـنة ١٨٧٠ على أعمال الايطاليين ، وشرحت أنه ليس لاى فرد من الرعيـة أن يتصرف فى حقـوق الدولة الاقليميـة ، وأجابت حكومة فلورنسا على هـذا الاحتجاج بأن شراء أراضى عصب لايهدف الا الى انشاء وكالة تجارية تقوم بهـا شركة روباتينو ، وأعلنت عن أملها فى أن تبدأ المفاوضات لتسوية مسـألة البيع أن كانت هناك ضرورة لذلك .

ولكن الامور بقيت عند هذا الحد وهذا الوضع نتيجة لسكوت وامتناع كل من الحكومتين عن القيـام بأى اجراء فى هذا الصدد ، ولم تثر المسألة الا فى عام ١٨٨٠ . وكان من حـق الحكومة المصرية أن تعتقد — فى خلال هذه السنوات التسع — أن احتجاجها قد أدى النتيجة المطلوبة وأنه لم يعد هناك أى شك فى حقوق سيادة الدولة ، وخصوصا أنها قد واصلت فى أثنـاء هذه الفترة تعيين شيوخ النواحى على طول الساحل ودفع رواتبهم وارسال سفن من البحرية المصرية لزيارة هذه المناطق ، هذا علاوة على أن المـذكرة الايطالية لم تعلن الا عن رغبتها وأملها فى بدء المفاوضات لتسوية المسألة دون أن تحدد قيامها هى — كدولة — بهذه المفاوضات ، مما جعل الحكومة المصرية تعتقد برغبتها فى تسوية المسألة بين الشركة وبين حكومة القاهرة .

***

عملت مصر فى أثناء هـذه الفترة على تنفيذ مشروعها الخـاص باقامة دولة افريقية موحدة تمتد من البحر الابيض المتوسـط حتى البحـيرات العظمى ومن سـواحل البحر الاحمر والمحيط الهنـدى حتى الصـحراء الكبرى . وكان من الطبيعى أن تنضم الحبشة نفسها الى هذه الكتلة التى تمكنها من أن تقف سدا منيعا ضـد التوغل الاوروبى فى القارة الافريقية ، وتسـاعد على أن يحظى الافريقيون بالمشاركة فى نفس الحقوق والواجبات .
ولكن اسماعيل أخطأ فى مهاجمتــه الحبشة عسكريا ، وظهر خطؤه أيضا حينما عهد بقيادة حملاته العسكرية الى بعض الضباط الاجانب الذين كانوا يعملون فى خدمته ، فلحقت الخسائر بالقوات المصرية تحت قيادة منزنجر وقيادة أرندروب ، ولكن اسـماعيل

عاود الكرة ، وأرسل جيشاً جديداً الى مصوع سنة ١٨٧٦ ، وكانت هذه الحملة الاخيرة بقيادة الامير حسن بن الخديوى وصحبه وزير الحربية الذى لم يكن له أى عمل سوى رعاية صحة الامير فى هذه المناطق الحارة ، وتركت القيادة الفعلية وشئون أركان الحرب مرة أخرى فى أيدى الضباط الاجانب ، وسجل التاريخ فى معركة قرع نكبة عسكرية نتيجة لسوء القيادة .

وعلى أية حال فقد فشلت هذه الخطة التى تهدف الى فرض كلمة الخديوى على الحبشة عسكريا ، ولكن أحدا لم يناقش حقوق مصر على سواحل البحر الاحمر وشرق السودان حتى خليج عدن ، وتوحيد بلاد الصومال وهرر مع السودان ومصر ، ووصل الادارة المصرية بسواحل المشيط الهندى . ونجد أن السير هنرى اليوت يصر لدى الحكومة البريطانية على أن « أحسن وسيلة للقضاء على تجارة الرقيق ومنع الدول الاجنبية من انشاء محطات على الساحل هو الاعتراف بحقوق مصر والباب العالى على كل من الساحل الغربى البحر الاحمر وخليج عدن .

وكان هذا هو الاساس الذى قامت عليه اتفاقية بلاد الصومال المعروفة التى عقدت فى ٧ من سبتمبر سنة ١٨٧٧ والتى اعترفت فيها انجلترا بسيادة مصر على كل الساحل حتى رأس حافون .

***

سكتت الحكومة الايطالية عن مشروعها الخاص بعصب ، ولكنها لم تنسه ، وحاولت انشاء علاقات مستمرة مع منليك « رأس » شوا ، كما أن سابيتو خشى من النتائج التى ستترتب على عقد الاتفاقية المصرية — الانجليزية سنة ١٨٧٧ ، فنشر كتابا يشرح فيه الدور الذى لعبه فى شراء أراضى عصب ، ويؤكد المزايا التى ستعود على ايطاليا من احياء هذا المشروع . أما انجلترا فانها كانت تسعى الى منع كل دولة أجنبية من الاقامة على سواحل البحر الاحمر ، ومعارضة سلطة عدن بالتالى اذا ما تأزم الامر ، وكانت انجلترا تخشى من أن تقوم فرنسا أو ايطاليا أو غيرهما بانشاء محطات بحرية وقواعد على طريق الملاحة الجديد بين الشرق والغرب بعد افتتاح قناة السويس .

ولقد عبر سالسبرى عن ذلك بصراحة فى شهر يناير سنة ١٨٧٩ حين قال : ان انجلترا لن تمانع فى اقامة موسسة تجارية ولكن على شرط الا يكون لها أى لون سياسى ، اذ أن البحر الاحمر هو شريان الامبراطورية البريطانية الحيوى .

رأت ايطاليا أن مشروعاتها قد أصبحت مهددة ، فاستندت شركة روباتينو الى رجال الاعمال الايطاليين ، وعارضت وجهة النظر البريطانية ، ورفضت الاعتراف بحقوق مصر ، ولفتت انظر الى أهمية المشروع بالنسبة للتجارة الايطالية ، وطالبت حكومتها بتبنى الفكرة كمشروع وطنى ، وأرسلت الحكومة الايطالية أحد ضباطها البحريين لدراسة خليج عصب والجزر القريبة منها وتقرير صلاحيتها لانشاء مؤسسة فى هذه المنطقة وما يلزم لاتمام المشروع ، ولم يخف هذا الضابط حقده على البحرية المصرية ، لاهمية موانيها وأهمية عدن فى السيطرة الاقتصادية والاستراتيجية على هذه المنطقة ، وأصر على أن عصب هى أحسن ميناء يمكنه أن يصبح مركزا للنفوذ الايطالى والاشراف التجارى ويحقق الامانى الايطالية ، وذكر أن موقعها بالقرب من كل من بوغاز باب المندب وعدن وتاجورة وزيلع وبربرة يجعلها تتمتع بمركز متفوق ، ويمكنه أن يثبت التفوق عليهم اذا ما عملت الحكومة الايطالية على وصبرى «بالعربية» ، ومكى شبيكة

اعداد عصب اعدادا جيدا للدور الذى ترغب فى أن تعهد اليها القيام به ، فاقترح ترك سفينتين من سفن المدفعية الايطالية فى خليجها ويطلق عليهما اسم قاعدة البحر الاحمر البحرية ، وتعيين حاكم لعصب يقود هذه المحطةالبحرية ، وتكون له سلطات قنصلية على كل الساحل الافريقى ، وارسال احدى بطاريات المدافع وبناء الثكنات وبعض البيوت للموظفين وكذلك حامية من مشاة الاسطول علاوة على بحارة القطعتين الحربيتين وانشاء مرشح للمياه بها وتشجيع هجرة واستيطان الايطاليين فيها وتسهيل أمر نقلهم على السفن الحربية للدولة دون مقابل .

وما أن عاد هذا الضابط الى بلاده حتى أيدت مجهوداته واتصالاته مجهودات واتصالات سابيتو وروباتينو ، وحصلوا جميعا على موافقة وزير البحرية الذى أوصى الحكومة باتمام عقود الشراء من برهان رهيطة ، واقترح على مجلس الوزراء رصد مبلغ ١٠٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ليرة ايطالية لمشروعات الاشغال العامة فى عصب ، والتى ستشارك فيها أكثر من وزارة ، هذا علاوة على المبالغ اللازمة لشراء الاراضى . وافقت الحكومة الايطالية على هذه الخطة ، وكلفت سابيتو ، رجل التبشير المسيحى ، بالاشتغال بالسياسة والتمهيد للاستعمار ، وبالحصول على الاراضى اللازمة لانشاء المستعمرة الايطالية الاولى فى أراضى السودان الشرقى .

***

قام سابيتو بالمهمة المكلف بها خير قيام ، وأعد العقود لبصمات الشيوخ المحليين ، ولم ينس أن يذكر فيها أنهم يتنازلون عن كل حقوق (ملكيتهم) و (سيادتهم) على هذه الاراضى ، وأنه من حق سابيتو أن يرفع «العلم» الايطالى عليها بعد ذلك ، وكانت هذه هى أول عقود تذكر لفظ ((**السيادة**)) و ((**العلم**)) ، وتدل بوضوح على أن الحكومة الايطالية كانت تستعد وترتب أوراقها ومستنداتها للاستناد الى شكليات القانون الدولى قبل استنادها الى روحه — حتى هذا القانون الذى لم يعترف الا بحق الدول الاوروبية المطلق فى كل ما يتعلق بالامور والشئون غير الاوروبية .

ولم تترك الحكومة الايطالية عملاءها بدون نقود فى أثناء نشاطهم على سواحل البحر الاحمر ، فتسلم سابيتو فى ١٣ من مارس سنة ١٨٨٠ مبلغ ٣٠٫٠٠٠ ليرة ايطالية ذهبا من حساب وزارة البحرية ومبلغ ١٣٫٤٧٠ ليرة من حساب وزارة الخارجية الايطالية وذلك من القنصل الايطالى فى عدن . وكان من السهل على البعثة الايطالية أن توالى نشاطها فى البحر الاحمر بعد تسلمها هذه المبالغ .

عاد سابيتو الى رهيطة ، وأعد عقدا جديدا تمهيدا لشراء حقوق من ملاك غير شرعيين ، وأعطى لبرهان فى هذا العقد ألقابا جديدة هى : «برهان ابن محمد سلطان رهيطة والسيد المطلق والمالك للأراضى الممتدة حول بلاد عصب التابعة لايطاليا بقوة الحق التقليدى غير المنازع . باع برهان الاراضى للاجانب وبصم على تنازله هو وورثته عن كل حقوق « الملكية » و « السيادة » عليها ، ولم يكن يعرف مدى النتائج التى ستترتب على هذا

هذه هى الخطوات الاولى التى اتبعتها ايطاليا فى توسعها فى شرق السودان ، والسياسة والوسائل التى انتهجتها وتلاعبت بها للوصول الى أهدافها فى انشاء مستعمرة ايطالية فى هذه المنطقة .

ولم تكن هذه الا الخطوة الاولى فى سبيل زيادة التوسع والتفكير فى الحبشة والسودان أيضا .

الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية فى السودان

سعدت المكتبة العربية فى هذه الايام بظهور كتاب جديد فى المكتبة الافريقية ..

هذا الكتاب هو « الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية فى السودان» للدكتور **جلال يحيى** مدرس التاريخ الحديث بمعهد الدراسات الافريقية بجامعة القاهرة

وقد صدر الكتاب بمقدمة مركزة للدكتور أحمد عزت عبدالكريم المشرف على المكتبة التاريخية . وقد شكا المؤلف فى مقدمته من حساسية الموضوع «**لاسباب متعددة منها قلة المصادر العربية وعدم ترتيبها ، وخصوصا أن كلا من مصر والسودان قد خضع لفترة احتلال لا نستطيع بعدها أن نضمن سلامة وثائقنا وعدم المساس بها ، ومنها صعوبة الحياد فى موضوع قل أن توجد أسرة فى أى من القطرين الشقيقين لم تشارك فى أحداثها بأحد أبنائها ، ومنها اضطرارنا الى الاعتماد على مراجع أوروبية ، ولا يمكننا أن نضمن حياد كاتبيها سواء كانوا من الانجليز أو الفرنسيين نظرا لمصالح انجلترا الواضحة فى السودان من ناحية أخرى . وبالرغم عن ذلك السياسة الانجليزية فى وادى النيل من ناحية أخرى . وبالرغم عن ذلك فان وسائل النشر الأوروبية وقوة التوزيع قد سمحت للكتاب الاوروبيين بما لم تسمح به للمؤلف الشرقى . هذا الى انقسامنا على أنفسنا ــ حتى وقت قريب ــ واعتمادنا اعتمادا كبيرا على المصادر والمراجع الانجليزية ننقل عنها دون تفكير ولا نجرؤ على محاولة نقدها ، ولم نحاول العثور على العوامل الهامة التى رسمت خطوط تاريخ السودان الحديث ..))** .

وقد نقلت هذا القطاع الكبير من المقدمة ، وأسرعت الى مناقشته لاحتوائه على عدة قضايا هامة . فالمؤلف يؤكد قلة المصادر العربية ، وعدم ترتيبها ، ولا يستند فى بحثه على مصدر عربى ، أو مرجع عربى واحد ، ما عدا بعض الوثائق ، فاذا عرفنا أن هذا الكتاب جزء من رسالة المؤلف للدكتوراه أدركنا مقدار الخطورة التى وقع فيها المؤلف ، لان الحقيقة التى يجب أن تعرف أن تاريخ هذه الفترة لا بد من الرجوع فيه الى المصادر ، والمراجع العربية ، ولن تغنى عنه المؤلفات الاجنبية الكبرى

واذا تركنا المراجع جانبا لغزارتها وخاصة ما كتبه بالعربية الدكاترة شكرى وصبرى ، ومكى شبيكة ، والاستاذ عبدالرحمن الرافعى ، ونعوم شقير . فانى كنت أحب أن يرجع المؤلف الى المصادر الآتية «تاريخ ملوك السودان» الذى توجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب ، ثم نشره أخيرا الدكتور مكى شبيكة بالخرطوم عام ١٩٤٧ فهو يلقى ضوءا على الفترة المؤرخ لها ، وكتاب ديوان المديح للسلطان على دينار (مطبعة السودان بالخرطوم ١٩١٣) والذى يؤرخ لنفس الفترة التى يتعرض لها الكتاب ، ومنشورات المهدى المخطوطة بمكتبة جامعة الخرطوم ،

وكثير من وثائقها ، والرسائل التي ألفت فيها للرد أو للتأييد في الفترة نفسها كرسالة المفتى شاكر الغزى ، ورسالة السيد احمد الازهرى ، ورسالة الشيخ الامين الضرير .

أما النقطة الثانية التي أثارها المؤلف وهي عدم ضمان سلامة الوثائق وعدم المساس بها فهناك الآن عدة طرق معروفة يباشرها كل من يتعرض للتاريخ للتأكد من سلامة هذه الوثائق ، ومن هنا يجيء دوره في الكشف عن الزيف الذي لحقها !

أما صعوبة الحياد التي ذكرها المؤلف لانه « قل أن توجد أسرة في أي من القطرين الشقيقين لم تشارك في أحداثه بأحد أبنائها » فشيء غريب حقا ، لان المفروض في المؤرخ أن « يقف على أرض محايدة تماما » دون الميل الى أية عاطفة تمليها عاطفية الموقف ، وتتابع الاحداث .

ثم اذا كان المؤلف يؤكد أن التأثرات السياسية قد انعكست على المؤلفات الاجنبية فلماذا نراه قد اعتمد عليها وحدها ؟ ولماذا حافظ – كما سنراه – على احترام ما جاء فيها ، وسلم بأكثره ؟

***

ثم ان المؤلف يذكر الروابط المتينة التي ربطت السودان بمصر من أقدم العصور ، وأن أوربا ظلت لا تعرف الكثير عن السودان حتى عهد محمد على ، فالسودان بحكم موقعه بعيد عن أوربا ، ولم يكن يشكل خطرا أو يغرى الدول الأوروبية – في هذه الفترة على الاقل – ومن هنا فلم يدخل في قائمة الاقاليم التي قررت الدول الاوروبية الكبرى في عام ١٨٤٠ خروجها من حوزة الحكم المصرى كما فعلت في انحسار النفوذ المصرى عن الجزيرة العربية ، وسورية ، وكريت

وقد لاقى السودان عناية كبيرة من الولاة في مصر ، فقد زاره محمد على في عام ١٨٣٩ ، كما زاره محمد سعيد في عام ١٨٥٧ ، وبخاصة أن مصر قد اتجهت بسياستها في هذه الفترة الى افريقية ، وأن هذه السياسة قد بلغت ذروتها في عهد اسماعيل ، وأن الخطأ الذي ظهر في هذه السياسة هو الاستعانة بالاجانب ، فصمويل بيكر قد اعترف بأنه كان يعمل على تثبيت النفوذ الانجليزى في المناطق التي كان يديرها لمصر ، وغوردون كان أحد الاسباب التي قوضت النفوذ المصرى هناك ، ولم يختلف عنهما مالكولم الذي عين على سواحل البحر الاحمر .

والحق انها لتشكيلة مثيرة حقا حين نرى أمين بك Dr- Schnitzer يتولى أمور خط الاستواء ، ورومولوجيسى في بحر الغزال ، ومساداليا في دارفور ، وجيجلر في الخرطوم ، ويصل رودلف سلاتين الى منصب حاكم دارفور وعمره خمسة وعشرون عاما .. الخ هؤلاء الذين لا تجمعهم رابطة الا انهم غرباء عن البلاد .

فاذا قامت في البلاد شخصيتان كبيرتان هما الزبير وابنه سليمان رأينا هؤلاء يقتلون أولهما بالنفى في مصر ، ويقتلون الثاني بهمجية على أرض بلاده

.. ثم يتعرض المؤلف في كلمات خاطفة لأسباب الثورة المهدية ، وللثورة العرابية ، وينتهى الى أن فشل الثورة العرابية كان البداية لتدخل انجلترا في شئون السودان واستفادتها من الحوادث ، ولعل المؤلف يقصد التدخل المباشر لانه كان لها من قبل دور في حوض البحر الاحمر ، وأثيوبيا يتمثل في رحلتي « هنرى صولت » في عهد محمد على !

.. ثم تعرض المؤلف لقيام الثورة المهدية ، وتحدث عن **محمد احمد المهدى** الذي أظهر نبوغا من صغره ، والذي انضم الى الطريقة «السمانية» على يد السيد محمد شريف نور الدايم

ثم انتقل الى طريقة الشيخ القرشى بعد أن أعلن المهدية ، وآخذ يبشر بضرورة الرجوع الىفطرية الاسلام ، ورأى أن تعدد المذاهب والطرق قد أضعف الدين ، واحتقر رجال الدين وأحرق كتبهم علانيــة ، وحرم على أنصاره الفحش فى القول ، وتناول الخمر ، وتدخين الطباق ، والحشيش ، والرقص ، والموسيقى ، وأنه لم يقم بدعاية سياسية مباشرة ضد حكام السودان ورجال الادارة والنظم القائمة فيه ، بل انه أخذ عليهم ابتعادهم عن تعاليم الاسلام ونعتهم بالكفر ، ونادى أنصاره بالقضاء على تلك الحالة الدينية المنحلة دون أن يطلب منهم مهاجمة الحكومة الفاسدة »

والحقيقة التى حبذنا من أجلها الرجوع الى المصادر العربية أن المجتمع السودانى في هذه الفترة كان مهيئا لفكرة المهدية ، فالرصيد الضخم من الاحاديث التى تساند المهدية ، والتى بلغت الخمسين على رأى ابن حجر كانت معروفة فى السودان ، وقد ورد الكثير منها فى منشورات المهدى ، وأن بعض المتصــوفين الذين كان يغص بهم السودان كان يطبق فكرة المهدى على فكرة الاقطاب ، وأن كثيرا من الأمويين والعباسيين ، والعلويين كانوا يعتقدون فى فكرة المهدى وخاصة الذين كانوا يفرون من سطوة الحكم القائم ، وأن السودان قد عرف كثــيرا من هؤلاء الفارين الذين كانوا يؤلفون حكومة بجانب **الحكومة الرسمية** .

كما أن الكتب التى كانت تحت أيديهم فى هــذه الفترة كانت تمتلىء بالافكار عن المهدية التى تمتد جذورها **ـ فى حقيقة الامر ـ الى الشيعة .**

واذا كان السبب الرئيسى الذى كان يدفع الناس الى التصديق بالمهدية هو الشعور بالظلم ، وأنه حين لم يفلح الشعب فى رفع الظلم لم يفقد الامل فيه فكان من أمله الامام العــادل ، فان هــذا الامر لايقتصر على المســلمين فقط ، فاليهود يعتقــدون فى رجوع « ايليــا » ، والمسيحيون يعتقـدون فى رجوع عيسى ، وجماعة « كيتاوالا » فى الكنغو الفــرنسى تعتقد فى ظهــور مخلص أسود يرد عنهم الظلم والطغيان .

ومن العجيب أن يظهر فى هــذا القرن الذى ظهرت فيه مطامع الدول الاوروبية سافرة أكثر من « مهدى » فى أكثر من مكان بافريقيــة ، فقد كان الناس فى أكثر من مكان وخاصة فى السودان يعتقدون فى مخلص ، ويتمنون ظهوره « حتى كان الكثير منهم يتمنون ظهور المهدى الموعود به لينقذهم من هذه الحال ، بل كانوا كلما رأوا رجلا يفضلهم عقلا ودراية وله غيرة على الدين وأهله ظنوه المهــدى » على حد قول نعوم شقير .

ومن هنا فلم يكن عجيبا أن يكون السودان ثالث دولة فى الاسلام تقوم على فكرة تدين بالمهــدية ، وأن أولى هاتين الدولتين هى دولة الفاطميين ، وثانيتهما دولة الموحدين !

وقد جعل المهدى « المهدية » أصلا من أصول الدين ، فقد جاء فى بعض كتبه « **هذا وقد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله** » كما جعل الخليفة عبدالله التعايشى القضاء بمشوراتها الاصل الثالث بعد القرآن والسنة .

.. ثم يذكر الدكتور أن المهــدى رأى فى تعدد المذاهب اضعافا للدين ، وأنه أعلن احتقــاره للفقهاء ، وأحرق كتبهم ، والحقيقــة أنه كان يرمى الى فتح باب الاجتهــاد لما ضــاق بكثرة التــأويلات ، فأراد أن يضع أسســا جديدة لمذهب جديد ـ متأثرا بالمذهب الوهابي ـ يؤمن بما جاء فى الكتــاب والسنة ، وان ما جاء عن الصحابة

له مطلق الخيار فى قبوله أو رفضه ، وأنه قد دعا للفقهاء فقال « **جزاهم الله خيرا فقدرجوا الناس ووصلوهم الينا كمثل الراوية وصلت الماء من منهل الى منهل حتى وصلت بصاحبها الى لبحر فجزاهم الله خيرا !! »** .

وأما أنه « أحرق كتبهم علانية أمام الناس » فشيء قد اختلف فيه المؤرخون حتى لقد قيل انها أحرقت بدون اذنه وقد عثر فى مكتبته على روح البيان ، وكثير من كتب التفسير ، وكتب الشعراني ، وابن عطاء الله ، وأنه كان يقرأ بعض هذه الكتب على أصحابه

كما يدل على مرونته أن الشيخ محمود نور احمد حين أصر على قراءة الجزولية وافقه عليها .

أما الامر الاخير الذى نختلف فيه مع الدكتور جلال فهو قوله ان المهدى لم يقم بدعاية سياسية مباشرة ضد الحكم التركى ، وأنه لم يطلب من رجاله محاربة الحكومة الفاسدة ، على حين نرى خلاف هذا فى كثير من منشوراته ـ وهو ماأكدنا بسببه الرجوع الى المصادر العربية ـ فقد جاء فى رسالته الى يوسف الشلالى باشا « **ان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا صريحا بقتال الترك وأخبرنا بانهم كفار** » وقد جاء فى أحد منشوراته عن رجال الحكومة « **أما ترونهم يسحبونكم فى الحديد والسلاسل لاجل أخذ أموالكم ، لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ويحملونكم المشاق القوية** » وهناك مايشبه هذا فى خطبته بجزيرة « أبا » .

ومهما يكن من « خلاف » فقد تعرض الدكتور جلال بعد ذلك الى هذه الحروب والى العلاقات البريطانية التى هى فى حقيقة الامر موضوع الكتاب الحقيقى بالرغم من عنوان الكتاب الذى ربما روعى فيه جذب انتباه القارىء ، مع « المشكاة » المتدلية منه ، مع اصالة المادة العلمية الموجودة فيه وعمقها .

فهو يمر بنا مرورا سريعا على وقع الثورة على رءوف باشا ، وكيف أرسل اليه حملتين برياسة « أبو السعود » وكيف ردت الحملة الاخيرة خاسرة ، ثم كيف هاجر من « أبا » الى جبال النوبا بكردفان مشبها هذه الهجرة بهجرة الرسول ، ومطلقا لقب « الانصار » على أصحابه ، ثم كيف ترددت الحكومة فى تعقبه ، وكيف دحر قوات « راشد بك » .

وقد اهتمت الحكومة فى مصر بهذه الثورة فأمرت بادخال تعديلات فى الادارة ، وعينت عبد القادر حلمى باشا فى منصب الحاكم العام للسودان ، ووزير الاقاليم السودانية وملحقاتها ، وكيف أبلى هناك بلاء حسنا ، وأن خطة المهديين فى هذه الفترة كانت الاستيلاء على كردفان ، وأن الباب الحقيقى لها كان مدينة « الابيض » ومن هنا شن هجومه عليها ، وحين شعر بقسوة الاسلحة النارية غير من تكتيكه الذى يعتمد على « الكمين » الى عملية « الحصار »

وفى أثناء عمليات الحصار وصلت أخبار ضرب الاسكندرية ، وهزيمة « **عرابى** » .

ثم يقول الدكتور جلال « فانه من الصعب علينا أن نحكم على العلاقات بين عرابى والمهدى بشكل قاطع » ، ويرى أن العدوان البريطانى على مصر قد ساعد على انتشار الثورة المهدية .

ثم يقول أن هناك تشابها بين الحركتين فى أسبابهما وأهدافهما وقائديهما : « كانت كل منهما تطالب باصلاحات ادارية واجتماعية ، وكانت كل منهما ضد الوضع القائم والتدخل التركى أو الاجنبى ، وكانت كل منهما عبارة عن حركة تحرر اسلامية » ولاشك أن فى هذا بعض التعميم الذى لا تخفف منه كلمة التشابه لان الثورة المصرية اذا كانت قد طالبت باصلاحات

ادارية واجتماعيــة فان الثورة المهدية لم تطلب شيئا من هذا من الحكومة ، وانما طالبت باعتناق المهدية ، والجهاد من أجلهــا ، واذا سلمنا بأن الحركة المهدية كانت حركة تحرر اسلامى من الاجانب الذين كانت تسميهم «الكفار» ســواء أكانوا من الانجليــز أو من الاتراك ، وأن حركتهم كانت دعوة صريحة لتبسيط المعتقدات فانا لانرى شيئا من هذا كان من صميم الحركة العرابية .

ثم تعرض المؤلف لصلة المهــدية بالسلطان التركى .

وفى الفصل الثانى يعرض المؤلف لحل جيش عرابى ، ثم ارسال فلوله الى السودان ، وفى الوقت الذى تركت فيه انجلترا ضباطها على رأس الحملة نراها تعمل على ابعــاد كل مسئولية عنها بشأن السودان ، وتعمل على اقالة « **عبد القــادر حلمى** » الذى حقق انتصارات على المهديين ، مما ترتب عليه وصول نبأ سقوط « الابيض » الى الخــرطوم فى ١٨-٢-١٨٨٣ أى بعد سفر عبد القادر حلمى بخمســة أيام ، وبسقوطها أصبحت المهدية سيدة كردفان ، وفى الوقت نفسه المتحكمة فى مصير دارفور . وكان كل مافعلته انجلترا أن أرسلت بعثــة برياســة الكولونيل ستيوارت لارســال تقارير عن الحالة هناك جاءت فيهــا نصيحته بالتخلى عن دار فور وقسم من كردفان وقد انتفعت بهذه التقارير وزارة الخارجية البريطانية فقد كانت تلح فى الوصول الى معلومات عن السودان فى هذه الفترة ثم كلفت قنصلها بالقاهرة بالعمل على تنفيذ وصايا « ستيوارت » .

وفى الوقت الذى أهمل فيه «**شريف** باشا » هذه الاوامر . نرى الخديوى يتقرب من الانجليــز ، ويســلم أكثر الادارات فى البــلاد الى موظفين من البريطانيين ، دون أن يتصرف فى شئ من الاخــلاء لان ذلك كان يخرج عن الاختصاصات التى خولت له بمقتضى الفرمانات السلطانية .

وقد كانت نية الخديوى متجهة الى القضاء على الثورة المهدية ، وخاصة بعد أن استتب له الامر بعد القضــاء على الثورة العرابية ، ومن هنا فقد أرسل بعثة برياسة احمد حمدى أحد ياورانه لتوافيه بتقارير عن الحالة هناك .

وقد وفق المؤلف فى عرض هــذه المهمة التى ذهب من أجلها أحمد حمدى معتمدا فى ذلك على المحفوظات التاريخية مصــورا لنا ظروف حملة « هكس » ، وكيف أن سليمان نيــازى باشا كان قائدا عاما اسميا ، وأنه كانت هنــاك أوامر له بأن يطيع أركان حربه الجنرال هكس ، وقد أعلن تقــديره للقــائد المغضوب عليه عبد القادر حلمى باشا وأظهر أسفه لنقله .

ثم أخــيرا كيف قضى على هكس وجيشه نتيجة لســوء تصرفه ، وأن المهدية بقضائها على هذه الحملة أصبحت واضعة يدها تماما على السودان الغربى وأن جنود سلاتين حين علموا بهــذا الانتصار تمردوا عليه ، وبهذا أصبحت دارفور في يد الثوار ، ودخل الكثيرون تحت راية المهدى .

وما ان علمت مصر بهذا حتى صممت الحكومة على المحافظة على الخرطوم ، واعادة فتح الطريق بين سواكن وبربر ولكن الانجليز فى مصر قرروا أن من الصعب على مصر أن تبقى فى السودان ولكنهم أصروا على الاحتفاظ بسواكن ليمكن لهم التدخل فى هذه المنطقة .

وقد وقف « شريف » باشا من فكرة الاخــلاء موقفا مشرفا ودعا الى تلقى المساعدة من تركيا ، وفى الوقت نفسه **أبلغ الميجر هنتر أن منليك يستعد** للاســتيلاء على هرر ، وأن قبــائل السودان صممت على اخراج مصر من بربرة وزيلع ، مما جعل انجلترا تقوم

بحماية الموانى المصرية فى خليج عدن ويشكك المؤلف فى صحة تقرير « هنتر » .

وقد ترتب على هذه الاحداث استقالة «شريف» ، ورفض «رياض» تشكيل الوزارة وجاء نوبار فقدم للانجليز كل ما أرادوا وفى مقدمة ماأرادوا «الاخلاء»

وبالرغم من أن «**غردون**» كان ضد سياسة الاخلاء هذه ماعدا المديريات المتطرفة كدارفور وخط الاستواء ، فانه فرض على الحكومة المصرية ، وأعطى تعليمات صريحة باخلاء السودان أما المسئوليات الضخمة التى ستترتب على هذا الاخلاء فقد أعفت انجلترا نفسها منها . وحين قدم الى مصر حاول الاستعانة « **بالزبير باشا** » ولكن المقابلة التى تمت بينهما . وعجز غردون عن اثبات الاوراق الرسمية ، والخطابات المتبادلة بين الزبير وابنه سليمان التى قضى بسببها على الرجلين ، كل ذلك جعل صدر « الزبير » ضيقا وما أن انسحب الزبير من المقابلة حتى اتفق الجميع على أن صدره كان لايزال مليئا بالغل والحقد ضد غردون » .

والذى أراه أن ضيق الزبير لم يكن لهذه المسألة الشخصية ، وانما لاعتقاده أنه سيكون لعبة فى أيدى الانجليز ، وهذا شىء كان معروفا لكل الناس

وبالرغم من أن المؤلف وضح لنا سياسة غردون بعد ذهابه الى الخرطوم فانه لم يوضح توضيحا كاملا المخالفات التى قام بها ، والتى تعدى بها اختصاصه الذى وكل اليه فى القاهرة

وقد وفق المؤلف فى كشف الدور الذى قامت به تركيا فى هذه الفترة . فقد تهرب كثير من مؤرخى هذه الفترة منه لغموضه ، وقلة مراجعه .

كما أعطانا صورة واضحة عن الصراع الذى كان يدور فى الشرق فى الفترة الطويلة التى كتب عنها ، وعن اكتشاف حقائق جديدة لغردون ، وكيف طالب بالزبير من جديد ، وبالمعونة المرة بعد المرة ، وكيف اتخذت الاحزاب البريطانية من هذه المعونة مناورة سياسية ، واشتدت حركة الدفاع عن غردون ، ومحاولة انقاذه « بالكلام » .

ولكن الثورة «المهدية» كانت سائرة فى طريقها المرسوم ، وقد طرقت أخيرا باب الخرطوم ، وأسقطت المدينة وقتل غردون « وتحدث الانجليز عن غردون ووصفوه بأنه شهيد ! وذلك

تمهيدا للثأر له من السودانيين ، ولم تكن هذه الحركة الا لتهيئة الرأى العام لكى يسمح للحكومة فى يوم من الايام بارسال جنودها البريطانيين الى الخرطوم والاستيلاء على السودان .. »

ويضيف **الدكتور جلال يحيى** جديدا الى القارىء العربى حين يتحدث عن مهمة الامير حسن شقيق الخديوى الذى حاول من قبل الخديوى وحكومته أن يوافق السير ايفيلين بارنج على تعيينه

حاكما عاما فى الخرطوم فى المقابلة التى تمت بينهما فى ٢٨-١٢-١٨٤٤ وقد رحبت انجلترا بهذا الامر ووضعت له شروطا أهمها « ألا يعمل على تقييد الحكومة الانجليزية بأى خطة تسعى الى اعادة السيادة المصرية على السودان»

على أن ارساله كان عديم الجدوى لان انجلترا كانت قد قررت بعد مقتل غردون تنفيذ توصية اللورد ولسلى التى تدور حول الاحتفاظ بالنفوذ الانجليزى هناك على أساس من احتلال دنقلة وشمال السودان ، وارسال حملة الى « سواكن » . ولكن الظروف الدولية وتهديد روسيا للافغان والهند قد أفسد هذه التوصية ، مما ترتب عليه اخلاء السودان اخلاء تاما .

« وهكذا انتهت صفحة خاصة من **تاريخ السودان الذى أصبح مهديا على حين ظلت مصر - بالرغم من كونها جزءا لايتجزأ من الامبراطورية العثمانية**

ـ تئن تحت الاحتلال البريطاني ٠

وستكون المهدية هي الحجة الاولى التي ستتذرع بها انجلترا أمام الدول العظمى لتبرير مد اقامة حامياتها على ضفاف النيل ، ولكن وجود الانجليز في مصر كان لايستند الى أى سند قانونى ، ويتعارض مع مبدأ سلامة أراضي الدولة العثمانية ومع المعاهدات الدولية التي كفلته ، كما أن وصول المحافظين الى الحكم مع اللوردسالسبرى في يونيو سنة ١٨٨٥ لم يغير شيئاًمن عناصر السيادة البريطانية فى السودان فواصلوا ادعاءاتهم كسابقيهم من رجال حزب الاحرار بأنهم يدافعون عن امبراطورية السلطان المهددة ، ولكنهم سيسعون الى الحصول على اعتراف رسمي من الدول باقامتهم فى مصر وبدخول السودان فى منطقة نفوذهم ، وهي صفحة أخرى من تاريخ السودان وتاريخ السياسة البريطانية ٠٠ »

وبهذا الفهم العميق للمشكلات ، والتيارات التى مرت بالسودان وكانت متشابكة الاطراف بين مصر ، وتركيا وانجلترا ، والسودان يختم الدكتور جلال يحيى كتابه بعد أن يضع يد القارىء على وحدة متكاملة من تاريخ هذه الفترة ٠

وفى الواقع أن المكتبة الافريقية فى حاجة الى قلمه ، وفى حاجة ملحة الى فهمه العميق للمشكلات ، وترابطها.

من مظاهر الاحتجاج

بهذه الطريقة الجديدة من اعلان السخط على الاستعمار والمستعمرين رفع المواطنون فى ((أوغندة)) أيديهم احتجاجا على الاجراءات التعسفية التى اتخذت هناك ضد حرية المواطنين وكرامتهم .

ان بعض الايدى تظهر احتجاجها فى قبضة متجمعة لاحساسها بأنها تملك مصير البــلاد تماما ، وبعضها يعلن فى انبساط أنه لم يعد للاجانب مقام بالبلاد . وهكذا تصبح ((أوغندة)) للاوغنديين !

دكتور أجراى

رائد من رواد التربية فى افريقية

ترجمة الاستاذ فؤاد دوارة

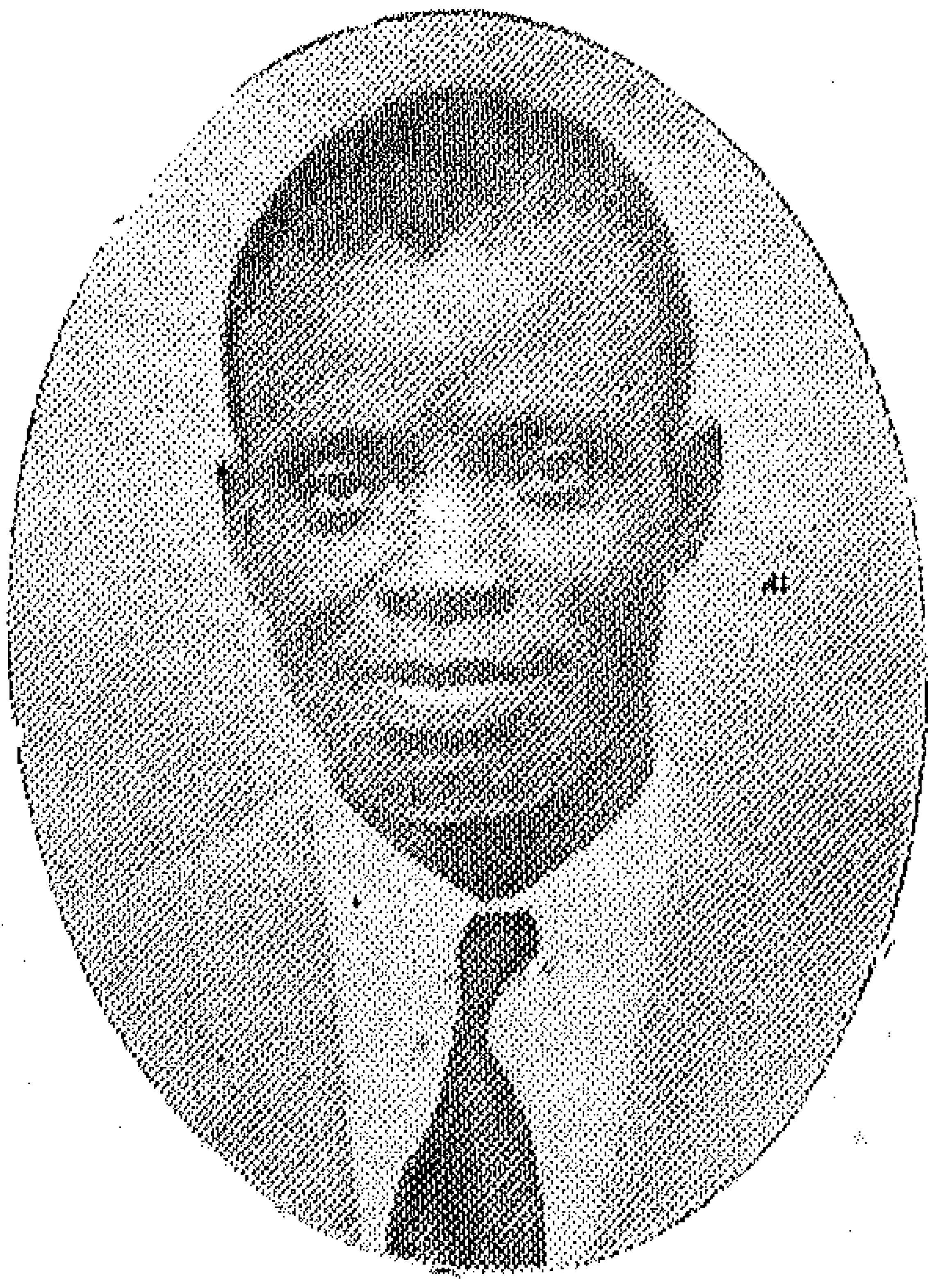

دكتور « أجراى »

يقول الدكتور « كوامى نكروما » رئيس جمهورية غانا : « كان اعجابى الشديد بأجراى ، كانسان وأستاذ ، هو السبب الرئيسى الذى دفعنى الى التفكير فى اتمام دراستى فى الولايات المتحدة » .

وحينما عاد الدكتور جون هنريك كلارك ، الاستاذ الافريقى ، من زيارته لساحل الذهب قال : « ان جيمس ك . أجراى يعتبر نصف اله بين أفراد شعبه » .

فمن هو الدكتور أجراى هذا ؟ وما هويته ؟ وماذا قدم لبلاده حتى استحق كل هذا التقدير والاكبار ؟ .. هذا ما سنحاول الاجابة عليه فى هذا المقال .

اسمه : « جيمس امان كودوو منسا هيومانفانسم كويجير أجراى » وهو ينتمى لأسرة تمتد جذورها بأكثر من تسعمائة عام فى تربة أفريقية ، وهو أول افريقى يشغل منصبا رئيسيا فى هيئة ادارة كلية « أخيموتا » الشهيرة ، وهو ابن زعيم كبير من زعماء قبائل الذهب ، وقد قدر له أن يحضر الى الولايات المتحدة فى بعثة دراسية وهو فى الثالثة والعشرين من عمره .

ويبدو أنه ورث روح الزعامة عن والده رئيس اتحاد قبائل «الفانتى» ، وهو أول تنظيم معروف حاول توحيد هذه القبائل ، وسرعان ما أصبح أجراى سكرتيرا عاما « لجمعية حماية حقوق الوطنيين » وهى ثانى جمعية وطنية تتكون فى افريقية البريطانية ، وقد بذل أعضاؤها جهودا جبارة فى مقاومة القانون الذى كان يقضى بتمليك معظم أراضى ساحل الذهب لرعايا بريطانيين .

وفى الولايات المتحدة وجه أجراى نشاطه الكبير للعمل فى مصلحة زنوج الولايات المتحدة ، فكون وهو طالب ثم أستاذ فى كلية ليفنجستون ، أول اتحاد لاقراض الزنوج فى الولايات المتحدة ، وأتاح بذلك للمزارعين الزنوج الفقراء والاجراء الحصول على السلع بسعر الجملة ، وسمح لهم بالتوفير والاقتراض بشروط مريحة .

ولم يستطع «أجراى» أن يتجاهل الاضطهاد العنصرى للزنوج فى الجنوب ، ولكنه رأى أن القضاء على هذا الاضطهاد يكون بالعمل ، والاجتهاد والتعاون

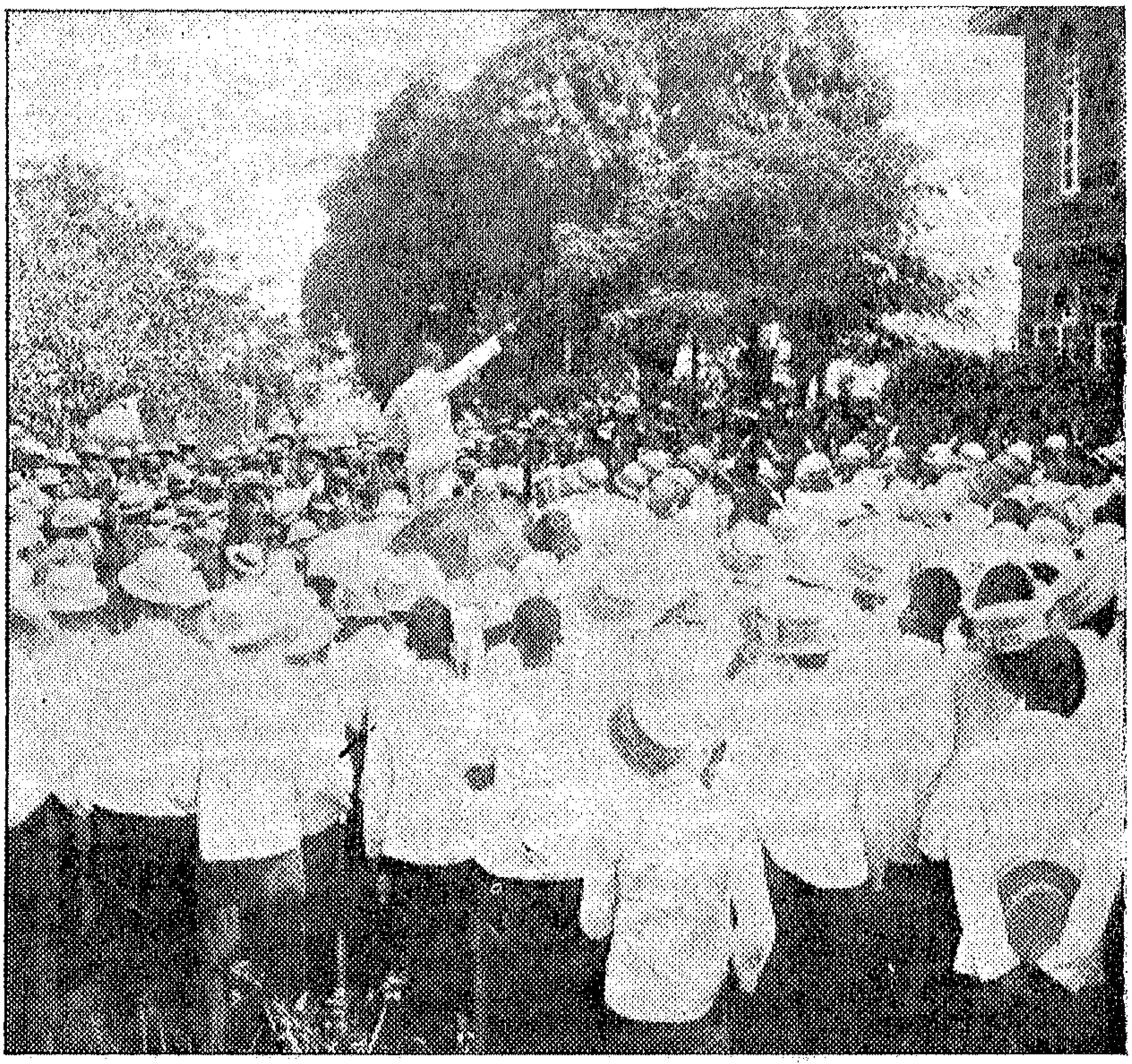

دكتور « أجراى » يخطب

وتأثر الى حد بعيد بأفكار « بوكر ت. واشنجطون » التى تقضى بضرورة جعل الزراعة والتجارة والبناء ، عناصر مهمة فى مناهج الدراسة ، وحينما عاد الى بلاده بعد عشرين عاما دعا الى ادخال هذه الحرف اليدوية فى نظم التعليم الافريقية .

وقد أصر على أن يراعى هذا الازدواج فى تصميم مبانى كلية « أخيموتا » الجديدة ، وذلك بعد أن شهد نجاح هذا الاسلوب فى معهد « هامبتون » ، وكان شديد الايمان بأن الافريقيين فى حاجة الى الصناع المهرة حاجتهم الى الفنانين والمفكرين ، وكثيرا ما أيد رأيه مستعملا هذا التشبيه البليغ :

« انك تستطيع أن تعزف عدة أنواع من الالحان على مفاتيح البيان البيضاء ، وتستطيع أن تعزف أنواعا أخرى على المفاتيح السوداء ، ولكنك لكى تقدم ألحانا حقيقية متكاملة ينبغى أن تستخدم المفاتيح البيضاء والسوداء معا » .

وقد انتقد الدكتور « و. ا. ب. ديبوا » كلا من « واشنجطون » و « أجراى » لاهتمامهما بالفنون اليدوية أكثر من اهتمامهما بشكسبير وعلم النفس ، ووصم الدكتور ديبوا هذه الخطة بأنها « أسهل طريقة للتنكيل بالزنوج ، والمحافظة على جهلهم ، وعبوديتهم .. وخداعهم واقناعهم بعدم التطلع الى مستوى كريم من الدخل .. » .

وقد لخص الدكتور « أجراى » رده على ناقده فى هذه العبارة الموجزة :

« اني أريد لكل أفراد شعبي أن يتعلموا بأوسع معاني الكلمة ، وأن يصل العلم الى قلوبهم وأيديهم ورءوسهم ، وبهذا أربط بين افريقية وبين نتاج العالم الروحى والفكرى والتجارى » .

وحينما عاد « أجراى » الى افريقية بعد عشرين عاما قضاها فى الولايات استطاع أن يكتسب شهرة كبيرة كخطيب كبير ومفكر متزن ، فقد ترجم ما تعلمه فى الجامعات الامريكية الى قصص وأساطير ، استطاع عن طريقها استثارة اهتمام أقل الافريقيين ثقافة . وقد استقبله أهالى ساحل الذهب عند عودته استقبال الفاتحين ، فكانوا يتزاحمون فى الاكواخ الكبيرة والقاعات ليستمعوا الى كلمته ، وأطلقوا اسمه على مدارسهم

وقد ظل الاستاذ العائد ينشر بين أهل وطنه أهمية التعرف على أسرار العالم ، وكان يستشهد بنفسه كدليل على صدق مايقول ، وامكان تحقيقه ،

واذا كان الدكتور أجراى لم يشترك بعمل مباشر فى تحرير وطنه غانا ، فلا شك أنه كان من بين العوامل الهامة التى أيقظت الاحساس بالكرامة فى نفوس مواطنيه جميعا ، وبصفة خاصة فى أهل قبيلته التى أنجبت أولئك المجاهدين الذين كافحوا من أجل تحرير بلادهم حتى نالت استقلالها

وهذا الرائد الكبير من رواد التربية فى افريقية امتد نشاطه الى قارتين ، وامتد تراث أسرته الى تسعمائة عام مضت ، ويروى أنه وهو مولود ابن ثمانية أيام ، أخذ من فوق ظهر أمه ، ليهب البركة لجيش قبيلته حسب الشعائر القبيلية المتوارثة ، قبل خروجهم الى معركة هامة .

وحينما بلغ الثامنة من عمره اختير

دكتور أجراى مع أحد أصدقائه

من بين عشرين طفلا آخرين تقرر أن يتعلموا على يد مبشر أوروبى ، وحينما بلغ الخامسة عشرة عهد اليه بتعليم أربعين صبيا ، وفي الثالثة والعشرين أصبح ناظر مدرسة ، وسكرتيرا عاما لجمعية حماية حقوق الوطنيين التى استطاعت أن توقف تنفيذ القانون الانجليزى الذى كان يرمى الى تمليك الاراضى لرعايا بريطانيا .

وفي العام نفسه أبحر أجراى الى أمريكا ليدرس فى كلية ليفنجستون ويبدو أن الافريقى الشاب الطموح كان على عجلة من أمره ، فسرعان ما أصبح أول فرقته ، واسترعى الانظار بتفوقه فى اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية ، فقد سبق له أن تعلمها على يدى أحد المبشرين الأوروبيين .

وفي عام ١٩٠٧ التقى بزوجته الجميلة « روز هدسون » ، وبعد خمسة أعوام أصبح أبا لثلاثة أطفال ، وبعد ستة عشر عاما أنجب ولده الاصغر « أوريسون رادولف أجراى »

وقد كان للتراث الافريقى العريق الذى يحمله المربى فى روحه ، أثره الهام فى مساعدته على مقاومة مظاهر الاضطهاد العنصرى السائدة فى جنوب الولايات المتحدة ، وان منعه التعصب مع ذلك من أن يصبح عميدا لكلية ليفنجستون ، بالرغم من أنه رشح لتولى المنصب مرتين ، فزنوج أمريكا كانوا يعتبرونه غريبا بالنسبة لهم ، مع أنه كان يضع كل طاقته وخبرته فى خدمتهم . وقد علق الدكتور اجراى على هذه المعاملة الشاذة بقوله :

« كثيرا ما تلقيت الركلات من الجانبين ، من البيض والسود على السواء ، ولكن من وطد نفسه على القيام بمهمة ما ، فلا ينبغى أن يدهش أو ينزعج لأى طارىء » .

وكان وهو المثقف النافذ البصيرة يدرك حقيقة موقفه السلبى من مشكلات التعصب العنصرى ، فقال مرة للرئيس كوامى نكروما ، حينما كان طالبا بكلية أخيموتا : «مادمت قد استطعت أن أثير ظمأك ، فادع الله لى أن يوفقنى الى ريه حينما أعود الى افريقية » .

وقد جاهد جيمس أجراى وحده كثيرا ، حتى وفق الى رفع الحصار الذى كان مفروضا بين افريقية وبين أحدث ما توصلت اليه المعرفة البشرية، ونادى بأن استعداد المرأة لتلقى العلم لايقل عن استعداد الرجل ، وقال مرة لجماعة من الافريقيين وهو يخطب فيهم داعيا الى وجوب تعليم المرأة :

« ان أضمن وسيلة للمحافظة على تأخر شعب من الشعوب ، هى ببساطة تعليم الرجال ، واهمال النساء . انك لو علمت رجلا ، فأنت لا تعلم الا فردا واحدا ، أما اذا علمت امرأة فأنت تعلم أسرة باكملها » .

وفى ٢٨ من يناير سنة ١٩٢٧ ، احتشد مايقرب من أربعة آلاف افريقى يحتفلون بتخريج الفوج الاول من خريجى كلية أخيموتا ، وكان مكونا من ٣٦ شابا ، ٢٤ فتاة . ووقف أجراى بين الجمع يشهد تحقق حلمه

لقد قضى أجراى عشرين عاما فى الولايات المتحدة ، وجاب معظم أنحاء افريقية ، وحصل على أرقى الدرجات العلمية من جامعة كولومبيا ، وأثبت للعالم أن الافريقى يستطيع أن ينهل من ثمار العلم بقدر ما يستطيع أى أوروبى أو أمريكى ، ان لم يكن أكثر .

وفى ٣٠ من يوليو عام ١٩٢٧ ، وبينما هو يستعد للصعود الى درجات أخرى فى سلم المجد الأوروبى ، اذا به يقع صريعا فى مدينة نيويورك ، مخلفا وراءه جيلا كاملا من التلاميذ ، وأعمالا خالدة من أكبر ما عرفته افريقية من أعمال فى ميدان التربية

قبيلة الجاز في افريقية

لا سبيل الى معرفة التاريخ الذى وصلت فيه قبيلة « **الجاز** » الى اقليم **ساحل الذهب** — يوم ذاك — غانا — اليوم — بغير الحدس أو التخمين، لانه لم يعثر حتى الآن على أثر من الآثار المكتوبة يبين العصر الذى تولى فيه أول زعيم من قبيلة الجاز حكم البلاد .

والمعروف هو « **أوكاي كو** » الذى يعتبر الزعيم السادس لقبيلة الجاز ؛ وقد توفى عام ١٦٦٠ ، ويقال ان حكمه وحكم أمه « ديد ، أو ، دود أوكاي » قد استمرا قرابة خمسين عاما .

وهذا يعود بنا الى عام ١٦١٦ — تقريبا — عندما توفى « الجا » الرابع «مانتس آمورا مانكبان أوكاي» فاذا ماقدرنا خمسة وعشرين عاما لكل زعيم من الزعماء الثلاثة الذين تولوا السلطة قبل هذا « الجا » الرابع ، فان معنى ذلك هو أننا سنعود الى بداية القرن السادس عشر ، أي حوالى سنة ١٥١٠ ، ويعتبر هذا التاريخ تاريخ حكم أول زعيم من قبيلة الجاز على وجه التقريب .

وصول قبيلة الجاز :

لقد وفد بعض أفراد قبيلة «الجاز» من جنوب نيجيريا من مدينة «**بينين**» فى منطقة اليوروبا عن طريق البحر ، **ولكن بعض أفراد هذه القبيلة** يقولون : ان اسم هذه المدينة «بونى» وليس « بينين » . وبعضهم الآخر وفد عن طريق البر من جهة الشرق ، كما وصل أيضا عن طريق البر شعب « لابادى » وهى احدى ضواحى مدينة أكرا ، لانهم استوطنوا أول ما استوطنوا منطقة السهل التى تسمى « أبواسو » الواقعة على نهر « مساكى » على بعد بضعة أميال من « أكرا » .

ولم تكن قبيلة الجاز وحدها القبيلة التى تعيش فى هذا البلد ، بل كانت هناك شعوب أخرى عاشت ووجدت قبل وصول الجازيين ، وهى « **الجونز** » أو « **الكيزيونز** » الذين يعتبرون أول شعوب الجنس الافريقى الذين وصلوا الى هناك ، والذين هم فى الوقت نفسه الجيل البشرى الذى أعقب جيل العصر الحجرى .

والثابت أن « **آيى كوشى** » كان أول زعيم لشعوب « الاكرا » فهو **الذى تزعم أول فوج** من مهاجرى الجاز . ثم خلفه «آيتى» الذى بنى عاصمة دولة « الاكرا » الواقعة فى منطقة « آيسو » بجانب سهول « أوكاي كوا » والتى يطلق عليها الآن اسم «سهول أو تلال باكوس» . وبعد موت «آيتى» خلفه «نى كواتالين» الذى أعقبه بعد وفاته «أودمانكيان» الذى يقال انه قد تزوج سيدة من قبيلة «آبوتس» تدعى «ديد أوكاي» والتى أصبحت الزعيمة على القبيلة بعد وفاته .

وكانت « ديد أوكاي » هذه سيدة غليظة الطبع عنيدة قاسية ، وهذه هى الصفات التى كان يتميز بها أفراد شعبها فى ذلك الوقت . الا أن شعبها — بالرغم من كل ذلك — قد استطاع أخيرا أن يعلن عليها ثورة متمردة

انتهمت بقتلها . .وهذه القصة يعيها كل من يعرف تاريخ هذه الفترة من حكم « الجاز » .

ان هذه الزعيمة قد أمرت شعبها بحفر بئر لم يستعمل في حفرها سوى الاكف ، وبعد أن وصل الحفر الى بعض العمق ، توقف العمال ، وبرروا توقفهم عن العمل بأن أخبروا الملكة بأنهم قد وجدوا في قاع البئر رجلا منعهم من الاستمرار في عملية الحفر ، فغضبت الملكة على هذا الرجل الذى جرؤ على التمرد على أوامر الملكة نفسها ، واضطرها الى النزول بنفسها في الحفرة لتتحدث اليه ، وهنا وجد الشعب المظلوم الفرصة مواتية للتخلص من هذه الملكة ، فانهال عليها رميا بالحجارة أثناء وجودها في الحفرة حتى ماتت ، ثم أهيل عليها التراب .

وبموت الملكة أصبح « أوكاي كزا » ملكا على البلاد بعدها ، ولم يكن هذا الملك الجديد يختلف عن أمه في شيء ، فقد كان رجلا عنيدا ميالا للحروب . نزل ساحات الوغى مع « الشيز » وهم شعوب لابادى وأكوماس ، وعندما لم يستطع الصمود أمام المحاربين من قبيلة أكوماس انسحب الى مكان يدعى «نيان ترابى» ، وهناك طلى نصف جسده باللون الابيض والنصف الآخر باللون الاسود ، ثم دعا قادة

جيشه والكبار في السن من الاعضاء المحاربين معه ، الى اجتماع يضمهم جميعا ، وأخبرهم بأنه اذا وقع على الارض ، وكان نصف جسده المطلى باللون الابيض الى أعلى فان ذلك معناه أن الحظ سيحالف قبيلة الاكرا ، أما اذا وقع وكان الامر بالعكس ، أي أن نصفه الاسود قد كان الى أعلى فان ذلك يعني وجود جو من الارتباك وتسود الفوضى أفراد قبيلة الجاز . وبعد أن انتهى من هذا الحديث قتل نفسه وسقط على الارض بحيث أصبح نصف جسده الاسود مرتفعا .

وكان موته في ٢٠ يونيو سنة ١٦٦٠ ، وبموته أصبح ابنه «أشانجمو» خليفة على عرشه ، فقاد الجيش وهزم قبيلة « أكاموس » في المعركة التى نازلهم فيها . ثم رحل الى « ليتيل بوبو » عام ١٦٨٠ ، حيث عاش بها واستقر هناك . وكانت هذه الخطوة من جانب أشانجمو هي التى أثارت عليه بعض أفراد قبيلة « الجاز » الذين وضعوا الاناشيد في هجائه ، وكانوا يتغنون بها ، وينحون عليه باللائمة .

وفى عام ١٧٠٢ نصبت القبيلة زعيما جديدا عليهم في أكومو ، يدعى « أكونو » وكان أكونو هذا رجلا شجاعا مرهوبا ، تخشى بأسه مناطق الاكرا ، والاكومو وليتيل بوبو ، وقد حدث فيما بعد أن انصرف اهتمام قبائل الاكرا الى تجارة الرقيق ، التى أكسبتهم الثروات العريضة والمال الوفير ، الامر الذى ملأ قلوب أفراد قبيلة أكوموس غيرة وحسدا ، ودفع أكومو الى اعلان الحرب ضد الاكرا . ولحسن حظ قبيلة الاكرا كان لديهم قائد قوى شجاع يدعى **« نى آي »** الذى بفضل قيادته الحازمة وبطولته المنقطعة النظير ، لم يستطع الاكومويون أن يدخلوا مدينة الاكرا ، وليس هذا فحسب ، بل انه اقتفى أثر الاكومويين حتى حصن **« أسهر الهولندى »** ، حيث احتمى فيه الاكومويون ، ولم يثبط هذا من عزيمة ذلك المحارب العظيم ، فقد ظل يراقبهم بجيشه حتى لحق بهم في أوتو ، ولابادى ، وتيشى ، وهناك أسر أفراد جيش الاكومو . .

وبعد ذلك ساد سلام طويل قبائل الاكرا والاكومو .

بعض عادات قبيلة
الجاز القومية

لكل دولة عادات وتقاليد مختلفة نراها متجلية في قبيلة الجاز شأن

أى قطر من الاقطـار الاخرى ، ولا شك أن هذه الحقيقة تنطبق تمـاما على دولة غانا . فان قبيلة الجـاز التى كانت تحتل جزءا من المنـاطق الساحلية كانت لها عاداتها وتقاليدها الخاصـة بهـا ، وما تزال موجودة بها حتى الآن .

وتعتبر مدينة أكرا ـ عاصمة غانا اليوم ـ الموطن الرئيسى لقبيلة «الجاز» وبالرغم من أن هذه المدينـة تعتبر الآن عاصمة دولة مستقلة ، فان اكرا نفسها مدينة صغيرة يحيط بها بعض المدن التى يعيش فيهـا أفراد قبيلة الجاز مثل مدينة أوسو ، كريستيان، بورج ، لابادى ، تيفى ، تيشى، ثنكيا ، تينيا .

وأفراد الجاز فى هذه المدن هم سادتها وزعماؤها . ولكن الزعيم الاكبر يعيش فى أكرا ... وتعيش بجانب الجـاز أيضا فى هذه المدن بعض القبائل التى تعتز بزعمائها التقليديين ، وهذه هى بعض العـادات والتقـاليد القوميـة الخاصة بالجاز ولا سيما فى اعيادهم .

(١) عيـد الهرموز

الصراع عند الجوع :

يرجع السبب الرئيسى فى احتفال قبيلة الجاز بعيد « الهرموز » هـذا الى هذه المعتقدات :

فقد حدث عنـدما هاجرت قبيلة الجاز من بينين الى غانا أن نفد زادهم، وظلوا يقاسـون ألم الجوع ومـرارة الحرمان ، حتى نما زرع القمح الذى بذروه ، ثم حصدوه .

ويقال فى تحليل الاحتفال بالهرموز: ان معركة حامية نشبت بين قبيلتى الجاز والاشانتى ، وحالت هذه المعركة بين قبيلة الجاز وبين دخولهم حقولهم .

ومن عادة أفراد قبيلة الجاز أنهم يقدسـون يوم السـبت ، ويعتبرون الاحتفال بهذكرى ليوم الجوع والمتاعب التى مرت بهم .

(٢) حفلات أيام العيد :

يحتفل بالعيد أيام السبت فى أكرا، وأيام الثلاثاء فى المـدن المجـاورة للعاصمة . ويقام الاحتفال بالعيد مرة فى كل عام . وبغـروب شـمس يوم الاحتفال بالعيـد يأخذ أفراد قبيـلة الجاز الذين يفدون من مختلف المناطق القريبة والبعيدة ، فى الرحلة الى مدنهم المقدسة . ومما يسترعى النظر حقا فى هـذه الايام هو أنك تراهم وقـد حملوا أمتعتهـم على رءوسـهم ، ثم ساروا فى مواكب طويلة ، ترافقهـم الطبول التى يغنون على قرعها ، حتى يصلوا الى هذه المدن .

(٣) أكلة « البكبلى »

وأكلة « البكبلى » هذه هى طعام يعد خصيصا لهذه المناسبة ، وقوامه دقيق الذرة أو القمح . ويطبخ هـذا الطعام فى أيام السبت فى أكرا ، وأيام الثلاثاء فى المدن المجاورة . ويستيقظ النساء فى وقت مبكر من الصبـاح ، ويبدأن اعداد طعام البكبلى ، وطبقـا للتقاليد المرعية يجب عليهن أن ينتهين من اعداد هذا الطعام قبل السـاعة العاشرة ، حيث يأخذ الزعماء ، وعلية القوم فى التزاور والتنقل من منزل الى آخر .

(٤) دولاهامز (طلب بركة الآلهة)

ليست هـذه العادة الا تجـديدا لذكرى من ماتوا فى هـذا العـام ، ففى منتصـف الليـلة التالية لعيـد الهرموز (الصراخ عند الجوع) تبدأ مظاهر الاحتفال بهذه الشعيرة ، فعلى الشباب والشيوخ أن يظلوا مستيقظين يصرخون ويبكون حتى صباح اليوم التالى ، حزنا على جميع الضحايا أو الموتى الذين سقطوا فى هذا العام .

وعندما تغرب شمس صباح اليوم التالى ، التى تصادف يوم الاحـد فى

أكرا ، ويوم الاربعاء فى المدن المجاورة يرتدى الشباب والشيوخ ملابسهم الكاملة ، ثم يأخذون فى التنقل من بيت الى آخر ، يحتسون الشراب ، ويرفعون أصواتهم بالاغانى . وفى كل منزل يرتاده أحدهم يحييه صاحب المنزل بهذه الكلمات :ـ

أو والا ، أو والا ـ يا أو ، أى فليباركك الله ، فليباركك الله ـ آمين .

ويخصص الاسبوع التالى لعبادة الآلهة ، والصلاة لها .

(٥) دزويى ساكو مستو (الرقص تحت الاشجار على شواطىء لاجون ساكوم)

يوجد ثلاثة زعماء معينين ، يمثلون ثلاث قبائل معينة فى ولاية « جا » يعتبرون مسئولين عن الآلهة ، فهم الذين يبعثون بالوقود والبقر الى « اللاجون » لطلب رضاء الآلهة . وبعد أن يأكل الجماهير من الحجاج الاطعمة ، ويحتسوا المشروبات التى أعدتها لهم النساء بهذه المناسبة ،

يرقصون ويمرحون ، ثم يعودون الى بيوتهم . وفى يوم الجمعة التالى يسير القسس والزعماء فى شكل مواكب الى « لاجون » آخر ، يسمى « كولا » فى مدينة أكرا ، حيث يسكبون الخمور تكريماً للآلهة ، ثم يبدأون فى الرقص الذى يؤدونه على شكل دائرى ، ويترنمون بهذه العبارات :ـ

« ووى أو ، بكينى زى سى ، وولى توفى آفى » أى : أننا أطفال ، لانقوم بعمل شىء يستحق الذكر .

على أن هذه الطقوس ليست سوى تقاليد قديمة ، كما أنها ليست منتشرة بصورة واسعة ـ كما نظن ـ بل ليس هناك الا عدد قليل من أفراد قبيلة الجاز ، لايعرفون الا القليل عن هذه العادات .

ولعل المجاعة والمرض ، واشتداد حرارة الجو هى احدى الدوافع الرئيسية ، التى ساعدت على بعث هذه الطقوس .

ومن المؤكد أن قبيلة الجاز فى عهدها القديم كانت تهتم كثيرا بالاساطير ، فهم يحترمون قرارات رجال الدين وأنبيائهم ، وعندما يحدث لاحدهم أمر يستدعى ذهابه الى رجل الدين لطلب العلاج ، فانه يذهب اليه ، حتى اذا عز الشفاء عنده ، ذهب الى النبى الذى يستخدم قدوره الخاصة ، فينظر فى قاعها فترة من الزمن ، ثم يعلن قراره ، ويكون هذا القرار هو كلمة الفصل فى العلاج .

(٦) هاوس آهى سن (معلومات عن التوائم)

يحتفل الوالدان خارج المنزل بولد التوائم بموكب صغير . ثم بعد ذلك يحضران قدرين للتوأمين ، ويطلق أفراد الجاز على هذا القدر اسم **« كولو »**

وتملأ هذه القدور بأوراق أشجار معينة ، أو ببعض المشروبات ، التى يطلق عليها أفراد الجاز الـ (اكبيتيف) ، ويطلى الاناء بدم دجاجة صغيرة ، ثم تربط ذراع الطفل بعد ذلك ، وهناك تفاصيل كثيرة لأمور تراعى عادة فى تربية التوائم ، وكلها مرتبطة بأساطير ومعتقدات قديمة ، يؤمن بها الكثيرون من أفراد قبيلة الجاز .

وليس من شك فى أن لكل جماعة تقاليدها وعاداتها التى تحترمها ، وتعمل على المحافظة عليها ، لأنها مهما كانت على جانب من الخرافة أو الاسطورة ـ تمثل جزءا من تراثها .

وكم يكون جميلا لو أن دارسى الادب والمهتمين بالبحوث الاجتماعية قد وجهوا عنايتهم الى دراسة تقاليد الشعوب الافريقية ، وتتبعوا أصولها وامتدادها البعيد فى أعماق الماضى ، انهم لو فعلوا ذلك لقدموا لنا صفحة مشرقة ، وثروة ضخمة ، يمكن أن تكون أساسا لادب افريقى أصيل ،

العرافة
السحر

بقلم : الدكتور عبد العزيز رفاعى

من الطبيعى فى بيئة تتحكم فيها، بل تحـركها قوى حيوية ظاهـرة وخافية ، أن تكون غاية ما يتمنـاه الانسان فيها أن يضمن لنفسـه وعشيرته الاحتفاظ بهذه القـوى ، والاستزادة منهـا ، وقد كفل الدين كل ذلك للجماعة ، ونشأ السحر الى جانب الدين ليستعين به الافراد ،على اكتساب تلك القوى، أو على صدقوى شريرة تهدد الفرد فى أمنه ، ولماكان الافريقى يعيش مغمورا بين هذه القوى الغامضة نشأ الايمـان بالسـحر فى حتى كاد يكون اجماعيـا فى جميع أنحائها ، وكذلك الخوف من السحر وصناعته، ولقد اقتضى الايمان بالسحر أن أصبح فى المجتمع الافريقى صناعة تتفـرق بين نوعين من المحترفين فى ذثمة فى الكنغو مثـلا ، نوعان من المتطببين بالسحر ، أحدهمـا يسمى بالساحر العادى ، أو رجل التطبب، وهو الذى يمزج الاعشـاب ويصف الدواء لذى السقام، ويصيبه التوفيق عادة فى علاج المرضى ، ولكن مقدرته على الشـفاء لا تنبع من الدواء الذى يصفه للمـريض فحسب ، بل من صلات الالفة التى تربطه بأفراد القبيلة أما النوع الثانى، فهو شيطان الجماعة، وهو ساحر يلف التعاويذ .ويستأجر ليلحق الضرر بالغير ، فاذا ما أخفق سحره المجرد ، لجأ الى السم ، وهناك الافريقية المختلفة يعرفها العلم الغربى ويتفاوت مقدار السم فيها ، والمكان المفضل للاحتفاظ بالسم بعد شرا: من الطبيب الساحر ، هو أن تدخر تحت ظفر الخنصر ، وما عليك الا أن تغمسـه فى شراب عدوك دون أ يشعر ، فتكون نهايته المحتومة .

ويشـبه النوع الاول فى عالمنـا المتحضر، العرافون والاطباء والصيادلة، وهـو لا يقتصر على وصـف الدواء والداء ، بل يتعدى ذلك الى ما يشغل بال الانسان فى حيـاته وهو يبيع الناس التعـاويذ والتمائم لمختلف الامراض للشفاء من المرض ولاستنزال المطر أو لاجتلاب الحب والنجاح وغ ذلك .

وقد تكون صنعة « **العـرافة** » متوارثة بين الوالد الى الولد .

وقد تظهر على شخص ما أعراض من الصرع مثلا ، فتدل على أن الاله قد اختاره ليعبر عن ارادته، والعرافون أو الـكهان عند « **المـاندانج** » فى افريقية ، يحملون « خرجا » من جلد المـاعز يحتوى على خليط من أدوات العرافة قوامها جذور نبات ، وخيوط، ووعاء من طين يابس به ماء وتمثالان لرجل وامرأة ونصلان ، وأربعـة ما يقرب من ٥٧٠ نوعا من الاعشاب أجراس اسطوانية وقرنان مزركشان وغير ذلك ، وترى العراف اذا انتهى من همهمته وتلاوة العـزائم أفـرغ خرجه على الارض ، ثم نثر الودع على الجلد ، وأخذ يستنبط الجـواب من الشكل الذى اتخذته هذه الخرزات على سطح الجلد .

وفى جنوب منطقة الفولتا العليـا وأعالى ساحل العاج ، يسـتعملون شرائط من الجلد ، أو ماء يضـيفون

اليـــه بعض الاصـباغ ويستشفون الجواب من انعكاس ألوانها فيه ، وقد جلب المسلمون معهم نوعا جديدا من التنبؤ الحسابى يعرف بحساب الجمل الصغير وحساب الجمل الكبير وضرب الرمل ٠

وفى موطن قبائل « **لوبى** » يعرف العراف المتطبب بين الناس بما يصيبه من صرع ، أو ما يأتيه من أعمـــال جنونية، كالتهام القمامة ، أو التفوه بكلام غير مفهوم، والاستخارة عندهم، بوساطة أوضاع الخرز ، أو بترقيص تماثيل صغيرة معلقة بخيـوط وبغير ذلك ٠ حتى كان ثمة جمعيـــة لهؤلاء العرافين ، تهتم بتلقين أعضائها تعاليم خاصة ، وهؤلاء يبيعون للناس تعاويذ وتمائم من مواد متنوعة كالخشب ، أو القرن ، أو أغصان الشـــجر ، او عقود من الغرز ، أو قطعة من حديد مطروق ، أو نحـــاس أو فاكهة أو غيرها ، ويحمل كل فرد من قبـائل لوبى ما لا يقل عن ثلاث تعاويذ، وبين القبائل القاطنة فى شمال ســاحل الذهب ، ظاهرة تدل على الاهتمـــام بالسحر ، فكل ساحر يقيم محـرابا منزليا يستنبط منه مهنته ، ويمارس فيه سحره ، وعلى ساحل غينيا يتفشى بيع التمائم بين السكان ، أما العرافون بين قبائل أشانتى ، فيســتعملون وسائل أخرى فى الكشف عن الغيب، كأمعاء دجاجة أو مرآة سحرية ، وقد يستعملون وسيطا للارواح يسـتلهم الغيب أمام أحد الامور ٠

وأكثر التعاويذ انتشارا بين سكان الساحل ، المكانس الصغيرة والقرون والمساحيق المتنوعة ، وأنياب الاسد وأنياب الافعى للوقاية من سمهـــا ، وصفارة للوقاية من مؤامرات الاعداء على حين نجد تعاويذ أخرى لحمـاية الجماعة بأسرها ٠

وبين قبائل يوروبا وغيرها، ينتشر نوع من السحر يقوم المتكهن به على ضرب الرمل ، وهو من تعـــاليم اله المستقبل المسمى عندهم ، « **فا** » وهو الكاشف عن أسرار الوجـود والمعبر عن ارادة الاله الاعظم ٠

وفى غرب الـكمرون تســتعمل « **السلة المسحورة** » وتوضع فى قلبها أصواف من أنواع وأشكال مختلفة وقطع من صخر شفاف ولحاء شجر ، وقواقع وعظام وبراثن أبو جلمبـو ، ولآلىء وجلاجل وغيرها، فيأخذ العراف السلة ويهزها حتى يختلط ما فيها ، ثم بعد ذلك يطرح مستوياتها على الارض ،ثم يتمعن فى أوضاعها، ومن خلال نظرته الى هذه الاوضاع ينطق بالجواب ٠

وفى بلاد « **أوبانجى** » يبدو هؤلاء المتطببون المتـكهنون فى زى من جلد الحيوان ، وحول رقابهم حبال بهـــا عقد أو تمائم ، ويرقصون على أصوات أجراس وجلاجل مشدودة الى أرجلهم وهو مظهر من صفاتهم الاجتماعية ٠

وعند قبائل « **البوشمان** » ينفرد الساحر المتطبب ، بقدرة خفية هائلة، اذ يزعم أنه يستدرج الطير من مكانه، أو يطير الى السماء ويتسلق حبلا يقذف به الى أعلى فيستنزل المطر ٠

والاستخارة بطرق فقرات من عظام معروفة ، فى الجنوب الشرقى لافريقية وثمة بين قبائل «باسوتو» ، و «سوازى» توجد طبقة من النساء متخصصات فى مداواة داء الصرع ، يداوين المصـاب بارغامه على الرقص دون اسـتراحة حتى تهلك قواه ثم يلقى به فى النهر فتخرج من جسده الارواح الشريرة التى سببت المرض فى زعم القـائلين بذلك ٠

ولا تقتصر صناعة الســـحر على الكهان والمحترفين اذا كانت تكمن فيهم قوى خفية ، تكشف لهم عن الغيب٠

والاحلام والرؤى في قبيلة «الكردي» نوع من التكهن بالمستقبل ، وفي الكمرون يستخبرون العنكبوت المتنبىء والناس يزعمون هناك أن هذا النوع الخاص من العنكبوت، كان أول الخلائق الحية حتى اذا ما عثر عليه فرد يعتنى به ، ثم يهمس له بكل مشكلاته وهمومه ، ويسأله الجواب عن سؤاله، ثم يضع أمام بيته أو حجرته أوراقا من الشجر أو غيرها في تنظيم معين ويتركها ، ثم يترك العنكبوت ليعبث بها على ان يعود اليها بعد ذلك ليستقرىء عن نظامها الجديد ما يفيده عن المستقبل وهكذا .

ويتصل بأعمال السحر ، طائفة من المعتقدات والمخاوف النفسية التى تعرف لدينا باسم الخرافات ، فمثلا نجد قبائل «الباسا» تمتنع عن العمل في فصل المطر ، فاذا ما رأوا مثلا فأر النخيل في فناء الدار ، كان ذلك نذيرا بنزول الموت بأهلها .

وقد تكمن في الاشياء ، أو الافعال قوة سحرية، في رأى أساطير افريقية، تعمل عملها كما هو موجود ، عند سكان أشانتي كما تعتقد قبائل النيل الاعلى ، بأن اللعنة، اذا أصابت انسانا قتلته ، وخاصة لعنة الوالدين .

وبلغ من اعتقاد قبائل «كيكويو» في كينيا في قدسية القسم واليمين وقوته السحرية ، أن كل من يحنث في يمينه يترقب أن يصيبه الموت المفاجىء ولقد استغل القداسة جماعة «الماوماو» في ثورتهم ضد المستعمرين في تلك الارجاء ، في ضم القبائل الى صفهم عن طريق القسم، حتى كانوا ينقضون على المستعمرين الانجليز انقضاض الصاعقة ، فلما فطن هؤلاء الى أهميته ، أخذوا يستعملون بين السكان، قسما يفتتون به وحدة الماوماو ، ويجبرون به القبائل على عصيانها والانضمام في ولاء الى المحتلين ، ويعتقد كثير من القبائل مثل « الاوبانجى » بهذه القيود السحرية الكامنة في الدعوات والاقوال ، التى تصبح أشد وقعا وتأثيرا في الليل أو في السحر كما يعتقدون .

والسحر الذى يستنزل به المطر من أعظم ماتهتم به القبائل الزراعية ، وغالبا ما يكون هذا السحر تضرعا دينيا ، يتوجهون به الى الاسلاف والآلهة ، غير أنه لكى تنصاع الآلهة فتستجيب الدعاء يلجئون الى وسائل عدة ، فعند قبائل « لوندا » يبللون الفئوس قبل بدء العمل على الارض أو يبللون التربة بطين رطب ذى لون أحمر وأبيض وغير ذلك ، وعند قبائل « سوازى » في جنوب افريقية يختص الملك وحده بالقدرة على استنزال الغيث .

والاعتقاد بقوة السحرة على احداث الأذى شائع في كثير من البلاد ، ويعتقد الناس أنهم السبب الرئيسى في انتشار المرض والموت

والأصل في شناعة السحر ، كما يعتقد أغلب علماء الانتروبولوجيا ، في هذه الايام **أنها تكسب الافريقى البدائى شعورا بالمقدرة على قوى الطبيعة اذ لا تكفى مقدرة الانسان وحدها في مواجهة الطبيعة ، لذلك يندفع الى الاعتماد على ماوراء الطبيعة لعون ذاته ، ومن ناحية أخرى تعتبر صناعة السحر بديلا للعقيدة في القوى الالهية عند هؤلاء**

وعقيدة وجود الله في الأديان ، تمثل الرابطة بين البشر وقوة الطبيعة الغامضة في الدنيا ، وهكذا كان ايمان الافريقيين بالارواح يضاف الى ذلك اتجاههم الى المحافظة على الارتباط الوثيق بأسلافهم والطبيب الساحر وسيلة مواتية تحقق هذا الغرض ، ويندر بين الافريقيين البدائيين من يؤمن بأن أى امرىء يموت ميتة طبيعية

اذ لا بد أن تكون احدى التعاويذ قد ألقيت على فرد ما فسببت وفاته ، واذا مرض الانسان فهو مسحور ، لذلك يستأجر الافريقيون أطباء السحر لالقاء التعاويذ على أعدائهم أو لتفادى مما يلقى عليهم من الغير

على أننا مع هذا يجب ألا نسخر من عادات الافريقيين السحرية ، فكثير من التعاويذ لا تزال تستعمل فى عصرنا المتحضر الحديث ، تعاويذ تمارس فى حفلات أو تتمثل فى حمل بعض المواد ، كحفلات الزار فى مصر مثلا ، أو كحمل ذيل الثعلب فى بعض السيارات ، أو التشاؤم من رقم ١٣ ، أو النقر على الخشب ، كما يحدث فى أوروبا . وقد تبدو بعض الخرافات الافريقية مشوبا بامزريا ، ولكنه لا يبعد أن تستند الى أساس معين وهى مهما كانت تمثل تفكير مجتمع أفريقى ، أغلق الاستعمار عليه منافذ المعرفة

فالافريقيون يتمسكون بخرافاتهم القديمة ، ومعتقداتهم الدينية فى قوة واصرار أمام الضغط الغربى الذى يحطم القبائل ويقضى على كثير من عاداتها ، وهم فى حاجة مضاعفة الى الامن الشخصى ، لان الامن الذى كانت توفره القبيلة فى الايام الخوالى قد بدأ فى الزوال ، وهم يجدونه بين العرافة والسحر ، وهم يفضلون أن يتبعوا الارواح من ألا يتبعوا شيئا ما ، ونتيجة لذلك يلاحظ المرء التلاصق والتقارب العجيبين بينهم

وتعتبر افريقية قارة شديدة الاختلاط تنتشر صناعة السحر بين مجتمعها ، بل تأتى بنتائج محيرة للأوروبيين فى كثير من الحالات .

ان أساطير افريقية ، جمة كثيرة ، تزخر بألوانها المختلفة لان شعب افريقية عاش ولا يزال ، منطويا على نفسه . يضرب الاستعمار الغربى عليه الحدود ، ليزيده انطواء أمام قواه الغاصبة ، واذ يجد فيها أمنه ينسى فى ظلها مصالحه الحيوية ، ويمكن الاستعمار من التلاعب بمصيره .

ولقد بدأ هذا العهد أخيرا ، يطوى صفحاته المظلمة ، منذ أن تيقظت هذه القارة ، لتزيح عن نفسها كابوس الاستعمار الغربى الجاثم على صدرها .

وتستضىء بأضواء المعرفة والفكر الحر الجديد ، وتنتشى وتنضج جفنها الوسنان بأنداء الحرية لتودع حياة الظلمة وتستقبل الحياة الكريمة .

الروح الأفريقية في الموسيقى

للاستاذ حلمى شعراوى

صفة « الافريقية » التى تطلق على مختلف الظواهر البشرية أو غير البشرية فى هذه القارة من الصفات التى لم يتفق عليها بعد جميع الكتاب وانما هى تختلف باختلاف ميول الكاتب أو ثقافته .

ولئن كان هناك شبه اجماع فى هذه المسألة فهم دائما مايتفقون على أن كل ماهو افريقى انما يبدأ من جنوب الصحراء الكبرى . هكذا نجد عناوين الكتب نفسها مثل المرجع الكبير للورد هيلى عن افريقية كلها وكذلك كتاب لليونسكو عن حركة التدين والتعمير .. الخ « جنوب الصحراء » ايضا ولا ندرى كيف يعتبرون موريتانيا مثلا فى أفريقية الغربية « الفرنسية » من ضمن بلاد جنوب الصحراء ! ! ولكن كاتبا من كتاب تاريخ الفن أمثال م. آدمز حين يتكلم عن الفن الافريقى ضمن الفنون البدائية التى يضمها كتابه « الفن البدائى » يذكر شمالى افريقية كجزء ، ثم يذكر جنوبى افريقية وغربها .

أما بالنسبة « للموسيقى » أو الفنون عامة فنجد كذلك أن كلمة افريقى تعنى عند معظم الكتاب «الفن الزنجى» ، وما دام الأمر كذلك فلا داعى للارتحال الى هذه المناطق النائية فى القارة المظلمة ، وانما هم يعتبرون « زنوج » أمريكا ممثلين للزنوج فى كل افريقية وما ينطبق عليهم ينطبق على القارة كلها ، ونجد مثلا كاتبا مثل فونك فى قاموسه الخاص بالفولكلور والميثولوجيا يعرف الفولكلور الزنجى بأنه : « **اسم يطلق اليوم على الفولكلور فى افريقية جنوب الصحراء وكذلك فولكلور الزنوج فى أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية حيث يعيش آباء الزنوج العبيد** »

وهذه مغالطات جغرافية لاحد لها، ولكن الشائع أن كلمة Négro تعنى افريقيى غرب افريقية بوجه خاص باعتبارها منطقة كانت يوما ما مصدرا للزنوج العبيد الذين استوردتهم أوروبا للعالم الجديد .

أما بقية الافريقيين فهم عناصر « البانتو » جنوب القارة صاعدة نحو الشرق ، وهى منطقة عاش فيها معظم الباحثين فى هذه الفنون ، ولذلك صدرت شواهدهم منها على نحو ماسنرى . أما نحن هنا فسنذكر الخصائص العامة التى تدور فيها الفنون فى أنحاء القارة مؤمنين بفكرة « الدوائر الحضارية » التى خلقتها أو عاشت فيها شعوب افريقية نتيجة المؤثرات المختلفة والتى تلتقى لتكون « روح افريقية واحدة » .

هذه مسألة ، والمسألة الاخرى التى احب ايضاحها للقارىء كذلك هى سبب اختيار « الموسيقى » موضوعا نقدم به الروح الفنية الافريقية . وقد اعتاد بعض الكتاب كذلك أن يفضلوا فنا على آخر فى هذه المسألة ، ولكن النظرية العلمية الاجتماعية التى تربط الفن بالعمل ، ثم تربطهما الاثنين

بمستوى أدوات الانتاج التي تسود المرحلة التاريخية للمجتمع ، هذه النظرية تجعل الموسيقى والرقص وفن الكلمة يكمل كل منها الآخر ، بحيث لايمكن فصلها بهذه الطريقة الميكانيكية ، ذلك أن الرجل البدائى حين يعمل بيده يحاول أن يكسب عمله نوعا من الايقاع يهون به على نفسه ، وهذه الايقاعية نفسها هى التي تميز ترانيمه الدينية فى صياغة الكلمة ، ثم هى التي تميز حركة بدنه فى الرقص و «الدقات» التي يترنم ويرقص على أساسها ، أى الموسيقى ، فاذا ماتقدمت بعد ذلك وسائل الانتاج وتغيرت فنون الشعر وأساليب العبادة بقيت الموسيقى محتفظة بخاصية الايقاع الاولية ، ولذلك كان اختيار الموسيقى للتعبير عن الروح الفنية الافريقية صادرا عن اصالتها فى الاحتفاظ بأهم الخصائص الفنية الاولية .

والافريقى على وجه الخصوص **« تجرى الموسيقى فى دمه من المهد الى اللحد »** على حد تعبير كيربى وهو من الكتاب الفنيين المعروفين .

ومهما كانت المناسبة فى الحياة الافريقية فلا بد أن تكون هناك موسيقى ، وهى لاتكون فى المجال زينة وترفيها عن الحاضرين ، وانما تكون جزءا وظيفيا من النشاط ، فهى العامل الدائم الوحيد الذى يتطرق الى كل أنسجة البناء الاجتماعى والحياة الخاصة ، وهى من العوامل القوية لحفظ الاخلاص والمعتقدات القبلية . وكل فرد يهزه صوت الطبول المقدسة التي لايدقها الا طبالون رسميون طبقا لايقاعات مرسومة ، كما تصاحب الموسيقى احتفالات جاب الامطار ومناسبات الميلاد والبلوغ والزواج والمرض والموت ، ولكل من هذه الاحتفالات أغان وموسيقى خاصة ، بل تعتبر التفاصيل الموسيقية عند قبائل الماروزى جزءا متمما لتفاصيل أداء الطقوس الخاصة بهذه الاحتفالات »

من أجل ذلك فنحن قبل أن نسير فى موضوعنا بطريقة التعميمات أو المبادىء العامة لابد أن نشير الى أننا نقصد بالموسيقى الافريقية موسيقى الشعوب الاصلية الصادرة عن حياتهم العامة لاتلك الموسيقى المصاغة فنيا وفرديا ، مما قد تكون فى طريقها اليوم لدى الشعوب المستقلة والمتعلمة ، فهناك نص لكاتبة فنانة يوضح هذه المسألة جيدا نورده هنا : تقول مرجريت بوتشر : اذا كانت الموسيقى تقية صادرة أصلا عن الناس انفسهم ويستخدمونها هم فانها تسمى حينذاك موسيقى فولكلورية اى شعبية بمعنى الكلمة Folk Mivsic أما بعد أن تصبح العناصر الشعبية اصطلاحية وينتشر تقليدها فى مختلف المستويات فانها تسمى موسيقى شعبية بمعنى شائعة ذات أصل فولكلورى . أما حين تتطور وتصاغ فى تكنيك الموسيقى الرسميه فانها تسمى «موسيقى كلاسيكية» .

ونحن هنا نقصد النوع الاول أى « الموسيقى الشعبية » التي تعبر بحق عن الروح الفنية لشعب من الشعوب ، وان كانت هذه الزاوية لم تجد كثيرا من الدارسين الذين يقتربون من الروح الافريقية ، وانما اكتفى كما ذكرت باعتبار موسيقى الزنوج فى أمريكا هى المعبرة عن الموسيقى الافريقية بعامة ، أن توفر من المخلصين للفن أمثال أ.م جونس الذى ارتحل الى وسط أفريقية الشرقى ، فعاش فى رودبسيا وما حولها حوالى عشرين عاما قدم خلالها عدة دراسات هامة تعتبر أوفى المراجع فى هذا الصدد ، كان آخرها وأجلها كتاب « دراسات فى الموسيقى الافريقية » صدر هذا العام فقط . ومن الجهود التى تبذل فى هذا الميدان كذلك

« مجلة الموسيقى الافريقية » بلندن، وجمعية الموسيقى الافريقية التى أنشئت حديثا بجوهانسبرج . وهذه الجهود محاولات لابراز خصائص الموسيقى الشعبية فى جهات أخرى غير مراكز الزنوج فى غرب أفريقية أو أمريكا ..

وسنذكر هنا بعض الخصائص التى يتفق عليها معظم الكتاب خاصة بالموسيقى الافريقية على نطاقها الواسع .

فالايقاع من أكثر الخصائص الفنية لموسيقى الافريقية ميزة ، وقد بينا كيف أنه نتيجة طبيعية للحياة الاجتماعية الانتاجية نفسها ، ولكن الأهم من ذلك أن « جونس » لايرى فى ايقاع الموسيقى الافريقية هذه البساطة التى يعنيها « **الايقاع** » فى كل موسيقى بدائية، ذلك أن الموسيقى الافريقية تتميز بتعدد الايقاعات بما يعتبر مقدمة للموسيقى الهارمونية ، بل انها نوع من الهارمونى نفسه فى الموسيقى . وهو يقدم هذه الفكرة بمثال عملى من دراسته وان صعبت ترجمته ، الا أنه مبسط الى حد كبير فهو يقول « ان أبسط صور هذا المبدأ هى كالآتى : اذا عزفت طبلتان فى ٣/٨ الزمن وبنفس السرعة فان الدقة الرئيسية للطبلة الثانية تكون متآنية مع الدقة الثانية أو الثالثة لعصا الطبلة الاولى ، والضربات الرئيسية لعصا الطبلتين الاخريين لايمكن أن تتفقا » .

ويقول : ان عالما يستخدم « تعدد الايقاعات » تستطيع موسيقاه أن تعبر عن نفسها بعدة وسائل ، فيستطيع أحدهم أن يعزف اللحن على آلات مختلفة الصور ، كما يستطيع آخر أن يؤلف نسقا متكررا من ألحان مختلفة ، بل أنه مادام الامر كذلك فى تعدد الايقاعات فان المرء يواجهه بسلسلة منها تصحب كل تغير فى الزمن الموسيقى الذى تتبعه

وليست الايقاعية هى وحدها أبرز الصفات الخاصة بالموسيقى الافريقية إذ أن « السرعة » كذلك من أبرز خصائص « تكنيك » العزف عند الفنان الافريقى ، فالموسيقى الافريقية تسير أسرع بكثير من مستوى « التمبو » الغربى ، والمعروف عن مستوى سرعة « الطبلة » هو سبع دقات فى الثانية الواحدة ، ويمكن صياغة ذلك بصورة أخرى مألوفة حين نقول ان سرعة تتابع الدقات المعزوفة لنغمة دو = ١٤٠ ، ولكن الافريقى حتى اذا كان متأثرا بالطريقة الاوروبية فى العزف فى الزمن العادى فانها ستصدر عنه ٣/٨ ، ٤/٤ .

ومن المسائل التى تسترعى النظر كذلك فى مجال الموسيقى الافريقية بجانب تشابه الخصائص التكنيكية العامة، أننا نجد تشابه الآلات الموسيقية نفسها مما يؤدى الى تشابه الالحان أو التقاليد الفنية وبالتالى التراث الفنى لشعوب هذه القارة . ويذكر جونس كذلك أن الآلات الآتية أسماؤها من أكثر الآلات انتشارا فى أنحاء القارة مثل : الأيديوفون والايروفون والنجافون الممبر انوفون كما حاول الدكتور أولجابون أن يضع خريطة لتوزيع آلة الاكسلوفون Xylophoné فى أنحاء القارة نتيجة لانتشارها وان كانت هناك بعض الجهات لاتستخدمه .

ولكن آلة مثل السانسا Sansa أو Kaffir Ciano أكثر شيوعا من الاكسلوفون ، فهى منتشرة عند قبائل البانتو كما أنها كذلك فى افريقية الوسطى والكنغو وغرب افريقية ، وهى آلة تشبه العود لها جهاز صوتى خشبى وشوكة معدنية ، وقد تكون غابة أو مزمارا ذا مفتاح منزلق . ويذكر جونس « أنه بجانب مالانتشار

وشيوع هذه الآلة من دلالة فى ذاته ، يلاحظ أن الالحان التى تعزف عليه فى مختلف الجهات ذات تقاليدواحدة بذاتها ، ولا تستطيع أن تفرق فى تسجيل جرامافونى بين مايصدرمن عائلة لغوية وما يصدر عن غيرها مصاحبا لألحانه » .

ومن التقاليد الموسيقية الاخرى الشائعة الاستخدام ، استعمال **العصا الموسيقية** فيقف ثلاثة رجال ممسكين بثلاثة أزواج من هذه العصا يهزونها معا ليكونوا ايقاعا موسيقيا متداخلا كقاعدة موسيقية مرحة للمغنى والكورس على السواء، وهى منتشرة فى غانا — أصلها — ولكنها شائعة فى جنوب ووسط افريقية مع قبائل البانتو .

وتجمل مرجريت بوتشر بعض الخصائص العامة للزنوج من غربى افريقية وفى الامريكتين على أساس التقاليد الفنية من ناحية والظروف التاريخية من ناحية أخرى ، فهى ترى فيها ميلا الى التدين « والروحانيات » التى تعيش فى ظلها قبائلهم ، كما قد أكسبتهم ظروف العبودية التى تعرضت لها هذه المنطقة بالهجمات الاوروبية لاستعبادهم وما عانوه فى جو العبودية نفسه بعد انتقالهم ، كل ذلك صب عليهم لونا من الحزن والكآبة وان احتفظت الموسيقى بحيويتها ، ولكنها تؤكد أن روح المرح والمزاح والسخرية والشعور الدائم بالسرور ، هذا هو مايميز الموسيقى الزنجية ، وأخذته عنها الموسيقى الامريكية الحديثة .

كما أن الفنان الزنجى الذى يحتفظ بالطابع الايقاعى العام فى القارة لديه قدرة على التقسيم الموسيقى ، ولا تقتصر التقاسيم عنده على الموسيقى ، بل هى فى الرقص كذلك ، وتمتد قدرته على التقسيم فى الرقص الجماعى لاالفردى فحسب، وبالرغم من أن الرقص الزنجى يبدو دائما كأنه مجرد حركة أرجل الا أن الايقاع الموسيقى يبدو تأثيره على الرقص من أول وهلة

وتثار بالنسبة للموسيقى الافريقية دائما مسألة حرية الفنان الافريقى فى التنويع والتجديد الى حد يجعل بعض الكتاب يسمون هذه الخاصية بالارتجال ، مما لايجعل هناك قانونا فنيا . والحق ان الافريقى متهم فى هذه الخاصية ، كما تتهم الموسيقى الشعبية دائما فى كل البلاد التى لاتجد من بين أبنائها أنفسهم من يتفهم الفن الشعبى على حقيقته ، ويدافع عن جوهره فى القدرة على التنويع الابداعى .

وليس التجديد أو التنويع صفة مطلقة فى الموسيقى الافريقية ، وانما هى مقيدة بتقاليد فنية لاتدع مجالا لهذا الاتهام ، فالفنان فى القبيلة له وضعه « الرسمى » ، بل ان له صفة مقدسة ، ذلك لانه يصاحب أداء الطقوس الدينية ، بل يساهم مساهمة فعالة فى تأديتها ، والذين لهم هذه الصفة فى القبيلة كالساحر أيضا لايمكن أن تتداول مهنهم بسهولة ، وانما هم يعلمونها ويورثونها لأجيال أخرى جديدة تتناقلهاعنهم ، وتشكل بما يمكن تسميته بطبقة الفنانين ، كما تعرف الجمعيات السرية للسحرة فى النظام القبلى ، فاذا مافهمنا هذا الوضع الاجتماعى للموسيقيين أصبح من الصعب اتهام الموسيقى بالارتجال، وانما هو تجديد وابداع مستمر من جانب انسان ليس عاميا ولا مبتذلا ، وانما هو « متعلم » فهم الصنعة من أهلها ، فاذا دعاه الموقف الانفعالى أو الاجتماعى الى تنويع الالحان أو تعدد الايقاعات فلن يكون ذلك ارتجالا ، وانما هو صادر عن الاصول الفنية التى يحفظها فى باطنه .

وهنـاك مسألة تعتبـر تاريخيـة بالنسبـة للموسيقى الافريقيـة من جانب ، إلا أنها تفيدنا فى بيان وحدة الملامح العامـة للموسيقى الافريقيـة من جانب آخـر ، تلك هى مسـألة ارتباط الموسيقى بالغناء أو الكلمـات وقد قلت انها مسألة تاريخية ، لان الفنـون فى مراحلهـا الاولى تكـون متشابكة يعتمد بعضهـا على البعض الآخر ، وكلماتقدمت آلياتها من ناحية وتقدمت الحياة الاجتماعية من ناحية أخرى ، انفصلت الفنون بعضها عن بعض . أما الذى يفيـدنا فى هـذه المسألة فهى أن الالحان التى تتعـدد بتعدد ماوراءها من الكلمات تجمعهـا صفات خاصـة ، وتعزف على آلات واحدة أو متقاربة على نحو ما رأينا. وقد وجد الاستاذ جاثرى فى «تصنيف لغات البانتو » أن هناك حوالى ٧٠٠ قبيلة يكاد يكـون لكل منها لهجتهـا الخاصة ، وان كانت كلها تكون عائلة لغوية واحدة الا أن وسترمان قـد أحصى ٩٠٠ لهجة فى غرب افريقيـة ليست كلها من عائلة لغوية واحدة ، غير ان هذه الاختلافات اللغوية الكبرى فى افريقية لم تنته الى نفس الاختلاف فى نواحى الحضارة الاخرى كالموسيقى ، اذ قد رأينـا كيف تتشابه الالحـان الصادرة عن نفس الآلات فى مختلف جهات القارة ، مما يجعلنا نتفاءل أكثر بأن استقلال اللغة عن الموسيقى الذى سيحدث نتيجة التطور سيجعل الروح الموسيقية الموحدة فى الالحـان بارزة الوجود والاثر ، ويجعل التقارب الفنى الذى قـد لايكون متحققـا نتيجـة الاختلاف اللغوى المرتبط بالموسيقى . ممكنا أكثر من ذلك .

ويحاول بعض الكتاب دائما الفصل بين « شمال الصـحراء » وجنوبهـا كما بينا أول المقال ، وأن يعمم ذلك على الظواهر الانسانية المختلفة متخذا لذلك أسسا مختلفة. وجونس نفسه يفعل ذلك حين يسمى الجزء الشمالى « اسلامى » ، ثم يأخذ فى الحـديث عن « الموسـيقى الاسلاميـة » التى تختلف عن « الموسيقى الافريقية » ، والمقابلة هنا خاطئة بالطبع من حيث المبـدأ والاسـاس وان كان يمكن أن يكون صاحب حجة فنية فى ابراز فوارق بالفعـل ، الا أنها فى نظرى يجب أن تعتبر فوارق فى المناطق المختلفة للقارة لا فوارق بين أساس دينى وأساس جغرافى. وعلى الرغم من أننا سنورد هنا مجملين نواحى مفارقاته فاننا نحب أن نذكر أن العناصر العربية (وكلمة عربية أقرب الى الحقيقة الاتنولوجية من كلمة اسلاميـة) قد امتدت فى التاريخ خلال صحارى غرب افريقية، وتكونت امبـراطوريات افريقيـة اسلامية عربية فى غربى افريقية مثل امبراطورية «مالى» ومملكة السنغال، ومازال الى الآن ملوك الاشـانتى فى غانا ومسلمو نيجيريا الشمالية شواهد على امتـداد التراث العربى ممزوجا بالدم الافريقى فى غرب القارة . وهذه العـلاقة جـديرة بأن يبحث آثارها الفنيـة العلمـاء ، وان كنت لا أملك دراسات تحت يدى الآن فى هـذا الموضـوع . أما فى شرقى افريقيـة فالعناصر العربية راسخة الجذور ، وأصـبح الدم الافريقى والعربى غير متميزين الى حد كبـير فى زنجبـار وبالتدريج فى تنجانيقا والى حد كبير فى أرتريا والصومال .. الخ ، أما من الناحية الفنية فمما لم يذكره المؤلفون الافاضل أن الآلات الموسيقية الرئيسية التى تقوم عليها الاغنيات والرقصات الشـعبية للشباب الافريقى الارترى مثلا هى العود والكمان بصورته الشرقية وقد رأينا ذلك فى القاهرة حين عرض الشباب الارترى رقصة « الكوداه » أو هز الكتف فى عدة مناسبات ، وهى آلات شرقية معـروفة ، حتى لقـد

ذكرت السيدة «بثينة فريد» أن هز الكتف فى هـذه الرقصة هو الفن العربى الاصيل الذى تحول فى شمال القارة الى « هز البطن » شمال القارة بشرقيها على هذا النحو. ومع ذلك فسنجمل هنا قول الاستاذ جونس اذ يقول: " لقد انتشر الاسلام فى افريقية ، ولكن « الموسيقى الاسلامية » تختلف تماما عما ندرسه هنا — يقصد الموسيقى الافريقية — ان للاولى جذورها فى الشرق وتنبع أصولها من ايران والهند ، وهناك أربعة فروق بينها وبين الموسيقى الافريقية :

أولا : ان الموسيقى الاسلامية تقوم على « قالبية الايقاع » وهو أكثر بساطة من الايقاعات المعقدة الافريقية ، كما تجد فيها الايقاع الفردى كأساس للاغنية .

ثانيا : فى الموسيقى الافريقية يصاحب الغناء تصفيق بالايدى أو الاصوات الجماعية ، أما الاسلامية فتغلب الآلات الوترية يصاحبها صوت فردى مرتعش .

ثالثا : تتميز الموسيقى الاسلامية بغلبة النتاج الصوتى على الموسيقى واختفاء اللحن وراء الاصوات أما الافريقيون فمثل الاوروبيين ، أغانيهم ذات نغم مفتوح .

رابعا : لا يوجد فى الموسيقى الاسلامية أي هارمونى .

وأعتقد أن هذه المفارقات ستكون موضع نظر المتخصصين .

أما وقد استطعنا الآن أن ندلى بطرف من الحديث فى الموسيقى الافريقية فلابد أن نردد سؤالا تساءل عنه معظم الكتاب الفنيين ونتساءل عنه جميعا ازاء كل فن وهو هل يمكن للموسيقى الافريقية أن تكون عالمية ؟

والحق أن هذا موضوع طويل يمكن أن يقوم بنفسه ، الا أننا يمكن أن نجمل الاجابة استخلاصا مما ذكرناه من الخصائص العامة ، وهى أن الموسيقى

الافريقية وهى فى مستواها الشعبى بعد تتمتع بخصائص ثلاث ترفعها الى المستوى العالمى كما يرى لورد هيلى كذلك .

أولها : الالحان التى تتجمع فى بناء موسيقى يميز الموسيقى الافريقية وان بدا أن هذا البناء حر يعتمد على التنوع ، الا أنه منظوم وله مقاييسه ، وهذه خاصية عالمية .

ثانيا : ان هذا البناء الموسيقى يتكون من سلسلة من الايقاعات المختلفة التى تصدر معا فتكون قاعدة للهارمونى ، وهو خاصية عالمية

ثالثا : تلقائية الابداع المتوفرة عند الفنان الافريقى وهى خاصية هامة فى الفن الموسيقى الذى يعتبر القدرة

على التنويع والتجديد فى كل من الكلمات والالحان خاصية لها أهميتها فى القدم الفنى .

حلمى شعراوى

المراجع

— Jones' A.M' Studies in African Music, London 1959.

— Butcher, M. J : The Negro in American Culture 1958

— Haily' L. Africa Survey' South Sahara 1956.

طبيعة الحركة التحررية فى أفريقية

بقلم
عبد الواحد ابراهيم حسن

فى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن فى افريقية سوى ثلاث دول فقط تتمتع باستقلالها ، وهى : ليبيريا فى الجنوب الغربى ، ومصر فى الشمال الشرقى ، واثيوبيا فى الجزء الشرقى من القارة . كما كان يوجد أيضا بجانب هذه الدول الثلاث : اتحاد جنوب افريقية الذى يمثل جزءا من الكومنولث البريطانى . وكان له فى الوقت نفسه وضع متميز خاص ، ذلك لان هذه المنطقة لاتعد فى الواقع دولة من الدول التى يتولى أهلها الاصليون ادارة مقدرات بلادهم وتوجيهها بأنفسهم ، ولصالح شعوبهم ، بل هى دولة نرى فيها مجموعة من المستوطنين ذوى الجنسيات المختلفة من بريطانيين وهنود وملايو وهولنديين ، ويمارس البيض فيها سياسة التفرقة العنصرية ، التى تتسم بطابع العنف بالنسبة لاكثر من ثلثى مجموع السكان .

ليبيريا :

تأسست ليبيريا فى حوالى منتصف القرن الماضى من طوائف الزنوج الامريكيين الذين تحرروا من عبودية الرجل الابيض فى الولايات المتحدة ، فى ظل ظروف معينة ، ولذلك فليس غريبا أن نرى ليبيريا فى شكلها السياسى ، وفى مختلف أنظمتها العامة صورة مصغرة للام أمريكا ، وحتى فى هذه الدويلة الافريقية نفسها تختل موازين الحقوق السياسية بين سكانها ، فالسلطات والامتيازات والحقوق الانسانية قاصرة على الزنوج الامريكيين وسلالتهم ، بينما يعيش سكان البلاد الاصليون فى وضع شاذ عجيب ، شأنهم فى ذلك شأن الافريقيين فى جنوب القارة .

امبراطورية الرجل الابيض :

وفيما عدا هذه المناطق ، كانت جميع أجزاء القارة تمثل امبراطورية المستعمرات الواسعة ، التى تتقاسمها كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا . وحتى فى الحرب العالمية الاولى ، كان يشترك فى حكم هذه الامبراطورية أيضا كل من ألمانيا وايطاليا ، ولكن لم تكد الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها حتى انتزعت من هاتين الدولتين ما كان لهما من مستعمرات فى افريقية ، ثم وضعت تحت اشراف عصبة الامم ، التى عهدت الى كل من بريطانيا وفرنسا واتحاد جنوب افريقية وايطاليا بادارة أمورها فى شكل يعرف فى السياسة الدولية باسم « الانتداب » .

فجر الكفاح فى افريقية :

وأحست الشعوب الافريقية بمدى الحيف والظلم الواقع عليها ، فاستيقظت لتطالب بحقوقها الانسانية الاساسية ، خصوصا وأن الحرب العالمية الثانية قد أحدثت تغيرا ملحوظا فى الاوضاع الدولية . فقامت حركة تهدف الى تصفية الاستعمار ونظمه وأساليبه فى افريقية ، وبدأت هذه الحركة أولى معاركها فى مصر ، وبالذات فى منطقة قناة السويس ، حيث احتدم الصراع بين جزء من

الشعب الافريقي يمثله الشعب المصرى ، وبين جنس أبيض من هذه المجموعة الاوروبية التي تستنزف خيرات القارة ، وتتمثل فى الجيش البريطاني الذى كان يعسكر فى منطقة السويس ، واستطاع الشعب المصرى الافريقي فى ظل حكومته الشعبية الجديدة أن يحرز انتصارا على بريطانيا انتهى بمعاهدة تقضي بجلاء القوات الانجليزية عن مصر .

ونتيجة لهذه الاتفاقية الانجلو مصرية انتهى نظام السيادة على السودان ، وظهرت على مسرح السياسة الدولية جمهورية السودان المستقلة التي بدأت تلعب دورها فى النطاق الافريقي الجديد .

وسرعان ما انتشرت حركة تحرير افريقية حتى شمال القارة أيضا حيث حصلت المحميتان الفرنسيتان — مراكش وتونس — على استقلالهما ، ثم تبع ذلك استقلال ليبيا التى كانت تحت نظام الانتداب . ومن شواطىء البحر الابيض المتوسط ، وعن طريق الحزام الشمالي لافريقية ، حيث لايزال شعب الجزائر يواصل كفاحه مع فرنسا للحصول على استقلال بلاده ، امتدت الحركة المعادية للاستعمار الى أعماق القارة فحصلت المستعمرة البريطانية — ساحل الذهب — على استقلالها وأصبحت دولة غانة الجديدة ، وفى الوقت نفسه أعلنت غينيا — التى كانت تعتبر جزءا من ممتلكات فرنسا فيما وراء البحار — استقلالها على أساس حرية تقرير المصير .

وأخذت الشعوب الافريقية تحطم أسوار العزلة التي فرضتها عليها الدول الاستعمارية ، وبدأت أروقة هيئة الامم المتحدة ، ومنظماتها الدولية تعرف مندوبى عشر دول افريقية مستقلة ، يقدر عدد سكانها بحوالي ٨٠ مليون نسمة . ومن المتوقع فى نهاية العام القادم أن تنضم الى مجموعة الدول الافريقية المستقلة ثلاث دول أخرى كانت تحت الوصاية وهى : مستعمرات الكاميرون ، وتوجولاند ، والصومال ، وزيادة على ذلك فان بريطانيا تتأهب الآن لتحويل نيجيريا الى دولة مستقلة ، داخل نطاق الكومنولث .

والمعروف أن حوالى ثلثى سكان افريقية اليوم يعيشون فى ظل أشكال مختلفة من النظام الاستعمارى ، ومعظمهم يقطن الاجزاء الجنوبية والوسطى من افريقية ، وقد امتدت موجة الحركة المعادية للاستعمار فى كل زاوية من هذه البلاد الشاسعة ، وتبلورت فى شكل كفاحى يقوم به الافريقيون من أجل تحقيق الاستقلال والمساواة ، وبدأت القارة الواسعة تستيقظ من سباتها العميق ، الا أنه — لسوء الحظ — لايزال يوجد عامل عكسى مشترك يؤثر اليوم تأثيرا قويا على مصير كل من الحركة المعادية للاستعمار فى افريقية وتطورها ، وعلى تقدم الشعوب الافريقية نفسها أيضا ، هذا العامل هو وجود درجة من التخلف النسبى فى الميدانين الاجتماعى والاقتصادى ، الامر الذى أصبح له وزن فى معركة الاستقلال داخل المناطق المستعمرة ، كما أصبح له أيضا أثر بارز فى التطور الاجتماعي والاقتصادى ، لكل الشعوب الافريقية التى تحررت أخيرا ، ومن ثم فان الحركة المعادية للاستعمار فى افريقية بأهدافها ووسائلها الخاصة قد وجدت استجابة قوية لدى شعوب المناطق التى لم يتكون فيها بعد شكل الدولة ذات المقومات المعروفة ، كما وجدت أيضا اهتماما بالغا من كل الشعوب الافريقية التى تحررت فعلا وأحرزت استقلالها وسيادتها . ذلك لان هذه الدول المستقلة لاتستطيع أن تحمى

استقلالها وسيادتها مالم تكن يقظة بطريقة ايجابية لخطورة المستعمرين وأطماعهم . وهذا هو الاساس الذى يمكن فى ضوئه فهم معنى أهمية تضامن الشعوب الافريقية كلها ، بالرغم من ان هذه المسألة قدأصبحت — الى حد ما — مشكلة معقدة بسبب طبيعة الاختلاف والتنوع البارز فى المصالح الافريقية التى كثيرا ماانتهت الى وجود متناقضات معينة ، والتى أدت الى خلق وجهتى نظر فى وسائل نجاح الحركة المعادية للاستعمار ، كما سنرى .

سياسة جديدة للاستعمار :

وبانتشار الحركة المعادية للاستعمار — بالرغم من الاختلاف فى تحديد طبيعة وسائل هذه الحركة — وبتقوية روح الاصرار على تحقيق الاستقلال بين الشعوب الافريقية ، وجدت السلطات الاستعمارية نفسها مضطرة الى اتباع سياسة جديدة تتلخص فى ادخال طائفة من الاصلاحات فى المستعمرات التى تفرض سلطانها عليها . وبدأت كل من بريطانيا وفرنسا ، تعلن أمام الرأى العام العالمى عن عزمها على تنفيذ الاصلاحات التى ترفع من مستوى شعوب مستعمراتهم ، ذلك لكى تخمد حركة التحرر وتضعف من حماسها ، ولكى يتسنى لها فى الوقت نفسه ضمان وجود هذه المستعمرات فى نطاق السيادة الاوروبية ، وأخذت السياسة الفرنسية ترسم برنامجا عجيبا لعلاقاتها مع ما تسميه مناطق فرنسا فيما وراء البحار ، فمن بينها مناطق ذات حكم ذاتى محلى وأخرى تتمتع بدرجة من التطور السياسى الخ . ولكل شكل من أشكال هذه المناطق نوع من العلاقة مع فرنسا داخل المجتمع الفرنسى السياسى الجديد . والمتوقع أن هذا الشكل من العلاقات بفرنسا — كما يراه المراقبون الدوليون — لن يكون أكثر من كومنولث فرنسى يوجد بجانب شقيقه الكومنولث البريطانى . وعندما طلب الى سكان المستعمرات الفرنسية فى افريقية أن يعلنوا — أثناء الانتخابات التى أجريت لهم — رأيهم فى اختيار شكل من أشكال هذا الاتحاد مع فرنسا ، أو تفضيل الاستقلال ، أسرعت الى اختيار جانب الحرية .

وتعتقد فرنسا أن برنامج ديجول الاصلاحى معناه أن الحكومة الفرنسية قد خطت خطوة واسعة فى سبيل حل مشكلة المستعمرات الافريقية ، كما ان هذه الحركة من جانب فرنسا قد كان لها مثيل لدى الحكومة البريطانية ، بالرغم من أن بريطانيا تحرص دائما عندما تحاول علاج مشكلات المستعمرات بتنفيذ برامج اصلاحية على أن تلجأ الى العلاج بروح من التحفظ التقليدى ، والتدرج البطىء ، فتارة تمنح بعض المناطق — بصورة بطيئة جدا — شيئا من نظام الحكم الذاتى ، وتارة أخرى تحقق للشعوب (المطالبة باستقلالها) بعض أهدافها . لكن ذلك لايعنى أن بريطانيا جادة فى التخلى عن مستعمراتها الافريقية ، فهى عندما تمنح احدى مناطق مستعمراتها الحكم الذاتى المحلى ، فانها تفعل ذلك مضطرة لاخماد ثورة عارمة ، يكون شعب هذه المنطقة قد قام بها للمطالبة بحقه فى المساواة السياسية الدولية ، واذا مااستجابت لشعب آخر يكون قد حظى بشىء من الحكم الذاتى المحلى ومنحته الاستقلال الذى يطلبه ، فانما يكون ذلك بشرط دخوله فى نطاق الكومنولث ، وبذلك فهى تحاول دائما أن تشدد قبضة نفوذها على مختلف المناطق الافريقية ، وهذه سياسة عرفت بها بريطانيا فى الفترة الأخيرة من حياتها السياسية .

على أن هذه الاصلاحات السياسية التى تقوم بها كل من فرنساوبريطانيا مضطرة أمام الظروف القائمة ،والتى تتجه الى منح الافريقيين بعض حقوقهم السياسية ، لايمكن أبدا — كما قال رادوفانوفيك — أن تحل مشكلة المستعمرات الافريقية فى جوهرها وفى أساسها . لان المفهوم أن هذه السياسة ليست الا لحماية السلطات الاجنبية ، والمحافظة على النظام الاستعمارى الذى يبقى على مصالحها . وحتى فى المناطق التى ينفذ فيها نظام ادارى يدعى المستعمرون أنه شكل انتقالى ، وخطوة تقدمية نحو تحويل السلطات الى نظام الحكم الذاتى ، حتى هذا النظام نفسه لايحظى بتمثيل مختلف عناصر السكان ، فهو دائما مركز فى العاصمة ، ووظيفة السيادة تكون دائما فى يد أعضاء وأجهزة هذه العاصمة .

ولا يستطيع الانسان أن يؤكد الغاء الوضع الاستعمارى فى أية منطقة من مناطق افريقية المحتلة ، مالم يكن هناك اعتراف تام بالاستقلال الكامل ، كما هى الحال فى غانة ، أو غينيا .

ولم تعد المسألة فى نظر العقلاء من أبناء افريقية مسألة اصلاح النظام الاستعمارى ، بل اصبحت المشكلة التى يعملون على حلها اليوم هى الغاء الوضع الاستعمارى الغاء تاما شاملا .

فهم يرون أنه مهما اتسعت دائرة تمتع سكان القارة بحقوقهم السياسية دون الاعتراف بحقهم فى الاستقلال التام ، فان ذلك سيكون له أثر ضار على تحسين الاحوال المعيشية للسكان ، لان هذا الوضع لن يساعد على الغاء تبعية مصالح الافريقيين السياسية والاقتصادية لمصالح المستعمرين البيض . ويرى « رادو فانوفيك » السياسي اليوغوسلافى الكبير : أن أى اصلاح يقوم به البيض فى المستعمرات الافريقية دون وجود اعتراف منهم بحق هذه الشعوب فى الاستقلال الكامل ، يمكن أن يعتبر من ناحية المستعمرين اجراءات لابد منها ، لحماية وضع السلطات الاستعمارية فى افريقية بطريقة تتفق مع الاحوال والظروف الجديدة ، كما يعتبر من وجهة نظر الافريقيين مرحلة من مراحل تصفية النظام الاستعمارى .

وبالرغم من ذلك ، فان الامور تسير بصورة مختلفة . كما تتطور بطريقة مختلفة ايضا ، وذلك فى الجزائر شمال القارة ، حيث تأخذ الحركة المعادية للاستعمار شكل الكفاح المسلح للحصول على الاستقلال التام ، وتتميز صورة المعركة فى الجزائر اليوم بطابعين :

الاول : ان فرنسا ليست مستعدة للاعتراف باستقلال الجزائر بحجة أنها جزء من الوطن الفرنسى .

الثانى : انجبهة التحرير الجزائرى لايمكن أن تقبل أى حل لايضمن للجزائر استقلالها الكامل . وهذا التناقض بين قضيتين احداهما صحيحة ، والاخرى لانصيب لها بالمرة من الصحة ، هو الذى يؤدى الى استمرار المعركة فى هذا الجزء من افريقية ، واحتدام جذوة الصراع المسلح ، مما اضطر فرنسا الى تركيز معظم قواها العسكرية والحربية فى الجزائر ، وسيؤدى حتما الى توسيع نطاق حركة المقاومة ضد فرنسا فى مناطق نفوذها الاخرى فى افريقية ، حيث تضعف هناك قواها .

ولو أن الشعوب الافريقية المستعمرة قد أصبحت تؤمن بمبدأ التطور السلمى للوصول الى الاستقلال ، فان معنى ذلك أن برامج الاصلاح التى يدعى الفرنسيون والبريطانيون أنهم سينفذونها فى مستعمراتهم الافريقية ستقضى — حتما — على روح الكفاح

ضد الاستعمار بين شعوب افريقية في المناطق التي لم تتحرر بعد .

ويرى رادوفانوفيك أن الحركة المعادية للاستعمار في افريقية اليوم تتأثر بعاملين يختلفان في المصدر والوسيلة ، يتمثل أحدهما في ضرورة الكفاح لكسب الاستقلال بصورة مباشرة ؛ والثاني يطالب بمزيد من الاصلاحات التدريجية التي تعد بها السلطات الاستعمارية ، حتى يمكن الوصول الى درجة من التطور السياسي ، يساعد الشعوب على تحقيق استقلالها الكامل . وهنا تبرز بعض الاستفسارات التي تتطلب ردا شافيا يحدد نوع الكفاح الذي لابد منه .

أولا : هل تتفق المصالح العامة لسياسة الشعوب الافريقية الدولية ، على مالها من وضع دولي معين ، مع مصالح السلطات الاستعمارية بما لها من مشكلات دولية معينة ؟ **ثانيا** : هل تتفق علاقات افريقية بمشكلاتها ، التي تعتبر نتيجة منطقية لارتباط الشعوب الافريقية بالحكومات الاوروبية ؟ **ثالثا** : هل تتفق علاقات وارتباطات افريقية بأوروبا مع الاستقلال السياسي لافريقية ؟.

لاشك في أن هذه الاسئلة ذات أهمية قصوى بالنسبة لتقرير موقف وطبيعة الحركة المعادية للاستعمار في افريقية .

والسؤال الذي يتردد الآن في الاوساط الافريقية المختلفة هو : هل الحركة المعادية للاستعمار يجب أن تأخذ شكل كفاح مسلح كما هي الحال في الجزائر وفي كينيا وغيرهما .. أم أنه لابد من أن توجه جهودها نحو مطالبة المستعمرين بالمزيد من الاصلاحات في الميدان السياسي ، حتى تتهيأ للوصول الى درجة الاستقلال الكامل ، كما هي الحال في نيجيريا وغيرها ؟

ويرى « رادوفانوفيك » ان الاجابة على مثل هذا السؤال أمر قد أصبح اليوم في يد الاحداث نفسها ، فالشعوب الافريقية لم تعد تطيق صبرا على سياسة العلاج البطيء الذي لا تؤمن نتائجه ، وحركة البعث التحرري التي انبثقت في أجزاء مختلفة من القارة الواسعة ستمتد حتما الى شتى مناطق القارة . والرأي العالمي الحر لن يترك الامور تسير وفقا لهوى الظالم على حساب المظلوم » .

***

ان اجراس الحرية تجلجل اليوم بصوت قوي عنيف في قارتنا الكبيرة الواسعة ، وقد نفض العملاق الاسود عن كاهله تراب العبودية ، وانطلق من قمقمه ، ولن تستطيع قوة ما كائنة على وجه الارض أن تعيده اليه مرة ثانية ! ..

قبيلة "فرانت" في غانة

بقلم جيمس رينولدز ايساندوه

تعتبر قبيلة « فرانت » من أكبر قبائل غانا عددا ، فهي تكون جزءا من مجموعة مايسمى بـ «الاكانز» التي تتألف من قبائل أشانتي وأكوابنز وفرانت .

واذا نظرنا الى تاريخ هذه القبائل وجدنا أن الاكانز كانو يمثلون قسما من مملكة غانة القديمة المستقلة ، التي تفككت أو زالت في حوالي القرن الثالث عشر . ثم وجدت آثار هؤلاء « الاكانز » في بعض مناطق مصر . ويقال انهم قد هاجروا الى أواسط افريقية ، بسبب ظروف مختلفة ، ثم كانت هجرتهم الثانية بعد ظهور الاسلام ، ومن هنا كونوا جزءا من امبراطورية « أوانس » في أشانتي . ولم يلبث أن نزح عدد كبير من هؤلاء المهاجرين الذين استوطنوا «تكيمان» في منطقة أشانتي ، في الاتجاه الجنوبي حتى وصلوا متفرقين الى الشاطىء . وعاش قسم منهم حول نهر (برو) في الجهة الغربية ، وأسس قسم آخر (أكواخا) في المنطقة التي يطلق عليها الآن اسم « منطقة الساحل ذي الرءوس » . أما الفريق الثالث من هؤلاء المهاجرين فقد قدر له أن يعيش في « الميناء » على بعد ثمانية أميال من منطقة الساحل ذي الرءوس .

وهكذا نرى أن قبيلة « فرانت » طائفة من المهاجرين الذين نزحوا من تكيمان في اتجاه الشريط الساحلي ، واتخذوا من منطقة الساحل عند « دينبو » مكانا استقروا فيه ، وعاشوا على أرضه . وتبعد «دينبو» هذه عن مدينة أكرا عاصمة غانة بحوالي ٢٣ ميلا ، وتمتد هذه المنطقة حتى تتلاقى بمنطقة أكسيم التي تقع في أقصى غرب الساحل .

على أن بلاد « فرانت » تمتد لمسافة تقرب من ستين ميلا ، وتشاركها في حدودها ، وعلى نطاق واسع قبيلة « الاشانتي » وقبيلة الاكوابينز ، وهما القبيلتان اللتان تؤلفان مع قبيلة فرانت مايسمى بالاكانز . وتختلف اللهجات بين هذه القبائل الثلاث ، الا أن التفاهم ، بالرغم من هذا الاختلاف اللهجي ، أمر يسير بالنسبة لأي فرد من أية قبيلة من هذه القبائل أو القبائل الاخرى . كما أن لكل قبيلة من هذه القبائل الثلاث عاداتها وتقاليدها الخاصة بها. ومع ذلك فان هناك لهجات كثيرة يتحدث بها أفراد قبيلة « الفرانت » ومن بينها لهجة يتكلم بها الجميع . ومن السهل معرفة الجهة التي ينتمي اليها المتكلم من أفراد القبيلة ، اذا لاحظنا طريقة اخراجه أصوات الكلمات التي ينطقها . وعلى أية حال فلم يعد ثمة شك في أن أفراد القبيلة كلهم مهما تكن الجهة التي يعيش فيها أي فرد منهم يستطيعون التفاهم بعضهم مع بعض .

ولا يشذ عن هذه القاعدة في مجموعة لهجات الفرانت سوى اثنتين منها ،

هما لهجة جماعة « ايفوتوس » فى « دينيا » ولهجة جماعة « تريماس » فى منطقة « اكسيم » .

تقاليد الزواج

أما تقاليد الزواج وعاداته بين أفراد قبيلة الفرانت فلا تكاد تختلف عن مثيلاتها فى المناطق الاخرى ، من حيث الاصول الاساسية ، وبالرغم من ذلك فللفرانتيين بعض العادات التى تتميز بطابع خاص .

من ذلك مثلا : طريقة الزواج الوطنى التقليدية ، ونظام الزواج بموجب العرف أو القانون الذى صدر عام ١٨٨٤ ، الذى يتم بطريق مكتب التسجيل ، أما نظام الزواج الاول ، وهو نظام تتحكم فيه التقاليد القبلية الى حد كبير فلا نكاد نرى من أفراد قبيلة الفرانت من يسير على قواعده اليوم سوى طوائف قليلة ، ففيه ما يعرف « بالاسبرنسا » وهو عبارة عن مقدم الصداق الذى يدفع كرمز للخطوبة أو طلب اليد وتأكيد الزواج . وهذا المبلغ « **الاسبرنسا** » يعتبر مسألة لها أهميتها القصوى فى تقاليد القبيلة . وتتراوح تكاليف الخطبة ما بين ١٢ الى ٤ جنيهات أو ١٥ الى ١٠ جنيهات ، وذلك حسب مستوى الفتاة من حيث التعليم أو عدم التعليم .

ومن العادات الشائعة عدم قبول المهر فى حالة الارتباطات القانونية ، وعلى الزوج أن يعد جهاز العروس الذى قد يتألف من : مجموعة من الحلى ، وزوج من الاقراط و«بروش» .

ومن العادات التى تحترمها القبيلة أيضا ، وهى عادة قومية مرعية جدا ، هى أن يأخذ أهل العروس الفتاة فى موكب تضيئه الانوار حتى يصلوا بها الى قاعة الاستقبال ، التى يكون الزوج (العروس) قد أعدها وجلس فيها مع والديه وأصدقائه فى انتظار قدوم هذا الموكب . وقبل تقديم المشروبات التى تكون عادة من النوع الخفيف .. يبدأ الزوج طلب يد الفتاة ، وعندئذ يتبادل الاهلون التهانى ، ثم تلقى على الزوجين بعض العظات ، ويختلى الزوجان بعد ذلك ، وبهذا تنتهى مراسم الزواج . أما الزواج بموجب العرف أو القانون فهو صورة من مثيله الذى يطبق فى أى بلد متحضر .

بعض تقاليد الولادة

من المعتقدات السائدة بين أفراد « الفرانت » أنهم يعزون مسألة عدم **انجاب الاطفال الى غضب الآلهة** ، **وعدم رضائها** ، **وان الآلهة** قد يرضون اذا ما قدمت لهم بعض الاعمال التى يظهر فيها جانب التضحية . ويقوم الآباء الذين يفقدون اثنين أو ثلاثة من أولادهم بتسمية الطفل الذى يعيش بعد ذلك باسم غريب ، كما يضعون على وجه الطفل علامة خاصة تبقى ظاهرة طيلة حياته . أما اذا كان المولود أنثى فانهم فى العادة يجعلونها ترتدى ملابس معينة ، بحيث تبدو نصف عارية ، فيغطون رقبتها بقطعة من الجلد ، ويغطون نصفها الاسفل من الامام والخلف بقطعة من الحرير ، وتلبس قطعا من الصدف بدلا من الحلى الذهبية .

أما ولادة التوائم أو ثلاثة أولاد مرة واحدة فتعتبر من الامور غير الطبيعية ، وذلك لما للتوائم من عادات وتصرفات معينة تكون بمثابة الظواهر الخارقة . ومن **العادات التقليدية** ربط معصم يد التوأم اليمنى بخيوط من الليف المزركش ، اعتقادا منهم بأن ذلك يجعلهم يتمتعون بالحصانة . وعندما يحتفل بعيد الميلاد السنوى تنزع هذه الخيوط الليفية من معصم يد التوأم ثم تغمس فى بيض طازج . وهنا يدعو الجميع للتوأم بالصحة والسعادة والوقاية من كل سوء ، ثم يتقدمون الى طبق (**الاينو**) وهى أكلة شعبية ، والى البيض المسلوق المعد لهذه

المناسبة . وفى نهــــاية الحفل التى لاتزال كل تقاليده متبعة ومرعية حتى الآن ، يقوم لاهـلون بالبــاس التوأم الخيوط الليفيه مره اخرى .

ومن السهل معرفة اسم اليوم الذى ولد فيه الشخص ، وذلك اذا عرفنـا اسمه ، ذلك لان هناك تقليدا خاصا بوضع أسماء الاطفــال ، يرتبط الى حــد ما بيوم ميلاد الطفل . فالمولود الذكر الذى يولد مثلا يوم الاحديسمى (كويسى) والانثى التى تولد فى اليوم نفسه تسمى (ايسى) . وهذا التقليد فى اطلاق الاسماء على الاطفــال يكاد يكون سائدا بين أفراد جميع القبائل فى غانا .

ولكل عائلة فى قبيلة « الفرانت » كما هى الحال بالنســبة الى جميع القبــائل الاخــرى فى غانة ، شخص يطلقون عليه اســم « رب العائلة » . ويختلف لقب العائلة هناك فى مفهومه ومدلوله عما هو متداول بين الاجانب . فأفراد العائلة هم جميع أولئك الذين ينتمون الى جد واحد ، والذين تربطهم بعضهم ببعض أواصر القربى والصداقة . ويسرى نظام الارتباطات العــامة على جميع أفراد العائلة . ويتولى « رب العائلة » مسئولية كل مايتعلق بالزواج والوفاة والوراثة الخ . . ومن العادات المتبعة هناك أن يرث المتوفى ابن عمه أو خاله أو عمه الذى يصبح مسئولا عن كل ما تتطلبه حياة الارملة وأولاد المتوفى . ويعمل — الآن — شباب قبيلة الفرانت على اثارة موضوع عدم وراثة الابن لابيه بين الحين والآخر ، الا أن ايجــاد حل لهذه المشــكلة التقليدية سيظل أمرا رهينا بمشيئة الزمن .

احتفــالات التنصيب

لاتزال الاحتفالات الخاصة بانتخاب **الرئيس أو الملك وتنصيبهما حتى الآن** ، من التقاليد التى يحافظ عليها أفراد قبيــلة الفرانت . فالرئيس أو الملك بحكم مركزه — رئيسا أعلى للدولة — يكون بهذا الاعتبار موضع القداســة والاجلال ، ومن مظــاهر ســلطانه واحترامه احاطته بكل شعارات الحكم التى تتألف من مقعد قديم ومظــلة رسمية وهــودج وسيف ومجوهرات رسمية وأتباع الخ . كما أن الحاكم هو الذى يرأس مجلس الدولة .

وفى الاحتفالات السنوية تقوم الرعية بحمل الحاكم على هودجه ، ويسيرون به فى موكب رسمى تصــحبه الطبول والافراح . ولكل منطقة أو ولاية من ولايات بلاد فرانت أعيادها واحتفالاتها الخاصة بها ، ففى « **دينيا** » مثــلا يقوم الاهالى بصيد الغــزلان . وفى « **المينا** » يسمح بصيد الســمك من الانهار كما يســمح بكثــير من الامور الاخرى . وليست هذه العادات كلها الا ذكــرى وتخليــدا لبعض المواقف التاريخية ، أو الاحداث الخاصــة فى المناطق الاخرى .

وفى الايام الاولى لهذه الحفلات — التى لن نخوض فى ذكر تفصــيلاتها الآن — يؤم مدن فرانت الرئيســية جمهور غفير من النــاس فى أوقات مختلفة من العــام . ويرتدون أزهى وأجمل مالديهم من الملابس ، احتفالا بهذه المناسبة . ويقوم الشــباب من الجنسين فى مثل هــذه المناسبات بالبحث عن (الزوج) عروس المستقبل ، وتنظيم حفلات جماعية تعد فيهــا أفضل الاطعمة وأشــهاها ، وفى أيام هذا الاسبوع تسود مظاهر الفرح والسرور جميــع الطوائف ، اللهم الا عندما يعلو نواح العجائز من النساء فى وقت مبكر من الصباح وهن يتذكرن العزيز الذى مات .

وبعد . . فهذه محاولة سريعة يمكن أن تعطينا فكرة ولو خاطفة عن تأثير قبيلة « **فرانت** » فى مجتمع غانة ، بصفة عامة . .

أما فى مجال النشــاط الثقــافى والتربوى ، فمن المعــروف أن أفراد قبيلة « فرانت » يعتبرون من أكــثر **طوائف غانة ثقافة وعلما . فعددهم فى**

ميادين الثقافة العالية أكثر من عـــدد الافراد الآخــرين الذين ينتمون الى القبائل الاخرى فى غانة . وفى مدينة

الساحل ذى الرءوس وهى احـــدى مدن فرانت الرئيسية ، توجد أحسن المدارس الابتدائية والثانوية فى غانا على الاطلاق ، وكثيرا ماتوصف هذه المدينة بأنها مركز من أهم مراكز العلم والثقافة .

أما من حيث النشاط السياسى ، فان « فرانت » لاتقل أهمية فى هذا المجال عن أى ميدان من ميادين النشاط العام الاخرى .

ومن المعـــروف أن رئيس وزراء غــانة ، ومعظم أعضـــاء الوزارة والسياسيين والقادة من أفراد قبيلة فرانت (*)

من هذه الصورة السريعـــة التى أوضحنا يتبين مدى الاثر الكبير الذى أوجدته قبيلة « فرانت » فى الميادين

الثقافى والسياسى ، وعلى ضوئها يمكن القارىء الحكم بنفسه على أهمية ما وصلت اليه قبيلة فرانت فى الميادين الاخرى .

وما أشد حاجتنا الى دراسة كثير من هـــذه القبائل التى تذخر بالكنوز النفسية للقارة الافريقية .

فمن خلالها نستطيع الحكم على ماضى القـــارة ، وعلى حاضرها ، بل وعلى مستقبلها كذلك . لان الفروع الجديدة يجب أن تنمو وتزدهر على نفس الجذور القديمة !!

دور الزنوج في ثورة «كوبا»

*** نصف قوات الثورة من الزنوج**
*** الرجل الثاني بعد « كاسترو » زنجي شاب**

يروى تاريخ جمهورية «كوبا» أن عبدا افريقيا استطاع ، منذ مايقرب من قرن ، أن يقود ثورة وطنية كبيرة لتحرير البلاد من الاحتلال الاسبانى ، ومنذ ذلك الوقت وأهل «كوبا» يعتزون بذكرى ذلك البطل الافريقى ، وكان اسمه « انطونيو ماكيو » ، ويعتبرونه بطلا وطنيا من أبطال تاريخهم ، فيحتفل التلاميذ في المدارس كل عام بذكرى مولده ، وتعطل المصالح ، ويحتفل الناس فى كل مكان ، ويلتفون حول تمثاله الكبير المقام فى أكبر ميادين « هافانا » عاصمة « كوبا »

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، ويتقدم بطل زنجى آخر ليحتل مكانة بارزة فى تاريخ «كوبا» المعاصر ، فحينما نجحت قوات الدكتور فيدل كاسترو منذ أشهر قليلة فى احتلال العاصمة ، والقضاء على دكتاتورية « باتيستا » ونظامه الفاسد ، كان من بين القواد الخمسة الذين أشرفوا على قوات الثورة قائد زنجى فى الحادية والثلاثين من عمره هو الماجور « جوان ألميديا » الذى يحتل المكانة التالية فى جيش الثورة بعد « كاسترو » نفسه ، وقد تحمل مع زملائه السجن والتعذيب ، وقاسى كثيرا فى تنظيم حرب العصابات فى الجبال حتى كتب للثورة النصر ٠

وقد قام « ألميديا » بأخطر دور فى هذه الثورة ، اذ ظل طوال السنوات الست الماضية مسئولا عن تدريب الثوار على حرب العصابات ومختلف فنون القتال ، وما زال بعد الثورة هو المسئول عن تحويل هؤلاء الثوار الى جيش نظامى حسن التدريب ، وقد عهد اليه الى جانب ذلك بالاشراف على الكلية الحربية ، وهو أول زنجى يشغل هذا المنصب فى تاريخ «كوبا» كله ٠٠

وبالرغم من هذه المكانة الكبيرة التى يحتلها « ألميديا » فما زال يحيا حياة بسيطة للغاية ، ويقود سيارته الصغيرة بنفسه ، ويتمنى حينما تستقر الاوضاع الجديدة أن يستطيع الاستقالة من مناصبه ليكمل دراسته للهندسة ٠

وهو فى أمنيته هذه يتفق مع معظم زملائه من زنوج «كوبا» الذين يقدسون العلم ، ويعتبرونه خير سلاح يمكن الانسان من مواجهة الحياة وصعابها وفى عهد « باتيستا » لم تكن فرص من أنصار الحاكم ، حتى لقد اضطر « ألميديا » الى أن يشتغل عامل بناء ليستطيع اقتصاد نفقات تعليمه ، وحينما التقى « بكاسترو » ، وحدثه هذا الاخير عن ايمانه بضرورة اتاحة الفرص لجميع المواطنين على السواء ، لا فرق بين أبيض واسود ، لم يستطع « ألميديا » الا أن يتبعه ، ويضع كل طاقته فى خدمة أهدافه ٠

ومنذ ذلك الوقت تعرض «الميديا» لتجارب قاسية جعلت منه ذلك البطل الشعبى المرموق ، فقد اشترك مع نحو ثمانين ثائرا فى الهجوم على قلعة « مونكادو » الحصينة فى ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٣ ، وأبلى بلاء حسنا ، وقبض

عليه مع الدكتور « كاسترو » وحكم عليهما بالاعدام ، ثم خفف الحكم الى السجن بعدتدخل بعض رجال الكنيسة

وحينما خرج « الميديا » من السجن هاجر الى المكسيك حيث لحق « بكاسترو » وأنصاره ، وهناك سجن مرة أخرى بتهمة التآمر ، ولكن سرعان ماأفرج عنه ، فبدأ يتدرب على حرب العصابات

وأبحرت بعد ذلك سفينة الى شاطىء كوبا تحمل ٧٢ فدائيا ، كان عليهم أن يشعلوا نار الثورة فيها ، وكان « الميديا » واحدا من القواد الثلاثة الذين عهد اليهم « كاسترو » بتنفيذ هذه العملية

وقد قاتلت هذه الجماعة قتالا مريرا ولكن قوات « باتيستا » استطاعت أن تنتصر عليها فى النهاية بكثرة عددها وقوة عتادها ، وفر « الميديا » الى الجبال ومعه أحد عشر جنديا ، كانوا هم نواة جيش الثورة • وقد عهد اليه بعدذلك بقيادة فرقة مكونة من ١٫٥٠٠ جندى ومنح رتبة « ماجور » وهى أكبر رتبة فى جيش الثورة •

ولم يهزم « الميديا » فى حياته العسكرية الا مرة واحدة ، وتعرض لتعذيب وحشى فى السجون ، ولكنه صمد وظل على ايمانه بمبادىء الثورة وأصيب فى احدى المعارك بثلاث رصاصات •• الاولى فى رأسه ، والثانية فى صدره ، والثالثة فى ساقه ، وكاد يقع أسيرا فى أيدى قوات « باتيستا » لولا أن حمله بعض الرفاق الى كوخ مهجور وتركوه وجراحه تنزف بغزارة الى أن انتهت المعركة ، وما زالت احدى هذه الرصاصات فى جمجمته الى اليوم لانه لم يجد الوقت الكافى لاجراء العملية اللازمة لاخراجها •

وهو كبقية جنود الثورة لايتقاضى مرتبا ، بل يعيش منذ هجر مهنة البناء على قدر من الطعام والملابس يدبرها له جيش الثورة •

وليس « الميديا » هو الزنجي الوحيد الذى قام بدور هام فى ثورة « كوبا » فأكثر من نصف جيش « كاسترو » من الزنوج ، وقد قام كثير منهم بأعمال بطولية أهلتهم لتولى أخطر المناصب فى حكومة الثورة ، وقد كان ذلك من بين العوامل الهامة التى ساعدت على نجاح الثورة ، وهزيمة قوات الحكومة ، اذ كان عدد كبير من الزنوج المقاتلين فى صفوف « باتيستا » ، يهجرون جيش الحكومة • وينضمون بأسلحتهم الى قوات الثوار •

ومن أشهر الزنوج الذين أسهموا بدور هام فى نجاح ثورة « كاسترو » جابينو أولسيا قائد قوات المقاومة السرية فى « هافانا » فقد قام بوضع القنابل والمتفجرات حول مبنى حكومة « باتيستا » ، وحينما قبض عليه بلغ من وحشية جنود الحكومة فى تعذيبه أنهم خصوه ، وخلعوا أسنانه وأضراسه الواحدة بعد الاخرى وحطموا عظام جمجمته ، ولكنه رفض مع ذلك أن يدل على زملائه ، أو يخون ثورته وكانت شجاعته ومقاومته البطولية من بين العوامل الهامة التى رفعت من معنوية الثوار وأيقظت الآمال فى نفوس شعب « كوبا » بقرب تحرره من دكتاتورية « باتيستا »

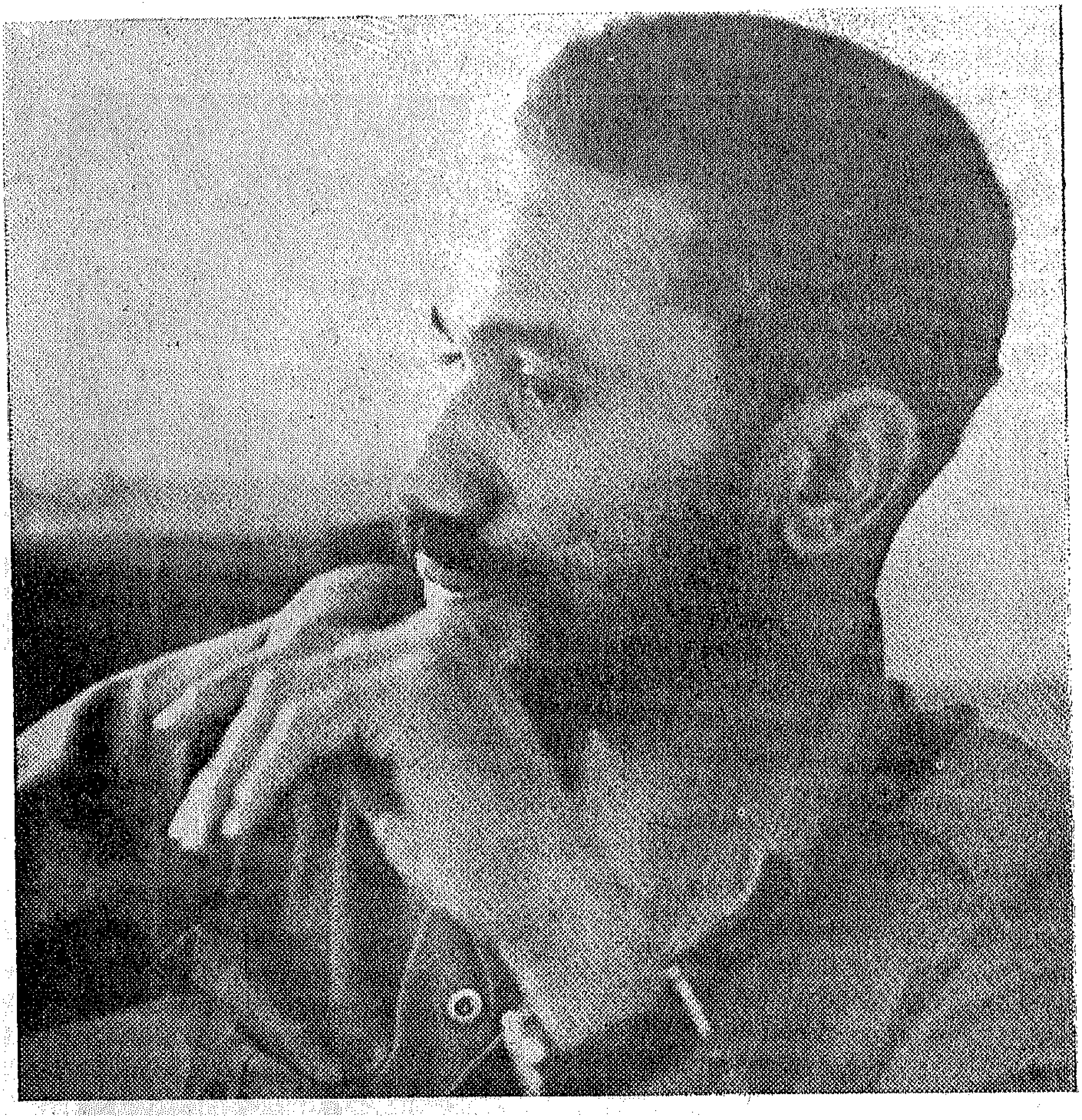

الرجل الثانى فى ثورة كوبا: الماجور جوان ألميديا (٣١ سنة) قضى ست سنوات فى الجبال مع كاسترو، وهو ابن أسرة متوسطة وله اثنا عشر شقيقا وشقيقة ·

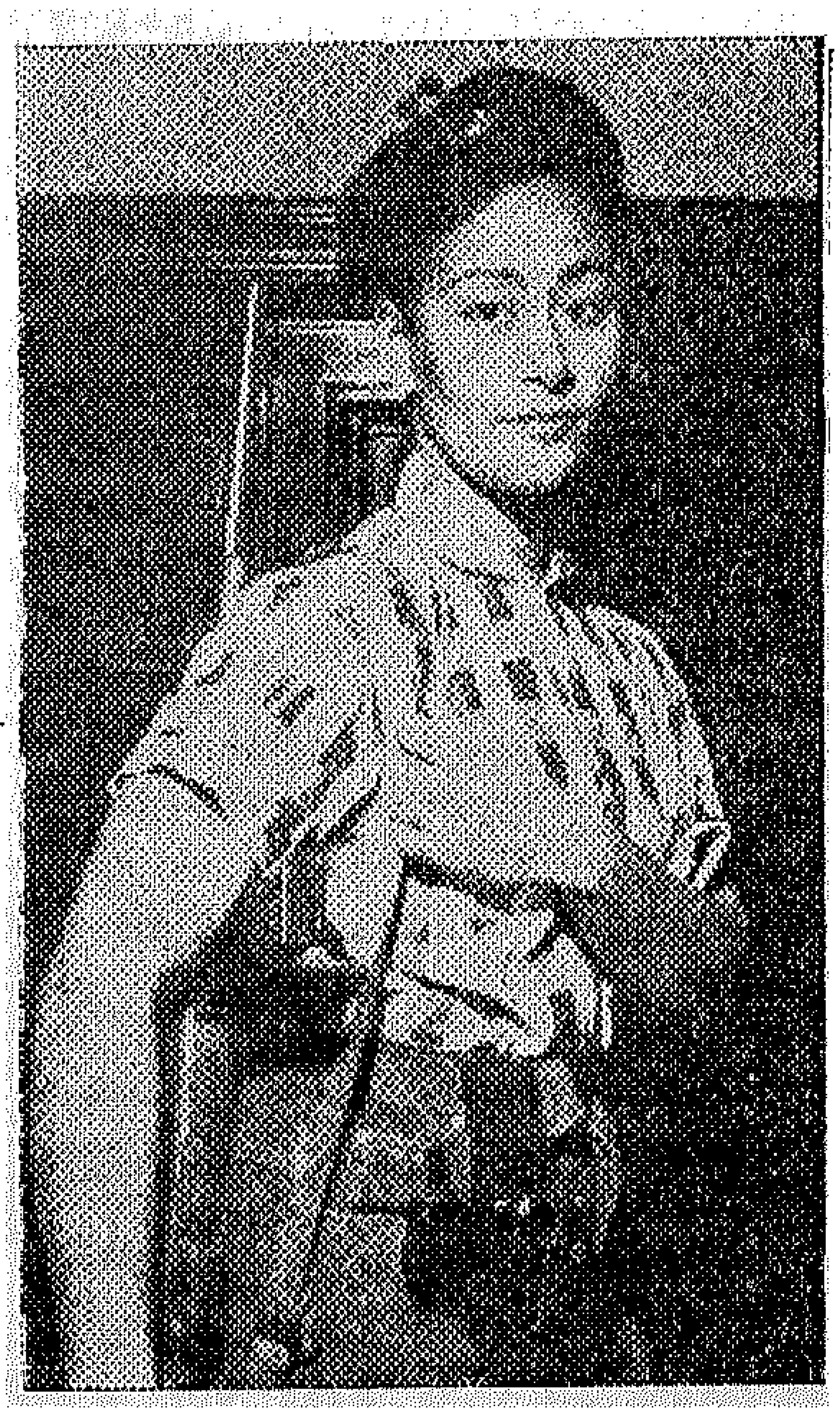

فدائية زنجية: جوانا روزا وتعرف باسم « تشينا » ، وهى واحدة من المجاهدات الزنجيات فى ثورة «كاسترو» ، وقد اشتهرت باشتراكها فى كثير من الحملات الانتحارية· انها الآن تريد العودة للجامعة بعد نجاح الثورة ·

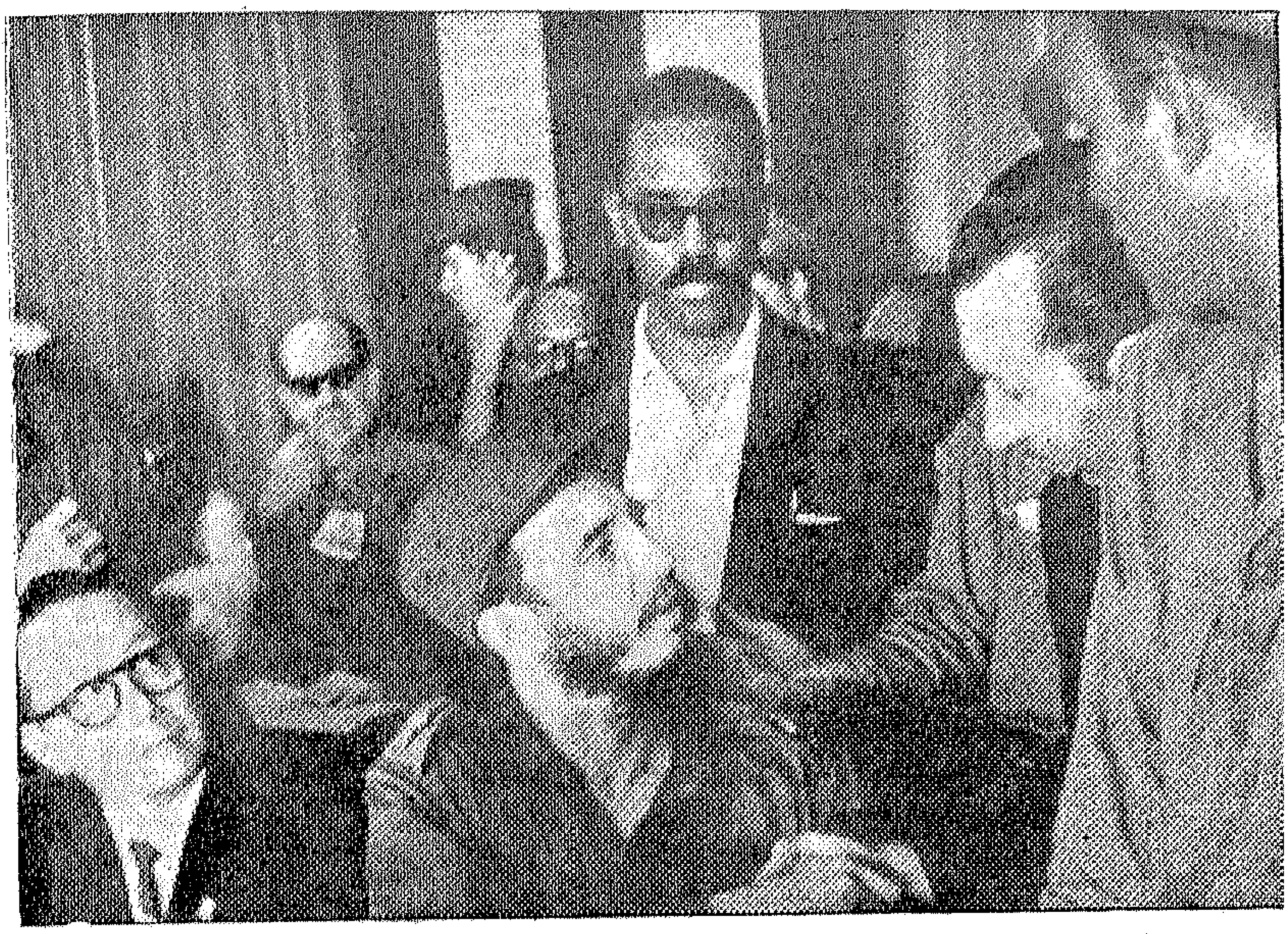

رئيس قوات الامن: الكابتن «انريكو بناريدس» يرقب الدكتور «فيدل كاسترو» بعين يقظة أثناء مؤتمر صحفى ضخم، فهو المسئول عن حياته باعتباره رئيس قوات الامن فى الحكومة والكابتن الزنجى كان زميلا لقائد الثورة فى كلية الحقوق .

مفتش البوليس : زنجيان آخران يشغلان منصبين خطيرين فى حكومة كاسترو ، الاول كابتن «ماركوس جيرون» (وهو الجالس) ويشغل منصب مفتش عام البوليس، والآخر «جابينو أديسيا» وهو قائد قوات المقاومة الشعبية فى العاصمة . والكابتن «جيرون» كان يعمل نجارا قبل الثورة .

and the Akwamus. When he found that he could not withstand the Akwamus he withdrew to a place called Nyanwabi and painted one side of his body white and the other side black. He then called his captains and elders together and told them that if he fell with the white side uppermost, the Accras would be fortunate, but if he fell with the black side uppermost there would be misunderstanding and confusion among the Gas. And when he had said this he killed himself and fell on the ground with the black side uppermost. He died on June 20th 1660 and was succeeded by his son Ashangmo.

Ashangmo, having defeated the Akwamus in the battle he fought against them left for Little Popo in 1680 and settled there. This step taken by Ashangmo iritated some of the Gas who made a song against him, «Ofio, ofio nye», just to taunt him.

In the year 1702 a new chief was enstooled in Akwamu, called Akonno. He was very powerful and fearful, and was feared both by the Accras in Akwamu and in Little Popo. Later on the Accras took much interest in the slave dealings, which made them rich. The Akwamus became jealous of this and Akonno declared war against the Accras, Fortunately for the Accras, they had a strong leader called Mi Syi who under his leadership prevented the Akwamus from entering the town of the Accrass. Ni Ayi persuaded the Dutch of Ussher Fort who sheltered them in the Fort. This did not discourage this great primitive warrior, he matched in with his army captured them all.

Later on a peace was made between the Accras and the Akwamus by both the Dutch who were then occupying the Ussher Fort and the Danes who were also occupying the Christian bossy Castle.

Since there is no written record about the date of the arrival of the Gas into the then Gold Coast, one can only make a guess, by making refference from the time in which the first Chief of the Ga State began his ruling.

Okai Koi, the sixth Chief of the Gas died in 1660. Assuming that his reign and that of his mother Dede and Dode Akai covered fifty years, it takes us back to 1610 for the death of the fourth Ga Martse, Owura Mankpon Akai. If we allow him and the three chiefs before him twenty-five years each, we come back to the very begining of the Sixteen Century, about 1510. This then should be the time of the first Gas Chief.

The Arrival of the Gas.

Some of the Gas came from Southern Nigeria, the town of Benin in the Yoruba Country by Sea, but some of the Gas said not Benin but Bonny also in Southern Nigeria. Some of them also came by land from the east. The people of Labadi a town in Accra also came by land, for they first settled on the hill called Aboasso on the Nsaki river, a few miles inland from Accra. There were people living in the country before the Gas came. They were the Guans or the Kyerepons who were considered to be the first people of the Negro race to arrive, succeeding the stone-Age men.

The first Chief of the Accras was called Ayi Kushi, who led the Gas in their migration. After him came. Ayite who built the capital town of the Accras at Ayawaso, by the Akai Koi hill now called Pokoase hill. After the death of Ayite came Ni Koi Nalai and After him came Owura Mankpon Akai. He married a lady from the Abutus called Dede Akai who became regent after his death. Dede Akai was cruel and opinionated according to the people of her own age. In the end, the people of Accra rebelled and killed her. The story is that, she ordered them to dig a well with their bare hands, and when they had dug to some depth they told her they had found a man at the bottom who forbade them to dig any further. The idea of a man who dared to violate her orders made the queen angry and lowered herself down into the hole to talk to him. The people above then threw stones on her and covered her alive.

Okai Koi inventually became the successor of his mother. He was just like his mother; very wicked, stern and warlike. He made wars against the Shais, the people of Labadi

ing from Rhodesia, Kenya, Nyasaland and Tanganyika are in prison. Some others from Rhodesia and Nyasaland are in Britain putting the case of their countries to the British Government and people. I happen to be here, having come on an urgent errand which I could not complete in time to be back for the Conference. However the battle is on, and all of us wherever we are, are doing our bit.

A few weeks ago we announced to the British administration in our country that we want them to quit next year. Posters on all walls were hung saying we want UHURU in 1960, Freedom in 1960. Could any request be more legitimate? And yet the Police with clubs in their hands were sent round tearing off these posters wherever they saw them. They would even enter houses if they saw them from outside! But the Uhuru posters keep on appearing. For we are determined to celebrate next Freedom Day in complete Freedom.

Uhuru in 1960.

the crimes which Kassem is comitting in Iraq. But the British do not know how much ground they are losing even with the stooges they once duped.

With the props, on which the structure of imperialism stands, tottering, one really concerted effort will be the final blow; but it must be well aimed. It is not enough to free Africa; Africa must be united, otherwise Africa cannot be free for ever. To unite there must be mutual understanding, and it is a lamentable fact that when Africans meet in conference they have to use two foreign languages. I am not so narrow as to suggest that we should discredit English and French merely because they are foreign. The point I want to make is that even though in conference and those few of the few who do attend conferences may understand either of these two languages, the mass do not understand them. For the peoples of Africa to understand each other and so create that unity for which we are all craving I think it is essential that we make a point all of us of learning at least two of the three main African languages —Arabic, Hausa and Swahili. Arabic is understood by nearly half the population of the Continent. Swahili in East and Central Africa is understood by a sixth to a fifth of the Africans, and I would say almost the same for Hausa in West Africa. I have been pleased to hear from Dr. Abdul Azeez Ishaq that it is proposed to teach Hausa and Sawahili in theAfrican Association here in Caito. I would urge further that a special translation bureau be established to translate works of value from Arabic to those languages, for cheap distribution in countries concerned Speaking for my own people I would definitely say that the Swahili are missing much not being able to read and understand such books as President Nasser's «Philosophy of the Revolution» and Sayyid Anwar Saadat's «Revolt on the Nile», and the works of such erudite writers as Taha Hussein and Tewfik Alhakim. Plans must also be made to teach Arabic to the remaining half of the African population.

Mr. Chairman, Ladies and Gentlemen; today representatives from East and Central Africa are meeting in my island home. The Pan African Freedom Movement for East and Central Arica (PAFMECA for short) is deliberating on the co- nationalist movements in our ordination of the efforts of the region in the struggle for Freedom. The Conference is being held under rather unfortunate circumstances. Several of the leaders who should be attend-

thousand members. Many of them are just simple structures made of mud with coconut palm thatching. But they are centres of culture, economic revival, and political awakening. They represent the new Zanzibar. It must not be imagined however that the creation of this organisation has been plain sailing.

Although our members have large hearts and an enormous determination, their pockets are not full. Means of propaganda at the Party's disposal are limited by the financial limitations of the members. The section of the press at the Party's disposal is willing frank and fearless, but it cannot compete with the well equipped and well financed presses which are either settler controlled or belong to reactioneries who receive Government backing and support. Our people, not only in Zanzibar, but throughout East Central Africa are subjected to incessant imperialist propaganda through books, pamphlets, newspapers, magazines, films, and broadcasts— East Africa alone has no less than half a dozen broadcasting stations — painting colonial rule in the most attractive colours, and presenting a most distorted and biased picture of nationalist leaders and movements, and those countries which are anti-imperialist. To combat these imperialistic tactics there must be co-ordination of assault between all the African peoples. Aid is urgently needed not only in these countries where imperialism has lost its head and is decimating innocent men and women, but also in those countries where it still can afford to be subtle.

Undoubtedly in spite of all their elaborate machinery for propaganda the imperialists in colonial Africa are fighting a losing battle, for propaganda must be supported by facts. For a fairly long time their propaganda against President Nasser and this great country whose hospitality we are enjoying and for whose overwhelming generosity in education, we of Zanzibar have particular reasons to be grateful, was based on the myth that the United Arab Republic was either communist or a tool of communism. Twice I have been prevented by the British administration from coming to Cairo to attend conferences on that score. The myth has been exploded, and highly moral British are now openly and unashamedly flirting with communist Kassem. So much is their hatred and fear of nationalism. Working on the dictum propounded by Disraeli that Britain has no permanent friends and no permanent enemies but only permanent interests, they find nothing incongruous to condone

any section of the population. So as to allow full scope for the development of their innate capacities separate sections within the party have been set up for women, and for youths. Within the sections the organisation follows the same pattern as the main Party with their own Central Committees and secretaries, but subject to the direction and control of the Party's National Executive. The Women and Youths Sections have adequate representation to the Party's Conference, where policy and programmes are passed. And so have affiliated Trade unions and co-operative societies.

Kwame Nkumah of Ghana said : I prefer independence with danger to servitude in tranquility.»

Sekou Toure of Guinea said . I prefer independence with proverty to servitude in plenty.»

These are two patriotic statements which I fully endorse. But there is no need to have to choose the lesser of two evils. Our Nationalist movement in Zanzibar believes in, and it is determined to achieve, independence with plenty and in tranquility. Hence the Party's efforts, concomitant with the political struggles, in educational campaign, and the raising of standard of living of the people through the co-operative and trade union movements.

The Imperialism under we in Zanzibar labour can be accused of studied neglect, rather than violent repression, although as I said before, it is nonetheless cruel. The chaotic nature of systems of the country results every year in throwing away hundreds of our youths into the street. The frustration drives out of the country the cream of our manhood to all corners of the earth, leaving the foreigners to enjoy the cream of our wealth. The Party is making planned attempts to minimise this drain of our richest heritage, our youths, and canalise their capacity to constructive purpose in the building of a nation that will enjoy, not only Freedom, but also plenty and tranquility. Co-operative farms have been established; and women's dress-making co-operatives are also being established. There is practically no tropical fruit which does not grow well in the Zanzibar, but it has been left to the Nationalist Party to sponsor the putting up of the first in the country.

The numerous branches of the Party serve as centres for the education of the mass and their political enlightenment. These centres vary enormously, from ones with an enrolled membership of less than a hundred to ones with upto five

for more than five years now is still awaiting a charge to be made against in a Kenya prison. In common with all of you I weep for the victims of Roy Wellensky's unbridled hatred for African nationalism in Nyasaland and Rhodesias. Jealous that a black should be a better man than he in every respect has driven ill tutored engine-driver Wellensky to make up unfounded allegations against well educated civilised Dr. Hastings Banda, in order to stifle his movement for the liberation of his country from the yoke of imperialism.

Such is the situation in some countries under foreign rule, but it is by no means common to all—at least not yet. In other countries such as Zanzibar, Tanganyika and Uganda the hand of imperialism is not so heavy and rough. The hand is enclosed in a velvet glove. The pressure is more subtle, but it is nonetheless deadly. The pill is sugar coated. In a way this is more dangerous. It is slow death, not so dramatic as to draw the attention of the victim and his friends. To the outsideworld everything is quiet and alright. This actually is the traditional colonialism, which applies to those colonies where the master plays the role of an absentee landlord, and where there is no settler community to complicate matters, and precipitate drastic action which agitates the African and draws the attention of the world. In the traditional colonies, which may go under various titles such as protectorates and trusteeships colonial bondage may go on for ever unless those with foresight, and can diagnose the fatal disease, draw the people's attention to bestir and rid themselves of the virus of colonialism. Such a movement brought into being the Zanzibar Nationalist Party. Years of lonely intellectual warfare bore fruit in 1955 when a few peasants met and asked themselves «Whither Zanzibar?» They answered the question by creating the Zanzibar Nationalist Party. From its humble beginnings then this has become a mass nationalist militant movement with a membership which keeps on increasing by thousands and with about ninety branches covering practically every nook and corner of the country.

The Party organisation, pyramidal in structure, starts with the village and locality base, growing and uniting on the district and provincial level and finally tapering to the National Executive Committee, which forms the Party leadership. The strength of this movement lies not only in the comprehensiveness of its geographical organisation. It has been organised in such a way as not leave out

THE DAY OF FREEDOM
A speech by
EL-Zaim Ali Mohsen

Mr. Chairman, Ladies and Gentlemen,

I will not for anything in this world exchange this day : this day which marks the beginning of a completely new phase in the continental struggle for the liberation of Mother Africa. The new phase must be short and conclusive. Africa must determine from today, April 15th 1959, that another day like this shall not be celebrated in 1960 except under the atmosphere of a Freedom which pervades every bit of territory within this great continent. For much too long have we been subjected to foreign rule. For much too long have we suffered the iniquities of having our affairs run for us by foreigners whose interest is to exploit us for their own benefit. For much too long have we been tied to the chariot wheels of others. For much too long have we been tortured and oppressed. For much too long have we been denied the most fundamental human rights, of taking part in the government of our countries. We can wait no longer. Africa must be completely liberated by 1960.

A good part of North Africa is now free. Freedom is also dawning in West Africa. But in East, Central and South Africa, Imperialism, the arch enemy of humanity, is digging itself in for a last pitched battle. To dislodge the entrenched enemy we need every ounce of our united strength, and the help of every ally. We may be sure that he will fight like a cornered leapord. Those of you whether African or not must understand, as President Nasser and Dr. Nkrumah have understood fully well, that unless the virus of imperialism is wiped out from the face of the earth, the freedom that the so-called free countries have won, means nothing at all, for it is exposed to constant danger of being attacked and destroyed.

Ladies and Gentlemen, imperialism in Africa is in various guises. In some countries and during certain times, it is openly oppressive and violently repressive. It is symbolised by racial segregation, concentration camps, deportations, iron curtains, and even wholesale massacres. My heart bleeds for my brothers and sisters of Algeria who are subjected to the tortures of the French imperialists. I am pained to reflect on the condition of Jomo Kenyatta rotting in enforced seclusion for life, of my friend Mathenge who was with us at Accra only last December, of my college mate Odede, who

طبع بمطابع دار اخبار اليوم

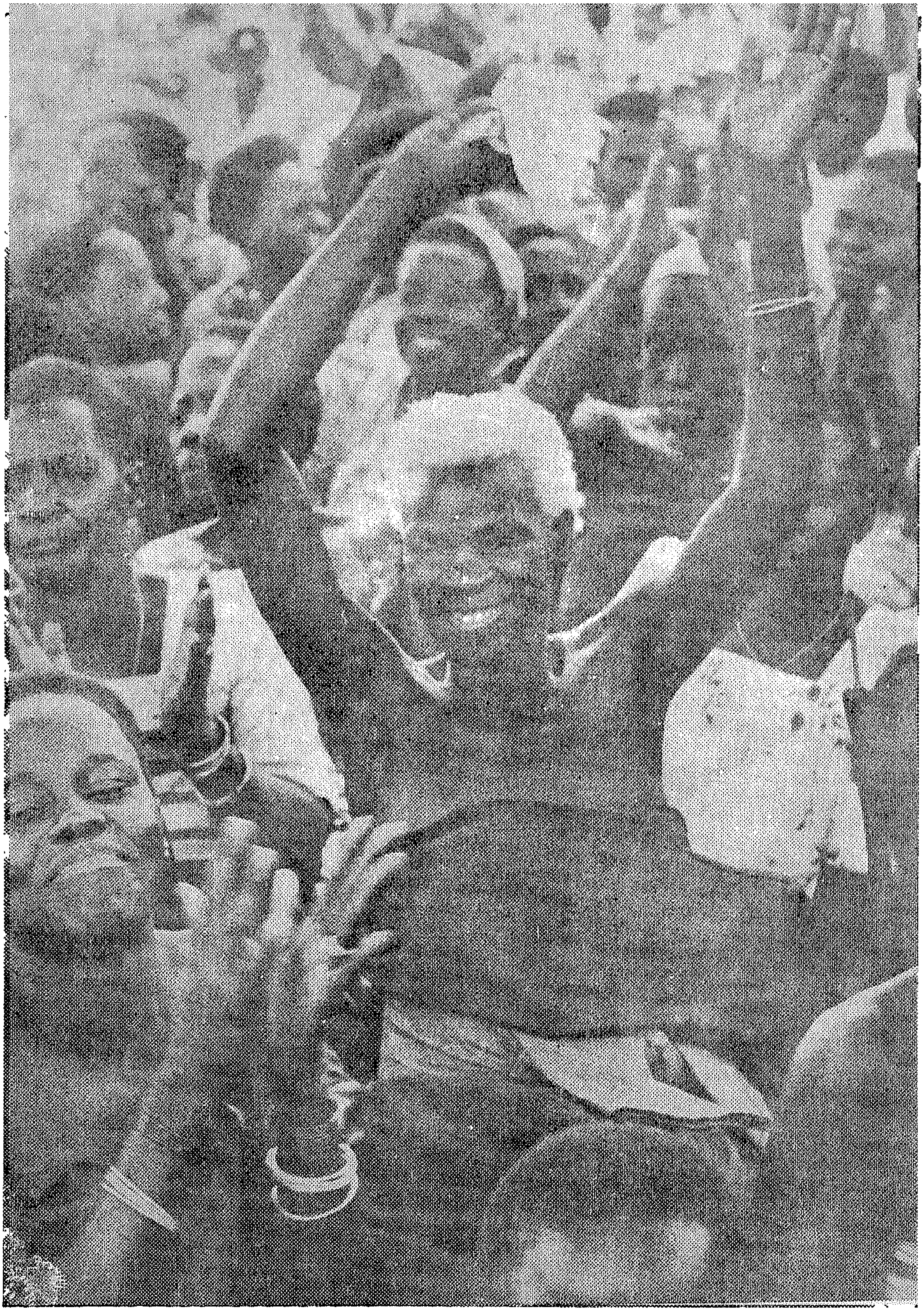

المرح فى افريقية

2ND YEAR . No. 18 — MAY 1959 .

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- PRESIDENT NASSER SPEAKS ABOUT AFRICA
- BATTLES OF NATIONALISM IN WEST AFRICA
- ITALIAN EXPANTION IN AFRICA
- ECONOMIC IMPERIALISM IN UGANDA
- ARABISM IN EAST AFRICA
- BOOK COMMENTARY

السنة الثانية

العدد ١٩ ـ يونيو ١٩٥٩

نهضة افريقية

فى هذا العدد

- مؤامرة جديدة فى قلب افريقية
- المؤتمر العلمى لدول غرب افريقية
- الاسلام فى الحبشة
- فولكلور غانة
- الشعر الافريقى

من الفن النيجيرى

نهضة افريقيا

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل أفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ـ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة أفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع احمد حشمت ـ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع لصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

نهضة أفريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

ارتبطت ((أثيوبيا)) بالتاريخ العربى من زمن قديم قبل الاسلام وبعده . فقد حملت الى الجزيرة العربية ثقافة القارة الافريقية . كما تلقت من هذه البلاد الكثير من التأثيرات ، لعل أهمها التأثير اللغوى الذى يظهر فى لغة ((العجيز)) الكلاسيكية والتى تشتق من اسم قبيلة ((بنى عجاز)) العربية كما اشتق اسم الحبشة نفسه من قبيلة ((الحبشات)) التى هاجرت الى هذه البلاد ، ومن يقارن الآن بين العربية واللغة الامهرية التى تعتبر اللغة الرسمية الآن يجد تأثير العربية الواضح فى هذه اللغة يسترعى الانتباه

فاذا انتقلنا الى الصلة بين هذه البلاد ومصر القديمة وجدناها قائمة حتى ليؤكد ((سيلجمان)) ان جماجم الاحباش من نوع جماجم المصريين القدماء . وقد شاء الله لهذه الصلة الا تنقطع على مر العصور . بل لقد شملت هذه الصلة الجمهورية العربية المتحدة باقليميها . اذ أن من المؤكد أن المسيحية قد دخلت الى الحبشة من سوريا عام ٤٥٠ م . كما أن الكنيسة الاثيوبية ترتبط بالكنيسة المصرية ، وأخذت بالمذهب القبطى المصرى الذى يرى أن للمسيح طبيعة واحدة .. واليوم تعتبر زيارة ((الامبراطور هيلا سلاسى)) الاقليم الجنوبى ، امتدادا لهذه الصلات

عبده بدوى

محتويات العدد

مؤامرات جديدة فى قلب افريقية :
للاستاذ محمد عبد العزيز اسحق ٣

التوسع الايطالى فى شرق السودان :
للدكتور جلال يحيى ٧

التجار العرب فى اوغندة :
للدكتور ابراهيم احمد العدوى ١٥

ضوء على كتاب : للاستاذ محمد فتحى ٢١

نقد الكتب : للاستاذ عبده بدوى ٢٣

بحيرة ردولف : ٣٠

الشعر الافريقى : ٣٣

اثيوبيا فى صور : ٣٩

فولكلور غانا : للاستاذ توفيق حنا ٤٣

المؤتمر العلمى لدول غرب افريقية :
للدكتور احمد مجاهد ٤٨

التراث الثقافى فى غانة : ٥٤

الكنيسة المصرية تقاوم الاستعمار :
للدكتور زاهر رياض ٥٩

الاسلام فى الحبشة : للعميد : محمد
عبد الفتاح ابراهيم ٦٥

مؤامرات جديدة في قلب افريقية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

كان الحديث فى العدد الماضى من « نهضة افريقية » عن التيارات والدوامات السياسية التى تجتاح أفريقية الغربية ، واليوم نعرض لما استجد من ظواهر « المد الافريقى » فى جانب آخر من القارة ، التى تموج جنباتها بالاحداث العظام

وحديث اليوم ينصب على أحدث مبتكرات الاستعمار البريطانى فى حرب الوطنية النامية ، وقد اتخذ أوغندا ميدانا لعرض تلك المبتكرات الهزيلة المستخفية ، التى لا تحمل فى جوهرها أى عنصر من عناصر التجديد أو الابتكار !

فقد علم المراقبون للأحداث الافريقية أن أوغندا هى الصخرة التى تحطم عليها مشروع « اتحاد شرق افريقية » البريطانى ، ورأوا كيف بذلت وزارة المستعمرات البريطانية جهودها المحكمة «التدريجية» لربط ذلك الاقليم الغنى الجميل المتحكم فى قلب أفريقية ، والذى يتدفق منه النيل العظيم ، والذى يقطنه شعب من أرقى شعوب القارة وأقدمها حضارة ، وأشدها تماسكا ، وأعظمها نصيبا من الحيوية والثروة بألوانها النباتية والحيوانية والمعدنية ، علم المراقبون بمحاولات وزارة المستعمرات ربطه بكينيا وتنجانيقا ليفتحوا باب التسلل الشعوبى أمام المستوطنين البيض فى افريقية الشرقية ، والتسلل الاقتصادى أمام الشركات الاستغلالية الاحتكارية ، أوربية وأمريكية ، والتسلل السياسى بتغليب نظام الحكم البريطانى المباشر فى كينيا وتنجانيقا على النظام غير المباشر الذى تحتفظ فيه أوغندا بشخصيتها بحكم معاهدة الحماية (عام ١٩٠٥) الذى أتاح لها حتى الآن كيانا مستقلا وقومية متماسكة ٠

لقد بذلت وزارة المستعمرات كافة الجهود والحيل والدسائس والمناورات ، لكى تغرى أوغندا بدخول ذلك الاتحاد ، وكان عميلها فى ذلك حاكم أوغندا السابق « أندرو كوهين » الذى أحيط بالدعاية الصارخة بأنه رجل اشتراكى «تقدمى» وأنه صاحب خطط مدروسة للسير بأوغندا فى طريق الديموقراطية والحكم الذاتى ، وأنه ، بالرغم من كونه موظفا عريقا فى وزارة المستعمرات ، فهو « ثائر » على وزارته تلك التى علاها الصدأ ، ونسجت على أفكارها بيوت العناكب ٠٠

وكان أن تكشفت اشتراكية «كوهين» وخططه التقدمية ، حينما حاول أن يجر أوغندا الى حظيرة « الاتحاد الملعون » وزادت تلك التقدمية وضوحا حينما دعاه ملك أوغندا « **الكاباكا** » ذات صباح فى شتاء عام ١٩٥٣ وأصدر اليه أمرا ، لكى يوقع على مجموعة من المراسيم التى سبق أن رفضها « الكاباكا » ولم يقبلها الـ «لوكيكو» أو مجلس الزعماء ٠٠

ولما رفض الـ « كاباكا » في اصرار وكبرياء أن يوقع المراسيم ، أمر الحاكم التقدمي الاشتراكي بأن يغادر الـ « كاباكا » بلاده فورا ، وأدخله الجند المسلحون طائرة ذهبت به الى لندن ، وبدأت ملحمة «نفي الكاباكا» التي تحدثنا عنها في أعداد مضت ، وهي الملحمة التي جند فيها الشعب الأوغندي ، كل قواه الاجتماعية والسياسية والقانونية والتاريخية ، ليستعيد ال «كاباكا» ويهزم « أندرو كوهين » ..

وانتهت المعركة بعد سنتين بفوز الشعب الاوغندي ، وعودة الكاباكا وتنحية كوهين ونقله من أوغندا الى وزارة المستعمرات ، ثم اختياره بعد ذلك ممثلا لبريطانيا في مجلس الوصاية بالامم المتحدة ، وما زال هناك ينفث سمومه في القضايا الافريقية التي تعرض على ذلك المجلس ، حتى الآن

وكان الدرس الذي تلقته وزارة المستعمرات : أن تماسك أوغندا اجتماعيا وسياسيا ، وبراعة الساسة الاوغنديين في النضال الدستوري ، واتقانهم لفنون الدعاية الصحفية ، والمناورات البرلمانية هو الذي أدى الى الانتصار العظيم في عام ١٩٥٥ ، وهو الذي يهدد بخطر تحرر أوغندا في المستقبل ، وينذر بانتقال « عدوى التحرر الى جاراتها المتأججة بالحماس : كينيا وتنجانيقا ، ورواندا ، ثم زنجبار .. »

ولهذا فقد جاء مبعوث جديد من وزارة المستعمرات لم تسبقه الدعايات « التقدمية » أو « الاشتراكية » هو « **جون كراوفورد** » جاء كرجل محافظ يميل الى تثبيت الوضع القائم ، والى دعم مركز ال كاباكا ، وتعزيز هيبة ال « لوكيكو » وضمان امتيازات ال «باتاكا» أو كبار الملاك ... والى ربط مصالح هؤلاء جميعا ببقاء الوضع السياسي الحالي القائم على معاهدة ١٩٠٥ ، وهي المعاهدة التي تنص بوضوح على أن ال « كاباكا » ملزم بأن يوافق على ما يوافق عليه الحاكم العام ، وملزم بأن ينصح مجلس الزعماء بأن يقبل ويؤيد ما يصدره الحاكم البريطاني من قرارات ..

وكان الزمن قد دفع بالحركة القومية في أوغندا خطوات واسعات فقد ظهر « المؤتمر الوطني الاوغندي » باعتباره التكتل الشعبي العظيم الذي يناضل لتحرير أوغندا من الاستعمار ومن الاقطاع ومن الانظمة التي تساند الاستعمار والاقطاع

واندلعت دعوة « **المؤتمر الوطني الاوغندي** » كالنار في الادغال ، واستطاع المؤتمر أن يوجد له حلقة محكمة في كل قرية أوغندية ، وأن يربط تلك الحلقات ربطا محكما بجهاز منسق على أحدث النظم الحزبية في بريطانيا ، وعندما عقد مؤتمر اكرا في الشتاء الماضي بعث المؤتمر الأوغندي وفدا من أقوى الوفود ، وأوفرها نشاطا وأكثرها حيوية . وفدا كان يضم الصحفي والمحامي والمتخصص الاجتماعي والاقتصادي ، وبعد مؤتمر أكرا جرت انتخابات عامة في أوغندا فحصل المؤتمر الوطني على أكثر من ثمانية في المائة من أصوات الناخبين الاوغنديين وأخذ المؤتمر يرسم سياسته على أساس الأمر الواقع ، وما حصل عليه من مكاسب ، وما ناله في الداخل من تأييد ، وما ربحه في الخارج من مكانة تتجلى فيما أنشأه من مكاتب للشئون الخارجية في القاهرة وفي لندن ، وما اجتذبه من اهتمام في لجان الامم المتحدة ، وما بلغه الوعي الافريقي عامة من نضج وتكامل ، فكان أن قرر المؤتمر الوطني الاوغندي المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا « فورا » ..

وكان هذا القرار من أعنف القرارات التي وجهتها « محمية » بريطانيا الى وزارة المستعمرات ، فان أوغنده لم

تسلك منذ البداية طريق العنف واثارة القلاقل الا فيما ندر ، وكانت معركتها مع بريطانيا حول نفى الكاباكا معركة سياسية بحتة ، معركة استخدمت فيها أساليب المقاومة السلبية فى داخل أوغندا من جهة ، وأثارت المعارضة البرلمانية فى بريطانيا على حكومة المحافظين من جهة أخرى • ومثل هذه الأساليب تحرج النفاق الاستعمارى المشهور ، الذى يتظاهر باحترام « التعقل » والترحيب « بالمفاوضة » اعتمادا على خبرته — المشهورة أيضا — فى المناورة والمساومة • ولهذا فقد عز على الاستعمار البريطانى ومبعوثه « كراوفورد » أن ينهزم فى الميدان الذى يفضله هو ، ويختاره على الدوام

وعلى ما جرت عليه العادة فى لندن رأت الحكومة البريطانية أن «**تطاول**» المؤتمر الوطنى الأوغندى ، وتمد فى حبل التباحث عسى أن تعثر على ثغرة تكسب بها نصيرا ، أو — على الأقل — تربح من ورائها تسويفا للقضية بأكملها •••

وتظاهرت وزارة المستعمرات بالرغبة فى دراسة المطلب الجديد دراسة « موضوعية دستورية » فبعثت الى أوغندا لجنة دستورية لبحث الوضع القائم والتطورات المرتقبة ، والتقدم بعد ذلك بالتوصيات المناسبة ••

هذا من لندن ، أما فى « **عنتيبى** » على ضفاف البحيرة العظمى (وهذا الاسم ترجمة لكلمة نيانزا بلغة اللوجاندا) فقد شمر الحاكم كراوفورد عن ساعد الهمة ، ونشط فى اذكاء مخاوف ال «كاباكا» وال «لوكيكو» والرجعيين والاقطاعيين من مغبة الاستقلال الذى يطالب به المؤتمر الوطنى ، وكان أن أرسل ال «كاباكا» وفدا الى لندن يسألها عن مصير منصبه بعد استقلال أوغندا ، وكان أن توجست الطوائف الرجعية والاقطاعية من الدعوة الاستقلالية ، وأخذت هى الاخرى تتساءل عن « مصيرها » ••

وفى هذا الجو وصلت البعثة الدستورية البريطانية ، وبدأت أعمالها واتصالاتها بمختلف القطاعات فى الشعب الأوغندى ، واذا بها تستكشف الحقيقة المذهلة ، وهى أن « المؤتمر الوطنى » قابض بالفعل على زمام الموقف هناك ، وأنه لا أنصار «**الكاباكا**» ولا أعضاء ال « **لوكيكو** » ولا كبار الملاك قادرون على تحويل دفة السفينة عن المطلب القومى الحاسم وهو الاستقلال الكامل الناجز ، وفى موعد أقصاه العام القادم ، عام ١٩٦٠ ، عام الأمل الباسم لكثير من شعوب افريقية فى الشرق والغرب ••

وتداولت اللجنة «**الدستورية**» مع الحاكم الاستعمارى وتبين أن الاسلوب الأوغندى السلمى لا يمكن تبرير قمعه بالعنف والقوة الغاشمة ، وتمخض التداول عن أسلوب بدا للاستعمار مبتكرا ، وان كان ، كما ذكرنا ، مهلهلا مكشوفا •• لقد افتعل الاستعمار حركة عنيفة باسم « الحركة الوطنية الأوغندية » •• قام بها **أناس** « متحمسون » لا يعرفهم الكثيرون داخل أوغنده ، ولا يكاد يعرفهم أحد خارجها ••

وقامت تلك الحركة تناوىء « الآسيويين » فى أوغنده ، وتهدد بمقاطعة البضائع والمخازن الاجنبية ، ومن عجب أن اصطلاح « أجنبى » هنا لم يعد يشمل « البريطانى » ولا « الاوروبى » •

وحدث فى « كمبالا » هرج ومرج ، ولم تسل نقطة واحدة من الدم ، ولكن الحاكم العام تلقف الكرة ، وكشر عن أنيابه ، وانطلقت الاذاعة والصحف البريطانية تنذر بالخطر ، وتقدم الحاكم خطوة أخرى فرفع هراوته وأعلن الاحكام العرفية ، وحظر التجول وحدد اقامة زعماء المؤتمر الوطنى (الذى

لم ينسب اليه عنف ولا تحريض على العنف) واتخذ من هذا كله مبررا لايقاف عمل « اللجنة الدستورية » التي بعثت بها لندن ..

وهكذا خلقت بريطانيا العنف **(التمثيلي)** في أوغندا ، لكي تضرب السلم والقانون والمفاوضات والوسائل الدستورية ، خلقت العنف لكي تفر من هزيمتها المحتومة أمام التكتل الشعبى والاتحاد القومى ، والايمان الذى لا يتزعزع بالتحرر والاستقلال

ولكن ... الى متى تجدى هذه الاساليب ..؟

انعام ١٩٦٠ يبدو مصلتا كالسيف الرهيب على عنق الاستعمار فى افريقية ، وانى لأذكر يوم احتفالنا بيوم الحرية (فى ١٥ من ابريل الماضى) ... أذكر ونحن نصوغ القرارات أننا اقترحنا تحديد يوم ١٥ من ابريل عام ١٩٦٠ موعدا أقصى ، لتحرير القارة كلها ، وعندئذ اعترض زعيم زنجبار وقال بل ١٤ من ابريل حتى نحتفل فى اليوم التالى بيوم الحرية الحقيقى ، وخلاصنا من قيود الاستعباد!

وما تزال هذه الحقيقة قائمة ، وما يزال سيف الحق مصلتنا ، وما يزال الاستعمار فى تخبط وزعماء أوغندا ينتقلون من فوز الى فوز ومن انتصار الى انتصار ..

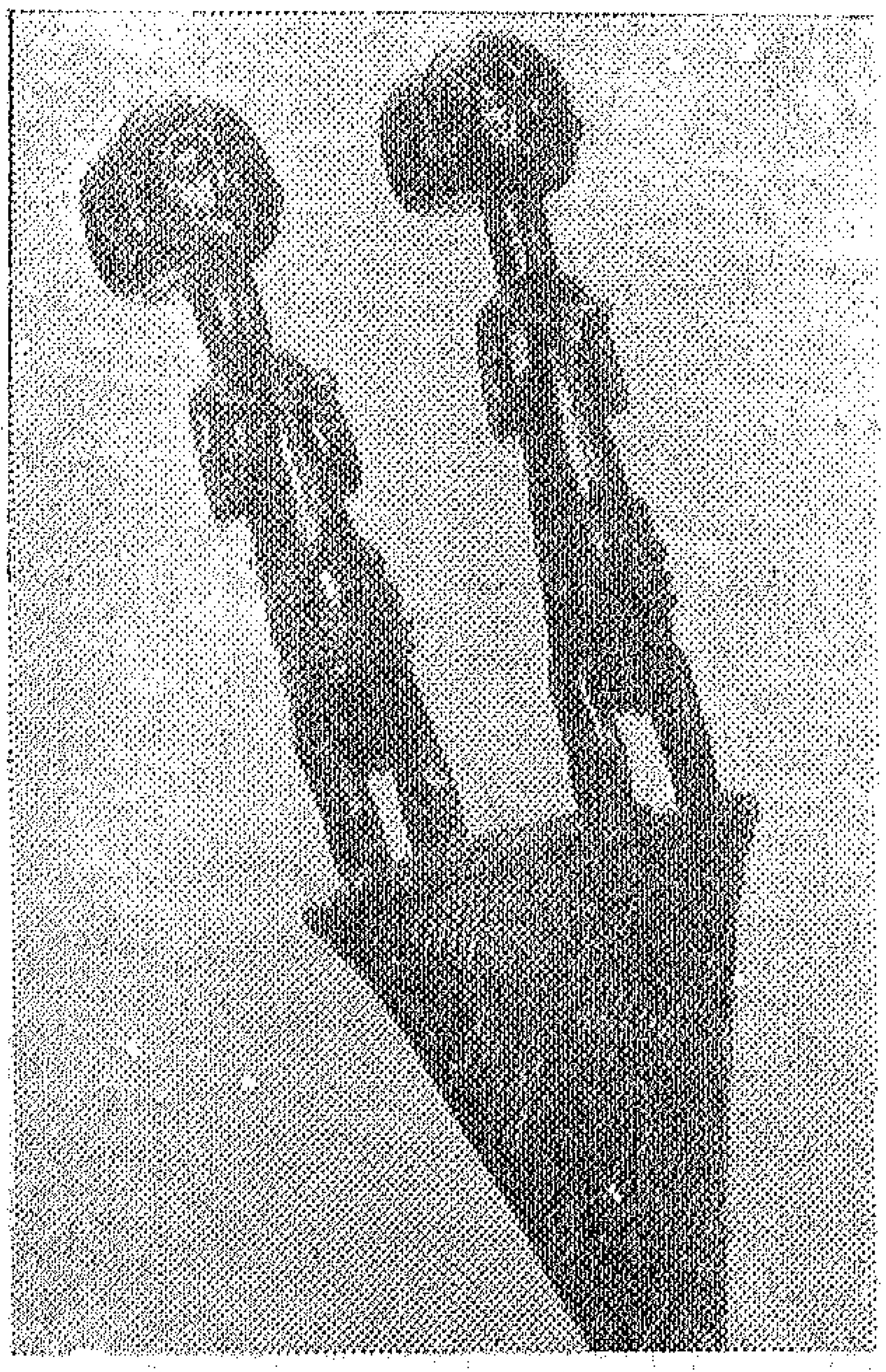

التوسع الإيطالى فى شرق افريقية

للدكتور جلال يحيى

- ٢ -

شرحنا فى المقال السابق الخطوات التى اتخذها الايطاليون لشراء الاراضى فى شرق السودان ، وعلى سواحل البحر الاحمر ، والاسباب التى دفعتهم الى ذلك . ثم بينا اتصالهم بالحكومة الايطالية ، ومحاولة هذه الحكومة أن تحل محل رعاياها فى ملكية هذه الاراضى .. تمهيدا لانشاء مستعمرة ايطالية على سواحل البحر الاحمر ، وما كانت هذه المحاولة تمثله من خطر على حقوق السيادة الاقليمية لمصر على تلك المنطقة .

ولقد علمت الحكومة المصرية فى بداية عام ١٨٨٠ من سلطاتها فى مصوع ، ومن احدى سفن البحرية التى تعمل فى المرور على السواحل فى البحر الاحمر ، أن احدى السفن التجارية الايطالية قد حضرت الى « عصب » ، ورفعت العلم الايطالى على الساحل ، ثم أنزلت بعض البحارة . وزاد الامر خطورة عندما علمت أن السفينة الحربية الايطالية ، « اسبلواتورى » قد حضرت كذلك الى الجهة نفسها وتركت فيها بعض بحارتها . فأعلنت الحكومة المصرية دهشتها لرؤية الحكومة الايطالية تأخذ مكان شركة « روباتينو » وجددت احتجاجاتها السابقة بكل قوة وأكدت حقوقها . وذكرت الحكومة الايطالية بتصريحاتها السابقة التى تتعارض كل المعارضة مع هذا الاعتداء على حقوق مصر الاقليمية .

واضطرت الحكومة الانجليزية الى ان تأخذ جانب الحكومة المصرية ، منعا من الاعتراف بمبدأ : سيترتب عليه مضايقة انجلترا فى طريق مواصلاتها مع الشرق الاقصى اذا ماتعددت القواعد البحرية الاجنبية على هذا الطريق . فأكد سالسبرى – الوزير الانجليزى – ، أن «عصب» تقع ضمن الاراضى المصرية تقع ضمن الاراضى المصرية ، مماأغضب الكونت «مافى» ، سفير ايطاليا فى لندن ، الذى أعلن أسفه لوجهة النظر هذه .. ولكن سالسبرى لم يأبه لغضب هذا السفير ، وكتب فى التو الى سفيره فى روما .. شارحا أن الباب العالى قد أصدر فرمانا لخديو مصر منذ سنة ١٨٦٦ ، أدخل به قائمقاية مصوع ضمن ملحقات مصر ، ولم يناقش أحد فى أمر دخول خليج « عصب » ضمن هذه الوحدة الادارية . وكان تنازل تركيا لمصر عن هذه المناطق ، وثبوت شرعية الحقوق المصرية على زيلع وبربره وبلهار ، هى الاسباب التى ترتب عليها تعيين ممتاز باشا حاكما مصريا على كل الساحل من السويس حتى رأس جاردفوى . ومهما تكن الاجراءات التى اتخذت ، أو الادعاءات التى وقعت ، فان الحكومة البريطانية لاتستطيع أن تتخذ أى موقف يخالف ذلك الذى يتضمن الاستمرار فى احترام من تعتبره صاحب السيادة الشرعية على الساحل – تلك السيادة التى تعتقد أنها تخص ، بلا جدال شخص خديو مصر بصفته يحكم بمقتضى فرمانات سلطان الدولة العثمانية . اذ

أن الاصرار على أن فى استطاعة أحد المشايخ المحليين خرق هذه السيادة المؤكدة والمباشرة رسميا أو كسرها ، هو مبدأ خطير اذا طبقناه بشكل عام ، ولا يمكن للحكومة البريطانية أن توافق عليه .

ولكن الحكومة الايطالية صممت على التحدى وعلى عدم التراجع ، وأعلن رئيس وزرائها ... أن بيع بعض الشيوخ المحليين المعتبرين — على أنهم كانوا دائما مستقلين — لخليج عصب الى شركة « روباتينو » ، قد حول حق السيادة للحكومة الايطالية . وأضاف أن الشركة كانت قد تناست هذا المشروع فترة من الوقت ، ولكنها عادت والتفتت اليه نظرا لاهمية المصالح التى يمثلها انشاء محطة فى عصب ، خصوصا بعد افتتاح خط الملاحة الجديد فى البحر الاحمر .. ثم شرح مزايا خليج عصب ، والامل فى أن تتخذه التجارة الاوربية قاعدة للوصول الى الداخل ، وذكر أن واجب الحكومة الايطالية قد أصبح واضحا . ولما كانت عصب عبارة عن منطقة شبه خالية ، ويحيط بها بعض الاهالى من الرحل البدائيين ، فقد أملت الحكمة على حكومة روما أمر حماية هذه المحطة الناشئة ، واضطرتها الى اصدار أوامرها الى بعض سفنها بقياس المياه ، ودراسة السواحل فى هذه المنطقة من البحر الاحمر . وهدف رئيس الوزراء الايطالى الى عدم اغضاب انجلترا ، أو اثارة مخاوفها على طرق مواصلاتها الامبراطورية ، فأنهى خطابه بأن أكد أن خليج عصب ، لن يكون له فى أى يوم من الايام أهمية حربية وأن ايطاليا لن تهتم به الا من وجهة النظر التجارية وربما من الناحية العلمية .

وقد رأت انجلترا أن ايطاليا تواصل سياستها فى شرق السودان فلم تكتف بتوكيدات رئيس الوزارة الايطالية ، وأصدرت الامبرالية أمرها الى احدى السفن الحربية البريطانية بالتوجه الى عصب ، واستطلاع تحركات وأعمال السفن الحربية فيها . وجاء تقرير قبودانها مؤكدا : أن الايطاليين قد استولوا على كل الجزر الواقعة فى الخليج مثل استيلائهم على الساحل مما يسمح لهم بانشاء محطة للفحم ، ويمكنهم من الدفاع عنها بسهولة .

فلم تتأخر وزارة الخارجية البريطانية كثيرا فى اصدار مرسوم يقضى بمد سلطة القنصل البريطانى فى جدة على عصب ، وأخذت الوزارة الايطالية تتمعن فى الامر ، لان هذا القنصل كان معتمدا لدى السلطات العثمانية ، ويقوم بتمثيل بلاده فى الاراضى التركية . وكان هذا الاجراء من جانب الوزارة الانجليزية ، تأكيدا لتبعية سواحل البحر الاحمر للدولة العثمانية ، ومنعا لحكومة ايطاليا من تغيير وضع هذه الاراضى .. أى منعها من ضمها رسميا للدولة الايطالية ، أو اعلان حمايتها عليها .

لذلك خشيت الحكومة الايطالية من موقف انجلترا تجاه سواحل البحر الاحمر وشرق السودان . فحاولت أن تكسب ودها وتأييدها ، واضطر رئيس الحكومة الايطالية الى أن يكتب الى السفير الانجليزى فى روما ، ملخصا آراء حكومته بشأن عصب ، ومستندا الى بعض فقرات جاءت فى الكتاب الازرق الذى أصدرته وزارة الخارجية البريطانية بعد حملة نابيير على الحبشة .. استند كايرولى الى هذه الآراء ، لكى يثبت أن « سلطان » رهيطة — برهان — الذى تفاوض مع مندوبى شركة « روباتينو » كانت له حقوق سيادة على هذه الاراضى علاوة على حقوق ملكيته لها . وجدد كايرولى فى الوقت نفسه تأكيداته وتصريحاته التى أدلى بها سابقا .. والتى تصر على الطابع التجارى والعلمى للمنشأة الايطالية الجديدة . وأكد أن خليج عصب لن يتحول أبدا الى منشأة حكومية

لها طابع عسكرى ، وأن ايطاليا لن تضع أية حاميات أو قوات على الساحل أو الجزر ، ولن تقيم عليها أية تحصينات

وتشجعت حكومة القاهرة بعد معرفة موقف الحكومة البريطانية ، فلم تقف مكتوفة الايدى أمام مايدور على سواحل البحر الاحمر ، أو المراسلات والمناقشات الدائرة بين روما ولندن ، فأصدرت مرسوما فى ٨ من ابريل سنة ١٨٨٠ بتعيين على باشا رضا حاكما عاما ٠٠

على كل الساحل الغربى للبحر الاحمر ، وأكدت أن ممتلكاتها تمتد حتى رأس جاردفوى ، ثم استدعى مصطفى باشا فهمى ناظر الخارجية المصرى دى مارتينو القنصل العام الايطالى فى القاهرة ، وأبلغه أن مصر تدافع عن حقوق سيادتها التامة والمطلقة على خليج عصب ، وأنه اذا كانت شركة « روباتينو » ترغب فى انشاء محطة تجارية فى عصب ، أو مخزن للفحم اللازم للسفن ، فلم يكن ولن يكون هناك أسهل من أن تقدم طلبا بهذا الشأن الى الحكومة الخديوية التى أظهرت دائما استعدادها للالتفات لكل مايخدم الملاحة ويساعد على تنميتها وازدهارها ٠

عندئذ لجأت الحكومة الايطالية الى وزارة الخارجية البريطانية وطلبت من « جرانفيل » أن يستخدم نفوذه لمنع الخديو من القيام بمحاولات جديدة ، لا يمكنها الا أن تؤثر على حسن العلاقات التى ترغب ايطاليا فى الاحتفاظ بها مع كل الدول ٠ وفى الوقت نفسه أرسلت ايطاليا مذكرة الى الحكومة المصرية لاتحمل أى رغبة للتفاهم فى المسألة ٠٠ أكدت فيها أن كلا من الباب العالى ومصر لم يباشرا منذ قرون كثيرة ، أى حق من حقوق الملكية أو السيادة على هذه الاراضى ٠ وأضافت أن فرمان ١٨٦٦ لا يتعلق بالمسألة القائمة ، لان ايطاليا لا ترفض الاعتراف بأن مصر قد حصلت على ادارة مصوع ، بل ترفض امتداد هذه المحافظة بشكل يجعلها تشتمل على عصب ٠ **تلاعب بالآراء ، وبحقوق الغير ، واستناد الى القوة النسبية ، واعتماد على سوء الحالة فى مصر ٠**

وعلى أية حال ، فان كايرولى قد طلب فى المذكرة نفسها ، الاحتفاظ بالوضع القائم الى أن تثبت الحكومة المصرية حقوق ملكيتها وسيادتها على عصب ٠

وكانت هذه أول مذكرة رسمية تذكر الجزر الواقعة فى الخليج ٠٠ اذ أن المراسلات الايطالية السابقة لم تتحدث حتى الآن الا عن أراض اشترتها شركة « رباتينو » على الساحل ٠

شرحت الحكومة المصرية موقفها وحقوقها ، وقدمت الدلائل والبراهين التى لا يمكن لمنصف أن يغفلها ، وكان من حقها أن تعتقد فى انتهاء كل شك فى شرعية حقوقها ٠ وطلبت من ايطاليا أن تراعى وتلاحظ هى أيضا ــ رغم احتلالها لعصب ــ الاحتفاظ من جانبها بالوضع القائم ٠ ولكن الايطاليين بدأوا فى تحصين الساحل ، وفى ارساء المواد الحربية والجنود ٠٠ رغم التأكيدات الرسمية التى أعطتها حكومتهم من أنه ليس لها أية مشروعات فى عصب الا من الناحيتين التجارية والعلمية ٠

احتفظت مصر اذن بموقفها ، ورفضت الاعتراف بأية منشأة أجنبية على سواحل البحر الاحمر ٠ وأكد مصطفى فهمى باشا ، أن الحكومة المصرية لاتنوى ادخال أى تغيير على الموقف الذى اتخذته أمام الادعاءات الايطالية ٠ ولكن الايطاليين لم يعيروا حقوق مصر كبير التفات ، واستمروا

فى أعمالهم على سواحل البحر الاحمر فأخذوا فى بناء المنازل ، وبعض الورش واحدى السقالات ٠٠ رغم عدم وجود ايطاليين مقيمين فى هذه الجهة سوى « سابيتو » المبشر المستشرق ، الذى

ساعد فى جمع بعض البــدو للعمل تحت أوامر بحارة السفينتين الحربيتين الايطاليتين ٠

وقام « ســابيتو » بجانب هــذه الاعمال الانشائية ، بأعمال أخرى لها صبغة سياســية واضحة : ذلك أن « برهان » قد شعر بحرج مركزه تجاه السلطات المصرية ، اذ لم يكن من المعقول أن تبقى أخبار العقود ـ التى وقع عليها ، والمبالغ التى تسلمها من الايطاليين ـ سرا لمدة طويلة . كان قد تسلم بعض المبالغ ٠٠ وكان فى انتظار تسلم غيرها ٠ وفهم « ســابيتو » من ناحيــة أخرى ، أن أى اجراء تتخــذه السلطات المصرية ضد برهان ـ وهو أحد رعاياها وموظف لديها ـ يمكنه أن يهدد جميع العقود الذى قام هذا الشيخ بوضع بصمته عليهــا ، ويهدد بالتالى « القواعد » والحجج التى أراد أن يبنى عليها وثائق الممتلكات الايطالية فى البحر الاحمر وشرق السودان ٠ وكان هــذا هو السبب الذى دعا كــلا من « سابيتو » و «برهان» الى التفكير فى تغيير جنسية هذا الاخير ٠

قابل ســابيتو « برهان » فى يوم ٢٠ من سبتمبر سنة ١٨٨٠ ، ووقعا على عقد جديد فيه وصف لبرهان ٠٠ بأنه سلطان رهيطة ، والمالك لكل البلاد والسواحل فى خليج أنسلى ، وخليج تاجورة حتى الممتلكات الايطالية فى منطقــة الدناقل ٠ وكان الجنــرال الانجليزى « نابيير » قد أبلغ بلاده عند نزوله فى خليج أنسلى بجوار مصوع سنة ١٨٦٧ ، فى حملته على الحبشة ، « أنه لايظهر لمصر سلطة واضــحة على هذا الخليج ، وذلك تمهيدا لاستيلاء الانجليز عليه ، والســيطرة منه على الحبشة ، أو عملا على العودة اليه مرة أخرى ، ان اقتضى الامر ذلك ، دون أن تعــارض مصر فى هــذه العودة » ٠ ونشرت انجلترا هذا التقرير فأرادت ايطاليا الاســتفادة من ذلك ونسبة ملكية هذا الخليج والسيادة عليه الى برهان رهيطة ، تلاعبا بحقوق مصر ، وارتكانا الى تقرير انجليزى ٠

ولقد أعلن برهان رهيطة ، خضوعه التام لملك ايطاليا ٠ وأعلن تبعيته له دون أن يدفع أية جزية ٠ وتعهد بالا يسمح بتجارة الرقيق فى جميع أنحاء « ســلطنته » ، وأن يعطى لشركــة « روباتينــو » ولجميع الايطــاليين كل التسهيلات اللازمة لاقامتهم فى سلطنته أو لارتحالهم فى أنحائها دون أن يجبرهم على دفع أية ضريبة ، وأن يحمى الممتلكات الايطالية فى خليج «عصب» والسواحل التى اشــترتها الشركة ٠ والوكالات والقوافل الايطالية التى تقيم أو تسافر فى أرجاء بلاده ، وأن يتعاون جديا مع الايطاليين ، وألا يبيع أو يتصرف فى أى جزء من بلاده أو ممتلكاته دون أن يحصل على موافقة الحكومة الايطالية وألا يدخل فى حرب مع أعداء خارجيين، أو مع أية قبيلة أخرى من العــدايل والدناقل ، دون أن يستشير السلطات الايطاليــة فى عصب ، تلك السلطات التى تستطيع أن تحــكم على الموقف ، وتقدر المشكلات الداخلية أو المصاعب الخارجية ٠ وأصبح لبرهان الحق فى رفع العلم الايطــالى على سلطنتــه ٠٠ وذلك لكى يظهر لكل الاهالى والاجانب، أنه قد أصبح سلطانا تابعا لملك ايطاليا وتحت حمــاية حكومته ٠ ولم يصبح برهان موظفا ايطاليا بعد توقيعه على هذا العقد ، ولكنه حصل من «سابيتو» على وعد بأنه يتسلم سنويا مبلغا من المال فى نظير الخدمات التى سيقدمها للايطاليين ٠ ولكن على شرط أن يبقى كل ذلك سرا حتى تصل موافقة حكومة روما عليه ٠

***

أصبح الامر اذن فى منتهى الدقة فى البحر الاحمر ، ووافقت حكومة روما على هذا العقد ، ولكنها نفسها شعرت بالاخطار التى تهــددها من تجــاه

السلطات المصرية . فأرسل وزير الخارجية الايطالية برقيتين الى قنصله في عدن ، يشرح له فيهما مايجب عليه فعله في هذه المسألة . وحضر قبودان احدى السفن الحربية الايطالية الى «برهان» ، وأوصاه بعدم التحدث الى أحد عن هذا العقد ، كما أوصاه بالاحتجاج « رسميا » في حالة وقوع أي اعتداء عليه ، وأن يحتاط من القبض عليه ، ويلتجىء الى عصب في حالة الضرورة .

وظلت الحكومة الايطالية تسعى للوصول الى تسوية مسألة « عصب » مع مصر . ولقد عرف العالم محمد توفيق بضعفه الظاهر الواضح .. مما أثبت لايطاليا أنه أضعف نقطة في خط الدفاع عن السيادة الاقليمية المصرية ، يمكن عبرها للوصول الى مصالحها الاستعمارية . ورغما عن ذلك فلم يكن من سلطة الخديو أن يتصرف في أراضي الدولة ، ولم يكن ليوافق على أن تتقاسم الدول أملاكه . وكان يخشى من أن يكون ضعفه في هذه المسألة ذريعة لتدخل سلطان تركيا في الامر وعزله، كما فعل مع أبيه من قبل ، أو أن يقلب عليه الشعب من ناحية أخرى دون أي مقابل . ولم يكن في استطاعة ايطاليا أن تصل الى موافقة محمد توفيق ، دون أن تمر عن طريق الوزارة المصرية التي كانت تعارض كل المعارضة ، في التفريط في حقوق البلاد ، وفي الموافقة على توسع ايطاليا في سواحل البحر الاحمر على حساب مصر . وكان موقف الوزراء المصريين معروفا لا غبار عليه ، وحتى السلطات القنصلية البريطانية في القاهرة كانت تعارض المشروعات الايطالية . وكان للسير ادوارد ماليت من السمعة ... مايحرم ايطاليا من التفكير في أي أمل للاتفاق معه على حساب الامبراطورية البريطانية ، أو على حساب مصر .

ولكن الحكومة الايطالية أرادت الاستفادة من مجيء جلادستون للحكم في بريطانيا ، فاتهمت وزارة **دزرائيلي** السابقة بأنها كانت تعمل على السيطرة على شئون مصر ، ثم شكت من نشاط القنصل البريطاني في القاهرة ، واتهمته بالعمل على معارضة النفوذ الشرعي لايطاليا في مصر ، لاسيما في مسألة انشاء محطة عصب . وأعلنت ايطاليا رغبتها في التعاون السلمي مع بريطانيا لدعم النظام في مصر ، وأكدت أن المحاولة الايطالية المتواضعة على سواحل البحر الاحمر ، لن تسعى الا للتنمية الاقتصادية ولن تتعارض ، ولو مؤقتا ، مع المصالح البريطانية . ثم طلبت من انجلترا أن تدعو قنصلها العام في القاهرة الى التفكير في الود المتبادل ، والمصالح المتبادلة بين كل من ايطاليا وبريطانيا العظمى . ولم تنتظر الحكومة الايطالية نتيجة هذه المذكرة ، حتى تبدأ في الخطوة التالية التي كانت قد رتبت كل شيء من أجلها ، بل أعدت مشروعا لتنظيم وانشاء مؤسستها في البحر الاحمر ، ووافق مجلس الوزراء الايطالي في يوم ٢٤ من ديسمبر سنة ١٨٨٠ على مرسوم خاص بانشاء وتنظيم اختصاصات « القومسيير المدني» لهذه المؤسسة ولتمثيل الحكومة الايطالية في عصب . كان على هذا القومسيير أن يخضع مؤقتا لوزير الخارجية الايطالية ، وأن يشرف على جميع الادارات بمساعدة سكرتير ومحاسب ومندوب للامن العام وأحد المترجمين . وكان على مندوب الامن العام ، أن يحافظ على النظام ، وينشىء قوة صغيرة من الحرس تتألف من الاهالي ، وتخضع للقومسيير الذي كان له أن يشرف على تنظيمها طبقا لعدد سكان المستعمرة وحاجاتهم وعاداتهم . وعهد هذا المرسوم بالخدمة الصحية الى طبيب السفينة الحربية الراسية في « عصب » ، فكان عليه أن يباشر سلطاته باسم القومسيير . أما المحاسب

فعليه أن يشرف على أعمال البريدأيضا وكان للقومسيير أن يحكم طبقاللقوانين السارية فى ايطاليا • وأنشأت الحكومة الايطالية محطة بحرية فى خليج عصب توكيدا لسلطة القومسيير ، واجابة لحاجاته للدفاع عن المستعمرة والمحافظة على النظام فيها • وكان على قائد هذه المحطة أن يحافظ فى معاملاته مع القومسيير ، وهو يحتل منصبا يعادل منصب القناصل على اللوائح القنصلية الخاصة بالبحرية الايطالية • وكان على القائد أن يشارك فى أعمال الاستكشافات الجغرافية والاعمال الطبوغرافية والهيدروغرافية وغيرها مما يلزم للمستعمرة • وكان عليه أن يشرف على تنظيم الحملات والاعمال التى سيشارك فيها رجال البحرية الخاضعون له ، وذلك مع القومسيير • وكان للقومسيير الحق فى الاتفاق مع قائد المحطة البحرية ، واعطاء مكافآت لرجال البحرية الذين سيقومون بأعمال يدوية ، وذلك بنسب تتمشى مع رتبهم واذا ما اضطرت مصلحة الدولة القومسيير الى زيارة أى جزء من الساحل كان له الحق فى أن يطلب من قائد المحطة البحرية القيام بهذه الزيارة على السفن الحربية الايطالية • وتكون القيادة فى هذه الحالات الخاصة بين يدى قائد المحطة البحرية بطبيعة الحال • ولم يكن فى استطاعة القائد أن يترك خليج عصب دون تبليغ ذلك للقومسيير وقبل أن يتخذ معه الاجراءات اللازمة لضمان الامن ، والمحافظة على النظام فى أثناء غيابه بعيدا عن المستعمرة • وعلى العكس من ذلك فان جميع اختصاصات القومسيير تعود – فى حالة غيابه – الى قائد المحطة البحرية الايطالية فى عصب •

أعلن هذا المرسوم وحده فى أراضى عصب ، وذلك باتفاق بين الحكومة الايطالية وشركة روباتينو • ونص على عدم وجود أية تفرقة بين الايطاليين والاجانب فى الاقامة فى عصب • ولكن كان على كل منهم أن يحصل على تصريح خاص بهذه الاقامة • وكلفت الحكومة القومسيير بالاشراف على اقامة كل من الاهالى والهنود فى أحياء خاصة بهم ، ومنفصلة تماما عن احياء اقامة الاوربيين • وألغى هذا المرسوم بطبيعة الحال تجارة الرقيق فى أراضى عصب وخليجها • وأخيرا فانه قد نص على حرية الدخول الى الميناء دون دفع أية ضرائب أو رسوم جمركية أو ملاحية ، أو خاصة بالمنائر وأعفى المقيمين بها من الضرائب المباشرة وغير المباشرة •• وذلك تشجيعا على الاقامة هناك •

***

نشرت الصحف خبر انشاء محطة بحرية وتجارية ايطالية فى عصب • ثم تحدثت الصحافة الايطالية عن تعيين أحد الموظفين الايطاليين قومسييرا فى عصب «للاشراف على الادارة المدنية لهذه المستعمرة » • فأبرق مصطفى باشا الى على رضا حاكم عام سواحل البحر الاحمر وكلفه الذهاب الى عصب ، وعمل تقرير عما يجرى هناك • وعلم على رضا بأمر الاتفاق السرى الذى عقد منذ حوالى سنة بين شيخ رهيطة وبين سابيتو ، ذلك الاتفاق الذى أعطى لشركة روباتينو بقية ساحل الخليج والجزر الموجودة فيه علاوة على ذلك الجزء من الساحل الواقع الى الشمال من رأس لومة • فلفت نظر سابيتو فى مذكرة بتاريخ ٢٦ من ديسمبر سنة ١٨٨٠ ، وبصفته حاكما عاما لسواحل البحر الاحمر ، الى أن مصر تمتلك كل الساحل الممتد ، من السويس حتى رأس حافون وليس لاحد غيرها أى حقوق سيادة عليه وأن شيخ رهيطه ليس الا « رعية مصرية وموظفا منذ سنوات لدى حكومة الخديو . ونتيجة لذلك فليس له ، وليس لاى

غيره الحق فى التصرف فى أى جزء من الساحل أو فى الجزر ، وأن الامانة تتطلب التخاطب مع الحكومة المصرية، المالكة الوحيدة لهذه البلاد .

وعلم الحاكم العام المصرى أيضا : ان الايطاليين قد منعوا ابراهيم ، شيخ ناحية « عصب » من الاتصال بالسفينة المصرية « الجعفرية » ، فى يوم ٢٤ من ديسمبر ، ورغما عن كونه مصريا ، فان سابيتو قد منعه ، وهدده اذا ماذهب الى السفينة ، وأرسل خطابا الى شيخ رهيطه ينصحه فيه بعدم تلبية استدعاء الحاكم العام له . ولم يكن فى استطاعة على رضا ، أن يسكت على مثل هذه الافعال والوسائل رغم حرصه على المحافظة على تحسين العلاقات مع الاجانب المقيمين فى الاراضى المصرية ، وأن يعاملهم بما أوصته به حكومته التى لاتسعى الا الى المحافظة على العلاقات الودية مع الدول الاجنبية .

ولذلك فانه قد احتج على تصرفات « سابيتو » واحتفظ بجميع الحقوق للحكومة المصرية . ولم ينس أن يذكر لسابيتو أن جميع هذه الاتفاقات المذكورة ، باطلة أصلا وشرعا مثلها فى ذلك : مثل موضوع « عصب » الذى عالجه بطريقة مماثلة . ثم استمر على باشا رضا فى دورته التفتيشية فزار زيلع وبربره وبلهار وتارجورة ورهيطه وأبلغ القاهرة ، قبل عودته لمصوع ، أنه قد أوقف صرف مرتبات عدد من شيوخ العربان المقيمين على الساحل ، وأمر بفصلهم من الخدمة .

ومما لاشك فيه ، أن هذه الاجراءات هى أقل مايمكن لحكومة أن تقوم به تجاه الاجانب المقيمين فى أراضيها ، وتجاه بعض العربان الرحل الذين لايقدرون معنى التصرف فى أراضى الدولة وبيعها للاجنبى الاستفادة به من وجود « نظام ضعف الحكومة الخديوية فى ذلك الوقت ، وتدل أيضا على مقدار مايمكن للاجانب . ولكنها تدل على أية حال على امتيازات » فى البلاد الشرقية .

أما انجلترا ، فانها واصلت تصميمها على عدم ترك حرية العمل للحكومة الايطالية فى البحر الاحمر ، حتى لاتهدد قاعدتها فى عدن فى يوم من الايام .. فأسرعت وزارة الخارجية البريطانية بابلاغ روما ، أنها قد سجلت ، بكل سرور ، تصريحاتها الواضحة القاطعة التى قدمها رئيس وزرائها للسفير الانجليزى بأنها لن تنشىء فى « عصب » ، أية مؤسسة حكومية لها طابع عسكرى ، وأن ايطاليا لن تحتفظ بجنود ، أو تقيم أية استحكامات على الساحل ، أو على الجزر الواقعة فى الخليج .

شعرت انجلترا اذن ... بأنها لاتستطيع أن تمنع ايطاليا من أن تقيم مستعمرتها فى شرق السودان ، ولذلك فانها اعترفت بها بشرط خاص حتى تقيد حرية ايطاليا فى العمل هناك .

فأسرعت حكومة روما وأكدت لانجلترا أن تعليماتها الصادرة للقومسيير فى « عصب » ، تهدف الى طمأنة انجلترا ، وتحاول كسب تأييدها ، فكان عليه ألا يخفى على أحد أن عصب لن تكون فى يوم من الايام وسيلة لمضايقة انجلترا ، أو نقطة لتهديد الممتلكات البريطانية ، وأنه سيكون من دواعى الشرف لايطاليا أن تجد السفن الانجليزية فى يوم من الايام فى هذا الميناء ... ماقد يكون نافعا لها . وبعد يومين زار السفير الايطالى فى لندن جرانفيل وزير الخارجية وترك له نص برقية .. ادعى أن كايرولى قد أرسلها للقومسيير الايطالى فى عصب ، يمدح فيها سلوكه للامتناع عن عمل محضر رسمى عند وصوله لعصب ، وعن كل عمل قد يظهر على أنه استيلاء رسمى من جانب الحكومة الايطالية ، لا سيما وأن

الصحف كانت قد أظهرت تعيينه فى هذا المنصب .. على أنه عملية استيلاء رسمية تقوم بها ايطاليا على سواحل البحر الاحمر ، مما قد يثير شكوك أية دولة من الدول . وتزلف من جانب ايطاليا لانجلترا ، وخداع بالشكليات التى تخفى وراءها الرغبة فى التوسع على حساب الغير .

وعلى أية حال فان التوكيدات التى أعطتها ايطاليا لانجلترا ، كانت صريحة ... اذ أنها أعلنت فيها ، أنها لن تتنازل عن هذه التجربة التى يمكن أن

تصبح ناجحة من الناحية التجارية ، ومصدر ربح للمصالح الايطالية دون أن تضايق انجلترا بأى شكل من الاشكال .

ولقد صحبت ايطاليا هذه التوكيدات بطلب تقدمت به لحكومة لندن وشرحت فيه : أنها ستضطر الى أن تتقدم الى البرلمان لكى يوافق على الميزانية الخاصة بعصب ، وأنها تأمل فى أن تتمكن فى الوقت نفسه من أن تعلن ، أن انجلترا لا تعارض فى قيام مؤسسة « عصب » الناشئة ، وأنها قد أكدت للحكومة الايطالية أنها تؤيدها أدبيا اذ أن الامر لا يعدو انشاء نقطة تموين للملاحة على ساحل قاحل غير مشجع ، ويقترب سكانه من المتوحشين » . ولكن الحكومة البريطانية لم تكن مستعدة لتقديم مثل هذا التصريح ، أو الموافقة على التصريح به فى البرلمان الايطالى على لسانها .

وفى هذا الوقت نشرت الصحف الايطالية بلاغات ، تدل على أن القومسيير قد استولى على أراضى عصب رسميا باسم الحكومة الايطالية . فأسرع السفير الايطالى فى لندن بتأكيد عدم صحة هذه الاخبار للورد جرانفيل ،

وأكد له أن مهمة القومسيير ، ليست الا المحافظة على النظام . ولكن وزارة

الخارجية البريطانية ، كانت قد تأكدت من أن ايطاليا تظهر غير ما تخفى ،

وشعرت بأن ايطاليا لن تنفذ تعهداتها . **وستستمر فى تنفيذ سياستها التوسعية ، وستواصل مصر الاعتراف بشرعية النشاط الايطالى فى شرق السودان . أما انجلترا فان موقفها**

سيزداد ميوعة مع الزمن ، حتى تدخل قواتها العسكرية مصر باسم الدفاع عن

الخديو ضد شعبه . وفى هذا الوقت لن يتحدث أحد عن ايطاليا فى شرق

السودان .. اذ أن حرس الخديو سيصبح من الانجليز ، وتسيطر انجلترا على مصر كلها ، وتتدخل فى السودان ، وتترك « عصب » ، قطعة صغيرة من العظم ، لكى تشغل ايطاليا بها .. !!

التجار العرب فى أوغندة ..

للدكتور ابراهيم احمد العدوى

لم يعرف التاريخ أمة أسهمت فى رقى شرق أفريقيا والنهوض بمستوى أهلها الاقتصادى والسياسى غير الامة العربية . وفضلا عن ذلك ارتبط مصير كل من العرب وسكان شرق أفريقيا بعضهما ببعض من حيث عوامل النهوض والمجد ، ومن حيث أسباب الركود والانحلال . ذلك أن العلاقات بين العرب وبلاد شرق أفريقيا عريقة فى القدم .. ترجع الى الأيام الأولى التى عاشها العربى فى مهده الاول قبل الاسلام ، والتى زادها ظهور الدين الجديد قوة وازدهارا ، ثم حبتها العصور المتوالية بالرعاية حتى الوقت الحاضر ، حيث تستمد تلك البلاد الافريقية مرة أخرى من يقظة الامة العربية اليوم ما يحقق لها الحرية الكاملة ، واستعادة مجدها الزاهر الذى شاهدته أيام علاقاتها الاولى مع العرب فى ظل انتشار الاسلام .

وكان السبب فى قوة تلك الصلات العربية مع شرق افريقية هو : أنها اتخذت منذ بدايتها طابعا سلميا قوامه تبادل المصالح ، والتعاون على بناء حضارة زاهرة على شواطىء تلك اللجة الشاسعة من المياه التى تمتد من السواحل الجنوبية لبلاد العرب الى الساحل الشرقى لافريقيا . وقام التجار العرب منذ أقدم العصور برسل هذه الحضارة الجديدة ، التى لم تعرف استعمارا أو استغلالا .. وانما استهدفت اتاحة الفرص امام سكان شرق أفريقية للاتصال بالعالم الخارجى ، وتصريف منتجاتهم فى شتى الاسواق ، والمساهمة بدورهم فى بناء رفاهية الانسانية . وتجلت أولى مهام التجار العرب حين نجحوا فى اخراج شرق أفريقيا من عزلتها ، وربطوها بأهم مصادر للانتاج العالمى فى الشرق الاقصى وفى بلاد البحر الابيض المتوسط . وساعد العرب على تحقيق هذه الخطوة الهامة فى اقتصاديات شرق أفريقيا ، أنهم كانوا يتمتعون بحكم موقعهم الجغرافى فى الاشراف على الشريان التجارى العظيم الذى يبدأ من الصين والهند ، ثم يسير بحرا بمحاذاة جنوب بلاد العرب . ويجتاز بوغاز باب المندب حيث يتابع يسير بحرا بمحازاة جنوب بلادالعرب . فى مصر والشام ، وهى الاسواق الظامئة الى المتاجر الشرقية .

وكان عرب الجنوب من سكان اليمن وحضرموت وعمان ، هم عمد الرباط التجارى بين شرق أفريقيا وهذا الطريق التجارى العظيم . اذ اشتهر أولئك العرب بخبرتهم العالية فى ركوب البحار ، وبثرواتهم العظيمة التى استغلوها فى التبادل التجارى ، وكرسوا جهودهم وأموالهم لخدمة هذه الجهات الافريقية وحمايتها من الطامعين . فكان عرب الجنوب يعرفون سرا الملاحة فى هذه الرقعة الشاسعة من المياه الجنوبية التى تربط بلادهم ، بساحل افريقيا الشرقى ،

وحرصوا خالفا عن سالف على اخفاء هذا السر عن غيرهم حتى لا يجرؤا على نهب مصادر الانتاج فى تلك الجهات الافريقية . وتجلت المطامع الاستعمارية ضد سيادة عرب الجنوب التجارية فى سياسة الدولة الرومانية الكبرى بعاصمتها روما ، ثم فى وليدتها الدولة الرومانية الشرقية ، أو الامبراطورية البيزنطية بعاصمتها القسطنطينية . ذلك أن عرب الجنوب عرفوا استخدام الرياح الموسمية فى ربط مصادر الانتاج فى شرق أفريقيا ببلاد الشرق الاقصى ، ثم اتخاذها من اليمن نقطة التلاقى لتلك السلع الشرقية كلها .

ومن بلاد اليمن تولى عرب الشمال من سكان نجد والحجاز نقل هذه المتاجر الشرقية بوساطة قوافلهم الكثيرة الى البلاد المطلة على شرق البحر الابيض المتوسط . واختص عرب الشمال بهذا الدور الثانى من نقل المتاجر الشرقية بسبب اجادتهم السير فى الصحراء ، ومعرفة المسالك عبرها حتى حدود مصر والشام .. وكانت هذه البلاد من شرق البحر الابيض المتوسط خاضعة لسلطان روما التى تحرق سادتها غيظا من سيادة عرب الجنوب التجارية ، وعمدوا بشتى الوسائل السلمية والحربية الى تحطيم تلك السيادة ، والوصول الى مصادر الانتاج التى احتفظ العرب بسرها . وبعثت روما فى سنة ٢٥ ق.م ، حملة حربية على رأسها والى مصر الرومانى جايوس جالوس لانتزاع مجدالعرب التجارى . ولكن تلك الحملة باءت بالفشل ، وظل عرب الجنوب يتابعون رسالتهم فى حماية مصادر الانتاج بشرق أفريقيا .

ولما سقطت الدولة الرومانية وخلفتها الامبراطورية البيزنطية تابعت القسطنطينية رسالة أمها روما فى منافسة عرب الجنوب ، واكتشاف سر تجارتهم . واستعانت الامبراطورية البيزنطية باحدى الدول الافريقية ذات المكانة الجغرافية بشرق أفريقيا وهى دولة الحبشة على التدخل فى شئون عرب الجنوب ببلاد اليمن . وساعد القسطنطينية على تحقيق مآربها قيام صراع دينى فى القرن الخامس الميلادى بين اتباع المسيحية واليهودية فى بلاد اليمن . فأعد نجاشي الحبشة حملة بناء على طلب امبراطور الروم ، وعبرت المياه الى اليمن لمساعدة المسيحيين ، واحتلت البلاد مسجلة بذلك مطامع الاجنبى ضد العرب من ساحل أفريقيا الشرقى .

غير أن ظهور الاسلام أعاد للعرب فى بلادهم مجدهم الماضى ، وأضاف اليه قوة ورسالة سامية ، ساعدتهم على استرداد مكانتهم التجارية القديمة فى مياه أفريقيا الشرقية وبلاد الشرق الاقصى كذلك . وأخذت سفن التجار العرب من اليمن وحضرموت وعمان تبحر مرة أخرى الى بلاد شرق أفريقيا من الحبشة شمالا .. الى أرض الصومال حتى موزمبيق وما جاورها من جزيرة مدغشقر جنوبا . وبدأت فى ظل الاسلام المرحلة الكبرى الثانية من رسالة التجار العرب فى بناء حضارة تلك الجهات من شرق أفريقية وتنظيم أحوال سكانها اقتصاديا وسياسيا . وقد أطلق العرب على تلك الجهات الشرقية من أفريقيا اسم بلاد الزنج دون أن يفرقوا بين منطقة أو أخرى ، أو يميزوا بين جماعة من سكانها وغيرهم . وكان أولئك السكان لا يعرفون اذ ذاك الا مظاهر بدائية من الاقتصاد ، قوامها رعى الابقار والاغنام ، وصيد بعض الحيوانات مثل الفيلة ، وزراعة أنواع بسيطة مثل اللوبيا والزنجبيل .

ولكن تغيرت معالم هذا الاقتصاد

البدائى بوصول التجار العرب الى شرق أفريقية . وكانت أولى مظاهر التطور الجديد تأسيس مراكز تجارية هامة على الساحل الشرقى ، وبعث الحياة فى موانىء أخرى ، صارت محطات تفد اليها منتجات الجهات الداخلية من شرق أفريقيا ، ويقوم التجار العرب بتصديرها فى مقابل السلع الشرقية التى تأتى من شتى الجهات وترتب على قيام هذه المراكز التجارية اتساع آفاق سكان شرق أفريقيا ، وبحثهم عما فى بلادهم من كنوز وخيرات طبيعية ، تساعدهم على دعم التبادل التجارى مع العرب ، والحصول على انتاج البلاد المتحضرة من الصين والهند ومصر . وكانت مدينة زيلع من أولى ثغور شرق أفريقية التى علا شأنها نتيجة نشاط التجار العرب . فأصبح ميناء زيلع يستقبل السفن التجارية فى أعداد كبيرة ، ويتلقى من داخل البلاد المنتجات الحبشية ، مثل البن واللبان والبخور ، وجاء اليها فى مقابل ذلك التوابل من الهند ، والجواهر من سيلان ، والقرنفل وخشب الصندل من الصين الهندية ، والفلفل من ملبار والمسك والكشمير من السند ، والحرير من الصين ، كما وصلت اليها من مصر المنسوجات والاقمشة الموشاة بالذهب والاوانى .

وتأسست الى جانب زيلع ميناء تجارى آخر هام هو : مقدشو ، التى صارت عروس بلاد الصومال . ونشأت تلك المدينة سنة ٩٠٨ م ، ثم تطورت سريعا بفضل نشاط التجار العرب ، حتى أصبحت من أكبر المراكز التجارية بشرق أفريقيا . وقامت علاقات وثيقة بين هذا الميناء الجديد وبين بلاد العرب ومصر كذلك حتى صارت أسواقها عامرة بالمنتجات العربية ، وتجد لسلعها الوطنية أسواقا كبرى فى خارج البلاد . واشتهر أهل مقدشو والسلطات الحاكمة فيها باكرام التجار العرب ، وتقديم كل المساعدات لهم بسبب أهميتهم فى اقتصاديات البلاد .

وأصبح أهل مقدشو على خبرة واسعة بالشئون التجارية ، فكان «من عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب الى المرسى تصعد «الصنابق» وهى القوارب الصغيرة اليه . ويكون فى كل صنبوق جماعة من شبان أهلها ، فيأتى كل واحد منهم بطبق مغطى .. فيه الطعام ، فيقدمه لتاجر من تجار المركب ، ويقول هذا نزيلى . وكذلك يفعل كل واحد منهم ، ولا ينزل التاجر من المركب الا الى نزيله من هؤلاء الشبان ، الا من كان كثير التردد الى البلد ، وحصلت له معرفة بأهلها ، فانه ينزل حيث شاء ، فاذا نزل عند نزيله باع ما عنده واشترى له . ومن اشترى منه ببخس أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك مردود عندهم ، ولهم منعه فى ذلك » . وأصبحت مقدشو مقر جالية كبيرة من التجار العرب بفضل هذه الدقة والامانة فى المعاملات التجارية ، وصارت اللغة العربية تجد سبيلها الى الاهالى المحليين .

وتأسس على يد العرب كذلك ، بعد مقدشو بوقت قصير ، مركز تجارى آخر هام بشرق أفريقيا ، وهى مدينة ((كلوة)) براوة الحالية ، سنة ٩٧٥ م ، مما يدل على اتساع نشاط العرب التجارى بالمياه الافريقية فى القرن العاشر الميلادى . ولقى التجار العرب من حكام هذه المدينة أيضا كل مودة وتكريم ، واختصوا بالعطايا فى المناسبات والاعياد . وأدى الثراء التجارى الذى تمتعت به كلوة الى انصراف جماعة من سكانها العرب الى التأليف وتدوين أحداث العلاقات

بين العرب وشرق أفريقيا ، وكذلك الامتزاج بين أولئك العرب والسكان المحليين ، والتعاون على بناء مجد سياسى فى تلك الإرجاء . وقد عثر البرتغاليون فى مطالع استعمارهم لشرق أفريقيا على كثير من تلك المخطوطات العربية فى مدينة كلوة ، واستفادوا مما فيها من أحوال تلك البلاد التجارية ، واكتشاف الكثير من أسرار التجارة العربية هناك . ولعل الدراسات العربية الحديثة تتجه الى الحصول على تلك المخطوطات ونشرها باعتبار ذلك خطوة هامة فى سبيل دعم أواصر القربى العربية مع بلاد شرق أفريقيا اليوم ، وتبصيرها بما نالته من مجد زاهر فى ظل العلاقات التجارية مع العرب .

والى جانب **مقدشو وكلوة** قام مركزان تجاريان آخران كان لهما أكبر الاثر في دعم نشاط التجار العرب فى شرق أفريقيا هما : ممبسة وزنزبار . وقد تمتع كل من هذين المركزين بمواصلات سهلة الى داخل البلاد حتى منطقة البحيرات العظمى وجلب محاصيل جديدة من تلك الجهات الى شرق أفريقيا ، وتحسين صادراتها الى الخارج . وكشف ازدهار كل من ممبسة وزنزبار عن حسن اختيار التجار العرب لمراكزهم التجارية بشرق أفريقيا ، حيث تمتع كل منهما بمياه هادئة تصلح لرسو السفن . ومازالت كل منهما تؤدى رسالتها فى خدمة اقتصاديات الساحل الشرقى لافريقيا الى اليوم .

وكان اقليم **سوفالة** وهو موزمبيق الحالية ، آخر مظهر من مظاهر وصول التجار العرب الى أقصى جنوب الساحل الشرقى لافريقيا . وهناك عرف التجار العرب معدن الذهب الذى اشتهرت به أرجاء كثيرة من أرض أفريقيا ، وعملوا فى تصديره الى جهات العالم الخارجية . وبدأ ساحل موزمبيق يشاهد بدوره رخاء اقتصاديا جلبه له التجار العرب . ويرتبط بفضل هذا النشاط التجارى العربى مع سائر جيرانه من بلادشرق أفريقيا .

وظل التجار العرب رسل الحضارة فى شرق أفريقيا ، وربط أهلها بعضهم ببعض أولا ، ثم مع مراكز العروبة خارج أفريقيا ثانيا . ونجح التجار العرب بفضل اتصالهم السلمى بالاهالى المحليين فى القضاء على كثير من مظاهر الوحشية والديانات الوثنية فى شرق أفريقيا .

وكان سلوك التجار العرب مشرفا ، وخير سبيل حببهم الى الاهالى هناك ذلك أنهم كانوا مثالا للامانة فى المعاملة وصدق الوعد وحسن الجوار . وفضلا عن ذلك نظر العرب الى جيرانهم من السكان نظرة اسلامية صادقة لاتعرف حاجزا لونيا ، وانما الكل سواء أمام الله . وبدأت بذلك حركة امتزاج كبرى بين الجاليات العربية من التجار ومن وفد فى ركبهم ، وبين سكان شرق أفريقيا ، كما أخذت السفن العربية تحمل من تثقف من أولئك السكان الى معاهد العلم بالبلاد العربية ولا سيما فى مصر حيث الأزهر الشريف ، ثم تعيدهم الى بلادهم ليكونوا رسل هداية وانقاذ لمواطنيهم .

غير أن جهود التجار العرب فى شرق افريقيا تعرضت لصدمة قاسية أشبه باللطمة التى تعرض لهاالعالم العربى كله ، نتيجة الاطماع الاوروبية التى بدأت تكشف عن قناعها ازاء العرب فى مطالع العصور الحديثة . ذلك أن أوربا لم تنس منذ هزيمتها فىالحروب الصليبية فشلها فى انتزاع السيادة التجارية من العرب ، وبدأت تبحث عن طرق أخرى تجنبها اشراف العرب

على المتاجر الشرقية ، وتسلبهم بالتالى هذه الزعامة التجارية ، وقد شجع أوربا على التنفيس عن حقدها التجارى على العرب ما شاهدته بلادها من انقلاب صناعى هائل تطلب أمرين : الحصول على المواد الخام من الشرق ، ثم البحث عن أسواق لتصريف منتجات هذا الانقلاب العظيم .

وتمخضت هذه التطورات الاوروبية عن بدء عصر الكشوف الجغرافية التى استهدفت أولا تجنب الطرق التجارية الخاضعة لاشراف العرب ، والبحث عن مسالك جديدة الى الشرق الاقصى

وأصاب شرق أفريقيا قدر كبير من الاضرار التى نزلت بالعالم العربى كله ، نتيجة هذا الحقد الاوربى على التجارة العربية . ذلك أن البرتغاليين بدأوا منذ أيام هنرى الملاح ، الطواف حول شواطىء أفريقيا بغية الوصول الى الشرق الاقصى دون الاعتماد على التجار العرب . ودخلت كشوف البرتغاليين مرحلتها الحاسمة حين استطاع برثلميو دياز الطواف برأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٨ م . فبعد عشر سنوات من هذا الكشف وصل برتغالى آخر وهو فاسكو داجاما الى الساحل الشرقى لافريقيا . وهناك أدهشه ازدهار التجارة العربية ، وكثرة التجار العرب فى موانى شرق أفريقيا ، ومعيشتهم مع الاهالى المحليين فى طمأنينة وسلام .

وبدأ فاسكو داجاما من شرق أفريقية يدرس نشاط العرب التجارى كما استفاد من معلوماتهم التى قدموها له فى ثقة من أجل الوصول الى الشرق الاقصى . وبدأت حينئذ ضربات الاوربيين للتجار العرب بشرق أفريقيا ونهب تراثهم على امتداد المياه من تلك الجهات الافريقية الى الهند . ذلك أن البرتغال لم تستهدف كشفا جغرافيا تبغى به خدمة العلم ، وانما أرادت تحقيق حلم أوروبا فى حرمان العرب من سيادتهم التجارية منذ الحروب الصليبية . وبدأت سفن البرتغاليين تفد زرافات ووحدانا بعد فاسكو داجاما ، تدرس أحوال شرق أفريقيا ، تمهيدا لانتزاع مراكزها التجارية من أيدى العرب ، وخلق تفرقة بينهم وبين السكان المحليين ، حتى يتم لهم تحقيق مطامعهم فى القضاء على التجارة العربية مع الشرق الاقصى .

وتوالت تقارير البرتغاليين تشيد بمكانة التجار العرب فى شرق أفريقية وأنه لا سبيل للقضاء عليهم الا بالاحتلال العسكرى . فقد جاء فى أحد التقارير أن التجار العرب رمز عزة شرق أفريقية ، وقدوة للاهالى فى المظهر والمخبر ، فالتاجر العربى له طلعة جذابة ، أرديته « ملابس بهية منها ما يسمونه القفطان ، وجوخ أسود مطرز مفتوح من الامام : تحته قميص أبيض طويل . ونطاق واسع يحملون من فوقه خنجرا محلى بالفضة » . ولهم بيوت تجارية ذات ثراء واسع . وفضلا عن ذلك فالتاجر العربى مثال طيب للخلق الرفيع لا يعرف الملق أو النفاق .

وكان الصراع المقبل بين أوروبا والعرب فى شرق أفريقيا صراعا خطيرا لان نتائجه سوف تصيب كل العالم العربى . ذلك أن البرتغاليين استخدموا ما وصلت اليه أوروبا اذ ذاك من مخترعات حربية حديثة ، واستولوا على زنزبار سنة ١٥٠٣ م وغيرها من سائر المراكز التجارية العربية بشرق أفريقية حتى سقطت فى أيديهم ممباسة سنة ١٥٠٥ م .. وكذلك سوفاله مركز تجارة الذهب ومن القواعد العربية بافريقيا تقدم البرتغاليون الى مياه الهند حيث شجعهم اختفاء المقاومة هناك على تأسيس قواعد استعمارية لهم كذلك على سواحل الهند .

واستنجد التجار العرب ومعهم أمراء الهند كذلك بالسلطات المصرية لمقاومة هذا الاستعمار الاوربى الجديد الذى هدد التجارة العربية كلها ... ليس فى شرق أفريقيا فحسب ، بل فى سائر أرجاء العالم العربى . واستطاعت السلطات المصرية أن تعد أسطولا انزل الهزيمة بالبرتغاليين الذين وصلت سفنهم اذ ذاك الى مياه الهند ولكن البرتغاليين انتهزوا فرصة انشغال الشرق العربى ، وعلى رأسه مصر ، بالاستعداد لمقاومة الخطر التركى العثمانى الذى بدأ يهدد تلك البلاد ، وأرسلوا أسطولا حربيا انتصر على سفن مصر والتجار العرب فى وقعة ديونستة .

وبينما وقعت بلاد الشرق العربى فريسة للزحف العثمانى الذى بدأه **السلطان سليم** الاول ، وعجزت السلطات العثمانية عن متابعة الجهاد العربى ضد أوربا ، بدأت السلطات العربية فى اليمن وفى جنوب بلاد العرب ، تجمع قواها لانقاذ شرق أفريقيا من براثن الاستعمار البرتغالى ذلك أن البرتغاليين بدأوا يدمرون التراث العربى هناك ، وينتهكون حرمة الدين الاسلامى ، حيث حولوا بعض المساجد الى دواوين لهم ، وبعضها الآخر الى حظائر للخيل والماشية . فثار الاهالى واستنجدوا بسلطان عمان الذى بعث سنة ١٦٩٨ م حملة الى ممباسة احتلتها ، وطردت البرتغاليين من معظم القواعد التجارية بشرق أفريقيا ، حيث صارت مدينة كلوة تابعة للعرب مرة أخرى .

وبدأت المراكز العربية التجارية تحمل لواء المقاومة للبرتغاليين ومحاولاتهم المتكررة ما يقرب من مائة وخمسين عاما ، وشجعها انتقال سلطان عمان الامام سعيد الى زنجبار واتخاذها قاعدة لملكه . وبدأت مظاهر النشاط العربى التجارى تتجدد على الساحل الشرقى لافريقيا ، وتدب الحياة مرة أخرى فى مراكزه التجارية غير أن عاملا جديدا تدخل اذ ذاك أساء الى التجارة العربية فى شرق أفريقيا ، ثم الى سائر أرجاء تلك الجهات نفسها . ذلك أن المطامع الاوربية لم تقف عند البرتغاليين فقط وانما دخلت دول غرب أوربا مثل انجلترا وفرنسا وألمانيا ميدان الاستعمار التجارى الى الشرق الاقصى واشتد التنافس فيما بينهم على الحصول على امتيازات تجارية من سلاطين مدن شرق أفريقية . وقد ناهضت الجاليات العربية هذا الاستعمار الاوربى الذى اختفى أولا وراء الحصول على امتيازات تجارية ، وقامت بثورات كثيرة لم يقدر لها النجاح لان سائر أرجاء العالم العربى لم تستطع أن تمد لها يد المساعدة بسبب ما أصابها من ركود فى ظل الاستعمار التركى وما تلاه من استعمار أوربى . واقتسمت الدول الاوربية فيما بينها مناطق شرق أفريقية .

غير أن يقظة الامة العربية اليوم ، وما سادها من مظاهر رائعة أهمها : تأميم قناة السويس ، ذلك الشريان التجارى العظيم ، سوف يمهد السبيل أمام التجار من أبناء الامة العربية الى استعادة رسالة أجدادهم وآبائهم فى ربط شرق افريقية بالوطن العربى الاكبر ، ومساعدة أهلها فى شتى بلادهم سواء فى الصومال أو كينيا وأوغندة وزنزبار وموزنبيق على نيل حريتهم كاملة ، ودفعهم مرة أخرى الى المساهمة فى بناء الحضارة العالمية بما عندهم من كنوز وثروات طبيعية هائلة .

ضوء على كتاب

بقلم الاستاذ محمد فتحى

وقع فى يدى آخيرا كتاب فرنسى صدر فى افريقية الاستوائية الفرنسية يتناول فيه صاحبه الحديث عن اللغة العربية . وليس يعنينى هنا أن أعرض الكتاب ومافيه ، أو أتحدث عن صاحبه وناشره ، وانما فاجأتنى دعوة غريبة جديدة حاول الكتاب أن يقرها فى الاذهان ، وهى أن اللغة العربية ليست لغة للتعبير والتخاطب ، وانما هى كاللغة اللاتينية ، لغة ميتة ، فقدت صلتها بالحياة ، وليس لها من وظيفة فى الوقت الحاضر الا أنها لغة الصلاة ، لغة العبادة للمسلمين ، وانك تستطيع أن تقول باللغة العربية « السلام عليكم » أو « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » وأن تقرأ بها الفاتحة وأن تؤدى بها الصلوات الخمس ... وأن ترتل بها سورا قصيرة من القرآن ترتيلا ... تستطيع أن تفعل بها ذلك .. ذلك فحسب . أما أن تجد فيها أداة للتعبير العام فذلك شىء لا تحتمله ، ولا طاقة لها به ! .. فهى عاجزة عن أن تكون لغة التعليم ، ولغة الحضارة الحالية العالمية ، وما بها من مدركات كثيرة معقدة فى العلوم والصناعة والمخترعات

هذه الدعوى ليست بالشىء الجديد على صاحب المصلحة من المستعمرين فى افريقية ، فلطالما نفذت الخطط على هذا الاساس ، ولكن الجديد فى الامر أنها خرجت من حيز التلميح الى التصريح الى الدعوة المكتوبة على لسان بعض المسلمين ذاتهم ، دون أن يكون فى ذلك تحامل على اللغة أو تقليل من شأنها ، بل على العكس من ذلك تحاط اللغة بالقداسة وبالتبجيل ، وتنزه بهذه الصفة عن أن تنزل من مستواها العلوى الروحى الى مستوى السفليات فى هذه الحياة الدنيا

والسر فى ذلك واضح مفهوم ، فمنذ ظهرت القومية العربية الكبرى فى الشرق الاوسط ، واتخذت نهضتها شكلا خطيرا تحرريا ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربى ، وامتلأ ملايين العرب ايمانا بفكرة القومية العربية ، وكان أن خطبت الدول ود العرب ، وأيقنت بعظم مكانتهم وعظم الدور الذى يقومون به فى تطوير العالم ومصيره ... منذ ذلك الوقت وأنظار الافريقيين تتجه نحو هذه البقعة من العالم ، كالرائد المحرر وكالأخ الاكبر الذى يمكن أن يمد يده معاونا ، دون أن يطالب باليد الاخرى ... يعاون فى اخلاص وفى مودة حقيقية لا تخفى وراءها الاغراض والغايات ...

نعم صحت افريقية صحوة مذهلة وتطلعت الى العرب فى الشمال وفى الشرق .. فى طلب العون الاخوى . وكان لها فى الأخوة الدينية حافز ومشجع . فاذا علمت أن نسبة المسلمين فى المستعمرات الافريقية المتحررة ، والتى فى طريقها الى التحرر تبلغ درجة كبيرة عالية أدركت مدى الفزع الذى أصاب المستعمر لهذا التقارب الذى يقوى أواصر الدين ، ثم احتمال توحد اللغة . ذلك أن الافريقى يعرف تمام المعرفة أن اللغة الانجليزية أو الفرنسية ليست لغته ، وأنها لا تلائم حاجاته واتصالاته

وطبيعته ، وأنها ، وهو الأهم ، لا تسوى بينه وبين صاحبها ، بل انه مهما برع فى التحدث بها فلن تزيده هذه البراعة الا غرابة وبعدا فى نظر المستعمر الغربى المتغطرس. ومن ثم فهو دائم التطلع الى التحرر من اللغة الغربية التى فرضت عليه فرضا ، دائم التطلع الى لغة قريبة منه ، وهى أيضا سبيله الى الله ، وسبيله الى التعاون مع اخوة له يحبهم ويحبونه ، ويشاركهم فى غير تجربة واتجاه .

لقد سلطوا اسرائيل وغيرها من أعداء العرب ، لتبادر بمنح المعاونات الثقافية من منح دراسية وخبراءالابناء الدول الافريقية ونثروا العراقيل فى طريق المبعوثين الثقافيين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة وغيرهم من العرب ، ولكن ذلك لن يحول التيار عن مجراه

فى نيجيريا نحو عشرين مليونا من المسلمين من بين مجموع السكان البالغ عددهم نحو ثلاثين مليونا ، وفىغينيا الغالبية مسلمة ، وفىغانا مايقرب منثلث السكان منالمسلمين ، والصومال كلهامسلمة وأرترياغالبيتها تدين بالاسلام ، وفى ليبريا وتنجانيقا وغيرها من البلدان الافريقية ، يمتد ذلك الرباط الذى يوجه هذه البلدان الفتية وجهتنا ، دون سعى ولو قليل من جانبنا

مهما يبذل صاحب المصلحة من جهد للحيلولة بين الأخ وأخيه فلن تجدىمساعيه فتيلا ، ذلك لان الفتى قد صلب عوده ، وثقب بصره ، ولم يعد غرا مسلوب الارادة ، كما كان ابان الجهالة الجهلاء .

والفتيان من كل بلد افريقى يتلقون العلم فى معاهدنا ، ويعودون الى بلدانهم ، ليثبتوا أن اللغة العربية لغة العلم الحديث ، يدرس بها فى الجامعات، كماهىلغةالقرآن : لاقصور فيها ، ولا عجز ، ولا موات .

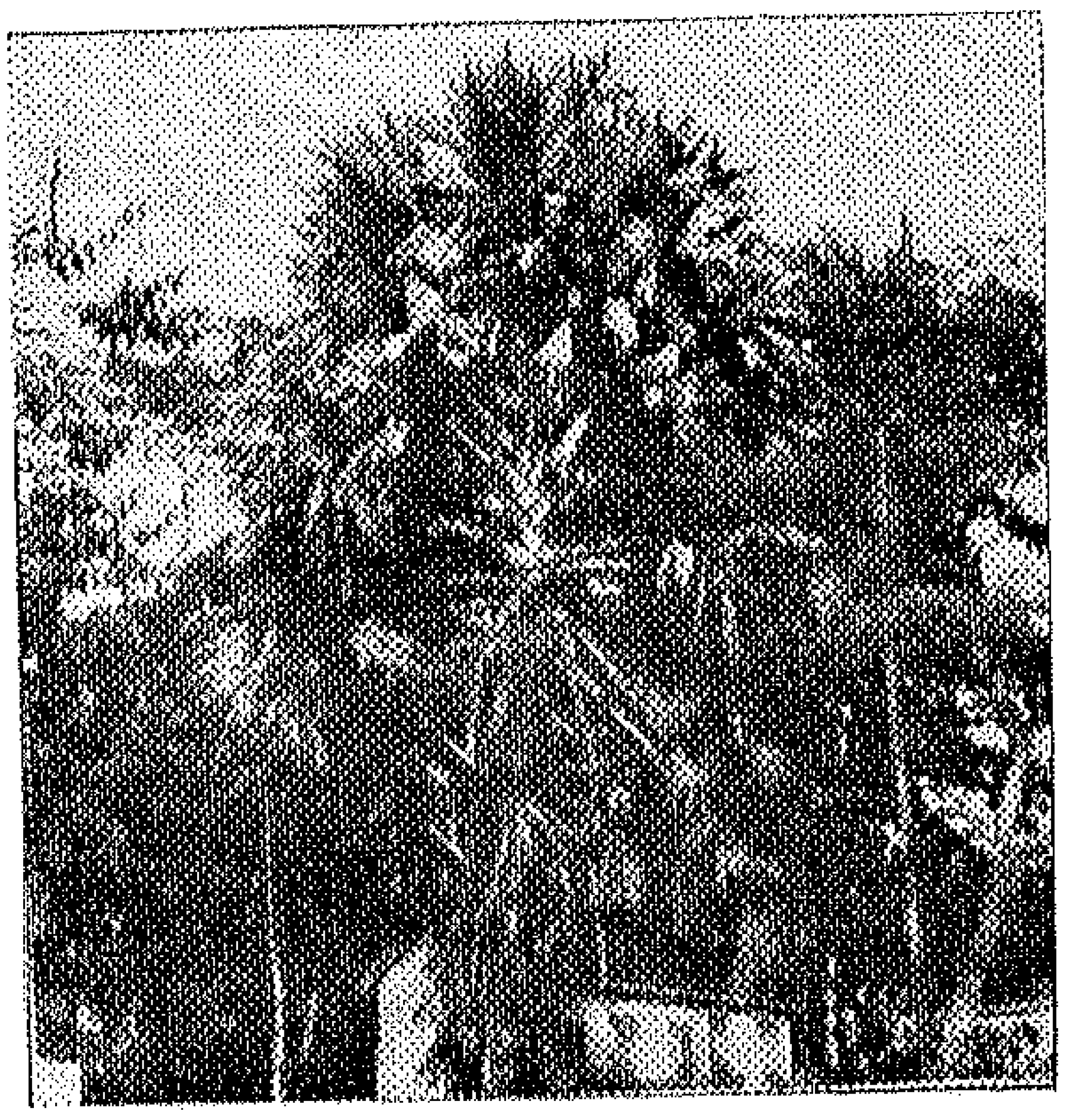

أشجار نخيل الزيت

تأليف : مالك بن بني
ترجمة : عبد الصبور شاهين

لما كنا نرحب بوجهة النظر العربية فى معالجة القضايا الفكرية . لاسيما تلك القضايا التى تتعرض للوجود الافريقى ، سارعنا بوضع هذا الكتاب تحت أعين القراء .

فالكتاب يتعرض لمشكلة الثقافة لا بمفهومها الضيق الذى ينحصر فى الافكار فقط ، وانما يتعداه الى أسلوب الحياة فى مجتمع من المجتمعات والى السلوك الاجتماعى الذى يؤثر فى حياة الفرد ، ويطبعه بطابعه .

فالثقافة بهذا الفهم ... يجب أن توضع أمام الجيل الجديد . بعد أن تطور مفهوم القوة لدى العالم ، وأصبحت الفكرة هى القوة التى تتلاقى عندها كل آمال الشعوب . « باعتبارها قيمة قومية دولية » . فاذا كان هناك من يرى أن أسباب تخلفه تنحصر فى نقص ماعنده من قوى مادية فانه بلا شك ، سينتهى من الوجهة النفسية الى التشاؤم . لان التخلف فى حقيقة أمره يرجع الى التخلف فى الافكار ، وعملية التطور لاتعتمد الا على المقاييس الفكرية .

والمؤلف هنا يقوم بعملية فصل حادة بين المادة والفكر ، ويتجه اتجاها ميتافيزيقيا حين يرى أن التخلف ... لايكون الا فى التخلف الفكرى . والقارىء يعرف بلا شك أن بلادا كثيرة قد ومضت فيها أفكار جديدة وحية ، ومع ذلك ظلت متخلفة ... ومن هذه البلاد شرقنا الذى نعيش فيه ، والحقيقة أنه لايكون هناك ازدهار حضارى الا حينما يندمج الفكر بالمادة ، ويسيران جنبا الى جنب فى عملية متفاعلة مع الحياة فالحاجة الى المدافع والطائرات ، والبنوك التى ضربها المؤلف مثلا على وجود النقص فى الامة ، لايتفق مع الحقيقة فى شىء ، لان وراء المدافع أفكارا ايجابية كتحرير الوطن ، وتأمين الحدود ، والحياة داخل الامة ووراء البنوك فكر اقتصادى حى لاغنى عنه للأمة .

وقد تعرض المؤلف للمعنى القاموسى لكلمة الثقافة ، فأورد ما جاء على لسان القدماء من أنها تعنى سرعة التعلم ، والحذق وثبات المعرفة . ثم سرد ماجاء عن لسان المتأخرين ، وهو لايبعد عما ذكره القدماء فى شىء ، ثم ذكر أن « ابن خلدون » لم يستعمل هذه الكلمة ، وأنها لم تعرف فى العصرين الاموى والعباسى ، وأنها من مواليد أوائل هذا القرن ، ولم تكسب الى الآن قوة التحديد التى لكلمة Culturé الاجنبية .

ثم ينتقل المؤلف مفرعا الى مشكلة تحديد معانى الاشياء ، فيتعرض لعناصرها النفسية والاجتماعية ، وينتهى الى أن عملية التعريف : تبدأ حينما يطلق الاسم على الشىء ثم تنمو كلما أخذ الشىء معنى مركبا .. بمعنى أنه بعد أن يصبح اسما يصبح فكرة ، ثم مفهوما . ويمكن

تطبيق هـــذا على فكرة « الزمن » الذى « لم يكن شـيئاً مذكوراً » ، ثم انتقل الى مرحلة الحضور ، ثم الى مرحلة الوجود المعبر عنه بكلمة . وأخيرا نرى أن الزمن يقاس بواسطة الفلـكى المسلم **أبو الحسن المراكشى** الذى قسم مدة دوران الارض الى أربعة وعشرين جزءا ، ثم انتقـل كل هذا الفكر الى ((**تايلور**)) الذى جعل من فكرة الزمن قاعـدة جـوهرية فى التنظيم الصـناعى بالقرن التاسـع عشر : وهذا الفهم لفـكرة الزمن ، يمكن أن يطبق على فـكرة الثقافة التى انتهت الى التحـديد تمـاما فى القرن التاسع عشر ، بحيث أصبحت احدى مشكلات عالم الاجتماع . ومن خلال هذه الدراسات ظهر سـؤال يقول : « ما هى الثقافة ؟ » .

وقد أجابت المدرسة الغربية على هذا السؤال بأن الثقافة هى ((ثمرة الفكر)) . أما المدرسـة الماركسية ، فقد ذهبت الى أنها ((ثمرة المجتمع)) . فاذا ماوجه هذا السؤال الى العالم العربى والاسلامى ، رأيناه يأخذمجرى آخر غـير المجريين الســابقين لانه ((ينصل بخلق واقع اجتماعى معين لم يوجد بعد)) . ومن هنا فعالمنا العربى الاسلامى ، يغاير فى موقفه من الثقافة العالمين الغربى والسوفيتى لان مشكلته لا تقوم على محاولة ما فى فهم الثقافة ، وانما فى تحقيق هذه الثقافة فى شكل عملى .

ذلك لان الثقــافة هى ((التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هى : الاخلاق ، والجمـال والصنــاعة والمنطق العملى)) .

ثم تعرض المؤلف لتعايش الثقافات والخطوتين الجادتين التى اتخذتا فى هذا السـبيل ... فالخطوة الاولى كانت خطوة « **اليونسكو** » التى قصد منها ايجاد عملية تكامل بين عناصر الثقافة ليتحقق من هـذا تركيب الثقــافة الانسانية ، أما الخطوة الثانية فكانت مؤتمـــر « **باندونج** » الذى كان من مهمته خلق برامج ثقافيــة معينة فى الاطار الافرسيوى . وقد اتخذت كل خطوة لها محورا خاصا . فالمحـور الواضح لليونسكو : هو هـذا الخط الممتد من واشنطن الى موســكو ، والمحور الواضح لباندونج هو : هذا الامتداد بين طنجة وجاكرتا ، وهـو المحور الذى يهمنا هنا ، خاصة ، لان أفكار هذا المحور قد نبعت من مبـدأ فكرى مشـــترك هو النزعة المعادية للاستعمار عند هذه الشعوب . ولكن يجب أن تتغير هذه النظرة لان الفكرة الافرسيوية ، يجب أن يقوم منهجها الاخلاقى على غير هذه الفكرة . لان نزعة معاداة الاستعمار يجب أن تقف بعد عملية التماسك بين الشعوب ، لانها لاتخرج فى مجموعها عن مجموعة « مشاعر سلبية » قائمة على الحقـد الكامن فى قلب الشعوب التى قاست من الظلم والاستنزاف ... مستدلا على هــذا بقـول الزعيم الهنـــدى « **أبو الكلام ازاد** » : « ان مســئولية التربية خطيرة، ولا ينبغى ترك الحقد ليتأصل فى قلوب وعقول الجيل الناشىء فى الهند تحت ستار النزعة المعادية للاستعمار » .

ونحن نرى أن فى هــذا الحـديث عن الحقد مثالية ذهنية ، وأن الشعب الذى قاسى من الذل والاضـــطهاد ، لا يمكن أن ينسى مالاقاه عــــلى أيدى جلاديه ، وأن المؤلف يظـــلم الشعب المغلوب على أمره حينما يسمى غضبه على قاتليه حقدا ... فعملية التذكر المستمرة — لكل ما مر بالشعب من أحـــداث — هى فى الواقع من أقوى مقوماته ، وأنه لا يمكن أن نطـالب

الشعب ـ أي شعب ـ بعملية التذكر المستمرة للفترات القاسية التي عاشها .. ليعتصر منها طاقة تدفعه الى الامام ، وتبعده عن الظروف التي أوقعته بين أيدي مستعمريه .. والا كنا كمن يطالب الشعب بفقدان ذاكرته ، ويعيش في غفلة عن ظروفه الماضية ، فنكون بهذا قد دفعناه ـ من حيث لا ندري ـ الى قوى قاسية كتلك القوى التي اعتصرته . وقد يكون كلام المؤلف دقيقا لو كان المجتمع يدار بعقول الفلاسفة ، لا بعقول الساسة وعواطفهم . فالمجتمع لم يعرف ، كما يذكر المؤلف ، نهاية للاستعمار . وليتبع من جديد أدوار الاستعمار في كل صوره من أبعد العصور الى يومنا هذا فانه لن يجد هذا العالم الذي انتهى فيه هذا الاستعمار في أشكاله المتعددة .فاذا كان المؤلف يذهب الى أن الثقافة الاسيوية لا يمكن أن تنبت من تلك النزعة المعادية للاستعمار فاننا نرى أن هذه النزعة يمكن أن نجد فيها الاسباب الجوهرية في خلق الثقافة من ناحيتها العملية . فهناك ثقافات في العالم اليوم تقوم على وحدة المصير المشترك . ثم لماذا لا نرى وراء «النزعة المعادية للاستعمار » ، تلك المعاني الكبيرة من حب للعدل ، والسلام ، والحرية ، والبناء . لماذا نرى فيها فقط جانب الحقد الذي نخشى منه على المستعمرين ؟ ثم يرى المؤلف أن الثقافة الاسيوية يجب أن تتجه من أول الامر نحو الاخلاق وفلسفتها لتحدد مثلها الاعلى ، ثم الى الصناعة لتخلق وسائلها الى هذا المثل الاعلى الذي سمت اليه . ثم يجب أن يكون مبدؤها الثاني هو ((**عدم العنف**)) الذي قام بدوره كاملا في تحرير الهند ، والذي يرجع الفضل في جعله حقيقة ملموسة الى غاندي . ونحن لايمكن أن نوافق على هذه الفكرة المسماة بعدم العنف ، فحركة « عدم العنف » ان صح أن نسميها حركة ، لم تكن العامل الفعال في اخراج الانجليز من الهند ، وانما هي الظروف المتشابكة التي ترجع في حقيقة أمرها الى الاقتصاد ، وتطور الوعي ، وظروف انجلترا الدولية .

ويكفي للتدليل على هذا ... أن هذه الفكرة السلبية التي روج بها بعض المفكرين ، قد قامت في روحانية تشبه روحانية القديسين في أكثر من بلد افريقي . فكان مصيرها الفشل ، وشل قوى البلاد النامية . فلو أن فكرة عدم العنف ظل ينادي بها غاندي في جنوب افريقية ـ التي بدأ نشاطه بها ، وأوتي أضعاف عمره الذي عاشه في الهند ـ لما أمكن لهذه الفكرة المرضية أن تساعد على تحرير حي صغير في « جوهانسبرج » . فعملية جلاء المستعمر عن أي بلد مهما كبر أو صغر ، تخضع لعدة ظروف ، في مقدمتها : الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية للبلد المعتدى نفسه .

والحقيقة ، أننا في حاجة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ بلادنا .. الى تنقية وجودنا الثقافي من هذه الآراء التي تخفي الحقيقة عن أعين الشعب ، وتصرفه عن العمليات الجادة الى عمليات أخرى سلبية تضعف مقاومته ، وتحيد به عن الطريق الواضح المؤدي الى الحرية .. الى طرق أخرى فرعية تثبت الحوادث يوما بعد يوم فشلها .

ويذهب المؤلف الى أن الثقافة كما تتحدد بتلك العناصر المستمدة من الروح الاخلاقي ، فانها تتحدد كذلك بالجمال . فالعنصر الجمالي يؤدي

دورا هاما فى الثقافة التى هى فى حقيقة أمرها « محيط » . فتغيير « المحيط » قد حول الانسان فى الصين من دودة بائسة الى نملة زرقاء عاملة . فالمقدرة الخلاقة فى حقيقة أمرها مرتبطة بالانفعال الجمالى .

ثم يرى المؤلف أن للصناعة والمنطق العملى علاقة واضحة بتلك المشكلات الرئيسية التى بحثت فى مؤتمر باندونج ، وأن على كل بلد أفرسيوى أن يضع يده فى هذه المشكلات ويحلها بالطريقة التى تتفق فى نفسه وظروفه .. فللصناعة والمنطق العملى أثر مباشر وسريع على كل انسان أفرسيوى ، وكذلك على الاطار الذى يحيط به . ومن الكنوز الفنية الافرسيوية يمكن خلق جذور للثقافة بين القارتين . ثم يقول المؤلف :

« ولكل بلد أن يحل هذه المشكلة بطرقه الخاصة . فكل الطرق تؤدى الى هدف واحد ، ولكن بتوقيت مختلف . فالواجب أن نتجنب الطرق الطويلة .. طرق الاعتباط والاستهواء .. الطرق التى سلكتها الحضارات التى كان أمامها ما يكفيها من القرون ومن آلاف السنين .

وبلغة التربية ، يجب أن نطبق الطرق التى توجه الذكاء فى اتجاه الحضارة ، والتى تجعل تكوينها طبقا للتطورات اللازمة فى نطاق هذه الحضارة . فاذا ما صيغت المشكلة فى تعبيرات هذه اللغة ، وجدناها تتجاوز بذلك النطاق القومى لتقوم على أساس وضع « سياسة للثقافة » أى أن المشكلة تتطلب فى هذا الاتجاه مؤتمرا للثقافة الافرسيوية . وربما عبر البيان النهائى لمؤتمر باندونج عن هذه الضرورة تحت عنوان « التعاون الثقافى » .

ثم يختم المؤلف كتابه بمبحث فى الاتجاه العلمى للثقافة ، فيؤكد أن على المسلم المثقف أن ينظر الى الاشياء من زاويتها الانسانية الاكثر رحابة .

ولهذا يستطيع معرفة دوره ودور ثقافته فى الاطار العلمى ، وخاصة أن أزمة هذا العالم الاسلامى منذ وقت طويل كانت أزمة فى الافكار ، لا أزمة فى الوسائل : ومن هنا فعلى الشباب أن يعتنق مذهب التكامل الانسانى ، وأن يعطى هذا المذهب روحه وقلبه . وبهذا وحده يستطيع أن يكون له دور قيادى بالنسبة الى الانسانية ، كما يستطيع فى الوقت نفسه أن يجنبنا الكثير من المذاهب المعاصرة التى تريد أن يكون لها مجال فى بلادنا . على أنه يجب أن يكون هذا التكامل الانسانى وفقا لمقياس عملى « وذلك بأن تكون صالحة لشىء ما ، وأن تكون على علم بهذا الشىء .. أى أن تتحد طبقا لما يجب أن تقوم به من عمل » .

على أن هناك نوعين من النماذج التى حدثت فى الماضى ، والتى تستطيع افادتنا فى هذا المجال الجديد .. ففى عالم البحر الابيض المتوسط يوجد النموذج الرومانى ، والنموذج الاغريقى . وفى آسيا يوجد النموذج المنغولى ، والنموذج الصينى . فاذا كان كل من الشعبين الاغريقى والرومانى ، قد سارا فى طريق يختلف أحدهما عن الآخر ، « فان ذلك لم يكن ابتداء نتيجة اختيار ، وانما اتجها بكل بساطة الى ماتميل اليه طباعهما . فنوع الثقافة اذن يتحدد فى كل شعب تبعا لحتمية منبعثة من نفسيته ، وعلى أساس هذه النفسية اتجه الرومان نحو الامبراطورية ، بينما فرغ الاغريق لتحقيق معجزاتهم فى صورة حضارة . فاذا ما نجم فى نطاق ثقافة معينة نزوع يتعارض مع اتجاهها الطبيعى ، فان اتجاهها يقصيه كعنصر غريب عن ذاتها . وقد

حدثنا التاريخ كيف طردت أثينا اسبرطة حينما أرادت أن تجعل من نفسهاعاصمة لامبراطورية عسكرية».

والى جانب حتمية المزاج توجد حتميةأخرى هى : الحتميةالجغرافية. فاذا نظرنا الى افريقية فى ضوء الحتمية الاولى وجدنا أنه من غير المتوقع، أن تقوم افريقية بعملية تهديد للبشرية . فالطبيعة الافريقية لاتوجد فيها عقدة من نوع «امبراطورى» ، أو ثقافةامبراطورية .

أما اذا نظرنا الى افريقية فى ضوء الحتمية الثانية ، فاننا نرى أن ضمير المواطنين فى القرن العشرين لم يعد يتشكل تماما فى اطار الوطن أوالاقليم مع الاعتراف بما لهما من أهمية .. لان ضمير المواطن يتكون الآن فى ضوء الحوادث العالمية حيث تضغط بثقلها على كل البشر . ومن هنا نرى أن ضمير المواطن يتكون جزء كبير منه خارج حدوده الاقليمية الصغيرة ، لان الثقافة فى أى بلد تدخل ضمن التخطيط العام العالمى ، أما المهام التى توجهها ثقافة افريقية داخلهذا التخطيط العام فتتكون من القضايا الثلاث الآتية :

١ ــ الارتفاع بمستوى المواطن الافريقى المتحرر ، والذى لايزال يعانى من ضغط الاستعمار الى مستوى الحضارة .

٢ ــ الارتفاع بالرجل المتحضرالذى مازال يباشر عملية قتل الشعوب الى مستوى الانسانية الرفيع .

٣ ــ ادخال الشخصية الافريقية فى المسألة الرئيسية للسلام .

ولكى تستطيع افريقية القيام بهذا الدور الحضارى ، فانعليها أن تعرف طبيعة موقفها الراهن . « فان المثقف الافريقى الذى كونته باريس ولندن ، هو فى أكثر الاحيان أوثق اتصالا بمنشأ ثقافته منه بمنشأ حياته . وهذه ولا ريب ، نقطة اتصال مهمة فى ضمير هذا المثقف ... اذا ما نظرنا اليه بالنسبة لمشروع تركيب انسانى. فهو يستطيع أن يقوم بدور مهم بفضل ما انغرس فى فكره من نبات الثقافة الاوروبية ، وذلك يجعله ينظر الى المشكلات نظرة مزدوجة . فهو ينظر اليها مرة من خلال ثقافته ، وأخرى بايحاء من منشئه .. غير أن هذا الوضع الغريب له جانب سلبى يتجلى بوضوح فى موقف النخبة الافريقية ، حينما نرى مثقفا يبحث فى الازياء ما يعوض به عن نقص من نوع آخر . فنراه مثلا فى بعض الحفلاتالرسمية يلبس زى أبيه القديم ، وكأنه بهذا يعوض نقصا يشعر به فى اتصاله الروحى بالجماهير الافريقية ، ويوشك هذا المظهر السلبى أن يؤدى بتلك النخبة الى انفصال ثقافى فىوقت هى أحوج ماتكون فيه الى الاتصال . فان الحضارة التى دانت بها النخبة الافريقية فى نواح شتى قد فصلتها عمن دونها من الجماهير التى لاتزال فى تطورها البدائى ، وربما انفصلت عن وسط ثقافتها اذا ما حاولتالعودة الى منشئها ... لكن الامر قد يأخذ صورة أخرى لو أن هذه النخبة الافريقية قامت بدور الوسيط بين العالم الذى نشأت فيه وبين الحضارة » . ولا شك أن فى هذا بعض المبالغة . فالافريقى من أوثق الناس اتصالا ببيئته ، فانه لايستطيع أن يعيش فى البلاد البعيدة عن بلاده الا بمقدار . فالتفرقة العنصرية مسلطة عليه فى أى مكان يتوجهاليه ، والنظرة اليه على أنه دون الناس فى المجتمع الغربى موجودة وان اختلفت مراحل حدتها . على أن هذهالظاهرة ــ وهى الارتباط بالبيئة الثقافية ــ قد توجد ولكنها لن تكون الغالبة على كل الافريقيين الذين يتركون بلادهم الى هذه الحياة الجديدة . ولعلهليس

من الغريب أن نجد أكثر قواد التحرر فى القارة من هـؤلاء الذين ذهبوا الى لندن وفرنسا وأمريكا ، ثم عادوا الى بلادهم وكلهـم اعتزاز بقوميتهـم وافريقيتهم . ويكفى للتدليل على هذا ... أن نشير الى الاسماء التى أخذت تلمع أخيرا فى القارة وهى : « كوامى نكـرومه » ، « سـيكوتورى » ، « هاستنجزباندا » .

وأخيرا يطرح المؤلف هذا السؤال : ما الذى يجب على هـذه الثقافة الافريقية أن تقوم به لتحل المشكلة العالمية ؟ فى هذا الجو المثقل بثقافة الامبراطورية ، ورحي الحرب ، والعلم الذى عجز عن أن يقدم لها حـلا .

فما دام تحقيق سعادة الانسـان عن طريق الآلة قد أفلس ، وجب أن يتجه الى الضمير . وافريقيـة هي التى تستطيع القيام بهـذه المهمـة ...

فتصحح الكثير من المفاهيم الاساسية ، وتقتلع أعشاب الكراهية والحقد من نفوس البشرية ، وتضع أسسا فكرية وأخلاقية تجاه كل مشكلة قائمة ..

« فالثقافة الحضارية ينبغى أن تعطى لفكرة السلام شخصيتها الحقيقية بأن تضعها منـذ الآن تحت ضـمان المبادىء » .

ان على الثقافة الافريقية أن تتحدد بالنسبة لهذه القضية طبقـا لبعض المبادىء كالتى قررها مؤتمر باندونج .

واذا ما دان الكتاب الافريقيون بهذه المبادىء وخصصوا جزءا من انتاجهم لمشكلة السلام ، فسـوف نرى يوما يبتدع فيه أطفال افريقية لعبا أوحى اليهم بها السلام .

***

من كل هذا نرى أن منهج الكتاب يقوم على اجراء تحليل نفسى لقضـية الثقافة ، ثم اجراء تركيب لمعنى الثقافة وتصـورها كمشروع مخطط معـد للتنفيذ ، وان الثقافة هى « العـلاقة المتبادلة » بين الفرد والمجتمع .: أى أنها الحالة التى يتحدد فيها سـلوك الفرد بأسلوب الحياة فى المجتمع ، كما يتحدد أسلوب الحياة بأسلوب الفرد ،

مع مراعاة أن تكون العلاقة فى صورة انسجام تام بين مواقف الافراد مهما كانت طبقتهم الاجتماعية التى ينتمون اليها .

أما من الوجهـة التربوية فالثقافة عند المؤلف كمشروع يعد للتنفيذ ، وأن هذا المشروع يتكون من عناصر أربعة هى :

١ ــ الاخلاق أو الفلسفة الاخلاقية .
٢ ــ الجمال أو الفلسفة الجمالية .
٣ ــ المنطق العملى أو النفعى .
٤ ــ الصناعة أو الفن .

كل هذه قضايا هامة تعرض لهـا المؤلف فى نجاح ، ولن تقلل منها عملية التفريع ، والانتقال السريع بين الافكار التى تشبه الطرق العربية القديمة فى التأليف ... وهذه الرغبة الملحة فى الاشارة الى مؤلفات المؤلف التى رأيناها فى الصفحات الآتية على التوالى (٢٦ ، ٢٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٩) ،

وكتكرار الافكار الذى اعتذر عنه المؤلف ، وحوادث الاستشـهاد الى حـد الاملال . أما الترجمة فانها تصل فى بعض الاحيان الى ما يشبه الشعر .

وهـذا ما آخـذه على الاسـتاذ « **عبد الصبور شـاهين** » لانه يجب أن يعتمد فى ترجمته لهـذا اللون من التـأليف على الاسـلوب العلمى . والذى يبدو أن أسلوب المؤلف يقوم دائما على الرمزية التى يصعب غالبا ترجمتها ، لذلك فان المترجم ــ فيما نرى ــ يحاول نقل المؤلف الى العربية عن طريق التجوز فى الترجمة . ولذلك يحس القارىء خلال قراءته للكتـاب بأنه انما يقرأ كتابا متكلفا فى العربيـة

لا مترجما عن لغة أخرى ، وهو الى جانب عباراته الجمالية ، وكثرة المترادفات قد يلجأ أحيانا الى بعض العبارات المتوارثة ، وقد تكون هذه الكلمات قرآنا كقوله عن الزمن : « لم يكن شيئا مذكورا » .. وقد تكون كلمات استنفدت أغراضها كقوله : « حيث كانت الامور تجرى من قبل فى أعنتها .. ص ٩٤ » . كقوله : « حيث كانت الامور تجرى تتجه نحوها الانسانية فنأخذ بزمام أحدها .. ص ١١٨ » .

ومن ذلك أن بعض المصطلحات قد جاءت غامضة كقوله : « مشكلات اتصالية » ، ويقصد المشكلات التى تنشأ عند مقابلة ثقافة بثقافة على حدودهما المشتركة . ولعل غموض هذه العبارة وامثالها ، راجع الى انها جديدة فى استخدامها فى هذا الحقل ، ولا تلبث الا قليلا حتى تتحدد فى اذهان القراء .

كما أنه قد حدث اضطراب فى استخدام كلمتى (مزاج وطبع) . حيث لم يفرق المترجم بينهما (فى الفصل الاخير) .

ونحن نرى أن الكتاب لايقوم على منهج موحد ، بل انه يمثل انطباعات ديناميكية عامة عن الثقافة فى ذهن المؤلف تتصف بالفكر العميق ، ومع كل هذا فهو يقدم للقارىء شيئا جديدا من الوجهتين النفسية والتربوية ، ويثير أمامه أكثر من مشكلة .

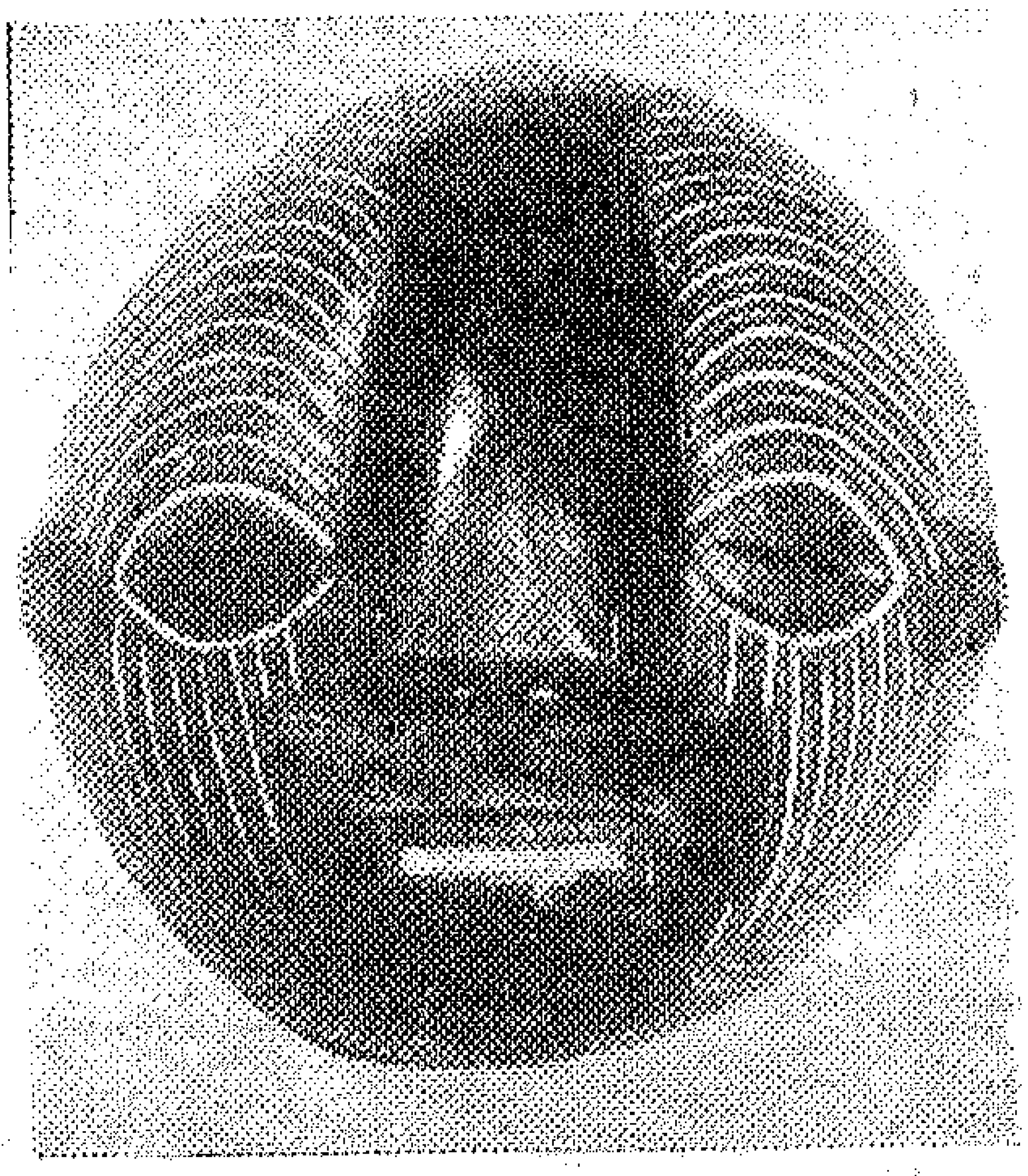

بحـــيرة رودلف

اكتشفت هذه القارة التى تقـع وسط القارة الافريقية عام (١٨٨٧ ـ ١٨٨٨) عـلى يد « فون هوهنل Von Hohnal »

وتقع بحيرة رودلف هذه على عمق ١٧٠٠ متر من مركز مدينة كيتال المعلقة بأحد جوانب جبل « الجون » ، والغنية بمحاصيلها الزراعية • ويبدو انه فى زمن ماقبـل التاريخ كان مستوى سطح الماء بالبحيرة الذى يبلغ اليوم ٣٧٥ مترا بالنسبة لسطح البحر يزيد ١٥٠ مترا على مستواه الحـالى ، ويمتد ماء البحيرة الآن الى ثلثمائة كيلو متر طولا ، وسـتين كيلو مترا عرضا فى بعض الاماكن •

ويحتوى ماء هذه البحيرة على نسبة كبيرة من مادة « الصوديوم » ، على أن ماءها لا يلجـأ اليـه الا عنـد الضرورة الملحة • أما المنطقة المحيطة بالبحيرة فلا تعتبر غنيـة بالامطار • لان المنسوب السنوى لماء المطر هناك لايكاد يزيد على السنتيمتر الواحد ، ولكنه حين يسقط يتدفق بغزارة حتى ليكتسح كل مايصادفه ، ويدمر كل مايعترض طريقه •

وتعتبر هذه المنطقة المحيطة بالبحيرة خالية تماما من مظاهر الحضـارة ، وسمات المدنية • فليست هناك شبكة للمواصلات ماعدا ذلك الطريق الذى أنشىء فى بداية الحرب العالمية الثانية ، والذى قصد به ربط هـذه البحيرة بهضبة كينيا ، أو مراكز التعليم ، أو الزراعة • ومن هنا تبدو الحياة هناك قاسية على السكان ، بعيدة عن متناول الكشافين •

وتعتبر أكبر القبائل هناك قبائل « التوركانا » Turkana التى يتميز رجالهـا بالاجسـام القوية ، والقامة المتوسطة الطول غالبا ، والبشرة ذات اللون البنى القـاتم ، وتحترف هذه القبيلة الرعى ، وقد لاقى الاجانب من أفرادها عنتا ومشقة ، لانهم لم يكونوا مغرمين بالحلى الزائفة التى كانت تقدم اليهم فى مقابل التسهيلات التى يطلبها الاجانب هناك • فاذا أرادوا عقـد صداقة مع أحد هؤلاء الاجانب أقاموا حفلا تذبح فيه احدى الماشية ، وتقام عدة طقوس تسمى عندهم « سريدا » ومعناها « سلام » • فاذا ماانتهى ذلك الحفل قامت علاقتهم من جديد على أسـاس المحبة والتعاون ، والى جانب احترافهم الرعى ، ويشتغل البعض منهم بالزراعة • ويطلق على ملاك الارض هناك اسـم « نجابوتو » ومعنـاه المعدمون الذين لاماشية لهم

أما القبـائل الثانيـة التى تتشكل منها الحياة هناك ، فهى قبائل السوك Suk التى تسكن على حافة سفوح الجبـال بالقرب من « كابنجوريا » ، و (موروتو) حيث تتدفق الامطـار هناك بغزارة • واذا كان الرعى يعـد الصفة المميزة لقبائل « التوركانا » ، فان الزراعة تعتبر الصفة المميزة لقبائل السوك •

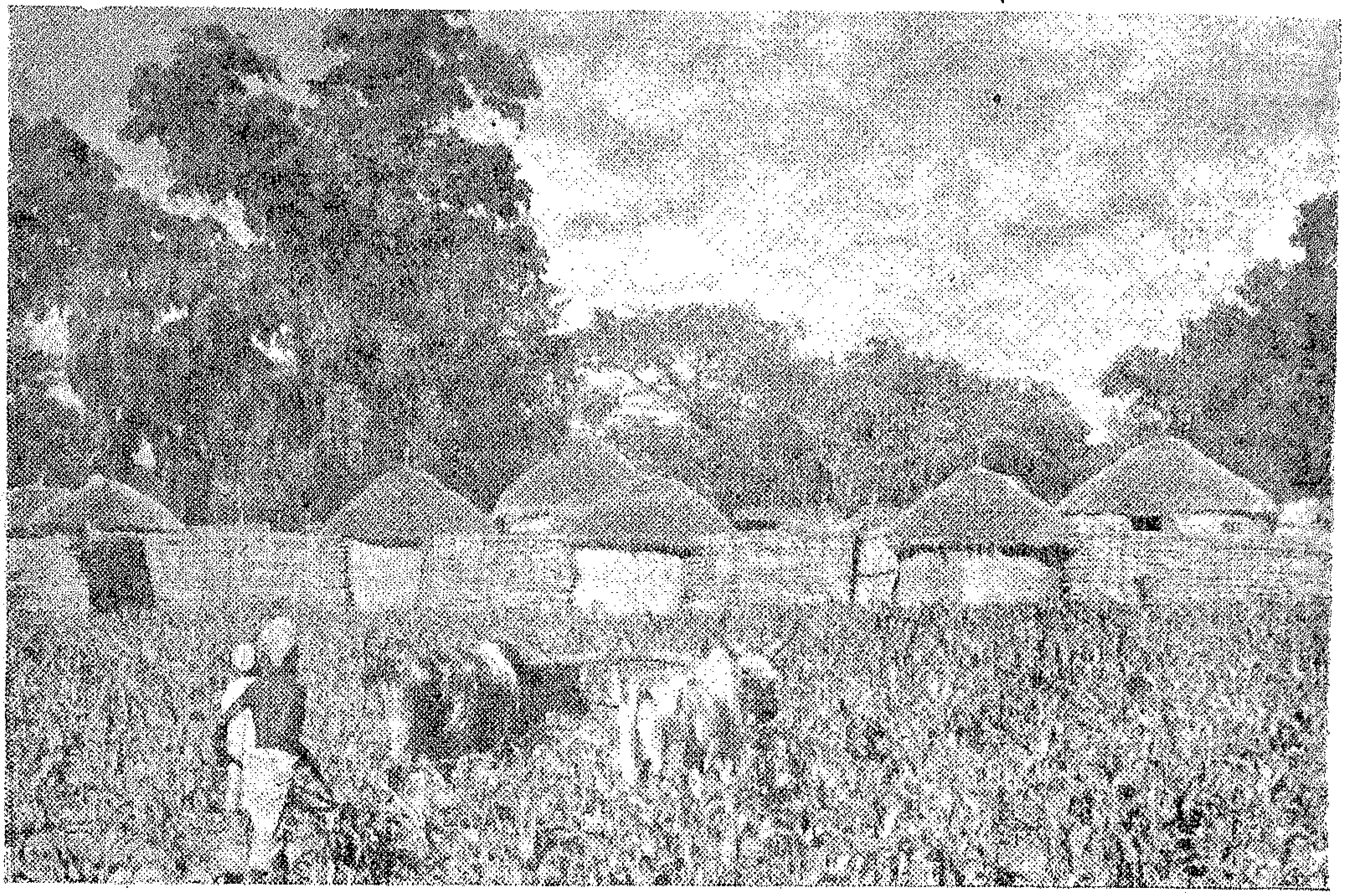

الزراعة أمام المنـــازل

ومن خلال أشجار « الباوباب » ، ونبات الصبار من فصيلة «الكاكتوس» والغابات المتشابكة المليئة بالخيرات .. ترى أكـواخ السـكان البسيطة ، ومنتدياتهم حيث يتصاعد هناك الدخان بين الحين والحين .. فيدل على أن هذه المنطقة آهلة بالسكان ، وبالحياة. ومن عادتهم هنـاك أن يزرع أمام كل بيت قسم كبير بنبات الاذرة . وتباشر المرأة فى هذا المجتمع صنوف العمـل كاملة ، وهى تتحـلى عادة بعقود من القواقع تحيط بجبينها ، وبأطواق من النحاس تحيط برقابهن ، وفضلا عن ذلك ، فانهن يتميزن بشحمة أذن كبيرة تتدلى منها أقراط ثقيلة الوزن .

وبينما الرجال يقمن هناك بعملية الرعى ، تقوم النساء بعملية الزراعة . وقد شاهدهن « هـربرت كوفمان » يحرثن الارض بجذور الشجر ، ثم يلقين فيهـــا بذور « الفاصوليا » ، وأدهشه عـــدم اكتراثهن برؤيتـه ومواصلتهن العمل بدقة ، وكأن رجلا غريبا لم يطرق ديارهن !

والسلطات الانجليزية هناك ، تعزل هذه المنطقة تماما عن مجرى الحيـاة العميق الذى يهدر حواليها ، دون أن تسمح للسكان هناك بعمليـة التطور والترابط . بل عملت من جانبها على اصطدام قبائل التوركانا هناك بقبائل السوك .. مما كان له أسوأ الاثر على مقدرات الامور هناك .

وقـد تمثلت حركـة المقـاومة فى قبيلة السوك التى قامت فى عام ١٩٥٠ بقتل بعض الانجليز هناك . فقـد تكونت فى الظـروف القاسية التى

تجتازها البلاد جماعة سرية تسمى (ديني يامومبا Dini Ya momba) بزعامة «كوكاس كبكيش» Kukas Kipkéch

ولكن هذه الحركة سرعان ما أخمدت بقسوة وعنف .

ومهما يكن من شيء ، فاننا اذا دققنا في التكوين الفسيولوجي لهؤلاء السكان ـ سواء منهم السوك ، أو التوركانا وجدناهم نتاجا طبيعيا لاختلاط الاحباش بالزنوج في الازمان القديمة . فملامحهم تؤكد التقاء هذه الوراثات من الجانبين .

وهكذا تكشف الحياة في أية منطقة مجهولة في القارة الافريقية عن المآسي التي يقوم بها الرجل الابيض في هذه القارة .. معتمدا مرة على قواه في تدمير حركات التحرر، واستسراف الحرية ، ومعتمدا مرة أخرى على أسلوب الوقيعة بين السكان بعضهم ببعض .

وقد تلاقت هاتان القوتان ، وعملتا على شل الحياة تماما حول هذا الجزء المنكوب في قلب القارة الافريقية .

ولعل عمليات الصحو الحديثة التي تبعث الآن حول هذه المنطقة ، تأخذ طريقها المحتوم سريعا الى هذه المنطقة المعطلة من الحياة ، والمعزولة تماما عن بقية جيرانها .

فقد آن للقارة الافريقية أن يبعث فيها نوع من « وحدة الحياة »

والحاضر يؤكد أن أفريقيا تسير في هذا الطريق بعزم وقوة . وقد رأينا هذه الظاهرة في أكثر من مكان وهذا التجمع في أكثر من منطقة . والغد كفيل بعملية التجميع هذه وما أكثر ما لافريقية في الغد ! !

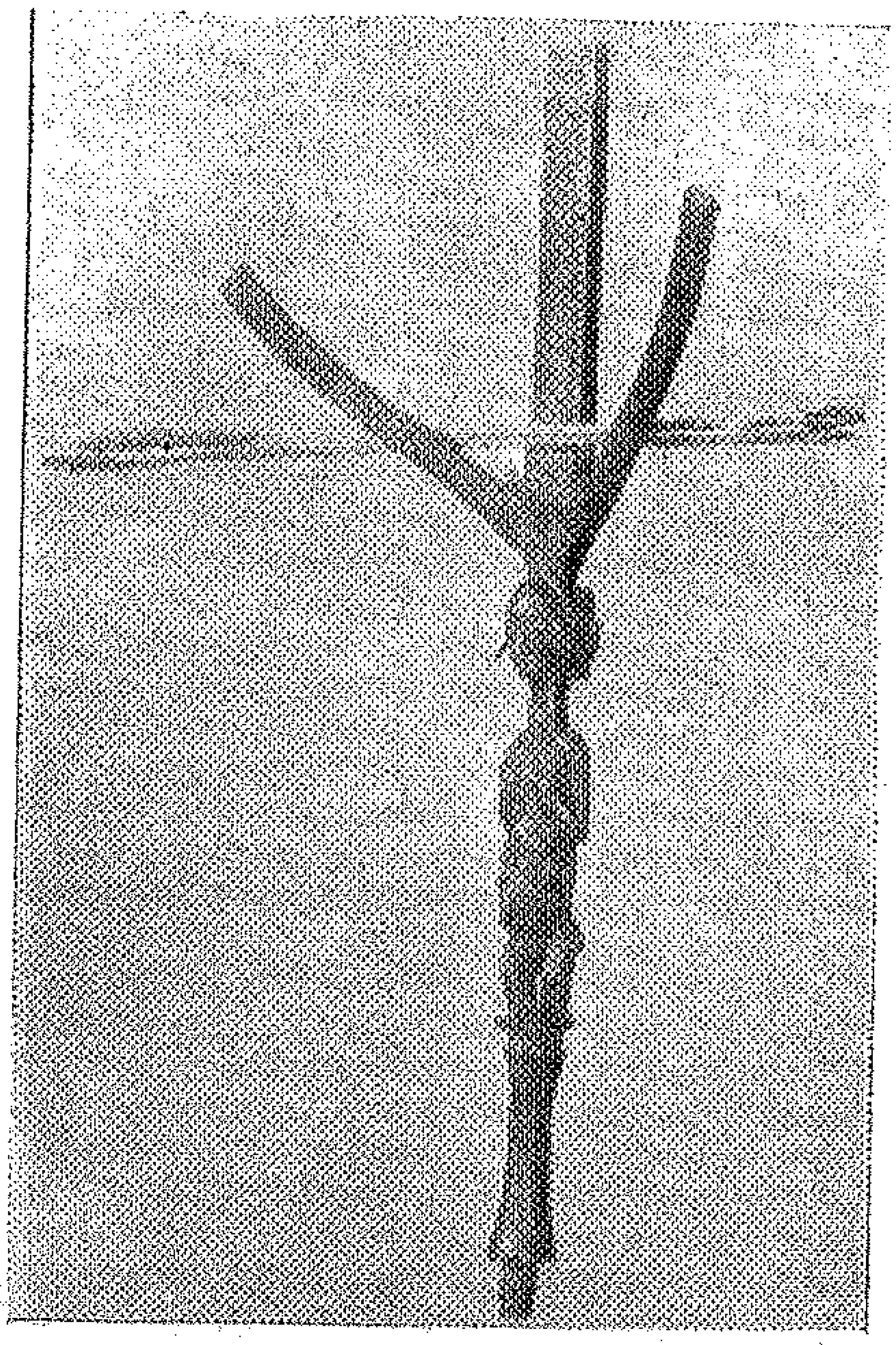

الشعر الافريقي

للأستاذ كوفي انتمبام

لاول مرة فى تاريخ الثقافة الافريقية المعاصرة ، يصدر ديوان كبير باللغة الانجليزية يضم مجموعة مختارة من شعر طائفة ممتازة من شعراء القارة الافريقية كلها تقريبا .

وقد صدر «كان تيمبا» أحد شعراء جنوب افريقيا هذا الديوان بكلمة قال فيها :

« ها نحن أبناء افريقية ... وهاهى قارتنا العظيمة تتحدث الى افريقية بل والى العالم كله ...

وها هى أحلامنا الكبيرة التى كانت تتخيل صورا نموذجية يجب أن نحققها ... قد تحققت فعلا .

لقد ولد المعجم الكبير

رمز عظمة السلطان الملون .

وثوب الفخار الذى سنلف به أجسادنا .

هانحن .. هانحن .. هانحن .

هاهم أفريقيون يخلقون من الانجليزية لغة خاصة بهم تنزل الى الحياة .

وتستعمل الكلمة التى تحث الاقدام المتحركة على توسيع خطاها .

وفي مكان ما أو فى آخر على سطح أرض قارتنا .

بدأت تظهر حضارة جديدة ...

وبدأت فى الافق الفكرى ...

أضواء ثقافة افريقية جديدة ...

أنظر يا أخى ... تأمل يا أخى الافريقى ...

ان آثارها وسماتها موجودة هنا .. »

ولا شك فى أن ظهور هذا الديوان فى وقت تبلورت فيه الشخصية الافريقية ، وقامت فى مختلف مناطق القارة حركات سياسية تهدف الى تجميع شعوبها ، وربط أواصر الصلات بينها ، لا شك فى أن ظهور هذا الديوان فى هذا الوقت بالذات — يعتبر رمزا دلاليا لنوع من الثقافة الذاتية التى يتميز بها الافريقيون المعاصرون .

وقد تناولت كبريات الصحف الانجليزية هذا الديوان بالنقد

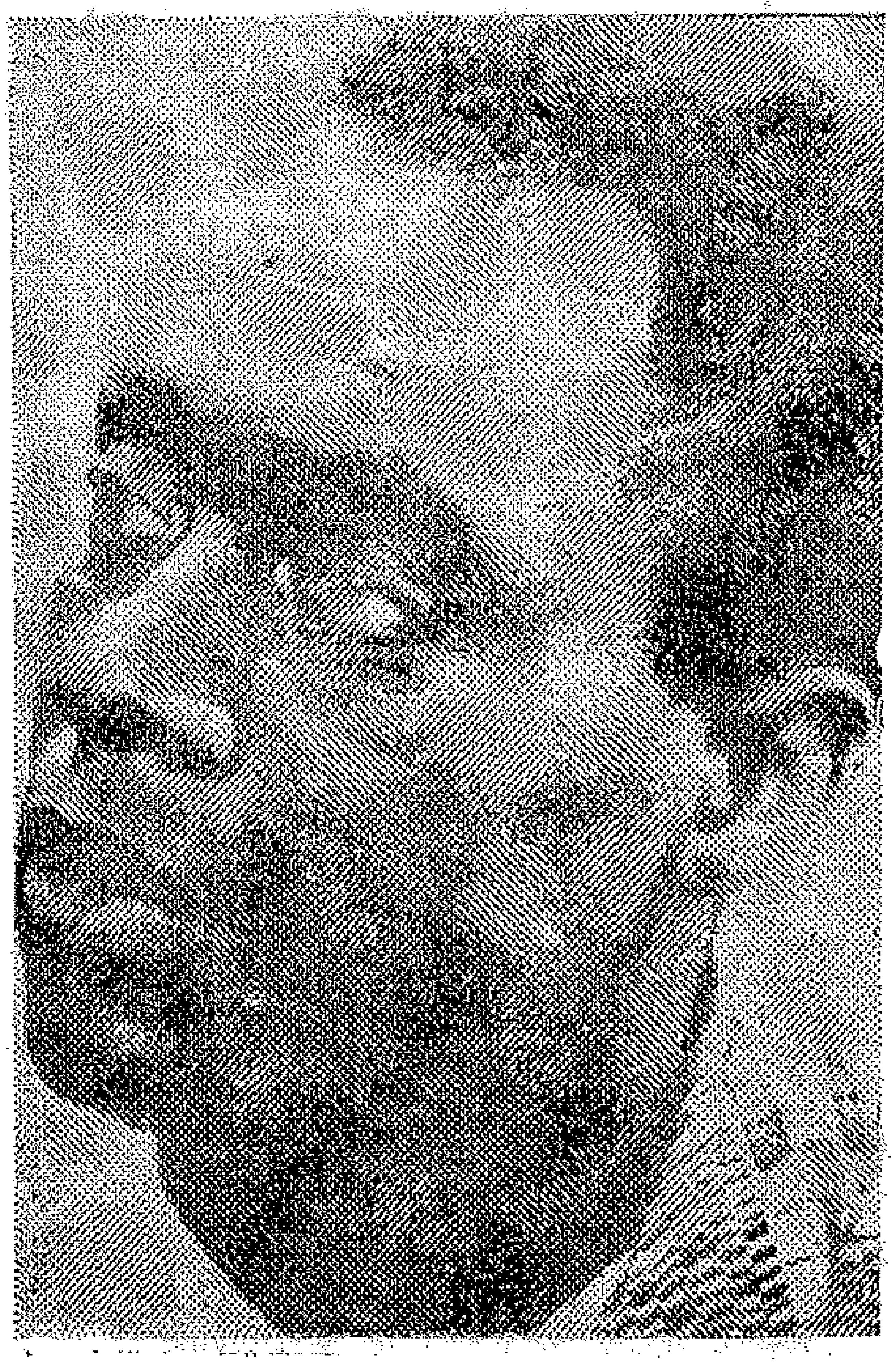

والتحليل .. وكتبت « التايمز » فى ملحقها الادبى تقول :

« الى أى حد يصدق ادعاء « كان تيمبا » ؟ وهل صحيح أن الافريقيين قد خلقوا من اللغة الانجليزية لغة خاصة بهم ؟ وهل نستطيع أن نجد آثار حضارة جديدة بدأت تظهر اليوم — مثلا — فى سماء إفريقية ؟ وهل فى هذه الحضارة شىء ما يعتبر أكثر نضجا من الكتابة الغربية ؟ وهل من الممكن حقا — كما يدعى كثير من الافريقيين — أن نقول ان هذه القارة الافريقية تعيش الآن على عتبة بعث ثقافى وفكرى يسير جنبا الى جنب مع حركة الاستقلال السياسى ؟ »

هذه الاسئلة تعتبر على جانب كبير من الاهمية، لان الاجابة عليها ستحدد — بلا شك — شكل العقلية الافريقية الجديدة التى بدأت تأخذ اليوم طابعا مميزا خاصا بها .

ويستطرد الكاتب قائلا :

فاذا ما وجد هذا البعث حقيقة ... فانه سيمثل جانبا من مكاسب الغرب خارج بلاده ، ذلك لان افريقيا — وهى لا تشبه فى هذه الظاهرة بلاد الهند ومعظم بلاد الشرق — تميل دائما الى رفض ماضيها، وعدم الاعتزاز به . وهذه ظاهرة واضحة نكاد نلمحها فى انتاج كثير من الكتاب الافريقيين... لانهم يرون فى هذا الماضى تاريخ العبودية » وآثار الظلم، واستبداد الزعماء، الاوتوقراطيين وجمود التقاليد القبلية ، وهم فى هذا الصدد يختلفون مع الكتاب الاوربيين، وتمتلىء قلوبهم بالثورة والغيظ عندما يقرأون كتابا غربيين يتحدثون عن ماضى بلادهم .

« أيها الابيض لا تحافظ على عادتى وتقاليدى ، كشىء عجيب ممتع .. تحاول أن ترضى به أذواق بعض أبناء جلدتك » .

هذا ماكتبه الشاعر النيجيرى : **« دينيس أساديهى »** .

واذا كان الامر كما يدعى كاتب المقال، من أن بعض المثقفين من أبناء أفريقية ينكرون فعلا ماضيهم ، فذلك لان الشعوب الافريقية قد قاست كثيرا من ظلم المستعمرين واستبدادهم، فى فترة من فترات ماضيها ، ومرت خلال مرحلة الاحتلال بتجربة دامية ، جعلتهم يربطون هذا الماضى بصورة بشعة تتقزز منها نفوسهم . فهم يرون فيها صورة من ظلم الانسان لاخيه الانسان .. وكيف استطاعت القوة الممثلة فى أساطيل الرجل الابيض وطائراته وأسلحته المادية ، أن تحرم الافريقى الاعزل من أبسط حقوقه الانسانية !

فليس من عجب اذن ، أن يهرب الافريقى الذى اكتمل له وعيه ، وخلصت له ثقافته من هذا الماضى البغيض، وأن ينظر الى مستقبل باسم، يشرق على قارته ... بعد أن تحقق له فى حاضره حلمه فى استقلال بلاده ،

كما كتب هارولد نيكسون فى مجلة « الاوبزرفر » معلقا على هذا الديوان يقول :

« ليس أدل على مدى نفوذ الثقافة الاوربية فى أفريقية من ظهور معظم مؤلفات الافريقيين ، مكتوبة باللغتين الانجليزية والفرنسية . وليس هذا فحسب ، بل ان نماذجهم فى الكتابة ، تكاد تكون نماذج أوربية أصيلة . وأستطيع أن اقول فى صراحة وصدق ، ان لبنات هيكل البعث الثقافى الافريقى ، مصنوعة من حجارة أوربية » .

ولسنا فى حاجة الى مناقشة ما يذكره هارولد ، لأنه كتاب أفريقية اذا كانوا يضعون معظم مؤلفاتهم باللغتين الانجليزية والفرنسية ، فاننا نعرف جيدا — وهذه حقيقة علمية ثابتة — ان ألفاظ اللغة شىء ، والروح التى يملأ بها الكاتب عباراته اللغوية شىء آخر ، وان شخصية الكاتب وذاتيته

ـ كما يقرر أساتذة النقد ـ تتكشف دائماً فيوضوح ظاهر منخلايا النسيج اللغوى وقد حاول ناقد التايمز أن يعلق على ما كتبه هارولد فقال :

« ان كثيراً من مواقف شعراء هذا الديوان تدعونا الى الحيرة والتردد ، فقد وضعوا قصائدهم فى أسلوب أفريقى جديد ، وحاولوا الهروب من طغيان الاسلوب الاوربى الخالص ، ولكنهم بالرغم من ذلك ، قد عجزوا عن تأكيدتعبيرهم الذاتى • ولاأستطيع أن أنكر أن نفوذ الكتابة الانجليزية له سمة واضحة عميقة على الاشكال الادبية التى ينتجهاالكتابالافريقيون، لا سيما فى مجال القصص القصيرة• فقصة « أخوخى ـ بلدى المحبوبة » للقصصى « **ألان باتون** » تعتبر دليلا واضحا على صحة ما أقول » •

وظهور هذا الديوان بالصورةالتى صدر بها ، يمثل لنا حقيقة واقعة فى مسطح الادب الافريقى المعاصر • فمن الصعب علينا أن نجد آثارللشخصية العامة التى تتكرر فى مناطق جنوب وشرق وغرب أفريقية .. اللهم الا فى صورة الشخصيةالمعادية للاستعمار•• ذلك لان الديوان قد ضم مختارات من شعر كل مناطق القارة •• ولا شك فى أن هذه فرصة مواتية أمام أىناقد أدبىلكىيقوم بدراسة مقارنة ، يكشف لنا فيها عن خصائص الحركة الادبية واتجاهاتها فى كل منطقة على حدتها• فقصائد شعراء الجنوب ـ كما يرى ناقد التايمز ـ تدور حول الحياة المضطربة التى يعيشها السود ، وتبدو فيها ملامح الثورة النفسية التى تؤججها العنصرية ، وتظهر فيها نغمة اللون الاسود والابيض بصورة لا مثيل لها عند شعراء شرق أو غرب أفريقية •

وأدب هؤلاء الجنوبيين ، أدب ملىء بالمواقف ذاتالتيارالمستور الذىيخفى تحت رماده نار العنف ، وروح الخوف ولقد أخفت مرارة الصراع العنصرى شخصية البطل لجنوبى وتفاعله مع الاحداثتماما ، كما طغىالقلقالجنسى على الشخصية فى الادب المكشوف • ويسود القصة الجنوبية بصفة عامة ، روح الصدق ، ولهيب العاطفة ، كما انها تعتبر المرآة غير المباشرة التى تعكس صراع الطبقة المثقفة من السود

فقصة «**كانتيمبا**» عن جوهانسبرج فى مجموعة « حماس الجماهير » ، والصورة الادبية التى رسمها«ريتشارد رايف » عن مدينة الرأس فى قصته «الاريكة» لهما صلة قريبة جدابمكانهما المعنوى والمادى ، وهما أقوى منكتابة أى أديب أوربى يحاول أن يتناول موضوعهما • ولكننا نلمح فيهما روح العنف ، ونغمة الصراع العنصرى ، وطابع الاعتساف ، وكلها تختفىوراء الشخصيات • والشخصيات الافريقية الحقيقية لا تظهر فى القصة •• لان الاهتمام باحتدام الصراع والازمات النفسية تكاد تقضى عليها •

أما الانتاج الادبىفى شرقأفريقيا، فهو صورة صادقة تعكس لنا ظروف البيئة ، ومستوى حياة سكانها ••• فقصائد الشعراء وأقاصيص الكتاب ، يفيض معظمها بطابع الشكوى، وعدم الثقة ، والثورة على الوضع السياسى القائم فيها • وأغلب القصائد التى يتضمنها الديوان خالية من العمق ،

أما القطعة الادبية الرائعة التى يفخر بها الادب الافريقى الشرقىحقا، فهى قصة « سادة الادغال » للزعيم « **جومو كينياتا** » التى سجلها فى الديوان بأسلوب وشكل شعرى جميل •• نلمح فيها مستوى أسلوبه الذى وضع به كتابه « وصول الرجل الابيض الى كينيا » •

وجومو كينياتا ـ كما يقول ناقد التايمز ـ فنان أصيل قبل أن يكون زعيما سياسيا، ولعل الاعجابالشديد

الذي يكنه له مواطنوه ، يرجع الى ما تمتاز به كتاباته وأحاديثه من روح فنية أصيلة ، فهو يستعمل القصة الشعبية البسيطة في أسلوب مقنع تظهر فيه اشارات الحركة الكفاحية التي يتزعمها هذا الرجل .

أما الامر في غرب أفريقيا فهو جد مختلف ، فقد ازدهرت الكتابة هناك الى حد يجعل القارىء ... يشعرلاول وهلة بالفرق بين أدباء غرب القارة ، وكتاب شرقيها وجنوبيها . فالاستقلال الذي يتمتع بهكثير من مناطق الغرب ، واختفاء الصراع العنصري الى حد ما ، وعدم وضوح خطوط الثورة النفسية التي تخلقها دوافع اللون والجنس .. كل هذا كان سبباًفي تمييز أدبالشرق عن أدب الغرب والجنوب ، كما كان باعثا على الاهتمام المخلص بالاسطورة والميثيولوجيا .

وليس معنى هـذا ... أن أدب الشرق ، قد خلا تماما من نزعةاللون التي تقترن في ذهن كل أفريقي بظلم الرجل الابيض له واستغلاله ، بل أن هناك بعض الكتاب يحرصون دائما في انتاجهم على تلوين أشكالهم الادبية بالطابع الاسود والابيض . ولنستمع الى « سيرين اكونسي » وهو يتحدث في قصيدته « طقوس القبائل » اذ يبدؤها بهذه الكلمات :

« **الرجل الاسود كان خائفا .**
واستطاع كولي أن يقرأ في عينيه
وميض هذا المعنى ... »

ويقول ناقد التايمز ... ان اللغة الانجليزية قد مرت بتجارب كثيرة على أيدي كتاب منطقةالغرب ، ونضجت فيهابصورة أكثروعيا منكتابالجنوب ويكفي للتدليل علىمدى تأثير هذهاللغة في كتاب منطقة الغرب ، ما نشاهده من رواج كتبهم في انجلترا بالذات ، فقد حظيت قصص « **أموس تيوتولا** » الخرافية بسوق رائجة بين القراء الانجليز .

والواقع أن هذا الكاتب الغاني يقدم انتاجا فنيا مدهشا ، وكتاباته تأخذ دائما شكل مزيج عجيب من قصص اليورسوبا الشعبية التي يصوغها في أسلوب وعبارات فنية حديثة .

وقصصه « الشبح » و « الشيطان الموقر » و « القاضي الشرير » و « شارب خمر النخيل » ، تمثل أمامنا حداثة اتجاهه نحو المستقبل الجديد ، وتبرز لنا مواقفه العجيبة المدهشة ، كافريقي مثقف ، يعيش في جو أسطوري ميثولوجي . وينجح في خلق حل رائع لشخصيات خرافته .

« **طبعا .. عندما تأملت في أعماق نفسي**
وتذكرت انه بالرغم من أنالمخلوق الارضي
يمكن أن يعشق من عالم الارواح
تأكدت أن الارواح لا تستطيع أن تحبه من كل قلبها
عندما تذكرت هذا ...
هربت وحدي من مدينته في الليل
بعد أن طوفت حولها .
لاودع الارواح الطاهرة » .

ولا نستطيع ـ ونحن نتحدث عن الحركة الادبية في غرب افريقيا ـ أن ننسى شاعرا وقصاصا يكاد يكونمعروفاً فيكل مكان . فـ « توماس كودجوي » الفنان الذي برع فيتقديم صور الهجاء السياسي المخيف فيقالب مدح ساخر ، يمثل الاديب الافريقي الناضج فهو يقول :

« **أوه ياسيدة السماء الزرقاء**
وصاحبة أبجدية هيعشرون حرفا
يضاف اليها ستة من الجمال المعشوق »

ويقول في قصيدته بمناسبة الاحتفالات باستقلال غانا ، والحديث فيها موجه الى دوقة كنت :

« **ياصاحبة السمو لقد كنت هنا منذ فترة وجيزة .**

لقد كنت هنا عندما نجح النجم لينوكس بويد

في احراق مذهب الرجل الشيوعي الذى كان يعبد الارواح الشريرة »

ومهما يقل عن أدب كتاب منطقة الغرب ، فلا نستطيع أن ننكر ـ كما يقول ناقد التايمز ـ معالم الثقة بالنفس ، واصالة التعبيرالذاتى فى معظم مايكتبون... الا أن الدراسة المباشرة للشخصية ، لاتزال عنصرا ينقص هذا الادب ، والومضات التى نراها تشع من مصدرها عن مظاهر الحياة العادية للشعب قليلة الى حد ما . ولعل ذلك راجع الى تعقيد العلاقات التى تعتبر عمود القصة

وهناك حقيقة لايصح أن نغفلها ، مادمنا نتحدث عن كتاب أفريقيا ، وعن نفوذهم فى جماهيرهم من الافريقيين ، فكتاب أفريقيا يسخرون معظم انتاجهم لصالح معاركهم السياسية ... فلا يصح أن يكون الشاعر ، أو القصاص ، بعيدا عن التيارات المختلفة التى تتحكم فى مصائر قومه ، ويرى « هارولد » : ان هذا الاتجاه ربما كان سببا فى ضياع وتشويه معالم الشخصية فى القصة الافريقية الناضجة فلن تظهر على مسرح الادب مكتملة المعالم والعناصر الا بعد أن تستقر الاوضاع العامة فى هذه القارة الكبيرة .

أما ناقد التايمز فيؤكد : ان ضعف شخصيات القصة الافريقية ، يرجع الى حيرة كتاب افريقيا أنفسهم فى اختيار نوع الشخصية التى تتحرك داخل الاطار الفنى مادامت اوروبا هى السوق الاساسية لرواج مؤلفاتهم . ويلجأون الى المعانى والكليات المجردة ، يضمنونها قصائدهم وأشكالهم الفنية

ولقد بدأت تتضح معالم الثقافة الافريقية فى منطقة الغرب بعد أن حصلت بعض الدول هناك على استقلالها ، وأخذت نغمة العنصرية والعداء للاستعمار تختفى نسبيا لتحل محلها نبرة جديدة .. فيها صوت عظمة أفريقيا ، وتاريخ حضارتها القديمة ، والتفاؤل فى مستقبل أفضل .

ومن أحسن الكتاب الذين أسهموا بقسط كبير فى هذا الديوان الجديد « **بيتر ابراهامز ـ وابيوسه** » .

فابراهامز كاتب من أبناء جنوب افريقيا ، عاش فى حى فقير من أحياء مدينة جوهانسبرج ، فشاهد بعينيه صورة الواقع البشع ... الذى يعيش فيه أبناء قومه من السود ، ثم هاجر الى لندن وهناك وضع ترجمة صادقة لحياته نشرها فى كتاب تحت عنوان « فلنتحدث عن الحرية » .

وقد مكنته هذه الموضوعية التى التزمها « ابراهامز » فى كتابه من أن يقدم لقارئه فى مهارة الفنان الأصيل ، جانب الكوميديا المرحة فى حياة الافريقيين متشابكة فى خيوط غير منظورة بالجانب التراجيدى الباكى . وقد حظيت قصته الشاعرية الاخيرة « اكليل الزهور لك يا اودمو » برواج لامثيل له فى انجلترا ، حتى ان أحد النقاد الانجليز قد كتب عنها يقول :

« انها أحد الاعمال القليلة التى كتبها أفريقى ، يحاول أن يقدم للفكر العالمى دراسة جادة عن الصراع داخل القارة » .

وقضية الثقافة الافريقية ، قد أصبحت تشغل اليوم بال المسؤولين فى كل من لندن وباريس .. أكثر مما تشغلهم قضايا السياسة ، والشؤون العسكرية . ذلك لانهم يؤمنون بأن الاستعمار الثقافى ، هو أنجح وسيلة لتحقيق أقوى أنواع التبعية . وقد حدث نتيجة للاستعمارين الفرنسى والانجليزى الطويلين ، أن ظهرت فى افريقيا مدرستان فكريتان احداهما فرنسية ، والاخرى انجليزية ، ولكل منهما

سماتها وطبيعتها .

فالمدرسة الفرنسية – كما يرى احد النقاد الانجليز – فيهـا وعى واحساس بالذاتية الافريقية . فبعد أن تفرنس أبناؤها ، وتشبعوا بالاتجاهات الفرنسية الأصيلة ،ردتهم موجة السياسة فى عنف الى شاطىء افريقيا . فأخذوا يبحثون فى باطن رمال الشاطىء عن كل ماهو افريقى أصيل ، ولا شيء غير ذلك .

أما مدرسة الكتاب الافريقيين الانجليزية ، فقد ظلت محتفظة بالطابع القومى الافريقى تأخذ من لندن ، وتمزج ماتأخذه بما لديها من أصول وجذور .

ولقد حدث أن ذهب كثيرون من أبناء افريقيا الفرنسية الى باريس ، وتلقوا علومهم فى كبريات مدارسها ومعاهدها ، ثم تنبهوا فجأة – بعد أن أحسوا بأنهم يعيشون فى بيئة غريبة عليهم – الى أنهم فى حاجة الى شعور بالارتباط بالارض التى تضم جذور ماضيهم وتراثهم ، فعادوا اليها أكثر افريقية من الذين لم يذهبوا الى باريس . ونحن نعرف أن « ايمبيه » الكاتب الافريقى ، بعد أن قضى فى فرنسا فترة طويلة من الزمن ، وعاش بين جدران السوربون حتى حصل على أرقى درجاتها العلمية ، قد انزعج عندما أحس باللاشيئية التى وجد نفسه عليها فى المجتمع الفرنسى فرجع ليكتب عن افريقيا فى فخر وحماس ، أروع مايكتبه مواطن .

وهاهى جماعة افريقيا المعاصرة ، تناقش فى كثير مما تكتبه ، طبيعة الثقافة الافريقية ، وتبرز أوجه الاختلاف الموجودة فعلا بين هذه الثقافة ، وبين ثقافة أوربا ، ومدى مساهمة افريقيا فى الميدان الدولى ، ثم بدأت تهاجم ماديات أوربا وأمريكا ، وتأخذ على عاتقها فى روح عنيدة ، وعدا بأن كتاب افريقيا سيقدمون غدا ، وفى الغد القريب جدا ، الى العالم المتحضر ... خلاصة الانتاج الانسانى الرفيع .

وهكذا تتضح معالم **« الشخصية الافريقية »** ، أو أن الافريقيين كما قال نكروما : « قد بدأوا يكتشفون افريقيا فى هذا القرن من جديد » .

ويقول أحد النقاد الانجليز : « لاشك فى أن ظهور الشخصية الافريقية فى المجال الادبى ، قد تبلور فعلا ، وأخذ لنفسه معالم وسمات خاصة ، وربما أصبحت الفجوة بين المثل الاعلى الذى ينشده الافريقيون ، وبين واقع « الشخصية الافريقية » ، ضيقة وعلى وشك أن يتلاقى طرفاها . ولكن ماذا ستكون اذن ملامح هذه الشخصية الافريقية بعد ان استقلت بعض دولها ، وضعفت نغمة الوطنية التى تعادى الاستعمار وتحاربه ؟ » .

يقول هارولد : « ان العوامل التى تربط قطاعات القارة فى الجنوب والغرب والشرق تكاد تكون محدودة فمن بين هذه العوامل .. وجود التلميح الدائم بالرق والعبودية . ويعتبر هذا من جانب كتاب افريقيا المستقلين مقدمة لمعنى جديد من معانى القيم الانسانية ، فكل الكتاب الافريقيين على اختلاف مناطقهم ، يلونون أشكالهم الادبية بظل قاتم من صورة العبودية والرق . لا على أنها مصدر من مصادر المرارة والأسى ، بل كباعث من بواعث الفخر والاعتزاز بمرحلة لن تمر فى تاريخ أية قارة سوى قارة افريقيا . كما أن هناك عاملا آخر هو رفض الكتاب الافريقيين للقيم المادية رفضا تاما . ولعل هذا الموقف يفسر لنا : لماذا لم يحاول هؤلاء الكتاب أن يجعلوا من القيم المادية أساسا لموضوعاتهم » .

– على أن أبرز عامل مشترك بين كتاب افريقيا هو روح التفاؤل غير المحدود .

اثيوبيا في صور

الحياة فى ((أثيوبيا)) لا تختلف عنها فى القارة الافريقية . ففيها تطلع للوصول بالبلاد الى مستوى رفيع من الرفاهية ، وفيها رغبة أكيدة فى وضع يدها فى يد الدول الافريقية الاخرى . ثم أخيرا فيها رغبة أكيدة للعمل من أجل السلام لكل العالم .

ومجلة نهضة افريقية يسعدها أن تقدم ألوانا من الحياة فى هذا البلد الافريقى العظيم .

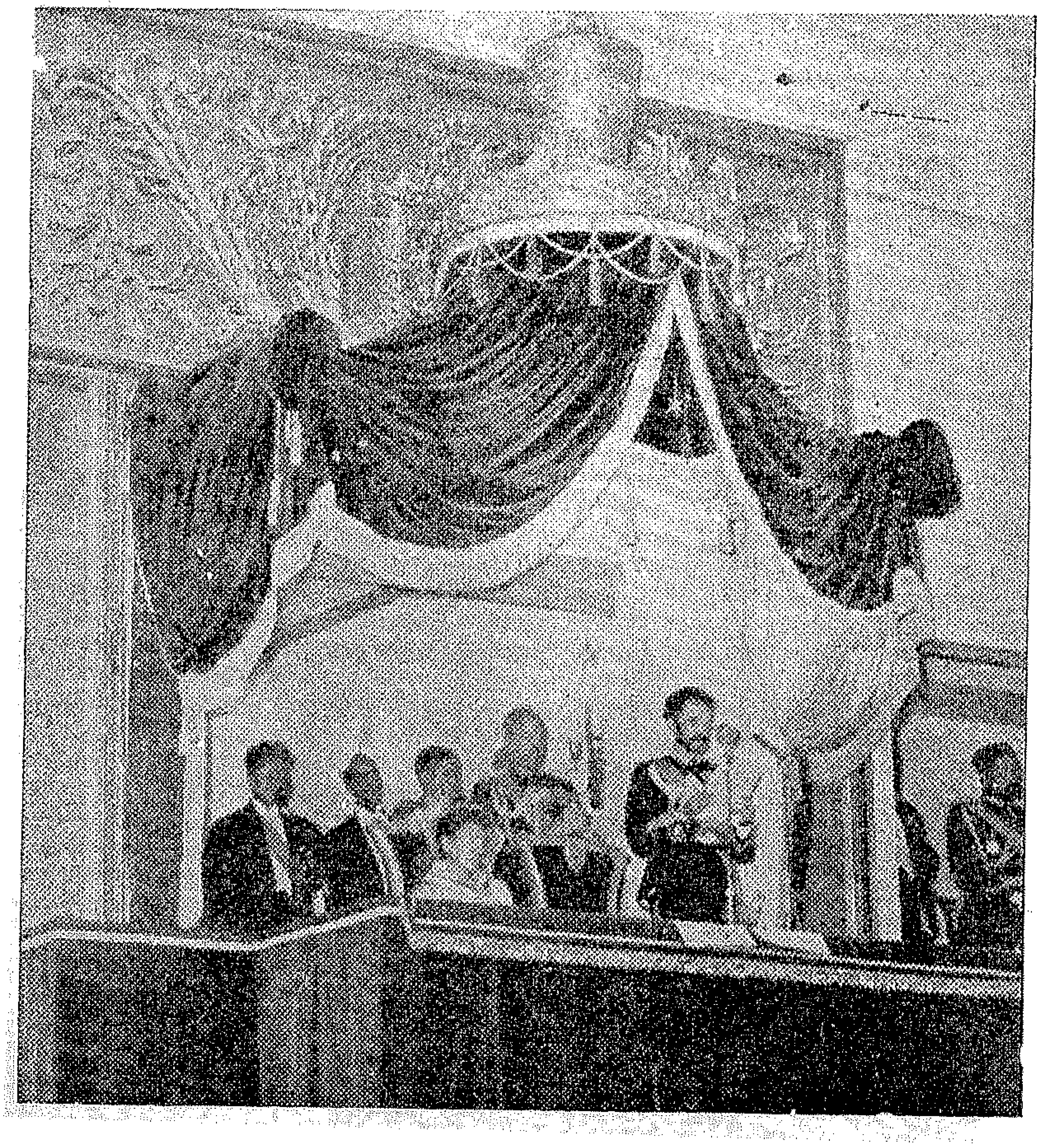

الامبراطور هيلاسلاسى يخطب

الامبراطور هيلاسلاسي والامبراطورة

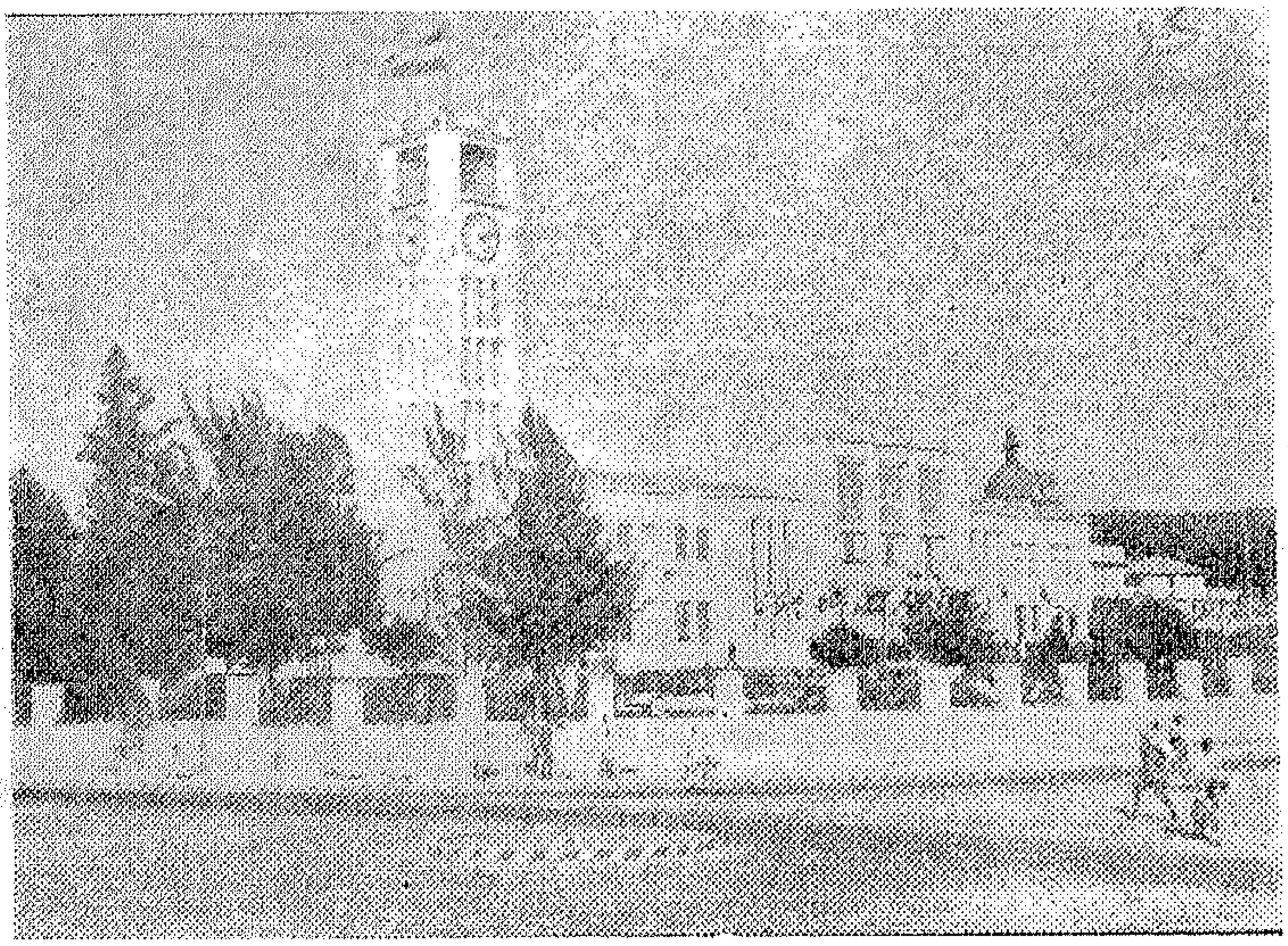

البرلمان الاثيوبى

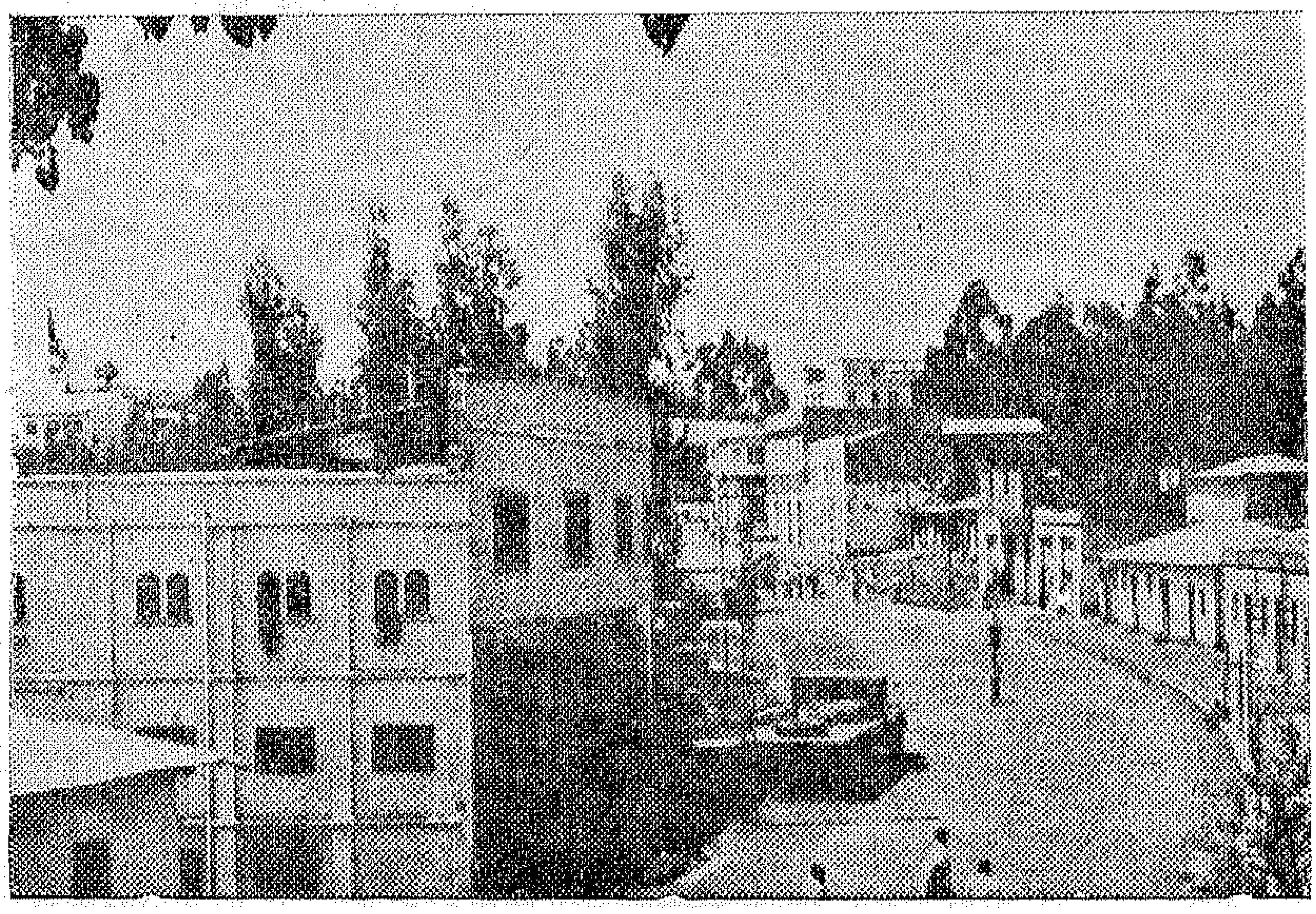

أحد الشوارع فى « أثيوبيا »

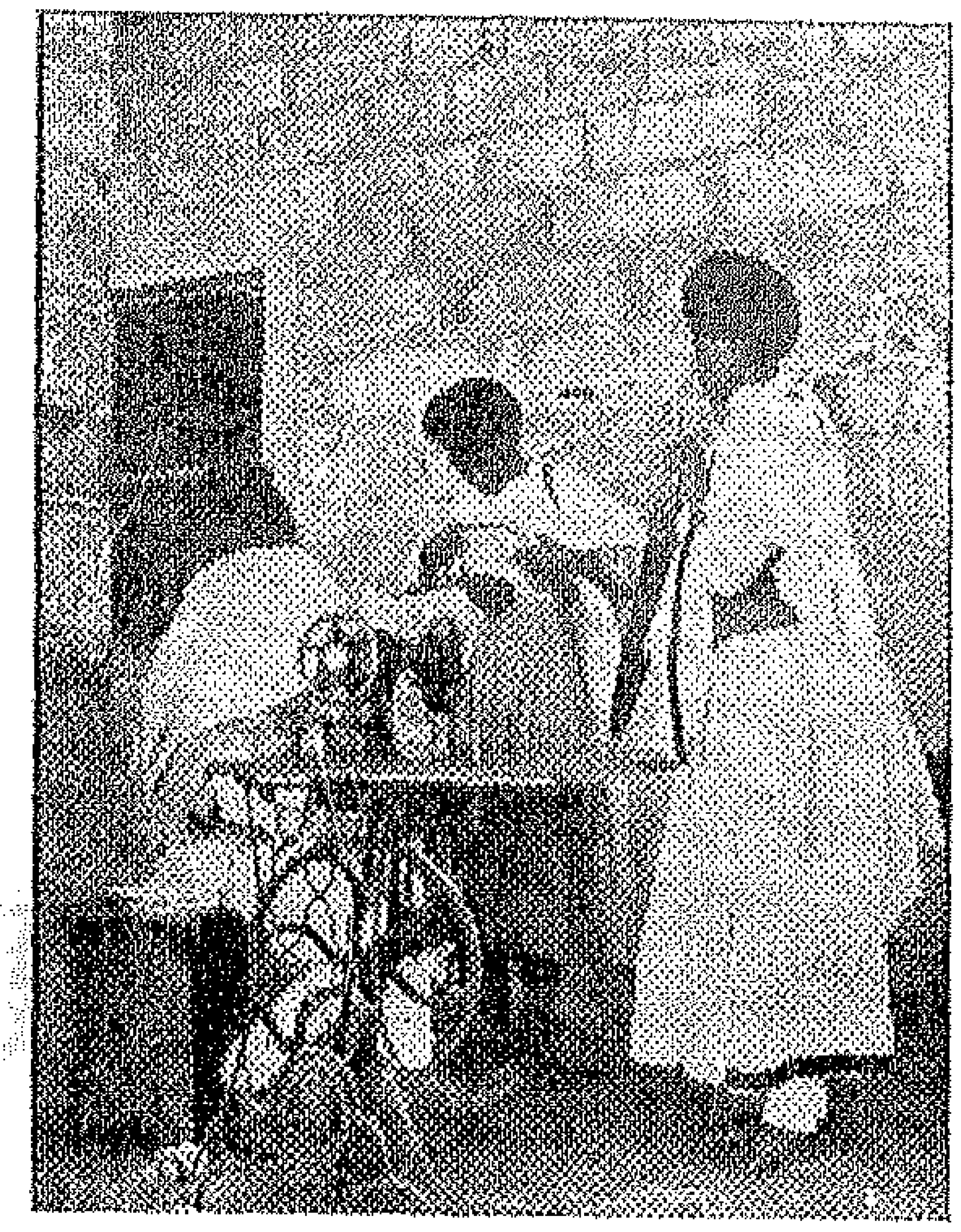

من مظاهر الحياة بأثيوبيا

الطيران الاثيوبى

فولكلور غانا

مقدمة للفولكلور الغاني :
بقلم ج . ه . نكيتا
ترجمة الاستاذ توفيق حنا

فى الواقع أن كلمة « فولكلور » أطلقت أولا على الحكايات الشعبية ، وعلى الاساطير ، و « الحواديت » وعلى الامثال ، والاغانى الشعبية ، وعلى التقاليد ، والمعتقدات ، والخرافات الشعبية ، وعلى العادات ، والوصفات القديمة .

والفولكلوريون فى المجتمعات الصناعية عالجوا هذه المجموعات الفولكلورية ، على أنها بقايا متخلفة ، ما زالت تعيش فى عصرنا الحديث ، وعلى أساس هذه النظرة ، وعلى ضوء هذا الفهم ، ناقش علماء الفولكلور هذه الثروة الفولكلورية من وجهة النظر الى الماضى .

والامر على خلاف ذلك فى المجتمعات غير الصناعية ، مثل غانا اذ تعتبر هذه الثروة الفولكلورية فيها جزءا مقوما حيا من الثقافة المعاصرة ، وهم لا ينظرون اليها على أنها بقايا متخلفة ، ولهذا يجب أن ندرس « فولكلورنا » بطريقة غير تلك الطريقة التى يدرس بها علماء الغرب فولكلورهم .

وعلينا أولا : أن نلم بكل ما لهذه الدراسة الفولكلورية ، بحيث تشمل المظاهر الاصيلة ، والادراك الاصيل لحياتنا الاجتماعية الصميمة .

وعلينا ثانيا : أن نعالج هذه الثروة الفولكلورية لا من وجهة النظر الى الماضى فحسب ، بل من وجهة النظر الى الحاضر والمستقبل أيضا ، اذ اننا هنا لا نتناول بقايا متخلفة ، بعيدة عن حياتنا ، مما يوضع فى المحفوظات والمتاحف ، ولكننا نعالج تقاليد حية نشطة ، تعيش معنا وفينا .

وسأقصر كلامى فى هذه المقدمة على ثلاثة فروع من هذه الثروة الفولكلورية ، آرى انها على درجة خاصة من الاهمية والخطورة لبلادنا الحديثة ، وهذه الفروع هى :
الامثال ، والحكايات ، والحواديت ، والاغانى الشعبية .

الامثال :

قلما يوجد فى غانا من لا يستعمل الامثال فى حديثه .. ففى كل مكان نجد ثروة من الامثال فى الحديث

العادى ، وفى الخطب ، وفى الحكايات وفى « الحواديت » ، والاغانى .

وتنتظم هـذه الامثال كل ألوان النشاط الانسانى ،وكل مظاهرالحياة فى غانا اذ نجد فيها الخوارق ، كما نجد فيها الحيوانات الاليفةوالمفترسة، والطيور - كما نجد كذلك فى هذه الامثال ألوان السلوك الانسانى المختلف ، وأنماط الناس المتنوعة ، كما نقرأ فيها حوادث التاريخ والاحداث والوقائع التى سردت فيها الحكايات والحواديت الشعبية .. وبالاجمال نجد المثل الغانى يطلق على كل لون أو مظهر من مظاهر الكون والحياة فى غانا ..

ولهذا يمكننا أن نستخرج من هذه الامثال كل معتقداتنا وكل قيمنا ومدى ادراكنا للكون والحياة ، وهذا هو ما فعله واترى ، والدكتور دانكا .

كلمات الحكمة :

لا تقتصر قيمة المثل فى حياتنا فى غانا الحديثة على أنه يكشف لنا أفكارنا وآراءنا ومعتقداتنا فى الماضى ، بل ان المثل فى لغته الموجزة وعبارته البليغة ، يعتبر ثروة ونموذجا للشاعر الحديث ، وللمحدث الماهر ، الذى يعتبر فنانا من حيث قدرته وذكاؤه فى استعمال الكلمات والالفاظ ، ذلك أنه بالاضافة الى ما فى هذه الامثال من حكمة ، فان كلا من الشاعر والمحدث والخطيب يستفيد بما له من مهارة فنية ومن قدرة على اختيار كلمات هذا المثل ومن صور بيانية وتجارب متنوعة، ومعرفة تامة للالفاظ ، والمعانى المختلفة من استفهام ونفى ومقارنة وتقرير وخبر وانشاء الى غير هذا من عديد الصور الكلامية .

والشاعر والمحدث بعد أن يألف كل منهما هذه الامثال ويعتاد على استعمالها يتمكن بعد ذلك من أن ينشئ لنفسه ولغيره أمثالا جديدة، مما يعينه على تلوين كلامه وحديثه بألوان الطرافة والجدة ويجنبه فى الوقت نفسه التعبيرات الغامضة .. وهكذا نجد أن المثل فى حديث هؤلاء المحدثين الفنانين المهرة .. الشعراء لا يبدو فى صورة جملة قصيرة مركزة تكونت على مدى الاجيال والسنين تعكس لنا فكرورأى وبصيرة أهل غانا فى مشاكل الاحياء ومظاهر الحياة فحسب بل يقدم لنا المثل لونا رائعا لتكنيك التعبير .. هذا اللون الذى يعجب به ويقدره كل المواطنين الغانيين

وهذا هو الذى جعل الامثال تعيش وتستمر فى تقاليد فنية وشعورية حية نشطة فى حياة غانا .

الخطابة الشعبية (الحدوتة)

يصدق كل ما ذكرناه عن قيمة وأهمية الامثال لاهل غانا على الحكايات والحواديت الشعبية .. اذ أن رواية الحكايات الشعبية من الفنون الحية التى تعيش فى واقع الحياة الغانية. ففى مجتمع ما مثلا يدعى الراوى الخبير الماهر لاحياء السهرة التى تسبق اليوم المخصص للقيام بالشعائر والطقوس الجنائزية ويساعد الراوى طبال ، ومجموعة من المغنين (كورس) يشتركون اثناء رواية الحكاية الشعبية بموسيقاهم التى يرقص على نغماتها المستمعون وفى هذه المناسبات الخاصة يسود سرد ورواية الحكاية الشعبية طابع درامى اذ يقف الراوى فى اثناء الرواية بينما يبقى الآخرون يستمعون وهم جالسون حوله واثناء سرده لاحداث الحكاية يندفع فى دعابة ومرح الى الغناء والى تقليد مواقف اشخاص الحكاية والى الاشارة والحركة الدرامية وهكذا .. ويساعد الراوى - عندما يبدأ الغناء - الكورس كما يشارك المستمعون مشاركة فعالة بحركات الرقص فى بعض مواقف الحكاية .. وقد يستمر الراوى الخبير فى مكانه هذا حتى مطلع الفجر، وهو يروى حكاية

واحدة يتخللها من حين لآخر الغناء والرقص ولكنه يعود بعد كل فاصل غنائي أو راقص الى حيث ترك المستمعين ليتابع الرواية فى خبرة وحذق ومهارة .

وهذه الحكايات الشعبية معروفة ومشهورة بموضوعاتها وبمواقفها وبأشخاصها اذ تعتبر من التراث الشعبى الخالد ولكن يحدث أحيانا أن نستمع الى حكاية غير معروفة أو غير مشهورة ، الا أنها تعتمد على تكنيك وروح وجو الحكايات الشعبية المعروفة من حيث القدرة والموضوع والشخصيات والمواقف واللغة الخاصة المميزة للحكاية الشعبية الاصيلة .

والشخصية الرئيسية فى كثير من الحكايات الشعبية هى العنكبوت (أبو شبت) (وهو من ترجمة واترى لكلمة انانسى) و الارنب البرى وشخصيات أخرى : مثل الصياد والمرأة العقيم والخادم .

ويعتمد تكنيك الحكاية الشعبية على الخيال والوهم وملكة التصور . وتقدم لنا شخصيات حكاياتنا الشعبية كل ألوان السلوك الانسانى من غباء وبلادة ومكر وخبث ، وذكاء وحكمة ، وقسوة وعطف ومهارة ورشاقة .

أما حوادث هذه الحكايات فهى فى الغالب تلك الاحداث العادية المألوفة التى يتكرر حدوثها فى حياتنا الواقعية ولكن فى صورة يلعب فيها الخيال والوهم والانطلاق والتصور الفنى دورا رائعا .

وتقدم لنا شخصيات هذه الحكايات كل صور النشاط الانسانى فى المزرعة وفى قطع الاشجار وفى أوقات البذر والحصاد وفى المصايد وفى صيد السمك من الانهار وفى صيد الطيور وفى القنص وفى صنع السلال وفى نسج الاقمشة وفى صنع الاوانى الفخارية وفى الطهو .. كما نرى مجموعات من الافراد فى طريقها للتجارة وأحيانا نشاهد هذه الشخصيات وقد وقعت فى المتاعب والمشكلات والمصائب التى تعترض حياتهم .. نراهم يرفضون زواجا لا يرغبون فيه أو يطلبون العون والنجدة والشفاء من أمراضهم وازماتهم .. كما نراهم وهم يحملون الاطفال من آلهة الانهار أو من آلهة الاشجار .

فى كل هذه الحكايات والحواديت يولد الانسان وينمو ثم يموت فى مجاعة أو من تخمة ومن وباء أو طاعون ومن أمطار أو فيضان أو عواصف .. أو بأى سبب آخر ..

أما مسرح هذه الحكايات فهو مسرح هذه الحياة العادية الواقعية اذ يقوم الرجال بأحداث هذه الحكايات بالاشتراك مع كل الكائنات الاخرى الموجودة فى الكون المحيط مثل الاشجار والانهار والكواكب والاحجار كما تشترك فى هذه الحكايات الحيوانات الاليفة المعروفة والحيوانات المتوحشة الموجودة فى البيئة وفى كلمة واحدة تشترك فى هذه الحكايات كل الكائنات التى توجد فى عالم الواقع والحياة اليومية.

ولكل شخصية فى الحكاية الشعبية طابع يميزها عن غيرها وبخاصة الشخصيات الحيوانية .. فالخروف مثلا يتميز بالغباء والسخف كما يتميز القط بالنظافة والذكاء والمهارة أما الارنب فهو يمتاز بالحكمة والقدرة على معرفة مصدر الاصوات وعلى ترجمتها وتفسيرها وتستهدف هذه الحكايات الشعبية تفسير وبيان وتوضيح أصول الاشياء والكائنات فى الطبيعة وأصل مضرب الامثال والحكم والنصائح كما تحاول أن تبرر وتفسر أحكام القانون الاخلاقى السائد فى عالم الكبار ، كما تحاول أيضا أن تبين

أصول الكلمات وتحاول تفسيرها وتوضيح معناها .

الروح المنشئة وملكة الخلق

هذه الروح المنشئة نجدها حية نشطة فى هذه الحكايات الشعبية والانسان اذا ما تمكن من معرفة تكنيك الحكاية الشعبية فمن الميسور أن ينشىء على أساس هذه المعرفة حكاية شعبية مقبولة .. ومع أن البيئة التقليدية لهذه الحكايات هى الريف ومع ان الشخصيات تعيش وتتحرك على نمط الحياة الاجتماعية العادية المألوفة الا أن العقل بملكته الخيالية وقدرته الخالقة يتمكن من تناول هذه النماذج ومن تغييرها وتطويرها .. فكم وجدت أطفالا يحكون فيما بينهم حكايات شعبية يقوم فيها العنكبوت (ابو سبت أو نانسى) بطل الحكاية الشعبية فى أشانتى وفى غانا الجنوبية بدور الحكم فى مباراة لكرة القدم أو ينطلق فى سباق للسرعة . كما استمعت الى حكايات شعبية يقوم فيها «تاجر هاوسا» وهو من شخصيات المدينة بدور الشخصية التى تدور حولها أحداث الحكاية . ورغم رفض الرأى العام الشعبى لامثال هذه الحكايات الشعبية المصنوعة المختلفة ، الا أنها ترينا مدى ومقدار الامكانيات الدينامية النشطة الغنية لفن الحكاية الشعبية - هذا الفن الذى يمكن تطويره وانماؤه واستغلاله حتى يصبح وسيلة فعالة من وسائل التعبير الادبى فى غانا الحديثة .

الاغنية الشعبية :

تقوم أكثر موسيقانا الوطنية على أساس الموسيقى الشعبية .. تلك الموسيقى التى تعكس لنا المحاولات المستمرة التى قام بها الافراد والجماعات على مر السنين والاجيال .. هؤلاء الفنانون المنشئون الخالقون لهذه الموسيقى الشعبية .

وما زلنا نسمع هذه الموسيقى الشعبية فى الحفلات والمواسم السنوية مثل شعائر البلوغ والطقوس الجنائزية غيرها من الحفلات والاحتفالات التى تصاحب مراحل ومواسم وأحوال الحياة الفردية والحياة الجماعية .

والاغنية الشعبية حية فعالة نشطة بل لعلها أنشط وأغنى حياة وأقوى أثرا من الامثال والحكايات الشعبية اذ أنها تسمح بانشاء أو باحياء أنماط غنائية وموضوعات جديدة ، ونحن كثيرا مانشاهد انتشار أغنية جديدة وانموذجا موسيقيا جديدا فى كل بلاد غانا ، ثم تختفى هذه الاغنية لتحل محلها أغنية أخرى يقدر لها الانتشار والذيوع فترة أخرى وهكذا .. فبعد الشهرة والذيوع والانتشار التى تمتعت بها نغمات أداها (الاها) وأودزى بو وكونكو سبا نجد الآن دور نغمات أهييوا والسمبا فى الانتشار والذيوع .

وهذه الدينامية الفعالية والنشاط التى تميز أغانينا الشعبية .. هى التى جعلت من موسيقى الحياة الراقية مجرد ألوان جديدة لموسيقانا الشعبية .. ويعكس لنا مضمون هذه الاغانى كل هذا النشاط والحيوية والدينامية .. اذ ينتظم الحوادث التاريخية والعائلية ويمتد الى الاحداث المعاصرة ، وانطباعات وأحاسيس المواطن الغانى الحديث .

وتعتمد بعض الاغنيات الشعبية فى شكلها القديم على أروع نماذج شعرنا الغانى التى تصور لنا حياتنا وتقاليدنا وقيمنا بينما تقدم لنا الصور الجديدة لهذه الاغنيات الشعبية انماط الحياة الراقية وكل ما يتعلق بحياتنا المعاصرة . وتتناول هذه الاغنيات الشخصيات والاحزاب السياسية ومظاهر الحياة فى المدينة فنجدها تتناول سواقى الاتوبيس ، وسواقى التاكسى ورجال البوليس

وأصحاب المحال التجارية وغيرهم كما ينتشر فى هذه الاغنيات كثيرمن الاشياء المادية التى نجـــدها فى المدينة مثل القطـار وعربة البوليس والثـلاجة ، والمطبعة وغيرها ، وفى أغنيات المدينة ثعلب العمـــة جريس والعمـه اكوا والعمة راحة دورا رئيسيا فى الاغنية الشعبية وتقابلها فى الاغنية الشعبية الريفية أودو — لى — يو

يتضح لنا من هذه المقدمة العـــامة السابقة أهمية وخطورة المثل والحكاية والاغنية الشعبية بوصفها نقطة انطلاق وبداية طيبة لادبنا الحـديث فى كل بلاد غانا : ذلك أنه رغم وجود قبائل متعددة متفرقة اللغات واللهجات فاننا نجد أن شعورا واحدا وفهما واحـدا وانفعـــالا واحدا تجمعهـا ازاء هـذا الفولكلور الذى يشتمل على موضوعات متشابهة ، كما يقوم على تكنيك واحد فى السرد والرواية والحكاية كما يستفيد بمواد متشـــابهة فى الحياة الاجتماعية الواقعية ٠٠ هذا ولا تمنع هذه الوحدة الفنية والتكنيكية والشعورية من وجود بعض الاختلافات والتصرفات البسيطة كما تسمح بتخصص بعض البيئات فى لون معين أو فى موضـــوع خاص فى ألوان وموضوعات الفولكلور الغانى ٠

ونحن نرى أن ادماج وتوحيـــــد وتنظيم هذه العنــاصر الفولـكلورية المتفرقة فى كل مجتمع غينى متكامل يعد خطوة مهمة جدا فى طريق انماء وتطوير أدبنا القومى واثراء ثقافتنا الوطنية .

وكما سبق أن قلت فى هذه المقدمة ان هذه الأمثال والحكايات والأغنيات الشعبية بوصـف كونها سجلا حافلا غنيا قيما للحياة والفكر والسلوك فانها تسمح بما فيها من فعاليـة وحيوية ونشاط بافساح المجال أمام المحاولات والجهود الفردية والجمـاعية ٠٠ هذه المحاولات الانشائية البناءة الخلاقة التى يقدم بها الرواة والقصاصون والكتاب والسفراء والفنانون والموسيقيون(١)

بعض الامثال الغانية :

---

(١) تؤخذ الحكمة من شفاه الحكماء
(٢) شعلة الفحم المتقدة من هذا الذى أوقد ناره قبل غيره

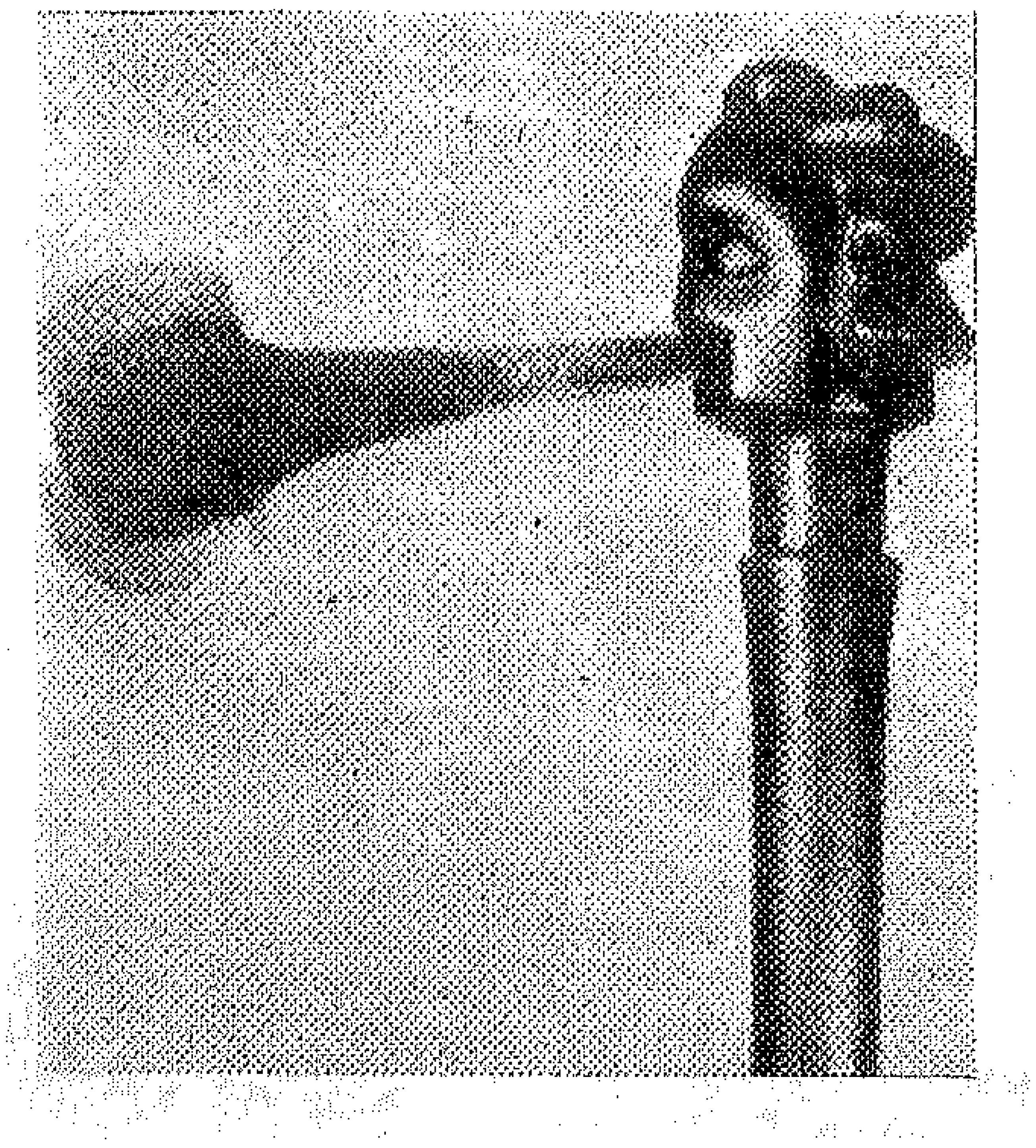

المؤتمر العلمى لدول غرب أفريقية

بقلم : الدكتور أحمد مجاهد

عقد بمدينة أكرا بغانا خلال الفترة من ٥ الى ١٢ من ابريل سنة ١٩٥٩ مؤتمر علمى اسمه ((**المؤتمر العلمى لدول غرب أفريقية**)) ، وهو مؤتمر دولى اقليمى ، يهدف الى توثيق أواصر التعاون بين المعاهد العلمية ، والمشتغلين بالبحث العلمى فى مختلف أقطار غرب أفريقية . وكانت دورة انعقاده هذا العام هى الدورة السابعة . وهو يعقد سنويا . كل مرة فى عاصمة من عواصم غرب أفريقية . وكان دوره هذا العام فى ((أكرا)) .

وقد اشتركت فى اعداد هذا المؤتمر وتنظيمه ثلاث منظمات علمية هامة بمنطقة غرب افريقية ، هى :

١ - **هيئة التعاون الفنى الافريقى جنوبى الصحراء الكبرى** : وهى هيئة أسست سنة ١٩٥٠ بمقتضى اتفاق بين حكومات الدول ذات المصالح فى أقطار غرب أفريقية ، وهى بلجيكا ، وروديسيا ، ونياسالاند ، وفرنسا ، وغانا ، وليبيريا ، واتحاد جنوب أفريقية ، والمملكة المتحدة .

وقد حدد اختصاص هذه الهيئة بأنه : العمل على تحقيق التعاون الفنى بين الدول الاعضاء ، داخل حدود غرب أفريقية جنوبى الصحراء الكبرى ، وذلك بعقد مؤتمرات فنية دورية ، واقتراح انشاء مؤسسات فنية جديدة على الدول الاعضاء كلما دعت الحاجة ، أو ادخال تعديلات معينة على مؤسسات قائمة ، أوطلب معونة فنية من هيئات دولية مختصة ، أو تقديم المشورة الفنية للحكومات الاعضاء - منفردة أو مجتمعة - فى أى موضوع فنى ، يمكن أن تعرضه هذه الحكومات عليها . ومن اختصاص هذه الهيئة أيضا التصرف فى اعتمادات البحوث المخصصة لها ، وتبادل العلماء والفنيين بين دول غرب أفريقية ، والاشراف على عمل المؤسسات الفنية التابعة للدول الاعضاء .

وتمول هذه الهيئة باشتراكات الدول الأعضاء ، وتعقد جلساتها مرة واحدة على الاقل فى كل عام .

٢ - **أما المنظمة الثانية فهى ((المجلس العلمى لدول أفريقية الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى))** : وهو مجلس استشارى لهيئة التعاون الفنى الافريقى ، وقد أسس سنة ١٩٥٥ ، وأعضاؤه من العلماء البارزين فى مختلف نواحى التخصص العلمى التى يتطلبها استغلال موارد تلك الدول .

٣ - **والمنظمة الثالثة هى ((الاتحاد العلمى لغرب أفريقية))** : الذى أنشىء عام ١٩٥٣ ، لكى يخدم أغراض التعاون العلمى بين دول غرب أفريقية ، ومقره حاليا جامعة أكرا ، وأغراضه تشجيع البحث العلمى فى غرب أفريقية ، ونشر مجلة تضم نتائج البحوث العلمية فى تلك المنطقة ، وتنظيم مؤتمرات علمية تشترك فيها دول المنطقة .

وقد صدرت مجلة الاتحاد بالفعل ، وانتظم صدورها منذ عام ١٩٥٤ ، ويصدر منها عددان سنويا .

المؤتمر السابع

عقد مؤتمر هذا العام بالمدينة الجامعية المعروفة باسم « كومنولث هول » التابعة لجامعة أكرا ، برياسة الاستاذ تيودور مونود من داكار عاصمة السنغال . وكان رئيس لجنة تنظيم المؤتمر مستر ووكر مدير مصلحة الارصاد الجوية بغانا .

واشترك في المؤتمر حوالى ٩٠ عضوا يمثلون وفودا من انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وغانا ، ونيجيريا ، وساحل العاج ، والكنغو البلجيكى ، وسيراليون ، والسنغال ، والبرتغال ، واسبانيا ، وهولندا . وكان وفد الاتحاد السوفييتى أكبر الوفود جميعا ، اذ كان مؤلفا من اثنين وعشرين عضوا . **بينما كان وفد الجمهورية العربية المتحدة مؤلفا من عضو واحد .**

وكانت اقامة الاعضاء في مساكن « كومنولث هول » الجامعية ، المشيدة على مرتفعات ليجون على بعد ثمانية أميال تقريبا من مدينة أكرا . ومبانى هذه المدينة الجامعية فاخرة وموقعها ممتاز .

وكانت الجلسات العلمية تعقد بقاعة المحاضرات العامة بالكومنولث هول ، وبعضها كانت تعقد بقاعات المحاضرات الخاصة بأقسام الجامعة نفسها .

وكانت تستعمل في الرحلات سيارات أتوبيس مريحة تابعة للجامعة ، كما استعملت أحيانا السيارات الخاصة بأعضاء هيئة التدريس .

الحلقات العلمية بالمؤتمر

قسم النشاط العلمى للمؤتمر الى أربع حلقات نجمل الكلام عليها فيما يأتى :

١ ــ حلقة العلوم الاجتماعية :
وقد القى فيها أربعة عشر بحثا ، معظمها عن الهجرة ، وبعضها تاريخى ، وبعضها الآخر عن الآثار في غرب أفريقية .

٢ ــ حلقة علوم المياه والتربة :
وقد ألقيت فيها تسعة بحوث ، بعضها عن تعرية التربة ، وبعضها عن مشكلة توفير مياه الرى في بعض أقطار غرب أفريقية ، وبعضها عن التوزيع الزمنى للامطار ، وعن مواد الغذاء النباتى بالتربة ، وعن فقد أملاح التربة بالرشح .

٣ ــ حلقة الدراسات الحيوانية :
القيت فيها خمسة بحوث خاصة بحيوانات وأسماك وحشرات غرب أفريقية .

٤ ــ حلقة الدراسات النباتية :
القى فيها اثنا عشر بحثا ، بعضها عن غابات غربى أفريقية ، وبعضها عن أجناس نباتية معينة تعيش في تلك البلاد أو في بلاد تشبهها مناخيا ، والبعض عن شرح خرائط لتوزيع الانواع المختلفة من الاشجار الخشبية ، كما ألقيت فيها بحوث عن زراعة الذرة في غرب أفريقية ، ومحاضرة عن المستنقعات النباتية بجنوب السودان وعلاقتها بمشروعات الرى في أعالى

مدخل الحديقة النباتية

النيل – وهى منطقة تشـــبه غرب أفريقية فى مناخهـا – ألقيتها ممثـلا للجمهورية العربية المتحدة .

حفلتا افتتاح المؤتمر واختتامه :

أقيم حفل افتتاح المؤتمر يوم الاحد ٥ من ابريل سنة ١٩٥٩ ، وألقى فيه وزير خارجيـــة غانا – وهى الدولة المضيفة – كلمة ترحيب باسم الحكومة، ثم أعقبـه مدير الجامعــة ، ثم مدير الكومنولث هول ، ثم رد الاســـتاذ مونود رئيس المؤتمر شاكرا على كلمات الترحيب الرسمى بالنيـابة عن وفود الدول ومندوبيها .

وبعد ذلك ألقى مستر ووكر رئيس لجنة تنظيم المؤتمر خطبة الافتتاح .

أما الحفل الختـامى فكان حفـل عشاء أقيم يوم ١٢ من ابريل سـنة ١٩٥٩ بمدينة أخرى من المدن الجامعية تعرف « بمـدينة المزارعين » . وقد حضر الحفـل بعض الوزراء وكبـار الموظفين ، والقى فيه مندوب الحكومة كلمة تحية ، ثم أعقبه ممثل الاتحـاد العلمى لغرب افريقية ، ثم اختير ممثل الجمهورية العربية المتحدة ليلقى كلمة الشكر على هـذا الترحيب نيابة عن وفود الدول المشتركة فى المؤتمر ، ثم تحدث بعد ذلك رئيس المؤتمر مسيو مونود ، ثم اعقبــه وكيل وزارة الخارجيــة . وانهى الحفل بكلمة من مستر ووكر رئيس اللجنة التنفيذية

رحلات المؤتمر :

نظمت سكرتيرية المؤتمر رحـلات للاعضاء خلال أيام المؤتمر وبعـده ، وحددت مواعيدها بحيث لاتفوت على الاعضاء حضور الجلسات الهـامة . وفى أيام الحلقات كانت الرحلات عادة قصيرة ، وتؤدى بعد الظهر . وبعـد انتهاء الحلقات نظمت الرحلات الطويلة وكانت تجرى أكثر من رحلة واحدة فى وقت واحد ، ويختار كل عضو ما يروقه منها .

وقد اشتركت شخصيا فى الرحلات الخمس الآتية :

١ – رحلة الى الحديقـة النباتيـة بأبورى : وهى حـديقة عامة كبـيرة زرع بهـا أهم الاشـجار التى تنمو بريا فى الغابات ، وكذلك أنواع كثيرة من النباتات المستوردة ، ونبـــاتات المحصولات والنباتات الاقتصـادية .

وكان يرافقنا فى تلك الرحــلة بعض أعضاء هيئة التدريس من قسم النبات بجامعة غانا .

٢ – رحلة الى أوسو OSU **على شاطىء الاطلنطى** ، حيث توجـد قلعــة كريستيـانزبرج ، وهى المقر الرسمى لرئيس الدولة . وقد بدأنا فى تلك الرحلة بدراســة الطحــالب وغـيرها من الاحيـــاء البحرية التى تعيش على صخور السـاحل ورماله ، ثم زرنا مكانا آخر به مستنقعـــات بحـرية من النوع المعـروف بمقـابر الانسان Mosgroués تعيش بها أنواع من الشورة (Oircénnia) ، وهى شـبيهة بمستنقعات الشـورة الموجـودة ببعض جزر البحر الاحمر قرب الغردقة .

نبات الكاسافا

ورافقنا فى تلك الرحلة عضو من هيئة التدريس بجامعة غانا متخصص فى الطحالب البحرية .

٣ ــ رحلة الى محطة الابحاث الزراعية بنونجوا (Nungua)

بسهول أكرا ، حيث شاهدناالتجارب الزراعية فى بيئة السهول ، وتجارب تربية الحيوان والدواجن ، وزراعة أشجار الفاكهة ونباتات الخضر ، وكذلك الذرة على الاراضى الطينية السوداء والخفيفة الحمراء . كما شاهدنا اقامة السدود فى منخفضات السهول ، لاختزان مياه الرى ، بقصد الانتفاع بها فى فصل الجفاف .

٤ ــ رحلة الى كادى (Kadé)

بمنطقة الغابات المطيرة الاستوائية ، على مسافة ٧٠ ميلاشمالغربىأكرا . وبها محطة أخرى للابحاث الزراعية تابعة لجامعة أكرا .

وقد شاهدنا التجارب الزراعية بمنطقة الغابات التى يقوم بها الفنيون من رجال كلية الزراعة وعلى الاخص تجارب زراعة الكاكاو والمحصولات الاخرى ، ونباتات الغابات .

كما شاهدنا البحوث التى يقومون بها عن التربة ، وما يحدثه فيها نمو نباتات الغابات من تغيير فى صفاتها الطبيعية والكيميائية .

ويزرع الفلاحونالكاكاوفىمساحات شاسعة من أراضى الغابات تدر مليونا من الجنيهات كل عام لحسابالمحطة. ويستعمل بعض ايراد هذا المحصول لاغراض التوسع الجامعى . ويدخر بعضه الآخر رصيدا للمحطة ينفق فى توسيعها وتنفيذ برامجها .

ومن بين النباتات الاقتصادية التى شاهدناها بمنطقة الغابات أشجار السيبا الضخمة وأشجار الفيم السيبا الضخمة وأشجار الفيم والكاكاو والنخيل والموز وجوز الهند والكاساڤا والباباز والبوانسيانا وتزرع الذرة فى بعض الجهات . وكذلك القصب والمانجو .

وتنمو بريا فى الغابات أشجار الاخشاب كأشجار الواوا والافرام والماهوجونى .

وبمحطة كادى مكان لاقامةالطلبة ، يقضون به فترة من العام الدراسى اجباريا لدراسة الزراعة على الطبيعة فى بيئة الغابات .

٥ ــ رحلة الى كوماسى

عاصمة اقليم أشانتى فى وسط غانا ، وتقع على مسافة ١٦٩ ميلا شمال غربى أكرا .

وقد تمكنا فى هذه الرحلة الطويلة من مشاهدة القرى والغابات الممتدة على طول الطريق ، كماشاهدنا أهم معالم مدينة كوماسى ــ التىتعتبر العاصمة الثانية بعد أكرا ــ بمتحفها الاثرى وسوقها الوطنية الكبيرة وحدائقها ومستشفاها وكلية الصناعات بها .

توصيات المؤتمر

أوصى المؤتمر فى نهاية جلساته العلمية بمتابعة الابحاث فى جميع المجالات ، بقصد تنفيذ البرامج الموضوعة لكل مجال .

كما أوصى بعمل خريطة نباتية لمنطقة غرب أفريقية يبين عليها توزيع مائة نوع من أكثر أنواعالنباتات انتشارا فى تلك المنطقة .

التعليم فى غانا

عنيت بصفتى جامعيا بالتعرف أثناء وجودى بغانا على نظم التعليم وأنواعه ومستواه بوجه عام والتعليم الجامعى بنوع خاص .

وقد توصلت فى ذلك الى المعلومات الآتية :

التعليم العالى :

هناك فى غانا معهدان للتعليم العالى

أحدهما الكلية الجامعية بأكرا (جامعة غانا) والثانى كلية الصناعات بكوماسى .

جامعة غانا

اسست تلك الجامعة سنة ١٩٤٨ ، وتبعت جامعة لندن ، وجعل مقرها أشيموتا على بعد بضعة أميال من اكرا . ولا تزال بعض مبانى الكلية فى أشيموتا حتى الآن ، ولكن يجرى نقلها الى تلال ليجون تدريجيا ، وينتظر أن يتم الانتقال نهائيا الى المقر الجديد قبل أوائل العام الدراسى القادم ، أى قبل أكتوبر سنة ١٩٥٩ .

وتشتمل الجامعة فى الوقت الحاضر على الكليات الآتية :

١ ـ **كلية الآداب** : واقسامها : اللغة الانجليزية والدراسات الفرنسية والفلسفة واللاهوت .

٢ ـ **كلية الدراسات الاجتماعية** : واقسامها : التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والآثار والقانون . ويتبعها معهد لتخريج المعلمين .

٣ ـ **كلية العلوم الطبيعية** : واقسامها : الرياضة والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا .

٤ ـ **كلية العلوم البيولوجية** : وأقسامها : النبات والحيوان .

٥ ـ **كلية الزراعة** :

وتمنح الجامعة درجة بكالوريوس عامة فى ثلاث مواد ، أو خاصة فى مادة واحدة أساسية ، معها أخرى اضافية . ودرجاتها هى درجات جامعة لندن نفسها .

وتقدم التسهيلات للطلبة ليتابع من يشاء منهم دراسته بعد التخرج ، للحصول على درجة الماجستير ، كما يوفد المتازون للحصول على الدكتوراه من انجلترا ، ولكل قسم اعتمادات للأبحاث خاصة به .

وتتبع كلية الزراعة محطات للابحاث فى مختلف مناطق الاستغلال الزراعى معدة أحسن اعداد وتقوم بأبحاث ودراسات على أكبر جانب من الاهمية للاقتصاد القومى ، اثنتان منها هما اللتان سبق ذكرهما فى نونجوا وكادى . وتتولى محطة نونجوا أيضا ادارة محطة للرى فى كيونج (Kyong) لحساب حكومة غانا .

وبدأت الجامعة تخرج الافواج الاولى فى سنة ١٩٥٢ . ويلاحظ أن عدد الخريجين قد زاد زيادة كبيرة فيما بين عامى ١٩٥٢ و ١٩٥٨ .

وتدرس مدرسة المعلمين مقررا اضافيا لمن يشاء من خريجى الجامعة ، تؤهلهم للاشتغال بمهنة التدريس .

وتتبع الجامعة مكتبة أسست معها فى وقت واحد سنة ١٩٤٨ ، واتسعت كثيرا منذ ذلك الوقت . فأصبحت تحوى الآن ١١٠ ألفا من المجلدات و ٣٠٠٠ مجلة دورية . وهى موجودة حاليا بأشيموتا مع بقية أقسام الكلية القديمة ، ويتوقع نقلها الى ليجون . وهذه المكتبة تتولى بيع الكتب للاساتذة والطلاب .

وبالاضافة الى هذه المكتبة العامة توجد لكل مدينة سكنية من المدن الثلاث التابعة للجامعة مكتبة وصالة مطالعة خاصة بها ، كما توجد أيضا مكتبة لكل قسم من الاقسام المختلفة .

المدن الجامعية السكنية :

تمتلك الجامعة فى الوقت الحاضر ثلاث مدن سكنية ، مقرها تلال ليجون ، منها اثنتان تتسع كل منهما لحوالى ١٨٠ طالبا ، والثالثة تتسع لحوالى ٢٨٠ طالبا . ويجرى العمل فى اقامة مدينة رابعة للطالبات ستكون معدة لاستقبالهن عند بدء العام الدراسى القادم . وتعمل الجامعة أيضا على توفير مساكن لبعض أعضاء هيئة التدريس ، حتى يعيشوا مع الطلاب ويختلطوا بهم فيكونوا لهم

قدوة ومرشدين ، وعليهم مشرفين ، وبذلك توفر للطلاب البيئة الجامعية الخالصة . ولا تكون المدن الجامعية مجرد أماكن لسكناهم وايواء الغرباء منهم .

وتشرف جامعة لندن على المقررات التى تدرس للطلبة ، وعلى الامتحانات اشرافا تاما . فتتولى وضع الاسئلة وتصحيح الامتحانات ، ووضع التقديرات ، بالاشتراك مع الاقسام المختصة بجامعة غانا .

كلية الصناعات بكوماسى

هذه الكلية هى المعهد الثانى للدراسة العليا بغانا ، وتضم أقساما للزراعة والتجارة وادارة الاعمال والهندسة والصيدلة والعلوم وفن العمارة والبناء وتدريب المعلمين والتدبير المنزلى والفنون والموسيقى ، وتمنح دبلومات فى الزراعة الاستوائية وفى الصيدلة والمحاسبة وأعمال السكرتارية وفى الهندسة المعمارية ، كما تمنح درجة البكالوريوس فى الهندسة المدنية والميكانيكية والكهربائية .

ومدة الدراسة بهذه الكلية أربع سنوات ، ويقطن بها حوالى ٦٠٠ طالب . وعدد أعضاء هيئة التدريس بها ٩٤ ، منهم ٣٥ من الوطنيين .

المدارس والمعاهد

يوجد بغانا اكثر من ٥٠٠٠ مدرسة ومعهد علمى من مختلف الانواع والدرجات ، بينها المدارس الابتدائية والثانوية والتجارية والصناعية ومعاهد المعلمين . وبعض هذه المدارس حكومية ، وبعضها الآخر معاهد خاصة أو تابعة لبعثات تبشيرية ، ونسبة عدد البنات فى مختلف مراحل التعليم تبلغ نصف عدد الذكور ، فهناك أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ طالب و ٢٠٠,٠٠٠ طالبة .

وهناك مدرسة لتدريب موظفى الحكومة الكتابيين ، يتلقون فيها مقررات خاصة لمدة بضعة شهور . وقد يوفد بعضهم الى انجلترا بعد التخرج لاستكمال دراستهم بضعة شهور أخرى .

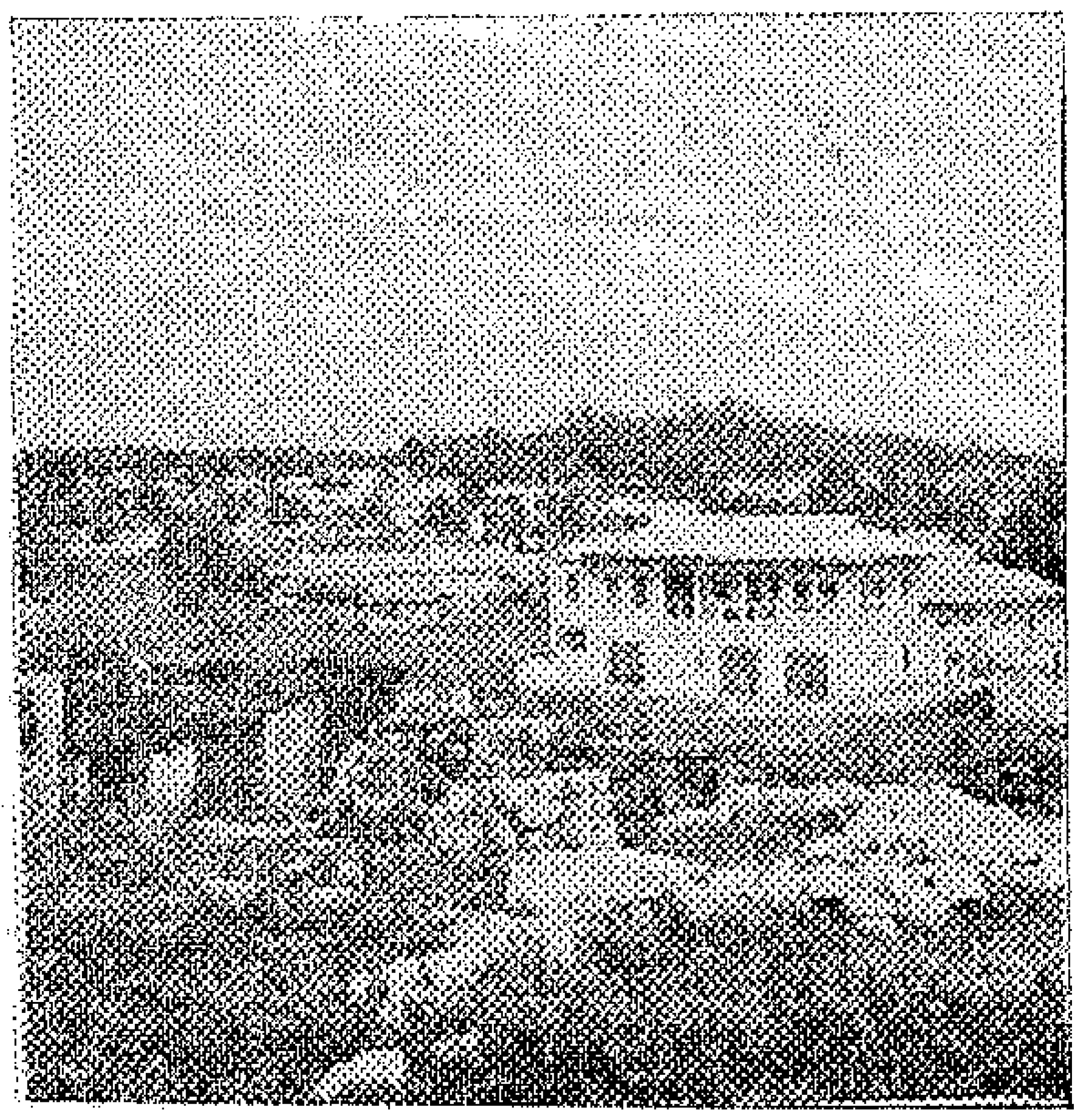

مدينة كوماسى

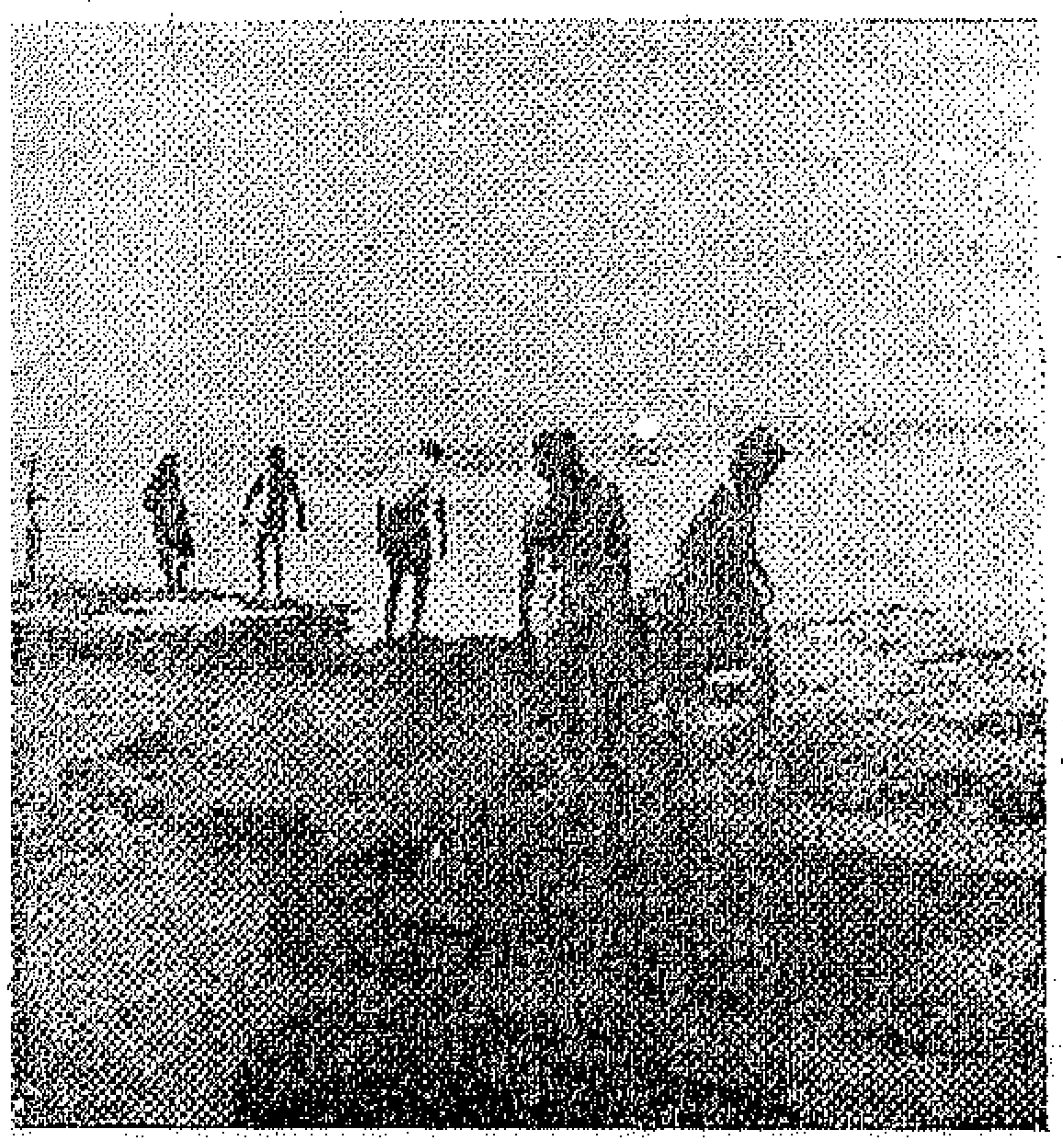

أعضاء الرحلة

التراث الثقافى فى غانة

للكاتب الافريقى كوفى انتوبام

يعتبر الفن فى أية دولة خلاصة شاملة للأشكال التعبيرية التى ينفس الشعب بها عن مشاعره وأحاسيسه، تجاه مظاهر الجمال وجوانب القبح فى البيئة المباشرة ، كما أنه ترجمة صادقة لمدى التأثير الذى تخلقه تيارات العالم الخارجى .

ولا شك فى ان الفن قد تطور فى بعض الدول القديمة تطورا كبيرا ، وليست التحف الباقية والتماثيل والآثار البادية للعيان حتى وقتنا الحاضر ، والتى أصبحت اليوم تملأ قاعات المتاحف ودور المسارح والحدائق العامة ، ليس هذا كله الا قصة خالدة تحكى للأجيال المتعاقبة نشاط هذه الدول فى ميدان الفنون على اختلاف أنواعها ومدارسها ، ونظرا لعوامل مختلفة وأسباب يكون من الافضل ان نتركها لكتاب التاريخ نرى أن الاوضاع فى « غانة » القديمة قد أخذت شكلا غير الاتجاهات فى هذا البلد الافريقى .

ولهذا فان الفن فى غانة لا يستطيع أن يزهو مفتخرا بوجود آثار مادية باقية تمثل الرسم أو النحت أو صناعة الفخار ، أو تاريخ الهندسة المعمارية أو النسيج مثلا كماهى الحال فى بعض الدول ذات التاريخ القديم ، وليس لكلمة فن فى غانة مدلولها المتعارف عليه فى الاوساط الفنية ، اللهم الا فى ثروتها الخصبة فى عالم المثل والافكار . فالزائر لغانة يشاهد فى كل مكان تقريبا رموزا ودلالات يعبر عنها فن تقليدى قديم عرفه شعبها . فهيئة مكاتب موظفى الدولة من الرؤساء والكبار نراها فى غانة تأخذ شكلا شبه دائرى ويرمز هذا الى الهلال القمرى الذى يمثل طبيعة الانثى الرحيمة . وجميع ملابس الرؤساء موشاة بالرموز الدلالية ، فغطاء الرأس والخواتم التى تزين الاصابع يجب ان تكون أيضا ذات مدلول رمزى ، كما أن القصر الذى يعيش فيه الرئيس يجب أن يكون فى مواجهة مشرق الشمس ، وكذلك يجب ان تكون حلى الرئيس ومجوهراته من الذهب ، بينما تكون حلى الملكة من الفضة .

الزعيم محور الفن ومركزه

من الأمور التى كانت تمثل هيكل التقاليد القديمة ، فى غانة ، أن الزعيم لايصح له ان يخاطب جماهيره وأفراد شعبه فى الاجتماعات العامة بطريقة مباشرة ، بل عليه أن ينيب عنه فى الكلام متحدثا رسميا من رجال قصره وحاشيته . واذا جلس أو وقف فى احدى الاجتماعات فلا بد أن توضع فوق رأسه مظلة كبيرة ، ولذلك فاننا لهذه الاعتبارات ولغيرها ، يمكننا أن نقرر فى بساطة أن الزعيم فى غانة كان فى الواقع يمثل محور الفن التقليدى

بين أبناء شعبه ، وهو فن يعتمد فى أسسه على دعائم دينية واجتماعية . فاذا دخل الزعيم احدى قاعات الاجتماعات العامة فلا بد من أن تقرع له سلفا الطبول ، التى تعزف جملا وعبارات رمزية تحمل معنى الانتصارات التى أحرزها شعبه ، وكذلك الهزائم التى حاقت به ؛ ويقال ان كرسى هذا الزعيم يمثل رمزا لروح دولته وشعبه

ولا شك فى أن الحقائق التاريخية تؤكد ان الغانيين قد عرفوا الاله الواحد العظيم قبل دخول الاسلام والمسيحية بزمن طويل ، فقد كانوا يعتقدون بوجود هذا الاله فى صورة الجد والملك ، وكان فى نظرهم الأب الاعلى ، والأم العليا للمجتمع كله ، ولا يجوز الاقتراب منه مباشرة ، بل لا بد ان يكون الاتصال به عن طريق الشخص الذى يمثله فى كل منزل ، ولهذا كانوا يشيرون اليه دائما باسم « نانا » أى الجد الاعلى العظيم ، وليس « اجيا » أى الاب الذى هو فى الدرجة الاولى . بل كان ينظر اليه فقط أى الى «اجيا» هذا على أنه ممثل « نانا » فى كل بيت غانى . وكانت تقاليد العلاقات الاجتماعية فى غانا تقضى بأن يعكف أبناء الشعب على عبادة ما يسميه علماء الانسان بعبادة الجد الأعلى المرتبطة بعبادة الآلهة الصغار . على أن مما يدعو الى الدهشة والاهتمام حقا أن فكرة القديسين لم تكن مجهولة لدى شعب غانا القديم ، وأنهم لم يكونوا يعبدون الاله عن طريق السابقين ، بل كانوا يرون أن الخيرين والعظماء من الاحياء هم الجديرون حقا بالقيام بوظيفة الوساطة بعد موتهم . وهم لذلك يعبدون الاله عن طريق « ناناتوم أسامانيوم » أى الارواح العظيمة للأبطال الذين ماتوا ، وفى حالة عدم وجود مثل هذه الارواح فهم يلجأون الى ظواهر الطبيعة الخارقة ، التى كانوا يعتقدون أن فيها أرواحا مقدسة تستطيع ان تقوم بدور الوساطة بينهم وبين الاله الأسمى .

ولعل هذا يفسر لنا بطبيعة الحال وجود الاعتقاد السائد بين أفراد شعب غانا بوجود آلهة الانهار ، وهى عقيدة لا تزال موجودة حتى يومنا الحاضر : «فيوسومو أيسو» هو اله نهر ايسو ، «وبوسومبرا» اله نهربرا «وبومسومو تانو» اله نهر تانو . «وبوسومايتوى» اله البحيرة العظيمة فى أشانتى الخ ، كما كان هناك اعتقاد بأن الارواح المقدسة تسكن الاوانى المنزلية التى تستعمل فى بيوت غانا ، وكان ينظر الى الارض على أنها اله تتجه اليها الجماهير أثناء الصلاة ، وكان الشعب الغانى يضفى حالة من القداسة على الاعضاء التناسلية ، بل على كل عضو فى الجسم يكون له نصيب فى العملية السرية أو الولادة ، وكانت هذه الاعضاء تمثل مظهرا من مظاهر الرعب الدينى بين أفراد الاسرة . ومن الغريب فى هذا الصدد ان بيوت غانة حينما تستعمل المكانس والهراسات (الهاون) والمواقد والكراسى كانت تضفى عليها مظهرا من مظاهر الاحترام لانها تحمل — فى اعتقادهم — عنصر النفوذ المقدس على الحياة .

والدم كان كذلك فى نظر أبناء غانة القديمة شيئا مقدسا وكذلك الماء . ولذلك فان سفكه أو اراقته يعتبران أمرا محرما للغاية . ومن ثم فان قبائل **الأكان** كانت لا تولى شخصا مركز الرياسة اذا حدث أن دمه قد فصد أو سال بطريقة غير طبيعية سواء عن طريق حادث حصل له أو عملية ختان أجريت له ، وحتى الآن فمن السهل عزل أى رئيس مهما كانت خطورة مركزه اذا ثبت أن شيئا من هذه الامور قد وقع منه .

والمتتبع لتاريخ غانة فى مراحلها القديمة المختلفة يرى رصيدا ضخما من العادات ، والتقاليد التى تشكل عقلية ناضجة اكتمل فيها الوعى

الاجتماعي والديني بصورة مدهشة ، وتمثلت في فنون رمزية ، تحس فيها عمق المعاني المجردة ، ومدلول الفكر الفلسفي التأملي . ونظرة واحدة الى النظام الثنائي الذي ابتدعه الغانيون ، في فترة من فترات تاريخهم ، تجعلنا ندرك على الفور مدى ما وصلوا اليه من نشاط ذهني ، فقد ابتكروا ما يعرف باسم الـ « نتورو » والـ « أبو سوا » وهو تقليد لا تزال أفراد قبيلة الاكان تمارسه حتى اليوم ، وقد نجح هذا النظام في التوفيق بين جميع الأفكار الدينية وجعل من الدين قواعد منتظمة ، تحكم الجماهير في حياتها العملية . والـ « نتورو » نظام يتعلق بالذكور بينما الـ « ابو سوا » خاص بالاناث . فالصفة الروحية وكذلك خواص الذكر ومميزاته كانت تعزى الى الاب وتورثمنه ، وكانت المناصب تنتقل من الاب الى الابن . ومن اجل هذا كان الـ « نتورو » يؤيد الفكرة السائدة بين افراد القبائل من ان الاب هو ولي الامر الطبيعي لقداسة الحياة، وهو طاقة القوة في عملية الولادة ، وعلى هذا فمن حقه ان يصدر الاوامر الخاصة بنظام الاسرة ، وعلى افراد هذه الاسرة ان يذعنوا لاوامره وتوجيهاته ، فهو الذي يعرف ما هو الافضل باعتباره راعي مصدر الطهارة ، وكلمته فيما يتعلق بتحريم الاشياء بين افراد العائلة قانون لاتصح معارضته .

نظام المواريث الخاص بالمرأة

ونظام الـ « ابيوسيوا » يسمح للأم بأن تحوز ملكية خاصة تميزها عن ملكية زوجها ، وليس لهذا الزوج أي حق فيما تمتلكه الزوجة ، ومن حقها ان تمنحه عند موتها لاختها ولاطفالها ولامها ولبنات عمومتها

وعندما ترحل اسرة غانية الى أية منطقة من المناطق ، فلا يصح ان يسير اعضاؤها جنبا الى جنب ، بل لا بد وان يكون سيرهم في خط طويل واحد، لان ذلك يمثل رمزا له دلالته . فمثلا عندما تسافر عائلة مكونة من والد وأم وولد وبنت ، فلا بد من أن تكون البنت في مقدمة القافلة يليها الولد ثم الام ويسير الوالد في مؤخرة الركب .

وحينما يخرج رجل مع زوجته ، فان تقاليد المجتمع الغاني القديم كانت تحتم أن تقف المرأة بينما يجلس الرجل ، ولذلك فقد كان كرسي الجلوس يقدم اولا للرجل ، وهو الشخص الذي ترسل باسمه بطاقة الدعوة ، وهذه القاعدة كانت تتبع بالنسبة للصبيان والبنات . أما في مجالات العمل فان الثقيل منه كان من نصيب الرجل ، كتنظيف الغابات ، وقطع الاشجار ، وزراعة الثمار ، وعلى المرأة أن تقوم بالاعمال السهلة الخفيفة كتنقية الحشائش وتنظيف الحقول ..

والصيد ونصب شباكه في الغابات والمستنقعات ، ودق طبول النداء ، كل هذه وظائف يقوم بها الرجال في مجتمع غانا القديم .

وعندما يسافر رئيس الدولة يصحبه كبار الموظفين ، وعلية القوم والاتباع ، يجب أن يكون نظام سيرهم وظهورهم في الحفلات خاضعا للقاعدة التي تحتم أن يكون الظهور بترتيب يبدأ من الاقل أهمية ، ويتدرج حتى ينتهي بالاعظم أهمية .

فالمنادون ، الذين يقودهم « التوينيسيني » أي قارع الطبول ، يجب أن يتصدروا الموكب ، تليهم جماعة الاتباع ، وعلى رأسهم حملة الصاندل ثم الاعضاء الرئيسيون ، ثم حامل الحقيبة المالية ، وبعد هذا تسير جماعة أخرى من كبار الموظفين الذين يتقدمهم قسيس الدولة ، وخلفهم حملة الروح ، يتقدمهم أيضا حامل الكرسي ، ثم نواب الدولة ، وأخيرا يظهر بعدهم الرئيس الذي يعتبر قدومه الى أية منطقة نذيرا

بوصول الجلادين ، حيث يسير خلفه حامل السوط وحامل السيف ، ثم حاملو الهودج . وخلف الرئيس بنحو ثلاثة أقدام ، وعلى يساره تسير الملكة الام تصحبها وصيفاتها من النساء والفتيات ، بينما يسير على يمينه كبار رجال الدولة من الذكور وعلى رأسهم رئيس مجلس النواب.

***

كل هذه المظاهر الاجتماعية ليست الا نشاطا فنيا تشكل فى صورة رمزية وهى مدرسة فنية برع تلاميذها وأساتذتها من أبناء غانة فى عصورهم القديمة .

أما أنواع الفنون الاخرى التى تعتز بها بعض الدول القديمة ، كالنحت والرسم والزخرفة وصناعة التماثيل وغيرها من هذه الآثار الفنية المادية ، فلم يكن لغانة حظ كبير فى مجالها . وليس معنى هذا أنه لم يوجد فى المجتمع الغانى رسام أو ناحت أو مثال الخ .. بل لقد وجدت هذه الشخصية الفنية فعلا فى غانا القديمة .. ولكن ظروفا وبواعث تاريخية مختلفة لم تساعد ابناء غانة فى عصورهم الاولى على أن يصلوا الى ماكان يجب أن يصلوا اليه من مستوى فنى معقول ، وان كانوا قد تفوقوا أحيانا فى بعض الوان هذه الفنون . ففى مجال النحت مثلا وهو الشكل الفنى المادى الرئيسى الذى برع فيه أبناء غانة ، صنعت يد الفنان الغانى تحفا نادرة من الاخشاب المحفورة والابنوس المطعم ، والقطع المعدنية التى كانوا يستعملون مادتها من الذهب والفضة والحديد . ولكن فن النحت وهو الذى نعتبره من أوضح أشكال الفن الغانى كان من ناحية أخرى لايزال ضعيفا فى مجال التعبير عن الاشياء ، كما أنه فى ضوء المستويات الفنية الحديثة يعتبر مرحلة وليدة محصورة فى حدود ضيقة . ولانستطيع اذا كنا منصفين حقا — أن ننحى باللائمة على الفنان الغانى نفسه ، فهو شخص يعيش فى مجتمع تغل يده فيه تقاليد ونظم صارمة ، وتقيده محرمات وشعائر اصطلح عليها أبناء قومه ، ولا يمكنه أن يحاربها أو يقف أمامها . ولذلك فقد أوصد امامه طريق الملاحظة المباشرة لنماذجه وموضوعاته . وهى أهم عنصر من عناصر البناء الفنى . وأصبحت نماذجه الانسانية محصورة فى زعماء الحرب ، وقادة العشائر والقبائل .

ولكن يصل النشاط الفنى الى ذروته لابد من أن يتحرر من كل القيود التى يفرضها المجتمع ، أى أنه لا بد من ان يكون فوق كل الاعتبارات المختلفة ، ولكن الفن فى غانة القديمة لم يتح له هذا الجو ، اذ أن « التابو » كان يفرض عليه أن يقف فى مكانه ، فمن تقاليد المجتمع الغانى أنه لا يجوز النظر بحملقة فى الرئيس أو الشخص الكبير ، اذا كان لايزال على قيد الحياة ، والعقيدة الشائعة بين أبناء غانة هى أن الذى يحاول ذلك يقع تحت تأثير سحر الزعيم أو الرئيس ، كما أن الفنان الغانى لم يكن يسمح له مطلقا بأن يقترب من الجثة الملكية ما دمت لم تدفن بعد ، واذا ما أراد أن ينحت تمثالا للملك أو الزعيم المتوفى ، فعليه أن يعتمد فى نموذجه له على الاوصاف التى يرسمها له أقارب الميت من المقربين ، ولذلك كانت عملية النحت فى غانة فنا ليس فيه عنصر الصدق والامانة التى تأتى نتيجة للملاحظة المباشرة ، ففقد بذلك طابع التشويق والاصالة .

ومشاهدة المناظر العارية أمر تحرمه أيضا تقاليد المجتمع الغانى ، فغير جائز بالمرة لاى رجل أن يركز نظره على أية امرأة عارية لا تكون زوجته — وحتى زوجته — لا يصح له رؤيتها عارية الا فى الظلام الدامس ، وخلف

أبواب مغلقة . ولذلك كان من المستحيل بالنسبة للفنان الغانى أن يوقف أمامه نموذجا يجرى عليه دراسته الاكاديمية الفنية ، وعليه أن يكتفى بالرمزيات الروحية والمعنوية والاشياء التى لا حياة فيها أو المظاهر الطبيعية ، أو الشخصيات التى يكونها من خيال الاسطورة . وخرافات الحكاية .

فن عمل التماثيل :

تخلف هذا الفن فى مجال النماذج البشرية ، لان المثال كان مقيدا بالتابو الذى يحرم عليه النظر الى شخص الزعيم ، كما كان نحت نموذج للمرأة غير ممكن ايضا ، والفنان الذى يعتمد فى انتاجه على الوصف لا يأتى عمله ناضجا تماما .

هذا الى أن المادة التى يشكل منها الفنان تمثاله لم تكن متوافرة له دائما .. وقد تعود الفنانون فى غانة أن يعمدوا الى الخشب ، فيصنعوا منه تماثيلهم ، وكثيرا ما كان هذا الخشب عرضة للتآكل ، والفناء بعد وقت قصير .

وهكذا لم يترك لنا المثالون الغانيون آثارا فنية مادية ، يمكن أن نعرف بها مستواهم فى فن النحت والمثالة .

أما الفنانة فى غانة فلم تكن بحكم تقاليد قبيلتها حرة فى أن تعبر عن أحاسيسها بأى شكل فنى سوى هذه النماذج الفخارية أو الخزفية .

على أننا لانستطيع أن نغفل بعض العقبات التى حالت بين الفنان الغانى وبين اكتمال انتاجه ، وهى عقبات لم يكن مصدرها ضعف فى مستوى مواهبه ، بل كانت من عدم وجود بعض أجهزته التى لو توافرت له لامكنه أن يقدم شيئا دقيقا . فلم تكن لديه هذه الحوامل والقاعد التى يستعملها فنانونا المعاصرون ، لكى يتمكنوا من تثبيت نماذجهم عليها ، ولكى يضعونها فى موقف واحد ، حتى يستطيعوا أن يدوروا حولها ، ويصححوا أخطاءهم التى يكتشفونها عندما ينظرون من الابعاد الثلاثة المعروفة

ينظرون من الابعاد الثلاثة المعروفة .
وكان الفنانون يكتفون بالنظرة من جانب واحد ، فيخرج عملهم ناقصا ، وصورهم غير ناضجة ..

هذا الى أن الاجهزة التى كان يستعملها الفنان الغانى فى فنه كانت من الاجهزة التى يصعب معها انتاج نماذج دقيقة ، فقد كان يستعمل الـ « سوسو » أى القادوم ، والـ « الاكامو » أى البلطة ، والـ « بيوا » أى المطرقة الخشبية ، والـ « أسيكامبا » أى المبراة ، والـ « نوانى » أى السيف ، والـ « يبريا » أى حجر النحت ، والـ « غيينى » أى آلة الثقب ..

ولم يكن من الممكن بهذه الاجهزة البدائية لساذجة أن يتطور فن صناعة التماثيل أو النحت تطورا ملحوظا .. ولقد أصبح الفنان الغانى المعاصر ينظر الى هذه الاجهزة نظرته الى شىء أثرى قديم .

الغناء يصاحب العمل :

وعندما كان الفنان الغانى يجلس ليقطع مادته الخشبية بمنجله التقليدى ، كان يترنم بهذه الكلمات : « سيانا نانانوم يى نوفيرى تيت أودو مانكوما » ومعناها : « هذا ماكان يفعله آباؤنا وأجدادنا السابقون منذ عصر آدم »

ولان الفنان الغانى لم تتح له فرصة دراسة موضوعه دراسة واعية ، مستوحاة من الطبيعة . فقد كان موقفه خطيرا لاحساسه بالمشاعر الجياشة فى داخل نفسه تجاه أسرار الطبيعة . دون أن يعبر عنها .

وعلى هذا فقد كان من الطبيعى أن يأتى عمله محكوما بالمشاعر القوية داخل نفسه . ومن ثم فان انتاجه كأى انتاج آخر يقدمه الفنانون البدائيون فى الدول الافريقية الاخرى يوضح المشاعر أكثر مما يوضح أى شىء آخر فى الطبيعة يستحق الملاحظة .

الكنيسة المصرية تقاوم الاستعمار

بقلم : الدكتور زاهر رياض

كان الزنوج الافريقيون قد وصلوا الى مستوى اجتماعى مكنهم من التوصل الى زراعة مستقرة ناجحة فى ظروف استوائية. كما وصل نظامهم الاجتماعى الى خلق نظام مركزى الحكم يرتكز على نظام وراثى واضح للرياسة وضعه رجال أقوياء يتزعمون قبائل قوية أخضعت غيرها من القبائل حين وصل اليها البرتغاليون فى السنين الاولى من القرن الخامس عشر

فى ظل هذا النوع من الحكم نعمت البلاد بالسلام بسبب استقرار سلطة الملوك حين دعمتها الصلات الملكية الوطيدة . وكان ذلك فى مملكة الكونغو التى كانت تضم ضفتى النهر عند المصب الى جانب الاراضى الممتدة على جانبيه مئات الاميال من الداخل . كما كان ملوكها أيضا يسودون أرض اللوانجا شمالى النهر وبلاد أخرى أصغر منها فيما يسمى الآن أنجولا وكانت مساحة هذا كله لاتقل بحال عن مساحة فرنسا .

وقدم البرتغاليون فركزوا همهم فى تجارة الرقيق ولم يتحولوا الى العاج والفضة والنحاس الا فيما بعد . ولكن هذه المعادن لم تكن وفيرة فظلت تجارة الرقيق تجارتهم الرئيسية وكانت مجزية كل الاجزاء فقد كان الطلب على العبيد لاينتهى من أجل العمل فى المناجم والمزارع فى جزر الهند الغربية وأمريكا .

فكان الملك ايمانويل يصدر التعليمات الى رسله يقول فيها : « **بالرغم من أن الهدف الرئيسى هو خدمة الله ومتعة الملك . اشرحوا لملك الكونغو — كما لو كنتم تتحدثون باسمى — ما يجب أن يقوم به ليملأ سفننا بالعبيد والنحاس والعاج** » .

وبالرغم من أن أحدا لايستطيع تقدير الرقم الحقيقى للزنوج الذين رحلوا الى أمريكا للعمل فى مزارعها الا أن العدد كان ولا شك كبيرا جدا. وقد قدره أحد المؤرخين البرتغاليين من واقع الوثائق البرتغالية برقم اجمالى هو ١٫٣٨٦٫٠٠٠ عبد من أنجولا فيما بين سنتى ١٤٨٦ و ١٦٤١ أى بمعدل تسعة آلاف من العبيد كل عام

ولكن البرتغاليين لم يذهبوا وحدهم الى افريقية بل ذهبوا ومعهم بعثات التبشير من أجل نشر المسيحية بين القبائل الزنجية . ولم يلق هؤلاء المبشرون عنتا فى تحويل هؤلاء الناس لان ملك الكونغو رأى فى مقدم هؤلاء الاوروبيين فرصة سانحة قد تخدمه حين قدموا يحملون جديدا من المعرفة التى سوف تشيع الرخاء والرفاهية بين شعبه

ولكن أمله لم يلبث أن خاب . واذا كان قد عاش وهو يعانى الامل المحطم الا أن بأس ولده وخليفته المعروف بالفونسو الاول كان أشد وأقوى واذا كانت قد لاحت على المبشرين الاولين

بوادر الخير فقد لاحت على من قدم بعدهم بوادر الشر وحده . فقدرأى هذا الملك كيف قوبل بالخديعة والغش والخيانة المرة بعد المرة ، فقد وضع ثقته فى هؤلاء المبشرين وراح يلح فى طلب ارسال مبشرين جدد كما أرسل أهله الى البرتغال حتى يتدربوا فى سلك القساوسة فلا يبلغون لشبونة ولكنهم يحملون الى أمريكا ليباعوا فيها بيع الرقيق .

وينجح فى سنة ١٥١٨ فى أن يجعل ابنه يرسم اسقفا فى المدينة الخالدة (روما) ويتخطى ملك البرتغال ويبعث بالنداءات المباشرة الى البابا لينقذه من هذا البلاء فلا تغنى نداءاته شيئا

وتظل مملكة الكونغو معرضة لنفوذ الارساليات الاوروبية أكثر من مائتى سنة دون انقطاع ولكن حينما يبحث المرء عن نتائج كل هذا الجهد لايرى الا عجبا . اذ لم يجد الفونسو الافريقى أو أحد من خلفائه أى عون حقيقى من الكنيسة فى مواجهة هذه الفظائع لانها كانت راضية عن نصيبها من الاسلاب حين قنعت بتعميد العبيد المرسلين الى أمريكا (حتى يتيسر انقاذ أرواحهم)

صحيح ان الاساقفة كانوا يصرون على أن تحمل كل سفينة ناقلة للعبيد قسا يصحبها فى رحلتها بين القارتين وهى الرحلة البحرية القاتلة بين رحلتين على الاقدام . الرحلة الاولى من الغابة الى ساحل المحيط الاطلسى والرحلة الثانية من السفينة الى المزارع ومن الطبيعى أن لاتجتذب هذه الرحلة سوى عدد ضئيل من الكهنة الفقراء وهكذا فشلت الكنيسة الاوروبية فى مهمتها على ضآلتها واخيرا لم تجد الكنيسة سوى أن يجلس الاسقف على مقعد حجرى على الرصيف البحرى فى لواندا ليقوم بعملية تعميد هؤلاء البؤساء وهم يمرون فى زوارقهم وهكذا يلج العبيد ديانة الرجل الابيض.

وقد بلغت ضريبة التعميد فى القرن السابع عشر ثلاثمائة دولار دفعها تجار الرقيق عن كل رأس

وهكذا اشتركت الكنيسة الاوروبية فى توطيد تجارة الرقيق قرابة قرنين من الزمان كما اشتركت فى توطيد أركان الاستعمار الغربى فى أفريقية من أجل (نشر كلمة الخلاص)

فى مثل هذا الوقت تماما نزل البرتغاليون أيضا بساحل أثيوبيا الشرقى أيام حكم الامبراطور جلاوديوس فقد اتخذت الولايات الشرقية تحت زعامة الامام احمد بن ابراهيم واجتاحت أثيوبيا كلها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وأصبح الامبراطور لينا دنجل يفد من بلد الى بلد تلاحقه جيوش الثائرين المنتصرة حتى مات وهو فى أسوأ حالات البؤس والعوز

وكان قبل وفاته قد أرسل بعثة برياسة كوفلهام (الذى كان رسولا للملك ايمانويل ملك البرتغال الى امبراطور أثيوبيا فاستبقاه الامبراطور بها فمكث وتزوج من سيدة وطنية وأصبح له مركز ممتاز) الى ملك البرتغال من أجل طلب المساعدة الحربية ، ومن أجل التغلب على الثورة . واخرى الى البابا كلمنت السابع يعترف له بتبعية الكنيسة الاثيوبية للكنيسة الغربية .

ومن الطبيعى أن يعارض رجال الدين الوطنيون وكذلك بطريرك الاسكندرية ومطران أثيوبيا المصرى آنئذاك هذا الاتجاه . فقد كانت هذه الخطوات هدما صريحا لمعتقداتهم كما كانت مؤذنة بزوال سلطانهم ونذيرا باحتلال أجنبى لم يعرفوه من قبل

وكانت نتيجة هذه الوفادة ان وصلت معونة برتغالية مكونة من أربعمائة وخمسين جنديا برتغاليا يقودهم **كريستوفر دى جاما** . ومعهم بعثة دينية يرأسها الاسقف جان

برمودز وكان ذلك أيام الامبراطور جلاوديوس .

وبدأت هـذه القوة فى الاحتكاك بالجيوش الثائرة - وهى وان هزمت فى المعركة الاولى الا انها استطاعت ان تقضي على الثورة وتعيد الى الامبراطور سلطته

وعاد الامبراطور جلاوديوس الى قصره بعد انتصاره الاخير على جيوش الثوار ليجد بعثة جديدة تصل من ملك البرتغال برياسة **رودريجز** ينحصر طلبها فى أن يعترف جلاوديوس بحماية البرتغاليين له . كما يعترف بتبعيته الى الكنيسة الغربية بعد أن يقطع علاقته بالكنيسة المصرية التى لاتستطيع حمايته .

وبدأ الكاثوليك فنشروا عدة كتب باللغة الامهرية شرحوا فيها مذهبهم كما بدأوا بالانجيل وترجموه الى اللغة الامهرية . فشعرت الكنيسة المصرية كما شعر الكهنة الوطنيون انهم امام هجوم منظم يرمى الى النيل من كنيستهم وتحقيرها . كما يرمى الى دفعهم الى أيدى البرتغاليين يستعبدونهم . فركزت الكنيسة المصرية همها للوقوف فى وجه هذين الغرضين ، ولكى تحول بين البرتغاليين واستعمارهم لاثيوبيا . فكان أن بدأت حركة أدبية لم تشهدها البلاد من قبل من أجل ترجمة الانجيل والكتب الدينية الى اللغة الامهرية ترجمة صحيحة . ولم يكن الامبراطور جلاوديوس أقل من شعبه غيرة على استقلال بلاده وحفظ مذهبه فلم يتردد فى النزول الى ميدان التأليف دفاعا عن بلده وعقيدته . فوضع لذلك كتابه المشهور (الاعتراف بالايمان)

ازاء هذه المقاومة غير المنتظرة لم يتعفف البرتغاليون تعضدهم الكنيسة الغربية عن خلق ثوار جدد وتشجيعهم ومدهم بالمؤونة والسلاح اذا ما اطمأنوا الى أن هؤلاء الثوار سوف يكونون عونا لهم على تنفيذ مآربهم . وكذلك لم يترددوا فى أن يمدوا بأيديهم الى الاتراك الذين كانوا قد استقروا فى الساحل من أجل محاولة غزو أثيوبيا

وكانت مساعدتهم للثوار واضحة الى حد أن دعا الامبراطور الجديد ميناس المطران البرتغالى الى مقابلته وأمره فى لهجة قاسية أن يوقف نشاطه وأن يترك البلاد . وهكذا وقفت الكنيسة المصرية مزودة بقوة ايمانها مجردة من كل قوة حربية لتحول دون استعمار البرتغاليين لهذا الركن من أفريقية ولتحول دون استعبادهم لاهله . ولو قد فعلوا لما كان حظ الاثيوبيين يختلف عن حظ اخوانهم سكان الكونغو ولحمل الاثيوبيون فى مراكب العبيد ليعملوا فى حقول البرازيل . ولاكتفت الكنيسة البرتغالية بالجلوس فى ميناء زيلع لتعميد الراحلين نظير رسوم معلومة !

واذا كان البرتغاليون والكاثوليك قد طردوا هذه المرة من أثيوبيا الا أنهم لم ييأسوا فقد اخذوا يحاولون العودة الى البلاد مرة أخرى . من أجل تنفيذ غرضهم ، وتحالفوا من أجل ذلك مع زيمور باشا حاكم مصوع على أن يسهل لهم العبور الى داخل البلاد نظير دفع رسوم معينة .

ونجحوا أخيرا فى الوصول الى العاصمة أيام الامبراطور سوسنيوس ووجدوا فيه أكبر عون على تنفيذ ما خيل اليهم انه السياسة البرتغالية الكاثوليكية .

واقتنع سوسنيوس بما همسوا له به فاعتنق المذهب الكاثوليكى ولم يلبث ان جاهر الاسقف البرتغالى بايز بهذا الاعتناق . وأعلن تصميمه على فصم الرابطة التى تربطه بالكنيسة المصرية . ولما انتصر على ثورة أحد

الثائرين عد ذلك فالا حسنا ، وايذانا من الله للجهر بمذهبه . فذهب الى اكسوم ومعه رجال دولته وأعلن هناك انفصاله عن المذهب السكندرى وأصدر مرسوما بذلك الى رعيته .

ومن الطبيعي أن يثير ذلك حنق رجال الكنيسة الوطنية فتلفتوا يبحثون عن أعداء الامبراطور يدفعون بهم الى الثورة ومن الطبيعي أيضا ان يتخذ هؤلاء الاعداء من رجال الدين الوطنيين وعلى رأسهم الانبا سمعان المطران المصرى اداة ليبرروا بهم ثورتهم أمام الاهالي المتمسكين بعقيدتهم . والذين رأوا فى البابا ملكا أجنبيا وامبراطورهم تابعا له . ورأوا أنفسهم وقد أصبحوا تابعين لدولة أجنبية فاشتعل شعورهم بالغضب من أجل كنيستهم ومن أجل استقلال بلدهم الذى كاد يضيع . ولم تتردد الكنيسة المصرية فى الوقوف فى وجه الامبراطور مادام قد حنث فى يمينه الذى أقسمه أمام المذبح يوم توجه المطران المصرى وسأله عما اذا كان يعد بالمحافظة على المذهب الارثوذكسى على شعب أثيوبيا فاجاب بالايجاب . فاشتعلت البلاد بالثورة يقودها المطران . فقام فى الشرق يمانا كرستوس كما قام زوج ابنة الامبراطور كما ثار جبرييل ابن الامبراطور ملك سجد . وقام عمدا صيون يطالب بالعرش فالتف الناس حوله ونصروه واستطاع أن يهزم الجيش الامبراطورى فى أكثر من موقعة . ولم يكن في استطاعة هذا الثائر جمع هذا الجيش الضخم أكثر من مرة والتفاف الاهالى حوله لولا استعداد الشعب يؤيده رئيسه الدينى لمناصرة كل غاضب من أجل كنيسته واستقلاله . واذا كان الامبراطور قد تمكن من سحق هذا الثائر وقتله فان ذلك لم يمنع غيره من الثوار من أن يقوموا بالثورة واشتعلت البلاد بالثورات من أقصاها الى أقصاها كل تنادى بعزل الامبراطور الخائن الذى باع استقلال بلاده ومذهب كنيسته .

وقاد الامبراطور جيشه يحاول أن يسحق به هذه الثورات ولكنه وجد منه تهاونا وتخاذلا خاف أن يؤديا الى الهزيمة . وهنا اطلعه ابنه على سبب هذا التخاذل وهو أن الجيش الامبراطورى المخلص مستعد أن يسير معه الى أقصى الارض ولكنه لن يفعل ذلك قبل أن يرد الامبراطور الى الشعب مذهبه ويطرد هؤلاء المبشرين رسل الاستعمار الاجنبى . فلم يملك الامبراطور الا أن يعدهم بذلك اذا انتصر .

وكان لهذا الوعد أثره فهجم الجيش وصدق فى الهجوم حتى شتت الاعداء بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف . فلم يملك الامبراطور الا أن يعلن مرسوما جديدا يرد به الى شعبه مذهبه القديم ويعين ابنه فاسيلاداس خلفا له . ويعتزل هو الحياة فى دير ليقضى فيه بقية عمره .

وحينما ارتقى فاسيلاداس العرش كتب الى البطريرك البرتغالى يأمره وقساوسته من اليسوعيين أن يتركوا البلاد ليخلى مكانه للمطران المصرى فخضع للامر . ولكنه فى نفس الوقت عمل على أن يتصل بملك اسبانيا ليرسل له جيشا لنصرته ولكن هذه المحاولة فشلت أيضا كما فشلت محاولات أخرى بذلها . فلم يلبث أن وصل الى مصوع حتى بيع هو ومن معه الى من نقلهم الى سواكن حيث افتدوا أنفسهم بالمال . ووقفت الكنيسة المصرية مرة أخرى الى جانب شعب أفريقى تمنع وقوعه فريسة فى يد الاستعمار الاوروبى .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تصارع النفوذان البريطانى والفرنسى فى أفريقية وكل مايعنينا هنا هو أثيوبيا ومصر . فقد اعترفت انجلترا بالامبراطور

تيودوروس وأرسلت الى بلاده بعثة تبشيرية تمهد لنفوذها فى حين اعترفت فرنسا بالرأس ووبى فى تجرى وأرسلت اليه بعثة سياسية من أجل اقامة علاقات بينهما وظهر هذا الصراع جليا أيضا فى مصر حين منحت فرنسا تأييدها لسعيد من أجل شركة قنال السويس بينما عارضت انجلترا هذا الاتجاه وسعت لدى الباب العالى من أجل وقف المشروع فى الوقت الذى ساءت فيه العلاقات بين أثيوبيا ومصر من أجل الحدود . وزاد من حدة الخلاف تنقل القبائل البدوية الضاربة فى تلك الانحاء بين الدولتين بحثا عن الكلأ ولجأ بعضها الى السلب والنهب وعجزت الحكومتان عن وقف نشاطها. وعول سعيد من جانبه على ارسال حملة تأديبية تعيد الهدوء الى هذه الاجزاء وسعت الدولتان الاوروبيتان الى اذكاء الخلاف من أجل مصلحتهما بينما أرسل الباب العالى الى سعيد يثنيه عن عزمه . فلجأ سعيد الى الكنيسة المصرية صاحبة العلاقات التقليدية بين مصر وأثيوبيا فأرسل كيرلس الرابع الذى يتيح له مركزه كبطريرك للاسكندرية وأثيوبيا والنوبة والخمس المدن الغربية أن يتدخل فى الامر . فسافر البطريرك الى أثيوبيا فى سبتمبر سنة ١٩٥٦ فازعج ذلك كلا من انجلترا وفرنسا اذ تخشى الاولى انهيار كل مابذلته بعثاتها التبشيرية من تمهيد لنفوذها . كما كانت تخشى الثانية أن يتوج البطريرك الامبراطور تيودوروس فيقضى على المتنافسين ومنهم رجلها . ولذا أوعزت الدولتان الى الامبراطور بأن زيارة البطريرك ليست الا ذرا للرماد فى العيون كى ينتهز سعيد فرصة وجوده هناك ليغزو أثيوبيا — وكان سعيد قد سافر الى السودان زيارته المشهورة التى أعلن فيها مراسيمه الاربعة واصطحب معه جيشه . ولقيت هذه الدسائس صدى فى نفس الامبراطور فأهان البطريرك وأساء معاملته . ولكن الرجل عرف كيف يعيد المياه الى صفوها السابق ويثبت حسن نية مصر بعد أن انسحبت الجيوش المصرية من الحدود بناء على رغبته الى سعيد . فاعتذر الامبراطور الى البطريرك وبعث بالهدايا الى سعيد الذى أحسن استقبال الوفد الاثيوبى وبذلك ذهبت مجهودات المستعمرين سدى وخلصت كل أثيوبيا ومصر لاهلهما فى ذلك العصر بفضل الكنيسة المصرية .

وفى الثلث الاول من القرن العشرين احتلت ايطاليا أثيوبيا وأرادت أن تتخذ من الكنيسة المصرية سندا لها . وأغرت المطران المصرى بتنصيبه بطريركا على كنيسة أثيوبيا اذا قبل الانفصال عن كرسى الاسكندرية معتمدا على ايطاليا . فأبى ايمان المطران كما أبت وطنيته أن يكون خنجرا مسموما موجها الى قلب أثيوبيا ورفض العرض حتى اذا قامت الدولة بفصل الكنيسة الاثيوبية وقفت الكنيسة المصرية — كعهدها — فى وجه هذه المحاولة. وأصدرت مرسوما بحرمان كل أثيوبى يشترك فى هذه الهزلة ويتعاون مع المستعمرين . ووقفت الكنيسة المصرية مجردة من كل سلاح الا سلاح الحق والايمان فى صف المجاهدين من أجل حرية الشعب الاثيوبى . حتى اذا استعادت أثيوبيا استغلالها عادت معه الكنيسة المصرية لتقود الشعب فى طريق الحرية .

فكانت الكنيسة المصرية دائما تقف فى وجه الاجنبى الدخيل الذى يحاول سلب الشعب وتجريده من كل شىء، لا سلب ايمانه فحسب بل حريته واستقلاله .

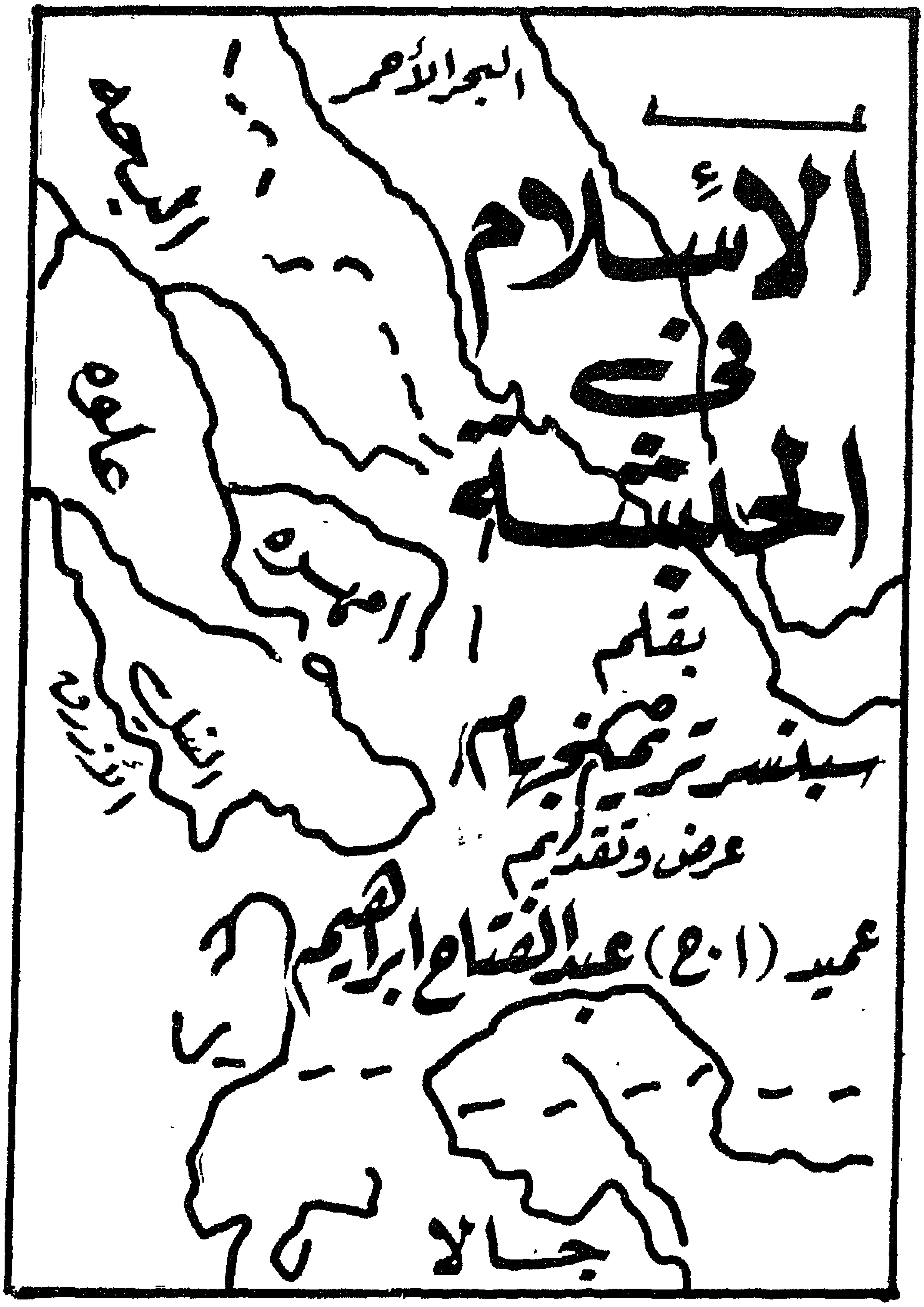

عرض وتقديم
للعميد أركان الحرب
محمد عبد الفتاح ابراهيم

تاريخ قديم :

بسم الله الرحمن الرحيم

((ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول .))

صدق الله العظيم

تقدم هذه الآيات البينات ، والتى هى السورة الخامسة بعد المائة من القرآن الكريم ، قصة (أبرهة) من قواد ملك الحبشة ، الذى كان متغلبا على بلاد اليمن فى ذلك الحين ، بنى كنيسة فى صنعاء وأراد أن يرغم العرب على الحج اليها بدل الكعبة ، ولما لم يقبل عليها أحد ، أراد أن يهدم

الكعبة حتى لا يجد العرب غير تلك الكنيسة فجهز جيشا كبيرا وتوجه الى مكة ، واستصحب معه فيلا ضخما ليرهب به قريشا ، وسار يقهر من يلاقيه فى طريقه حتى قرب من مكة فعسكر خارجها ، وأرسل الى أهلها

يخبرهم بأنه لايريد حربهم ، وانما جاء ليهدم الكعبة ، فاذا تركوه يفعل مايريد فانه لا يمسهم بسوء ، فخافه أهل مكة وفروا الى الجبال . وفى هذا الحين أصيب جيش أبرهة بما ألقى فى قلوبهم الرعب ، ومات أكثرهم شر ميتة .

فهل كان منشأ هلاك هذا الجيش هذه الحجارة نفسها ؟! أو ما علق بها من مخلوقات قتالة ، لاتدركها الابصار ؟

قال بعض علماء التابعين : ان ما أصاب جيش أبرهة كان مرض الجدرى ، وقال ان هذا كان أول جدرى حدث ببلاد العرب ، وكان شديدا حتى تساقط لحم من أصيب به ، والله أعلم (١) .

وقد أضاف المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تفسيره لجزء « عم » (٢) بعد أن نقل تفصيل الاصابة

بالجدرى والحصبة عن عكرمة ويعقوب ابن عقبة : « فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أوالذباب الذى يحمل جراثيم بعض الامراض ،

وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه ، وأن كثيرا

من الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى اهلاك من يريد هلاكه من البشر » .

والحديث هنا فى كلا التفسيرين لم يتعرض للفيل الذى صحب الجيش . . يقول الكونت روسينى المستشرق الايطالى : ان الفيل نسبة الى اسم ملك اكسوم فى القرن الثالث ، الملك افيلاس (أفيل) ، على ما يطلق عليه العرب فى ذلك العصر ، عندما قام بغزو اليمن . ومعنى هذا . . أن روسينى يقول ان أصحاب الفيل هم جنود الملك أفيلاس ، ولكن السير (و . جوورز)

يقول فى بحث قيم له بعنوان « الفيلة الافريقية ، والمؤلفون القدامى » : « . . . ولكن لايوجد مايمنع من أن الاحباش قد دربوا الفيلة لاستخدامها فى الحرب ، فقد كانت هناك مراكز تدريب فى عصر البطالمة لتدريب فيلة الغابات(٣) » .

***

فقصة الفيل وثيقة الصلة بتاريخ الصراع بين الاحباش والعرب فى تاريخ سابق للاسلام ، ولكن الواقع أن سورة «الفيل» ــ السورة ١٠٥ من القرآن

الكريم (٢٧) ــ كان لها دورها الهام فى حوادث الاجيال التابعة لانتشار الاسلام منذ خروجه من الجزيرة العربية متجها للغرب أو للجنوب الغربى ، وخاصة فى هذا الركن من شمال شرقى افريقية .

على أننا لو بدأنا الحديث من هذه النقطة لكنا كمن وثب وثبة واسعة حتى ص ٤١ من كتاب تريمنجهام .

ومن الضرورى أن نعود من جديد لنبدأ فى التنظيم العادى الذى عرضنا

---

(١) ص ٨٢٢ « المصحف المفسر » لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى طبع القاهرة .

(٢) الطبعة الثانية ص ١٢٠ كتاب الشعب .

(٣) مجلة الشئون الافريقية . العدد ٤٧ ص ١٧٣ ــ ١٨٠ .

فيه كتابه الاول عن (الاسلام فى السودان) .

الكتاب والكاتب :

والكتاب هو الكتاب الثانى من سلسلة دراسات تريمنجهام عن الاسلام فى افريقية ، مستهدفا — كما قلت — دراسة تاريخ ومعتقدات الشعوب الافريقية . وفى هذه المرة يعنى بالمنطقة التى تقع فيها اليوم ايرترية ، وامبراطورية الحبشة ، وبلاد الصومال . . البلاد التى تكون «الصومال الكبير» ، والتى كانت الى وقت قريب تتبع الادارة البريطانية والفرنسية والايطالية . . ولهذا يكون الكتاب فى الواقع أوسع مدى من العنوان الذى وسم به ، وان كان المؤلف قد أشار الى هذا على أساس أن دراسته (محاولة التعريف بتاريخ واتجاهات الاسلام فى الحبشة التى يقال لها اليوم أثيوبيا ، والمناطق الثقافية المجاورة لها . وكما هى العادة بالنسبة للاسلام ، فان الدين والثقافة يكونان معا وحدة لا تنفصل ولا تنفصم) .

على أن من الضرورى أن نذكر أن المؤلف ، سبنسر تريمنجهام ، كان أصلا من رجال الدين ، وكان أحد أفراد البعثات التبشيرية البريطانية التى نزلت السودان منذ زمن بعيد ، فكان عمله الدينى هو الدعامة التى قامت عليها صلاته بالجماعات القبلية وبجماهير الناس لخدمة الادارة ، ولمعاونة المكتب السياسى فى الخرطوم . والعمل فى البعثات الكنسية طابع من الطوابع الخاصة فى الاستعمار البريطانى ، وقصته معروفة فى أفريقية وخاصة فى حوض النيل قبل لوجارد واستعمار أوغندة .

ويكشف لنا هذا عن مدى خلط تريمنجهام بين الدين والسياسة عن قصد ، وكيف خلط بين العمل لنشر الدين بوساطة التجار والرحالة الاولين ، وبين الصراع على الحدود فى الحروب بين اسماعيل ويوحنا (جون) ، والقتال فى حكم الامام المهدى وخليفته عبد الله التعايشى بين السودانيين والاحباش ، وكيف وجه عمليات اسماعيل لتأمين الطريق الى الامبراطورية الافريقية بين ساحل البحر ، وقلب القارة ، أو تأمين الحدود الجنوبية الشرقية فى حكم التعايشى . . على أنه صراع بين المسيحية والاسلام .

ولهذا قد يكون من الضرور أن أوضح أن المؤلف قد عنى العناية كلها بايضاح كيف صاغ الاسلام حياة السكان الرحل ، وحياة أنصاف المتحضرين ، فى اقامة أشبه بالدائمة ، وكيف أنهم بدورهم صاغوا الاسلام الذى اعتنقوه ، ثم خرج الى الدولة المسيحية فى الحبشة ، التى بقيت لاربعة قرون محاطة بشعوب اسلامية فعرض لما قام بينها من صراع اعتبره صراعا بين حضارتى المسيحية وحضارة الاسلام .

والواقع أننى أتفق مع المؤلف فى أن اعطاء صورة واضحة لنفوذ الثقافة الاسلامية فى مثل هذه المنطقة الفسيحة ،

يعتبر عملا معقدا متداخل الحلقات . . ذلك لان الحديث عن الاسلام فى الحبشة يرتبط بعدة عوامل هى :

* استعمار الساميين من الجزيرة العربية لارض الحبشة وشرقى افريقية .

* امتداد مملكة اكسوم واتساعها .
* انتشار مراكز التجارة اليهودية وعملها كمراكز للتبشير لشريعة موسى .
* وصول المسيحية مع التجار من شمال أفريقية ، ومع بحارة السفن التجارية القادمة من البحر المتوسط .

* غزو الحبشة لليمن وجنوب الجزيرة العربية ، واحتلال صنعاء ،

الميناء ذى الحركة التجارية مع الشرق والغرب .

* الاصطدام بالعرب قبل الاسلام.

* ظهور الاسلام واعتباره نقطة التحول فى تاريخ المنطقة .

* ميلاد الامة الحبشية ، ونشأة الدول الاسلامية فى شنوا مع التأريخ للسلاطين المسلمين .

* الغزو الاسلامى فى القرن السادس عشر ، ودور القتال بين آل عثمان وملوك البرتغال فى بحر العرب .

* الهجرات القبلية وخاصة هجرة الجالا .

* سقوط مملكة هرر وتصفية التهديد العثمانى .

* العزلة الاقليمية والدعاية الرومانية .

* نهضة الاسلام فى القرن التاسع.

* الدول الاوروبية وتدخلها فى المنطقة وصلتها بتطور الحبشة .

وعند هذا تصل بنا القصة الى العصر الحديث .

ومع أن جزءا من المنطقة التى يعرض لها « **تريمنجهام** » بالبحث قد غمرتها مؤلفات كتاب آخرين أمثال : « كارلو كونت روسينى » و « انريكو سيروللى على التخصيص ، فان تريمنجهام قد أسهم الى حد كبير فى تفهم عمق نفوذ الاسلام فى المنطقة كلها ، وهو من أجل هذا قد قسم كتابه الى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ ـ المنطقة وشعوبها ، حديث عن الارض والناس .

٢ ـ الصراع بين المسيحية والاسلام .

٣ ـ لتوزيع القبلى للمسلمين .

٤ ـ الظواهر الخاصة للاسلام فى المنطقة .

وهكذا يكون الرجل قد تعقب فى ثلاثة أقسام رئيسية من كتابه ، تاريخ كفاح الاسلام ضد أنصار الكنيسة المسيحية التى تكونت فى القرن الرابع الميلادى ، أى قبل ثلاثة قرون من ظهور الاسلام فى بلاد العرب .

يقول روبرت بوم فى نقده لكتاب تريمنجهام (١) : «ويبدو أن تريمنجهام فى كتابته للقسم الثانى من كتابه ، لم يكن على علم بتحرر الاجراء من عامة الناس ، ولا باعادة تنظيم المجتمع القبلى فى منطقتى (ناسفا) و (اجوردات) بوساطة الادارة العسكرية البريطانية باريتريا سنة ١٩٤٨ .

وأبرز ما فى كتاب تريمنهجام ، ايضاحه لتطور استهواء الاسلام للجماعات من الرحل ، ثم من أنصاف المتحضرين فى المنطقة العالية فى شمال الحبشة وايريتريا ، وحيث لا يمكن أن يضىء الاسلام ويتألق بدرجة أكبر مما للتعاليم والمعتقدات الوثنية اجتذب الاسلام الناس بالقصص الاسلامى وبالاسس للنظم الدنيوية طبقا للتشريع الذى فى صلب الدين . ولكن فى الحبشة وحدها واجه الاسلام منافسا قويا فى الكنيسة المسيحية التى كانت رمزا القومية الحبشية ، هذا الرمز الذى قوى من اصرار سكان الهضبة على مقاومة كل جهود الغزو الاسلامى !!»

***

على أنه فى ضوء التقسيم الذى قدم فيه تريمنجهام كتابه يجب أن نعرض له بالبحث اليوم فقط .. ومن الضرورى أن نوضح هنا أن هذا العرض سيقصر على مناقشة تطور الاسلام فى الحبشة ، والجماعات

---

(١) ميدل ايست جورنال طبع امريكا شتاء سنة ١٩٥٣ مجلد ٧ العدد ١ ص ١١٣ ، «وروبرت بوم » متخصص فى الشئون الافريقية بادارة الابحاث للشرق الادنى وجنوب آسيا وأفريقية فى وزارة الخارجية الامريكية .

الاسلامية فيها ، دون الخروج بالبحث الى النواحي الفرعية الاخرى التى أطالت من دراسة تريمنجهام ، وأوضحت محاولته للخلط بين الدين والسياسة فى أكثر من مكان من كتابه الكبير .

الارض والناس :

والحديث عن الارض والناس فى دراسة « الاسلام فى الحبشة » أعقد منه فى دراسة مثل دراسة «الاسلام فى السودان » ، ذلك لان الاصطلاح « شمال شرقى افريقية » يستخدم فى صور متعددة متباينة ، على أنه فى كتاب تريمنجهام يمثل المثلث العظيم الذى يحد من الشمال الشرقى بالبحر الاحمر وخليج عدن ، ومن الجنوب الشرقى بالمحيط الهندى ، ومن الجنوب بكينيا ، ومن الشمال الشرقى والشرق بالسودان . وفى هذه المنطقة الفسيحة توجد خمسة أقاليم رئيسية هى :

١ ـ الهضبة الشمالية : وتقع فيها أرض التيجرى وأمهرة وجوجام وشاو .

٢ ـ وادى الشق الشرقى الذى يجرى من منخفض الدناقل .

٣ ـ منخفض الدناقل الذى يحد من الشمال والشرق بالسلسلة الجبلية التى تلاصق الساحل حتى خليج تاجورا ، ومن الجنوب بجبال هرر ، ومن الغرب بحافة الهضبة الحبشية .

٤ ـ الكتلة الوسطى بين منخفض الوادى الشقى وهضبة الجالا ـ صومالى .

٥ ـ هضبة الجالا ـ صومال : وتنقسم الى ثلاثة أقاليم منفصلة هى :

الهضبة الداخلية ـ الهضبة الوسطى ـ الاقليم الساحلى .

ومع أن هذه المنطقة تتعرض لخمسة أجواء متباينة ، ففيها الجو الحار القليل الامطار فى الشتاء عند الساحل الاريترى . وفى الجنوب الشرقى على ساحل المحيط الهندى جو مماثل غير أن الامطار القليلة تتساقط صيفا . وفى الوسط والجنوب والغرب يمتاز جو « أوجادين » ومنطقة بحيرة رودولف بحرارة شديدة وبمطر قليل . أما فى الشمال الغربى فان الجو الحبشى يسيطر على كل الهضبة التى تحمل ذلك الاسم وتتفاوت درجة الحرارة من القيظ اللافح الى البرد القارص .

ومع هذا يمكن اجمالا القول بأن الاقاليم المرتفعة تتعرض لموسم مطير من ابريل الى سبتمبر ، أما الفترة من أكتوبر الى مارس فمعدومة الامطار عدا أرض « شاوا » و « كافا » و « جيما » و « جيمبيرا » حيث تسقط الامطار فى أى وقت من السنة . أما فى المنحدر الجنوبى الشرقى والمتجه نحو المحيط الهندى ، وكذلك فى الجزء الاكبر من (بوران) فان موسم الامطار ينقسم الى قسمين : من مارس الى مايو ، ومن أكتوبر الى نوفمبر .

وتتوافر فى المنطقة أيضا كل صور التباين الجنسى والثقافى واللغوى ، ومع أن الكلمة التى ترمز الى السكان فى تعريف العرب « حبش » تعنى «الخليط» ، الا أنها فى الواقع لاتكفى لحقيقة وصف حال السكان . ونحن لانعرف الا القليل عن السكان الاولين الذين كانوا يقيمون فى الاراضى المنخفضة تاركين المرتفعات غير مسكونة . وفى تاريخ غير معروف غزيت افريقية بموجات حامية ـ قوقازية جاءت من جنوب بلاد العرب . وترجع هذه الموجات الى نفس المجموعة التى منها اكثر أهل أوروبا ، ويعتبر المصريون فى عهد ما قبل الاسرات ، و «البجه» اليوم أحسن من يمثل هذا الجنس . ويعرف حاميو شمال شرق أفريقية هؤلاء الناس باسم « كوشيت » .

المنطقة	مسلمون	مسيحيون	وثنيون	جملة السكان
اريتريا ـ أثيوبيا	٣٥٩ر٠٠٠	٣٩٠ر٠٠٠	١٦ر٥٠٠	٧٦٥رر٥٠٠
الهضبة الحبشية	٣٠٠ر٠٠٠	٢ر٩٠٠ز٠٠٠	—	٣ر٢٦٠ر٠٠٠ (٢)
الجـــالا	٥٠٠ر٠٠٠	٢٠٠ر٠٠٠	٨٠٠ر٠٠٠	١ر٥٠٠ر٠٠٠
هرر	٧٨٠ر٠٠٠	٣٠٦ر١٧٠	٤١١ر٦٦٣	١ر٥١٧ر٨٥٣
الدناقل	٥٠ر٠٠٠	—	—	٥٠ر٠٠٠
ش.غ. مارجين	٧٥ر٠٠٠	—	٨٠ر٠٠٠	١٥٥و٠٠٠
ج.ع. مارجين	٤٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	٤٠٠ر٠٠٠	٤٩٠ر٠٠٠
الصومال الكبير (١)	١ر١٤١ر٣٩١	٢٠٠	١٠ر٠٠٠	١ر١٥١ر٥٩١
	٣ر٢٤٥ر٣٩١	٣ر٨٤٦ر٣٧٠	١ر٧٣٨ر١٦٣	٨ر٨٨٩ر٩٢٤

على أنه عن طريق التزاوج أوجدت مجموعات من الزنوج الحاميين : أى الزنوج الذين تتوافـر فيهـم دماء حامية ، وتتابعت الموجات .. كل تدفع الموجات التى سبقتها للداخل نحـو أرض الزنوج ، ثم جاءت موجات أخرى من الســاميين من جنوب الجزيرة العربية بين القرن العـاشر والقرن الرابع قبل الميـلاد ، وعدلت هـذه الموجات من كل صور الحياة الثقافية لسكان الاراضى العالية . وقد انتشر هؤلاء الساميون فى الهضبة العاليـة للشمال ، ولما كان هـؤلاء يعمـلون فى زراعة الارض ، فقد استقروا حيث هم . كما نزلت جماعات منهم للجنوب ، واندفعت جمـاعات أخرى للجنوب الشرقى حول هرر . ويوضح تاريخ الهجرات فى المنطقـة : أن من الممكن لمجموعة صغيرة من المهـاجرين أن توجد فى ظروف خاصة تغييرا كبـيرا فى الحياة الثقافية للبـلاد ، وخاصة بين المســتوطنين المستقرين المرتبطين بالارض .

وقد تأثرت البـلاد فترة طويلة بالمؤثرات الاســلامية ، حـتى كان القرنان الثـالث عشر والرابع عشر ، وعرفت المنطقة الوسـطى الداخليـة المسيحية ، فنشأت حضارتان احداهما تلاصق ساحل البحر الاحمر ، ثم تدور للجنوب مع سير المحيط الهنـدى ، والاخرى للداخل مع منـابع النيل الاعظم الشرقية .

توزيع الدين :

وكما أن شـمال شرقى أفريقيـة يعتبر « معرضا » متحفا للسلالات واللغات ، فهو كذلك منظمة اختلاط دينى . وممـا لاشك فيه أن هـذه المنطقة التى كان يعيش «الكوشيت» الحاميون فيها أصلا قد تأثرت بالامتزاج الدينى ، بسبب قربهـا من الشرق الادنى ، مكان وموطن الاديان الثلاثة .. ولهذا فان المسلمين والمسيحيين أكثر عددا من الوثنيين ، وكحديث عام ؛ فان توزيع الاديان فى المنطقـة هو كما يلى :

على أنه يجب أن يعـرف أن اب الدين فى هذه المنطقة ، كما هو فى كل الشعوب البدائية ، أقرب الى الممارسة

(١) الصومال الكبير . المناطق التى كانت تعرف باسم الصـومال البريطانى والفرنسى والايطالى .
(٢) فيهم ٦٠ر٠٠٠ من « الفلاشا » .

من أن يكون عقيدة وايمانا (!!) ولهذا فان أول ما يعنى به المسلمون والمسيحيون على السواء ، أن يتابعوا الحياة فى الصورة التى تضمن معاونة القوى المجهولة لهم وتجنبهم غضبها عليهم (!!) وذلك من المؤثرات الوثنية التى لم تذهب بعد من أذهان الناس ..

المسيحية :

ولما كانت المسيحية الدين الرسمى للدولة فى أثيوبيا ، وهى دعامة القومية الحبشية ، فليس من الممكن الالمام بتاريخ الاسلام مالم تتوافر معرفة طيبة بتاريخ المسيحية ، والباحث فى تاريخ الاسلام بالحبشة يحس بنفوذ المسيحية فى كل مكان حتى فى هرر ، معقل الاسلام حيث بنيت الكنيسة على أنقاض المسجد الذى دمره الاحباش (ص ٢٢ من الكتاب)

وقد بدات المسيحية كدين رسمى لمملكة أكسوم قرابة سنة ٣٥٠ بعد الميلاد بتأثير الثقافة المسيحية ، ولكنها لم تنتشر الى أبعد من حدود البلاد ، وارتبطت الكنيسة منذ البداية بكنيسة الاسكندرية ، ثم قل ارتباطها بالكنيسة البيزنطية ، بعد أن احتل المسلمون سواحل البحر الاحمر ، وسيطروا على بيزنطة ، وبقيت الكنيسة الحبشية مرتبطة بالكنيسة المصرية منذ ذلك التاريخ .

وفى المدة بين سنة ٦٥٠ وسنة ١٢٧٠ بعد الميلاد ، انتشرت المسيحية نحو الجنوب بمعجزة ، وسادت المسيحية كل المناطق الحبشية الاصلية ، ولكنها لم تلبث أن بدات تمر بمرحلة من مراحل الاضمحلال ، وخاصة فيما بين منتصف القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر ، وحتى بعد هذا عندما بدأ النفوذ العربى يؤثر فى البلاد بدرجة أكبر فى مختلف نواحى الحياة ، بقيت الحياة الدينية جامدة الطابع فى تقاليدها وعاداتها ، وحتى فى احتفالاتها . ولم تؤثر فى الحياة المعنوية للاهلين الا بأقل مايمكن من صور التأثير (ص ٢٣ من الكتاب) .

على أن هذه العزلة الجغرافية جعلت الارض كلها بمعزل عن تطورات التقاليد الكنسية فى باقى العالم المسيحى ، ولم تغب صورة العبادة الوثنية من حياة الناس ، بل بقيت فى الظلال الخلفية كصورة مبسطة لآلهة الخير والشر . ولم تعمل الكنيسة على مقاومة العناصر الوثنية ، بل ان بعض رجال الدين ظلوا يعتقدون بسطوة هذه الآلهة الوثنية ، ويعملون كأساطين للسحر .

يقول الدكتور (سيروللى) ان آلهة القبائل الكوشيتية فى جنوب الحبشة ــ الارض التى غزاها الاحباش ــ بقى الغزاة والمغزون يعتقدون فى آلهة الوثنية ، وكأنها تابعة للاله الاكبر الذى يؤمن به الغزاة (ص ٣٧) ، بل الاكثر من ذلك أن المسيحيين ظلوا يتبعون تعاليم الموسويين ، وخاصة فى مسائل التفرقة بين الذبائح (الكشير) و (الطريف) ، وكذلك فى الواجب على الرجل أن يتزوج أرملة أخيه ، وفى احترام (السبت) احترامهم ليوم الاحد .

الاسلام :

والمنطقة مدار البحث فى كتاب تريمنجهام تحيطها بلاد اسلامية ، فالاسلام دين شمال السودان ومصر وبلاد العرب وكل المنطقة الساحلية فى شمال شرقى أفريقيا ، ثم ان النفوذ الاسلامى من أيام النبى عليه الصلاة والسلام اتصل بهذه الارض منذ نزلها المهاجرون الاولون من طغيان قريش ، على أن دراستنا للاسلام فى الحبشة يجب أن تجىء فى ثلاثة أقسام :

القسم الاول ــ القسم التاريخى . لنوضح كيف جاء الاسلام ، وكيف

انتشر ، وكيف قام الصراع للسيطرة على الارض والناس ، هـــذا الصراع السياسى الذى يزعم تريمنجهـام أنه صراع بين المسيحيين والاسلام .

القسم الثانى ـ القسم الاجتماعي : لايضاح طبيعة الحيـــاة الاسلامية ، والبناء الاجتماعى والدينى للمسلمين

القسم الثالث ـ لنتابع الثقـــافة الدينية والمظاهر الخاصة بالاسلام فى المنطقـــة جملة واحـــدة ، وخاصـــة لنستوضح التقاليد والعادات ،وطرق المتصوفة (القادرية ـ الاحمـدية ـ الراشدية ـ الميرغنية ـ التيجانية ـ السمانية) .

والواقع أن دراسة تاريخ الاسلام فى الحبشة ترتبط بتاريخ المسيحية فيها . ومن ثم فان من الاهمية بمكان، أن نتابع تطور هذا التعديل الثقـــافى الذى كان نصيب الـكوشيت الرعاة الذين سادوا منطقة فى شمال الهضبة الاساســية للبـــلاد نتيجـة للهجرات السامية ، هذه الهجرات التى تعتبر أهم مجموعاتهـــا « الحبش » الذين جاءوا من اليمن ، ونزلوا الاطـــراف الشمالية من أرض تيجرى ، والذين أعطوا المجموعة كلهـــا الاسم الذى وسمت به .

والواقع أن الزراع لا يتحولون قط الى رعاة رحل ، ولهذا عبر اليمنيون البحر الضيق ، ولكنهم لم ينزلوا على طول السهول الساحلية، حيث تستهوى الارض بالرعاة ، بل تقدموا للداخل . ونزلوا بأرض الهضبة فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم أريترية وتيجرى، ليوجدوا المزارع المثمرة بعد أن نظموا وسـائل الرى ، ولهم بهـــذا سابق خبرة .

أليسوا هم الذين أقاموا سد مأرب والذين أدخلوا صـــناعة المعـادن ؟ واستأنســـوا الحيوانات وأحسـنوا تربيتها ؟ ثم جاءوا بزراعات جديدة ، ومن ثم كانت الاراضى اليالية مركز حضارة جديدة ، وساد الحبش كل القبائل الاخرى ، وكانت أكسوم عاصمة لها ، وفى ثلاثة قرون متتابعة استطاعت أكسوم أن تمد حدودها للغرب وللشمال، ووصلت اغاراتهم الى مروى ، حيث أقام الملك عرشا هناك رمزا لهـــذا النصر .

ونحن لا نعرف الا القليل عن دين أكسوم ، ولكنهم كشعب زراعى، فانهم عرفوا مراحل السنة تبعا للاحتفالات الدينيـــة . وفى فجر القـــرن الرابع الميلادى دخلت المسيحية مصر فى حكم قسطنطين ، ثم دخلت المسيحية مملكة اكسوم فى تاريخ لاحق لهذا عن طريق الاتصال المباشر بالتجار المسيحيين ، وعن طريق العـــلاقات التجـــارية والبحرية مع امبراطورية بيزنطة .

وكان التحول الى المســيحية هو الحادث الثورى فى تاريخ الحبشـــة ، وعن طريق هذا التحول قامت صلات ثقافية بين « أكسوم » وبين دنيـــا البحر المتوسط ، كما قامت روابط سياسية بينها وبين الدولة البيزنطية التى كانت تعتبر نفسها حامية للعالم المسيحى ، وكان تحول أكسوم الى المسيحية عاملا فى غزو اليمن، وجنوب البلاد العربية بعد دفاع عن «الحمير» من نصـــارى تيجـران ســـنة ٥٢٣ ميلادية ، وبنى أبرهة قائد ملك أكسوم كنيسة فى صنعاء لاجتذاب العرب اليها بدلا من الحج بمكة . وتتوالى الحوادث بسرعة على ما يروى الرواة ، وعلى ما يقص القرآن فى سورة « الفيل » على ما قدمناه فى مطلع هذا التقـديم لكتاب ترمينجهام .

على أن رحلة أبرهة كانت خطـــة عظيما ، **لانها دفعت زعماء حمير لدعوة الفرس الى النزول بالبلاد .**

ففى ســـنة ٥٩٠ ميـلادية ، كان هؤلاء ســادة حمير وعـدن وأجزاء

أخرى من بلاد العرب ، بل وأجزاء من ساحل أفريقية . وفى سنة ٦٠٢ ميلادية ، غزا الفرس كل بلاد العرب وبقيت اليمن تحت سيطرتهم ، حتى غزاها المسلمون فى العام الثامن للهجرة ، ونتيجة لغزو الفرس لليمن ، تعرضت سلامة طرق التجارة فى البحر الاحمر للخطر ، وبدأ اضمحلال مملكة أكسوم .

الاتصال الاول بالمسلمين :

وشهد القرن السابع الميلادى مولد الاسلام وانتشاره ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وتمكن محمد عليه الصلاة والسلام من جمع العرب كلهم على كلمة واحدة ، يعبدون الها واحدا وبدأت جحافل المسلمين تنشر الاسلام فى الامصار المجاورة ، وكانت هذه الغزوات الاسلامية نقطة تحول فى تاريخ أكسوم ، فقد عزلت تماما عن أوربا ، وبقى مكانها الجغرافى لقرون مجهولا تماما من الاوربيين .

وقد كتب « جيبون » فى هذا يقول :

« نام الاثيوبيون ما يقرب من ألف سنة ، وقد نسوا العالم الذى نسيهم .. كانت كل صلات اكسوم بالكنيسة القبطية بالاسكندرية وحدها ، أما صلاتهم بالدولتين المسيحيتين فى (مقره) و (علوه) فكانت عدائية . ولكن لما كان الناس فى أكسوم محاربين يعملون فى الزراعة ، ولادراية لهم لا بالتجارة ولا بالبحر ، فانهم لم يحسوا بهذه العزلة ، فقد كانت تجارتهم فى المدن الساحلية تسير بوساطة اليونانيين واليمنيين والمصريين » .

وبدأ محمد عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى الدين الجديد ، وأوذى المسلمون الاولون . فهاجر بعضهم الى الحبشة ، وأرسلت قريش مبعوثيها الى النجاشى ليرد المسلمين الى بلادهم وناقش النجاشى المسلمين فى أمر دينهم ، وأعجبه ايضاح جعفر بن أبى طالب . فأطلق للمسلمين حريتهم فى الاقامة . وظلوا فى البلاد حتى عادوا بعد أن استتب الامر للنبى فى مكة .

وهنا يقص تريمنجهام قصة ارتداد عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة بنت أبى سفيان .. كما يذكر اغارة العرب على الساحل الافريقى أيام عمر بن الخطاب ، وكل هذه الصفحات يكتبها تريمنجهام ثم يعود فيقول : ان كل المراجع مبهمة غامضة وعلى اية حال فان المسلمين لم يركبوا البحر الا فى تاريخ متأخر ، وعندما ركبوه احتلوا الجزر التى بساحل « مصوع » فكان هذا أول رأس كوبرى للاسلام ، أدى الى احتلال المناطق الساحلية التى مكنت المسلمين من اختراق الحاجز المجهول ليبدأوا تسربهم لداخل شرقى افريقية .

على أن العزلة التى سببتها غزوات الاسلام لم تكن هى وحدها التى قضت على مملكة اكسوم ، ولم تكن هى كذلك وحدها التى وجهت المسيحية للجنوب ، وأبعدتها عن الساحل فى النصف الاول من القرن الثامن الميلادى ، بل كان هناك العامل الآخر القوى ، ذلك هو « البجة » قبائل البجة الرعوية ، التى كانت فى ذلك الوقت قد اضحت عاملا فعالا فى شئون المنطقة بين النيل الاعظم والبحر الاحمر .

فقد عمد البجة بسبب فقر بلادهم الى الاغارة على الاراضى الاكثر ثراء على النيل ، وعلى أطراف الهضبة الحبشية . وفى احدى هذه الاغارات اجتازوا حدود أكسوم ونهبوا القرى ، وأسرع الناس نحو الجنوب تاركين « اكسوم » العاصمة كعاصمة ثقافية فقط للبلاد ، ولم يستطع أهل اكسوم المحافظة على استقلالهم الا فى المناطق

الجبلية العالية من أرض «التيجرى» فلا تنتشر المسيحية فى السهول الشمالية ، بل تتقدم ببطء فى الاراضى الوعرة للجنوب والجنوب الغربى ..

وهنا يدخل تاريخ المسيحية مرحلة الابهام والغموض والنقل عن المصادر .. ويضطر تريمنجهام أن ينقل عن (كشوف البلدان) لليعقوبى ، وعن (المروج) للمسعودى ، وعن ابن سليم الاسوانى نقلا من (خطط المقريزى) وعن ابن حوقل ، ينقل عن هؤلاء وصف الموقف السياسى فى شمالى المنطقة بين النيل والبحر الاحمر . ويسير مع اليعقوبى فى كشوف البلدان منحدرا للجنوب ليصف مملكة النجاشى والرخاء الذى عرفته ، والبلدان التى ازدهرت فى هذا العصر ، ولا خلاف بين هذه المصادر كلها الا فى بعض ما أطلقته على البلاد من مسميات ، ولكن الذى يعنينا من هذا الوصف : (تحول بعض البجة الوثنيين الى الاسلام «الحداريب» ، وأن الحبش فى الارض بجنوب النيل الازرق وجنوب غربى «شاوا» ، وكانت تحكمهم سيدة .. كما نعرف من تاريخ هذا العصر أن البجة كانوا يهددون الحبشة المسيحية بالغزو ، وأن هذا التهديد كان أقدم من تهديد الاسلام لها ، وأن الاحباش قد بعثوا لبطريركية الاسكندرية يطلبون أسقفا جديدا ـ أبونا ـ لمنح الغفران المقدس ولتهدئة قلق أفراد الشعب الذين يعيشون فى فترة اضطراب تتهاوى فيها العروش وتضيع سيادة الامم) .

التوسع الاول للاسلام :

وفى هذا الوقت وضحت حاجة الحبشة الى الدفاع ضد التغلغل الاسلامى ، وفى المدة بين القرنين العاشر والثانى عشر ، كانت مملكة الحبشة ضعيفة ، ولهذا فانها كانت بالتبعية أمد توسع الاسلام فى شمال شرقى أفريقيا ، ففى الشمال كان الاسلام يتقدم ببطء بين البجة الوثنيين ، وقد اختلفت كتابات الادريسى والمقريزى بين (١٩٥٤ ـ ١٤٤٢) على مدى انتشار الاسلام بين البجة ، والاحباش الذين يقيمون فى المناطق الساحلية ، على أنه قد صحب هذه الحقب من السنين ازدياد فى التجارة العربية ، واتساع فى تجارة الرقيق من الداخل الى الموانىء الساحلية ، وقد ادت هذه التجارة ، ورحلات الحج الى الحجاز الى توثيق الروابط بالعالم الاسلامى كما احتجز رواق فى الجامع الازهر ، وجزء من الجامع الاموى بدمشق للطلاب من زيلع وما حولها فى شمال شرقى أفريقيا .

وانشئت مستوطنات اسلامية وسط البلاد المسيحية فى الاراضى العالية .

على أن الصراع بين المسيحية والاسلام يكشف عن حقيقة هى : أن الكنيسة القبطية كانت فى الايام السوداء تقف أحيانا الى جانب الاسلام (ص٦٣) ، وتعمل مع حكام مصر المسلمين فى تعيين أساقفة للحبشة يعملون للنهوض بمصالح المسلمين فى الحبشة ، حتى ليقول تريمنجهام أن الاب ساويرس (١٠٨٠ م) الذى عينه البطريرك كيرلس الثانى بأمر الوزير بدرالدين الجمالى أنشأ سبعة مساجد فى الحبشة ، فلما أن ضج الناس من عمله ، قال : انه يفعل هذا لصالح التجار العرب . ولكن ملك الحبشة سجنه ، وهدم المساجد السبعة .. !

ومع هذا تتابع انتشار الاسلام ، حتى غطت الدول الاسلامية منطقة فسيحة من الارض بين ساحل البحر وبين الاطراف الغربية للهضبة الوسطى فى جانب ، وأطرافها الشرقية فى جانب آخر . ويعزى هذا النجاح الى

العلاقات التجارية مع موانيء البحر الاحمر ومصر ، كما يعزى الى الخلاف بين الجماعات الحبشية فى الداخل ، والى تنافس الأسر القومية فى البلاد. وفى هذا الامد نفسه تباينت علاقات

الحبشة بمصر ، فحينا يبعث ملك الحبشة يطلب تعيين أسقف ، وحينا يبعث مهددا بأن يقوم بتدبيرات مضادة للممالك والسلطنات الاسلامية التى تقع على حدود بلاده . وشغلت هذه التقلبات السياسية طوال المدة من حكم ركن الدين بيبرس ١٢٧٤ م ، الى حكم الناصر محمود ١٣٣٨ م ، ثم الى حكم الناصر برقوق ١٣٨٧ ، اى أنها شغلت مايزيد على المائة السنة .

ولكن فى الواقع كانت هناك ناحية أخرى من هذه الصورة بالنسبة للحبشة ، فقد ازداد اتصالها بالعالم المسيحى الخارجى ، واذا كانت قد بدأت مرحلة

دفاع فى الصراع (!) بين المسيحية والاسلام ، فقد بدأت فى الواقع مرحلة من التوسع الاسلامى فى القرن السادس عشر الميلادى .

القرن السادس عشر :

والواقع أنه يجب أن ننظر الى عمليات القرن السادس عشر من زاوية أخرى ، لان عوامل جديدة قد دخلت الميدان يمكن اجمالها فيما يلى :

١ ـ بدأت سيادة العثمانيين تطل على العالم الاسلامى .

٢ ـ بدأت قوة البرتغال الجوية والبرية تصل الى بحر العرب ، والى ضفاف الهند فى قلب المحيط الهندى .

٣ ـ كانت السلطنات الاسلامية حول الحبشة قد بدأت تنقسم ، وكان كل من السلاطين يعمل بمفرده ضد الحبشة ، دون تنسيق الجهود الى الاقل للاحتفاظ بالوضع القائم حتى تنتهى الغمة ، بدخول البرتغاليين

المعركة ضد هذا الركن من العالم .

٤ ـ استقرار البرتغاليين فى الارض وتزاوجهم بالاحباش ، ووصول أساقفة من الجزويت لتحويل الاحباش للكثلكة ، الامر الذى كاد يسبب تفكك الوحدة الكنسية التى عمل لها الكثيرون من ملوك الحبشة عدة قرون .

وقد استمر هذا العامل الاخير حتى جاء فاسيلاداس واتفق مع المسلمين للدفاع عن الحبشة ضد النفوذ الغربى للبرتغاليين على نقيض السياسة القديمة ، سياسة السيطرة على موانيء البحر الاحمر ، لتأمينها ضد اعتداء المسلمين (ص١٠٠ـ١٠١) .

ويكتب الرحالة بونسيه طويلاً فى وصف الحال فى هذا العصر ، كما يكتب عن اتصالات فاسيلاداس بإمام اليمن ووصول عالم مسلم الى الحبشة ، ويكتب بروث الذى زار البلاد سنة ١٧٠٠ ، يكتب مؤكدا هذه الاتصالات ويقول : أن عدد المسلمين فى جوندار ٣٠٠٠ مسلم .

ويبدو أن هذه الاتصالات قد أثارت يوحنا الاول ابن فاسيلاداس ، وليوحنا فى المطولات دراسة لا محل لها هنا فى هذه الصفحات ، تكشف عن تحامله على المسلمين على نقيض سياسة أبيه .

وقد عقد يوحنا مجلسا مسيحيا فى جوندار لبحث أحسن السبل للقضاء على هذا الاضطراب الدينى(!) وفى سنة ١٦٦٨ أصدر يوحنا أمرا بموافقة المجلس بضرورة اخراج الفرنجة من نسل البرتغاليين من البلاد أو تحويلهم الى الكنيسة الوطنية، كما حرم المجلس سكنى المسلمين فى مساكن تجاور مساكن المسيحيين فى جوندار ، ولهذا تحول المسلمون الى سكنى المنطقة التى بناها لهم اسماعيل المتوكل امام صنعاء سنة ١٦٤٨ ، على ضفاف جوندار ، **وقد قصد يوحنا** منع انتشار الاسلام فى قلب عاصمة

المملكة المسيحية بالتبشير ، ويبدو أن القانون لم يكن مؤثرا لانه جدد اصداره ثانية سنة ١٦٧٨ .

وفى سنة ١٧٣٥ حدث الاصطدام بين الاحباش والفنج ، واصابت الاحباش هزيمة منكرة تجاه سنار ، وكان للهزيمة أثرها ، مما مكن من تقدم الاسلام فى عصر (الاقليمية) عصر الاقطاعات من فجر القرن الثامن عشر حتى بداية عصر الوحدة سنة ١٨٥٥ بحكم كاسا الذى غير اسمه الى تيودور ، التماسا لاثبات صحة حديث قديم : بأن ملكا يحمل اسم تيودور يحطم الاسلام ، ويستعيد بيت المقدس (ص ١١٧) ، على أن التقدم كان له طابع جديد هو طابع انتشار الدين فى قلب بلاد المسيحية نفسها دون ما اهتمام بكسب الارض أو القضاء على حكم مسيحى . ويقول الرحالة الذين كتبوا عن هذا العصر : ان سبب نجاح الاسلام فى المناطق المسيحية انما يرجع الى السيادة المعنوية ، وان كان من المشكوك فيه أن يكون هذا العامل مؤثرا فى مثل هؤلاء الناس ، يقول روبيل فى كتابه بالالمانية

طبع فرانكفورت سنة ١٨٤٨ : ان المسلمين كانوا أكثر نشاطا من المسيحيين ، وكان أغلب أطفال المسلمين يجيدون القراءة والكتابة على النقيض من أطفال المسيحيين الذين لا ينالون نصيبا من التعليم ، الا اذا وجهوا الى العمل فى الكنيسة ، والى أنه عند الاحتياج الى من يتولى عملا هاما رئيسيا فى البلاد ، كان الاختيار يقع دون أى تردد على مسلم (ص ١١٣) .

وتبدأ مرحلة من مراحل الصراع لا علاقة لها بالدين ، لانها ترتبط بالسياسة والحرب والاستعمار ، وتصل الى الحبشة حملة انجليزية بقيادة الادميرال ناجيير ١٨٦٧ ، وتبدأ حرب أخرى بين مصر والحبشة ، ثم حرب بين حكومة الامام المهدى وخلفائه ، وهنا يبدأ الايطاليون تسربهم فى داخل أفريقية من شمال المنطقة ، ويبدأ الانجليز والفرنسيون حركة مماثلة من الشرق ، وهنا ينسى تريمنجهام تعليقه الاول على القتال بين العرب والحبش ، لانه ينظر الى عمليات دول الغرب على أنها كانت لاعتبارات استراتيجية ، وهى اعتبارات عندى أنها كانت الدافع الاول منذ بدأ استيطان جماعات من حمر للمنطقة الساحلية ، وأن الدين كان وسيلة من وسائل البقاء والاستيطان

محمد عبد الفتاح ابراهيم
عميد أركان الحرب

the rising tide of National liberation in other parts of the continent have flung the peoples' leaders in jail. In places like Rhodesia and Nyasaland they have also banned the African Congresses.

These however are actions of desperate men. There is a proverb in my country which says that «a beast gives one final kick when it dies.»

Even when there were dark clouds on horizon, the people in South Africa continued to struggle and draw inspiration from their victorious brothers in other parts of Africa, in particular the anti-imperialist stand of the United Arab Republic under the leadership of President Nasser as well as the stand of Ghana, under Prime Minister Nkrumah. Today the sun of the struggling people of Africa has risen whilst that of the imperialists is setting.

Permit me Mr. Chairman to convey fraternal greetings on behalf of the oppressed people of South Africa on this great day.

Long live the struggle for National Liberation and Freedom in Africa!

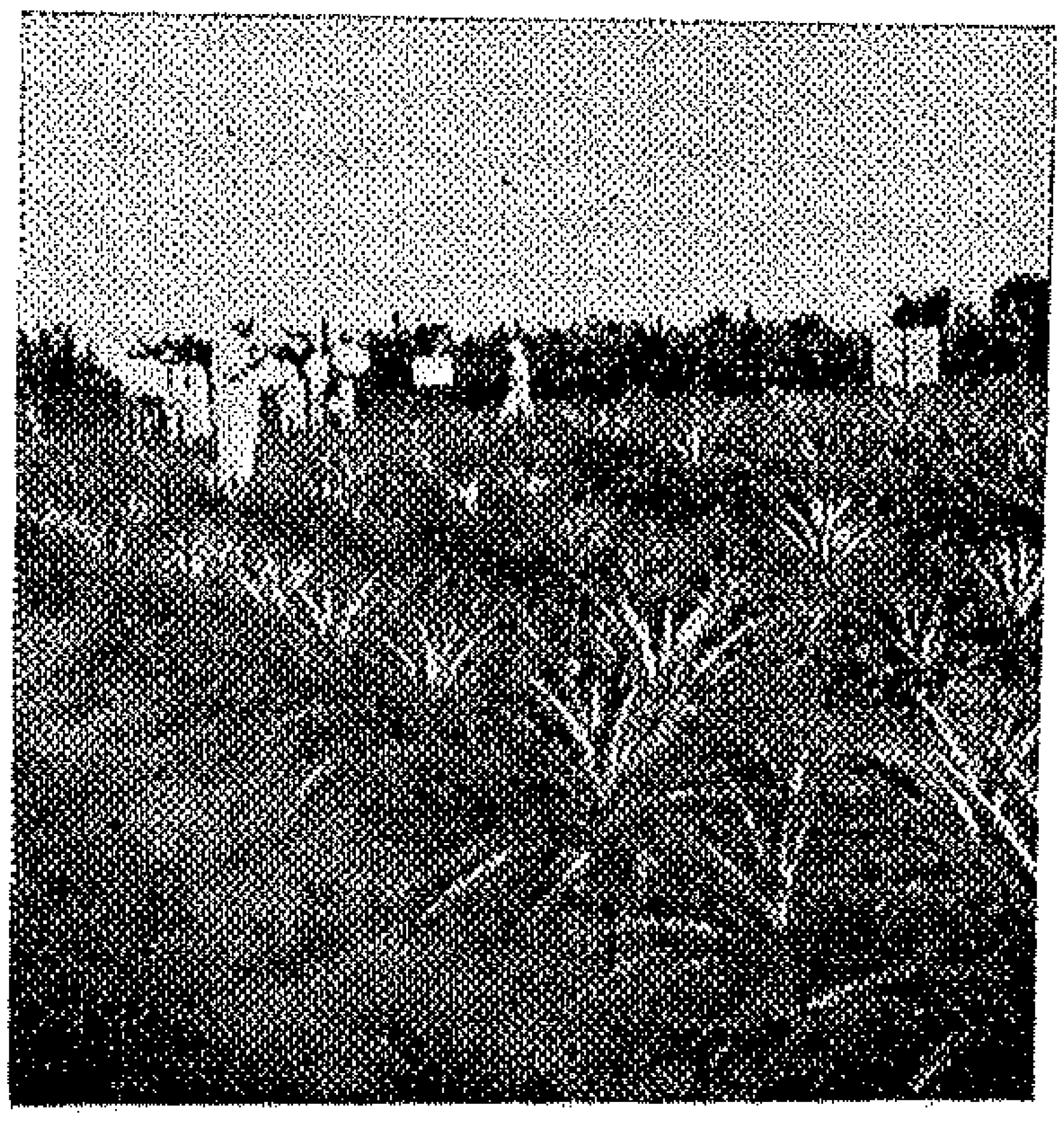

زراعة الاناناس

Kiafrika katika Accra, waka zungumza na kuzingatia vizuri mambo ya kuwaletea uhuru wa nchi zao na kuipinga istiimanri. Mkutano huu wa Accra na vile walivyoshikana mkono mmoja dola za Afrika na zilivyovinjari kuipinga istiimari, na zinavyo kabili mambo ya Ulimwengu huu wa sasa katika kupunguza machukizi baina ya madola na kupunguza hamu zao za kuunda na kujizatiti kwa silaha za kuangamizana na kuweka kiwango cha silaha, ni faida kubwa iliopatikana na masiki lizano ya Mkutano wa Bandung.

Speech delivered on the Occasion of African Freedom Day, April 15, 1959.

One of the arch-British Imperialists, Cecil Rhodes who lived in South Africa and gave his name to Rhodesia after conquering and plundering that country, had big ambitions. His ambition was to hoist the British flag all the way from Cape Town to Cairo, thus completing the enslavement of the continent right along the length of its body.

However Cecil Rhodes died before these insidious plans were accomplished. And indeed imperialism which he and others championed is breathing its last breath in Africa.

It is therefore clear that the noble task of uniting the continent will fall on the people of Africa themselves. The day is near when we shall pave a real road of brotherhood from Cairo to Cape Town, also from Asmara to Accra, and from Morocco to the Congo.

We are celebrating today « Africa Freedom Day, » at a time of an unprecedent upsurge of National independence and freedom movements in Africa. The past few months since the historic All African People's Conference have already witnessed angry independence demonstrations in many African territories in Nyasaland, Congo, Uganda etc.

The situation in Africa is characterised by the upsurge of the peoples enthusiasm of determination on the one hand, and on the other, hand by the declining fortunes of the imperialists.

We in South Africa, although constituting the majority of the population are deprived of our birth rights by a minority of white settlers. They have subjected the people to the most brutal and tyrannical race oppression, un paralled in the world today.

The white settlers in Southern Africa frightened by

warabu zaidi ya nusu milioni. Silaha na zana za ukatili za Kimerekani zinamiminika mfululizo upande wa Magharibi wa Iriyan (New Guinea) pande za Mashariki ya Mbali ulipo jiweka kwa nguvu utawala wa kigeni wa kiholandi.

Hao wanaojitawalisha juu ya watu kwa nguvu napasina haki yoyote walijaribu lakini hawa kuweza kuvunja umoja wa madola ya Asia na Afrika, kwa kila njia na vitimbi, kwa kutisha dola hizo au kwa kuzilazimisha kwa nguvu na kitisho ikiwa kila dola inamachukizi juu ya mwenziwe na kuiona adui dola nyingine, ili zipate kuingia ile mikataba yao ya uadui, kama mkataba wa Bghadad (Baghdad Pact) na wa Kusini ya Mashariki ya Asia (SEATO). Na ule uadui wa kijinga waliosharikiana pamoja dola tatu, Faransa, waingereza na Israel (Majahudi) katika mwaka 1956, ulikuwa ni mwanzo wa uadui kutendewa watu wa Misri na hao waliokuwa wakiwatawala watu Misri na wakawatoa. Kabla kukauka damu ya mashahidi wa Kenya na Kusini ya Yaman waliouawa bure na waistiimari, kwa kuupigania uhuru wao, waistiimari wanaendelea tu kutisha dola za Kiasia na Kiafrika, ili kuzuia kule kuporomoka hio istiimari huko Kenya na kuvunja nyoyo na hima za watu walivyo vinjari kutetea na kupigania uhuru baada ya Mkutano wa Bankuzingatia kwao, hivyo vitimbi vyao havikuongoka. Hawakusita kwa haya wala kwa ulivyoshindwa uadui wao juu ya Misri, wanaendelea tu bado na ubaya na kuwapiga vita wale wanaotaka kujigomboa na dung. Lakini kwa uovu wa utumwa wa utawala wa kigeni. Uovu na vita hivyo havina mfano wake katika ukatili na dhulma na ubaya wanaofanyiwa binadamu. Wafaransa wamekiteketeza kwa mizinga kijiji cha Sidi Yusuf Tunisia pamoja na watu wake wnyonge wasio taka ugomvi. Haya hayakuwatosha waistiimari, bali wanayaingilia mambo ya ndani ya nchi za Indonesia yasio wahusu ndewe wala sikio. Tena hivi kar buni ule utajiri wa kiamerikani unaotaka ukusanye peke yake faida za biashara umetaka kupyaingilia mambo ya ndani ya nchi za waarabu na kuzitia utum wani nchi hizo kwa hila za ile misa da yao walio ita jina hili : «Mipango ya Eisenhower-Dallus » na kwa zile sifa nzuri nzuri za kutegea watu waikubali mipango hiyo; lakini wapi, yote hayo hayakufaa. Watu wa Mashariki ya Kati na ya Mbali wamekwisha amka hawakudanganyika tena na mipango hiyo, bali wameichukia kikweli Kweli, kwa vile ilivyokuwa ni chambo cha kuwategea.

Mwaka jana siku ya 15 April walikutana wajumbe wa dola za

kuishi pamoja kwa salama na amani, ingawa kila dola ina siasa yake, na hali maalumu za maisha, huko ndiko kunakokwitwa kusikilizana na kuishi kwa salama na amani baina ya madola yote.

Nia nzuri, umoja na masikilizano yaliotokea katika Mkutano ya Bandung juu ya fikra za kuishi kwa salama baina ya madola yote, yalitia nguvu sana zile dola za Asia na Afrika na zilisaidia vile vile kupunguza nguvu upinzani na chuki baina ya madola. Faida kubwa ilio tokea katika Mkutano kwa dola za Asia na Afrika katika kupigania uhuru wao, na kwa vile walivyo zindukana na kudai uhuru wao wananchi wa Tunisia, Algeria, Morocco, Ghana na Sudan.

Kwa muda huu wa miaka mine tangu Mkutano wa Bandung, wameweza milioni arubaini za wanachi wanaokaa katika nchi za eneo la kilometa milioni tatu muraba kujifungua na minyororo ya utumwa na maoneo ya utawala wa kigeni, wakajihukumu wenywe na kufanikiwa na kustarehe na uhuru. Si hayatu, bali huu Mkutano wa Bandung umeweza kuzidisha heshima na kusikilizwa wale wajumbe wa dola za Asia na Afrika katika Mkutano wa Umoja wa Madola, na nguvu za wajumbe hao zinaendelea kuzidi kila mwaka.

Ulipoanza Mkutano wa Bandung, dola kumi na saba tu za Asia na Afrika zilizokuwa katika mikutano ya dola za Ulimwengu, leo zimo dola ishirini na tisa za Asia na Afrika katika mikutano hiyo. Tangu dola hizi kupata uhuru wao zimezidisha sana pato na mali ya nchi zao, baadhi ya dola hizo zimeweza kuendeshe wenyewe zile kazi zinazoleta faida, ikawa hiyo faida inawafaa wenyewe wananchi, na Serekali yao wananchi vile vile ikastawi kwa vile wananchi walivyotia mikononi mwao zile kazi za kuzidisha pato la nchi zao, kama zinavyoendelea mbele na kustawi nchi hizi : India, United Arab Republic (Umoja wa Jamhuria ya Warabu), Burma na Indonesia.

Lakini istiimari inatuonesha kuwa haikubali kufuata watakayo wananchi katika nchi yoyote ile iliopo, ingawa wamevinjari vilivyo wananchi kuutaka uhuru wao. Hivi tunaona baada ya miaka mine tangu Mkutano wa Bandung namna ya watu walivyochaga kupigania uhuru wao, na namna walivyopania hao wanaowatawala watu kwa nguvu kuwanyima haki zao na uhuru wao, na vile vibaraka vyao vinaojipendeal nafsi zao kwa kuwadhili wananchi wenzao. Haya yote yanaendelea bado, na kila namna ya chuki inaendelea huko Kenya, na Kusini ya Bara Arabu, ambako istiimari imeteketeza

MIAKA MINE TANGU MKUTANO WA BANDUNG

Leo limezindukana Kontineti la Asia lote baada ya usingizi mrefu ulioendelea nusu ya karne; leo ulimwengu wote unaona vitimbi vya mpango uliokwisha zake wa utawala wa kigeni (Istimari); na leo ni siku ya mpampazuko wa dola za Afrika na Asia zinazojitawala wenyewe. Utawala wa kigeni (Istimari) haukuleta kheri yoyote juu ya madola haya, ila unafanya vituko na kuendelea navyo vituko nivyo ili vizuwie na kuakhirisha mporomoko wa utawala wa kigeni. Huu utawala wa kigeni ndio uliovunja maendeleo na kupinga njia za pato za kuzidisha mali ya nchi hizi za Mashariki. Lakini wapi vituko hivyo havifai tena, kila mwaka watu wanaona kwa macho yao namna ya watu walivyoamka na kuvinjari kuipinga ile mipango wa utawala wa kigeni inayozuia maendeleo yao.

Huu Mkutano wa Bandung, uliokuwa siku ya 18 April, 1955, ni uwongozi mkubwa wa njia za uhuru, ambao wameukubali watu wote wa Asia na Afrika. Siku hii walikutana wakubwa na mawaziri walio na madaraka ya mambo ya nje ya dola ishirini na tisa za Asia na Afrika, ili kutoa rai zao na kuyazingatia na kuyafikiri yale mambo waliosharikiana nayo wote na yaliowalazimu kusaidiana pamoja ili waitunze salama na wawe wote mkono mmoja kuipinga istiimari kwa namna na sura zake zote. Basi katika hayo walio kutania na kuyazingatia pamoja hao wakuu na mawaziri wa dola hizi yalikuwa ni kuonesha wazi wazi pasino kificho, vitimbi, nia mbaya, na mizungu ya utawala wa kigeni. Baadae wakawafikiana wote pamoja kuyatangaza yale mambo muhimu waliokubaliana kuyafanya ambayo yatawazidisha nguvu na faida baina ya dola za Asia na Afrika zote, katika mambo ya siasa, utamaduni na elimu, na ya njia za kuzidisha pato la dola hizo Wakalitaka vile vile lile Baraza la Amani likubali uwanachama wa dola za Afrika na Asia katika Umoja wa Madola. Hao wakuu na mawaziri waliokuta na Bandung walionesha wazi wazi machukizi yao makubwa juu ya silaha za kuteketeza na kuangamiza miji na watu kama mabomu ya atomi na haidrojini na kadhalika; na vile vile walionesha namna ya uchukizi wao mkubwa juu ya madola yanayo jizatiti na silaha kama hizi.

Na katika mambo waliokubaliana vile vile ni hamu yao kubwa kutaka salama itapakae ulimwengu mzima na madola yote yasaidiane pamoja kwa

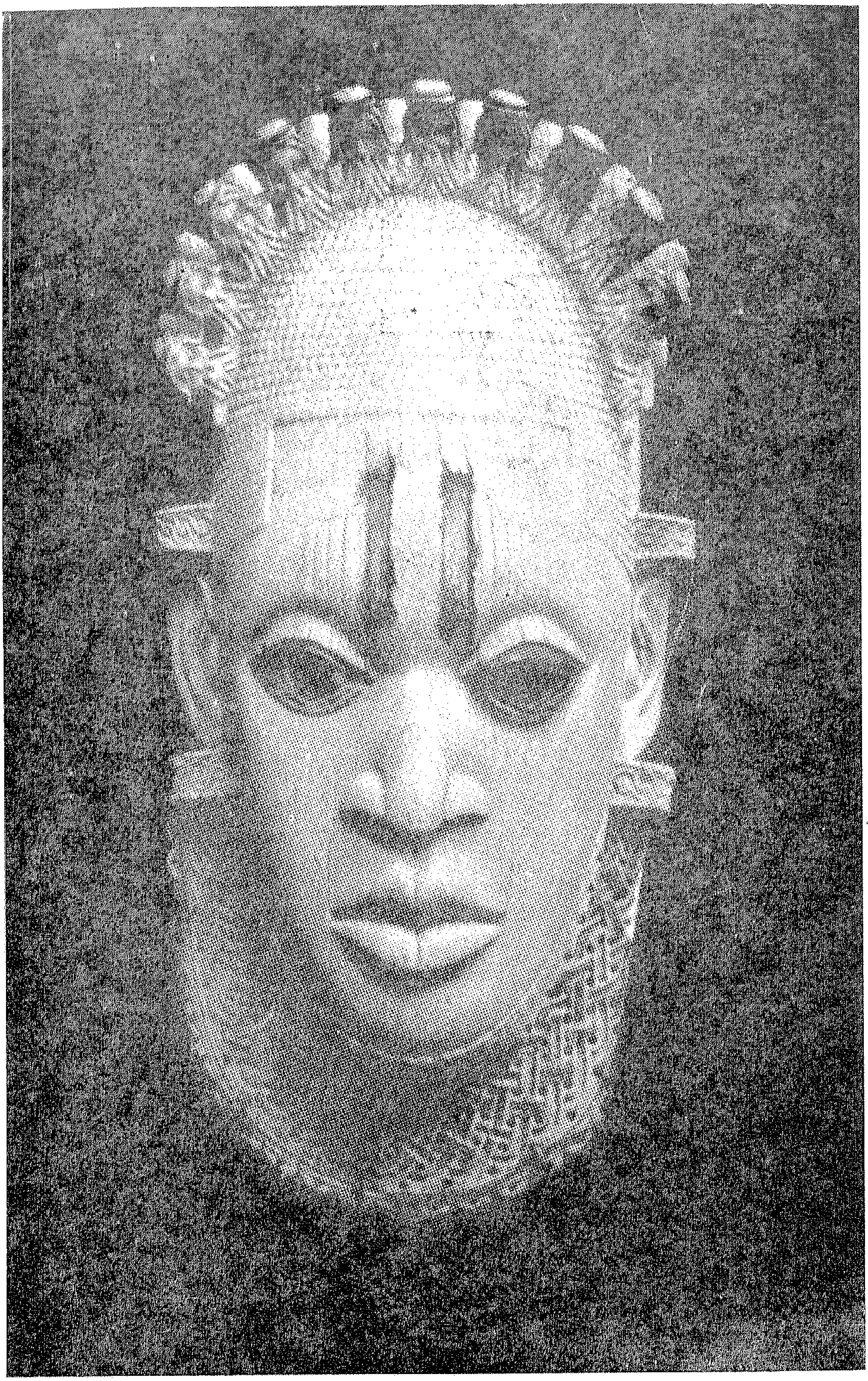

من روائع الفن الافريقى

2nd Year

No. 19 June 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- A NEW CONSPIRACY IN THE HEART OF AFRICA
- WEST AFRICAN COUNTRIES SCIENTIFIC CONFERENCE
- ISLAM IN ETHIOPIA
- FOLKLORE IN GHANA
- AFRICAN POETRY

السنة الثانية

العدد ٣٠ ـ يوليو ١٩٥٩

نهضة افريقية

في هذا العدد

- افريقية فى خطبة الرئيس
- الاسلام فى الحبشة
- دور الزنوج فى المسرح الامريكى
- الايقاع الافريقى
- نقد الكتب

الثمن ٣ قروش

من روائع التماثيل الافريقية

نهضة أفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل أفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ـ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى
دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

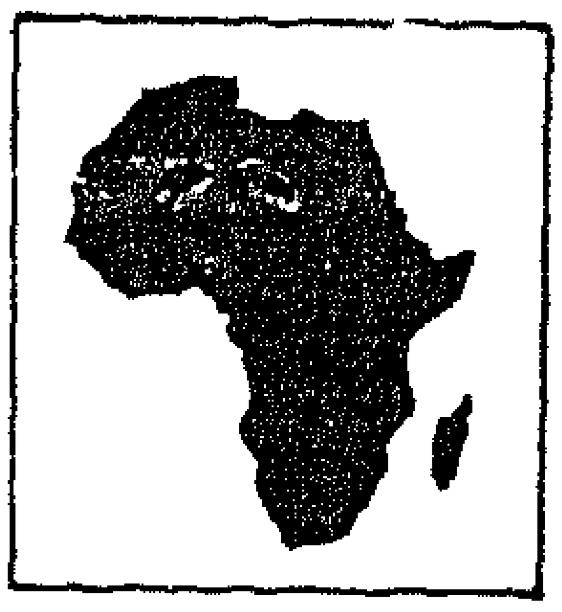

نهضة أفريقية
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز إسحق

فكرة ..

(١)

حولت مجلة ((نهضة افريقيـة)) الدراسة الافريقية الى دراسات جادة منهجية . حتى لقد أصبحت مرجعا وبهذا غطت منطقة فراغ ثقافى بأمانة .. وكم كان يسر أسرة تحرير المجلة حينما ترى ثمار ما تكتب عمقا ،وفهما فى انتاج كل من يتعرض لهذا اللون من الدراسة ، ولكنها رأت أخيرا بعض الكتاب ينقل عنها نقلا يخـل بالأمانة العلمية ،ولقد كان آخر أنباء هذا النقل ما جاء فى كتاب ((أوغندا فى طريقها الى الاستقلال .. لأحمد صوار)) فقد نقل مقالا بنصه من العدد (١٨) للدكتور عبد العزيز كامل .

وكم كنا نود ألا يسىء الى المطبعة كما أساء الى الأمانة العلمية . فقد نقـل حتى الأخطاء المطبعية ! ! .

(٢)

حرص بعض رسامى ((الكاريكاتير)) وخاصة الأستاذ ((صاروخان)) على أن يقدموا لنا ((قدرا كبيرا)) داخله رجل أبيض ((يغـلى)) ومن حـوله بعض الأفريقين يتغزلون فى القيمة الغذائية لهذا اللحم .

وهذا الى جانب اساءته لاخوان لنا يتنافى مع أبسط الحقائق العلميـة . فالمعروف أن البيض هم الذين وضعوا فى الماضى كل القارة الافريقية فى قدر كبير .

حبذا لو قلب الرسامون الفكرة ، وأطلعونا على الواقع الحقيقى للقـارة الافريقية فى صدق وأمانة .

((عبده بدوى))

محتويات العـدد

افريقية فى خطبة الرئيس :
للأستاذ : محمد عبد العزيز اسحق ٣

أزمة فى أوغندة :
للسيد جون كاليه ٨

المتحضرون الزائفون : ١٣

القهوة بين آسيا وافريقية :
للأستاذ : محمد محمود زيتون ١٥

نقد الكتب :
للأستاذ : عبده بدوى ١٩

الايقاع الافريقى :
للأستاذ سليمان جميل ٢٩

الافريقى فى انجلترا :
للأستاذ : عزيز مترى عبد الملك ٣١

ليبيريا : ٣٤

أساطير من الكمرون :
للأستاذ بهجت ابراهيم دسوقى ٣٧

الأقنعة فى افريقية : ٣٩

دور الزنوج فى المسرح الأمريكى :
للأستاذ : عبد الواحد ابراهيم ٤٣

كلمات وصور : ٥٢

جولة حول القارة الافريقية ٥٩

الاسلام فى الحبشة (٢)
للعميد (أ.ح) عبد الفتاح ابراهيم ٦٦

أفريقية فى خطبة الرئيس

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

فى الأسـابيع القليلة التى سبقت ٢٣ يوليو ، وهو يوم الثورة المصرية التي أطاحت بنظـام رجعى فاسد ، ومهدت السبيل الى انطلاقة التحرر والقوة والتقدم أمام الشعب المصرى ، ثم أمام شعوب الدول العربية المتحدة ، ثم أمام الشـعوب المسـتضعفة فى افريقية على وجه الخصوص . **فى تلك الأسـابيع القليلة شهدت القـاهرة سلسـلة من الانتفاضات الافريقيـة الرائعـة على هيئـة تلك الاحتفالات والمهرجانات التى أقيمت تأييـدا لقضايا أوغندا وكينيا واقليم تشاد ، ثم مؤازرة لأقاليم عربية تواجه افريقية وتربطها بها منذ فجر التاريخ أوثق الصـلات ، ألا وهى أقاليم الجنوب العربى .**

وحينما أشرق يوم الثورة ، وألقى رئيس الجمهورية العربيـة المتحدة خطابه الجامع على مئـات الآلاف من السـامعين ، المتلهفـين ، المتلئين حيوية المتأججين حماسـا ، بدت من الرئيس ومضـات افريقية أصيلة ، أعادت الى الاذهان ما خطته يراعته فى ((**فلسفة الثورة**)) من تصوير مركز عميق لوضـع الجمهورية العربيـة المتحدة كدولة واعية بوضعها المادى والمعنوى والتاريخى فى هذه القارة العظيمة ، وأعلن فى صراحته النفاذة خطل الأوضاع التى أدت الى تحكم ٤ مليون أوربى فى ٢٠٠ مليون افريقى

وهذه الحقيقة وحدها تمثل أخطر المشكلات فى مستقبل القارة الافريقية وحولها تدور المعركة الفاصلة الكبرى بين قوى التحرر ، وقوى الاستعمار .

فمن المعلوم أن الاستعمار يتراجع

يوما بعد يوم ، تحت ضغط الوطنية العارمة فى الشرق والغرب والوسط والجنوب ، وأنه ، أى الاستعمار كثيرا ما يسلم ازاء ذلك الضغط بالحقوق السياسية ، مكتفيا ببعض المزايا الاقتصادية ، وفى أحيان أخرى يظهر الخديعة والنفاق والمغالطة . فيعرض ما يسميه « اصلاحات » دستورية أو اجتماعية أو صحية ، ويزعم أنه يمد يد التعاون الى أهالى البلاد المحكومة الى أن تنهض بلادهم على أقدامها .

ومن البلاد بلاد بلغ بها الوعى القومى حد كشف الزيف والمغالطة ، فنراها تصر على أن تنال حقوقها كاملة غير منقوصة ، وتوالى الكفاح الى أن تجبر الاستعمار على أن « يحمل عصاه على كاهله ، ويرحل ! » على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر ، ومنها بلاد يؤثر زعماؤها التدرج والمسالمة ، على نحو ما فعل الزعماء الذين قبلوا « دستور ديجول » وارتضوا ، مؤقتا ، أن تكون بلادهم « جمهوريات » داخل نطاق **« المجتمع الفرنسى »** بالرغم مما تصرخ به شعوبهم من طلب الاستقلال الكامل « فورا » ولكن المشاهد ، بوجه عام أن الاستعمار اما أن يندحر أو يتقهقر فى بطء ، فى جميع أنحاء القارة ، ما عدا أجزاء معينة ، نراه يقاتل فيها قتال المستميت ، ولا يتراجع الا على الدماء والاشلاء . وهذه الاجزاء هى التى ركز عليها الرئيس الاضواء فى خطبته الجامعة ، حينما أشار الى المتوطنين البيض الذين لايزيد عددهم عن ٤ ملايين .

فقد تراجعت فرنسا ، سياسيا ، فى جميع أنحاء امبراطوريتها ، ولكنها تكابر وتعاند وتقاتل فى الجزائر ، وتأبى أن تعترف لهذا القطر الافريقى العربى بأى حق فى الحاضر ، أو المستقبل فى أن يقرر مصيره بنفسه .

انها تأبى ذلك فى الوقت الذى تعترف فيه ، فى « دستور ديجول » بحق السنغال وساحل العاج وداهومى وجميع مستعمراتها الافريقية فى الانضمام أو الانفصال عن فرنسا .

فما الذى جعلها تكيل للجزائر بغير ما تكيل للسنغال وأخواته الافريقيات ... ؟

انهم المستوطنون الاوربيون الذين أنشبوا مخالبهم فى مقدرات الجزائر وخيراتها ، والذين اغتصبوا ، على مر السنين كافة الحقوق الدستورية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتركوا ، وهم لا يبلغون المليونين » عدا عشرة ملايين من الجزائريين ، فى حضيض الفاقة ، والجهل والاضطهاد والاستغلال ، ووجدوا من فرنسا وأساطيلها وجيوشها خير أداة لاغتصاب الحقوق والتنكيل بأصحاب البلاد الاصليين .

ومن سخرية القدر أن نعلم أن

أكثر هؤلاء المتوطنين الذين يوصفون بأنهم « فرنسيون » ليسوا فى الاصل « فرنسيين » وانما هم خليط من حثالة الافرنج ، بعضهم فرنسى والباقى جاء ، بتشجيع فرنسا من جزر البحر الابيض المتناثرة ، من مالطة وكورسيكا وصقلية ، ومن اسبانيا والبرتغال ، وعدد كبير من يهود المغرب الاقصى الذين اتخذوا من التجنس بالجنسية الفرنسية « سلاحا أبيض » يغمدونه فى صدر الشعب الجزائرى ، ويقتطعون أراضيه الخصبة ، وروابيه اليانعة ، المليئة بالخيرات ...

ولهذا فقد اضطر الشعب الجزائرى منذ وطئت أرضه أقدام الغزاة ، وبدا أنهم جاءوا ((ليتوطنوا)) الى القيام بالثورات الدموية التى استمرت أحداها ، وهى ثورة الزعيم عبد القادر نحو ستة عشر عاما ، واضطر الشعب أخيرا الى هذه الثورة المجيدة التى اشتعل أوارها منذ خمس سنوات ، والتى وقف فيها بقوة ايمانه وأسلحته المحدودة أمام الجيوش الجرارة ، لفرنسا ومستعمراتها ، والأسلحة الجبارة لحلف الاطلنطى ...

وأصبح من الواضح حتى الآن ، أن فرنسا ، لن تسلم بحقوق الجزائر الا راكعة مهزومة ، فى حين سلمت ، ساخطة ، باستقلال غينيا ، بل أظهرت بعد السخط ، شيئا من الملاينة ، وأخذت تمد غينيا بالمعونة الفنية والاقتصادية والادارية ..

وإننا لنجد مثيلا لهذه الحالة ، حالة ((التوطن الاوروبى على أرض القارة الافريقية ، لدى الاستعمار البريطانى فى شرق أفريقية ولدى ما يسمى ((باتحاد وسط أفريقية)) ...

فعلى الرغم من تشبث الانجليز بنفوذهم المزعزع فى أوغندا وتنجانيقا فانهم يتراجعون يوما بعد يوم أمام المد الوطنى المتزايد ، وقد أصبحوا ، وخصوصا فى أوغندا ، على وشك التسليم بأوفر قدر من المطالب الوطنية وهم هنالك ((يحفرون الخنادق)) تمهيدا للانسحاب المنظم ، وسترا لهيبة الامبراطورية ...

أما فى القطر المجاور ، وهو كينيا فالامر يسير فى اتجاه مضاد ...

انهم يؤيدون فى كينيا ، ويعززون موقف ((المتوطنين)) الذين لا يزيد عددهم عن ٦٠ ألفا فى مواجهة نحو ثمانية ملايين من الكينيين الافريقيين .

يعززون قضية واضحا بطلانها ، ويرجحون كفة النهب والاغتصاب ومحاولات ابادة الجنس ، ويخرقون حقوق الانسان ، ويطردون الملايين من أراضيهم الخصبة ، ويحشدونهم حشد الانعام وراء الاسلاك الشائكة ، لكى يتمتع آل ٦٠ ألف أوروبى ((ومنهم أيضا كثير من اليهود)) بالمغانم المسلوبة ، والثمرات المنهوبة فى حراسة الاستعمار البريطانى ...

وهذه المشكلة ، مشكلة الاستيطان

الاوروبى فى كينيا ، هى التى أدت الى الثورة الدامية التى سماها الانجليز ((**ماو ماو**)) ولئن كانت المشكلة لم تحل ، وظهرت بعدها فى كينيا تيارات قومية ، مسالمة تؤمن بالتفاوض والتفاهم مع الاستعمار ، الا أن الاستعمار ما يزال خائفا يترقب ، ومن أمامه المستوطنون البيض ... ما يزال خائفا يترقب من الزعيم العظيم الأعزل ((**جومو كنياتا**)) الذى غادر السجن فى الشهر الماضى وبادر الاستعمار الى القبض عليه من جديد ، وأودعه معسكرا للاعتقال على تخوم صحراء الشمال بين كينيا والصومال

ومن الواضح ، هنا أيضا ، أن وسائل ((الضغط السلمى)) التى أفلحت فى جلاء البريطانيين عن كثير من مستعمراتهم فى غرب أفريقية لن تفلح فى اقناعهم بترك كينيا لاصحابها . والسبب الجلى ، هو وجود هؤلاء السادة الافاضل من المستوطنين البيض ..

واذا تركنا هذه المنطقة الى ما يتاخمها جنوبا ، وجدنا داء ((التوطن الابيض)) يتسرب الى ((اتحاد وسط أفريقية)) الذى جمعت فيه بريطانيا بين روديسيا الشمالية ، وروديسيا الجنوبية ونياسالاند ، على الرغم منهم جميعا ، فى قيد واحد ...

ولقد كانت بريطانيا ، وما تزال تهدف من وراء ذلك الى تجميع جهود المتوطنين وتركيزها بحيث يتحكمون فى السلطة المركزية لتلك الاقاليم الغنية الشاسعة ، ويفتحون الباب على مصراعيه للمزيد من المهاجرين الاوروبيين الى أن يأتى اليوم الذى يصبح فيه ذلك الاتحاد دولة أوروبية ((سكسونية)) فى قلب أفريقية ...

ولقد رأى الافريقيون رأى العين اقتران ذلك الخطر الجسيم فى الاراضى الخصبة بروديسيا الجنوبية ، حيث استولى على أكثرها بضعة آلاف من المهاجرين البريطانيين ، وشهدوا بذور المأساة فى مناجم النحاس بروديسيا الشمالية حيث تستقدم الشركات ال ((أنجلو ـ أمريكية)) جميع عمالها ((المهرة)) من الخارج (أى من البيض) وتمنحهم أجورا تقارب رواتب ((الوزراء)) فى بعض بلدان أوروبا ، ولا تأذن للعامل ((الاسود)) الا بأعمال الحفر والتنقيب الشاقة ، وتدفع له أجرا حده الاقصى ستة جنيهات (اذا كان صاحب أسرة وفيرة العدد) ...

وقد ظلت السياسة المرسومة ماضية فى طريقها ، الى أن اقترب موعد الاستفتاء على قيام ذلك الاتحاد المشبوه ، فهب الوطنيون يظهرون سخطهم ، وينظمون صفوفهم للقضاء عليه ، قبل أن يقضى عليهم ، وفقد الحكام البيض صوابهم ، وتخيلوا المتظاهرين أسودا مفترسة ، فأعملوا

فيهـــم القتـــل والتنكيل ، وأبطلوا منظماتهم واعتقلوا زعماءهم ، وأعلنوا اصرارهم على انفاذ المشروع ، مشروع الاتحاد ، رغم أنف الملايين من الوطنيين الافريقيين ...

ولقـــد أوهم المستوطنون العالم الخـــارجى ، واجتهـــدوا أن يوهموا أنفسهم أنهم أخمدوا الزحف الوطنى ، ولكنهم وهم يرون أنهم بقع متنـــاثرة فى خضم أفريقى لا نهائى ، لا يكاد يغمض لهم جفن ، واذا ما راود أحدهم النعـــاس – على حد تعبير مراسل بريطانى – فانما يغفى وبندقيته فى يمينه ...

ومع هذا فانه لا يبدو أن بريطانيا تنوى التراجع فى هذا الميدان بالذات أو تنوى اعادة المستوطنين الى صوابهم واقناعهم بالتزام « **مبدأ المشاركة** » الذى نص عليه دستور الاتحاد ..

أما عن المأســـاة الكبرى التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا والتى تجرى حلقاتها فى اتحاد جنوب أفريقية ، فقد كلت الاقلام ، وجفت المحابر ، واضطربت ازاءها هيئة الامم المتحدة نفسها ولم تجد لها حتى الآن مخرجا .

وما تزال الاقلية الاوروبية التافهة هناك تلزم ملايين الافريقيين بسكنى الاحراش ، والحصول على ما يمسك رمق الجسم ، ولا يغنى شيئا فى غذاء العقل ، وتعتبرهم رجسا لا يجوز له سكنى المدن ، ولا غشيان معابد البيض ، وتمنح صـــاحب العمل الابيض حق اســـتبقاء الاجـــير الاسود رغم أنفه وبالأجر الذى يحـــدده ... وهذا هو الاسترقاق فى أوضح معانيه ..

ولا تبدو ها هنـــا أيضا أية بارقة من الامل فى أن يثوب حـــكام جنوب أفريفيـــة البيض الى الصـــواب أو ما يقارب الصواب ، وانما هم يمعنون كل يوم فى وضع المزيد من قوانين التفرقة العنصرية التى تنافى البشرية والحضارة والتقدم وكرامة الانسان .

هذه ، هى فى الواقع ، نقط الخطر القادم فى سبيل سعى أفريقية ، الى التحـــرر والاســـتقلال ، وهى التى لخصها الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته ، غداة عيد الثورة .

وانه لمن حسن الطـــالع أن يؤكد زعيم أفريقى عظيم سبق له أن وقف مع شعبه ، فأوصد باب القارة الشمالى فى وجه الاستعمار ، أن يؤكد وقوف بلاده الى جانب الشعوب الافريقيـــة المكافحة ، وأن يمد بالفعل يد المؤازرة الى تلك الشـــعوب والى زعمائهـــا المجاهدين ، وأن يعلن استنكاره لهذا الوضع الجـــائر ، وضع المستوطنين الاوروبيين ازاء أصـــحاب البـــلاد الاصليين ، **وأن يبشر أفريقية المكافحة بأن ذلك وضع شـــاذ ، مصـــيره الى الزوال .**

بقلم السيد جون كاليه

أوغنده هى آخر بلد فى قائمة المستعمرات التى تلجأ فيها الحكومة البريطانية الى خلق الموقف السياسى الذى تستخدم فيه وسائل الارهاب والعنف . وسيسجل التاريخ على حكومة المحافظين القائمة فى الحكم هذا العار الذى جللت به جباه البريطانيين

ويبدو أن الحكومة البريطانية جد حريصة على أن تقيم مجزرتين فى وقت واحد ، حتى أن « الجمعية البريطانية لمقاومة أعداء الحرية » قد أوصت لينوكس بويد — وزير المستعمرات — بأن يبعث بجنود الامبراطورية الى حيث يكون الاستعمار فى خطر ، أو تكون الحرية على عتبة البلاد .

« لقد ضاعت قبرص » .. هكذا صاحت هذه الجمعية ، « ولكنه بالرغم من كل ذلك . فان كلا من اليونان وتركيا أعضاء فى حلف شمال الأطلنطى . ولابد أن نضع ذلك موضعه من الاعتبار » . ولذلك فان الجمعية حفظا منها للسيد لينوكس بويد أخذت تمده بتأييدها .

ان الأحكام العرفية حين رفعت فى قبرص انما كانت محاولة « لملء الفراغ » — على حد التعبير الاستعمارى — وفى الحال أعلنت الأحكام العرفية فى نياسالاند وروديسيا الجنوبية . والسبب المعروف دائما هو : ان الشعب قد طالب بحريته ، ومن هنا ينشأ التناقض . فان الحرية التى تقررت حلا لمشكلة شعب قبرص حرم منها الشعب الأفريقى فى نياسالاند والروديسيات فخلقت نفس المشكلة فى وسط أفريقية .

وفى **كينيا** — كان فى اعلان الأحكام العرفية حرمانا للشعوب الافريقية — اذ أن كل المستعمرات البريطانية قد تأثرت بها — وذلك فى خلال السنوات السبع الأخيرة .

وها نحن نرى الأحكام العرفية تزحف متلصصة الى أوغندة ونياسالاند . ففى هذه البلاد لا يجد الاستعمار لنفسه مستقرا أو مقاما ، وفى هذه البلاد يمكننا أن نرى صورة ضئيلة للاتفاق العنصرى ، أو أننا على الأقل لا نصطدم بحالة تعصب البيض ضد من ليسوا بيضا .

وقد وقفت هذه البلاد دائما حاجزا بين بريطانيا المستعمرة وبين حكومات المستوطنين الدهماء المتحجرين ، كما يتمثل حكمهم فى كينيا وروديسيا الجنوبية . وقد كان الاشتراكيون

والعمال فى الرأى العام البريطانى يعتبرون دائما أن استقلال «المحميات» انما هو دليل على الاتجاه البريطانى الانسانى وأساس قوى للصداقة ، والتعاون بين هذه البلدان وبين «البلد الأم» أى بريطانيا العظمى !! .

ونتيجة لضغط الرأى العام ، ومحاولة الاتفاق الماكرة بين المستوطنين والوطنيين ، نجد هناك ما يبشر بأن الأحكام العرفية فى كينيا سترفع ان عاجلا أو آجلا . وبنفس القاعدة التقليدية نجد أن هذه الأحكام لابد أن تعلن فى بلد آخر ، وكان اليوم هو دور أوغندة ، ولابد من تتابع الحلقات.

الدور على المحميات :

تختلف دساتير المستعمرات البريطانية نظريا ، تبعا لحالة كل بلد على حدة ، ولكنها فى الواقع تقوم جميعا على أساس سياسة استعمارية متشابهة . فالاختلاف مثلا بين المستعمرة والمحمية انما هو الى حد كبير اختلاف تاريخى فى أساليب الاحتلال الاستعمارى .

وبالرغم من وجود الاختلاف الكبير بين « المحميات » نفسها بالنسبة لمرحلة التطور الادارى والاجتماعى والثقافى الذى حصلوه فى فترة الغزو البريطانى فانها جميعا تتسم بسمات تتفق فى عدة أمور :

فشعوب « المحميات » وهى على ثقة من أن بريطانيا على درجة من الشرف تكفى لأن تجعلها ترتبط باتفاقاتها . أى أنهم نظروا دائما الى مستقبلهم كأنما هو فى أيديهم ، وأنه بالتفاهم المتبادل ستنهى بريطانيا « حمايتها » .

وعندما تصبح هذه الشعوب على عتبة الاستقلال تلجأ الى هذا الالتزام نحو الشخصية الافريقية مثل الحال فى أوغندة ونياسالاند .

وقد كان من الأدلة الواضحة عن افتقار بريطانيا الى المسئولية الاخلاقية ، ازاء الاتفاقات المعترف بها أن بريطانيا قد جرت نياسالاند الى اتحاد وسط أفريقية لصالح المستوطنين الأوروبيين كما أعلنت الأحكام العرفية فى هذه « المحمية » منذ مطلع هذا العام ، ومنذ شهرين كررت نفس أخطائها فى « محمية أوغندا » . ان الدور الآن هو دور المحميات . فمن ذا يستطيع بعد الآن أن يثق فى الحكومة البريطانية ، فى مؤامراتها أو تعصبها ضد الشعوب الأفريقية ؟ ! ان هذه الدولة التى أخلت بالعدالة منذ عدة قرون ترتكب أبشع الأعمال الوحشية فى عصرنا الحديث.

وهناك صيحة تميز كل اجتماع يدعو له الاستعماريون أو أعوانهم هو أن « أفريقية قد ضاعت » . نعم لقد ضاعت فى نظر شعوبها . ولكن ماذا بعد ذلك ان هذا الخوف هو الذى يهيج الاستعماريين الى حد الهستيريا. وهذا الرعب نفسه هو الذى يدفعهم

الى ارتكاب أبشع الجرائم التى تلطخ وجه العالم المتحضر لا بالنسبةلشعوب أفريقية فحسب ، بل والرأى العام العالمى كله .

أما وقد فقدت بريطانيا آسيا وها هو غرب أفريقية على الأبواب كما أنه من الواضح أن الاستعمار سيصبح فى ذمة التاريخ ، وأن استقلال افريقية قد أصبح ضرورة تاريخية ، فان الحكومة البريطانية باستخدامها للأحكام العرفية انما تحاول أن تفوق المد الافريقى المنطلق نحو الحرية والكرامة القومية .

وقد فشلت بريطانيا فى خلق « اتحاد شرق أفريقية » (على نمط اتحاد وسط أفريقية) لتربطه مع سلسلة اتحادات المستوطنين التى لا تنتهى ، كما أنها تخشى الآن انحلال اتحاد وسط أفريقية نفسه ، ولذا أعلنت الأحكام العرفية فى أوغندة ونياسالاند لتخلق للمستوطنين الأوربيين جوا مماثلا فى هذه البلاد ، مادامت ليست لهم مطالب معينة تبرر الضغط على هذه الشعوب .

لقد أعلنت الأحكام العرفية لتطلق يد الحاكم العام فى اشاعة الرعب والظلم والفوضى لاطالة عمر حكمهم فى هذه المنطقة .

ومثل هذه الاجراءات السخيفة كاعلان حالة الطوارىء فى أوغنده ونياسالاند عقابا لهم على مطالبتهم بالحرية لا تؤدى الى بقاء الوضع السياسى فى شرق ووسط أفريقية على ما هو عليه فحسب ، حتى يستفيد الاستثمار الاستعمارى البريطانى من هذه البلاد الغنية ، وانما هو كذلك لنشر الأمن لحكومات المستوطنين الأوروبيين فى كينيا والروديسيات وجنوب أفريقية والكنغو ، وكل البلاد التى يهمها أن يوجد بجوار كل منها « غانا » أخرى .

فأوغنده ونياسالاند حين تصبحان بلدين مستقلين لن تستطيعا أن تقبلا أن يكون هناك شعب أفريقى له كرامة انسانية ويكون فى الوقت نفسه مواطنا من الدرجة الثانية داخل بلاده ، فاذا ما أعلنت بريطانيا الأحكام العرفية فى هذه البلاد ، لتتحاشى هذا الوضع ، فانها ولا شك مخطئة تماما .

مؤامرة مخجلة فى أوغنده :

عملت الحكومة البريطانية على عرقلة الكفاح الوطنى فى أوغندة عرقلة تامة منذ عام ١٩٥٣ ، أو العمل على تضييع الوقت فى خلال هذه السنوات الثلاث . وقد عمل حزب المؤتمر الوطنى على اعلان مطالبه مرة بعد أخرى ، منذ عام ١٩٥٢ — ١٩٥٥ وهى فترة المقاومة البطولية التى قادها الحزب الوطنى ، وكانت الحكومة البريطانية تعمل دائما طيلة هذهالفترة على ايجاد سبب لاتهامه أو استفزازه .

وقد كانت مطالب الحزب معقولة

ولها ما يبررها لدرجة أن حكومة « المحمية » لم تواتها الشجاعة على مقاومتها ورفضها ، كما لم تستطع أن تجعل من نفسها مسئولة عن قبولها وتنفيذها . ولذا حاولوا اخلق منافسات بين الأحزاب الوطنية السياسية ومنظمات الحكومة المحلية ، وذلك بقصد تحطيم الوحدة التى تسعى أوغندا الى تكوينها مستقلة وذلك على أسوأ الفروض . اما أحسن الفروض ، فهو خلق فوضى وصراعات داخلية تطيل من حكم بريطانيا للبلاد الى مالانهاية.

وقد كشفت هذه المؤامرات عن وجهها فى عدة أحداث هامة داخل البلاد . فعلى الرغم من أن الحكومة قد اضطرت الى الاستسلام لطلب حزب المؤتمر الوطنى عن الانتخابات المباشرة التى كانت تعرف أنها سيكون لها أثر وطنى هام فى المجلس التشريعى، ولذا فقد قدمتها بيد وسحبتها باليد الأخرى . فبينما مر قانون الانتخابات من المجلس التشريعى راحت الحكومة تتخذ أسوأ الاجراءات ضده ، فطلبت من الحكومات المحلية التى تعتبر منظمات حكومية غير منتخبة أن تعارض الانتخابات فى مناطقها ، وكان نتيجة ذلك نتائج بعيدة الأثر . فقد سلطت التنظيمات القبلية غير الديمقراطية على الانتخابات ، فعملت بمساعدة البريطانيين على اثارة الكثير من وسائل الاستفزاز .

وبينما راحت الحكومة تتظاهر بتوحيد أوغندا من خلال مجلس تشريعى مركزى تتوحد وتتفق فيه كل عناصر الأمة راحت الحكومة فى الوقت نفسه تقبل — ان لم تقبل تشجع — ابعاد منطقة بوغندة الهامة عن هذه الوحدة .

وبينما زعمت أن بوغندة جزء مكمل لأوغندا واعتبرتها اقليما أو منطقة من البلاد اذا بالحكومة البريطانية تعمل على تنمية الحكم الاقليمى فى بوغندة، وتنكر على المناطق الثلاث الأخرى هذا الحق .

وبينما كانت الحكومة البريطانية تؤكد لشعب أوغندا أن بلاده ستتطور الى « دولة أوغنده المستقلة » كوحدة سياسية واحدة ، اذا بالادارة البريطانية نفسها تشجع وتشارك فى مفاوضات أحد أطرافها بعض دوائر أوغندة ، والطرف الآخر هو الحكومة البريطانية بقصد الاحتفاظ بالاستقلال القبلى .

فهل هناك نشاط أكثر اجراما من مثل هذا النشاط الذى تقوم به دولة متحضرة ومحترمة فى العالم مثل انجلترا ؟ اننى أستطيع أن أفهم مبدأ « **فرق تسد** » ولكن كيف يمكن الاستفادة من مبدأ « **فرق واخرج !** » وعلى ضوء القومية الافريقية النامية، هلا تتصور انجلترا أن أوغندا المقسمة يمكنها أن تتحد بعد خروج الاستعمار؟ وفى هذه الحالة ، كيف سيذكر شعب أوغندا الحكم الاستعمارى . وحتى اذا وضعنا الانفصال موضع الفرض فى أوغندا ، على نحو ما ترى بوضوح فى الشرق الأوسط ، فماذا تأمل بريطانيا تحقيقه فى بلادنا ؟ والمد التاريخى يظهر بجلاء أن أى سياسى لابد أنه سيختار اختيارا حكيما بين أى القوى التى يريد الارتباط بها . وواضح فى أوغندا أن الاقطاع والقبلية والداعين الى الانفصالية

قد حددوا مصدر مصالحهم ، وان لم يستعينوا بالاستعمار فسيصبحون فى ذمة التاريخ . أما ما سيقوم به الجيل الصاعد من الوطنيين الافريقيين التقدميين ، فهو ضرب المحافظين والانفصاليين فى أوغندا ضربة قاضية مفاجئة .

وتحاول الحكومة البريطانية فى أوغندة ، وهى فى عنادها التقليدى ازاء مطالب حزب المؤتمر الوطنى ، أن ترتبط مع أى قوة دون النظر الى هدفها ، بقصد العمل على تعطيل استقلال أوغندا بصورة أو بأخرى .

وضرب المؤتمر الوطنى الذى يعمل على الاستقلال المباشر لأوغندا المتحدة انما يكافح ضد استفزازات القبلية والاقليمية . وحزب المؤتمر حين يصطدم بالقوى المحافظة حول استراتيجية الاستقلال الوطنى انما يتبع أقسى الوسائل التى بلغت حد طرد **« موسازى »** (رئيس الحزب السابق) الذى راح يتعلق بأذناب القبلية .

ولم تكتف الحكومة البريطانية باظهار سعادتها من تطور الصراع بين المحافظين الرجعيين وبين الوطنيين — وهى البذرة التى زرعتها بنفسها — وانما ذهبت الى حد أبعد من ذلك وهو التعاون مباشرة مع الرجعيين ، ومن الشواهد المفيدة فى هذا الصدد ، أننا نجد كبار المسئولين فى الحكومة البريطانية مثل المقيم البريطانى فى بوغندة — يحضر اجتماعا لما يعرف الآن « بالحركة الوطنية الأوغندية » كما نشرت الصحف أن المقيم البريطاني وغيره ممن يعطفون على الحركة الوطنية قد انضموا الى مجموعة المحافظين .

أليس غريبا أن يصير الرجل الذى كان منذ ثلاثة شهور يحاكم الشعب ويتهمه ، مناصرا ومؤيدا ؟ .

لقد وضعت الحكومة البريطانية خطتها الاقتصادية بطريقة تناصر بها غير الافريقيين . والآن فان الرجعيين حين ينظمون حملة منفردة — ولست هنا بصدد التعرض لتوقيتها أو هدفها السياسى — لمقاطعة الاقتصاد الأجنبى المنظم على هذا النحو ، فهل من العدل أن تجيب بريطانيا على ذلك بشكل مسرحى فى اعلان الأحكام العرفية ، والتضحية بالأمة كلها على جريمة ارتكبتها الحكومة نفسها ، ثم تأخذ فى قتل من يلومونها على ارتكابها .

الحل الوحيد : أن الحل الوحيد المعقول والعملى كذلك لمشكلة أوغندا ، والذى سيكون فى صالح الشعب الأوغندى والبريطانى معا هو أن تتفق الحكومة الاستعمارية مع الوطنيين وعلى رأسهم حزب المؤتمر الوطنى والمنظمات الشعبية التقدمية الأخرى . ووقف عناصر الفوضى واعادة المجالس التشريعية فى الحكومات المحلية واعادة الصفة الوطنية والتمثيل الديموقراطى .

هذا هو الحل المعقول ، وأية عرقلة له أو تأخير لا يؤمل أن يأتى ببديل له أكثر منطقية أو عمليا .

انه الأفضل للسياسة البريطانية أن تتفاوض مع الأحزاب الوطنية فى أوغندا ، لأن هنالك شيئا مؤكدا هو أن الحرية والوحدة والاستقلال لبلادنا ممكن أن تتأخر حقا ، ولكنها لا يمكن أن تلغى !

المتمردون الزائفون

لقد حققت الاعتداءات الوحشية المفجعة على المواطنين الملونين فى بريطانيا بعض الخدمات اذ أظهرت وحشية البريطانيين وحبهم للأذى والقسوة ، كما كشفت عن فساد نظم التربية والتعليم فى بريطانيا — هذه النظم التى فشلت فى اعداد البريطانيين ، لكى يكونوا مواطنين عالميين ، فبدلا من أن تثير فى نفوسهم حب الثقافة والاطلاع أو تغرس فى قلوبهم محبة شعوب العالم اجمع على اختلاف أجناسهم نجدها تغرس فى نفوس البريطانيين الحقد والتحامل ، وتغريهم بالمغالاة الكاذبة الخطرة فى تقدير قيمة مجتمعهم الضيق المحدود ، وفى ادعاء فضائل ومحاسن ليست لهم ولا وجود لها بين الأهلين ، وأن الشعب البريطانى ليشب ويتقدم به العمر دون أن يسمع بما حققه الجنس البشرى فى القارات الأخرى من أعمال عظيمة جليلة ، فان ثقافة الجماهير فى بريطانيا لتقف عند حد مشاهدة مباريات كرة القدم أيام الجمع وتتبع فضائح الناس فى صحف يوم الأحد ، ولا فرصة لديهم حتى للتفكير فى العوامل والقوى التى تؤثر فى حياتهم اليومية .

وان نتيجة هذا النظام التعليمى الفاشل بالاضافة الى المعلومات السامة التى تمتلىء بها أفلام السينما لترى بوضوح قصة الفراغ القاتل ، وانعدام الهدف الذى يعانيه جزء كبير من شباب العالم الغربى مما سهل على الفاشست استخدام هذا الشباب التافه نفسيا ، وغير الناضج عقليا فى ايقاع الرعب والأذى بالأجناس البشرية البريئة ، وأن من شهد قيام حركة الشباب النازى فى ألمانيا ليذكر باشمئزاز هذه المواد الخام التى أصبحت فيما بعد عصابات النازى القاتلة المجرمة ، وانى لأعتقد أن فى مقدور الحكومة البريطانية أن تجد الوسائل والطرق التى تعلم بها هؤلاء الأطفال قبل أن يصبحوا خطرا يهدد البشرية والمدنية .

ان دين بريطانيا على رعايا مستعمراتها معروف جيدا ، فلماذا اذن — مادامت بريطانيا جادة فى سداد هذا الدين الأدبى والاقتصادى وفى تحسين علاقاتها بالملونين — لا نسمع عما قامت به هذه الشعوب الملونة من خدمات للجنس البشرى عموما وللبريطانيين بصفة خاصة ؟ ولماذا اذن كان علينا أن نستمع الى حديث فى الاذاعة للحاكم **فوس** بعد

قيام الاضطرابات بأسبوع واحد ، بينما لم نستمع اطلاقا الى شيء من الأعمال الجليلة التى حققها هذان الرجلان فى الميادين الأخرى ؟

لماذا لم نستمع الى وجهات نظر عظماء الرجال فى عصرنا أمثال شابلن وأينشتين وأرثر ميلر وبيكاسو وسارتر ؟ ان من السهل اقتباس بعض ما قاله كل هؤلاء ، وجميعهم قد أدلى بتصريحات دامغة ضد التعصب العنصرى، فلقد ذكر «جون بول سارتر» فى مقال حديث عن الأدب المعاصر : «ان جزءا كبيرا من روائع الأدب الفرنسى الآن من عمل المؤلفين الافريقيين والكاريبيين وانتاجهم وليس هناك من شك فى أن المؤلفين السود هم أهم العناصر التى نهضت بالشعر فى القرن العشرين » .

ان الفنان يسبق جيله ، ولقد مضى على دخول الفن الافريقى والموسيقى الأفريقية أوروبا نحو من خمسين عاما ، حتى أصبح من الحقائق المسلم بها ، والتى لا تقبل الجدل ان الفنان الأسود قد قام بدور فعال خالد فى تشكيل الفن الغربى ؛ ففى وسط الفراغ الروحى والركود الانسانى قدم الفنان الأسود ، ومعه أحلام جديدة ، وأحاسيس مستحدثة ، وثروة طائلة من الفن الشعبى ، ولقد استغل الفنان الغربى كل هذا ، وكان من أهم عوامل شهرته ونجاحه أنه يحاكى الفن الافريقى ، وينسج على منواله .

ان من المحال أن تفصل بين الفن والسياسة ، فالفن جزء هام من الحياة وهو فى الحقيقة أكثر مما يظن معظم الناس، وان الفنان الأوروبى بتقليده للفن الافريقى قد تنبأ مقدما بالدور الهام الذى سيلعبه الجنس الافريقى فى المستقبل ، وستكون رسالة الافريقى ومهمته أن يطهر العالم من النفاق ، ومن التحكم فى حرية الرأى ، ومن شهوة تملك ما للغير ، ومن الميل الى التخريب والهدم ، مما جعل الحياة على الأرض جحيما لا يطاق .

ان العالم الغربى لا يقنع باساءة معاملة الافريقيين وظلمهم فحسب ، بل انه ليترك شعراءهم وفنانيهم يموتون جوعا على أكوام الفضلات، فى الوقت الذى يتحكم فيه الرأسماليون واللصوص والانتهازيون والنفعيون ، والضباط السابقون ، والقنبلة الهيدروجينية فى مصائرهم — وسيحفر هؤلاء الناس وأشباههم قبر البشرية بأيديهم ، ان كل مهمتهم نهب موارد العالم بحجة الدفاع عن المدنية التى لم يشتركوا فى تحقيقها ولم يهتموا بها ، بل هم على أتم استعداد للتضحية بها فى سبيل منفعتهم .

ان التغيير الكامل لا يمكن أن يحققه الا رجل جديد ، يبشر بمبادىء جديدة للحب والحياة والأخاء ، ومن غير الافريقى يقدر على صنع ذلك ؟ بعد أن قاسى من المدنية الأوروبية ومافيها من نقائص ورذائل الشىء الكثير .

القهوة بين آسيا وأفريقيا

للأستاذ : محمد محمود زيتون

اكتشفت القهوة في بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجرى فى بلاد اليمن ، حين ظهرت أشجارها فى (وصاب) و (نهارى) فوق الجبال عند (زبيد) ، وبعد شيوعها فى بلاد العرب انتقل استعمالها الى مصر ، حتى اذا كانت سنة ٩٦٢ فتح أحد الدمشقيين مقهى بالقسطنطينية ، فاجتمع عنده الناس وخاصة العلماء وشربوها ، ومن ثم انتقلت الى أوروبا وشاع استعمالها فى جميع أرجاء المعمورة .

وشجرة البن الذى تستخرج منه القهوة تشبه شجرة الكريز وثمرتها ، غير أن ورق الاولى أسمك وأشهى طعما ، وتتميز شجرة البن بأن أوراقها خضراء قاتمة ، وأزهارها بيضاء تخرج اثنتين اثنتين أو ثلاثا ثلاثا ، وفى وقت الخضرة يكون الثمر غضا ومرا ، فاذا احمر كان طعمه أشبه بطعم اللبن الحامض ، فاذا تم نضجه احمر لونه ومال الى السواد ، غير أنه غالبا ما يجمع قبل نضجه ، وينشر فوق الاسطح المستوية للمنازل حتى يجف ويسود لونه ، ثم تدور عليه الرحا ، وبعد ذلك يذرى فيخلص البن من قشره ، وينقل هكذا الى بقاع المعمورة وأما البن الذى يترك قائما على أصوله حتى يتم نضجه ، فانه لا يدش بالرحى بل يقشر باليد ، ويترك حتى يجف كالزبيب ، وأهل اليمن يغلونه فى الماء ثم يشربون منقوعه باردا فى الصيف ، فتفيد منه أبدانهم ، وهو أغلى ثمنا من النوع الذى يصدرونه الى الخارج بالقناطير المقنطرة .

ومن خواص شجرة البن أنها تبلغ أقصى ارتفاعها وهو ثمان أذرع ، وتعمر ثلاثين سنة ، كما أن القهوة تنعش القلب ، وتزيل الكسل والخمول وتعين على السهر ، وتمنع من الصداع والزكام ، وتهضم الطعام اذا شربت بعد الاكل بساعة .

والقهوة نوعان : قشرية وبنية ، فالاولى من قشر البن فقط أو منه مع حبه المقلو والأخرى من البن المدقوق أو المسحوق يغلى فى الماء حتى تخرج خاصيته ، وللناس فيما يشربون مذاهب ، فمنهم من يشرب القهوة مضافا اليها بعض السكر ، ومنهم من

يشربها بدونه ، ومنهم من يشربها فى فنجان كبير ، ومنهم من يشربها فى فنجان صغير .

واهتم المؤلفون بأصل كلمة «قهوة» وثار الجدل واحتدم بين الفقهاء والأمراء والمحتسبين حول تحليلها وتحريمها ، وصدرت الكتب . ورسمت الفتاوى ، وضربت من أجلها رقاب وخربت بيوت ورمى شاربوها بالكفر والزندقة ، ثم أبيحت لهم ، ثم حرمت عليهم ، واختلفوا فى أصل اشتقاقها ، فقال الفخر أبو بكر بن أبى يزيد فى كتابه « اثارة النخوة بحل القهوة » انها من الاقهاء وهو الكراهة أو الاقعاد ، ومنه سميت الخمرة قهوة لانها تقعد شاربها عن النوم ، وتكرهه فى الطعام كما تكلم عنها « دى ساسى » فى كتابه « الانيس المفيد للطالب المستفيد » وأسهب فى فصول عنها الشيخ عبد القادر بن محمد الانصارى الجزيرى فى كتابه « جمع الشذور من منظوم ومنثور » ، وغير هؤلاء كثير .

وكان أول ظهورها باليمن فاستعملت كالقات المعروف هناك باستعماله الى يومنا هذا ، وأول من استعملها الشيخ على بن عمر الشاذلى اليمنى ، وفطن اليها الصوفية فاستعانوا بها على السهر على يد جمال الدين الزنجانى اليمنى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ وقد اشتهر بالزهد والتقوى ، وانتقلت الى الحبشة والجبرت (زيلع) ، ومصر وغيرها من البلدان .

ويقول الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار ، ان القهوة لم تظهر فى مصر قبل العشر الاول من القرن العاشر الهجرى ، فكانت تشرب بالرواق اليمنى بالازهر ، فكان المجاوزون به من أهل اليمن يشربونها هم ومن يساكنهم بهذا الرواق من أهل الحرمين ، ثم انتشرت فى أوساط الفقراء من أهل الذكر ولا سيما فى ليلتى الاثنين والجمعة ، فتوضع فى صحاف من الفخار يغترف منها رئيس الحلقة ويسقيهم بنظام أثناء الذكر ، كما يسقى الحاضرين من العوام .

وعرفت القهوة فى كل مكان دون انكار فكانت تحتسى فى البيوت والاسواق جهارا لا خفية ، بمكة وبالمسجد الحرام بالذات وبالمدينة . وصارت تقدم فى بيوت الاكابر والاعيان للضيوف ، وصار القوم يتلذذون بنكهتها ، ثم أنشئت المقاهى التى كانوا يطلقون عليها اذ ذاك « بيوت القهوة » وقد اقترن فيها شرب القهوة بالغناء والطرب والرقص ولعب الشطرنج والميسر والقمار ، وكان الرجال والنساء يجتمعون فيها وكانت الموبقات ترتكب باسمها ، فلما صار ضحاياها من السكارى والبغايا من الكثرة بحيث لفت ذلك نظر الفقهاء ، دعوا الى تحريمها ، ومصادرة أدواتها وتعزيز شاربيها ، واعتبار بيوتها كالخمارات والمواخير سواء بسواء .

وفى سنة ٩١٧ هـ كان بمكة أخوان أعجميان يعرفان الطب ، أنكرا القهوة وقالا بتحريمها ، فثار بهما أهل مكة فرحلا عنها الى مصر ، وعلم بأمرهما الشيخ شمس الدين محمد الحنفى

الخطيب فما زال يغرى بهما السلطان سليم الاول حتى قتلهما بالسيف ، وعاد فأوعز الى الامير خير بك المعمار باش مكة ومتولى الحسبة بها فأبطلها من الاسواق ومنع الناس من شربها ، وصادر أدواتها ، فصار الناس يتناولونها فى بيوتهم ، لا يجرءون على شربها جهرة ، وبينما هم كذلك اذ ورد من مصر مرسوم السلطان قانصوه الغورى بحلها ، فانخذل خير بك ، واستعلن شاربوها وقال بعضهم شامتا بالشيخ الخطيب :

قهوة البن حرمت
فاحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا
وانزلوا فى قفا (الخطيب)

وقال آخر :

قهوة البن حرمت
فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا
والعنوا من هو السبب

وقصة خير بك طريفة ، فانه لما كان محتسبا بمكة من قبل الغورى مر ليلة ٢٣ من ربيع الأول سنة ٩١٧ ، فطاف بالكعبة الشريفة ، ثم شرب من ماء زمزم ، وعاد الى بيته ، فرأى فى طريقه جماعة فى ناحية من المسجد حول السيفى قرقماس الناصرى ، فما ان رأوه حتى أطفأوا الفوانيس الموقدة ، فأثاروا الشبهة حولهم ، فلما أرسل اليهم خير بك وجد بينهم شيئا يتعاطونه على هيئة شراب مسكر ووجدهم يديرون كأسا بينهم يسقيهم بها قرقماس الذى زعم أنه يقيم مولدا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأنكر المحتسب ذلك عليهم وسأل عن هذا الشراب فأخبروه أنه شراب اتخذ فى هذا الزمان يأتى من اليمن يسمى القهوة ، ذاع وشاع فى مكة ، وسرعان ما انعقد مجلس الشرع من القضاة . فأفتوا جميعا بأن هذه الهيئة التى يجتمع عليها الناس لشرب القهوة وارتكاب الموبقات مما حرم الله .

وأما حب البن فشأنه شأن النباتات ، والاصل فى الشرع الاباحة ، مالم ينص على الحكم أو يثبت الضرر ، وجىء بالاطباء فقرروا أن القهوة مفسدة للبدن ، وختم الشهود ، ووقع القضاة ونودى فى مكة بمنع تعاطى القهوة .

هذا ولم يشذ عن القضاة الموقعين القائلين بالتحريم الا مفتى مكة الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعى ، فقد جهر برأيه واستمسك به ، فسمع ما يكره ، ولقى العنت والأذى ، وشنع على القضاة ، ورماهم بالنفاق واتقاء شر الامير بينما هم الذين كانوا فى طليعة شاربيها .

وسرعان ما جهز هؤلاء القضاة سؤالا وجهوه الى علماء مصر يستفتونهم فى أمر القهوة وقصدهم طبعا احراج موقف خصمهم العنيد الذى يعارضهم ويشنع عليهم .

وصدر مرسوم السلطان الغورى بعد فتوى علماء مصر نقتبس منه مضمونه وقد جاء فيه : « وأما القهوة فقد بلغنا أن أناسا يشربونها على هيئة شرب الخمر ، ويخلطون فيها المسكر ويغنون عليها بآلة ويرقصون ويسكرون ومعلوم أن ماء زمزم اذا شرب على هذه

الهيئة كان حراما ، لهذا منع التظاهر بشربها والدوران بها فى الاسواق » ومن ذلك يتبين أن الهيئة التى لازمت شرب القهوة أنكرها الذوق والشرع ، فى حين أن القهوة ذاتها لم ينص المرسوم على منع تعاطيها ، بدليل أن السلطان لم يمنع ذلك فى مصر .

وفى سنة ٩١٨ قدم مكة الامير قطلباى خلفا لخير بك ، فشاع شربها واشتهرت أكثر مما كانت قبلا ، وفى سنة ٩٣٢ قدمها محمد بن عراق ، فهاله ما يرتكب مع القهوة فى بيوتها من محرمات فأشار على الحكام بابطالها مع التصريح بها فى ذاتها ، حتى توفى سنة ٩٣٣ ، فعاد الامر كما كان ، وظلت القهوة أفضل تحية تقدم للاكابر والاماثل ، وأفتى بحرمتها الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى ، فثارت عليه العامة ، وندد به الشعراء حتى قال بعضهم :

ان أقواما تعدوا
والبلا منهم تأتى
حرموا القهوة عمدا
قد رووا أفكا وبهتا
ان سألت النص قالوا :
(ابن عبد الحق) أفتى
يا أولى الفضل اشربوها
واتركوا ما كان بهتا
ودعوا العذال فيها
يشربون الماء حتى

وكانت بيوت القهوة عامرة بروادها ولا سيما فى رمضان ، وفى ذات يوم من سنة ٩٤٥ انقض رجال الشرطة على من كان بها واستاقوهم فى الحديد والحبال وباتوا فى أشنع حال اذ ضرب كل واحد منهم سبع عشرة جلدة ثم أطلق سراحهم وعاد الى احتسائها فى القاهرة طلبة العلم وأساتذتهم والصالحون وأهل الفتوى أنفسهم ، وأصحاب الدروس بعد أن لمسوا فيها تجديد النشاط وذهاب الكسل ، ولله در مادحها اذ يقول :

يا قهوة تذهب هم الفتى
أنت لحادى العلم نعم المراد
شراب أهل الله فيها الشفا
لطالب الحكمة بين العباد
نطبخها قشرا فتأتى لنا
فى نكهة المسك ولون المداد
ما عرف الحق سوى عاقل
يشرب فى وسط الزبادى زباد
حرمها الله على جاهل
يقول فى حرمتها بالعناد
فيها لنا تبر وفى حانها
صحبة أبناء الكرام الجياد
كاللبن الخالص فى حله
ما خرجت عنه سوى بالسواد

هذه لمحة خاطفة عن الدور الذى قامت به القهوة فى التاريخ بين آسية وافريقية ، وما كان فى حلها هنا وتحريمها هناك من طرائف ، سجلها الادب العربى فى شعر رائع متحرر من كل قيد ، وحسبنا من وراء ذلك كله ما كان ولا يزال للقهوة من أثر فى تقاليدنا الاجتماعية المشتركة ، وعوائدنا العامة على الرغم من قفزاتها الرائعة منذ أكثر من خمسمائة سنة فيما بين اليمن والحجاز والحبشة ومصر والشام .. ثم انتشرت من ربوع آسية وأفريقية الشقيقتين الى أوروبا .

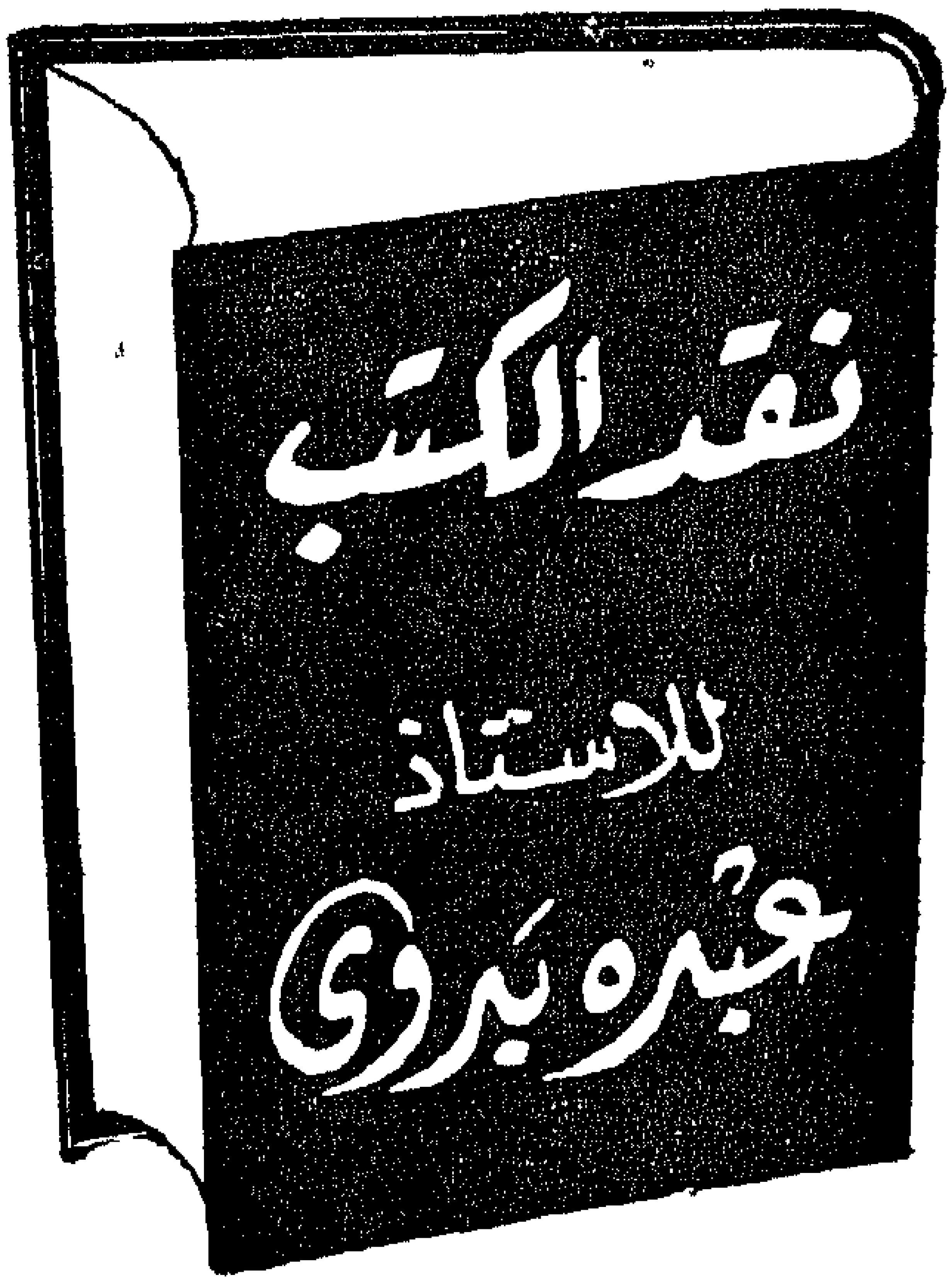

من الكتب الجادة التى أثرت المكتبة الافريقية حديثا كتاب « المنافسة الدولية فى أعالى النيل » للدكتور على ابراهيم عبده .

فالموضوع له أهمية ضخمة ، لأنه يرتبط بعملية التدمير النفسى للقارة الافريقية ، وتوزيعها على الدول الأوروبية . كما يرتبط فى الوقت نفسه بمشكلة المياه فى أعالى النيل .

وقد حدد المؤلف فترة البحث بما بين عامى ١٨٨٠ ، ١٩٠٦ ، لأن ظروف القارة قد تشكلت الى حد كبير فى هذه الفترة بعمليات التسابق الغربى . ورجع الى كل المصادر والمراجع التى لا غنى للكتاب عنها . وكم كان موفقا حين قدم لنا دراسة سريعة عن هذه المراجع والمصادر فى نهاية كتابه ..

الا انى أعتقد انه كان من الأجدر بالبحث أن يرجع فيه المؤلف الى المحفوظات التاريخية فى لندن . كما رجع الى المحفوظات الموجودة فى القاهرة . فقد توجد فى تأشيرة رئيس ما يلقى الضوء على كثير من الحقائق ، وما يغنى عن كثير من الوثائق والمراجع ..

وقد بدأ المؤلف الفصل الأول بتفسير لكلمة « الاستعمار » من الوجهة القاموسية ، ومن الوجهة التى أوردها الدكتور محمد عوض محمد فى كتابه « الاستعمار » والمذاهب الاستعمارية من أنه : « العمل أو مجموعة الأعمال التى من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة ، أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم ، أو على سكان تلك الأرض ، أو على الأرض والسكان فى آن واحد » .

ثم انتهى الى ان المقصود بالاستعمار فى العصر الحديث « هو استيلاء دولة على قطر من الأقطار وادارة شئونه ، أو استثمار مرافقه المختلفة ، اما بيد مهاجرين يرحلون اليه ويقطنونه ، واما بيد سكانه الأصليين ، واما باشتراك الفريقين . ومن المسلم به أن الدولة المستعمرة تضمن فى هذا العمل لنفسها ولقومها أعظم فائدة تستطيع الحصول عليها » ولا أدرى لماذا أصر المؤلف على أن يكون الاستعمار من « الدولة » على « القطر » ؟ ولماذا لا يكون الاستيلاء مثلا من دولة على

دولة أو العكس ؟ وهناك فرق بين المصطلحين .

ومهما يكن من شيء فكلمة « الاستعمار » قد شغلت الكثيرين فى هذا العصر . حتى لقد اختار الأستاذ « فتحى رضوان » لهذا النوع من الحياة كلمة «الاستخراب» . والأجدر بنا أن نتركها كما هى . فقوانين اللغة العربية يمكن أن تنطبق على هذه الكلمة . فمن بين مسمياتها ما يطلق عليه « أسماء الأضداد » ، ومن هذا اطلاقهم على الملدوغ كلمة السليم . واطلاقهم على الأسود كلمة الأبيض . ! هذا ولا أحسبنا كنا نتعرض لشيء من هذا لولا أن المؤلف نفسه قد بدأ كتابه بهذا التدقيق اللغوى !

* * *

والاستعمار فى نظر المؤلف له درجات : فهناك «**الاستعمار المطلق**». وهناك عدة أنواع من الانتداب ، والحماية ، والوصاية . ويمكن تقسيم الاستعمار الى عدة أنواع أهمها « **الاستعمار الاستغلالى** » الذى يوجد عادة فى الأقاليم الاستوائية ، والمدارية المنخفضة ، والمناطق الكثيفة بالسكان فى الأقاليم المعتدلة كما هى الحال فى كثير من المستعمرات الافريقية الاستوائية والمدارية ، ومدغشقر .

وهناك « **الاستعمار السكنى** » الذى تصلح أحواله الجوية لاقامة الأجانب ، ومثال ذلك شمال افريقية بالنسبة للفرنسيين ، وجنوب افريقية بالنسبة للانجليز .

وهناك « **الاستعمار الحربى** » الذى تدفع اليه حساسية الموقع .

على أن هناك عدة عوامل قد تدفع الى الاستعمار . فقد يجد سكان الجبال أنفسهم مدفوعين الى احتلال السهول ، وقد تجد الدول المغلقة نفسها فى حاجة للوصول الى المنافذ ، والبحار المفتوحة ، وقد تجد الدول الصناعية أنها لابد لها من تصريف منتجاتها ، وقد يبلغ ببعض الدول الطموح الى تكوين وحدة جغرافية طبيعية ، كما هى الحال فى فرنسا فى غرب افريقية ، وقد تدفع الدول الى الاستعمار الرغبة فى تأمين مواصلاتها الى مكاسبها فى الأطراف البعيدة !

والاستعمار فى كل أعماله التدميرية يدعى لنفسه عدة حقوق فهناك « **حق القوة** » الذى لا يعترف بالضعف من حوله ، وهناك « **حق العنصرية** » كادعاء البيض بأنهم أحق بالسيادة على السود ، وهناك «**حق الاحتلال الأول**» بمعنى أن المحتل لم يسبق فى البلاد التى يضع يده عليها ، وهناك « **حق الاحتلال بالتعاقد** » الذى يقوم على التغرير بالبسطاء من الجماعات ، والناس ، وهناك « **حق الاستعمار نتيجة الحرب العادلة** » كأن يضار انسان أو شيء لدولة ، فتقوم هى بعملية اعتداء شاملة على شعب بأسره ووطن بأكمله . وهناك « **حق الاستعمار بالتقادم** » الذى يتمثل فى طيلة المدة

التى تقيمها الدولة المستعمرة فى البلاد، وهناك « **حق الاستعمار فى نشر الحضارة** » كأن تفرض دولة وصاية ثقافية على دولة أخرى ! وأخيرا فهناك ما يسمى بالاستعمار من أجل « **حق الحياة** » فقد تسوق ضرورة العيش دولة الى الرغبة فى ايجاد متنفس لها بالاستيلاء على دولة أخرى .

وبهذه الألوان من تشريع الاستعمار ظلم الانسان أخاه الانسان وعرفت ألوان منه منذ بدء الوجود . فكانت وجهته فى العصور القديمة تأمين الحدود ، والبحث عن موارد الثروة ، والتوسع . وفى العصور الوسطى تراه محصورا فى البحر المتوسط . أما فى العصور الحديثة فقد أصبح عالميا اذ استعمر الأوروبيون فى القرون الأخيرة مساحة تبلغ نصف الكرة الأرضية .

* * *

وقد تعرض المؤلف لأسباب تأخر كشف افريقية ، فذكر أن افريقية لم تعرف كقارة الا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . أما حافاتها . وهوامشها فقد كانت مطروقة من الناحية البحرية . ويعتبر المصريون القدماء أول الرواد فى اكتشاف هذه القارة ، فقد عرفوا السودان والحبشة ، والصومال ، وتوغلوا فى ساحل افريقية الشرقى . أما الفينيقيون فقد استقروا فى شمال افريقية ، وأمكنهم فى القرن السابع قبل الميلاد الوصول الى البحر الأحمر .كما أسسوا عدة مراكز تجارية على الساحل الغربى لافريقية . ويقال أن القرطاجنيين قد داروا حول افريقية وقامت بينهم وبين غرب القارة علاقات تجارية .

وكذلك استطاع الاغريق أن يتوغلوا فى قلب القارة ، وأن يصلوا الى ما يسمى بالكمرون الآن .

وبعد الاغريق عرفت مصر زحف الفرس على يد « قمبيز » الذى لم تقف أطماعه عند مصر ، وانما أرسل رسله الى الحبشة ، وفكر جديا فى الوصول الى أعالى النيل . وكما قام صراع بين فارس واليونان فقد قام صراع حاد كذلك بين روما وقرطاجنة انتهى أخيرا بانتصار روما وتوغلها فى افريقية . فقد حكمت الشمال الافريقى كله من مراكش الى مصر ، ومدت حدودها الى الحبشة ، وملتقى النيلين الأبيض والأزرق ، ووصلت تجارتها بزنجبار ، وفى عام ١٥٠ م رسم بطليموس خريطته الشهيرة للعالم ، وصور فيها نهر النيل نابعا من بحيرتين بالقرب من خط الاستواء .

وحين ظهر الاسلام نرى العرب يسيرون غربا ، ويسيطرون على ساحل افريقية الشمالى ويثبون منه الى اسبانيا ، ولم يقف بهم الأمر عند الشمال وانما توغلوا فى القارة وحاربوا النوبة ، ووصلوا فى القرن العاشر الى مصب « السنغال » ، و « كانم » ووصلوا فى القرن الحادى عشر الى

« دارفور » ، ثم غطوا بلادا كثيرة من القارة بتجارتهم .

وقد كان على المؤلف أن يتمهل عند الحديث عن معرفة العرب لافريقية ، كما تمهل عند غيرهم ، ولكنه خطف الحديث عنهم ، وحين تكلم عن معرفتهم القديمة بشرق افريقية رجح أن اقامتهم على الساحل «كانت مؤقتة ولأغراض تجارية » ، وأن حركة المد العربى لم تعرف الا فى عهد الدولتين الأموية والعباسية بسبب الضغط على المناوئين للحكم فى كل من الدولتين . ثم أخذ النفوذ العربى يقوى ويشتد فى العصور الوسطى فى ساحل الزنج .

* * *

ونحن نرى أن العرب عرفوا افريقية الشرقية فى عهد مبكر جدا قبل الاسلام ، وأنه كانت لهم عدة نقاط هناك أهمها زنجبار ، وأن حركة المد لم تقتصر على التجارة كما يراها المؤلف . وانما دعت اليها عدة هجرات يمنية قديمة دفعتها ظروف الحياة الى الاسكان فى افريقية ، وأن من أقدم القبائل العربية الضخمة التى غطت مناطق كبيرة فى الحبشة قبيلة « الحبشات » التى سميت الحبشة باسمها ، وقبيلة « بنى عجازى » التى لا تزال لغتها معروفة الآن فى اثيوبيا باسم « العجيز » كما هاجر «الأنباط» فى هذا الوقت المبكر الى افريقية حاملين معهم لغة « آرامية » هى اللغة النبطية وكذلك هاجر الحضارمة الى أرض البجة ومعهم احدى اللغات اليمنية فهم يرجعون فى أصولهم البعيدة الى « حضرموت » .. كما أن هجرة المسلمين فى أول أمر الدعوة لم توجه للحبشة بالذات الا لتلك الأواصر القديمة ، وعمليات الهجرة المستمرة بين العرب وهذه البلاد .

وقد عثر فى منطقة البحر الأحمر على جماجم تدل على أن عبور العرب لافريقية كان فى وقت مبكر جدا . وهكذا نرى أن صلة العرب القدماء بافريقية لم تكن صلة سطحية للتجارة، وانما كانت عملية مد طبيعى للحياة فى هذه البلاد .

* * *

ومن الغريب أن الجزء الذى خصصه الدكتور على ابراهيم عبده للحديث عن معرفة العرب لافريقية عامة ، ولشرق افريقية خاصة ، وهو الذى يبدأ من ص ٢٩ الى ٣٨ لم يستند فيه الى مصدر أو مرجع . على خلاف ما سار عليه الكتاب فهل نفهم من هذا أن الرجوع الى المصادر العربية القديمة شىء لا يحتمل لما فيها من نقص فى التبويب ، والفهرسة ، وأن الرجوع الى المراجع العربية الحديثة لايعطى القارىء شيئا لأنه لم يعد لدينا الصبر على استخراج ما فى تراثنا من حقائق؟

* * *

وقد ذكر لنا المؤلف أن حركة الكشف الجغرافى تعتبر ثمرة طبيعية لعصر النهضة الأوربية الحديثة ، وأن

البرتغال كانت أسبق هذه الدول الى عمليات الكشف ، وأن دوافع الاستعمار قبل عام ١٨٠٠ كانت تتراوح بين العوامل الدينية ، والاقتصادية ، والعاطفية . أما عملية الاستغلال الاقتصادى فلم تظهر على حقيقتها الا فى العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر لأن مقاليد الأمور كانت فى هذه الفترة فى أيدى طبقات التجار ، وأصحاب المصانع ، والرأسماليين ، مما ترتب عليه أن تغتصب انجلترا من افريقية مساحة تبلغ ٣ر٢٥ مليون ميل مربع يعيش عليها من السكان ٤٦ مليونا ، وأن يكون نصيب فرنسا أربعة ملايين من الأميال المربعة ، سكانها يتجاوزون ٥٠ مليونا ، ويكون نصيب ألمانيا مليون ميل مربع يسكنه ١٥ مليونا .. ، ولم يقف الأمر عند هذه الدول الثلاث ، وانما تعداها الى البرتغال واسبانيا .

ثم ذكر المؤلف أن مصر ضمت السودان اليها فى عهد « محمد على » ، وتوسعت فى افريقية فى عهد « اسماعيل » ، وأن انجلترا منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت تبعث برسلها الى افريقية فى زى مبشرين ، مكتشفين ، وأن من اهم هؤلاء الذين لعبوا دورا خطيرا فى هذه البلاد « صامويل بيكر » الذى تعرف على « اسماعيل » ، وحصل منه على « فرمان » ليكون رجال حكومته فى مساعدته ، ثم دخلت الحكومة معه فى مباحثات اشترك فيها ولى عهد انجلترا ، وانتهت بأن وقعت معه الحكومة عقدا بخدمته اربع سنوات تبدا من ١٨٦٩/٤/١ وقد أساء فيها الى كثير من السكان ، وانتهت بنتائج تافهة . ولم تأخذ الحكومة من هذه النتيجة درسا . فعينت مكانه « غردون » الذى بدأ عمله بمحاربة الاسلام فى هذه البلاد ، وما تكاد تنتهى مدته . حتى استدعاه الخديوى ثانية وقلده منصب الحاكم العام للسودان فذهب الى هناك ليقضى على الحكم المصرى فى هذه البلاد الذى سماه فى احدى رسائله « حكم قطاع الطريق » . ثم نراه يستقيل فى عام ١٨٧٩ .

فاذا ما قامت الثورة المهدية هناك بعد عامين نرى الحكومة البريطانية تفرضه على الحكومة المصرية ليقوم بعملية الاخلاء ، وما يكاد يصل الى البلاد حتى يقع فى عدة أخطاء ، وتظهر عداوته سافرة ضد الحكم المصرى فى هذه البلاد ، وتترك البلاد للحركة الثورية الجديدة .

وفى عام ١٨٨٠ نجد الوضع هناك على الصورة الآتية :

١ ــ لا تزال كسلا ، وكيرن ، ومصوع ، والساحل الشرقى ، وهرر فى قبضة مصر .

٢ ــ بدأت الدول الاستعمارية الأوربية تقوى نتيجة لحادث الكنغو

البلجيكي الذي أدى الى احتلال فرنسا لتونس . كما ظهرت نتيجته أيضا في احتلال انجلترا لمصر عام ١٨٨٢ .

٣ ـ بدأت الدول الأوربية تهتم بحوض النيل والبحر الأحمر من الناحيتين الاستراتيجية، والاقتصادية.

٤ ـ بدأت ايطاليا تهتم بافريقية ووضعت عينيها على تونس ولكن فرنسا سبقتهم اليها ، ومن هنا نراها تتحول الى الحبشة ، وشرقي افريقية .

وفي الوقت نفسه بدأت بريطانيا تتخذ سياسة تحول دون هجوم فرنسا ، وايطاليا ، والحبشة على أعالي النيل . ولم يقف الأمر عند حد هذه الدول وانما كانت هناك كذلك ألمانيا وبلجيكا ، وكل منهما تحاول الاستيلاء على جنوب السودان ، بينما كانت سياسة انجلترا تتمثل في قول « جلاد ستون » « وموقعنا الآن في مصر سوف يكون كنواة لامبراطورية في شمال افريقية سوف تنمو وتنمو .. حتى ترتبط في النهاية عبر خط الاستواء بناتال ، وكيبتون . ولا داعي لأن نذكر شيئا عن ترانسفال ونهر الأورنج في الجنوب . أو عن الحبشة وزنجبار التي سوف نبتلعها في طريقنا .. » .

وتحقيقا لهذه السياسة فقد أعلنت انجلترا حمايتها على أوغندة . عام ١٨٩٤، ودخلت مع بلجيكا في معاهدات لتحديد ممتلكاتها ، واستخلصت منها فكرة احتلال منطقة « بحر الغزال » في جنوب السودان التي ستكون الثغرة التي سينفذ منها الفرنسيون فيما بعد .

* * *

ثم وضح لنا المؤلف حقيقة العلاقات الانجليزية الفرنسية . وكيف عملت فرنسا مع ألمانيا على تحطيم المعاهدة التي تمت بين انجلترا وبلجيكا . وان انجلترا قد خشيت من اتفاق فرنسا مع ألمانيا ، وقامت فيها سياسة ترمي الى عدم الاحتكاك بفرنسا وكذلك قامت فيها سياسة أخرى تلقى الأضواء على سياسة فرنسا التي ترمي الى بلوغ « نهر النيل » عن طريق « بحر الغزال » ، والى محاولتها تحطيم المشروع البريطاني الذي يرمي الى ربط « الكاب » بالقاهرة بمشروع آخر يرمي الى وصل الاطلنطي بالبحر الأحمر في خط من النفوذ الفرنسي . وقد أصابوا حينما شبهوا ذلك بقطع الكمثرى الافريقية بالعرض قبل أن تقوم بقطعها انجلترا بالطول !

وقد عملت « فرنسا » بجد للوصول الى أغراضها فكسبت ود روسيا وعقدت بينها وبين الكونغو اتفاقا في ١٨٨٤/٨/١٤ وقد ترتب عليه أن صرحت في ١٨٨٥/٢/١٢ بأن اتفاقها مع الكونغو يضمن لها دخول وادي النيل « والوصول الى وادي النيل من الجنوب هو الوسيلة الوحيدة ، التي ستمكننا في يوم ما من حل المسألة المصرية وفق مصالحنا » ، وأن فرنسا

فعلت ذلك فى الجنوب للضغط على الانجليز حتى يحترموا وعودهم بشأن الجلاء عن مصر فى الشمال .

أمام هذا التصميم الفرنسى، وعملية التقريب بين السياسة الفرنسية والبلجيكية ،ومحاولة التوسع الايطالى فى الحبشة وتحرج مركزها . فكرت بريطانيا جديا فى استرداد السودان ، وحظيت بتأييد ألمانيا .

ومن هنا نراها تدفع الحكومة المصرية دفعا الى اعادة فتح السودان ، ونرى مصر تحشد ميزانيتها ورجالها ، لخوض هذه المعركة التى لم تلق حماسا من الشعب ، وقد لاقى الجيش المصرى فى طريقه كثيرا من المصاعب . كما تحملت الخزانة فى مصر أكثر مما تستطيع ، وأخيرا انتهى كل هذا بلون غريب من الحكم هو الحكم الثنائى .. ففى ١٨٩٨/٩/٤ لم ترفع على سراى الحاكم العام الراية المصرية فقط ، وانما رفعت الى جوارها الراية الانجليزية !

ذكرنا أن سياسة فرنسا كانت ترمى الى جلاء الانجليز عن مصر ، وحينما فشلت فى هذه الخطة قررت الوصول الى أعالى النيل لترغم انجلترا على ايجاد حل للقضية المصرية ، وكيف انها بددت جهود انجلترا فى محاولتها التقدم من ناحية الكونغو الفرنسية ، وأن آخر حلقة فى هذه السياسة المعادية لانجلترا فى هذه الفترة كانت ارسالها حملة الى أعالى النيل . وقد وضح هذه الفكرة الجنرال مانجان أحد أعضاء حملة مارشان بقوله : ان الغرض من حملة مارشان هو « ازالة أى ادعاء للانجليز لاحتلالهم لمصر ، ولنضع حدا لحلم أصدقائنا الأعزاء الذين يريدون أن يربطوا مصر برأس الرجاء وممتلكاتهم فى شرق افريقية بممتلكات شركة النيجر الملكية » .

وقد تحركت هذه الحملة فى ١٨٩٦/٧/٢٤ من « لوانجو — loàngo » ، وكان قوامها مائة وخمسين جنديا سنغاليا ، وكانت أولى العقبات التى تصدت لها بعد مشقة الطريق هى ثورة وطنية فى مناطق الكونغو السفلى . ثم انتهى أخيرا الى « فاشودة » فى مساء يوم الأحد الموافق ١٨٩٨/٧/١٠ - حيث رفع العلم الفرنسى على بقايا قلعة مصرية هناك ! وحيث قدم له البلجيكيون كثيرا من المساعدات . وفى الوقت نفسه حاولوا الاتصال بالخليفة «التعايشى» فى أم درمان محاولين كسب رضاه فى مقابل مساعدته ضد الحملة المتقدمة اليه من الشمال بأمر الانجليز !

كما عملوا على كسب رضاء ملك الحبشة ، وزينوا له عملية التقدم من الشرق والمطالبة بالضفة العليا من أعالى النيل ، ونبهوه الى خطر تقدم الانجليز نحو السودان ، والى تلك الصلة العميقة بينهم وبين الايطاليين الذين كان الأحباش يكرهونهم كل الكره .

على ان انجلترا كانت متنبهة لكل هذه التحركات فأرسلت حملة بقيادة « ماكدونالد » من اوغندا للوصول الى « فاشودة » قبل « مارشان » وكذلك جهزت حملة أخرى من أوغندة بقيادة « مارتير » لمحاولة مقابلة عملية الفتح القادمة من الشمال . ولكن النجاح لم يحالف هاتين الحملتين .

ولكن انجلترا ما كادت تقبض على مصاير الأمور في السودان ، وتقضى على جيش الخليفة حتى أمرت كتشنر بأن يتقدم فى النيلين الأبيض والأزرق ، والايعترف بأية حقوق لفرنسا أوللحبشة فى وادى النيل ، وقد تقدم فعلا « كتشنر » فتقابل مع « مارشان » عارضا عليه الانسحاب ولكن « مارشان » رفض الانسحاب . فما كان من كتشنر الا أن رفع العلم المصرى على الطرف الجنوبى من « فاشودة » ، وأمر فرقة سودانية بالبقاء هناك. وأرسلت وزارة الخارجية الانجليزية الى وزارة الخارجية الفرنسية بأن « كل المناطق التى كانت تابعة للخليفة . قد انتقلت الى الحكومتين الانجليزية والمصرية بحق الفتح » وأنها مصممة على اتمام مشروع قيام امبراطورية تبدأ من البحر المتوسط ، وتنتهى الى رأس الرجاء الصالح ، حتى لو أدى ذلك الى دخولها فى حرب مدمرة مع فرنسا .

أما فرنسا فقد رأت نفسها فى وسط أزمات داخلية عنيفة ، وأنها غير مستعدة حربيا للمجازفة فى دخول الحرب ، وأن موقف « مارشان » محفوف بالأخطار ، وخاصة بعد أن فشل الأحباش فى مساعدته ، كما ظهرت فى الوقت نفسه نية الروس فى عدم الوقوف الى جانبهم . ومن هنا فلم يكن بد من سحب بعثة «مارشان» الذى تم فى ١١/١٠/١٨٩٨ .

وقد كان وقع هذا الانسحاب شديدا على مصر ، وعلى الحركة الوطنية فيها . فقد كانت مصر تعلق الكثير من الآمال على صلابة فرنسا فى موقفها ، وكانت مصر تدرك أن فرنسا ان تخلت عن موقفها فستترك انجلترا يدها فى مصر والسودان . ولكن ما كاد هذا الجلاء يتم حتى سارع بعض الساسة بالخضوع التام لانجلترا ، ويمكن أن نرى صدى هذا الحادث فى قول مصطفى كامل :

« ان الأحوال السياسية سيئة للغاية ، بعد مسألة فاشودة وقد أظهر بعض الكبراء الجبن وكادوا يخونون بلادا أحسنت اليهم بما لا يحلم به غيرهم ، ولكنى ثابت على خطتى حتى الممات ، لأن اعتقادى أن ثمر الدفاع وان لم يجنه المدافع الأول أو الثانى فلسوف يجنيه مصرى على مدى الأيام ، وأننا اذا لم نقتطف ثمر عملنا وجهادنا فى حياتنا فاننا على الأقل نضع الحجر الأول لمن يبنى بعدنا » .

كما يظهر هذا فى قوله : لمدام آدم **« فاشودة ! انها الضربة القاضية ! لقد قلت فى رسائلى قبلا ان غير واحد من ساسة فرنسا قد أفهم الخديوى والوطنيين المصريين أن فرنسا ستتدخل لصالح مصر سريعا وبصفة حاسمة ، وأبانوا لهم أن بعثة مارشان هى الحاملة لراية استقلال مصر ، فصاروا جميعا يعتقدون أن تحرير وطنهم سيأتى من السودان ، ولكن حادثة فاشودة قضت على آمال الوطنيين المصريين »** .

ثم قدم لنا المؤلف فى الباب الأخير التسويات النهائية التى تمت على أثر الصراع الذى دار حول مصر والسودان ، وكيف أنه انتهى بتوقيع مصر وبريطانيا على اتفاقية السودان فى ١٩/١/١٨٩٩ ، وكيف اعترف فى هذه الاتفاقية بما للانجليز من حق فى السودان ، وبعلم يرفع لهم ، وبحاكم منهم يسيطر على البلاد ، وأن هذا كان على يد « بطرس غالى باشا » عن الحكومة المصرية ، واللورد « كرومر » عن الحكومة الانجليزية ، وأن كثيرا من الوزراء قد قبلوا المشروع دون أن يطلعوا عليه .

ومع أن المؤلف قد اعتمد فى تفنيد المعاهدة على ما كتبه الدكتور عبد الرازق السنهورى ، والدكتور راشد البراوى ، الا أنى كنت أحب أن يضيف اليهما ماكتبه الأستاذ زهير جرانة عن هذه الاتفاقية .

وأن الخطوة الثانية فى هذه التصفية النهائية كانت الاتفاق الانجليزى الفرنسى فى ٢١/٣/١٨٩٩ ، وأنه بهذا الاتفاق نرى أن فرنسا قد فقدت الأمل فى الوصول الى شاطىء النيل ، وامتداد نفوذها من الصومال الى الكونغو . بينما تحقق فى الوقت نفسه حلم « رودس » فى وصل ممتلكات بريطانيا بين الشمال والجنوب ، فيما عدا هذا الممر الضيق بين بحيرتى « ادوارد » و « تنجانيقا » .

وفى ١٥/٥/١٩٠٢ تم الاتفاق بين بريطانيا والحبشة ، وتم فى هذه الاتفاقية دخول النيل الأبيض ، والأجزاء السفلى من العطبرة ، والنيل الأزرق ، والسوباط داخل دائرة النفوذ البريطانى ، والا يحق للأحباش تشييد أى عمل على النيل الأزرق وبحيرة تسانا ونهر السوباط من شأنه منع تدفق المياه الى النيل ، وأن تؤجر أرض بجوار ايتانج Itàng على نهر بارو للحكومة السودانية ، والحصول على ترخيص بمرور خط حديدى داخل أراض حبشية .

.. وفى اليوم نفسه ١٥/٥/١٩٠٢ عقدت معاهدة أخرى بين ايطاليا ، والحبشة ، وانجلترا عينت فيها الحدود بين الحبشة ، واريتريا ، وبين السودان واريتريا . كما عقدت معاهدة أخرى عام ١٩٠٦ بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا والحبشة ، بعد أن أحتج الأحباش على الاتفاقية المالية الخاصة بالخط الحديدى الذى مر ذكره فى المعاهدة السابقة ..

ثم لما أدركت انجلترا خطر المانيا نراها تقوم بعملية تقريب بينها وبين

فرنسا . لذا نرى أن المفاوضات تجمع بينهما فى صيف ١٩٠٣ لتسوية الخلافات الناشبة بينهما ، ولاطلاق يد الانجليز فى مصر ، ويد الفرنسيين فى مراكش ، وقد كان من نتيجة هذا الاتفاق الودى توطيد العلاقات بين الدولتين فى الحرب العالمية الأولى ، والثانية ، حتى لقد احتفل بمرور خمسين عاما على هذا الاتفاق فيما بعد ..

وأخيرا تسوى انجلترا مشكلة الحدود بين السودان وبين الكونغو .

وبهذا الفهم العميق للصراع الدولى فى أعالى النيل يقدم لنا الدكتور على ابراهيم عبده كتابه . ولن يقلل من قيمته الكبيرة التزامه دائما خطة الدفاع عن الجانب المصرى ، والسودانى ، فقد ارتكبت بلا شك عدة أخطاء كبيرة من الساسة فى هذه الفترة ، ولا عدم القطع فى مسائل تظهر فيها الحقيقة واضحة . ولنأخذ مثلا على هذا تأرجحه فى القطع باعادة الفتح ، فهو يذكر ما قاله تشرشل من أن سبب الفتح هو ضغط الرأى العام لأخذ الثأر لغوردون . أو أنه انزعاجهم بسبب زيادة نشاط الخليفة فى شرق السودان . بينما الدافع الحقيقى للفتح كان وصل ممتلكاتهم بين الشمال والجنوب ، وابعاد فرنسا عن هذه المنطقة ، وما كان لتشرشل أن يوضح هذه الغاية وهو السياسى الداهية . كما أن قوات **الخليفة** ما كانت لتستعصى عليها فى أى فترة تريد القضاء عليها . وقد رأينا المؤلف يقول : ان معظم المديرين كانوا من الانجليز ، بينما نرى أن كل المديرين كانوا من الانجليز ، وأن كل « المأمورين » كانوا من المصريين ..

كما صور لنا المؤلف أن اتفاقية ١٩٠٣ كانت لاطلاق يد الانجليز فى مصر مقابل اطلاق يد الفرنسيين فى مراكش بينما نراها كانت اتفاقا عاما على اطلاق كل من الدولتين يدها فيما اغتصبته وعدم الاعتراض على أى لون من ألوان السياسة تنتهجه كل من الدولتين .

ثم هناك عدة مصطلحات ذكرها المؤلف كقوله : « ديم زوبير » وصحتها « ديم الزبير » ، وكقوله بلدة «كودك» وصحتها « كدوك » وكاطلاقه لقب « الدراويش » على أنصار الخليفة ، والحقيقة أن هذا الاسم كان يطلق عليهم فى أول قيام المهدية ، ثم عدل فى أيام المهدى الى « الأنصار » وعرفوا بهذا ، وقد اعتمد المؤلف على الدقة فى الأسماء فلم يقل « غردون » كما هو الشائع وانما ذكر اسمه دائما « جوردون » ولم يقل « تانا » ، كما تنطق بها ألسنتنا وانما ذكر الاسم الحقيقى لها وهو « تسانا » وكذلك ذكر كلمة « ساميويل » بدلا من « صمويل » .

.. فاذا أضفنا الى هذا أن هذا الكتاب قد نال به المؤلف درجة الدكتوراه مع درجة الشرف أدركنا ما للكتاب من قيمة ، وأنه سد فراغا ثقافيا فى المكتبة الافريقية .

للأستاذ سليمان جميل

ان عناصر الموسيقى فى العلم الحديث هى : الايقاع ، والميلودى ، والهارمونى ، والتلوين الصوتى .. ولم تكن الموسيقى البدائية منذ أقدم العصور البشرية تشتمل على أكثر من عنصر واحد من هذه العناصر هو « الايقاع » وذلك عندما تكونت لدى الانسان البدائى وسائل القرع على الطبول ، ليعلن عن خطر يدهمه ، أو ليستعملها عندما يجتمع للرقص .

ولم يكن الايقاع فى مجتمع ما قبل التاريخ محدد الأبعاد ، كما كان عاريا من عنصر اللحن . وتكونت الرقصات الأولى فى المجتمع الافريقى ((**مجتمع الصيد**)) من ايقاعات مضطربة مبعثرة تحاكى حركات الحيوانات التى كان الانسان فى الغابات يصطادها ، ويقلد حركاتها بطريقة تلقائية .. ولوحة ((**رقصة المرأة**)) المنحوتة على الحجر ، والتى قلدها الرسام « جورج ستاو » عام ١٨٦٧ تعتبر من أقدم الرسوم التى تصور لنا رقصة الافريقيين فى جنوب أفريقية .. وفيها نرى رجلا يرقص وهو ممسك بعصا طويلة رفيعة ، وخلفه خمسة من الرجال يقلدونه فى حركاته ، رافعين أرجلهم اليمنى وأيديهم قليلا الى الأمام مثله ، بينما نشاهد أسفل الصورة حيوانا يرمز الى الغزال الذى يعبر عن مصدر الحركة الراقصة .

وكحقيقة تاريخية ، فان القارة الافريقية هى اولى القارات التى نشات فيها مظاهر فن الموسيقى ممثلة فى الأيقاع .. ذلك الايقاع الذى تجدد بطريقة تشبه الكلمات والجمل ، ورسم أشكال من التفكير والتقاليد ، والانطباعات السلوكية التى ارتبطت كنوع من الموسيقى بالدين ، ولعبت دورا هاما فى تكوين الشخصية الافريقية .

والموسيقى فى التاريخ مرتبطة أشد الارتباط بالانسان ، منذ كان الفن فى حياة القبيلة الأولى متحدا كقوة ممثلة فى الايقاع .

وذلك يوضح لنا كيف أن عنصر الحركة هو المادة الأساسية فى مختلف

صور الفن التى أفرغ فيها الانسان حياته عبر القرون المتعاقبة . والايقاع فى حياة افريقية الحاضرة مادة فنية مركبة مركزة التعبير ، تشير الى قمة التطور الموسيقى الذى يعلق عليه الناقد الموسيقى الأمريكى « آروند كوبلاندز» بقوله «انه لا يجب أن نعتقد أن التطور الذى أحرزه عنصر الايقاع فى موسيقانا المعاصرة ـ بحيث أصبح هذا الايقاع معقد التركيب ـ أمر كان مجهولا حتى حياتنا الحاضرة ، بل على العكس فان هذا اللون من الايقاع يعرفه قارع الطبول فى القارة الافريقية من قديم الزمن » .

وفى التأليف الموسيقى الحديث ، فان الايقاع هو العمود الفقرى الذى يرتكز عليه جسم الموضوع الفنى وهيكله ، بل ان الايقاع يكفى وحده كعجينة فنية لخلق تمثال موسيقى متكامل البناء ، تفيض منه الحياة . ولقد ألف الموسيقار المجرى « بلابارتوك » كنشرتو لمجموعة الآلات الايقاعية ، بحيث عبر بلغة الايقاع وحدها ، دون اللحن عن موضوعه الموسيقى العالمى . ولا يفوتنا أن ننوه أن « بلابارتوك » قد زار مصر وأثر بألوان الايقاع فى موسيقانا ، ولا سيما ايقاعات الزار الافريقى .

ونعود الى آراء المؤلف الموسيقى الناقد « آروند كوبلاندز » فنجده وهو يتحدث عن الايقاع المركب فى الموسيقى الحديثة يعطى أمثلة مدونة لهذا الايقاع من أعمال مؤلف موسيقى الجاز الأمريكى « جورج جرشوين » ، وهو يعنى بهذه الأمثلة أن موسيقى الجاز هى النموذج الحى للايقاعات المعقدة التركيب ، ونحن فى هذا المجال نود لو أن الناقد « آروند كوبلاندز » كان قد أضاف الى تطبيقاته المدونة أمثلة من موسيقى زنوج ولاية « نيو اورليانز » الأمريكية ، هؤلاء الزنوج الذين انتقلوا الى الدنيا الجديدة عندما لجأ مستعمروها الى شحن عدد كبير من الأيدى العاملة الافريقية للعمل فى اعداد التربة البكر للزراعة ، وسائر أعمال البناء الأخرى. وفى واقع الأمر فان أغانى زنوج أمريكا ورقصاتهم هى أسس اللهجة السيكوباتية ، وتشكيلات الايقاع المركب فى موسيقى الجاز الأمريكية. ونظرة بسيطة الى مؤلفات الجاز الحديثة تكشف لنا عن نوعين متباينين من هذا التأليف . فبينما نشعر بروح السطحية والصخب والمراهقة قد طغت على مؤلفات الموسيقيين الامريكان من السلالة الأوروبية ، نشعر بمؤلفات زنوج أمريكا عميقة الأثر ، انسانية غنية باصالة الايقاع ، والميلودى نابعة من وجدان القارة السوداء ، المناضلة من أجل الحرية والمساواة .. ولا شك فى أن ألحان الزنوج الدينية ، وألحانهم التى مارست حياتهم فى العمل هى دعامة الموسيقى القومية الأمريكية ، وعامل من أهم العوامل المؤثرة فى ثقافة الأمريكان بصفة عامة ، بجانب ذلك فان ألحان زنوج أمريكا قد غزت بلاد العالم المتحضر لقوة شخصيتها الايقاعية والميلودية ، بحيث أصبحت خصائص الموسيقى الافريقية هى التى تشكل أغانى البشرية ورقصاتها فى القرن العشرين . .

الأفريقى فى انجلترا

المتاعب التى يقاسيها فى سبيل البحث عن عمل

للاستاذ عزيز مترى عبد الملك

دعنا نستمع الى الناطق بلسان الاتحاد العام لعمال النقل فى مقاطعة «ميدلاند» المستر جيم ليسك سكرتير الاتحاد ،وهو يتحدث أمام التليفيزيون بمحطة الاذاعة البريطانية فيقول :

« ان أهل المستعمرات قذرون تفوح منهم رائحة نتنة ، ومن واجبنا حماية نسائنا منهم بارسال هؤلاء الملونين الى بلادهم فورا » ثم يستطرد قائلا « ان استخدام الملونين تشجيع مباشر للفساد ، سوف يمنع الرجل الأبيض المحترم من استعمال سيارات النقل ، ومن يدرى ما قد يحدث لبناتنا ؟ أليس من المحتمل أن يشرب أحد الملونين من نفس الكأس التى يشرب منها سيده الأبيض ! ومن منا يستعد لمجابهة مثل هذا الخطر ؟ »

وليس اتحاد عمال النقل هو الوحيد الذى يحرض على كراهية الأجناس ، فان الاتحاد الوطنى للبحارة قد قام بعدة اضرابات وقدم عدة احتجاجات ،وأثار شغبا انتهى بقتل الكثير من الافريقيين ، ليحول دون استخدام بحارة من الملونين ، وفى يوليو من العام الماضى قدم بحاران استدعتهما سفنهما الى انجلترا ، احدهما هندى والآخر افريقى ،ولكنهما علما أن الاتحاد الوطنى لرجال البحر يعترض على تشغيل الرجل الأسود فى السفن البيضاء ، وقد زادت بهما قائمة الضحايا من البحارة الملونين المحرومين من كل حق ، والذين تزخر بهم أحياء ليفربول وكارديف وشرق لندن اذ قدما ضحيتين جديدتين للتفرقة العنصرية . والجدير بالملاحظة أن السفن التجارية البريطانية تحضر هؤلاء البحارة الافريقيين الى انجلترا ، ثم تطردهم من العمل دون رحمة أو مبالاة ، وأن أصحاب السفن يسرهم أن يروا المئات من رجال البحر الافريقيين العاطلين حولهم وتحت تصرفهم ، كما يعمل الاتحاد الوطنى لرجال البحر على عدم استخدامهم مرة أخرى على اية سفينة ، ويظل هؤلاء البحارة المساكين محرومين من كل معونة ، لا أمل لهم فى العودة الى بلادهم ، ولا عمل لهم فى انجلترا ولا حق لهم الا أن يموتوا فى صمت واستكانة وهدوء .

ومما يزيد فى آلام هؤلاء الناس من

غير الأوربيين ما تفيض به المقالات فى الصحف من سخرية وتهكم ، فتدعى أن الملونين يشاهدون فى ملابسهم الأنيقة وعرباتهم الفاخرة،وهم يزورون مكاتب العمل ، بينما الحقيقة والواقع أن الآلاف من الافريقيين العاطلين يجوبون الطرقات فى أسمالهم البالية ، بحثا عن عمل ، ويطرقون الأبواب يوميا يستجدون أصحاب العمل الواحد بعد الآخر ، وهم محرومون من معونة الأصدقاء ، مفلسون لا يملكون أجر العودة الى بلادهم .

وكذلك يرفض اتحاد العمال المهرة قبول عضوية الملونين متعللا بأتفه الأسباب ، أما اتحاد العمال العاديين فيصر على أن يكون لكل عامل ملون مهاجر بطاقته الشخصية ، فى الوقت الذى يصمم فيه على حرمانه من العمل ، ولقد نقل عامل من جاميكا بعد أن ظل يعمل فى مناجم ويلز الجنوبية اثنى عشر عاما الى مناجم درهام ، ولكن أخوانه عمال مناجم درهام اضربوا لكى يحرموه من العمل معهم ، وهكذا طرد المسكين وأصبح عاطلا غير مرغوب فيه ، بالرغم من أنه عضو فى الاتحاد ، ولقد توالت الاضرابات لتعيين ملون فى محطة كنجز كروس ، ولافريقى عين سائق سيارة أجرة مما جعل الافريقيين يفهمون جيدا أن لا عمل لهم، وأنهم غير مرغوب فى بقائهم فى انجلترا .

وبالرغم من أن الصحافة الانجليزية ومحطة الاذاعة البريطانية تخفى هذا العداء السافر الذى يكنه اتحاد العمل والحركة العمالية ضد الافريقيين تحت طلاء زائف ، فان الافريقى المهاجر يحسه ويلمسه طول حياته ، فاذا كان يبحث عن عمل فان الاتحاد يرفض اعطاءه بطاقة ، ومكتب العمل يقول له : لا توجد وظائف خالية للملونين . وأصحاب العمل يقولون له : لا يمكننا تشغيلك حتى لا يتوقف باقى العمال عن العمل وحتى عندما ينجح فى الحصول على عمل ويعمل جاهدا للاحتفاظ به تراه يتعرض لضغط دائم مستمر من اخوانه وزملائه فى الاتحاد حتى يتمكنوا من طرده ، ويتجدد الاضطهاد كل يوم ، فمن اهانات واذلال يتعمده معه زملاؤه فى العمل الى اضراب منظم مرسوم القصد منه طرد الافريقى من وظيفته وأن الافريقى وحده هو الذى يمكنه التعبير عن الذعر والفزع الذى ينتابه لقاء عمل اجره جنيهات معدودات فى جو ملىء بالمرارة ، ووسط عداء مستمر يتعرض فيه العامل الافريقى الى مقاطعة زملائه وهمساتهم الساخرة واهاناتهم المتوالية حتى يعجز العامل عن تحمل كل هذه المظالم فيقع فريسة للأمراض العقلية والعصبية .

ان الحرب تشن على الملونين يوميا ما دام هناك أفريقى فى انجلترا ، أما عدد الضحايا فيفوق الحصر ، وفى

وقت، ما خلت وظائف ثلاث بينما كان نصف العمال الافريقيين عاطلين عن العمل يضيعون زهرة شبابهم في بحثهم غير المجدى عن عمل ، يجوبون الطرقات ويقرعون أبواب المصانع الواحد بعد الآخر ، متضرعين الى أنصاف المتعلمين من الانجليز حتى يتكرموا عليهم بأى عمل مهما كان قذرا أو حقيرا ، وينفقون الساعات الطوال يوميا ، أمام مكتب العمل فلا ينالهم الا الاذلال والتحقير من الموظفين الجهلة الذين يملأون جحور مكاتب العمل الموبوءة .

ان هذه المعاملة السيئة الخالية من كل رحمة أو انسانية لتلقن العامل الافريقى درسا لن ينساه ، وكأنها تقول له : لا حياة لك فى وطنك ولا فى وطننا وليس لك من وسيلة لكسب عيشك هنا ، أو هنالك الا اذا نجحت فى استخلاص افريقية من يدنا نحن اللصوص ، واسترجعتها لك ولأخوانك وأنتم أصحابها الشرعيون ، لقد اغتصبنا منكم وطنكم ، وان من يرفض منكم خدمتنا والعمل من أجل منفعتنا وتقديم المواد الخام لنا لن نتركه يعيش فى هذا العالم ، ولكنكم متى أصبحتم سادة فى بلادكم سيتوفر لكم العمل ، وتطيب لكم الحياة كرجال ، وبدلا من الاستجداء على أعتابنا سعيا وراء أقذر الأعمال وأحطها ، ستتعلمون كيف تتحكمون فى الطاقة الذرية ! وكيف تحولون بالعلم والصناعة افريقية الى بلد يعمه الرخاء وتسوده الطمأنينة وترفرف عليه السعادة !

وعند ذلك سيرد الافريقى قائلا : « وأنى أشكر لكم هذا الدرس النافع المفيد ، وانى لآسف من أجلكم أيها البريطانيون ، فأنتم أهل رفاهية وفخفخة ، وان بلادى رغم غناها لتعجز عن توفير هذه الحياة الهينة لكم ، وان أول درس يجب على ان اتعلمه هو ان ألقى بكم بعيدا الى وطنكم ، ان كتبكم لم تفدنى فى قليل أو كثير ، ولكن أعمالكم هى التى علمتنى ماكنت أجهله ، لقد عرفتنى من هو صديقى ومن هو عدوى ، ولسوف تندمون على تلقينكم لى هذا الدرس النافع ، وأن كل اذلال تحملته وكل اهانة تعرضت لها سيجعلنى اذكر هذا الدرس ولا انساه أبد الدهر ، اذ هو راسخ فى نفسى ومحفور على صفحات قلبى ، وأنتم يامن ترفضون الآن السماح لى بمجرد العيش معكم يجب أن تعلموا أن حياتكم متوقفة على ، وعندما أستغل المواد الخامة التى أملكها لمصلحتى وليس لمصلحتكم خبرونى بربكم كيف تتمكنوا من الحياة ؟ » .

ليبيريا

تلتقى فى « مونروفيـــا » عاصمة ليبيريا فى هذه الأيام عدة وفود تنشكل الحيـــاة فى القـــارة ، ومشكلاتها ، ورغبتهـــا الصادقة فى اسـتخلاص حقوقها المغتصبة ، وفى تحقيق عدالة انسانية تامة ..

وليبيريا ليست دولة ضـــخمة . فمساحتها على الساحل الغربى للقارة لا تتعدى ١١١٫٠٠٠ كيلو متر مربع . كما أن ســكانها يقدرون بمليونى نسمة ، وقد كانت قبل تشـــكيلها الحالى منطقة مهملة يتنازعها عدة أمراء محليين . لأن تاريخها الحقيقى يبدأ فى الســابع من شهر يناير عام ١٨٢٢ حينمـــا وصـلت اليهـــا بعثـــة اســـكتشافية لمعرفة هـــذه الأراضى ومدى صلاحيتها لاستيطان الافريقيين الذين يعيشون فى أمريكا ، والذين رغبت السلطات هنـاك فى التخلص منهم بعد أن ألغيت تجارة الرقيق ، وأصبحوا يريدون مبـــاشرة الحياة الحرة الكريمة هناك .

ومن هنا فقد قامت جمعية تسمى **« جمعية الاستعمار الامريكية »** منادية بعـــدم مســـاواة السود بالبيض ، وبالرغبة فى ترحيلهم نهائيا عن البلاد الى موطن أجدادهم ، وقد اسـتجاب الساسة هناك لهذه الفكرة ، وقامت بعثة الى أفريقية فاكتشفت هذا المكان وتحايلت عـــلى شراء هـــذه الدولة الضخمة من الامراء المحليين بما لا يزيد عن عشرة جنيهات دفعتها البعثة فى صورة هدايا بسيطة ، وساذجة لهؤلاء الامراء المحليين فى البلاد .

وبمقتضى هذا الاتفاق تدفق كثير من الافريقيين الذين يعيشـــون فى الولايات المتحدة الامريكية . مستوطنين فى أول أمرهم على طول الساحل . ثم حين اشتد ضغط الوافدين توغلوا فى الداخل حيث المستنقعات الراكدة ، وغابات « المانجروف » و « السافانا » وآلاف الاميال المغطاة بالادغال ، ولكن طاقة الانسان الجبارة استطاعت أن تغير وجه الحياة هناك ، وأن تجعلها صالحة للسكنى ، ولـكثير من ألوان الزراعة ، والصناعة .

رئيس الجمهورية

وقد أخـــذت هـــذه البلاد شكلها النهـــائى كدولة حـــرة فى يونيو عام ١٨٤٧ بعد أن تمردت على نظام الـــكومنولث الامريكى الذى كانت تخضع له . فقد قامت فى البلاد جمعية قوية استطاعت أن تضع دســـتورا للبلاد ، وأن تنـــادى فى ٢٦ يوليو عام ١٨٤٧ بقيـــام جمهورية ليبيريا المستقلة ، وقد احتفل فى ٢٦ يوليو الماضى هناك بالذكرى الثانيـــة عشرة لتأسيسها . ولقد أحدث اعلان استقلالها فى هذا الوقت المبكر أثرا طيبا فى نفوس ســـكان الدول الافريقيـــة المجاورة . فقد بدأوا يحسون بأنفسهم ويتحسسون قيودهم فى غيظ وألم ، ويمدون عيونهم الى هذا البلد الذى كان كجزيرة حرة وســـط بحر كبير من المســـتعمرات البريطانيـــة ، والفرنسية .

والبلاد تتشكل من عنصرين أولهما هذا العنصر الافريقى القادم من أمريكا الذى يســـمى أهـــله أنفســـهم ـ بالليبيريين الامريكيين . وهم يسكنون فى الاماكن المتحضرة ، وينتشر بينهم التعليم ، وتسند اليهم أكثر الوظائف الهـــامة فى الدولة . ويعـــين رئيس الجمهورية دائما من احدى هذه الاسر المسماة بأسرة « تابمان » أما المناطق البعيدة فتضم أهل البلاد الاصليين ، وهم ينتمون فى حقيقة أمرهم الى ثلاث مجموعات لغوية هى الماندى Mande وكوا Kua ، ووست بانتـــو West Bantu وتشكل هذه القبائل التى لا تقوم بعمل حاسم فى ادارة الدولة تسعين فى المائة من مجموع السكان ، وهى تحتفظ فى داخلها بالتشكيلات القبلية ، وبالخضوع لزعيـم ينصب مدى الحياة ، ولا يحق لاحد عزله سوى رئيس الجمهورية .

وليبيريا تعتبر متخلفة الآن اقتصاديا فالزراعة فيها متخلفة . فبينما توجد فى الحزام الســـاحلى مزارع ضخمة تمتلكها فئـــة من الرأسماليين هناك نجد أن البقية من الناس تجاهد فى أول الامر لتخليص الارض من الاحراش الاستوائية التى تنتشر بكثرة ثم تعمل من جديد لاستنبات الموز ، والذرة ، والكاســـافا ، والبن ، والمطـــاط ، وأشجار الزيت .

وقد عثر فى أثناء الحرب العالمية الثانية على كميات كبيرة من رواسب الحديد الخام بالقرب من « مونروفيا » مما ترتب عليه نمو صناعة التعدين ، وامتصاصها لكثير من الايدى العاملة .

والى جانب هذا الفقر الاقتصادى فى الجانبين الزراعى ، والصناعى نجد أن مقدرات البلاد فى أيدى الشركات الاجنبية ، وخاصة الشركات الامريكية ، فاذا علمنـــا أن المطاط يكون ٧٠ فى المائة من صـــادرات البلاد . هالتنا الحقيقـــــة التى تقول ان شركة « فايرســـتون » تملك جميع مزارع المطاط هنـــاك تقريبا . فمزارع هذه الشركة تغطى هناك مساحة قدرها ٣٨

ألف هكتار . بينما لا يمتلك أصحاب البلاد الا سبعة آلاف هكتار فقط .

وقد توصلت هـــذه الشركة الى غايتها حينما منحت الحكومة قرضا يبلغ خمسة ملايين دولار . فى مقابل اســتغلال الشركة لحوالى ٤٠٠ر٠٠٠ هكتار من الارض ، وبعض التسهيلات الاخرى .

والشركة الى جانب هذا تملك أكثر من ثلث الطرق العامة هناك ، وترتبط ببنك « مونروفيا » الذى يملك حق اصدار الاوراق المالية فى ليبيريا . والى جانب هـــذه الشركة الضخمة التى تقتصـــد موارد البـــلاد توجد بعض الشركات الاخرى الصـــغيرة كشركة « سينورى » التابعة لالمانيا الغربية ، والتى تقوم سياستها على اســتغلال مزارع الموز ، وأشجار الزيت .

فالمشكلتان الرئيســيتان الآن فى ليبيريا هما :

أولا : تحكم رأس المال الاجنبى ـ وخاصة الامريكى ـ فى اقتصـــاديات البلاد واستنزاف خيراتها ، وامتصاص مواردها بعيـــدا عن ســـكان البلاد الاصليين .

ثانيا : هـــذه الفجوة الكبيرة بين الافريقيين من أهل البـــلاد ، وبين الافريقيين الوافدين من أمريكا والذين يملكون مصير البلاد ـ على قلتهم ـ ويضعون أنفسهم وبلادهم فى خدمة المصالح الاجنبية هذا ، ولكن الوعى الجديد فى القارة ، والنظر فى حل المشـــكلات الافريقيـــة حلا جماعيا . يستطيع أن يخدم ((القضية الافريقية)) العادلة فى هذه البلاد .

ومن أجل هـــذا وغيره قام مؤتمر ((مونروفيا)) فى ليبيريا .

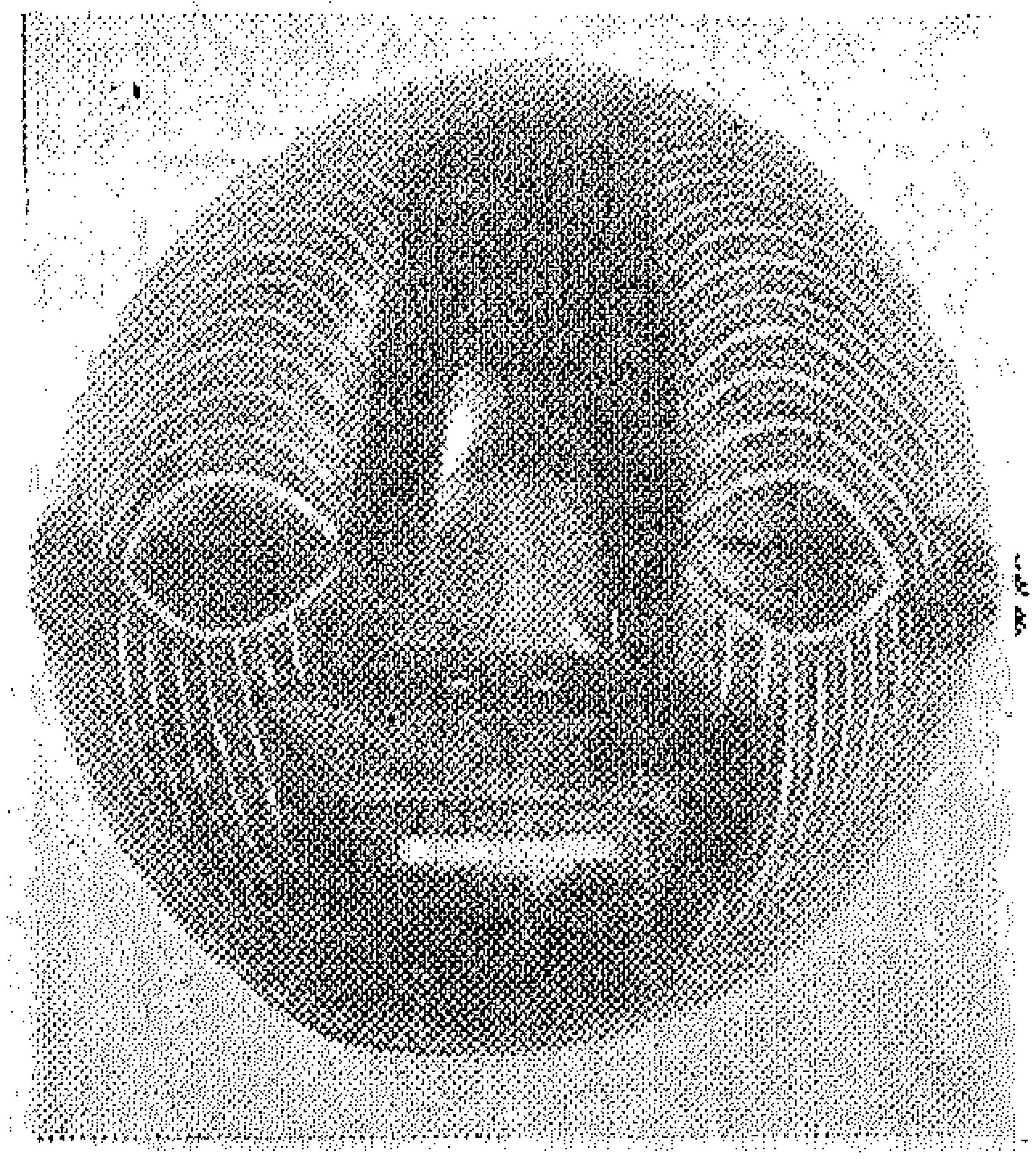

أساطير من الكمرون

للأستاذ بهجت ابراهيم دسوقى

يحكى أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ، اله يسمى ((**فمباكا**)) تعبده قبيلة ((**مبوم**)) . وكان المعبد الذى يعيش فيه الاله فى جبل ((تجنها)) قرب مدينة ((**غوندرى**)) . ومما يزعم أنه فى هذا الجبل غابات وفى الغابات غار كبير وفى داخل الغار بحر كبير وفى البحر مركب نحاسى به بوق ، وبجانب باب الغار توجد صومعة الكاهن ، وهذا الكاهن هو الذى يحكم البلاد ويسمونه بلغتهم ((**بلكا**)) . وهذه الصومعة وذلك الغار لا يصلهما الا ((**بلكا**)) وحده وأتباعه من الكهان يقفون بجوار الغار

وحينما يحين موعد زيارة ((**بلكا**)) للاله فانه يخلع ملابسه كاملة عند دخوله الغار ، ومما يزعم أن أتباع الاله ((**فمباكا**)) من الآلهة الآخرين يحضرون الى ((**بلكا**)) ملابس أخرى يلبسها ، ثم يركب الكاهن المركب ويصحبه الآلهة ويمسك الكاهن المجداف مع الآلهة ، ويسيرون داخل البحر مسافات كبيرة فى الظلام . وتوجد داخل هذا البحر قبة من النور ، فاذا اقترب المركب منها ينادى الكاهن بأعلى صوته ((**غاغوين**)) أى (يا الهى) . وفى هذه الأثناء يرتفع دخان من أعلى القبة ويغشى هذا الدخان الكاهن ، فاذا كان الكاهن سيىء النية فان هذا الدخان يحرقه ، واذا كان حسن النية يظهر له الاله (**فمباكا**) جالساً على كرسى من الذهب ، يقول له ((**جيجى كوامى**)) أى تعال يا عبدى . ثم يقول ((**ويمى مهيا**)) أى اسألنى أعطك . ثم يبدأ الاله باخباره بما حدث لشعبه وبما سيحدث له ، ويخبره عن أحوال الزراعة ، وهل ستحدث مجاعة أولا ، وبعد ذلك يأمره باحضار فتاة بكر يعينها له الاله ليرميها الكاهن فى نهر ((**وينا**)) ويبيت الكاهن فى هذه المنطقة ثلاثة أيام . وفى هذه الاثناء يقوم الأهالى بعمل كثير من الخمور من الذرة الشامية ، وذلك فى العاصمة ، ويدعون الناس من كل مكان ، واذا أراد أحد الاهالى أن يستفسر عن أمر له فانه يسأل الكاهن قبل ذهابه ليسأل له الاله ، ويشرب الأهالى الخمر لمدة شهر قبل ذهاب الكاهن وبعد رجوعه ، ويضربون الطبول ويرقصون على نغماتها . ومن الآلات الموسيقية التى يضربون عليها نوع يسمى ((**جا**))

وينفخون فى الأبواق . ويلبس الكهنة لباسا من خيوط الشجر ويرقصون ، ومكان رقص الكهنة لا يحضره النساء ، لأنهم يزعمون أن هذا الرقص اذا رأته المرأة فانها تموت فى الحال .

ويرقص النســـاء فى القرية رقصا اسـمه (**بوى**) ويضربون على طبل مرتفع وينشـــدون أناشيد تعبر عن ايمانهموعقيدتهم وولائهمللاله **(فمباكا)** والكاهن (**بلــكا**) ويرقص الـكهنة التابعون للكاهن الاكبر – وهم حكام جميع المناطق – حول هذا الجبل الذى كان بداخله الـــكاهن الاكبر ، وفى رجوع الكاهن ، حينما يصل الى باب الغار فانه يخلع الملابس التى ألبسه اياها الآلهة ، ويرتدى ملابســه التى كان قد خلعهـــا فى بدء رحلته ، ثم يحمله الكهنة فى محمل مغلق لا يراه أحد الا الـــكهنة ، ويعودون به الى منزله ويضعونه فى محرابه ، ثم يدخل عليه الكهنة متفردين ليخبرهم **((بلكا))** بما حدثه به الاله ((**فمباكا**)) ولا يراه الكهنة ولكن يسمعون صوته فقط ، فيخبرهم بما حدث فى قبائلهم وبما سيحدث لهم ، ومن هم أعداؤهم ومن هم أحبــابهم ، ويذبح الشعب ذبائح كثيرة بهذه المناســبة من أجل الاله ((**فمباكا**)) .

وبعــد ســبعة أيام يرسل الاله ((**فمباكا**)) رسولا من قبله يصيح ليلا ويصرخ . وهذا دليل على صدق كلام الكاهن ((**بلكا**)) وعلى أن الاله فمباكا راض عنه . وفى صباح هذه الليلة التى حضر فيهـــا الرســـول يظهر الكاهن ((**بلكا**)) للكهنة ، ويهنئونه ويسجدون له ثم يأمر باحضار الفتاة البكر التى أمر باحضـــارها ليفى بما طلب منه ثم يزينونها ، ويلتمس الأهالى منها البركة ويقدمون لها التهانى . لاختيار الاله لها ، ثم يرمونبها فى نهر **((وينا))** ثم يظهر الكاهن ((**بلكا**)) للاهالى بعد شهرواحد،ويحضرونلمباركتهوتهنئته . ومن يسعد برؤية الكاهن ((**بلكا**)) ثم يعود لبلاده فان الناس يلتمسون منه البـــركة لانه رأى مرضى الاله ، ثم يحضر الاهالى حوالى مائة فتاة بكر من بنات الكهنة ويقدمونهن هدية للكاهن ((**بلكا**)) كجوار له . وللكاهن ((**بلكا**)) ما يقرب من ألفين من النساء . ويوجد ببيتـــه شـــجرة اذا أراد أن يجتمع بنسائه فانه يلمس هذه الشجرة بجزء من جسمه فتعطيه القدرة على أن يجتمع بما يقرب من عشرين امرأة ، وهذه الشجرة تسمى ((**جفى**)) . ويقال ان بعض هذه الاشجار ما زال موجودا عند قبيلة ((**مبوم**)) وكذلك بعض هذه التقاليد .

وتوجـد هـذه القبيـلة الآن فى ((غوغنـــــدرى)) وفى ((مـــرى)) و ((نى تبانى)) و ((تنجر)) و ((كونشا)) و ((سمبا)) .

الأقنعة في افريقيه

يمثل القناع قوة خفية من قوى القارة الأفريقية : فبه تقام المراسيم ، ويرهب كل من يخرج على التقاليد المتوارثة للقبيلة . أو الجماعات السرية . كما يتصل اتصالا وثيقا بالقوى الروحية والأسرار التى تنطوى عليها القارة .

وزيادة على هذا فقد أصبح لونا من ألوان الفن الذى يعطي صورة واضحة لنفسية الفنان الافريقى الأصيل . وطبيعة الحياة ، والظروف الاجتماعية من حوله .

على أنه قد تحول فى الأيام الأخيرة الى ((سلعة تجارية)) تلقى رواجا فى كل بلاد العالم . وبدأت فى الوقت نفسه كل الجهات المهتمة بالفنون تهتم به ، وتقيمه ، وتستخرج من خلاله الدلالات النفسية والاجتماعية العميقة .

ومن هنا بدأ يدخل المنازل بجوار الأعمال الكبيرة للفنانين العالميين .

ونحن هنا نقدم بدورنا عدة ألوان من هذه الأقنعة من أكثر من مكان فى افريقية .

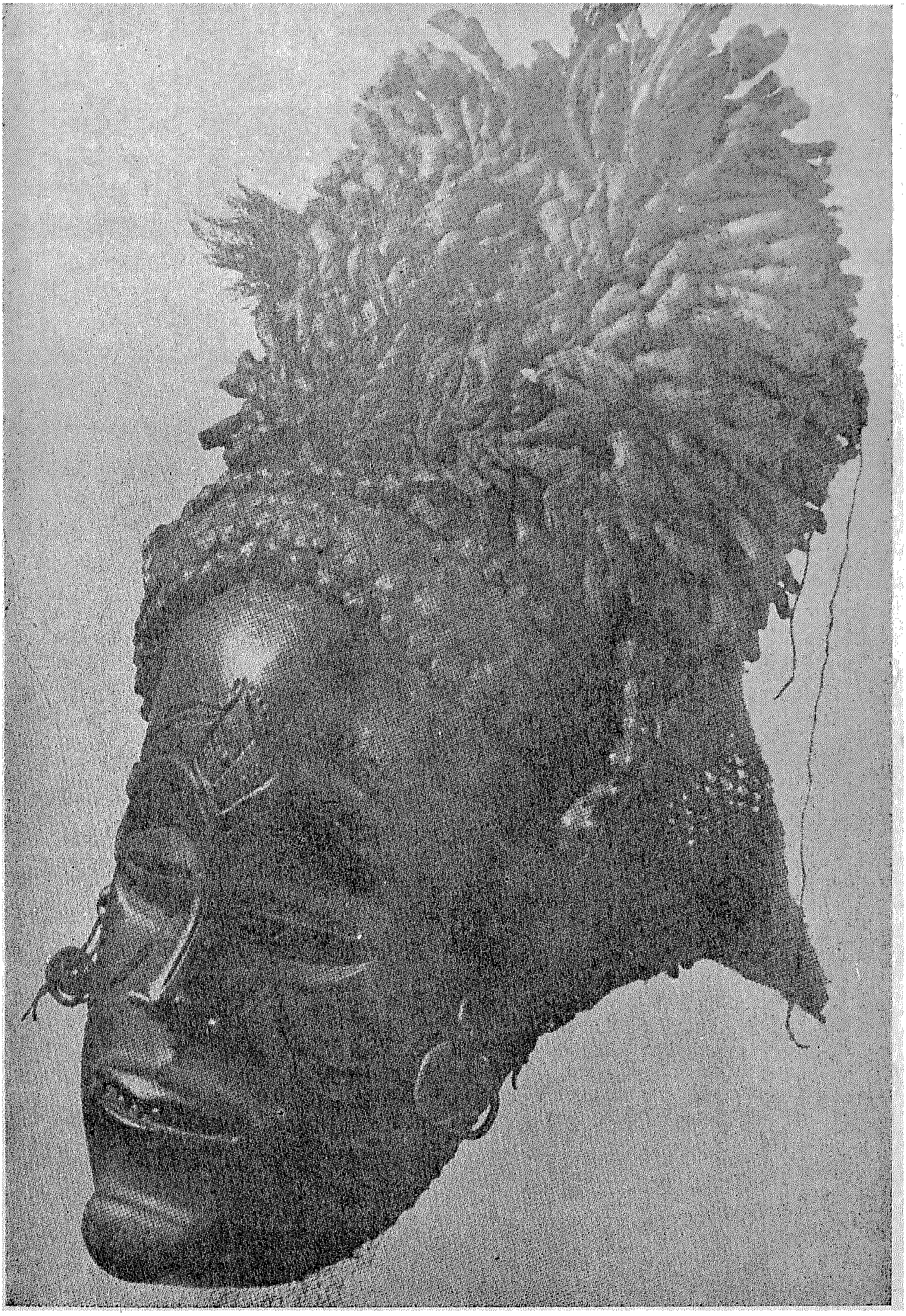

قناع من الكونغو

قناع من ليبيريا

قناع من الكمرون

دور الزنوج فى المسرح الأمريكى

للأستاذ : عبد الواحد ابراهيم

يلعب الزنوج دورا ايجابيا فعالا فى مختلف مجالات الحياة الأمريكية، وليس ثمة شك فى أنهم قد أسهموا وما زالوا يسهمون فى حقل النشاط المسرحى بجهود فنية موفقة ، ساعدت ــ كما سنرى فيما بعد ــ على تطوير الحركة المسرحية بتغذيتها بالموضوعات الجديدة التى انفرد الكتاب الزنوج باجادة حبكتها الفنية .

ولقد ظهرت من بين الزنوج مجموعة ضخمة من الكتاب الدراميين الذين قدموا للمسرح الأمريكى طائفة من الروائع الفنية حظيت بتقدير النقاد واعجاب الجماهير ، وعرض بعضها فى برودوى التى تعتبر مركز الاشعاع المسرحى فى الولايات المتحدة ، وسنقتصر هنا على بعض هؤلاء الكتاب الزنوج الذين قدم مسرح برودوى بعضا من انتاجهم .

فكارلاند اندريسون : الذى توفى عام ١٩٣٩ يعتبر أول زنجى كتب لونا جديدا من الدراما الرائعة لمسرح البرودوى ، وهذا الكاتب كان يعمل قبل أن يشتغل بالتأليف المسرحى خادما فى أحد فنادق سان فرانسيسكو ، ولم تكن مسرحياته التى يكتبها الا تسجيلا صادقا لواقع عاش فيه ، وتجربة عملية مر بها ، وقد عرض مسرح برودوى عام ١٩٢٥ قصته المسماة « المظاهر » وهى دراما تستعرض فى دقة وعمق حياة خدم الفنادق ، بكل ما فيها من المواقف الانسانية الحساسة ، وقد لقيت هذه المسرحية اعجابا من الجمهور ، حتى أن عرضها على مسرح برودوى قد استمر ثلاثة أسابيع كاملة عام ١٩٢٥ ، ثم أعيد عرضها مرة ثانية خمسة أشهر عام ١٩٢٩ على المسرح نفسه .

ووالاس تيرمان : كاتب قصة ممتاز، ويعتبر ثانى زنجى بعد أندريسون قدم له البرودوى مسرحية ناجحة استمر عرضها فترة لا بأس بها ، وقد اشترك تيرمان مع أحد الكتاب البيض فى وضع مسرحية تدور حول مظاهر الحياة التى يعيشها العالم .

وفرانك ويلسون : هو واحد من جماعة الممثلين الزنوج الذين تحولوا

الى كتابة المسرحيات ، وقدم مسرح الأميرة فى برودوى عام ١٩٢٨ روايته « موسى الوديع » ولكن عرضهـا لم يستمر طويلا ، وعاد ويلسون مرة ثانية الى التمثيل حيث اشترك فى بعض المسرحيات ممثلا ناجحا على مسارح برودوى .

وهول جونسون : هو مطرب زنجي، كان يعمل مديرا لأحدى جوقات المنشدين ، وكتب للمسرح نوعا من الدراما الشعبية الخفيفة منها « الارتعاشة الصغيرة » التى نجحت نجاحا منقطع النظير حتى أنها عرضت ١٢٦ مرة على مسارح برودوى عام ١٩٣٣ . وكان جونسون قد كون جوقته ــ الموسيقية عام ١٩٢٥ ، وظلت هذه الجوقة تلعب الموسيقى الرئيسية التى تصاحب التمثيل فى كثير من المسرحيات الكوميدية التى قدمها البرودوى .

* * *

وتأتى بعد ذلك مدرسة الكتاب المسرحيين الزنوج الحديثين الذين أخذوا يعرضون على مسارح البرودوى طائفة من التمثيليات ذات الطابع الذى يتميز بالخصائص الذاتية لطائفة الجنس الأسود ، وأهم هؤلاء الكاتب :

ميخائيل : وكان هذا الكاتب يشغل أولا وظيفة مدير ادارة الترفيه ن.ب.س للتليفزيون وقدم ثلاث روايات من شوامخ المسرحيات العالمية ، شاهدها رواد مسرح البرودوى ، ونالت اعجاب الجماهير على اختلاف ميولهم وأذواقهم، وحصل على منحة قدرها ٥٠٠٠ دولار ، قدمتها له الكوجنهايم ، تقديرا له على رواياته الابداعية التى تقدم بها فى العام الماضى . وقد انتهى ميخائيل أخيرا من كتابة ثلاث مسرحيات جديدة تصور احداها حول حياة البيرت وليمز .

دوين بير : وهو يشغل وظيفة رئيس ادارة التمثيل فى جامعة لعلها هافارد وقام بتاليف أربع مسرحيات من النوع الطويل ، كما كتب عشر مسرحيات اخرى من المسرحيات ذات الفصل الواحد . وقدم مسرح الجامعة مجموعة من انتاجه الفنى . وآخر مسرحية كتبها هذا الدرامى هى « ما وراء الأسطورة » .

جورج نورفورد : ويعمل مخرجا فى شركة ن.ب.س للتليفزيون وقد استمر ٢١ عاما يؤلف للمسرح ،ويكتب الروايات التمثيلية ، الا أن البرودوى لم يقدم واحدة منها ، بالرغم من أن مسرح الجايلد قد اشترى منه حق تقديم روايته الشهيرة « زعيم الأسرة » ولهذا الكاتب مسرحية تعتبر أحدث ما كتب وهى « فلنقل آمين » .

وليم برانس : درس وليم فن كتابة المسرحية فى جامعة الشمال الغربى ، وله طائفة من المسرحيات الناجحة ، أهمها « ميدالية من أجل والى » ١٩٥١ ، و «غلطة نبيلة» ١٩٥٤ ،وقد قام برانس أخيرا باعداد رواية « باقة

من الزهور لأودمو » وهى روايةتعتمد على القصة التىكتبها «بيتر أبرهامز» احد كتاب القصة فى جنوب افريقية.

بل جون : وهو ممثلظهر كثيرا على خشبة المسرح فىبعض الرواياتالهامة، وله فى عالم التأليف الدرامى عدة مسرحيات أشهرها « الماركيز بين الأعشاب الطويلة » وتعتبر هذه القصة باكورة انتاجه الفنى . وقد اشتراها منه مسرح الجايلد لاخراجها وتقديمها .

أليس تشيلدرس : وهى كاتبة تخصصت فى كتابة الرواية الفكاهية، وقد وافق مسرح جايلد على عرض مسرحيتين لها ، هما : « الذهب عن طريق الأشجار » وقد عرضت عام ١٩٥٢ ، وقصة« تشويش فى الذهن»، عرضت عام ١٩٥٥ ، وأحدثمسرحية لها هى « لباب جوز الهند » .

تيودور وارد : له مسرحية بعنوان (Our land) وقد عرضت هذه الرواية على مسرحجايلد فىبرودوىعام ١٩٤٧ ، وتحكى هذه الدراما قصة عبيد تحرروا ، واستقر بهم المقام فى احدى الجزر الواقعة على شاطىء جورجيا ، وقد درس وارد فن كتابة المسرحية وحصل على لقب الزمالة من مؤتمر المسرح الدولى ، وقدمت جماعة كتاب المسرح الزنوج عام١٩٤٩ قصته المعروفة « الضبابة البيضاء » .

لانجستون هايس : عرضتمسارح البرودوى خمس روايات ناجحة من أعماله ، ونالت مسرحيته « الولد الملون » اعجاب عشاق المسرح ، حتى أن البرودوى استجابة لرغبات الجماهير ، ظل يعرضها مدة عامكامل، ثم استمر عرضها بعد ذلك مدة ثمانية أشهر متواصلة على المسارح الأمريكية الأخرى ، وله روايات ناجحة ، أخرى منها « المنشد » ، « المنقذون » ، « جزيرة المتاعب » ، « الحواجز » .

تشارلز سابرى : اشترك هذا الكاتب مع جوير جونسون — وهو أحد الدراميين البيض — فى كتابة مسرحية «مدام باتريسون» وعرضت هذه الرواية على مسارح البرودوى عام ١٩٥٤ . وسابرى هذا زنجىفنان، ولد فى مقاطعة كينتوكى ، وكان يعمل — قبل انيشتغل بالتأليفالمسرحى — راقصا فى فرقة كاترين ولهايم .

ريتشارد رايت : أول زنجى يكتب القصة التى تحظى برواج ، قبل أن يحوزه كاتب أبيض من عمالقة الأدب المسرحى فى العصر الحديث ، ولقد اشترك مع بول جرين فى كتابة رواية «الولد المواطن» قدمها مسرحبرودوى، وقام بدور البطولة فيها « لندالى » واستمر عرضها ٨٣ يوما متواصلة . وريتشارد لا يحب التجربة ، وقد قال مرة « اننى لأشعر بأننى فى منزلى عندما أكون فى المسرح » .

لويس بيترسون : صاحب قصة « خطوة العملاق » الشهيرة وهو

صديق حميم لالان باتون ، أحد كتاب جنوب أفريقية القصصيين البارزين ، وقد عرضت روايته « خطوة العملاق » على مسرح برودوى ،كما عرضت ثلاث مرات على مسارح نيويورك ، وتقوم هوليود الآن باخراجها على الشاشة ، حيث تلعب فيها « جوهنى ناش » المغنية المعروفة دور البطولة . وقصة « خطوة العملاق » تتناول حياة شاب صغير يعيش فى مدينة نيوانجلند يكتشف فى نفسه الشعور العنصرى الذى يفرضه عليه المجتمع الأبيض الذى يحيط به :

* * *

وبعد ، فهذا عرض سريع لمجموعة من كتاب المسرح الزنوج الذين فرضوا أنفسهم على المسرح الأمريكى بكفاءتهم الفنية ،واقلامهم المبدعة الخلاقة فى مجتمع أبيض يحارب فيه الانسان اخاه فى الانسانية ، لا لشىء اقترفه سوى أن طبيعة البيئة التى ولد فيها قد لونت جلده وبشرته بلون غير أبيض .

وكان بودنا أن نتناول كل كاتب على حدة ، وأن ندرس شخصيته الفنية ، وانتاجه الأدبى والمسرحى فى ضوء المقاييس العلمية ،والمناهج الموضوعية، لكى نحدد دوره الفعال فى ميدان التطور الفنى للحركة المسرحية فى أمريكا ، ولكننا سنكتفى هنا بتقديم الكاتبة الزنجية .

لورينى هانزبيرى : الذى يشهد موسم ١٩٥٩ فى برودوى احدى روائعها الشامخة ، وهى قصتها « زبيبة العنب فى ضوء الشمس » فخلال تاريخ مسرح برودوى الطويل لم ينجح من المسرحيات التى وضعها كتاب من الزنوج نجاحا كاملا سوى عدد قليل منها ، ولكن ليس ثمة شك فى ان الموسم المسرحى فى برودوى عام ١٩٥٩ سيشهد حدثا خطيرا ، لا لأن أول عمل خلاق مبدع تقوم به فتاة زنجية على مسارح برودوى فقط ،بل لأن مسرحية « لورينى هانزبيرى » « زبيبة العنب فى ضوء الشمس » تعتبر احدى المعالم فى تاريخ المسرح الأمريكى ، وهذه المسرحية بجانب ما تمتاز به من روح التسلية الرفيعة، وقوة حبكتها الفنية ، وملاءمتها لموضوعها فهى مسرحية تمثل الأبعاد الزنجية ، فى كل زاوية من زواياها . فالممثل الذى قام بدور البطولة فيها هو

((**سيدنى بويتر**)): وهو فنان زنجى حظى باعجاب كبير جدا فى جميع أنحاء العالم لمهارته فى الأداء . وكان مخرج هذه الرواية هو : **لويد ريتشاردز** وهو أحد الزنوج الذين ولدوا فى شيكاغو .

ولقد لاقت هذه المسرحية استحسانا واعجابا كبيرين أثناء عرضها فى ولايات نيوهافن ، وكون ، وفيلادلفيا

وشيكاغو ، قبل عرضها على مسارح البرودوى ؛ وذلك لأنها من الروايات الدرامية التى تمتاز بالحرارة والحماس واثارة العواطف لحياة الزنوج الذين يعيشون فى القطاع الجنوبى من شيكاغو ، وهى البيئة التى ترعرعت فيها المؤلفة ، وسجلت عنها أولى ثوراتها الذهنية . ولقد صبت « هانزبيرى » فى هذه المسرحية كثيرا من مشاعرها العاطفية التى كانت تحس بها حيال مشكلات الزنوج الذين يعيشون فى المدن ، والذين يكافحون من أجل بقائهم ووجودهم فى مجتمع يسوده الرجل الأبيض ، لقد ملأت هذه الموضوعات كل ذرة فى كيان الزنجية المثقفة الواعية فسارت فى كتابتها مقتفية تقليدا خلقته جماعة محدودة العدد من كتاب المسرحيات الزنوج ، الذين عرض انتاجهم على مسارح البرودوى من قبل . ومما يجدر ذكره وملاحظته هنا : أن مسارح البرودوى لم تعرض فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مسرحيات كتبها الزنوج سوى خمس منها فقط ، ولم يكن لواحدة منها أثر يذكر ، اللهم الا مسرحية « خطوة العملاق » التى كتبها « اويس بيتريس » وكسب منها دخلا مرضيا للغاية عندما أنتجتها ستوديوهات السينما . و « هانزبيرى » واحدة من اعظم كتاب المسرح الزنجى ، كسبت شهرة عظيمة لكتابتها الدرامية للمسرح الفنى . وهانزبيرى التى تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما ، والتى تلقت تعليمها العالى فى جامعة ديسكونسين تعتبر واحدة من جماعة الدراميين الزنوج الذين كسبوا مهارتهم الفنية عن طريق الدراسة والعمل المتواصل فى مسارح الجامعة ، ومسارح الجالية الزنجية .

وبعد أن انتقلت « هانزبيرى » الى مدينة نيويورك عام ١٩٥٠ ، وتزوجت بمؤلف الأغانى « روبيرت نمروف » كتبت أربع مسرحيات ، كانت على حد قولها « تمرينا عمليا لها على تأليف المسرحية » قبل أن يستقيم لها الأمر فى كتابة مسرحية تتناول فيها حياة الزنوج المعاصرين بصورة كاملة ، وكان رأيها دائما هو أن معظم كتاب الدراما من البيض قد فشلوا تماما فى تناولهم الشخصيات الزنجية فى كل بعد من أبعاد حيواتهم . وكانت « هانزبيرى » تشعر بأن من واجب كتاب المسرحيات الزنوج أن يصححوا هذا التشويه التقليدى ، لحياة الزنوج وشخصياتهم ، الذى سار عليه المسرح الأمريكى فترة طويلة من الزمن ، وأن يصوروا الزنوج تصويرا كريما أمينا وموضوعيا باعتبارهم نماذج انسانية كاملة ، وأن يواجهوا المشكلات المعقدة التى ولدتها نغمة عنصرية الأبيض والأسود ، بروح ايجابية قوية ، حتى يستطيعوا أن يحافظوا على انسانيتهم فى مثل هذا المجتمع المضطرب الصاخب الذى تختل فيه مقاييس

القيم الفاضلة . أما وقد استطاعت هذه الكاتبة هى ومعاصروها من الزنوج أن يقدموا على مسارح البرودوى مثل هذه النماذج المتكاملة بصفة متواصلة، فإنهم بذلك يكونون قد نجحوا فعلا فى أن يفتحوا أمام المكافحين من كتاب المسرح الزنوج قلعة حصينه ظلت حوالى الخمسين عاما هدفا عز مناله.

ومن المعروف أن مسرح **((برودوى))** لم يعرض أية مسرحية كتبها درامى زنجي أكثر من عام ، بل ان العرض الذى استمر عاما كاملا هو فقط مسرحية « الولد الملون » للكاتب الزنجي الشهير « لانجستون هايس » بالرغم من أن السجلات والحقائق تؤكد أن جمهور البرودوى اللماح قد أبدى اعجابه الشديد بالمسرحيات التى قدمها تسعة من الزنوج ، من ذوى المواهب الخلاقة والطاقات الفنية المشحونة بالوعى والادراك الناضج . وبالرغم من أن هناك طائفة من كتاب المسرح الزنوج لم يظهر انتاجهم بعد على مسارح البرودوى ، الا أنهم قد ألفوا عددا من المسرحيات التى تبرز ما عندهم من مهارة أصيلة ، وحساسية مرهفة ، وفهم صادق لكل المشكلات الفنية الخاصة بصناعة الكتابة المسرحية . ومن البارزين من بين هؤلاء « جورج نورفورد » مخرج شركة ن . ب . س للتليفيزيون ، الذى جلبت له روايته الجديدة «فلنقل آمين» شهرة عريضة جعلت بعض المخرجين يفكرون فى تقديمها على الشاشة البيضاء .

ونجاح قصة **((زبيبة العنب فى ضوء الشمس))** على مسارح البرودوى فى هذا العام يعتبر انتصارا ساحقا لجيش الكتاب الزنوج الذين ظلوا يكافحون زمنا طويلا ، كى يخترقوا حدود العالم الأبيض . وعندما يزول هذا الحاجز الظالم على يد «هانزبيرى» سيخرج من ورائه ومن خلفه عباقرة الابداعيين من طوائف الزنوج .

* * *

((وسنقدم بعض المشاهد الرائعة من مسرحية «هانزبيرى» التى ستوقف الكثيرين على ما فيها من ابداع . وأن الغد لهم فى كل ألوان المعرفة ، وكل الوان الفن .. فما أشد الجذور الافريقية فى أى أرض تضرب فيها ، ففيها الاصالة، والعمق والانسانية :))

ابتسامة مرحة مشرقة تلقيها والدة أسرة يانجر ((كلاوديا ميكفيل)) على هدية عيد الميلاد ، وهى تنظر الى البطاقة التى وصلتها من ابنها والترلى (سيدنى بويتر) بينما وقفت زوجته رث (روى ديك) وولده ترافيس لى (جلاين تورمان) وأخته بيرنيثا (ديانا ساندس) يتطلعون اليها . وسرعان ما تحولت هذه اللحظة السعيدة الى لحظة المأساة وذلك عندما عرفوا أن والترلى قد أضاع مبلغ ١٠٫٠٠٠ دولار من تركة والده .

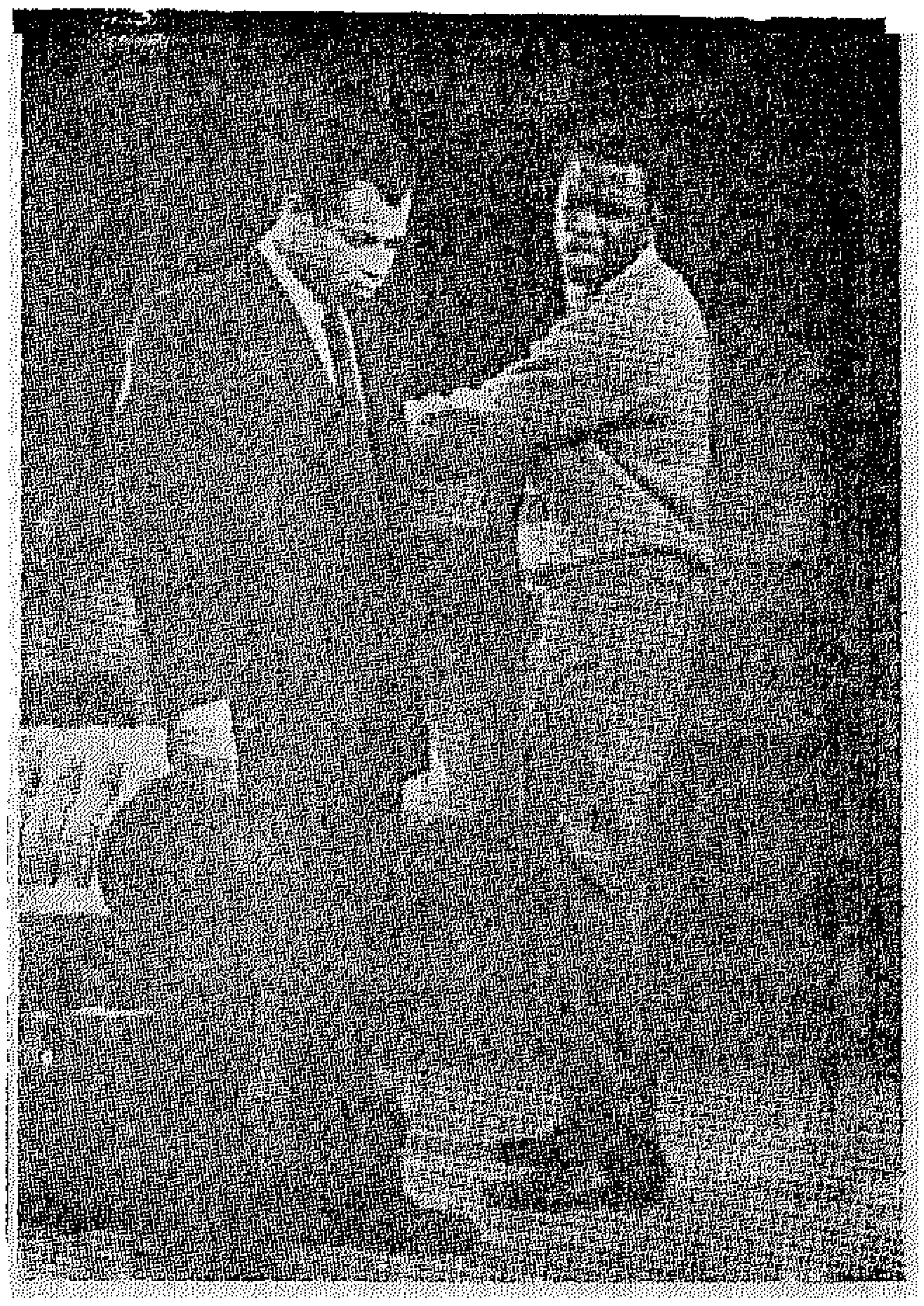

ويعود ((والترلى)) الى منزله مخمورا ، يقف على مائدة المطبخ يلقى خطابا طويلا . ويعتبر هذا المشهد من أقوى مظاهر المسرحية كلها . واشدها عنفا .

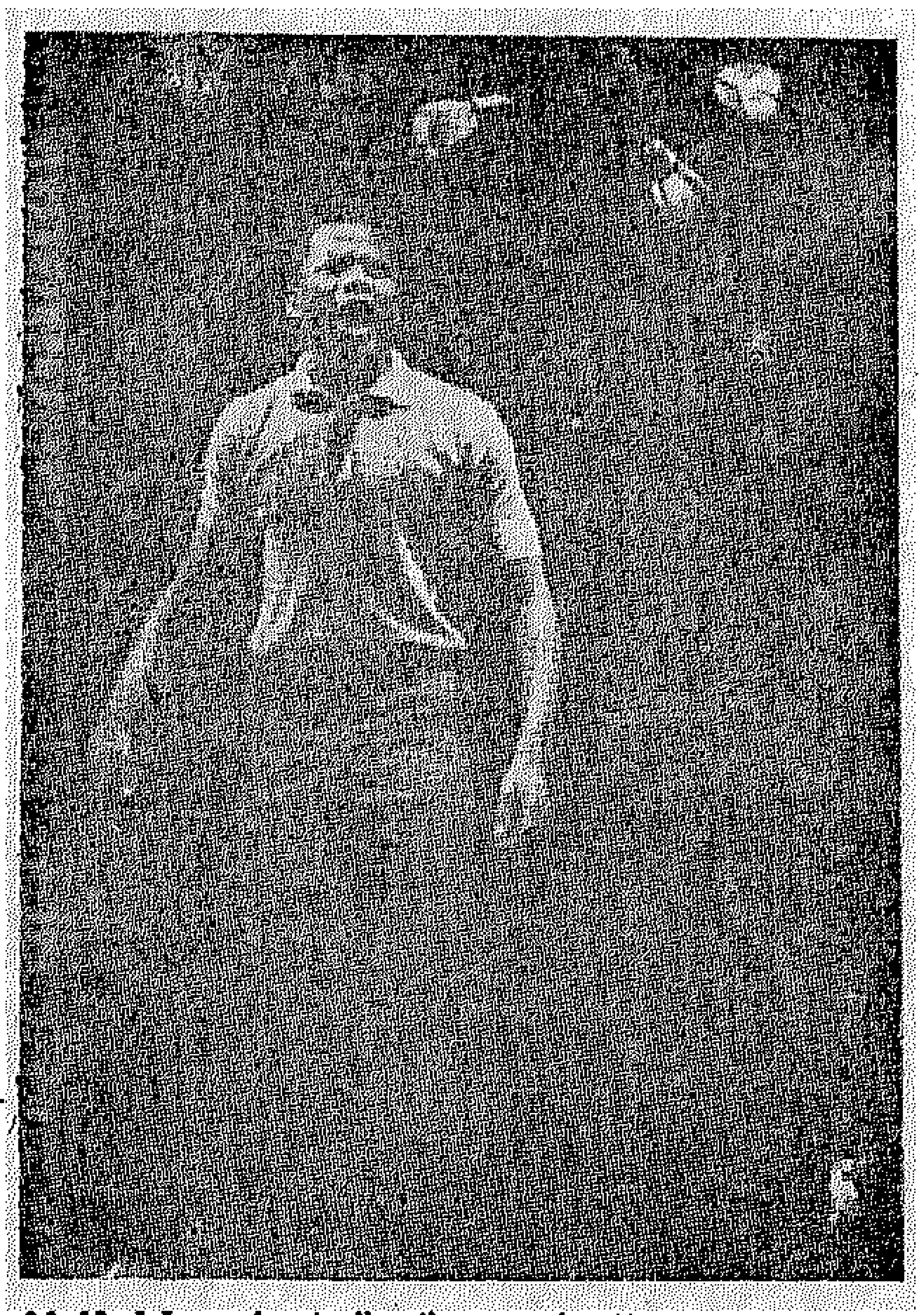

ويعلم ((والترلى)) بقصة ضياع هذا المبلغ عندما يخبره صديقه (اونى) باختفاء الشريك الثالث ، وهنا يجن جنونه ، ويتحول الى مخلوق فاقد العقل والوعى .

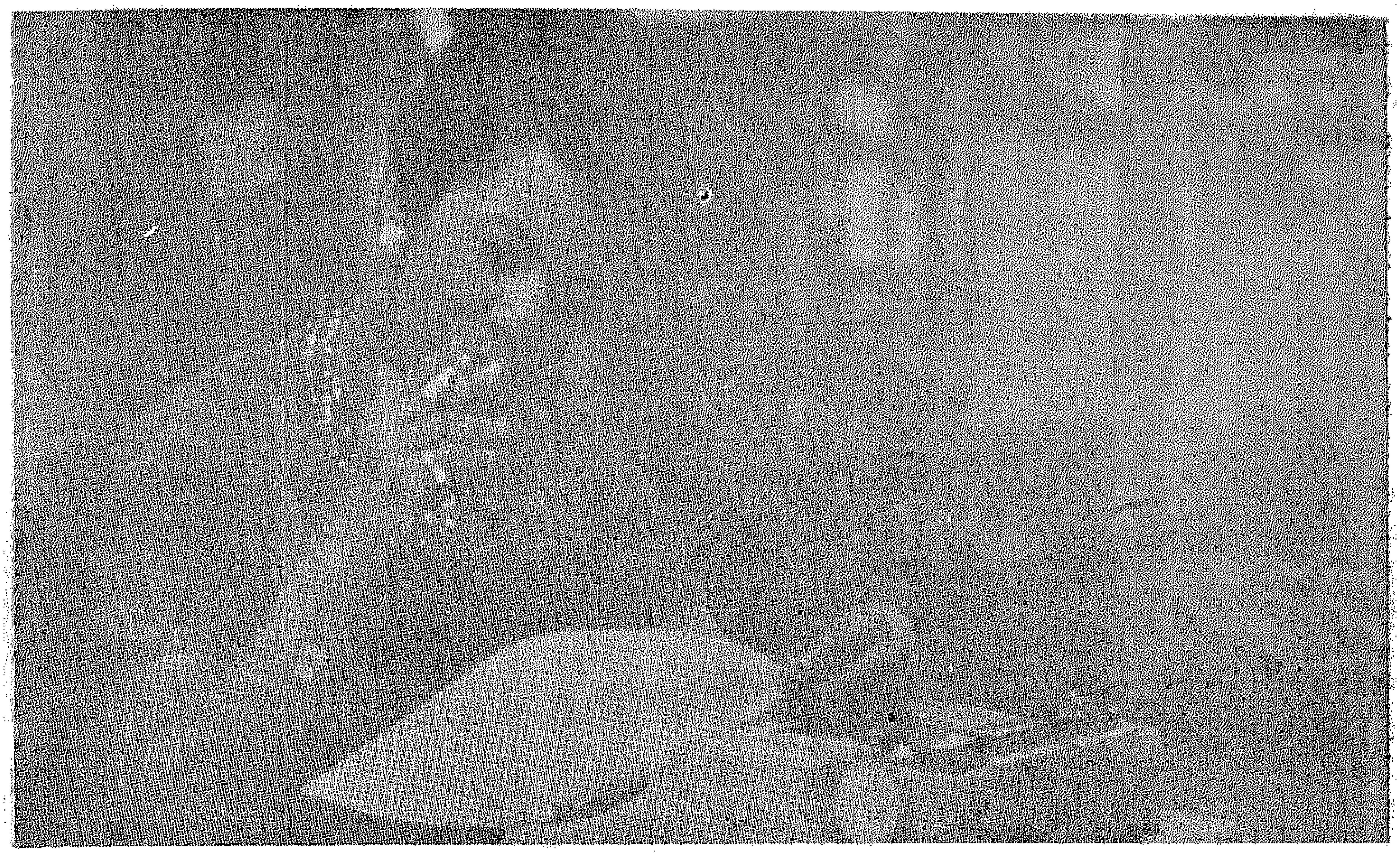

مؤلفة قصة ((زبيبة العنب فى ضوء الشمس))

((لورين هانزبيرى)) وهى تسمع الى النقدالذى يوجه الى بعض أجزاء مسرحيتها ، وقد رفضت ((بيرى)) أن يقوم رجل أبيض باخراج روايتها وأعطت حق الاخراج للويد ريتشاردز الذى يعتبر أول زنجى يخرج رواية لمسرح برودوى ، وقد قالت هانزبيرى ((ان البيض لا يعرفون ما فيه الكفاية عن حياة الزنوج حتى يقوموا بتقديمها)) .

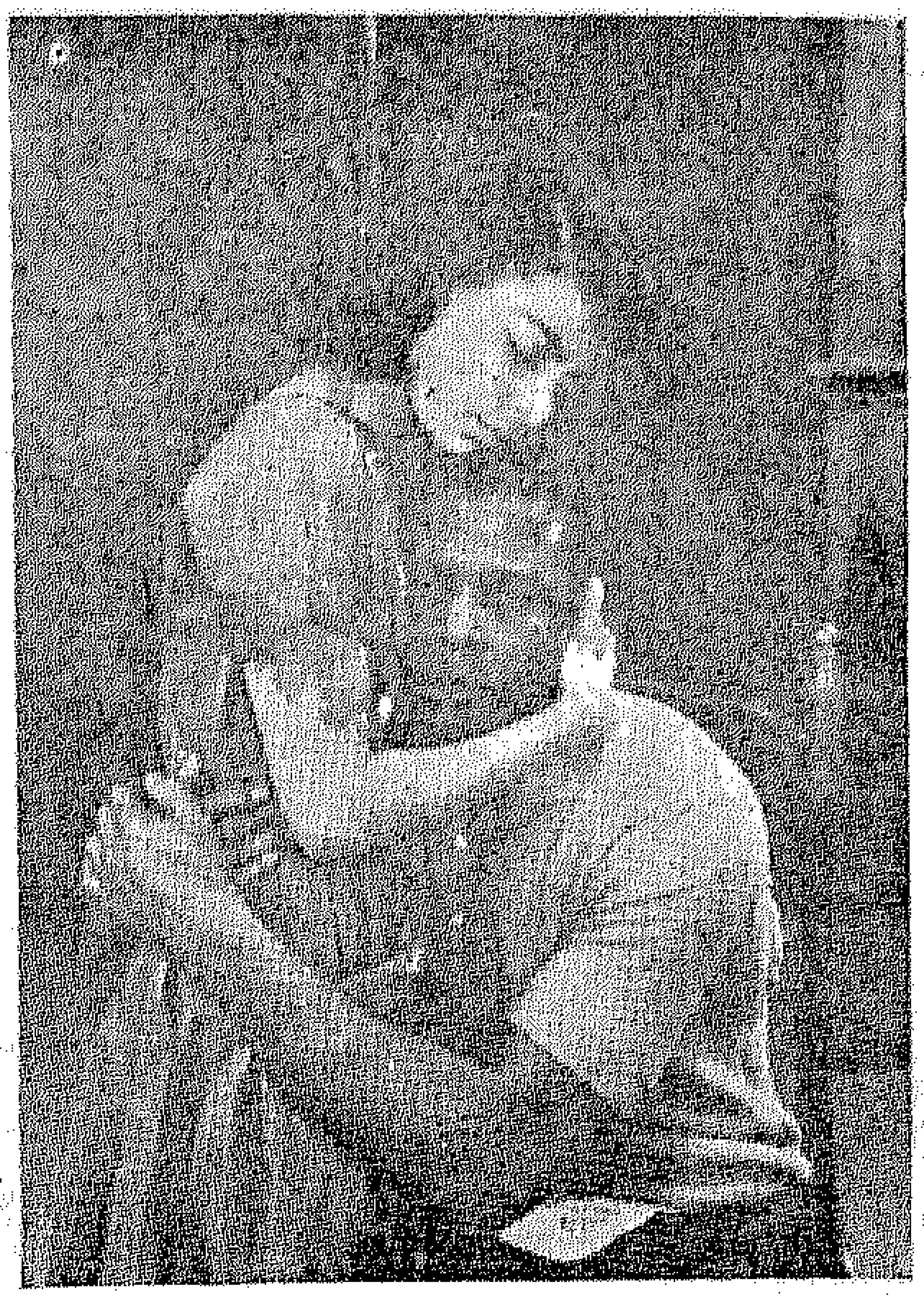

ويرتمى «والترى» الابن بين ذراعى زوجته حيث يجـد العزاء عندها ، فهى التى تعودت دائما أن تسمعه عبارات التشجيع والعزم لأنها هى الوحيدة التى تفهم سر غضبه وثورته .

وتنهار الأم مسز يانجر عنـدما تكتشف أن ابنها قد أضاع هذا المبلغ الكبير الذى كان تعقد عليه الآمال من مال زوجها المتوفى .

«هانزبيرى» المؤلفة أثناء الاستراحة تناقش بطل الرواية «سيدنى بويتر» فى الشخصية التى يقوم بها فى المسرحية ، ومما يجدر ذكره أن هذه الدراما ليس فيها من شخصيات الممثلين البيض سوى رجل واحد يلعب دور الوسيط العقارى الذى يطلب من أسرة « يانجر » أن تبيع منزلها الجديد .

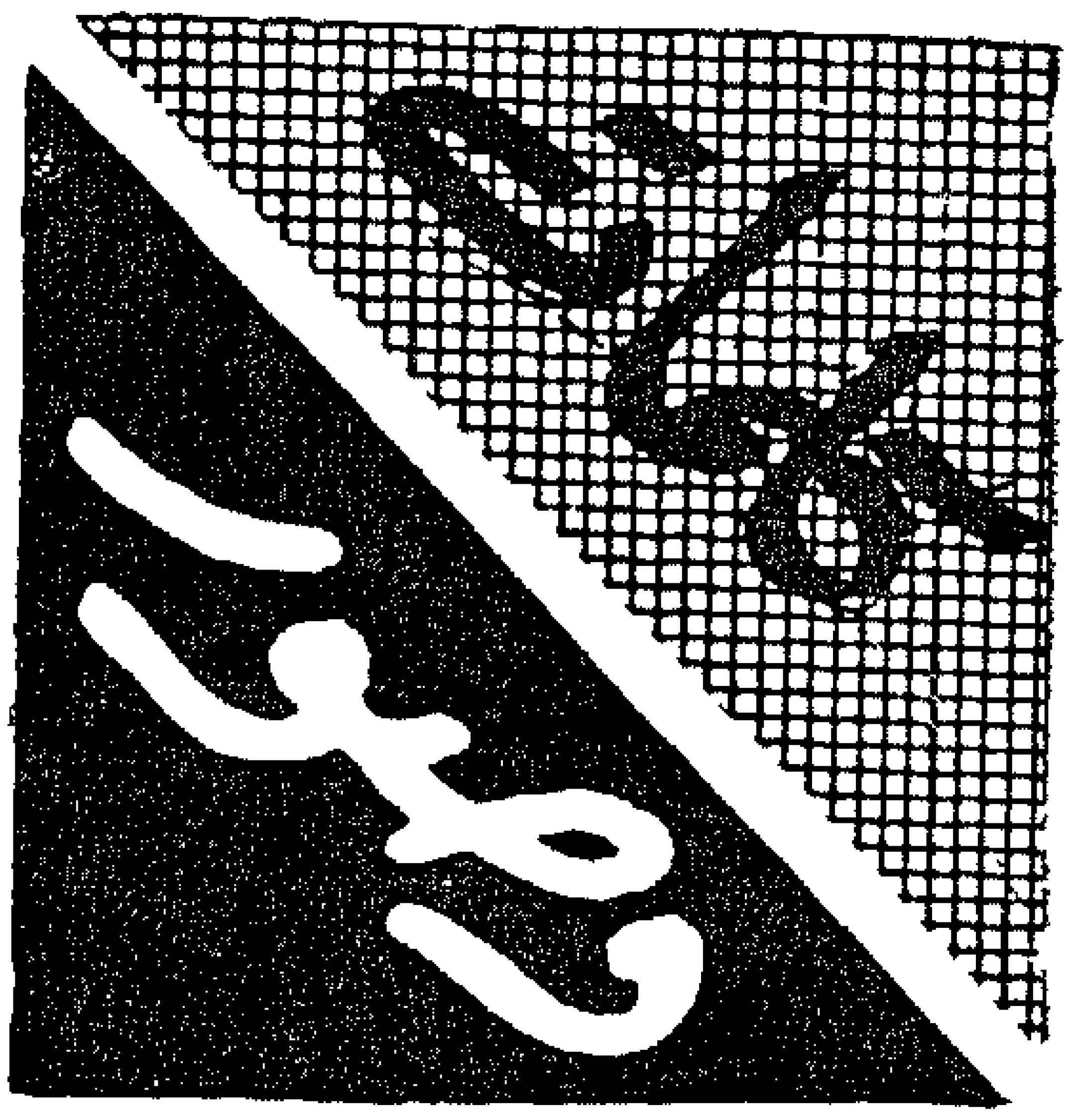

فكرة الكون

شغلت فكرة الكون الافريقيين من قديم . فقبائل « الدوجون » تعتقد أن الاله Ammà رمى فى الفضاء كرات من الطين فتناثرت فى الفضاء على شكل نجوم ، وكذلك رمى بكرتين بيضاوين تغلف الاولى دائرة من النحاس الاصفر ، وتغلف الثانية دائرة من النحاس الابيض . وانهما قد استقرتا فى الفضاء شمسا وقمرا . أما الكرة الأخيرة فقد تحولت الى « الأرض » ، ودحاها من الشمال الى الجنوب فى صورة أنثى .

كما يعتقدون أن أجدادهم كانوا يسكنون السماء ، ويتناولون أنواعا ثمانية من الحبوب كانت مباحة لهم ، ولكنهم افتقدوها فى يوم من الايام فتناول اثنان منهم حبوب « الفونيو » المحرمة واضطرا الى الفرار من السماء الى لارض . وكان هذا سبب عمارة الأرض .

أما قبائل « البامبارا » فترى أن الكون كان فى أول أمره فراغا ضخما يتحرك تلقائيا حول محورين دائريين فى اتجاه عكسى . وأنه قد انطلقت من هذا الفراغ طاقة هائلة تكون عنها العقل ، وأن قوة الذبذبة هى السبب فى وجود العالم ..

أبو نواس

تعدت شخصية الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس حدود اللغة العربية الى اللغة السواحلية التى تنتشر فى شرق وبعض جنوب افريقية عن طريق الرواية على لسان العرب الذين وفدوا على هذه البلاد . فهو يعرف عند الزنجباريين باسم «كيبو نواسى ، وبنواسى ، وبانواسى ، وأبا نواسى » وهم يلبسونه شخصية الأرنب لذكائه ، ودقة حجمه .. على أن مقطع «كى» فى الكلمة «كيبو نواسى» تصغير لكلمة الشاعر فى اللغة السواحلية لأنهم يتخيلونه نحيل الجسم بالغ الذكاء .

شعر

يعكس شعر الزنوج فى أمريكا القلق والضياع الذى يفرضه ضغط الحياة هناك على نفوسهم ، وهذه التفرقة العنصرية الحادة التى تفرض

عليهم ألوانا قاسية من العيش ومن الشعراء الذين يعكس شعرهم الواقع الاجتماعى المرير هنـــاك . الشـاعر « فينتون جونسون » فهو يقول :

« كم أنا مجهد من بناء المدنية للآخرين
فليتداعى الكوخ القديم على بقاياه
ولتمتلىء ملابس البيض بالتراب والوحل
ولتهوى كنيسة المعمدان الى فجوة سحيقة أى أهلى .
القوا باطفالكم الى النهر
فلقد رزقتنا المدنية بالكثير منهم

بوكر واشنجتون

يعتز الافريقيون بهذا الرجل الذى ينتمى اليهم أشد الاعتزاز فقد عاش فى الفترة بين ١٨٥٠ ، ١٩١٥ ووضع منهجا تربويا يتفق وقدرات الافريقيين موضحا فيه أن الطفل الاسود فى أى مكان فى العـــالم لا يقل فى ذكائه واستعداده عن الطفل الأبيض ، وأن « التمييز العقـلى » خرافة لا تثبت أمام التجـــربة العلميـــة كالتفرقة العنصرية .

وقد وضع فى منهجه أملا للأجيال القـــادمة من الافريقيين ، وأن الغد سيكون لهم ، وأنه يجب ألا تعوقهـــم عن تقدمهم الاجتماعى قسوة الحياة ، وقسوة الظروف عليهم .

كما نادى بعملية الامتزاج الكاملة بين التقدم العقلى ، والنمو الجسمى . فهو يســـمى بحق « بينســـتالوزى الأسود » .

مشكلة الأرض

لم يقف الاستعمار عند حد وضع يده على الطاقات الصناعية الموجودة في القارة ، وانما وضع يده كذلك على « الارض » خاصـــة فى تلك البلاد التى تصـــــلح لسكنى الاوربيين . وللاستعمار طرق كثيرة فى عمليـــة الاغتصاب هذه .

فهنـــاك قانون السلطة القضائية الاجنبية الذى صدر عام ١٨٩٠ والذى يخول الدولة المعتدية حقا مطلقا فى تملك ما تشاء .

وهناك « مكتب الأراضى » الذى يحق له الاستيلاء على ما يشـــاء من الأرض كأراضى المناجم أو المزارع دون تعويض ، وهنـــاك عملية المصادرة باسم قوانين الدفاع الحربى .

وقد يلجأ البريطانيون الى بعض الحجج القانونية . فيستأجرون هذه الأراضى بمبالغ زهيدة ، ولمدة طويلة . أما طريقـــة الفرنسيين فى عمليـــة الاستيلاء فتقوم على عملية الاغتصاب المباشر دون العمل بما تأخذ به انجلترا نفسها من هـذه الحجج التى تراها واهية .

ولعل أقسى أنواع النهب هذه هى اجلاء الاهالى عن الاماكن الخصـــبة وتسليمها الى الاوربيين . كما حدث من اجلاء قبـــائل « الكيكويو » عن الاراضى المرتفعة فى كينيا وتسليمها للأوربيين .

وهكذا نرى أن هذه المشكلة من أعقد المشكلات فى افريقية وأنه يجب أن تعود الأرض الى أصحابها .

سخرية

عند النظر فى أمور تنجانيقا أمام لجنة الوصـــاية التابعة لهيئـة الامم المتحـــــدة فى مايو عام ١٩٥٤ قال « كريشـــنا منون » ان الشـــعوب الافريقية تعيش فى ظروف اجتماعية قاسية . ولاضرب مثلا لذلك . فالطفل الافريقى يتكلف تعليمـــه فى العام ثمانية جنيهات وخمسة وعشرين قرشا فى الوقت الذى يكلف فيـــه الطفل الأبيض ما يزيد على ٢٢٣ جنيها فى نفس المرحلة . فهل نفهم من هذا أن قدرات الطفل الأوروبى من الضعف بحيث تحتاج الى مجهود يعادل أربعين مرة ما يتطلبه تعليم الطفل الافريقى ؟

بيان

من البيانات التى خدمت القضية الافريقيـــة هـــذا البيان الذى أعده « و . ى . ب دوبوا » وقد وجـه الى الدول الاستعمارية ، وتبناه الاتحاد الافريقى الذى عقـــد فى مانشستر بانجلترا عام ١٩٤٥ وقد جاء فيـــه « ان أعضاء المؤتمر الافريقى الخامس يعتنقون السلام وهل يمكنهم غير ذلك وأبناء القارة الافريقيـــة قد أصبحوا ضحايا للقسوة ، والظلم ، والعبودية عدة قرون .

ولكنا صممنا على أن نكون أحرارا . فنحن نطالب بحقنا فى التعليم وحقنا فى الحصول على مســتوى اجتماعى رفيع ، وحقنا فى التعبير بحرية عن أفكارنا ، ومبادئنـــا ، وعواطفنـــا ، وحقنا فى خلق وابداع صور الجمال . فاذا حرمنا من كل ذلك كان علينا أن نموت لنحيا .

نحن نطالب لبلادنا بالحكم الذاتى وبالاستقلال .

نحن لا نشعر بالخجل من أننـــا احتملنا الظلم وصبرنا عليه زمنا طويلا فنحن على استعداد للتضحية والكفاح من جديد لتصحيح ماقمنا به من أخطاء ولكننا لسنا على استعداد لان نساق بعد اليوم فنكون أداة للقيـام بأحقر الاعمـــال وأدناها . فنرفد بفقـــرنا وجهلنـــا ، أرســـتقراطية كاذبة ، واستعمارا بغيضا .

نحن ضد احتكار رءوس الاعمال ، وضد حكم الثروة الخاصة ، والصناعة الخاصة من أجل الربح فقط .

نحن نرحب بالديمقراطيـــــة الاقتصادية . فهى الديمقراطية الحقيقة الواحدة .

ومن هنافسوف نشكو ، ونلتمس ، ونتهم . حتى يرى العالم حقيقة الحياة التى نحياها . ومن أجل رفع مستوانا سوف نقف جميعـــا جبهة واحدة ، ونطرق كل الطرق التى توصـــلنا الى حقنا » .

صورة تاريخية للكاباكا

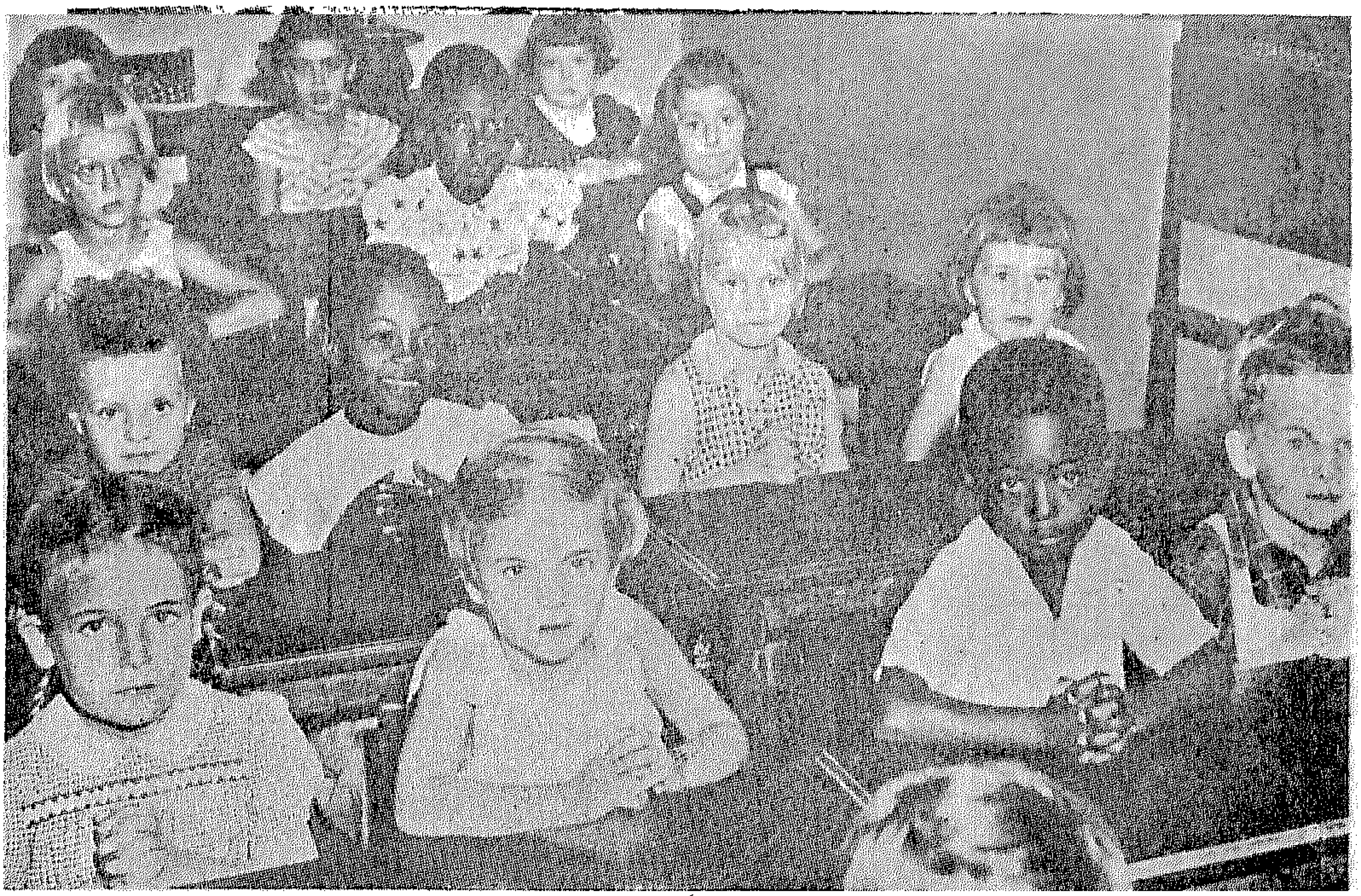

نسبة التعليم بين السود والبيض فى جنوب أفريقية

مقاعد فى أفريقية مخصصة للأوروبيين

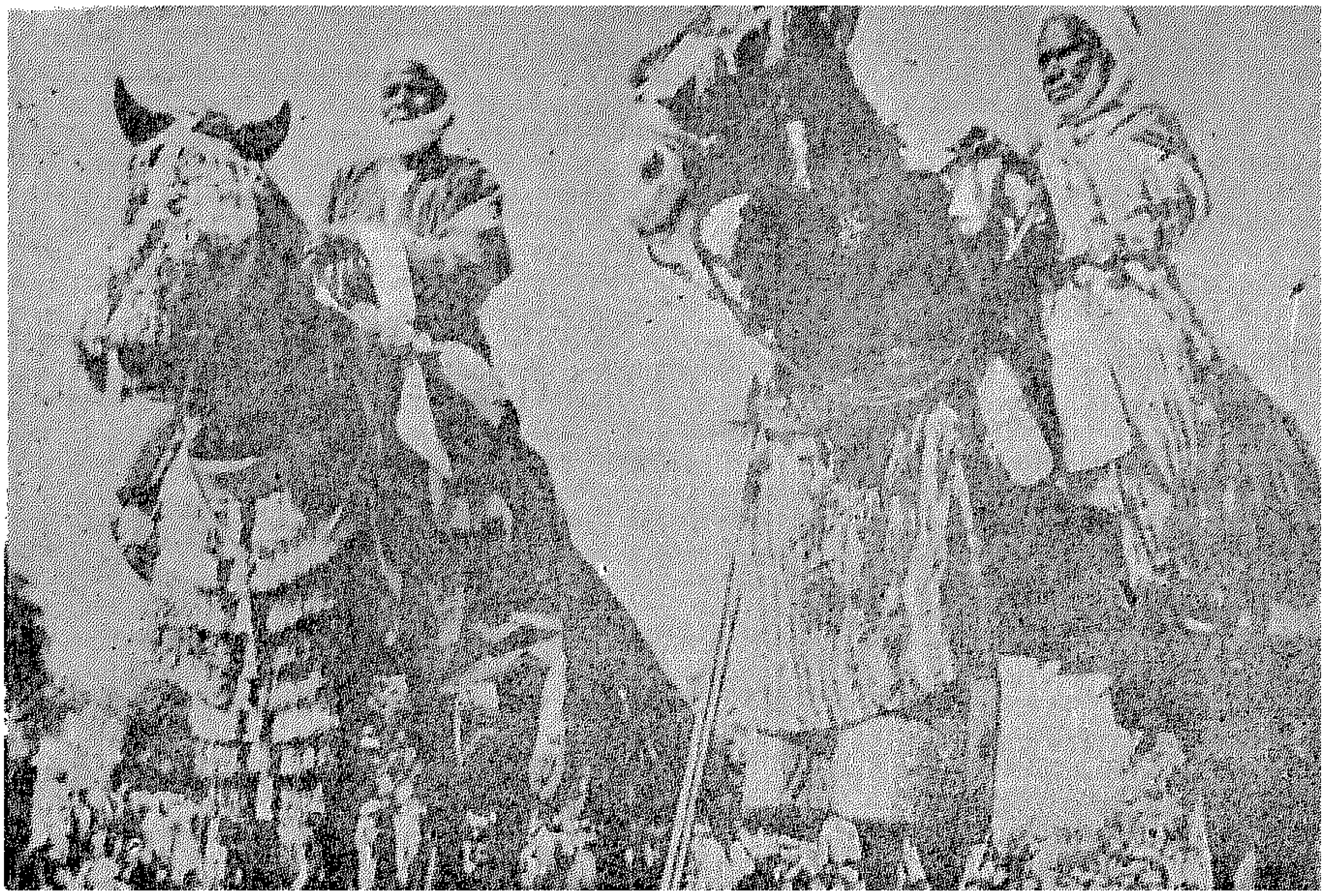

فارسان من قبيلة « الهوسة »

فرنسا الدخيلة

احصائيات

١ ـ تعتبر فرنسا أول الدول التي تضع يدها على مساحات ضخمة في أفريقية . فهي تضع يدها على مساحة تبلغ ٤٠٢٢ر١٥٠ ميلا مربعا . تسكنها ٤٤ر١٥٢ر٦٠٠ نسمة ، وسياستها تقوم على عملية «الامتصاص». فهي تضع في سياستها تحويل الافريقيين على مرور الزمن الى فرنسيين .

٢ ـ تأتي انجلترا بعد فرنسا . فهي تضع يدها على مساحة قدرها ٢ر٠٢٥ر٧١٩ ميلا مربعا تسكنها ٦٢ر٤٣٣ر٦٤٥ نسمة ، وسياستها تقوم على الاستنزاف ، والتمسك ببقائها أطول مدة ممكنة .

٣ ـ تحتل الكونغو من أفريقية مساحة تبلغ ٩٢٤ر٣٠٠ ميل مربع ويسكنه اثنا عشر مليون نسمة ، وتقوم سياستها على مقاومة التذمر باتاحة بعض الفرص الاقتصادية للسكان .

٤ ـ وتملك البرتغال مساحة حوالى ٧٧٨ر٠٠٠ ميل مربع تسكنها ٩ر٥٠٠ر٠٠٠ وسياستها قريبة من سياسة فرنسا .

٥ ـ أما أسبانيا فتملك مساحة قدرها ١٣٤ر٧٠٠ ميل مربع تسكنها ١ر٤٩٥ر٠٠٠ نسمة وسياستها قائمة على اغتصاب حقوق الأهالى .

النيل

اشتق اسم النيل من اسم أحد الفراعنة العظام المسمى « نيلوس » . وقد أعجب اليونانيون بالنيل فأطلقوا اسمه على احدى مدنهم ، كما شيدوا له هيكلا قام فيه النيل على هيئة شيخ على قاعدة سوداء ، وقد رمزوا بهذه القاعدة الى الحبشة .

وهناك اعتقاد يسمى «ليلة النقطة» بمعنى أن هناك نقطة سحرية تسقط في النيل في يوم موعود فيتسبب عنها ارتفاعه . وكان القدماء يهتمون بهذا اليوم ويتفرغون فيه للهو والمسامرة . كما تصنع النساء أقراصا من العجين بعدد أفراد الأسرة ثم توضع على سطوح المنازل . فمن تشقق قرصه قضى عامه في سلام ، وأمن من الأمراض ولا يزال لهذه المعتقدات بقايا في ريفنا المصرى .

الشعر الشعبى

من معانى هذا الشعر ما قاله أحد السودانيين واصفا نفسه «من يريد معرفتى على حقيقتى فأنا كالبحر تدفقا وكرما ، ومن يريد أن يجعلنى تابعا له فلن يستطيع لاننى كغصن الشوك لا يمكن الاقتراب منه ، ومن يريد أن يجاورنى فسيرى منى لينا كلين النباتات بعد المطر ، ومن يستشيرنى يجد عندى الحكمة والرأى الصائب . »

جولة حول القارة الافريقية

شعب طيب

عاشت « مسز توماس » عاما كاملا بين قبائل « البوشمان » واختلطت بمعظم طوائف هذه القبائل ، وجاست خلال صحراء « كالاهارى » ثلاث مرات ، وكانت — كما تذكر فى كتابها — تحاول أن تدرس تقاليد هذا الشعب وعاداته وطبائعه دراسة مباشرة على الطبيعة . وتقول مسز توماس : ان القالب الاجتماعى الذى تتكيف فيه جماعات البوشمان تتحكم فى شكله عوامل أهمها الحاجة الى الطعام والماء ، فحيث توجد الآبار التى يروون منها ظمأهم ، ويعثرون بجانبها على ما يقتاتون به ، تتركز جماعتهم وتستقر أحوالهم الى فترة من الزمن ، وعندما يشتد بهم الجوع ويفتقدون الماء فلا يجدونه ويصبحون فى صراع مع الموت — يظهر — حينئذ المغامر الذى يغدو بطل القبيلة وقائدها فهو يمسك بحربته المسمومة ، وفى شجاعة البدوى الحر يتقدم الصفوف لينقذ الجماعة من هجوم الظمأ والمسغبة .

وتنتقل مسز توماس فى كتابها من فصل الى فصل فتحدثنا عن الاساطير والخرافات التقليدية التى عبرت الاجيال والقرون وما زالت تحتفظ بقدسيتها وقيمتها بين أفراد البوشمان وتروى لنا كيف أن هذا التيار الاسطورى لا يزال يوجه قبائل البوشمان فى مختلف مجالات حياتهم وتقص علينا مسز توماس قصة ميثيولوجية خلاصتها « أن شعب البوشمان يعتقد بأن سحب السماء فيها المذكر والمؤنث ، وأن أرواح الموتى تتخذ مسكنها فى هذه السحب . وأفراد القبائل التى تولد فى السحب الشمالية والغربية يولدون بدون « ركبة » ولذلك فانهم يظلون الى الابد فى شكل عمودى كما هو الحال فى قبائل الدنكا .

كما يعتقدون بأن خسوف القمر ليس الا عملية تقوم بها الأسود ، حينما تضع مخالبها فى ثنايا سطح القمر . فالأسود فى نظر الافريقى من البوشمان لها احساس فوق مستوى الاحساس الانسانى بالمناطق والجهات وهذا الاحساس يجعل الاسد قادرا على العثور على طريقه الذى يصل به

الى احدى مناطق الصحراء حيث يكون قد أخفى احدى بيضات النعام فى رمالها منذ سنتين مضتا .

ان كل عبارة سجلتها الكاتبة تحمل فى مضمونها دلالة واضحة على أصالتها ومقدرتها فى اجادة تدوين أدب الرحلات . ولنسمعها وهى ترسم بألفاظ شعرية موسيقية صورة الصحراء فكأنها تقدم ديكورات ملونة جميلة .

* * *

كان الليل قد بدا يرخى غلالات العتمة الباهتة ، وكانت الشمس لا تزال ترسل خيوطها الواهنة الصفراء المتلألئة على الفلوات الممتدة الى أبعد من السراب ، وبدت الصحراء كجبل شاهق ملتهب ، ثم غربت الشمس تماما فتركت آثارا من لونها البرتقالى فى تلك النيران المتناثرة أمام خيام سكان الصحراء وقد التف بعضهم حولها يرجونها الدفء ويطهون على حرارتها لحوم الصيد التى اقتنصوها .

ثم نسير مع الكاتبة فنلمح فى كثير من فصول مؤلفها حساسية الفنان وظلال الصور الكلامية الملونة .

« مشى الرجل الافريقى من تحت كتلة الخشب المحترقة ، وقد تطاير جزء منها فتدلى فى فروع شجرة أخرى وتناثر الرماد الأبيض هنا وهناك ، وفجأة أقبل ضوء الفجر فأخذ يلمع من خلال هذا الرماد ، تماما كما يلمع الضوء من خلال حركة احتكاك قطع الثلوج بعضها ببعض » .

أمريكيون من أصل أفريقى :

قامت جماعة من الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل أفريقى بتأسيس جمعية تهدف الى دراسة الاوضاع العامة والعمل على تحسين مستوى أفريقية ثقافيا وفكريا ، وتحديد الدور الذى يجب أن تسهم به هذه القارة الكبيرة فى حضارة كل من أوربا وأمريكا .

وقد أطلق المؤسسون على هذه المنظمة اسم « **الجمعية الامريكية للثقافة الافريقية** » وتعتبر هذه الجمعية احدى فروع المؤسسة الدولية للدراسات الافريقية التى تأسست في باريس عام ١٩٥٧ .

ومن المتوقع أن تبعث هذه الجمعية بوفد يمثلها فى حضور جلسات الجمعية الدولية كما أن هذه الجمعية الامريكية الافريقية تضع فى مرحلة التنفيذ مشروع اصدار عدد من مجلة « أفريقية المعاصرة » التى أنشأها «**اليون ديوب**» فى باريس عام ١٩٤٧ والتى يتولى هو وبعض العناصر الافريقية المثقفة الاشراف عليها واصدارها بصفة منتظمة ، وهى تعالج كثيرا من المشكلات التى تواجه أفريقيا المعاصرة ، وتوضح للرأى العام

العالمي حقيقة الاوضاع والقضايا الافريقية .

ولا شك في أن عددا كبيرا من الزنوج الامريكيين الذين اشتهروا بامتيازهم وتفوقهم في مختلف مجالات الفنون والأدب والتاريخ والعلوم الاجتماعية ، لا شك في أن هذه العناصر الطيبة ستسهم بجهودها الفعالة في تزويد هذا العدد بالكثير من الابحاث والموضوعات القيمة .

والمعروف أن هذه الجمعية الامريكية قد اتسع نشاطها في الولايات المتحدة بصورة واضحة حتى انها قد استطاعت أن تقدم مساعدات لها أهميتها للمركز الثقافي الافريقي الذي أقيم في « بروكلين » ، وكان لهذه المساعدات أثر كبير في مضاعفة نشاط هذا المركز .

ولم تكتف هذه الجمعية بما تقوم به من هذا النشاط بل انها قد قامت أيضا بوضع برنامج ثقافي شامل يهدف الى تقديم سلسلة من الابحاث التي تتناول فيها بطريقة علمية مدروسة مدى تأثير الفكر الافريقي على مختلف مظاهر الحضارة الغربية ، وذلك لتقوية عوامل التبادل والصلات بين العلماء والباحثين من الافريقيين والامريكيين .

وتعمل على انجاح فكرة المهرجان الدولي للثقافة الافريقية ، كما أن دورها في الترحيب بكل افريقي يصل الى الولايات المتحدة أمر لا يكاد ينكر فما من افريقي يزور أمريكا سواء أكان من العلماء أم من رجال الاعمال الا وتستقبله هذه الجمعية وتقدم له كل التسهيلات التي تساعده على تحقيق الهدف الذي جاء من أجله .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم مؤسسي هذه الجمعية من الامريكيين الافريقيين يشغلون مناصب هامة في المجتمع الامريكي ويقومون بدور فعال في شتى حقول النشاط الثقافي والتربوي في مختلف أنحاء الولايات المتحدة ، فمستر « ليوهانز بيري » يعمل أستاذا لكرسي التاريخ الافريقي في جامعة « هوارد » ، وهو في الوقت نفسه مستشار رابطة الطلبة الافريقيين في هذه الجامعة ، ومستر « ديدنج » كاتب معروف ، والدكتور «كليمنت» يشغل وظيفة رئيس جامعة أطلنطا الخ ..

وهذه الظاهرة الجديدة تدل على وعي جديد بدأ يظهر بين أبناء شعوب افريقية ، وهو يؤكد بلا ريب وجود حركة البعث الافريقي التي أخذت طلائعها تبشر بمستقبل زاهر ينتظر هذه القارة الكبيرة .

« جوزيف أوذينتون »
افريقي في قصر بكنجهام

صدر قرار بتعيين الشـــاب الغانى « جوزيف وأدينتون » الذى يبلغ من العمر ثمانيـــة وثلاثين عاما مساعدا للملحق الصحفى لقصر بكنجهام .

وتعتبر هذه أول مرة يتولى فيها افريقى منصبا هاما فى القصر الملكى البريطانى .

وتقول بعض الصحف الامريكية ان الغرض من وراء تعيين « جـــوزيف أودينتون » فى هذا المنصب الخطير ليس لأنه من دول الكومنولث التى تمثل الرابطة السياسية مع بريطانيا ، بل لأن « اليزابيث » قد قررت أن تزور غانة فى شهر نوفمبر القادم ، وســـيقوم جوزيف باعداد البرامج والتنظيمات الخاصة بهذه الزيارة ، وربما ـ وهذا محتمل جدا ـ يستقيل هذا الشاب الغانى من وظيفته الجديدة بعد أن يؤدى دوره فى المهمـــة التى كلف بها .

الافريقى لا يعادى أخاه !

لم يكن القرار الحكيم الذى اتخذته النقابات والهيئات التجارية فى مناطق شرق افريقية بخصوص مقاطعة بضائع جنوب افريقية ، لم يكن هذا القرار ـ كما وصـــفته الصحف الاجنبية المغرضة ـ مظهرا من مظـــاهر الغيرة والعداوة بين افريقى وافريقى بل كان فى الواقع ردا عمليا تعبر به العناصر الواعية فى افريقيـــة عن استنكارها وعدم رضائها عن نظام الحكم السياسى الذى تطبقه حكومة جنوب افريقية . وأبناء شرق افريقية عنـــدما يقومون بهـــذا الاجراء لا يريدون به الا افهام البيض المستعمرين الذين يتحكمون فى مقدرات منطقة الجنوب واستنزاف خيراته على أن الافريقى الاســـود قد اكتمل وعيه ، ولن يسمح بعد اليوم بأن يكون البقرة الحلوب التى يستدر الابيض ضرعها عندما يريد .

ولقـــد تحـــدث مستر « بويا » سكرتير عام اتحاد عمال كينيا فقال « ان اجتماع زعماء اتحادات زنزبار وكينيا وتنجانيقا وأوغنده سينعقد فى كامبــــالا فى خلال الأسابيع الأربعة القادمة وذلك لكى يضع تفاصـــيل برنامج المقاطعة » كما قال أيضا « ان فكرة المقاطعة هذه كانت موجودة فعلا أثناء انعقاد مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا ، وقد حظيت هـــذه الفكرة بموافقة وفود الدول الافريقية كلها عليه » .

وأذاعت حكومة « جامايكا » بأنها قررت فعلا مقاطعة كل البضائع التى تنتجها جنوب افريقية ، كما حذت حـــذوها أيضا اتحادات نقابات غانة وأعضاء الحركة الوطنية فى أوغنده ، وأصدر المجلس العام للغرف التجارية فى غانة بيـــانا الى جميع الشركات الاعضاء يدعوهم فيه الى توقف طلب استيراد بضائع من جنوب افريقية .

والمعروف أن هذه البضائع لم تكن تجد لها منافسا فى سوق منطقة شرق افريقية ، ومعنى هذا انهيار اقتصاد جنوب افريقية اذ أنها كانت تعتمد الى حد كبير فى تصريف منتجاتها على أسواق منطقة الشرق ، وليس هناك سلاح نحارب به أعداء القومية الافريقية أخطر من السلاح الاقتصادى فقد جربته كثير من الدول التى أرادت أن تحافظ على كرامتها الوطنية فنجحت وانتصرت على أعدائها ، ولقد وجدت هذه الحركة صدى قويا فى مختلف مناطق افريقية ، وستنجح هذه الحركة الاقتصادية كما نجحت كل الحركات السياسية فالحرية التى نطالب بها نحن أبناء افريقية ليست فقط هى الحرية السياسية بل ان التحرر الاقتصادى هو أساس كل تحرر يهيىء لنا مستقبلا كريما زاهرا .

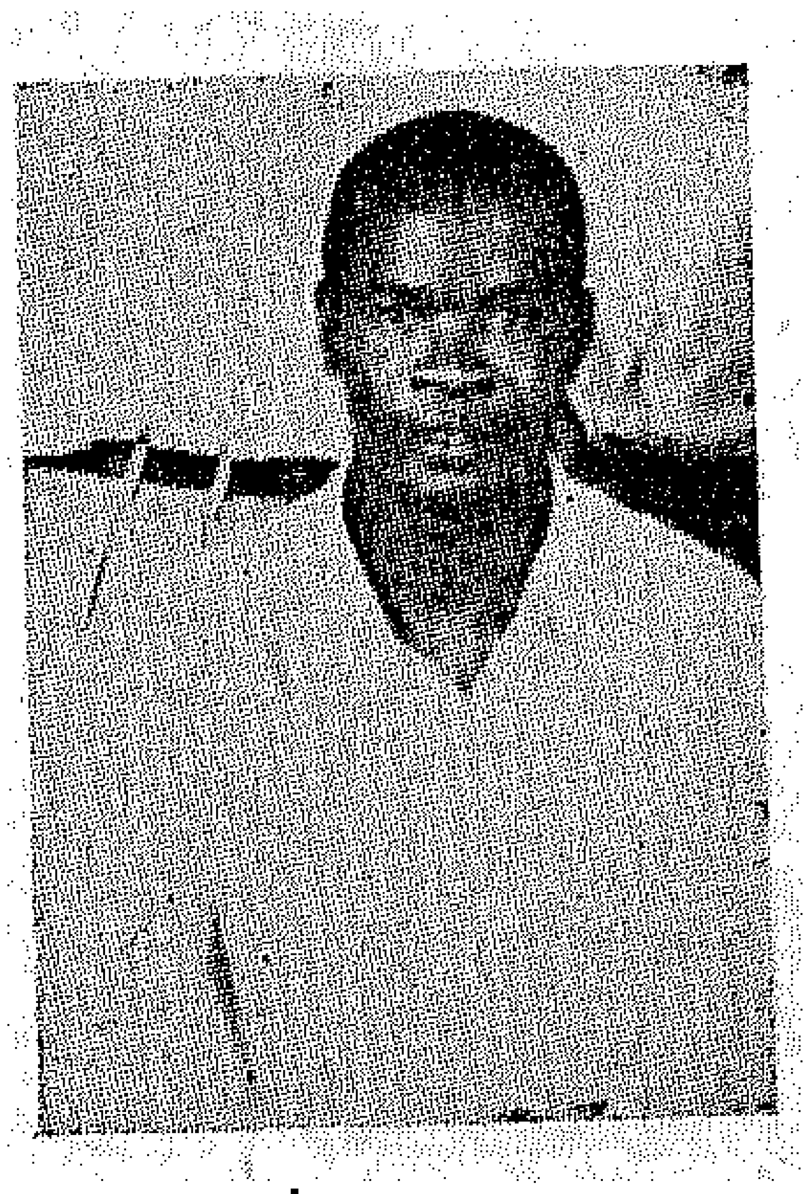

« رجب صالح سالم »
شباب من كل أفريقيا

من زنزبار وفد الى الاقليم الجنوبى شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره يشغل وظيفة سكرتير عام نقابة البحارة فى شرق افريقية ، وعضوية الاتحاد الدولى لعمال النقل وعضوية اتحاد وسط وشرق افريقية لعمال النقل . ويقول الشاب الزنزبارى « رجب صالح سالم » ، اننى أقوم الآن بتكوين المنظمة العمالية لشمال افريقية ، كما اننى سأبذل كل ما لدى من جهد لاعداد اجتماع شامل فى كينيا يضم كل زعماء النقابات والاتحادات التجارية وذلك لوضع أسس برنامج مقاطعة بضائع جنوب افريقية .

وقد وجه السيد « رجب صالح سالم » نداء الى جميع المشتغلين بالحركة النقابية الدولية والى مختلف المنظمات السياسية يطالبهم فيه بالوقوف بجانب أبناء شرق ووسط افريقية فى كفاحهم من أجل حرية بلادهم . ويقول السيد رجب صالح « ان الافريقيين الذين نجحوا فى وضع أسس ثابتة للتعاون المثمر سينجحون مرة أخرى فى تحقيق هدفهم الجديد ، ان طريقنا يسير دائما نحو الحرية والاستقلال ، ولن تستطيع قوة على وجه الارض أن تثنينا عن عزيمتنا .

افريقية سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وأعلن تأييدى المطلق لقرار المقاطعة الذى اتخذته دول شرق افريقية .

و « ميشيل داماتا » نموذج للشباب الافريقى المثقف الذى يفهم فى وعى ناضج قضايا الشعوب الافريقية ، انه يؤمن بمستقبل قريب جدا تتمتع فيه القارة الافريقية بحريتها الكاملة ، واستقلالها الذى لا تشوبه شائبة ، ويدرك أهمية الدور الخطير الذى ستلعبه هذه القارة فى تاريخ الجنس البشرى القادم ...

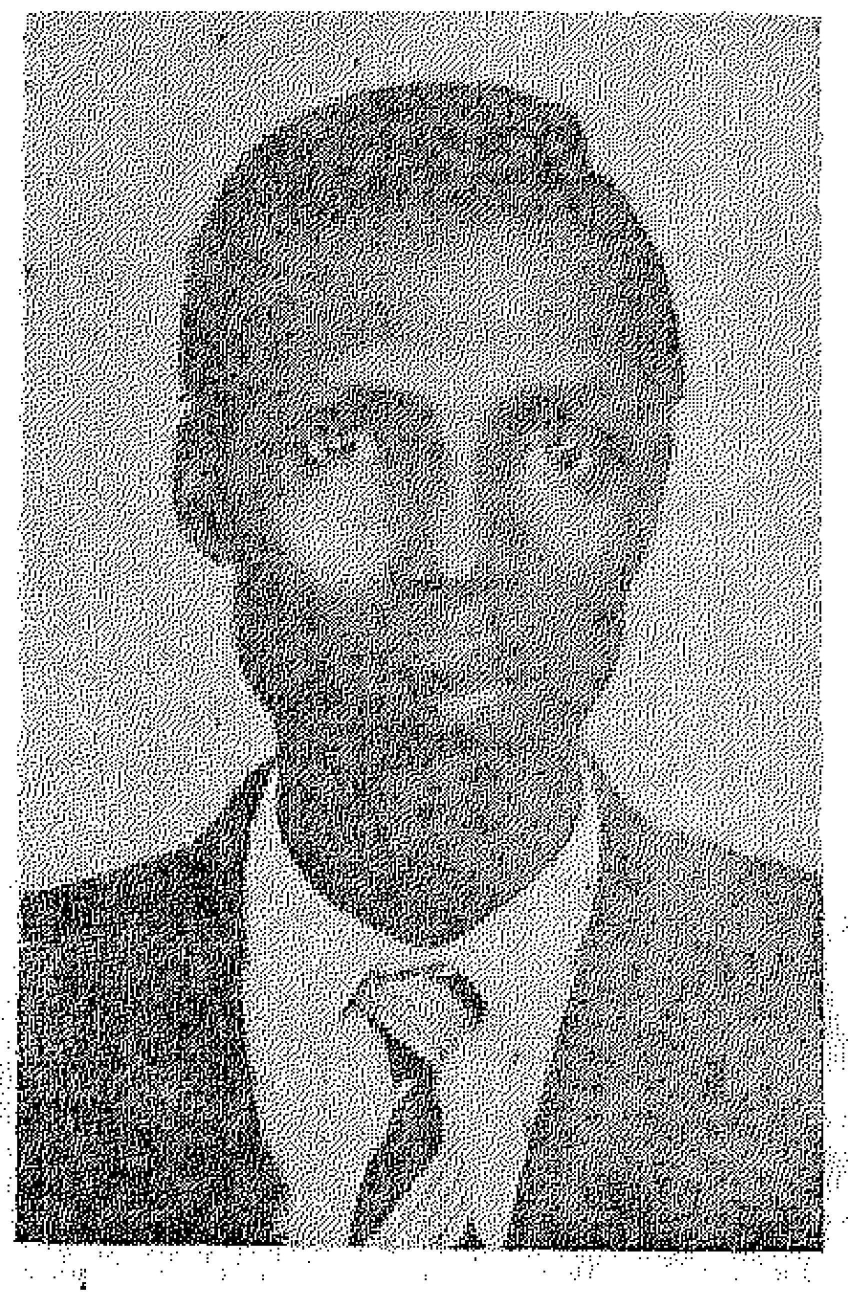

« دكتورمونجى ناجوروجى »
ركائز التطور فى افريقيا .

وافريقى آخر :-

هو « ميشيل داماتا » ، مواطن كينى استقال أخيرا من خدمة الحكومه السودانية ليكرس وقته وثقافته لخدمة قضية بلاده وشعبه ، انه الآن يمثل الاتحاد الافريقى الكينى فى الدول العربية ، ويتصل بكل الهيئات والمنظمات فيها ليحصل منهم على تأييد أبناء وطنه الذين يكافحون فى بسالة وشجاعة للقضاء على الاستعمار وأعوانه ، لا فى كينيا فحسب ، بل فى كل زاوية من افريقية كلها .

ان « ميشيل داماتا » يقول اننى سأعمل على عقد مؤتمر صحفى فى بلاد شرق افريقية نناقش فيه موضوع المقاطعة وكيف يمكن تنفيذها بطريقة دقيقة للغاية . ويقول : اننى باسم السكرتارية الخارجية للاتحاد الافريقى الكينى أطالب بمقاطعة حكومة جنوب

ليس الاصلاح السياسي في أية دولة من الدول هو الوسيلة الوحيدة التي تكفل رفع مستوى الشعب واكتمال نموه وتطوره ، بل لا بد وأن تصاحب البعث السياسي نهضات تشمل كل جوانب الحياة فنحن لا نستطيع أن نتصور وجود جماعة تتمتع بكل أسباب الحرية السياسية ثم تتخلف في ميدان النشاط الاقتصادي أو الاجتماعي مثلا ، ولا شك في أن هذه الحقيقة واضحة تماما في أذهان الجيل الجديد من أبناء أفريقية .

وقد كتب مندوب مجلة تايم الامريكية يقول : «عاد الى كينيا الشاب « مونجي ناجو روجي » ابن أحد رجال قبائل الكيكيو ، وقابلته على ظهر السفينة التي كانت تقله الى بلاده بعد أن قضى فترة تمرين طويلة في مستشفيات الولايات المتحدة ، ولقد قال لي مونجي « انني أحس بأن أحلامي قد بدأت تتحول الى واقع ملموس وحقيقة واضحة لقد اعتزمت أن أنشىء بمجرد وصولي الى كينيا مستشفى يضم خمسين سريرا على الاقل ، وسيكون هذا أول مستشفى افريقي يقيمه ويديره افريقيون لحما ودما ، ان أهم شيء في كينيا الآن هو اثارة الافريقيين لكي يتولوا شئونهم بأنفسهم انهم جميعا ممتلئون رغبة واستعدادا ولكنهم في حاجة الى التوجيه ، انني متأكد بأنهم لن يساعدوني في اقامة هذا المستشفى فقط ، بل انهم سيعملون على تطويره وتوسيعه والعناية به كما لو كان ابنا لهم جميعا » .

ويعلق مندوب التايم على حديثه مع الدكتور ناجوروجي بقوله « **ان قصة الدكتور الشاب ليست الا قصة البطولة التي اخذ الأفريقيون يحققونها في كل مجال ، انها قصة العناصر الجديدة التي بدأت تظهر في مختلف حقول العمل من اجل المستقبل الأفضل لشعوب هذه القارة** »

أما كيف قرر هذا الشاب أن يدرس الطب وان يصل الى هذا المستوى الكبير في دراساته وابحاثه ، فلذلك قصة اشبه بالخرافة . فقد أصاب « مونجي ناجوروجي » مرض في قدمه وهو صغير وخشي والده أن يكون هذا المرض سببا في كساح الصبي واقعاده ، فأدخله المستشفى الاسكتلندي في كينيا وهناك عالجه احد الأطباء بمهارة فائقة حتى شفاه من هذا المرض . وفي حجرة العمليات كان مونجي ينظر دائما الى أنابيب الاختبار التي يملؤها الأطباء بهذه السوائل الملونة ويتعجب منها ، واخيرا قرر أن يعرف سر هذه الأجهزة الغامضة بعد أن يخرج من المستشفى ، وكانت هذه بداية الطريق الذي اجتازه مونجي بعد ذلك حتى اصبح طبيبا ماهرا .

السياســة البريطانية فى أفريقية المتقلبة :

هذا كتاب جديد وضعه « السير أندريه كوهين » ، وكتبت عنه التايمز اللندنية تقول :

كانت شخصية « أندريه كوهين » بعد الحرب تعتبر من أظهر الشخصيات التى تقف على المسرح الافريقى السياسى ذلك لأنه كان يشتغل حاكما فى أوغندا وظل فى هذه الوظيفة فترة طويلة من الزمن أتاحت له دراسة كثـير مـن المشكلات التى تعيش فيها القــارة السوداء ودرس عن كثب معظم الأوضاع القائمة فى مختلف مناطق افريقيا . ثم دعى السير اندريه كوهين لالقاء سلسلة من المحاضرات على طلبة جامعة الشمال الغربى فى الولايات المتحدة فألقى أربع محــاضرات عــرض فيــها بالتحليل التفصيلى والعرض الموضوعى صورة واضحة لأفريقية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ثم أصدر هذه المحاضرات فى كتاب ظهر حديثا بعد أن كتب «ادلاى ستيفنسون » مقدمة رائعة له . ونظرا لأهمية هذا الكتاب سنقدمه ملخصا تلخيصا وافيا فى العدد القادم ان شاء الله .

كتاب الشهر :

٢

الاسلام فى الحبشة

القسم الثانى من كتاب سبنسر ترمنجهام

عرض وتحليل العميد ا . ح . عبدالفتاح ابراهيم

قلت فى تقديمى لكتاب « الاسلام فى الحبشة » لسبنسر تريمنجهام (١) انه فى تاريخ غير معروف جاءت موجات «حامية ــ قوقازية» من جنوب بلاد العرب، وترجع هذه المجموعةالىنفس المجموعة التى منها أكثر أهل أوروبا ، ويعتبر المصريون فى عصر ما قبل الأسرات و « البجة » من سكان شرق السودان اليوم احسن من يمثل هذه الموجات التى تعرف باسم « كوشيت»، والفكرة التى آستهدفها من هذا الحديث اليوم ، ايضاح أننا فىدراستنا للاسلام فى الحبشة وشرق افريقية سنضطر الى أن نميز بين عدة مجموعات تنتشر فى اتجاه أفقى فىهذا الركن من قارة افريقية ، وتنفمر بين مجموعات أخرى من الناس فى مناطق الالتقاء فى اتجاه شمالى جنوبى فوق الهضبة الوسطى للشرق من كلروافد القبل الاعظم : ، حتى تصل الى الرافد الأبعد للغرب من روافد نهر جوبا وسط أرض الصومال ، وتتقابل الجماعات الاسلامية والجماعات المسيحية فى الشمال والوسط ، ثم تلتقى بالجماعات الوثنية فى الوسط والجنوب بين نهير « حواش » ورافد « جانال دوربا » الفرع الأبعد للغرب لنهر جوبا ، ثم تسير للغرب منالحدود السياسية بين الصومالوكينيا فىخط أقرب الى أن يكون عموديا ،ويبعد عن الحدود ما يقرب من ثمانين ميلا ، وهكذا تدرك أنه لا الحدود السياسية ولا الحدود الجغرافية ولا التنظيمات الادارية الاقليمية كانت فواصل وقف عندها امتداد المعتقدات الدينية فىهذا الركن من القارة .

وفى أعلى هذه الطبقات الاسلامية يجىء « أهل السنة » ما فى هذا من شك ، ولكن الغريب أنه معقربالمراكز الاسلامية فى بلاد العرب ، فان نفوذ أهل السنة ما زال ضعيفا ،ولربما كان هذا بسبب أن السيادة التى تمتعت بها الممالك الاسلامية من « الكوشيت» مكنتها من أن توجد نوعا من الثقافة الدينية خرجت منها اشعاعاتمتعددة الطوابع والاتجاهات ، وفيما عدا المدن الساحلية حيث تشتد سواعد أهل السنة كانت مدينة هرر وحدها هى التى حفظت كيانا خاصا لسكانها والمناطق من حولها ، تبعا لاتباعالناس التعاليم المستمدة من القرآن الكريم، ومن تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام فى تحفظ واصرار ، دون افساح لمجال الاجتهاد بين الأئمة .

وقد تتعدد المظاهر المتحفظة هنا وهناك فى هذه المنطقة المستطيلة الوضع ، والتى تمتد لأكثر من ألف ومائة ميل بين ايريتريا فى الشمال والصومال وكينيا فى الجنوب ، ولكن مع هذا كان يزحف نفوذ « باطنى » خفى ، ــ قد زادت سرعته بخاصة فى القرنالماضى ــ هو نفوذطرقالمتصوفة،

الاسلام والنظام القبلى :

ومع أن الاسلام من ناحية المبدأ

لا يضع موضع التقدير التباين القبلى أو بمعنى أدق القوميـــة القبليـة ، فالمسلمون اخوة ، والناس سواسية كأسنان المشط ،ولكن الواقع أن الناس فى هذه المنطقة كلها يقدمون التبعيـة القبلية حتى على المشاعر والارتباطات الدينية ، ومن العادة أن تبدو المظاهر الانعزالية المتنافـرة ــ ان لم نسمها الكراهية القومية ــ فى المنـاطق التى يضطر الناس من عدة قبائل الى أن يتعاملوا معا ، وأن يعيشوا جنبا الى جنب ، وفى مدن المنطقة كما فى كل المراكز الحضرية من افريقيـة المسلمة لا يؤدى اتباع قواعد الاسلام بالناس الى وحدة الزعامة الدينية بل لا يؤدى الى وحدة التبعية المذهبية بين مختلف الطوابع الثقافية ، ومع أن كل الناس يعتبرون مسلمين .. والرغم من انهم قد يرتبطون معا بسبب او بآخر الا أنهم لا يختلطون معا اختلاطا تمازجيا فى مجتمع متماثل الطوابع والاتجاهات، **فلكل مجموعة من الناس أوليـاؤها وزعماؤها وأماكن العبادة الخاصة بها**، وتعتبر مدينة **هرر** المثل الجيد لهذا ، فان سكانها فيما عدا الألفى مسيحى الذين يعيشــون فيهـا يتكونون من اثنى عشر ألف هررى أى من سـكان المدينة الأصليين ، ومن خمسة عشر الفا من الجالا ، ومن الف من الغرب ، والف أو اكثر من الصوماليين ،ولكل من هؤلاء اتجاهاتهم الدينية ، ويتجمع أفراد كل جماعة من الناس فى مساجدهم الخاصة ليؤدوا الصلاة ، وراء أئمتهم ، بل لكل من هذه الجماعات المدارس الخاصة بها لتحفيظ القرآن الكريم .

ويختلف وضع المراة ومكانتـها فى هذه المجتمعات بقدر تأثرها بالطابع الاسلامى الأصيـل ، وكلمـا تغلغلت عقيدة أهل السنة فى منطقة كلما هبط مستوى المراة فيها (!!) ولكن مع هذا توجد بعـد اسـتثناءات ، تستحق التقدير ، فان مكانة المراة بين أهل **هرر** وبين الكثـيرين من « تبارتى Tebarti » أعلى مـن مكانتـها بين جماعات كثـيرة أخـرى فى العـالم الاسلامى ، وقد جاء فى تقرير قـديم كتبه فى القرن التاسع عشر ضابط مصرى اسمه **محمد مختار** (١) : « ان كل أهل **هرر** ــ عدا اميرها لا يبنون بأكثر من زوجة واحدة ، والطلاق غير معروف بين النسـاء ، وكل نسـاء المدينـة فضليات وعلى جانب كبير من العفة».

المظاهر الاسلامية فى المنطقة :

على أن المظهر الاسلامى فى بعض المناطق يتضح فى الموظفين الرسميين، كالقضـاة والوعاظ والطـلاب الذين درسوا الدين فى **هرر وجيما** ومـدن السـاحل ، والذين تلقوا العلم فى القاهرة أو الحجاز ، وكل هؤلاء عندما عادوا انشأوا مدارس لتحفيظ القرآن ،وكان،

(١) راجع « ملاحظات على مديرية هرر » إصدار مجلة الجمعية الجغرافية (الخديوية) ص ٣٦٥ – ٣٦٧

أهؤلاء كما كان للأسر التي يرجع أفرادها بأصولهم الى العرب والى المهاجرين الذين نزلوا البلاد من اليمن ومن غيرها من البلاد الاسلامية المجاورة ... الأثر الأكبر فى تقوية الدين الاسلامى، وفى استخدام رجال الدين الذين يعرفون أبناءهم بأمور الدين .

و ((**الشيخ**)) أو ((**الفقير**)) كلمة عادية فى الشمال من البلاد ، وفى الصومال يقولون لم ((**الوداد**)) ، وفى **هرر** وبين **الجالا** يعرفون رجال الدين بكلمة ((**الكبير**)) ، وكل هذه الكلمات تعنى شيئا واحدا هو الرجل الذى يتولى تعليم الصغار القرآن ، والعادة أن الرجل يمتلك قطعة أرض يزرعها له طلابه الذين يعرفهم بأمور الدين .

ولكن هنا يتضح الطابع الوثنى للحياة قبل الاسلام ، فان هذا الفقيه، الفقير ، الوداد ، الكبير ، يمارس السحر ويستخدم الأدعية والأحجبة لشفاء المرضى ، وللاتصال بأرواح السلف الصالح من القديسين والأولياء

وطبيعى أنه كانت المدن مركز الحياة الاسلامية المنظمة ، وفى المدن توجد المساجد ، أما فى القرى فيعد الأهلون مناطق من الأرض فى ظلال الأشجار لاقامة الصلاة ، وفى جنوب الحبشة عندما لا يعمل الرجال فى الحقول فانهم يجتمعون فى منتصف النهار لأداء الصلاة ، فاذا ما انتهوا من صلاتهم تجمعوا فى حلقات لمضغ (القات) والتمتعة بالأوراد (!!!) .

ومن الصعب أن نعرف الى أى مدى يصوم الناس رمضان ، والرجال الذين لا يعيشون فى مناطق اقامة ثابتة لا يصومون فى الغالبية ، والقليلون هم الذين يذهبون الى مكة للحج ، ولكن أولئك الذين يتولون عملا دينيا ، وبخاصة الذين يتولون تدريس الدين يذهبون دائما الى مكة (يحجون البيت الحرام) لأن هذا الحج يزيد مكانتهم .

ويحضر الناس صلاة العيد صبيحة اليوم الأول للعيد الكبير ، عيد التضحية، وبعد سماع خطبة الامام يعودون الى دورهم لذبح الضحايا من الخراف ، ويفرقون الجزء الأكبر منها على الفقراء، وفى عيد الفطر وفى العيد الأضحى يرتدى المسلمون الثياب الجديدة ، ويزورون قبور الأسلاف وأضرحة الأولياء ، ويقومون بزيارة الأهلين ، أما الذين ينخرطون فى سلك بالطرق المتصوفة ، فيحضرون حلقات الذكر التى تمتد طوال أيام العيد ، وفى **أديس أبابا** (كانوا) ينظمون سباقا للفروسية لثلاثة أيام فى سهل (ڤيليوها) .

والقوانين الاسلامية ، التى تنظمها الشريعة هى الأصل والمرجع فى المسائل العامة والخاصة بين المسلمين ، ولكن للتقاليد القبلية وللعرف نفوذهما القوى بين الأهلين ، وتستند كل القوانين الوضعية التى تضعها الحكومات والتى هى من مخلفات حكم الغرب الى الشريعة ، والى التقاليد .

ومن ثمة كان من الضروري أن ينتظم الناس في عقد المذاهب الاسلامية المختلفة ، ولكن الناس في هذه المنطقة اجمالا يتبعون ثلاثة مذاهب فقط هي: مذهب الشافعي ، مذهب مالك ، ومذهب الحنفية .. ، **فالجالا** ، وأهل **الصومال** شافعيو المذهب ، وهم الكثرة في **الحبشة** والقلة في **ايريتريا**، وجل أهل ايريتريا وبخاصة **بني عامر** مالكيو المذهب ، بسبب أن علماءهم جاؤا أصلا من شرق السودان ، أما سكان المنطقة الساحلة للبحر الأحمر ، ومنطقة **هرر** فحنفيو المذهب ، كما وجد بعض الزيدية من أتباع الامام زيد بين اليمنيين .

طرق المتصوفة :

وهكذا يصل بنا المطاف الى طرق المتصوفة المرحلة الثانية ،بعد التقسيم للمذاهب الاسلامية .

على أن الفكرة وراء طرق المتصوفة — على ما يقول تريمنجهام — أن المؤمن الذي يرغب أن تكون له صلة بالله جل شأنه يحتاج الى توجيه شخص له سابق صلة بالله ، ويكون الله سبحانه وتعالى قد منحه البركة ، ومن ثمة يستطيع أن يكون وسيطا بين الله وبين مريدي الطريقة ، وتنتقل البركة من منشيء الطريقة الى ابنه بالوراثة ، ويستمر انتقال البركة ،وتتابع الرياسة على نظام التوارث أبا عن جد ، وابنا عن أب .

على أنه مع تطور هذه الطرق ،ومع انتشارها في قارة افريقية بين الشعوب البدائية الثقافية مرت أهدافها وروحها بمرحلة تالية من مراحل الانتقال ، لتتمشى مع العقلية الفجة البدائية للأهلين ، ولم يعد الأمر يتطلب أي مطالب خاصة قبل الانضمام للطريقة، وكل ما يحتاجه الفرد هو أن يحفظ أصول الطريق ، وأن يقسم يمين الولاء للشيخ ، ولم تعد حاجة للقيام بطقوس خاصة ، ولا أداء صلوات معينة ، ولا صيام أيام محددة ، وكانت حلقات الذكر تعقد وتؤدي لأهداف نفسية بدنية .

في التاريخ لطرق المتصوفة :

يقول صاحب كتاب « مسالك الأبصار » الذي جمع الحقائق عن طرق المتصوفة في شرقي افريقية (١٣٣٢ — ١٣٣٨ ميلادية) «انه لم تكن في الممالك الاسلامية السبع في جنوب الحبشة مدرسة وحدة ولا خانقاه ولا رباط ولا زاوية ، وأن « القادرية » هي أول طرق المتصوفة نزل بها الى البلاد مهاجرو اليمن وحضرموت ، وانتشرت في مصوع وزيلع ومقديشو ، ومن ثمة وطدت أقدامها في المدن الساحلية ،ان الذي جاء بها الى هرر من الأشراف اسمه عبد الله العيدروس الذي مات في عدن سنة ٩٠٩ لهجرة سيد الخلق ١٥٠٣ من ميلاد عيسى عليه السلام».

ولم تعرف البلاد طريقة أخرى من طرق المتصوفة حتى القرن التاسع عشر .

مظاهر خاصة للاسلام فى الحبشة وشرقى افريقية :

لقد قطع تريمنجهام من كتابه ستا واربعين بعد المائتين من الصفحات ...، ولكننا نصل معه فى الحديث لنقف أمام الفصول الأخيرة التى تحدث فيها عن « المزارات » فيما أسماه (عبادة القديسين) ، و (الحج الى مزار الشيخ حسين فى جوبا) للجنوب الشرقى من جبل أبي القاسم عند ملتقى مناطق (بالى) و (اوجادين) وللجنوب الغربى من منطقة هرر وعلى مسافة مائتى ميل للجنوب الغربى من مدينة هرر نفسها ، ثم « صور السلوك الدينى» أو بمعنى أدق : الأوضاع التى لرجال الدين فى المجتمع الذى يعيشون فيه وتأثر هذه الأوضاع بالطابع الوثنى الذى كان للأهلين أصلا ، تبعا للحياة التى عاشوها قبل أن يتحولوا من الوثنية الى الاسلام . .

والحديث هنا يتطلب منى دقة ، لم يكن تريمنجهام ملزما بها ، ولم يكن على ما يبدو يفكر فيها ، وهو يندفع فى الحديث والوصف تبعا لموقفه هو من الاسلام والمسلمين .

وهنا نجد أنفسنا فى الواقع نواجه صورة مكررة مألوفة ، صورة زيارة قبور السلف الصالح ، وهى صورة قد تختلف النظرة اليها ، ولو حاولنا أن ندرك الفلسفة الأصلية وراءها .

وقد لا يكون من حقى هنا وأنا أعرض حديث تريمنجهام ان أعقب او أعلق بأكثر مما يحتاجه العرض .

وتريمنجهام نفسه يقول ان المسلم يؤدى الصلاة لله .. ، ولكن هؤلاء (القديسين) الأولياء أناس قد تقربوا الى الله فى حياتهم الدنيوية ، والى هنا لا غبار على ما يقوله تريمنجهام ، ولكنه يخرج من هذا ليقول ان الناس يعتقدون أن هؤلاء الأولياء بعد الموت يقومون بدور الحلقة ، الصلة ، بين الله وبين العالم المادى ، وان هؤلاء الأولياء يعيشون فى المكان الذى توفوا به ، كما يزورون المناطق التى ألفوها ، ويظهرون للمريدين فى أحلامهم ، ومع أن المتحفظين من أهل السنة فى شرق افريقية يتجنبون الشرك ، الا أن الغالبية تؤمن بقوة هؤلاء الأولياء ، ويعتبرونهم موردا من موارد البركة التى يعملون للحصول عليها .

وفى شرق افريقية كما فى أى مكان آخر من العالم الاسلامى من النادر أن ولد هؤلاء الأولياء فى الأماكن التى توجد فيها قبورهم ، لقد جاءوا كلهم من بلاد بعيدة ، وكلهم قد قالوا انهم من نسل الرسول عليه السلام ، وقد اشتهروا جميعا بالتقوى وكلهم حصلوا على قسط كبير من علم الدين ، وكلهم كانوا على أتم أهبة لاظهار الخوارق بما لهم من قوة ، وقد كان لكل هذا أثره فى الناس الذين عاشوا بينهم سواء فى القرى أو فى السهول ، او فى المدن ، أو فى الصحراء ، فالصورة واحدة ، كانوا يقومون بالتعليم وامامة الصلاة، ويشفون المرضى وينزلون المطر ،

ويمنحون البركة ، فلما ماتوا كون اولادهم أسرات مقدسة ، فلقد ورثوا البركة واستثمروها واستغلوا اعتقاد الناس فيها .

وقد أقام المريدون للأولياء المزارات الكثيرة التى تلمع جدرانها البيضاء فى السهول الواسعة التى تحيط بها ، او تبدو مشعة بالضوء اذا ما كانت فوق قمم الجبال ، وفى داخل كل من هذه المزارات نجد قبر الولى الصالح مع آيات من القرآن الكريم فوق القبر وعلى الجدار الخارجى ، كما نجد فى داخل الضريح بعض آثار الشيخ وصفحات من القرآن ، وكتاب الأوراد.

ولزيارة الضريح غرضان : الزيارة تشريفا للشيخ ، والزيارة التماسا لمعاونته وتطلبا لبركته .

وتنتشر المزارات والأضرحة فى المدن الساحلية وفى هرر حيث وطد الاسلام أقدامه منذ بعيد ، وأشهر أولياء هرر الأمير **نور بن المجاهد** ، منقذ المدينة بعد انهيار جيوش الامام أحمد ، ولزيارته عيد كبير يجىء فى شهر ربيع الاول الذى يسميه أهل هرر « نادى مولود »

ويتتابع الحديث فيما لا حاجة لنا به من أحاديث الأضرحة والنذور والهبات وما يناله منها حارس الضريح، وما يخرج للأتباع والمريدين ، وهى صور ليست من الدين ، ولكن كتاب الفرنجة التى يتحدثون عنها يخلطون بينها وبين الدين ، على نحو معيب او مريب قل ما شئت ، فليس من السهل الميسور أن ننسب حسن النية لكل فرد

مظهر التقاليد القديمة قبل الاسلام:

والذى لا شك فيه أن «الكوشيت» من سكان تلك المنطقة ،أولئك الذين تحولوا من الوثنية الى المسيحية ثم الى الاسلام ، بل لعلهم يكونون فى عصر سابق للمسيحية على مايقول تريمنجهام قد تحولوا لى الموسوية كانوا فى البداية من الوثنيين .

وكانت أهم المظاهر الدينية عند « الجالا » هى « ودجا » أى اجتماع الأسرة أو الجماعة للصلاة ،ويصحب هذه الصلاة الجماعية حفل يؤكل فيه الخبز أو الحنطة المجروشة ، وتحتسى القهوة أو الشراب المنقوع ، كما قد يضحى بشاة احتفالا لهذا الجمع ،فلما جاء الاسلام بقى الجالا يؤدون صلاة الجماعة ، ولا يزالون يقولون لصلاة العشاء « ودجا » .

على أن نفوذ الطوابع السابقة للاسلام أكثر وضوحا فى الواقع بين الجماعات التى تعمل فى الزراعة ،والتى ترتبط حياتها بزرع الأرض والقاء البذور وحصد المحصول ، ومن ثمة بقيت بينهم التقاليد الوثنية القديمة لأعياد اليوم الأول للعمل فى زراعة الأرض واليوم الأول لجمع المحصول، والتقاليد

they themselves had sown, but they went to the extent of openly associating themselves with the traditionalists. One of the interesting examples was that officials of the British Government, of such a high rank indeed as the Resident of Buganda, attended a meeting of the now prescribed Uganda National Movement. It was also reported in the press that the Resident like other sympathisers subscribed to the collection of the traditionalists.

Is it not strange that the same man should three months later persecute the people he had encouraged and supported.

The British Government has planned the economy in such a way as to favour non-Africans, Now when the traditionalists, in a desperate effort organinse a campaign — and here I am not commenting on its timing management or political objective — to boycott such a foreign controlled economy, is it fair that Britain should answer by a threatrical staging of Emergency hence victimising the whole nation on a crime committed by a government that exploits, and kills those who blame it for doing so.

ONLY SOLUTION

The only reasonable and in fact practical solution of the Uganda problem in the interest of both the Uganda and British peoples is for the Colonial Government to come to terms with the Nationalists, as vanguarded by the Uganda National Congress, and other popular progressive organisations; refrain immediately from inciting confusion in the country; restore local Governments to their right place and consolidate on the Legislature by giving it a national and supreme character in its powers and undiluted democracy in its representation.

This is the only feasible short-cut towards a reasonable solution of the Uganda problem and delaying its solution does not offer any prospects for any more reasonable or indeed acceptable alternative.

It is up to the historical statesmanship of the Government of Great Britain to come to real effective negotiations with the Political Parties in Uganda, for one thing is certain : freedom, unity and independence of our country can be delayed but not prevented.

and respected world power like Britain be more criminal? I can understant the device of divide and rule, but how profitable is divide and quit ? In view of the current of African Nationalism, could Britain be sure that a colonially-divided Uganda would not reunite after the imperialists quit? In that event what would be the memories of the Uganda people of the colonial rule ? Even for the sake of argument if Balkanisation was exercised in Uganda as we clearly see its legacy in the Middle East what aftermath could Britain hope for in our country? In view of the tide of history it would appear prudent for any statesman to make a wise and intelligent choice as to whcih force to associate with in any country. And in Uganda it is obvious the protagonists of feudalism, tribalism and provincialism have simply outlived their usefulness. In fact were they not propped up by imperialism their existence would now be history. What may, the genuine Nationalists the Africanists, the progressive young generation will deal traditionalism and the division of Uganda a fatal blow.

BRITISH COUGHT BY THEIR OWN TRICKS

In their traditional stubbornness to demands of the Uganda National Congress, the British government in our country has never associated itself with any force, irrespective of the aims, provided it had the criterion of a policy aimed at delaying Uganda's independence in one way or other.

The Uganda National Congress, working for the immediate independence of a united Uganda challenged any advocates of tribalism and provincialism. This traditionalism recently when it conflicted with the. Nationalist strategy for independence of Uganda, UNC had to adopt stern measures which included among other things the expulsion of Mr. Musazi, who naturally ran to join the files of the staunch supporters of tribalism.

The British Government was not only so happy at the development of the conflict between the traditionalists and the Nationalists, the seed of which

prolong the British rule in the country indefinitely.

These intrigues have found expression in several important events in our country. Although government was obliged to yield to the Uganda National Congress demand for direct election, which it knew, if universally effected Congress would have a greater national impact in the country via the Legislature, it gave it with one hand and removed it with the other. While the Uganda Election Law was passed in the Legislature, the Government in a most unprecedented action asked local governments, which are unelected institutions to veto elections in their areas. The result of this option was obviously a foregone conclusion. You could hardly see how undemocratic tribalist institutions would enforce a democracy that is displayed in a dubious manner by its British advocates. The evil inherent in this option could only be appreciated against the background that when the British government levies any tax in Uganda the local government institutions are never asked to approve let alone to exercise a verdict.

By pretending to unite Uganda through a Central powerful Legislature to which the whole nation would owe allegiance, the same British Government has accepted, let me not say encouraged, the absence of the important Province of Buganda on this body.

While preaching that Buganda is an integral part of Uganda, ranking as one province of the country, the British Government has developed a provincial Government in Buganda and denied that to the other three provinces of the country.

Assuring the people of Uganda that their country will develop as a united whole towards an "independent African State of Uganda", the same administration has encouraged and participated in the negotiaton of constituent parts of Uganda on the one hand, and the British Government on the other with the objective of attaining tribal independence.

Surely could any activities on the part of a civilised country

State of Emergency was declared in order to give a free hand to the Governor to let loose a wave of terror, injustice and confusion so as to better rule these countries longer.

Such wicked measures as the adoption of crisis law in Uganda and Nyasaland, as a penalty against their demand for freedom, does not only keep the political situation in East and Central Africa in status quo, obviously for the benefit of the British Colonial exploitation in these rich countries, but it is also on open appeasement to the Settler Governments in Kenya and the Rhodesias and the governments of South Africa and the "Belgian" Congo, all of which have been constantly worried by the "creation of other Ghanas" in their vicinity.

It is true the independent African States of Uganda and Nyasaland cannot and will not tolerate the subjection of the African people to human indignity and conferring upon them second-rate citizenship in their own country. If the British declared Emergencies in these countries in a bid to avert such a situation they were completely mistaken.

SHAMEFUL PLOT IN UGANDA

The British Government has kept the Nationalist struggle in Uganda in complete frustration since 1953 and in a position of marking time since the last three years. The Uganda National Congress has tabled demand after demand since the end of the 1952-5 mass resistance staged by this heroic genuine Nationalist Party but the British Government has always found excuse to be obstinate and provocative.

So justified and proper were the demands of the Congress that the "Protectorate" government was neither courageous to challenge them nor reasonable to accept them. They, therefore resorted to the creation of rivalries between the National Political Parties and the Local Government institutions with a view of at worst, destroying Uganda as a united independent state and at best creating confusion and local conflicts which would

ponsibility, and unscroupulous demonstration of tramping on recognised agreements, that Britain dragged Nyasaland in the settlerinspired Central African Federation, declared a State of Emergency in that "Protectorate" early this year and has last month repeated the same to the "Uganda Protectorate". It was now the turn for the Protectorates. Who can ever depend on the British Government, full of intrigues, malice and injustices against the African people? This nation, which has for centuries preached justice and fairplay, is committing the most uncivilised atrocities of our time. Oh God deliver us but forgive them for they know not what they are doing.

ATTEMPT TO CREATE SETTLERISM COUNTERPART IS THE CAUSE

"Africa is lost" that is the catch word that characterises every gathering sponsored by imperialists or their fellow-travellers. Yes, it is lost in favour of its own people. And what next? It is this fear that stirs the imperialists to the point of hysteria. It is such a fright indeed that it pushes them to commit the most criminal atrocities in the face of a civilised world and in the teeth of opposition not only of the African people, but also of universal public opinion.

Having lost Asia and with West Africa on the door out, and obviously conscious of the inescapable fact that colonialism is anachronistic and that the independence of Africa has become a historical necessity, the British Government, by the traditional use of Emergencies is desperately attempting to block the irresistible African tide to freedom, dignity and nationhood.

As she failed to federate East Africa and therefore tie it by settler chains on the colonial chariots indefinitely and now fear striken of the crumbling of the Central Africa Federation Britain has declared a State of Emergency in Uganda and Nyasaland so as to create settlerism counterpart in these countries ; since there were no settler demands to justify frustations of the African peoples. A

countries we can assess a sense of racial harmony or at least we are not struck by the white-agains-non-white outburst.

These countries have always acted a buffer between metropolitan colonial Britain and the demagogic diehard settler govermnments as exemplified by Kenya and Southern Rhodesia. The British Labour and Socialist sector of the public have always regarded the independence of "Protectorates" as a British gesture of humanitarianism and a deep foundation of lasting friendship and co-operation between these countries and the "Mother Country".
— Great Britain that is.

As a result of public pressure and as a tricky compromise between settlers and Nationalists there are signs that the Emergency in Kenya may sooner than later be lifted. As tradition has it, crisis was to be declared in another country. It was Uganda's turn and the chain continues.

TURN FOR THE "PROTECTORATES"

British Colonial Constitutions theoretically vary in several aspects according to individual territory, but in practice these are based on a similar broad colonial policy. The difference for instance between a colony and a protectorate is largely the historical methods of colonial occupation.

Although there are wide differences amongst the "Protectorates" themselves, depending on the degree of administrative, social and cultural stage of development which they had attained by the time of British colonial invasion, they all tend to have some characteristics in common :

People of the "Protectorates", confident that Britain is honourable enough to be bound by her agreements, have always regarded the future of their countries as their own and that by mutual consent Britain would terminate her "Protection". On the threshold to freedom, therefore, they have naturally to live to their obligation to the African Personality in the case of Uganda and Nyasaland.

It was in a clear proof of her absolute lack of moral res-

STATE OF EMERGENCY IN UGANDA: PLANNED CRISIS

Uganda is the latest addition to the list of British occupied countries where the British Government has once again responded to a political situation by means of intimidation, violence and terrorism.

The present conservative British Government will sink in history with the most shameful record for the Britons. As if anxious to keep two human butcher houses at any one time, the "British-Society-for the Destruction-of Freedom Fighters" scrupulously keep lobbying the British Government and commanding Lieutenant Lennox-Boyd to fly troops wherever colonialism is in danger and freedom on the threshold. "Cyprus was lost" the Society reflects, "but after all there were Greece and Turkey, both members of Nato, to consider" the Society for the preservation of Lennox-Boyd consoled its counterpart.

When Emergency was lifted in Cyprus, in an effort to prevent the "creation of a vacuum", to describe the matter in a typical imperialist language, another one was soon to be declared in Nyasaland and Southern Rhodesia. Reason: People demanded freedom. The paradox now comes. The same freedom decided, as the solution of the Cyprus problem, was denied the African people in Nyasaland and the Rhodesias so as to create a similar Central African problem. You would have the impression that the British way of life is to create problems, artificial, nefarious and inhuman.

In Kenya a State of Emergency has frustrated the African peoples, for it hardly affects other people in British Colonial Africa, for the last seven years.

We see now these Emergencies creeping stealthly in the Agreement States of Uganda and Nyasaland. In these countries, we observe that colonial settlement was neither minima, or non-existant. We note that in these

تمثال برونزى من نيجيريا

2nd. Year

Issue No. 20 - July 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- AFRICA IN PRESIDENT NASSER'S ADDRESS
- ISLAM IN ETHIOPIA
- NEGRO ROLE ON THE AMERICAN THEATRE
- BOOK ANALYSIS

السنة الثانية

العدد ٢١ ـ اغسطس ١٩٥٩

نهضة افريقية

فى هذا العدد

- سياسة المؤتمرات فى افريقية
- التنافس الانجليزى الألمانى فى أوغندة
- روديسيا ونياسلاند
- مصر الفرعونية وشرق افريقية
- البوشمن
- نقد الكتب

الثمن ٣ قروش

افريقية الغاضبة

نهضة أفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل أفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رايها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة .

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

نهضة افريقيه

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

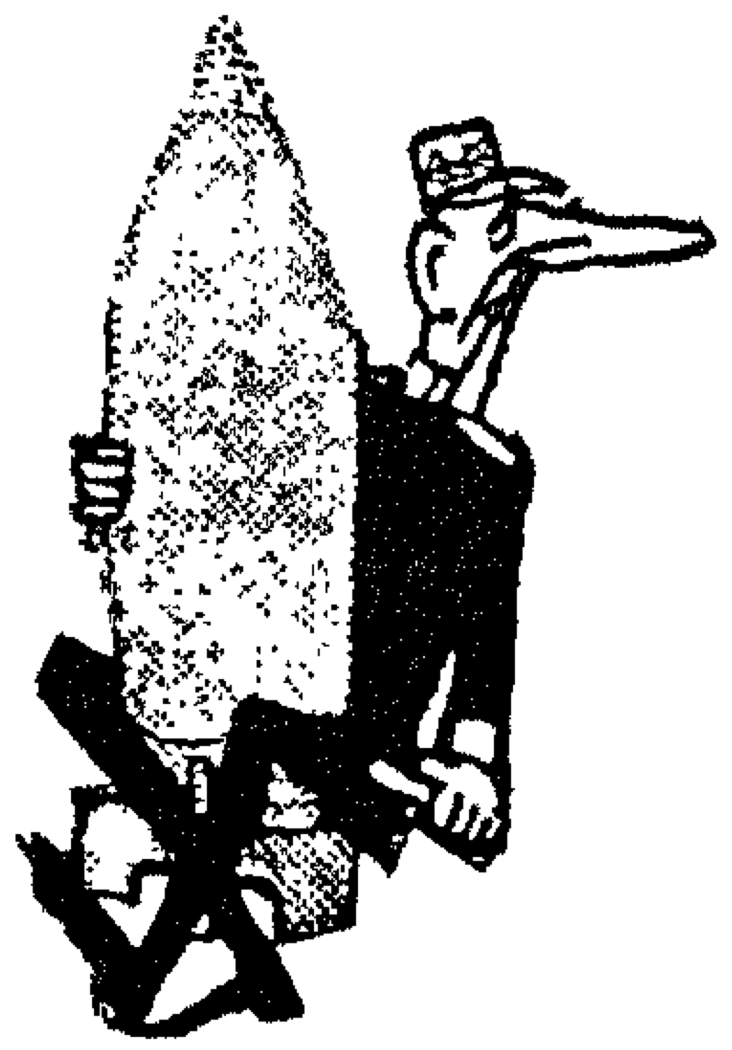

تؤكد فرنسا أنها ستفجر قنبلتها الذرية فى الصحراء الكبرى الافريقية ، وهنا الى جانب كونه اعتداء صارخا على حياة الملايين فى هذه القارة . فانه في الوقت نفسه يعتبر تدميرا لثروة من حق القارة أن تنتفع بها . ففى ((تندو)) تم تحديد مكان منجم للحديد سوف تستخرج منه عدة مليارات من الأطنان ، وفى ((هوجار)) تم الحصول على مناجم هائلة من القصدير ، واليورانيوم ، وكثير من المعادن الأخرى . كما اكتشف أن هذه المنطقة غنية بالمياه الجوفية التى لو امكن رفعها بالوسائل الحديثة لأصبحت هذه الصحراء ((جنة الافريقيين !)) .

على أن بعض الجيولوجيين قد اثبت أن هذا المكان فى العصرين الحجريين القديم والحديث كانت توجد به بعض أنواع الزراعة ، كما وجدوا فى هذا المكان آثارا نقشت عليها سفن شراعية وكثير من مظاهر الحياة . كالصيادين ، والرعاة ، ومناظر الحصاد .

ومن هنا يجب أن يقف الافريقيون جميعا فى وجه هذا الاعتداء الصارخ وأن يحيطوا هذه المنطقة بقلوبهم ، وعزمهم . ففيها غدهم .

((عبده بدوى))

محتويات العدد

سياسة المؤتمرات فى افريقية :
للأستاذ محمد عبد العزيز أسحق ٣

بين مصر الفرعونية وشرق افريقية :
للدكتور عبد العزيز كامل ٦

التنافس فى أوغندة :
للدكتور جلال يحيى ١٥

نقد الكتب :
للأستاذ عبده بدوى ٢٨

البوشمن :
للأستاذ محمود سليمة ٣٦

كينيا فى صور : ٣٩

لمحة من تاريخ مراكش
ترجمة الأستاذ عزيز مترى ٤٣

روديسيا ونياسالاند :
للدكتور على ابراهيم عبده ٥١

الاستعمار البريطانى فى أوغندة :
للدكتور عبد العزيز الرفاعى ٦٠

عقائد وفن :
للأستاذ حلمى شعراوى ٦٦

كلمات وصور ٧٤

سياسة المؤتمرات فى إفريقية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

اذا نظرنا الى الماضى من عدة سنوات لنلقى نظرة شاملة الى القارة الافريقية ومدى ما يعرفه بعضها عن البعض **الآخر** . وجدناها **« قارة مقفلة »** **لا تعرف** الدولة المجاورة ما يدور لدى **الأخرى** . بل ان الدولة الواحدة كانت **لاتعرف** شيئا عن نفسها فشمال **«** السودان » كان لايعرف شيئا عن جنوبه ، وشرق « نيجيريا » كان **لايعرف** شيئا عن غربه ، وهكذا .

ولم يكن هذا جهلا بالأوضاع السياسية ، ولا جريا وراء العزلة ، واقبالا على الحياة المحلية المحدودة ، ولكنه كان خطة مدبرة تصدر تعليماتها من بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، واسبانيا ، والبرتغال . فما أشد ما كان يحب الافريقى أخاه فى أى مكان فى القارة . فضلا عن أسرته الواحدة التى كان يفقدها بما تفرضه عليها السلطات القائمة بهذه التقسيمات الحادة التى كانت تجرى وفقا لمصالحها، واتفاقياتها مع الدول الأخرى . **دون** أن يكون للأب حق فى أن يجمع **أولاده** المتفرقين تحت نظره ، وقلبه ، وحبه .

وقد بالغ المستعمرون فى هذه القطيعة ، واجهزوا بأيد قاسية على عواطف الناس ، ومشاعرهم ، **وتلك** الوشائج الانسانية التى تربط الناس بخيوط من الرحمة ، وتولد فى قلوبهم المعانى الرقيقة التى تلتقى اشعتها جميعا فى الكلمة الخالدة الكبيرة : **كلمة « الانسانية ! »** .

ومن خلال هذا كله عملوا على تحطيم الحضارات الافريقية العريقة ، وشككوا الافريقين فى تاريخهم ، وتقاليدهم ، وفنونهم ، وآدابهم ، ولغاتهم ، ومن خلال هذا « التدمير المدبر » فرضوا عليهم لغاتهم ، وطرق

حياتهم ، ونظم مجتمعاتهم ، وحسبوا أنهم بما لديهم من سلطة قد وصلوا الى أعماق القارة ، ودمروا نفسيتها ، واصبحت لهم القدرة على تشكيلها من جـــديد .

وفى سبيل هذا نراهم قد أهدروا كثيرا من القيم ، وخرجـــوا عن كل ما يميز الانسان من الحيوان . فنراهم يحشدون ابناء القارة الى الحـــروب التى يخوضونها ، ويلقون بهـــم فى المقدمة حتى يتقوا بهم من كل الأخطار فاذا ما انتصروا على أشلائهم ، وعادوا بدونهم ــ وحتى بدون ذكريات عنهم ــ الى بلادهم نراهم يقومون بعملية عقاب اخرى لأهليهم وذويهم كأن ماقدموه من « موت » فى سبيلهم لم يكن كافيا . فيعاملونهم على أنهم غرباء فى بلادهم ، ويفرقون بينهم وبين أبناء البلاد . فاذا ما ارتفعت جبهة سوداء ضخمة تطالب بالعدالة ، وبالمساواة وبشيء من تقدير « الانسان » نراهم يضربون عليهـــا بالقضبان الجامدة !

ثم يعودون من جديد لاستنزاف خيرات البلاد لأجيـــال قادمة كأنما يريدون أن يعاقبوا الأجيال الافريقية التى لم تأت بعـــد ، فنراهم يدمرون الاقتصاد الوطنى ، ويغتصبون كل كنوز الأرض المدفونة ، ويبعـــدون الأهالى عن الأراضى الجيدة ، ويصدرون كل المواد الخام الى بلادهم . وبهـــذا يجنون على افريقية لأجيال قادمة .

ومن خلال كل هذا نراهم يربطون اقتصاديات البـــلاد باقتصـــادهم ، ويشعرون الأهالى بأنهـــم غرباء عن بلادهم ، وأنهم أصحاب الحق المطلق فى هذه البلاد تحت ألوان من الاستعمار تتردد بين الاســـتعمار المطـــلق ، والاستعمار الاستغلالى ، والاستعمار السكنى ، والاستعمار الحربى ، وكلها تشكيلات القصد منها تدمير القارة ، واستغلال مواردها لأجيال متعاقبة .

ولكن ((ومضة الحرية)) التى تولد مع الانسان ، والتى تنتصر دائما على العواصف ، والأعاصير ، وتعرف كيف ترتفع هادية .. ومثبتة الأقدام على الطريق . عرفت أخـــيرا كيف تتقابل مع الومضات الأخـــرى ثم تشق فى عزم واصرار طريقا من نور ! طريقا من حرية !

فقد تلفت الافريقيون الى أنفسهم، وعرفوا أن الأيدى الوحيدة لايمكن أن تحمل النور ، وأن كل قطر لابـــد أن يخرج من قلبه يدا ، ثم تتلاقى هذه الأيدى جميعا ، وتلتحـــم فى قبضة مصرة تشد بها على ((المشعل الكبير)) الذى يجب أن يعم بنوره كل افريقية : المدينة ، والقرية ، والصحراء ، والغابة. ثم أخيرا ((النفس الافريقيـــة)) التى اعشـــوشبت بالظـــلم ، وأظلمت بالانكسار !!

وقد أضاءت حركات التحرر التى ظهرت أخيرا كل مكان فى افريقية . فنجاح غانة ، وغينيا وغـــيرهما قد أعطى للافريقيين كثيرا من الثقـــة فى أنفســهم ، وفى غدهم ومن هنا رأينا هذه الثقة فى أكثر من مكان بافريقيـــة : فمصير الافريقى الآن مرتبط بمصير أخيـــه الافريقى الآخـــر فى كل مكان فى القـــارة ســـواء أكان هـــذا الأخ غارســـا رمحـــه كمـــا فى ((**الكونغو**)) . أو مترصـــدا به كما فى ((**روديســـــيا**)) . أو يهم به كما فى

« **أوغندة** » . أو منتظرا به متوعدا كما فى « **صوماليا** » .

.. ولقد كان من اهم مظاهر فكرة التساند الافريقى . هذا الوعى الجديد الذى بدأ يعم القارة بأن قضاياها متشابكة ، وأن سياستها جميعا تنبع من طبيعة مشكلات القارة كلها ، وان الدول التى لاقت نصيبا من الاستقلال يجب الا تنعزل عن الدول الأخرى التى ما زالت تخوض فى دماء المستشهدين من ابنائها . فالكيان الافريقى موحد ، وموجود « **ككتلة ضخمة مصمتة** » يحسها المكافح « الجزائرى » وهو يغوص فى دماء الفرنسيين فى شمال القارة ، ويلمسها المجاهد « الكونغى » وهو يقف فى جبهة طويلة سوداء تصرخ بأنه لامكان للبلجيكيين فى وسط القارة ، ويقبض عليها المواطن فى جنوب افريقية وهو يثور على التفرقة العنصرية ، والضغط الاقتصادى فى أقصى جنوب القارة !!

وقد كان كل هذا ثمرة طبيعية لهذه المؤتمرات الافريقية التى انعقدت فى أكثر من مكان ، والتى تبادل فيها الساسة ، والمواطنون وجهات النظر الواحدة ، ثم انتهوا جميعا الى أن قضية الحرية واحدة ، وأن لافريقية اليوم مشكلة واحدة يقف لحلها كل أبناء افريقية ، دون قبول للتجزئة ، أو الحلول الجزئية فافريقية لابد أن تكون للافريقيين .

ولقد توج أخيرا هذه المؤتمرات ذلك المؤتمر الأخير الذى يلمع كنقطة ضوئية كبيرة فى قلب « مونرافيا » عاصمة « ليبيريا » . فقد تدفقت العواطف الافريقية منه كشلال يهدر فسمعنا منه نغمة الاعتراف « بالجزائر » ، والثورة على التفجير الذرى فى الصحراء الكبرى ، ومساندة الشعوب الافريقية .التى لم تنل بعد استقلالها ، والاتجاه نحو سياسة افريقية موحدة شعارها « الحرية الافريقية ، والسلام لكل العالم » .

وهكذا تكسب افريقية كل يوم انتصارات جديدة بفضل هذا اللقاء المستمر بين أبنائها .

بين مصر الفرعونية وشرق افريقية

للدكتور عبد العزيز كامل

هناك اتجاه استعمارى يرمى الى التقليل الى أدنى حد ممكن من أهمية الروابط الافريقية عبر الصحراء ، ويعتبر أشياع هذا الاتجاه مصر وشمال افريقية منطقة متميزة ، يطلقون عليها اسم افريقية البحر المتوسط ويعزلونها حضاريا وتاريخيا وجغرافيا عن بقية القارة . والهدف السياسى الذى يكمن وراء هذا الاتجاه واضح ، فهو يحاول أن يثبت فى أذهان الافريقيين الذين يعيشون جنوب الصحراء انهم يمثلون عالما بشريا منفصلا ، تحده الصحراء من الشمال، والمحيط الهندى من الشرق ، والأطلسى من الغرب ويحاول أن يعزلهم — عقليا وعاطفيا — عن الشطر الشمالى من القارة ، فى الوقت الذى يبذل فيه أقصى الجهد لتفتيت المجموعات البشرية جنوب الصحراء ، ليحول دون تماسكها وتعاونها ، وليسهل عليه استغلالها ، والسيطرة عليها سياسيا واقتصاديا .

وهذا المقال محاولة لعرض بعض العوامل الجغرافية التى ساعدت على تمكين الروابط الحضارية بين اجزاء القارة عبر الصحراء فى العصور القديمة ، مع العناية بمنطقة معينة بالذات : هى شرق افريقية ، حيث يرتفع الآن مد تحررى استطاع أن يهز قواعد الاستعمار هزا عنيفا اضطر معه الى الخروج عن وقاره المصطنع ، والقاء أقنعته المزيفة ، والكشف عن طبيعته العارية ، فحرق القرى وسفك الدماء ، والقى بالأحرار فى النفى والسجون ، وشرد الأسر الآمنة . ولا يزال بعض دعاته — بالرغم من هذا كله — يتغنون بمآثر الحضارة الأوروبية ، وعبء الرجل الأبيض فى ترقية القارة السوداء !!

والعوامل الجغرافية — بعامة — تتغير أهميتها النسبية مع تطور الحياة البشرية . ففى العصور القديمة كانت العوامل الطبيعية أشد تحكما فى الانسان . بل ان قصة الحضارة — فى كثير من جوانبها — لا تعدو تطور التفاعل بين الانسان والبيئة وازدياد سيطرته عليها . فقد كان الانسان فى العصور القديمة مقيدا فى انتقاله بمعالم الأرض اليابسة الى حد بعيد ، كان البحر عنده عقبة ترتفع مع أمواجها مخاوفه ، ولما اشتد عوده استطاع أن يركب البحر دون ابتعاد كبير عن اليابسة . ثم تطور بالحياة فاستطاع أن يقتحم اللجة ، واتخذ طريقه فى البحر معتمدا على نجوم السماء وما كشفه العقل من وسائل . ولما جاء

عصر الطيران استطاع الانسان أن يختزل المسافات ، وأن يعدل من الأهمية النسبية للمواقع . وأصبح يعبر الجبال والمحيطات والغابات والصحارى فى يسر ، فقلت أهمية هذه الظاهرات كعوائق طبيعية ، وبرزت أهمية العامل البشرى . بل ان العامل البشرى نفسه قد استطاع أن يتخطى بعض العقبات التى وضعها الاستعمار فى طريقه ، فقلت فى افريقية وآسيا أهمية الفروق اللغوية واللونية والبيئية ، واتجه الجميع نحو اهداف مشتركة ، وآمنوا معا بالسلام العالمى ومحاربة الاستعمار .

العامل الأول : طرق عبر الصحراء

والصحراء فى النصف الشمالى من افريقية نطاق ضخم يزيد معدل عرضه عن ١٠٠٠ كيلو متر ، ويمتد بعامة ، بين خطى عرض ٥٢٠ ، ٥٣٠ شمالا ، والى شماله اقليم البحر المتوسط بمطره الشتوى ، والى جنوبه الاقليم السودانى بمطره الصيفى . ويبدأ هذا النطاق من المحيط الأطلسى فى أقصى غرب القارة حتى البحر الأحمر شرقا ، ويعبر القارة ليشمل مساحات ضخمة من جنوب غرب ووسط آسيا . هذا الى نطاق صحراوى فى شرق القارة فى اقليم الصومال .

والصحراء الكبرى فى افريقية شديدة الجفاف ولا تكاد تسقط عليها أمطار الا فى الأطراف الشمالية التى تتأثر بمطر الشتاء ، والأطراف الجنوبية التى تتأثر بمطر الصيف ، كما تتأثر الأطراف الغربية المطلة على المحيط الأطلسى ببعض رطوبة المحيط.

وهناك فروق بين الأجزاء الداخلية فى الصحراء .. فروق فى الارتفاع تؤدى الى تباين مناخى ونباتى وفروق فى التكوين تؤدى الى قيام الواحات كمراكز استقرار بشرى .

من المنتظر اذن أن تكون موارد المياه محدودة جدا ، وأن يصبح فى شمال القارة نطاق جاف لاينبض بالحياة الا فى الواحات المتناثرة التى تتخذها القوافل معالم للسير بين اقليم البحر المتوسط شمالا ، والاقليم السودانى جنوبا .

وكان من الممكن أن تصبح الصحراء أعمق تأثيرا من الناحية البشرية ، لولا عوامل أخرى تمثل تناقضا جغرافيا مع جفافها ، وسكونها الموحش :

ففى الجزء الشرقى من هذا النطاق يمتد نهر النيل من هضبتى شرق افريقية واثيوبيا ، ويمر بالأقليم السودانى ، ثم يعبر الصحراء ليلقى بمائه فى البحر المتوسط . واستطاع هذا النهر أن يوفر لمصر تربتها وماءها ، كما اعطاها هى وشمال السودان ميزات لاتوجد فى المناطق التى استمد منها النهر مقوماته .

فهو ينحت تربته من سفوح الحبشة العالية الوعرة ، ويعود فيرسبها فى سهل فيضى مستو . وهو يحمل ماءه من قلب القارة . والنيل فى منابعه العالية ليس أساس الزراعة ، وان استخدمت — هناك — البحيرات والمجارى المائية كمصايد للأسماك وطرقا للتجارة . واستطاع النهر أن يكون فى واديه الأدنى بيئة زراعية ليست فيها مشكلات مناخية ، كالتى تركها وراءه فى منابعه .

العامل الثاني : هو البحر الأحمر . ويمثل محورا صالحا ، وسيلته السفن يقابل المحور النيلى العذب . وهذان المحوران يبدوان من مصر شمالا . ولم يكن بينهما فى العصور القديمة تنافس، وانما كان بينهما تكامل ظهرت بعض آثاره فى شرق القارة جنوب الصحراء .

ولنعرض الآن كلا من هذين المحورين فى شىء من التفصيل .

المحور النيلى :

أكثر ما يستلفت النظر فى مصر : التباين الكبير بين الأرض السوداء التى كونها النهر ورمال الصحراء ذات اللون الأحمر التى تحف بها من الشرق والغرب . وكما يقول الدكتور ولسن: « يستطيع اى انسان أن يقف واضعا احدى قدميه فى الأرض الخصبة المنزرعة ، بينما يضع قدمه الأخرى فوق رمال الصحراء المجدبة . فاذا ما القى بناظريه نحو وادى النيل أحس بضجيج الحياة وزحامها ، فاذا التفت الى تلال الحجر الرملى لم تقع عينه الا على فضاء مقفر لاحياة فيه » .

ومع أن واحات الصحراء فى مصر قد شاهدت ، واحتفظت بأقباس من الحضارة المصرية ، فقد كانت كالأقمار تدور فى فلك حوض النيل الأدنى وترتبط به .

ومن الطبيعى اذن أن تتركز الحياة فى مصر تركزا شديدا ، وأن تتركز — تبعا لذلك — طرق الاتصال مع الجنوب فى هذا الجزء ، بحيث تبدأ منه وتنتهى اليه وأن تعددت نقط الالتقاء على المحور نفسه . فقد تكون فى أطرافه الجنوبية عند الشلال الأول أو فى منطقة « ثنية قنا » أو تكون فى « أسيوط » . أو تتابع سيرها حتى راس الدلتا . ولكل من هذه النقط مميزاتها المكانية الخاصة ، وان جمع بينها الرباط النيلى . وستضطر هذه الطرق المتجهة جنوبا الى ان تجاور فى سيرها النهر الى حد كبير ، فهو المورد المائى الرئيسى الذى استطاعت القوافل فى العصور القديمة ان تعتمد عليه .

وعند الأطراف الجنوبية لمصر تتشعب الطرق أمام القوافل ، وفى تشعبها تتحكم فيها عوامل المطر ، وتوزيع الأودية الجبلية واتجاهها . ففى الشرق ترتفع جبال البحر الأحمر، وتنحدر منها الى وادى النيل أودية ضخمة تدل على مناخ كان أوفر مطرا. وتمتد هذه الأودية فى الحوض من اقصى الشمال حتى قلب السودان الشرقى . وهى فى الوقت الحاضر تمثل تدرج المناخ فى هذا الجزء من القارة .. وهى جافة فى الشمال ، وقد تحمل فى بعض الظروف الشاذة فيضا مفاجئا من الماء يهدد القرى الآمنة فى أدنى مصر . وفيضان الأودية الشمالية — ان حدث — كان فى فصل الشتاء . ثم يشتد الجفاف كلما اتجهنا جنوبا فى صعيد مصر . ويعود احتمال الفيض المفاجىء فى الأودية الجنوبية ، وهو هنا خاضع لنظام المطر السودانى الصيفى . ثم تتدرج الأودية الجافة الى الأخوار ذات الفيضان الصيفى ك «خور القاش » و« خوربركة »اللذان ينبعان من مرتفعات ارتريا ، وفيضانهما واسع الذبذبة . واخيرا نصل الى روافد النيل الحبشية بفيضانها الصيفى ، ثم الروافد الاستوائية . الدائمة الجريان ، مع ذبذبات فصلية محدودة الأهمية والمدى .

وتحدد الأودية بين النيل والبحر الأحمر طرق التجارة . ومن قديم تتبعتها القوافل من مصر واليها . ومن أطراف مصر الجنوبية يمكن أن تتبع القوافل مجموعة « أودية العلاقى » و « قبقبة » الى ارض « البجة » فى السودان الشرقى . وتنتهى هذه المجموعة الىالنيل عند بلدة «كرسكو»

ومن الممكن أن تتبع القوافل طريق النهر الى الجنوب حتى التقاء النيلين الأزرق والأبيض ، وتستطيع متابعة النيل الأبيض جنوبا أو تصعد مع النيل الأزرق الى أطراف الهضبة الحبشية ، وبهذا تتجنب منطقة السدود النباتية فى جنوب السودان ، وتتابع السير الى هضبة افريقية الشرقية . ومع أن منطقة السدود كانت ولا تزال عقبة لها اهميتها فى المواصلات البرية والنهرية ، الا أن بعض القبائل التى تعيش فيها الآن كالنوير ، تحتفظ حتى الآن بتقاليد رعوية تستوقف النظر . ويذكر الدكتور « سلجمان » فى دراسته للقبائل النيلية . أن « النوير » يعدلون من اتجاه قرون ماشيتهم بطريقة خاصة ، فيجعلون القرن الأيسر متجها الى الداخل بينما يتركون القرن الأيمن على اتجاهه الأصلى ، فيصبح للقرنين اتجاه واحد . وأورد فى كتابه عن القبائل الوثنية فى السودان النيلى ص ٣٥ صورة لهذا التقليد الرعوى عند النوير مرافقة للوحة فرعونية من سقارة ترجع الى الأسرة الخامسة أى الى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد . والتشابه بين ما عند النوير الآن وما حفظته الآثار المصرية القديمة يمكن ان يلقى ضوءا على خطوط التأثير الحضارى وامتدادها جنوبا . وقد يكون انتقال هذه المؤثرات من مصر الى منطقة السدود مباشرا . وقد يكون الى أوطان سابقة استقر فيها النوير ثم هاجروا منها الى أوطانهم الحالية حاملين معهم هذه التقاليد الرعوية . والوطن السابق الجماعات النيلية ــ كما يقترح سلجمان ــ كان هضبة شرق افريقية . ومنها انبعثت موجات الهجرة المتتابعة التى استقرت بها هذه الجماعات فى أوطانها الحالية . وأيا كان الطريق المقترح ، فان الحقيقة الكبيرة التى تعاو هذه الآراء هى التشابه القوى بين الأثر المصرى القديم ، والعوائد التى ما زال النوير يتبعونها حتى الآن .

ومن الممكن ايضا أن تتبع المؤثرات طريقا ثالثا ، فمن الأطراف الشمالية للنظام السودانى ذى المطر الصيفى تستطيع القوافل التجارية أن تبتعد عن النيل متجهة نحو الغرب والجنوب الغربى الى ما يسمى الآن « كردفان » و « دارفور » .

وبهذا نرى المحور النيلى يتشعب فى أطراف مصر الجنوبية والسودان الشمالى فى ثلاثة اتجاهات رئيسية أولها يميل الى الشرق ، والثانى يتابع السير نحو الجنوب والثالث يميل نحو الغرب . وتستطيع القوافل الكبيرة أن تختزل بعض ثنيات النيل فى ترحالها معتمدة على ما تحمله من مؤن ، اما القوافل الصغيرة والبدائية فهى اشد ارتباطا بالنهر وجريانه .

والمحور النيلى بهذا يتعامد على النطاق السودانى ، كما تعامد على

النطاق الصحراوى . والارتباط بالنهر فى النطاق السودانى ليس كبير الخطر وبخاصة فى الأجزاء الجنوبية ، حيث يطول موسم المطر ، ويغزر معدله السنوى ، وتتشعب روافد النهر ، وتتعدد الأخوار التى تنتهى اليه أو تنتهى دونه، وتكثر البطائح التى تستطيع الاحتفاظ بالماء فى الجفاف فترة تطول أو تقصر . ويستطيع السكان الحصول على الماء من الآبار القريبة الغور ، وغير ذلك من الوسائل التى يحفظون بها الماء بعد انقطاع المطر . وبهذا يتخذ الاستقرار البشرى هنا محورا أفقيا يعبر القارة من الغرب الى الشرق . ويتعامد النيل على هذا المحور . والتقاء هذين المحورين — النيلى والسودانى الرعوى — يمثل منطقة استقرار لها خطرها فى افريقية . وبهذا كانت المؤثرات الحضارية تنتقل من مصر جنوبا متتبعة النيل فى النوبة وشمال السودان ، ثم تنتشر فى النطاق السودانى مستخدمة نسيجا من الطرق المتشابكة التى تصل الى أغوار افريقية. ويهمنا الآن من هذه الطرق : الطريق الذى كان يتبع النيل الأزرق الى الأطراف الغربية لهضبة الحبشة ، ثم يتابع سيره جنوبا الى هضبة شرق افريقية ، وهو الذى رجحه «سلجمان» لوصول المؤثرات المصرية الى منابع النيل الاستوائية .

البحر الأحمر :

وقد غلب الطابع التجارى على هذا الطريق البحرى ، وهناك ظاهرة تسترعى الانتباه وهى : أن معظم اتصال مصر بشرق افريقية عن طريق البحر الأحمر كان عند القصير الحالية، بدلا من أن يكون عند السويس ، ويرجع هذا التحديد الى عوامل جغرافية يمكن أن نجملها فيما يلى :

١ — ان البحر الأحمر فى جملته خطر على الملاحة . وسجل المصريون هذه الخطورة فى أدبهم القديم ، ففى قصة «الغريق» نقرأ وصفا للبحرية المصرية ومخاطرها فى البحر الأحمر ، يرويه بحار تنسب القصة اليه : « حدث لى شخصيا عندما أقلعت ... فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة المصريين . وكانوا يتعرفون السماء ، وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبأون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تمر . وقد هبت العاصفة ونحن مازلنا فى البحر ، وقبل أن نصل الى الأرض ، قامت الريح فضاعفت من شدتها ، وجاءت موجة ذرعها ثمان ارتفاعا ، وحملت من على سطح السفينة مع الصارى . وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يبق الا واحد من الذين كانوا فيها .. » .

مع هذه الخطورة العامة للملاحة فى البحر الأحمر ، فان جزءه الشمالى أشد خطورة ، بسبب أعاصير البحر المتوسط ، التى تتخذ اتجاها متعامدا على اتجاه البحر الأحمر ، وهى فى الشتاء أكثر تواترا من بقية السنة . ومن المحتمل أنها كانت فى العصر الفرعونى أكثر حدوثا من الوقت الحاضر تبعا للظروف المناخية التى كانت سائدة وقتئذ ، مع ملاحظة أن السفن كانت أصغر حجما . وأشد المناطق خطورة كانت عند رأس محمد

حيث تنفرج الرياح الجنوبية التى تجتذبها الأعاصير فى اتجاهين نحو خليجى السويس والعقبة . ويحسن أن نذكر أن الرياح المنتظمة كالموسمية والتجارية ليست خطرة على الملاحة الا اذا بلغت سرعة غير عادية . اما الخطورة فتأتى من الأعاصير لأن اتجاه الرياح فيها سريع التغير ، وهو الذى يحدث فى الجزء الشمالى من البحر الأحمر ، ولذلك تحاشى المصريون هذا الجزء بقدر الامكان .

٢ — ويقترب النيل من البحر الأحمر عند « ثنية قنا » . وهذه أقصر شقة برية ، هى ومنطقة السويس . وقصر المسافة البرية كانت له أهمية فى عمليات نقل الخشب لبناء السفن فى البحر الأحمر . هذا فضلا عن الأودية الجبلية التى يمكن استخدامها فى المواصلات مثل وادى الحمامات ، ومن الممكن البحث عن بعض الماء فى بطونها.

٣ — ثم ان هذه المنطقة كانت مطروقة للباحثين عن المعادن كالذهب والنحاس .

٤ — و «ثنية قنا» منطقة استقرار زراعى لها أهميتها ، ومن قديم اختارها المصريون لعواصمهم .

كان طريق القصير يوصل المصريين الى بلاد « بونت » ومع تعدد الآراء والاختلاف فى تحديدها الا أنها كانت تشمل — بعامة — شرق افريقية ، واليمن والحبشة وارتيريا . وتهمنا الآن الصلة القديمة بين مصر وهضبة شرق افريقية ، وهى صلة استمرت من أقدم عصور التاريخ .

تغيرات التوجيه التجارى والحضارى:

الذى يجمع بين المحورين البحرى والنيلى : انهما يتجهان نحو الجنوب ، وكأنهما بذلك يمثلان اتجاها تجاريا وحضاريا واحدا ، يرمى الى ربط مصر بالأقطار الجنوبية بعامة . وكان هناك توجيه تجارى وحضارى آخر يرمى الى ربط مصر بأقطار الشام والعراق وما وراءه فى هضبة ايران أو بعبارة اخرى يربطها بمناطق الاستقرار البشرى فى شمال الجزيرة العربية . وجانب من هذا الاتصال كان عن طريق البحر المتوسط ، ومعظمه كان عن طريق « شبه جزيرة سينا » برا .

والروابط التجارية والثقافية بين مصر ، وكل من شمال الجزيرة العربية وبلاد « پونت » تعرضت لتغيرات كثيرة عبر التاريخ ، وبخاصة فى العهد الفرعونى . فقد يحدث ان تقوى الروابط فى وقت ما مع عالم البحر المتوسط وشمال الجزيرة العربية ، بينما تتحول العلاقات التجارية فى وقت آخر نحو بلاد « پونت » فى الجنوب .

وهناك من الأدلة ما يدعو الى القول بوجود علاقة ما ، بين تغير التوجيه التجارى لمصر ، واتجاهها نحو بلاد « پونت » ، والتغيرات المناخية فى شمال الجزيرة العربية . ففترات الرخاء يصحبها عادة نشاط تجارى بين مصر وحضارات شمال الجزيرة العربية ، وهضبة ايران . بينما فترات الجفاف وقلة الأمطار تدعو الى الاضطراب وقلة الأمن . والاستقرار والأمن ضروريان لانتعاش التجارة . وفى كثير من الأحيان يغرى الجفاف القبائل الرعوية فى شمال الجزيرة العربية بغزو مصر ، وبخاصة أجزاءها

الشمالية . وكرد فعل لهذا الغزو تقوم أسر قومية فى مصر العليا ، وتدعم مركزها فى منطقة « ثنية قنا » . وقد سبق تحليل موقع هذه الثنية .. فهو يجعلها اصلح أجزاء وادى النيل فى مصر للتجارة مع الجنوب ، والاتصال به برا وبحرا . وضعف القوة السياسية فى مصر نتيجة للغزو الشمالى تعادله عادة زيادة فى قوة « ثنية قنا » ومنزلة « طيبة » الدينية ، وهذا يزيد الحاجة الى البخور والعطور التى تستخدم فى الطقوس والأحفال الضخمة . وهكذا نجد العوامل الطبيعية والسياسية والدينية تشجع فى بعض الفترات على توجيه مصر نحو الجنوب . ويظل الأمر كذلك حتى تتجدد ظروف ملائمة فى شمال الجزيرة العربية ، تقلل من خطر الصحراء ، وتفتح ابواب التجارة من جديد مع السهول الشمالية .

هذه العلاقة المقترحة بين العوامل المناخية ونظرة مصر التجارية وعلاقاتها الخارجية فى العصور القديمة ، كانت عرضة للتغير بتدخل عوامل بشرية اخرى — كحفر قناة السويس مثلا — وبابتداء العهد الاسلامى انتهى عمليا تأثير هذه الذبذبات المناخية فى تغيير توجيه العلاقات الخارجية ، واصبح موقع مصر كمعبر رئيسى بين الشرق والغرب أكثر أهمية من علاقاتها التجارية الخاصة مع جيرانها . واصبح هذا الموقع هو المسيطر على الجغرافية التاريخية لمصر فى ذلك العهد .

قصة الأقزام :

هناك عدد من الآثار المصرية ذكرت فيه بلاد « پونت » ، ويبدو أن أقدمها « مخطوط ساحورع » الملك الثانى فى الأسرة الخامسة (٢٦٧٣ — ٢٦٦٠ ق . م) ويذكر أن الحملة البحرية عادت بأحمال من المر ، والمعادن النفيسة والأشجار الغالية . وسلكت الحملة طريق البحر الأحمر أمام « ثنية قنا » ومن هناك ذهبت الى « أرض الذهب والعطور » والأرجح عند كثير من العلماء أن هذه الأرض كانت فى شرق افريقية ، حيث أن بلاد العرب لم تكن مشهورة بذهبها ، كما يرى « دكتور رويش » .

والى هذا العهد نفسه يمكن أن ترجع نقشا آخر على عمود فى المتحف المصرى (رقم ٣٠٧٤) عثر عليه فى « ابيدوس » ويذكر هذا النقش احضار قزم من بلاد « بونت » ، ويميل معظم المؤرخين الى ارجاع هذا الأثر الى « ساحورع » أى الى الأسرة الخامسة أيضا .

وكذلك أحضر بعض فراعنة الأسرة السادسة الأقزام ، واهتموا بها ، وكان لاحضار الأقزام هدفان ، أولهما: دينى ، والثانى : اجتماعى . أما الهدف الدينى فيتعلق بالعقيدة المصرية القديمة ، فالفراعنة كانوا يعتبرون انفسهم أبناء الاله « رع » ، وبهذا اصبحت ذواتهم وأمتعتهم — وبخاصة ملابسهم لها أيضا صفة القداسة . وكانوا يحرصون على أن لا يلى أمر هذه الملابس خادم من حجم عادى ، لئلا تسول له نفسه أن يستخدمها ، ولهذا فضلوا ان يقوم الأقزام بحفظ هذه الملابس ، والاشراف على صيانتها.

ومن آثار مصر القديمة نعرف أنه كان فى الأسرة الخامسة قزم ذائع الصيت اسمه « سنب » كان يحمل لقب الحارس الأكبر لجميع الثياب

الملكية » وكان غنيا جدا . ويرى دكتور « رويش » أنه من المحتمل أن القزم « سنب » أحضر من شرق افريقية . أو من وسط افريقية عن طريق الشرق ذلك لأن مواطن الأقزام الحالية محدودة جدا ، ولعلها كانت فى الماضى ، أوسع انتشارا منها فى الوقت الحاضر . وفى منطقة جبل « كلمنجارو » فى شرق افريقية سيق الأقزام « البانتو » كما تروى هذا أقاصيصهم التقليدية . وما زالت بقية من الأقزام تحيا فى تنجانيقا مجاورة للشاطىء الجنوبى لبحيرة « أياسى » ويعرفون باسم «كونينجو».

هذا هو الهدف الدينى من احضار الأقزام ، أما الهدف الاجتماعى فكان الترفيه فى البلاط الملكى ، وكانت الحملات البرية التى تبدأ من مصر متتبعة المحور النيلى تستطيع أيضا احضار الأقزام ، كما تدل على هذا آثار الأسرة السادسة .

وصف بلاد بونت :

وكانت أوسع الحملات البحرية شهرة حملة بلاد « بونت » فى عهد «حتشبسوت» وقد سجلها المصريون على جدران معبد الدير البحرى . وأبحرت السفن المصرية محملة بمصنوعات مصر المتحضرة من حلى وأدوات وأسلحة . واتجهت على طول شاطىء البحر الأحمر الى رأس القرن الافريقى ، ثم تابعت الرحلة جنوبا . وهناك بجوار « جبل العطور العظيم » الذى يقع على شواطىء «البحر العظيم» — ولعله المحيط الهندى ، ألقت السفن المصرية مراسيها ، وتبعا لوصف الحملة ، يشبه هذا الجبل هرما ضخما له درجات عملاقة . ويسكنه أقوام غرباء فى أكواخ مبنية على أعواد . وكانت منازلهم ، تشبه القباب الصغيرة ، ويتخذونها من سعف النخيل . وتحف بأحد جانبيها أشجار النخيل والعطور. وعلى فروع الأشجار كانت تحيا طيور غريبة . وفى ظلال الأشجار ترعى قطعان كبيرة من الماشية .

ولقد دهش سكان « بونت » من جراة البحارة المصريين : «كيف وصلتم الى هنا ؟ الى هذا البلد الذى لايعرفه الناس ؟ ، هل اتيتم من طرق السماء ، أو سافرتم بالبر ، أو بالبحر ؟ » ولم تخل رسوم « الدير البحرى » التى سجلت هذه الحملة من بعض المداعبات اللطيفة . فقد صورت زوج حاكم « بونت » مفرطة السمن ، وخلفها حمار صغير وديع ، ثم كتبت فوقه هذه الجملة المختصرة ، « الحمار الذى يحمل زوجته !! .. » ولا يزال للسمن تقدير فى معايير الجمال الافريقية . أما ملامح الزوج والأبناء فكانت أفريقية نموذجية .

ومن بلاد « بونت » حملت السفن الى مصر تبر الذهب والعاج ، وأكداسا من العطور والأخشاب الثمينة ، ومجموعات من القردة وحيوان الصيد والجلود وريش النعام .. وهذا كله مما يرجح أن هذه الرحلة كانت الى الشاطىء الافريقى .

ويذكر رينهاردت : « اننا نسمع عن بعض مبان حجرية متميزة غريبة ، فى «ماتا باليلاند» وهى روديسيا الحالية هذه المبانى عثروا عليها هناك فى زمببوية » وكانت محل نزاع بين العلماء .. فيرى فريق منهم أن حضارة زمببوية يمكن تفسيرها فى ضوء بيئتها

المحلية دون افتراض جاليات أجنبية جاءتها من وراء البحار ، وأن طريقة البناء لاتدعو الى الظن بأن بناتها قوم غير السكان الأصليين . من هؤلاء العلماء « ماك ايفر » و «پوش» و «شوفيلد» و « كيتون طومسون » فهم يرون أنه ليس ثمة آثار تدل على أنه قد أقامت فى زمببويه جاليات من شعوب بحرية قديمة كالفينيقيين والمصريين والعرب الجنوبيين ، الا أن رينهاردت يعارض هذا الرأى ، ويميل الى ربط هـــذه الآثار بالفينيقيين القدماء ، ويذهب الى أبعد من هـــذا ، فيقول : « ان الأكثر احتمالا ، أن هذه المبانى اقامها عمــال مصريون للموظفين المصريين ، الذين كانوا يشرفون هناك على مناجم الذهب . ويعزز رايه هـــذا بأنه فى عام ١٩٠١ أمكن العثور فى«ماكالانجار» وتقع غير بعيد منجنوب نهر الزمبيزى على تمثال من الطين المحروق على صدره خاتم « تحتمس الثالث » .

وآخر الآثار المصرية القديمة عن بــلاد « بونت » جــاءنا عن طــريق « هيرودوت » ، ويذكر أن « نخاو » الذى حكم مصر فيما بين ٦٠٩–٥٩٣ ق . م . ارسل سفنا لتـــدور حول افريقية ، ومنالمعروف أنه أول فرعون سك العملة . وكانت بيضية الشكل من الذهب تحمل خاتمه . وفى مــدة قصيرة شاع استعمال هذه العملة .

واراد « نخـــاو » أن يعرف اتساع افريقية ، فأرسل هـــذه الحملة ، وسارت فى البحر الأحمر ، وعادت بعد ثلاث سنوات عن طريق جبل طارق ، وتحدث ملاحوها عن قبــائل غريبــة تعيش على شواطىء افريقية ، وعن عاداتهم ، وطرائق معيشتهم ، وعن حيوانهم وزراعاتهم ، وانهم زاروا بلاد « بونت » ليحصــلوا على الطعـــام والشراب . ومن المحتمل جدا انهـم انتهزوا هذه الفرصة لتبادل انتاجهم مع القبـــائل الكثيرة التى تسـكن الشاطىء .

فالصلة بين مصر وشرق افريقية قديمة التاريخ ، وهناك روابط أخرى حضارية فى أوغندة توضح لنا التأثير المصرى على تقاليد الحكم واحفاله ، وهى ما زالت موجودة عند «النيورو» وكذلك ما زال « الماســاى » فى شرق افريقية يحتفظون ببعض العـــادات المصرية القديمة فى الزينة .

وبالرغم من أن الاســتعمار حاول تمزيق قارتنا الى قطع صغيرة يسهل عليه ازدرادها فان الصلابة الافريقية اثبتت أنها أقوى من انياب الاستعمار واسلحته ..

وفى أوغنــدة الآن ، كما فى اقطار شرق افريقية ، وبقية القـــارة ثورة آخذة فى الارتفاع والحرارة على كل هذه الأوضاع الفاســدة .. واذا كانت روابطنا القديمة مع شرق القارة .. مع أوغنــدة وتنجانيقا وكينيا وزنجبار قاصرة على تبادل التجارات ، وبعض المؤثرات الحضارية ، فانهذه الروابط الآن آخذة فى القوة والنماء .. انها الآن تتبادل عطورا من نوع جديد لاتحرقها أمام الكهنة ، وانما هى عطور المجــد والحرية الجــديدة .. عطور كهنتها محاربون ، وأناشيدها دعوة الىالحياة، تحملها أمواج الأثير بعـــد أن كانت تحملها أمواج المحيط .

أصول التنافس

الانجليزى الالمانى فى أوغندة

للدكتور : جلال يحيى

لم تنزل ألمانيا الى ميدان الاستعمار الا فى نهاية عام ١٨٨٤ ، أى فى تلك الفترة التى اشتهرت فيها أوروبا بالتكالب والتناحر على المستعمرات ، وبوضع بعض الخطوط العامة والرئيسية لتنظيم تقسيم الأراضى الافريقية علىالدول الأوروبية دون أن يؤدىذلك الى حروب بينها . وكان هذا هو سبب نزولألمانيا الىالميدان كدولة استعمارية تؤيد سياستها بجيوشها وأساطيلها ان لزم الامر ، ولكن بعض الالمان كانوا قد مهدوا لذلك منذ بعض الوقت ، وشاركوا فى بعثات الاستكشاف والبعثات التبشيرية ، وتقدموا بدراسات لحكوماتهم حتىقبل الوحدة ـ وطالبوها بتنفيذها . وكان اهتمامهم بأوغندا هوامتدادا لاهتمامهم بزنزبار وشرق أفريقية ـ تلك المنطقة التى كان لانجلترا فيها نفوذ واضح ، وسيؤدى ذلك بطبيعة الحال الىتنافس انجليزى ألمانى فى تلك المنطقة .

عرفت انجلترا أهميةشرق أفريقية من النواحى الاستراتيجية والتجارية منذ اقامتها فى الهند ـ وارتبطت الاهمية الاستراتيجية بطبيعة الحال بسلامة الخطوط البحرية ، والحصول على القواعد اللازمة لها ـ كما ارتبطت الاهمية التجارية بالحصول على المواد الخام التى تأتى من داخل القارة بشكل عام ، ومن أوغندا بشكل خاص وبتصريف المصنوعات البريطانية فيها وازدادت هذه الأهمية الاقتصادية مع مرور الزمن بزيادة عدد التجار الهنود ـ وكانوا كلهم رعايا بريطانيين حينئذ ـ فىشرقافريقية ، وبتجهيزهم للحملات والقوافل التى تتوغل فى الداخل وتتجر مع أوغندا .

ولم تمنع سيطرة حكام أقوياء على الساحل الافريقى الشرقى الانجليزمن محاولةالتدخل فى شئونهذه المنطقة ، وفرض أنفسهم عليها ، ومنع غيرهم من الأجانب من غرس نفوذهم فيها ، تأمينا لخطوطهم الاستراتيجية من ناحية ، وبحثاوراء السيطرة على موارد الاقليم من ناحية أخرى ، فقد تدخل الانجليز ضد الفرنسيين ، ومنعوهم من غرس نفوذهم ، وشجعوا فى الوقت نفسه تجار الهنود على الاقامة فى هذه المنطقة ، والاتجار مع الداخل خصوصا وأن شرق أفريقية لم يكن الا شريطا ضيقا على الساحل ، تتلوه صحارى تتخللها طرق القوافل ، ولكنها تؤدى فى النهاية الى هضبة البحيرات الدائمة الخضرة ، الفريزة

الأمطار . والتي تمتاز بثرواتها النباتية والحيوانية . فلم تكن محاولة الانجليز السيطرة على شرق أفريقية اذن الا محاولة للسيطرة على الموارد الاقتصادية والبشرية في هذه الهضبة أي في أوغندا .

ازداد النفوذ البريطاني في شرق أفريقية بشكل واضح بعد انهزام فرنسا فخلا لها الجو . واعتمدت على قوة أساطيلها وتفوقها البحري ، وأجبرت السيد سعيد على أن يحد من تجارة الرقيق . وكان هذا هو أول عمل تهدف منه انجلترا الى اضعاف الاقتصاد الافريقي في الوقت الذي تلبس فيه ثياب القديسين الأوائل ، وتدعي العمل من أجل رفاهية الانسانية ! .

كون الرقيق عنصرا هاما في الاقتصاد الافريقي ، ولازما للزراعة ولخدمة القوافل وحراستها . واستخدم التجار والزراع العرب الرقيق في أعمالهم . وكانوا من الناحية الاقتصادية عبارة عن جزء هام من رأس مالهم ، وكانوا من الناحية الحربية قوة لا يستهان بها ، خصوصا وأن هؤلاء العرب الذين توغلوا في داخل القارة كانوا يستخدمون الأسلحة النارية ، ويستطيعون الوقوف أمام المستعمرين الأجانب . فعمدت انجلترا الى التدخل في هذه المسألة ، اضعافا للعرب . وتمهيدا لفرض سيطرتها عليهم ، واستغلال بلادهم لمصلحتها . واختارت لذلك اسم « الانسانية » و « تحرير الرقيق » واعتمدت في برنامجها على قوة أساطيلها وتفوقها البحري .

اضطر حكام شرق أفريقية الى الموافقة على تحديد تجارة الرقيق في أول الامر أي أنهم نفذوا جزءا مما طلبته انجلترا منهم ، وكانوا لا يستطيعون الا أن يعملوا تدريجيا ، حتى لا يقضوا على الأسس ويحطموا الدعائم التي يقوم عليها اقتصاد بلادهم . وسيزداد ضعف هؤلاء الحكام مع مضي الوقت وتنتهز انجلترا فرصة الخلافات المحلية بل والعائلية لتوطيد نفوذها في هذه المنطقة وتزيد من القيود التي تفرضها على تجارة الرقيق انتظارا للفرصة السانحة للاستيلاء على الاقليم ، واستغلال موارده بعد أن تحطم نظامه الاقتصادي ، وتفصل بين الحاكم والمحكوم ، وتتدخل لحماية الحكام من شعوبهم وتعرض عليهم أمر استغلال البلاد بدلا منهم وباسمهم وتعطيهم بقايا مائدتها . ولن يتمكنوا أمام القوة من الرفض أو المقاومة ، خصوصا وأنهم قد اضطروا للعمل مع المستعمر ، وبعدت الشقة بينهم وبين الشعوب التي يحكمونها .

واستندت انجلترا في سياسة توسع نفوذها صوب الداخل على المستكشفين ورجال التبشير . ويعتبر ليفنجستون من أهم الشخصيات التي ظهرت في هذا العصر والتي ساهمت بنصيب وافر في تعريف انجلترا بهذه المناطق . ولقد تمكن من أن يعبر القارة الافريقية من الغرب الى الشرق في عام ١٨٥٦ في رحلة استغرقت منه ما يقرب من العامين ، وأثارت اهتمام الجغرافيين في العالم أجمع بهذه المناطق . وانتهز فرصة مقابلة الرأي العام له في انجلترا مقابلة الأبطال لكي يطلب بذل جهوده لمساعدة

الشعوب المتأخرة فى وسط القارة . وشرح ليفنجستون أهمية العثور على طريق قصير يسمح لرجال التبشير وللتجار الاوروبيين بسهولة التوغل حتى يصلوا الى المناطق المرتفعة التى تصلح لسكنى الرجل الأبيض . ولم يخف عن أحد أنه سيرجع ، لكى يحاول فتح طريق المسيحية والتجارة الى وسط القارة . وكان حديثه عن التجارة الأوروبية يعنى القضاء على تجارة العرب التى اتفق مؤرخو الغرب على أنها لم تقم الا على تجارة الرقيق ، وعلى استخدامهم فى القوافل . ولم تبخل حكومة انجلترا عليه بالمال ، وصوت مجلس العموم على اعانة مالية تبلغ خمسة آلاف جنيه لتجهيز حملته الجديدة ، تلك الحملة التى واصل فيها الكتابة عن ضرورة اقامة احدى بعثات التبشير هنا وصلاحية تلك المنطقة بعينها لاقامة الأوروبيين . وأخذ يطلب من وزارة الخارجية أن تتدخل رسميا ، وأن تعمل على اقامة « مستعمرات » فى هذه المناطق يشرف عليها الأوروبيون ويقوم الافريقيون فيها بالعمل . وكان معنى الغاء تجارة الرقيق هو أن يتمكن الاوروبيون من العثور على أجراء يوميين دون أن يشغلوا جزءا هاما من رأسمالهم فى شراء الأيدى العاملة أى الرقيق حسب النظام السائد حينئذ .

وفى الوقت نفسه قامت حملة استكشافية أخرى بالسير صوب أوغندا برياسة برتن وسبيك ، ولكن برتن اضطر الى البقاء فى طابوره ، تلك المدينة التجارية العربية الهامة نظرا لمرضه بالملاريا ، وسافر سبيك شمالا صوب بحيرة فيكتوريا بمفرده . وبعد عودة هذا الأخير الى انجلترا كلفته الجمعية الجغرافية البريطانية باستكشاف بحيرة فكتوريا ومعرفة ما اذا كان النيل ينبع منها حقا . فعاد مرة جديدة عن طريق طابوره فى حملة جهزتها كل من حكومة بريطانيا والسلطات البريطانية فى الهند ، وصحبه فيها هذه المرة الضابط جرانت ولقد تمكن سبيك من الطواف حول البحيرة ومن رؤية ملكها متيسا فى سنة ١٨٦٢ . تم زار مساقط ريبون واتجه شمالا صوب البحر الأبيض المتوسط . مارا بالسودان . وكلفت انجلترا بتريك بمقابلته عند غندوكرو كما أن السير صامويل بيكر أتى من مصر وسارجنوبا لاستكمال استكشاف المنطقة . وتقابلوا جميعا فى جنوب السودان .

وهكذا ارتبطت حركة استكشاف أوغندا ومنابع النيل برجال التبشير مثل ارتباطها برجال الاستكشافات الجغرافية ــ وقام بها عدد من الانجليز من طريقين : الأول ــ من سواحل شرق أفريقية غربا صوب هضبة البحيرات . والثانى ــ مع النيل جنوبا فى السودان ــ وسيكون لهذه الخطوط دلالتها الكبيرة ، بل انها ستعطى نتائج فائقة الأهمية فى وضع أسس السياسة البريطانية الاستعمارية فى أوغندا ــ ملتقى السهمين ، وهدف المتوغلين صوب الداخل .

ولم يكن البريطانيون وحدهم فى ميدان التبشير والاستكشاف ، بل كان هناك غيرهم وخصوصا من الألمان ، ادعوا المجىء للأسباب نفسها وخدموا

بالنسبة لبلادهم الأغراض الاستعمارية التي سعى الانجليز اليها .

شارك الألمان من جانبهم فى نشاط عمليات الاستكشافات ، وحركات التبشير فى هذه المنطقة ، ونجد أن كراب وربمان يؤسسان مراكز للتبشير بالقرب من ممبسة ، ثم يقومان برحلات الى داخل القارة بحثا عن المراكز التى تصلح لاقامة الرجل الأبيض . وقام روشر بالسفر الى الداخل مارا بطابوره ، ولكنه قتل وجاء بعده فون دير ديكين الذى تمكن من الصعود على جبل كليمانجارو . وعمل ألمانى آخر هو برنر على الاتفاق مع حاكم ويتو على وضعه تحت الحماية الألمانية فى عام ١٨٧٠ ، بالرغم من أن هذه المسألة بقيت سرا حتى سنة ١٨٨٥ .

ظهرت المعالم العامة لخريطة شرق أفريقية وأوغنده نتيجة لنشاط هؤلاء المستكشفين وأولئك المبشرين . وكانت مذكراتهم ومراسلاتهم فى غاية الأهمية بالنسبة لتعريف بلادهم بقيمة هذه الاقاليم . وقد حاولوا ادخال الحضارة والتجارة فى أفريقية فى الوقت نفسه وكان هدفهم المؤكد هو السيطرة على البلاد بما فيها من موارد ، وتكييف تفكير الأهالى ونظرياتهم العامة ومثلهم

ولم يكف ليفنجستون عن التحدث عن الامكانيات الاقتصادية للمناطق التى يمر فيها ، فتحدث عن زراعة القطن هنا وهناك ، ووجود الذهب أو النحاس فى تلك المنطقة ، أو بالقرب من تلك القرية . واهتم سبيك أيضا بالناحية الاقتصادية ، خصوصا وأن سلطات الهند كانت ترغب فى زيادة تجارتها مع كل هذه المنطقة . ورأى غيره أن هذه البلاد ستصبح سوقا للمصنوعات البريطانية وهكذا .

وتحدث آخرون فى صراحة عن ضرورة اقامة « مستعمرات » رغم أنهم من رجال الدين ــ أو يدعون أنهم من رجال العلم . وأصروا على حرية التجارة ، وضرورة القضاء على تجارة العرب حتى يتمكنوا من التوغل فى الاقاليم . ونادوا بالقضاء على تجارة الرقيق تمهيدا للوصول الى أغراضهم وتشابه فى ذلك كل من الانجليز والالمان . ولكن الحكومة البريطانية كانت تشجع حركات التوسع الخارجي فى ذلك الوقت ، بينما أصرت الحكومة الألمانية بعد الحرب السبعينية مع فرنسا على ضرورة بناء مركزها فى أوروبا ، دون التفكير فى تضييع الجهود فيما وراء البحار .

وعملت انجلترا على التمهيد لسيطرتها على السواحل الافريقية المؤدية الى أوغنده ، وذلك عن طريق هدم الاقتصاد الافريقى ، ولبست مسوح الرهبان وادعت أنها جاءت للقضاء على تجارة الرقيق . وحاولت تطبيق ذلك على البحار ، ثم تطبيقه على الساحل . وأعطت قواد سفنها سلطات واسعة لتفتيش سفن الأهالى فى عرض البحر . واقتيادها الى أقرب محكمة بحرية سواء فى عدن أو فى مدينة الرأس فى جنوب أفريقية ، وذلك لمحاكمة ملاحيها ومصادرة ما عليها من رقيق ، فتقوم المحكمة باعلان حريتهم، وتسلمهم للعمل كعمال أجراء عند أصحاب المزارع أو فى محطات التبشير . وكثيرا ما استسهل قواد

السفن الحربية البريطانية أمر محاكمة السفن الافريقية فى أعالى البحار ، والحكم بادانتها ، وتنفيذ الحكم فيها توا ، أى تقوم مدفعية الأسطول باغراقها بدلا من تفتيشها وتعريض أرواح البحارة الأوروبيين لخطر طعنات خناجر العرب . ولم يؤد هذا العمل الا للقضاء على البحرية العربية الافريقية ، وحرمان الافريقيين من سلاح قد يساعدهم فى وقف نزول المستعمرين الى الساحل ، أو فى الحصول من الخارج على الأسلحة النارية والذخائر اللازمة لمقاومة المعتدين ، ونجحت انجلترا فى ذلك نجاحا كبيرا .

ولقد قامت دولة افريقية فى ذلك الوقت بمحاولات جريئة لتوحيد جزء من البلاد الافريقية داخل نطاق واحد وتكوين كتلة اقليمية يمكنها أن تقف فى وجه الدخلاء الأجانب . وكانت هذه الدولة هى مصر التى عملت على توحيد السودان وسواحل البحر الأحمر وهرر وسواحل المحيط الهندى ومنابع النيل فى أوغندا معها فى كتلة واحدة يتمتع الأهالى فيها بنفس الحقوق ، ويخضعون لنفس الالتزامات ويشارك بعضهم بعضا فى المصير . عملت مصر على ضم أوغندا أو الاتحاد معها ، ورأت فى الوقت نفسه ضرورة السيطرة على سواحل المحيط الهندى ، حتى تضمن مخرجا طبيعيا سهلا لهذه المنطقة يسهل عليها أمر الاتصال بها عن طريق البحر الأحمر فى الوقت الذى ترتبط فيه معها بنهر النيل ، ولكن مصر أخطأت فى اسناد هذه المهمة الى ضباط من الأجانب وثقت فيهم ، ولم تر أنهم يخدمون مصالح بلادهم الاستعمارية قبل أى شىء آخر . أسندت مصر مهمة السير جنوبا مع النيل الى السير صامويل بيكر ، ثم الى غردون وعهدت الى هذا الأخير بفتح طريق يصل بين هضبة البحيرات وأوغندا وبين ساحل المحيط الهندى . وكان على انجليزى آخر هو ماكيلوب أن يسهل له المهمة من جانب البحر . ولكن غردون لم يتحرك من أوغندا ـ وتدخلت انجلترا رسميا لاجبار مصر على الانسحاب من سواحل المحيط الهندى ، بدعوى أنها تتبع سلطان زنزبار .

واضطرت الحكومة الخديوية الى الرضوخ والى الانسحاب . وأخذ الانجليز يستعدون لانتهاز الفرصة والبدء فى استغلال الاقليم الممتد من المحيط الهندى الى أوغندا باسم سلطان زنزبار ولصالح الأمبراطورية البريطانية ـ وأسرعوا بتقديم مشروعاتهم ، ولكنها لم تؤد الى نتيجة ايجابية سريعة .

ثم زاد تكالب الدول الاستعمارية على أفريقية وخشيت انجلترا تدخل البلجيكيين أو الفرنسيين ، ولم تفكر جديا فى امكان وقوع منافسة عنيفة بينها وبين ألمانيا فى هذه المناطق ، خصوصا وأن الحكومة الألمانية كانت تظهر وكأنها لا ترغب فى الحصول على مستعمرات .

وازداد النفوذ البريطانىفى أفريقية بعد احتلالها لمصر سنة ١٨٨٢ ، ومحاولتها التدخل فى شئون السودان واحتلاله عسكريا ، فأجبرت مصر على اخلائه ، على أثر الثورة المهدية ،

وأرسلت حملة ولسلى التى ادعت أنها ذاهبة لانقاذ غردون المحاصر فى الخرطوم . ولكن ثوار السودان تمكنوا من الاستيلاء على عاصمة بلادهم ، وقتل الحاكم الأجنبى ، واضطرت انجلترا الى سحب قواتها من شمال السودان فى وقت اكفهر فيه جو السياسة الدولية ، وهددت فيه الروسيا بالهجوم على الأفغان وشمال الهند . وفى هذا الوقت بالذات نزلت ألمانيا الى الميدان وكلها تحد لانجلترا . نزلت للحصول على مستعمرات مثلها مثل بقية الدول الاوروبية ، واعتمدت فى ذلك على قوتها الحربية والاقتصادية وعلى اقتناعها باضطرار انجلترا للتسليم أمامها ــ وسيكون ميدان التنافس بين الدولتين ممتدا من السواحل الافريقية الواقعة على المحيط الهندى حتى هضبة البحيرات الاستوائية ــ حتى أوغندا .

عينت ألمانيا ((جيرارد رولفس)) قنصلا لها على سواحل شرق أفريقية وبدأ قلق انجلترا فى الظهور خصوصا وأنه كان معروفا برغبته فى الحصول على مستعمرات لبلاده ، وأنه وصل الى مقر عمله على سفينة حربية طافت به حول رأس الرجاء الصالح . وأرادت انجلترا أن تلفت نظر ألمانيا الى أن سلاطين شرق أفريقية كانوا يخضعون للنفوذ البريطانى ، وأن لانجلترا مركزا خاصا فى بلادهم نظرا لعملهم على الغاء تجارة الرقيق ، ونظرا لوجود عدد كبير من الرعايا الهنود فى هذه المناطق ولكن ألمانيا دفعت بأن هذا النفوذ لا يتعارض مع استقلال هؤلاء السلاطين كما لا يمنع ألمانيا من عقد معاهدات تجارية معهم تشبه تلك المعاهدات التى عقدوها مع الدول الأجنبية الأخرى . وكان مؤتمر الكنغو قد اعترف فى ذلك الوقت باستقلال زنزبار ، ورغب فى الحصول على تعهدات بحرية التجارة مع الداخل ، مع أوغندا والكنغو . عبر بلاده . فاضطرت انجلترا الى التراجع ، وذكرت ألمانيا أن مهمة قنصلها الأولى فى مياه شرق أفريقية هى محاولة اغراء السلطان على الانضمام الى اتفاقية برلين ، واعلان حرية تجارة الترانسيت فى بلاده . وحاولت ألمانيا الحصول على تأييد انجلترا لها فى هذه المهمة ــ ولم يسع انجلترا الا الموافقة ، وهى لا تعلم أن الالمان قد رسموا خطة محكمة سيفوت تنفيذها على انجلترا ما كانت تحلم به من السيطرة على كل هضبة البحيرات الاستوائية ومنابع النيل ومخارجها على المحيط الهندى وهى أملاك سلطان زنزبار .

وفى ذلك الوقت كان أحد المستكشفين الألمان وهو كارل بيترز يعمل بكل نشاط فى الاقليم الذى يفصل بين هضبة البحيرات والساحل وكان يعمل من أجل ((جمعية الاستعمار الألمانى)) التى أسسها ونجح فى الحصول على بصمات الأهالى والمشايخ على اثنتى عشرة ((معاهدة)) تعطى لجمعيته السيادة على منطقة واسعة وتمنحها كل أراضيهم وما عليها من منشآت ، لاستخدامها فى صالح الاستعمار الألمانى . وحرص هذا المستكشف بطبيعة الحال على أن يذكر أن هؤلاء المشايخ هم ((سلاطين)) و ((ملوك)) مستقلون . وعاد كارل

بيترز بسرعة الى ألمانيا فى وقت أخذ فيه بسمارك يتهم انجلترا بالعمل على عرقلة نشاطه « المشروع » فى غرب أفريقيـــة . وكان بسمارك يعرف أن انجلترا لن تقوى على معارضته فى ذلك الجو الدولى المـــكفهر بعـــد سقوط الخــــرطوم . فمــــا ان وقعت الدول المجتمعة على نصوص اتفاقيــة مؤتمر برلين حتى حصل بسمارك على توقيع الامبراطور الألمانى على مرسوم بوضع جميع الأراضى التى تناولتها «معاهدة» بيترز تحت الحماية الألمانيـــة وكلف هذا المرسوم شركة الاستعمار الألمانية بادارتها واستغلالها . ولم يكن هـــذا المرسوم يتعارض أقل معارضـــة مع اتفاقية مؤتمر برلين اذ أنه أعلن أن هذه الأراضى تقع الى غرب ممتلكات سلطان زنزبار ، دون تحديد لها . ورأت انجلترا أن هذه المحمية الجديدة ستفصل بين الساحل وبين هضـــبة البحيرات وأوغندا فى الداخل ، وتقضى بذلك على مشروعها للسيطرة على هذه المنطقة عن طريق ســـواحل افريقية الشرقية . حقيقـــة أنه لم يكن لهذه المحمية أية مخارج بحرية ، ولــــكن انجلترا بدأت تفهم معنى محاولة ألمانيا ضم سلطان زنزبار الى الدول الموقعة على اتفاقية برلين ، والحصول منه على تعهد بالموافقـــة على حرية تجـــارة الترانسيت عبر بلاده .

زاد قلق انجلترا ، وظهر خوفها من النشاط الالمانى ، وحاولت استغلال سلطان زنزبار فى عملية وقف التوسع الألمانى ــ فنجد أن هذا السلطان يحتج على ألمانيا ، ويرسل احـــدى الحملات العسكرية بقيادة **ماتيو** ، القائد العام البريطانى لقواته ، لتوكيد سيادته على منطقة كليمانجارو ولعقد المعـــاهدات مع رؤساء الأهالى ، وتوزيع الاعـــلام عليهـــم . وخشيت انجلترا كذلك من نشاط الألمان فى الجزء الشمالى من الساحل عند **ويتو** التى كانت تخضع للسلطان **سيمبا** الذى كان لا يحترم ســـلطان زنزبار كثيرا ، ولا يرضى برضـــوخه لأوامر الانجليز . وكانت مدينةهامة من الناحية الاستراتيجية ، وتشرف على طريق يوصل أيضا الى هضبة البحيرات وأوغندا .

رأت ألمانيـــا بوضوح الدور الذى كان القنصل العام البريطانى يقوم به فاحتجت عليه ، واضطرت انجلترا الى اصدار أمرها الى قنصلها بالبقاء من ((**وراء الستار**)) وبعدم اشتراكه أو اشراك قناصـــله رسميا فى الحملات التى حاول بها السلطان بسط نفوذه داخل القارة . وقامهذا القنصل بشرح الحالة جيدا لحكومة بلاده ، وأقنعها بضرورة تأييد السلطان الذى لن يتمكن من الصمود أمام الخطة الألمانية ، كما أفهمها أن نتيجة ذلك ستكون القضاء على النفوذ البريطانى فى شرق افريقية والقضـــاء على مشروعات البريطانيين وأحلامهم فى الداخل . ولكن انجلترا لم تكن قادرة فى ذلك الوقت عـــلى الصمود أمام ألمانيـــا ، فأصرت على ضرورة تطبيق تعليماتهـــا السالفة وضرورة بقاء القنصل العام من ((**وراء الســـتار**)) حتى لا تثير مشـــكلات وتعقيدات أمام حكومة بلاده .

وبالرغم منهذه الأوامرفان القنصل البريطانى تدخل لدى السلطان **سيمبا** وكتب له شارحا ضرورة البقاء خاضعا

لسلطان زنزبار ، ومحذرا اياه من الاجانب الذين يحضرون لديه ، ومهددا له في حالة عدم تطبيق هذه النصيحة كما أنه انتهز فرصة مجيء سلطان **أوبيا** الى زنزبار ، وحاول اغراءه على اعلان خضوعه للسلطان **برغش** . ولكن الألمان كانوا أسرع من الانجليز فى العمل ، وتوصلوا مع **سيمبا** الى تحويل معاهدة الصداقة المعقودة بينهما الى معاهدة حماية ، ولم يعرف القنصل العام البريطانى بهذه المسألة الا بعد أن قام امبراطور ألمانيا بالتصديق على هذه المعاهدة ، ووجد نفسه أمام الأمر الواقع ، فى الوقت الذى طالبته بلاده فيه بعدم الاصطدام ، وبعدم خلق مشكلات وبالبقاء من « وراء الستار »

وفى ذلك الوقت سقط القناع الذى كانت السياسة البريطانية تختفى وراءه ، وطلب القنصل العام البريطانى من بلاده انتهاز أول فرصة سانحة للحصول على ((محمية)) بريطانية فى شرق افريقية ، مع ميناء أو مخرج بحرى . ولكن انجلترا لم تكن تستطيع تنفيذ ذلك خصوصا وان ((سيمبا)) كان قد أطلع الألمان على الخطاب الذى أرسله القنصل البريطانى اليه ، وأصبح من حق ألمانيا أن تتهم انجلترا بالقيام بأعمال تتنافى مع العلاقات الودية بين البلدين . فاضطرت انجلترا الى التراجع أمام ألمانيا التى واصلت نشر الاتفاقيات التى بصمها بعض الأهالى ، وقبلوا بها وضع الحماية الألمانية على بلادهم .

أرسلت ألمانيا قطع أسطولها الى مياه شرق أفريقية ، وأعلنت أنها ستجبر سلطان **زنزبار** على التحدث معها بلهجة تليق بها ، وذلك بالرغم من علمها بالنفوذ البريطانى المتغلغل فى هذه المناطق ، ومعرفتها أن السلطان كان يتحدث فى ذلك الوقت بما يمليه عليه الانجليز ، ولم تستطع انجلترا مقاومة ذلك ، وانهارت الخطة والسياسة التى سارت عليها منذ سنوات .

ولكن ألمانيا لم تكن تسعى الى اذلال بريطانيا ، خصوصا وان امكانية التقرب من فرنسا كانت بسيطة ، ولا تقوم على دعائم ثابتة . فانتهز بسمارك الاقتراح البريطانى الخاص باجراء مباحثات ومفاوضات عامة بين البلدين ، تشتمل على كل المسائل المعلقة بينهما بما فى ذلك مسألة **((ممتلكات سلطان زنزبار))** أى مسألة شرق افريقية ، والوصول الى هضبة البحيرات وأوغندا ووافق عليه . كما أن انجلترا عرضت على ألمانيا مشروعا أعده بعض رجال الأعمال البريطانيين كان يرمى فيه الى استغلال مناطق معينة فى شرق افريقية ، ويحاول التوغل صوب الداخل الى جبل **كينيا** ومنه الى بحيرة **فكتوريا** ، لمحاولة الوصول الى **الخرطوم** عن طريق الجنوب ان أمكن ذلك . وكان هذا الخط فى جزئه الأول شبه مواز لخط التوغل الألمانى ، ويشتمل على مشروع اقامة سكة حديدية تسهل الاتصال مع الداخل . عرضت انجلترا هذا المشروع على ألمانيا ، وشرحت مزاياه ، وذكرت انها لن تشجعه ما لم تتأكد من أنه لا يتعارض مع المصالح الالمانية فى هذه المنطقة . فقدرت ألمانيا لانجلترا موقفها وأن ذلك سيساعد على موافقة ألمانا على المفاوضة مع هذه الدولة ، بالرغم

من أن المستكشفين الألمان كانوا يواصلون نشاطهم على الطرق المؤدية الى **أوغندا** .

أبلغ قائدالأسطول الألماني السلطان **برغش** أنه يرغب فى التفاوض معه لعقد معاهدة . ولكن كان على السلطان ان يسحب أولا احتجاجه على الحمايات الألمانية فى داخل القارة ، ثم يسحب حامياته التى أرسلها الى هذه المناطق ، وكانت ألمانيا ترغب فى الحصول على ما تطلبه فى أقرب وقت ممكن . فاصطفت قطع البحرية الألمانية أمام الميناء ، وصوبت مدافعها الى الساحل وفى هذا الوقت استلم القنصل العام البريطانى من حكومته برقية توجهه فيها الى أن يوحى للسلطان بقبول طلبات ألمانيا مع الاحتجاج عليها ، وذلك بعد أن قبلت الحكومتان الأوروبيتان التحقيق فى حدود الأراضى التابعة للسلطان الافريقى ، وامتدادها صوب الغرب تمهيدا لأقسام الباقى فيما بينهما ، واضطر القنصل العام البريطانى الى القيام بالمهمة المكلف بها وظهر أمام السلطان رياء الوعود الأجنبية التى أفهمته لمدة سنوات طويلة أنه صديقها ، وأنها ستحميه ضد كل معتد ، بل ستحميه من كل ثائر من شعبه ، وظهرت له نتائج أخطائه من الاعتماد على الأجانب ، وفهم أنهم لم يؤيدوه الا لحاجة فى نفوسهم ، ورأى أنهم يضحون بمصالحه هو عند وقوع أى تعارض بين مصالحهم ومصالح من لا يقدرون على مقاومتهم . واضطر السلطان الى الاعتذار كما اضطر الى المفاوضة ، وسيضطر الى الاعتراف بالمحميات الألمانية فى الداخل . وكان خذلانه خذلانا للسياسة البريطانية .

تقدم الأميرال الألمانى باقتراحاته للمفاوضة ، وأيده القنصل العام البريطانى فى موقفه . بل انه رأى أن الشروط الألمانية شروط معقولة . ذلك أن ألمانيا كانت قد اقترحت أن يحافظ السلطان على أن تظل نسب الضرائب التى يجبيها على الساحل كما هى . واقترحت أن تتركه فى الأرباح التى تأتى من داخل القارة . ونصت على أن جميع التجارة التى ترد الى سواحل افريقية الشرقية تدفع ضريبة قدرها ٥ ٪ ، ولكنها قيدت السلطان فى فرض الضرائب على مواد الاحتكار ، واقترحت دفع مبلغ سنوى نظير اعفاء هذه المواد من الضرائب ، وأخيرا فانها طلبت اعفاء تجارة داخل القارة أى تجارة الترانسيت من كل الرسوم .

لكن القنصل العام البريطانى نفسه اقترح على الالمان اتخاذ ميناء **دار السلام** طريقا للوصول الى محمياتهم فى الداخل ، ولكنه طلب أن تعترف ألمانيا بأنها جزء لا يتجزأ من أملاك السلطان . وكانت انجلترا تخشى من الناحية الاستراتيجية من أن تقوم ألمانيا بانشاء قواعد حربية وبحرية لها فى هذا الميناء ، وفى **وينو** فى الشمال مما يؤثر بلا أدنى شك على تفوق عدن ، بل على خطوط المواصلات الأمبراطورية البريطانية ، وعلى سيادتها فى مياه المحيط الهندى ، ويمكنه أن يضرب الامبراطورية البريطانية ضربة قاضية . اذا تأزم الأمر مع ألمانيا فى يوم من الأيام . ولذلك فان انجلترا قد اقترحت على ألمانيا ألا تقوم بتحصين ميناء

دار **السلام** أو تسليحها أو استخدامها قاعدة حربية أو بحرية . وكانت ألمانيا أبعد نظرا من انجلترا ، فوافقت على هذه الفكرة ، وادعت أنهـا لن تقوم الا بانشـــاء مخازن تجارية ومخازن للفحم والتموين فى هذا الميناء ، أى أنها وافقت على الاستيلاء على القاعدة على ألا تسلحها فورا .

وأخيرا رأى السـلطان أن الأمور تدار بـين الدولتين الاوروبيتين دون حاجة اليه الا للتوقيع على المعاهدات بعد الاتفاق على نصوصها فيما بينها . لذلك فانه لم يعارض فى عقد معاهدة تجارية جديدة مع ألمانيـا بمجرد أن اقترح عليه القنصل العام البريطانى ذلك ــ وتطلبت هذه المعاهدة ، بطبيعة الحال ، تغيير كل المعاهدات القائمة مع الدول الأخرى ، وخصوصـــا مع انجلترا ، ولم يبد السلطان فى ذلك أية ممانعة .

ولم يكن من الســـهل تنفيـــذ المعاهدات التجارية التى عقدتها كل من ألمانيا وانجلترا مع السلطان دون تحديد ممتلكاته فى شرق أفريقية ، خصوصا وأن هذه المعاهدات قد نصت على دفع الرسوم فى موانىء السلطان ولـــكنها نصت أيضـا على تجـارة الترانسيت بين ممتلكات السـلطان والمناطق الواقعـــة الى غربهـا ، مما استلزم تحديد هذه الممتلكات وتلك المناطق .

وتكونت لجنـــة دولية انجليزية ألمانية فرنسية للقيـــام بهذه المهمة . وكان ممثل انجلترا فيها هو **الكولونيل** كتشنر الذى عمل فى المخـــابرات البريطانية فى شمال السودان حتى ذلك الوقت ، والذى سيصبح السردار الانجليزى للجيش المصرى فيما بعد أما ممثل ألمانيـــا فكان هو **شميت** القنصل الألمانى فى القـاهرة . وأما ممثل فرنسا فـكان هو قنصلها فى بيروت ، ثم انتدب بعده **رافراى** من رجال القنصلية الفرنســـية العامة بالقاهرة . وظهر من هـــذا الاختيار نفســه ارتباط المصالح الأوروبية فى سواحل شرق أفريقية ، وفى الداخل عند أوغنـــدا بمســـألة وادى النيل والمسـألة المصرية ، ارتباطا من النواحى الاستراتيجية والاقتصـــادية ، بل بسياسة التوســـع الأوروبى فى ذلك الجزء الهام من افريقية .

أظهرت الحكومات الثلاث تفاؤلها من هذه اللجنة ، وأملها فى الوصول الى قرارات اجماعية سريعة ، ولكنها تناست فى ذلك أن كلا من حكومتى لندن وبرلين قد حـــددت موقفها من المسألة ، بشكل لا يسهل عليها أمر التراجع ، أو اتخاذ قرارات فى حرية تامة . ذلك أن الحـــكومة البريطانية كانت قد أعلنت أن ممتلكات **زنزبار** تمتد من المستعمرات البرتغاليـــة فى الجنـــوب حتى **بورت درنفـورد** فى الشمال أما الحـــكومة الألمانية فانها كانت قد أعلنت أن ســـلطة **زنزبار** الثابتة لا تتجاوز **جزر زنزبار** والجزر المحيطة بها ، وأنه ليس للسلطان أية سلطة على السواحل ، وأنه لا يمكن التحدث عن أى حقوق له فى داخل القارة . وعلى أية حال فلقد كان على هذه اللجنة أن تبحث الأماكن التى تخضع لسلطان **زنزبار** ومدى امتداد سلطته نحو الداخل .

بدأت اللجنة أعمالها بأن اتفقت على خضوع **جزر زنزبار** والجزر التى تقع على مسافة تقل عن ١٢ ميلا عنها لسلطان **زنزبار** . ولكن المصاعب أخذت فى الظهور بعد ذلك . وبدأت هذه المصاعب عند بحث علاقة السلطان باللجنة . خصوصا وأن كلا من ألمانيا وفرنسا كانتا ترغبان فىعدم اشتراكه على قدم المساواة فى أعمالها . واختار السلطان **ماتيو** ، القائد الانجليزى لقواته ، لتمثيله فى هذه اللجنة ولكن المندوبين الألمانى والفرنسى رفضا الاعتراف له بحق المناقشة . وابلغاه أنه قد استدعى لمجرد الادلاء بالبيانات المطلوبة فثارت ثائرة **كتشنر** . واضطر السلطان الى سحب ممثله الانجليزى من اللجنة ، وظهر خوفه من نياتها ، واستفسر منها عن الهدف من انعقادها ثم أبلغها ضرورة قصر أعمالها على تحديد مناطق الحماية الألمانية ، لا مناطق سيادته هو . ولكنه لم يكن بقادر على المقاومة طويلا اذ أنه كان على الأعضاء أن ينفذوا ما جاءوا من أجله ، وكانت كل من انجلترا وفرنسا مضطرة الى عدم الاصطدام مع ألمانيا . ثم ظهرت مشكلة جديدة أمام اللجنة وهى معرفة ما اذا كان الجزء الساحلى الواقع بين ميناءين متتاليين من موانىء السلطان تابعا لهذا السلطان أيضا . وأيد الانجليز بطبيعة الحال نظرية تبعيته**لزنزبار** . وغضبت ألمانيا من هذا الموقف وشكت **كتشنر** الى حكومة لندن ، واضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع برشاقة ، معلنة أنها لا ترغب فى التدخل فى قرارات أعضاء اللجنة الذين لهم صفة القضاة ، ولكن الحكومات ليست مجبرة أبدا على التقيد بوجهة نظر مندوبيها . مما يعتبر اعترافا ووعدا بعدم تمسك حكومة لندن بكل ما سيقرره **كتشنر** .

وقامت اللجنة بزيارة السواحل الافريقية ، ولم تكن ألمانيا قد انتهت من عقد المعاهدات مع الأهالى فى داخل القارة ومن جمع بصماتهم على اتفاقيات الحماية . وأعلن **بسمارك** ذلك . وكانت ألمانيا قد عقدت معاهدات مع سلطان **أوبيا** فى الشمال لتسهيل استغلال شركة الاستعمار الألمانية لأراضيه ، ورأت انجلترا أن هذه المعاهدات الأخيرة تهدد مع المعاهدات التى عقدت الى الجنوب من ذلك الاقليم بقطع كل صلة بين سواحل **زنزبار** وهضبة البحيرات وأوغندا مما يحرم الأمبراطورية من مجهودها ونشاطها ومن أحلامها باستغلال أعالى النيل . فاضطرت الى الادعاء بزيادة تجارة الرقيق ، وأيدت سلطان **زنزبار** فى ارسال حملات عسكرية للداخل للقضاء على هذه التجارة غير المشروعة . ورأت ألمانيا أن تنقل الجنرال **ماتيو** على رأس جنود السلطان لا يهدف الا الى دعم النفوذ الانجليزى ، فاحتجت عليه ، وأعلنت أنه مناورة بريطانية مكشوفة لتغيير الوضع القائم واضطرت انجلترا بطبيعة الحال الى التراجع . وكانت ألمانيا تستطيع الحصول على ما تريده دون موافقة انجلترا ، ولكنها كانت تفضل العمل معها حتى تحصل على اعتراف رسمى بنفوذها هناك ، وكان هذا هو السبب الرئيسى فى موافقة ألمانيا على استمرار العمل فى هذه اللجنة . وكانت انجلترا

تخشى من جانبها أن تنفض ألمانيا يدها من هذه اللجنة مما يعطيها كل حرية للعمل . ويحرم انجلترا من مناقشتها أو الاعتراض عليها الا اذا أرادت أن تدخل مع القوات المسلحة الالمانية فى حرب علنية .

ولم يكن من السهل على أعضاء اللجنة الوصول الى قرارات اجماعية عن حدود ممتلكات **زنزبار** ، نظرا لتشبث كل من المندوب الانجليزى والمندوب الألمانى بآرائه . وغيرت فرنسا مندوبها ، ووصل المندوب الجديد ((**ليمير**)) لكى يؤيد وجهة نظر **كتشنر** دون أن يقوم بزيارة السواحل . واضطر **بسمارك** الى التدخل وأعلن أنه ليست هناك أى ضرورة لكتابة قرارات اطلاقا ان لم تكن هذه القرارات اجماعية . وأن عليهم كتابة ما اتفقوا عليه ، وأن يتركوا ما اختلفوا عليه لكى يسوى بالمفاوضات بين الدول المختصة فى أوروبا . وخشيت انجلترا من جديد أن يعمد **بسمارك** الى الحصول على حرية العمل فى كل هذه المناطق اذا لم تصل اللجنة الى تقرير ما يريده، وعمدت ألمانيا الى محاولة شراء مستعمرات فرنسا وأفهمتها أنها لن تعارض فى وضع **جزر الكومور** تحت سيادتها . وخشيت انجلترا من العزلة ومن الهزيمة الصريحة ، فاتفقت مع حكومة باريس على التراجع ، وعلى ارسال أوامرها الى مندوبيهما ، وهى تنص على ضرورة العثور على قرارات اجماعية . ولم يكن هذا بالأمر الصعب اذ أن اللجنة اجتمعت وكتبت قرارات المندوب الألمانى وكأنها قراراتها بالاجماع .

ولم يكن هذا التحديد الا تمهيدا للتقسيم ، وأخذ عدد من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الاموال البريطانيين ينادون بضرورة البدء فى التوغل صوب هضبة البحيرات وأوغندا ، واستغلال هذه المناطق ، ووافقوا على أن يكون عمل ألمانيا فى هذه الجهات موازيا لعملهم أى أنهم ضغطوا على حكومة بلادهم للاتفاق مع ألمانيا ، واقتسام الاسلاب بدلا من قيام صدام لن تخرج انجلترا منه الا خاسرة . خصوصا وأن الحاميات المصرية الموجودة فى مديرية خط الاستواء كانت ترفض تنفيذ الأوامر البريطانية والعودة الى الساحل ، وكانت تحت قيادة **أمين باشا** الالمانى الاصل ، وفكر الانجليز فى ضرورة الاستيلاء على ميناء **ممبسة** حتى يوازنوا استيلاء ألمانيا على **دار السلام** . وكتب **كتشنر** نفسه شارحا الأهمية الاستراتيجية لهذا الميناء ، وارتباط ذلك بالقواعد الاستراتيجية البريطانية على **قناة** السويس وعند **عدن وزيلع وبربرة** .

كانت انجلترا اذن مستعدة للاتفاق مع ألمانيا ، خصوصا وأن موقف فرنسا لم يكن وديا بالنسبة لها فى المسألة المصرية ، ووافقت على المفاوضة مع ألمانيا بمجرد أن اقترحت ألمانيا ارسال أحد خبرائها الى لندن لتولى المسألة .

واتفقت كل من حكومتى لندن وبرلين على حدود ممتلكات سلطان **زنزبار** ، كما أقرتها ألمانيا ، وتعهدت انجلترا بتأييد ألمانيا فى مفاوضاتها المقبلة مع السلطان للحصول على امتيازات منه فى **ميناء دار السلام** ، وبالتوسط بين الشركة الألمانية

والسلطان لانهاء الخلاف القائم بينهما بسبب **كليمانجـــــارو** . وقسمت الدولتـــان الاقليم بأكمله الى منطقتى نفوذ لكل منهما ، وتعهـــدت كل منهما بعدم التدخل فى منطقة الأخرى .

حصلت ألمانيا على الجزء الجنوبى من الساحل ، وعلى مخرج لمنطقة **ويتو** وأصبحت منطقـــة النفوذ الانجليزى محاطة بألمانيا من الجنوب ومن الشمال فى الوقت نفســـه . وأصبح البـــاب مفتوحا أمام ألمانيـــا صوب هضبة البحيرات وأوغندا . وكان هذا نصرا حاسما **لبســـمارك** ، وكان قد كسب ذلك منذ اليوم الذى استولى فيه ثوار الســـودان على **الخرطوم** وهزوا مركز انجلترا فى كل امبراطوريتها . ولكن بسمارك أعطى لانجلترا فرصـــتها للتقهقر دون اذلالهـــا . فحصل عـــلى اعتراف انجلترا بالحماية الألمانية على جزء هام من شرق افريقيــــــة . ولم يخسر كثيرا من اعترافه بمنطقة النفوذ الانجليزى فى الشـــمال أو النفـــوذ الفرنسى على جزر **الـــكومور** . وكان يسعى فى حقيقـــة الأمر الى الوصول الى بحيرة **فيكتوريا** والى أوغندا .

أما انجلترا فانها حصلت على الجزء الشمالى ، الممتـــد صوب الداخل بين جبلى **كينيا وكليمانجارو** وتتلوه بلاد اوغنـــدا الخصـــبة على السواحل الشمالية لبحـــيرة **فيكتوريا** ، والتى تتصل بدورها بمناطق أعالى النيل . حقيقة أن **أمين باشـــا** كان يحكم هذا الاقليم ، ولكن انجلترا ستنظر اليه نظرها الى « موظف مصرى » يجب عليه أن يخضع لأوامر حكومة القاهرة ، المحتله فى ذلك الوقت ، والتى تحتم عليه الانسحاب والعودة لمصر تاركا بذلك المجال خاليا أمام البريطانيين .

وهـــكذا ســـيبدأ دور جديد من التنافس الانجليزى الألمانى فى أوغندا يتعلق بالجنود المصريين وبقـــائدهم الالمـــانى فى مديرية خـــط الاستواء المصرية ، ويتصل بالمسلمين ، وبعثات التبشير البروتستانتية والكاثوليكية فى هـــذه البلاد . وسنسمع فى هذا الطور الجديد عن ((حملة استانلى)) لانقاذ أمين باشـــا ، كما سنسمع عن مشروع انشاء سكة حديد بريطانيـــة تصـــل ممبسة وأوغندا . ولن يقف الألمان مكتوفى الأيدى أمام الانجليز فى هذا الطور الجديد من أطوار التنافس على أوغندا ـ وان كان الأمر سينتهى بسيطرة انجلترا على الجزء الشمالى من بحـــيرة فيكتوريا وهو أوغنـــدا ، وسترضى ألمانيا بالسيطرة على الجزء الجنوبى منها المواجه لهـــذه المحمية البريطانية الجديدة .

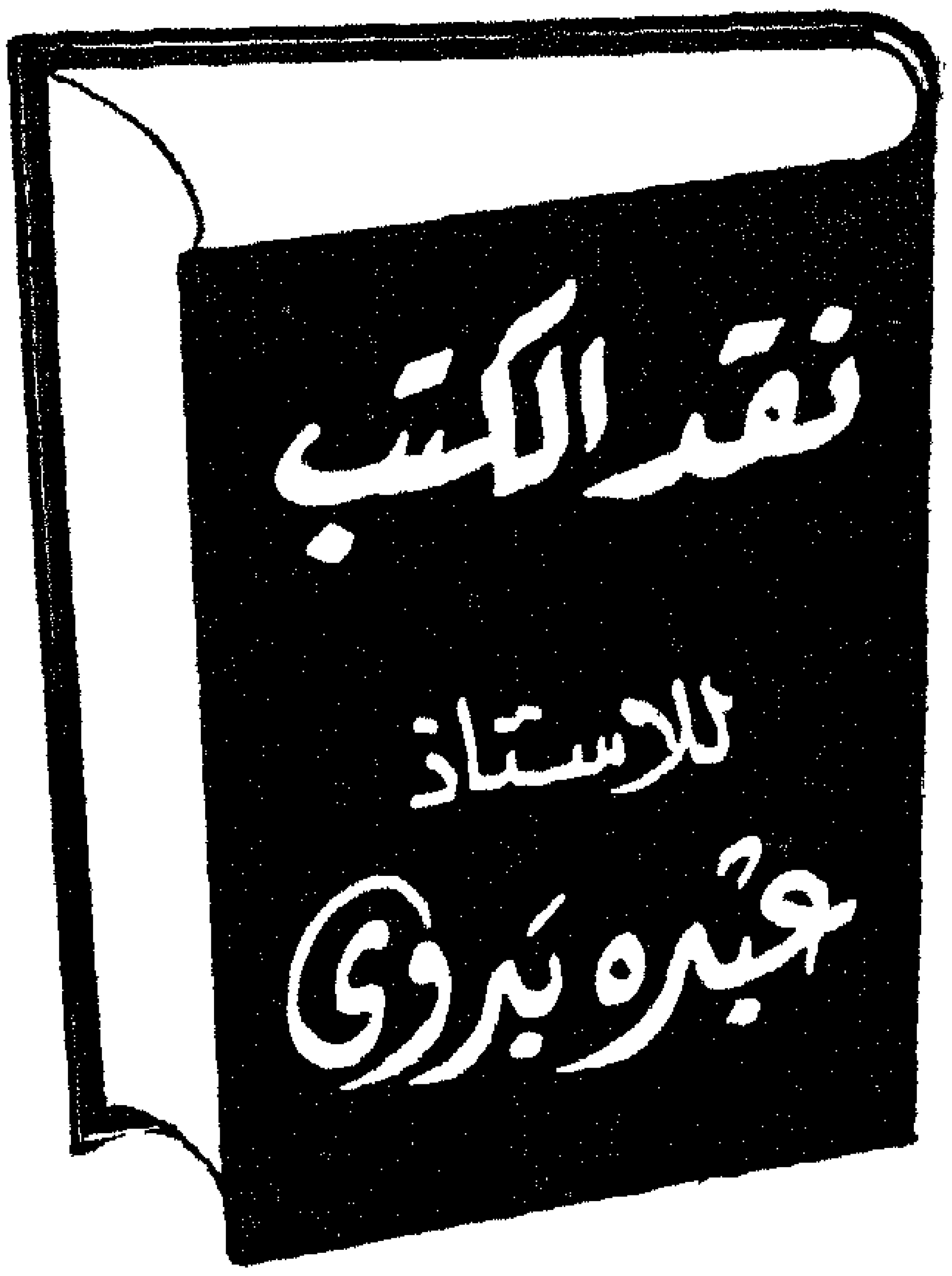

لم تلق افريقية عند الكتاب العرب من العناية ما تلقاه الآن . فقد قامت باسمها مجلة . وتوفر عدد من الكتاب على دراسة القارة فى جوانبها كافة . ومن هؤلاء الكتاب اللامعين الذين يوفدون المكتبة الأفريقية بين الحين والحين الدكتور جلال يحيى . وآخر كتاب صدر له كان كتاب « **التنافس الدولى فى بلاد الصومال** » .

وهو يقصد بالصومال تلك البلاد التى تمتد من « زنجبار » جنوبا حتى « باب المندب » ، وهى القطاع الذى خضع فى فترة من الزمن للادارة المصرية ، وكون معها وحدة سياسية فى القرن التاسع عشر .

أما الفترة الزمنية التى تعرض لها الكتاب فهى أواخر عام ١٨٨٣ حين فكر الانجليز جديا فى اجلاء المصريين عن هذه المنطقة بعد القضاء على حملة « هيكس باشا » فى كردفان مستهدفين فى هذا تأمين نفوذهم فى « **عدن** » والسيطرة على موارد تموينهم فى هذه المنطقة . وفى الوقت نفسه يحاولون زيادة التدخل فى شئون مصر ، والعمل على تقلص نفوذها نهائيا فى هذا القطاع . اما نهاية الفترة فقد كان فى عام ١٨٨٨ حين تم اتفاق الانجليز مع فرنسا .

* * *

وقد كنت أود أن يقوم المؤلف بتقدمة صغيرة عن هذه البلاد بحيث يعطى للقارىء فرصة تحديدها فى ذهنه . وبخاصة أنه يقدم شيئا جديدا للقارىء العربى الذى أجبرته ظروفه السابقة على أن لا يتعرف على هذه البلاد ولكن المؤلف يجذب القارىء جذبا لا الى الصومال كوحدة ، وانما لقطاع كان تحت الحماية المصرية ، وفى فترة زمنية قليلة جدا . ولا أعرف لماذا أسرع المؤلف بتقديم هذا الكتاب على هذه الصورة مع أنى أعرف أنه يعد الآن كتابا يقدم فيه الصومال تاريخيا فى كل مراحله السابقة ؟

ومهما يكن من شىء فقد أوقفنا الكتاب على أن دور فرنسا فى هذه المنطقة لا يبدأ بعام ١٨٨٤ حين احتلت ساحل الصومال ، وانما سبق بعدة مراحل . أهمها تلك الحملات التى كانت تختفى وراء الاستكشافات العلمية ، والتى أعطت لبلادهم صورة عن الحياة فى هذه المنطقة ، وأنه يجب ألا تسبق الدول الأخرى فرنسا الى هذه « البلاد المفتوحة » .

وقد بدأت هذه الحملات مصبوغة بالطابع الفردى عام ١٨٣٥ . ثم أخذت طابعا رسميا مرسوما عام ١٨٤٦ ، وأن من أهم هؤلاء المستكشفين العالم

الفرنسى « روشيه ديريكور » الذى بدأ رحلته عام ١٩٣٩، وزار «تاجورة»، و « شوا » وحظى بصداقة الملك « سهلا سيلاسى » ، وكيف أنه عاد ثانية عام ١٨٤٢ حيث تمكن من الحصول على توقيع «سهلا سيلاسى» على اتفاقية تعطى فرنسا الكثير من المزايا السياسية ، والتجارية فى هذه المنطقة . وكيف أنه أدخل « الدين » للوصول الى معتقداته فذكر أن أهالى هذه البلاد ، وبخاصة الطبقة العليا من المجتمع يرتبطون مع فرنسا بعلاقات وثيقة تقوم على **((الدين))** ، وأن امتداد العرب فى شمال القارة قد منع هذه الصلة بين الأحباش والأوروبيين . وانه يمكن بالحبشة السيطرة على مصر فنداء واحد من أحد الأحباش يكفى لتعبئة الحبشة كلها ، وزحفها على مصر « مجددة بذلك غزوات الهكسوس !! » . كما يمكنها بمساعدات فرنسا اخضاع شعوب **((الجالا))** التى تقيم جنوب وغرب الحبشة . والتى كانت تحاربها سنويا لاخضاعها ، واستغلال مواردها . ثم أخيرا اجبارها على اعتناق المسيحية .

ففرنسا كانت ترمى — الى جانب احتفاظها بقاعدة بحرية على البحر الأحمر — الى فتح أبواب للتجارة ، والى اقامة محطة للتموين ، ومخزن للفحم لتزويد بواخرها المترددة بين أوروبا ، والشرق الأقصى . وقد ساعدها على ذلك أن قطاعا كبيرا من كاثوليكى بلاد **((تجرة))** بالحبشة كان يسعى للتحالف مع فرنسا ، وأن بعض الرؤساء فى الحبشة ، والصومال كان يسعى لتأكيد هذه الصلة . تحت ضغط كراهية الانجليز . وقيام بعض العناصر المناوئة لهم .

حتى لقد اضطر « النجاشى » أن يبيع بلاده فى مقابل احتفاظه بالعرش ، وأن يوقع مع فرنسا تلك المعاهدة الجائرة التى تضمنت ما يأتى : —

١ — تنازل الملك الافريقى الى الامبراطور الفرنسى عن كل ذلك الجزء من بلاده ، الواقع بين حافة جبل ((جوادم)) مارا بسهل ((زولا)) ومحيطا بخليج ((عادولى)) حتى جزر ((أوده وديسك)) اللتين تدخلان فى تلك المنطقة .

٢ — يطلب حماية فرنسا على مملكته التى تمتد على شاطىء البحر الأحمر حتى زيلع .

٣ — تعهد الملك الافريقى بأن ينفذ خلفاؤه ورعاياه هذه المعاهدة .

٤ — تعهد بأن يعطى أى صك امتياز آخر لأية دولة أوروبية دون الحصول على موافقة امبراطور فرنسا.

٥ — الاعتراف به كملك شرعى لبلاد الحبشة .

وقد كان من أهم الدوافع التى دفعت النجاشى الى توقيع هذه المعاهدة نمو قوى **((تيودور))** الذى كان يطالب بالعرش . والذى كانت من ورائه انجلترا تسانده ، وهكذا كانت انجلترا وفرنسا وراء كل الأحداث فى هذه المنطقة التى تم النصر فيها أخيرا «لتيودور» ، مما ترتب عليه «تجميد» المعاهدة السابقة التى كانت ما تزال سرية خوفا من مجاهرة انجلترا بالعداء ولفت نظر « الباب العالى » بواسطة انجلترا الى ممتلكاته فى هذه المنطقة . على أن النجاح الوحيد الذى كان

لفرنسا فى هـــذه المنطقة هو تثبيت أقدامها على خليج «أوبوك» وأراضيها بالقرب من عدن ! فقد اشترت هذه المنطقة بما يعادل ٥٠٠ر٥٠ فرنك من الزعماء المحليين وعلى رأسهم « ودنى أحمد أبو بكر » ، وأقامت احتفــالا ضخما لعملية التسليم هذه ، ورفع العلم الفرنسى .

وقد غضبت الانجليز لامتداد النفوذ الفرنسى الى هذه المنطقة ، وبخاصة ممثلهم فى « عدن » الذى صرح بأن الفرنسيين قد وضـــعوا أيديهم على أراض تابعة للدولة العثمانية ، وحينما ردد هذه الكلمات « أحمـــد باشا » الحاكم التركى على « حديدة » أفهمه « شيفر » الفرنسى أن الانجليز قاموا بمثل عملهم حينما استولوا على جزر « موسى » و « ايفات » فما كان من الحاكم التركى الا أن أظهر دهشته لهذه الأخبار .

وقد فكرت فرنســا فى جعـــل « أبوك » ميناء تستغنى به السفن عن عدن . كما فكرت فى اعطائه لمصر مقابل ملكية المبنى الذى تشغله قنصليتها فى القاهرة ، ولكن ظهر لها أخـيرا أن منطقتها قاحلة ، وأن ميناءها ليست له قيمة ، وانه لامستقبل لها ، ولكنها كانت راضية بعض الرضا لأنها كانت ترقب انجلترا بعينها ، وتشهد تحركاتها فى هذه المنطقة .

ولكن بمرور الزمن ظهرت لفرنسا أهمية «أوبوك» حينما رأت «ايطاليا» تتدخل فى هذه المنطقة ، وتثبت أقدامها على خليج « المصب » ، وحينما رات نمو النفوذ الانجليزى فى « عدن » ، ومحاولات مصر الدائبة لتأكيد حقوقها على سواحل البحر الأحمر ، وتغلغل نشاط الشركات فى الحبشة . ومن هنا نراها تتقـرب الى الملك « منليك » وترسل اليه هدية مكونة من سيف ، وثلاث قطع من النسيج ، ونظارة مقربة مما يستعمل فى البحرية .

كما نراها تسمح لرعاياها باستغلال هذه المنطقة .

ولكنها تصطدم بمصر التى كانت قد أدركت خطر وجود انجلترا ، وفرنسا ، وايطاليا فى هذه المنطقة ، ومن هنــا نراها تقوم بعمليـــة تثبيت ساريات يرفرف عليها العلم المصرى على طول الساحل الافريقى . كما أنها أرسلت زورقا «مصوع» الى «أوبوك» وهناك أقام أحد الضباط ساريتين يرفرف عليهما العلم المصرى .

وقد ثارت فرنسا لهـــذا الحادث ، وقدم قنصلها فى القاهرة ملاحظاته للخديوى الذى ذكر بأنه يجهـل كل شىء عن هذه المسألة ، وأن مصر لم تعترف باستيلاء فرنسا على «أوبوك» ولكن مصر لم تر التشدد فى هـــذه المنطقـــة خوفا من تضامن فرنسا ، وايطاليا ضـــد مصالحها فيها ، ولأن تأييـــد انجلترا كان نظـــريا لايمكن الاطمئنان اليه . زيادة على أن ظروفها الداخلية كانت معقدة ، والبلاد على أبواب الثورة العرابية !

ثم تعرض المؤلف فى الباب الثـانى لتدخل بريطانيا . فذكر أن فكرة اخلاء السواحل الأفريقية من المصريين قد تبلورت فى ذهن الساسة الانجليز قرب نهـــاية عام ١٨٨٣ . حينما قضت المهدية على حملة « الجنرال هكس » فى كردفان .

ذلك لأن انجلترا لم ترد وقف نفوذها عند ((**عدن**)) بل أرادت أن تصل الى ((**بربرة**)) لتضمن سيطرتها على موارد التموين ، ولأنها كانت تسعى جاهدة عن طريق قنصلها فى مصر الى وضعها فى حدود ضيقة مرسومة ، والاستيلاء على أكبر قدر من امبراطوريتها المتغلغلة فى افريقية .

ومن هنا فقد نادت باخلاء ((**الصومال**)) ، وكان أول من نادى بها « الميجر ف هنتر » الذى كان يشغل وظيفة المقيم السياسى المساعد فى « عدن » ، وقد حول رأيه الى لندن « السير ايفلنج بارنج » . فقد كان هذا الرأى يخدم فكرة « اخلاء السودان »

وقد كنت أحب أن يقف هنا المؤلف وقفة ليعطى للقارىء فكرة واضحة عن حقيقة الصراع فى هذا الجزء من افريقية ، وكيف أنه كان خطة مرسومة لاخراج مصر من مناطق نفوذها ، وليربط بين عمليتى الاخلاء فى الصومال ، والسودان . وليشير الى عملية التسلل الانجليزى بين الجيش ، وكيف أرسلت مصر أحد الضباط الانجليز الى « هرر » لدراسة الحال هناك ، وتوفير بعض الحاميات فاذا به يعود ليطالب بارجاع هذا الاقليم الى حكامه السابقين ــ تماما كما تكررت الحادثة فى السودان ــ حتى لقد وافقت انجلترا بسرعة على الخطة دون مناقشة لها . كنت أحب الحديث عن هذا ولكن المؤلف يجذب القارىء بسرعة دون أن يعطيه فرصة للتأمل . كأنما التاريخ هو مجرد القاء سريع للمعلومات .

.. وفى الوقت الذى دعت فيه تركيا لمباشرة سلطاتها على موانىء الساحل المصرى فى البحر الأحمر وأن تحتلها بجنودها . نراها تجعل من هذه الفكرة ستارا كثيفا . ثم تأخذ فى تنفيذ خطتها بسحب القوات المصرية من كل نقاط الارتكاز على امتداد ساحل الصومال من « باب المندب » حتى « رأس حافون » بما فى ذلك موانى «تاجورة» و « زيلع » و « بربر » . ضاربة بالاتفاقية الانجليزية ــ المصرية المعقودة عام ١٨٧٧ عرض الحائط . ومن هنا لا أرانى أميل الى رأى المؤلف الذى يقول ان قصد انجلترا من عودة تركيا الى هذه المنطقة هو استغلالها ضد الثوار السودانيين أو محاولة تطويقهم من قواعد تحتلها انجلترا بالفعل » . فالثوار ما كانوا يمتنعون على انجلترا لو أرادت القضاء عليهم . والدارس لسياسة انجلترا فى السودان يعرف أن انجلترا كانت راغبة فى بقاء الحال فيه على ما هى عليه . بل لقد عملت على بقاء الحال هناك حتى تستطيع أن تنفذ خطتها بواسطة مصر ، وأن تبرر فى الوقت نفسه موقفها أمام الرأى العام العالمى . وبخاصة فرنسا التى كانت تعارض سياستها فى أول الأمر .

فدعوتها لتركيا ــ مهما كان الغرض منها ــ تعتبر جانبا من خطتها السياسية التى ترمى دائما الى كسب الرأى العام الى صفها ، ولو أرادت تركيا التنفيذ ــ وحالتها كانت لاتسمح ــ لوضعت انجلترا أمامها الصعوبات التى تجبرها على الانسحاب . وبخاصة أننا نعرف أنها أمرت باخلاء السودان دون الرجوع الى تركيا ، وأنها لم تكن تثير حقوق السيادة التركية الا لتوقف الفرنسيين عن تقدمهم .

ومن ثم نرى انجلترا فى ١٨/٦/١٨٨٤ ترسل الى « الميجر هنتر » أنه يجب عليه « أن يسهل عمل الترتيبات الخاصة بانسحاب الادارة المصرية من ساحل الصومال وأن يعمل على مواجهة كل امكانية للاخلال بالنظام المحلى أو الاحتلال الأجنبى . وذلك بتنفيذ الاتفاقات مع مشايخ القبائل المحلية » .

وقد بدأ « هنتر » الاتصال بالزعماء المحليين ، وبدأت وحدات من الأسطول البريطانى تتحرك فى هذه المنطقة . كما أخذت قاعدة « عدن » فى اعداد الرجال والمهمات ، وأمكنه الحصول على موافقة الرؤساء بالمحافظة عليهم نظرا لقرب انسحاب الحاميات المصرية ، وعلى ألا يتنازلوا . أو يبيعوا . أو يتركوا دولة أخرى تحتل جزءا من أراضيهم . رغم معارضة الأهالى ، والتجار وحتى الأجانب فى جلاء القوات المصرية ، وعناد الجنود المصريين ، ومقاومتهم للأوامر التى صدرت اليهم ، ولكن الحامية فى آخر الأمر أجبرت على ترك **« بربرة »** . ثم أجبرت على ترك **« هرر »** بعد أن رضخ « نوبار » لأوامر الانجليز . رغم مصالح مصر الكثيرة فى هذه البلاد ، ورغم تعلق السكان بهم حتى لقد قام تجار هرر من المسلمين والأجانب بالكتابة الى الحكومة فى مصر بأن البلاد ستقع فى الفوضى بمجرد خروج السلطات المصرية منها ، واذا كان قرار الحكومة الخديوية نهائيا فانهم سيضطرون الى الهجرة مع القوات المنسحبة تاركين أموالهم للسلب والنهب « ولا يمكن للحكومة أن تقبل ذلك مع شعورها الفائق بالعدالة » ، ولكن كل هذا زيادة علىّ صرخات الحاكم المصرى هناك لم يثن من عزم الحكومة الخديوية . فقد صممت تماما على اخلاء البلاد .

ولقد كانت ترتيبات الحكومة الخديوية تتلخص فيما يأتى :

أولا : أبلغ نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء أبو بكر باشا حاكم زيلع بخطاب سرى أن قرار اخلاء هرر من القوات المصرية هو قرار قديم ولكن الحكومة كانت قد احتفظت به سريا حتى لا يتسبب نشره فى سريان الفوضى بين القبائل التى تسكن هذه المنطقة . وفى نفس الوقت كلفت حكومة القاهرة الميجر هنتر بالاشراف على انسحاب هذه القوات ، واتخاذ كل الاجراءات اللازمة لتأكيد وضمان هدوء البلاد فى المستقبل وبعد سفر الجنود . وكانت تعليمات نوبار الى أبو بكر باشا تكشف عما يدور فى فكره ، من أنه يتوقع عدم اطاعة الأوامر التى يصدرها فطلب من أبو بكر باشا أن يستخدم سلطته ونفوذه المحليين فى تلك المنطقة، وأن يساعد الميجر هنتر فى المهمة التى عهدت له بها حكومة الملكة . أما فيما يخص انسحاب القوات من هرر فكان على أبو بكر أن يحتفظ به سرا لأنه كان « على هنتر نفسه أن يقرر الوقت المحدد لهذا الانسحاب والطريقة التى سيتم بها » .

ثانيا : وضع نوبار باشا اللواء على باشا حاكم عام هرر تحت أوامر الميجر هنتر ، وأبلغه أن الخديوى قد كلف هذا الميجر بالاشراف على كل ما يتعلق بزيلع وهرر ، وكان على هنتر أن

يذهب الى زيلع للاشراف على عملية المحافظة على النظام والأمن بين رجال القبائل ، ولذلك فانه سيتصل باللواء على باشا وسيكون على هذا اللواء طبقا لأوامر الخديوى أن ينفذ جميع التعليمات التى سيصدرها الميجر

ثالثا : تؤيد القوات البريطانية سلطة الميجر هنتر ، وفى نفس اليوم الذى صدرت فيه التعليمات السابقة أبحرت الحملة البريطانية من عدن الى زيلع .

رابعا : كلف رضوان باشا الحاكم العام السابق لهرر بتنفيذ عملية اخلاء هرر .

خامسا : صرحت الحكومة الانجليزية للميجر هنتر بوقف صرف مرتب كل موظف مصرى لا يحترم الأوامر . أو يعمل على خلق المصاعب أمامه ، وأعطت نفس هذه السلطة للميجر هيث قائد الحملة البريطانية التى نزلت فى زيلع .

وهكذا تمت هذه الجريمة فى عنف وقسوة .

وقد أسرعت فرنسا أمام هذه الضربات الانجليزية المذهلة الى عقد معاهدة مع سلطان « تاجورة » فى ٢١/٩/١٨٨٤ وضع بمقتضاها بلاده تحت تصرف الفرنسيين وبهذا أضاف الى مستعمرة « أوبوك » أهمية سياسية وتجارية ، وبوضع الفرنسيين « تاجورة » تحت الحماية أصبحوا يسيطرون على طريق هام للتجارة الداخلية فى البلاد .

وبالرغم من أن الفرنسيين كانوا على استعداد لترك تاجورة للانجليز . الا أن الانجليز لم يظهروا استعدادهم لضمها اليهم . فقد أرادوا أن يستفيدوا من توسع الفرنسيين حول « أوبوك » ، وتوسع الايطاليين حول « عصب » حتى لا يكونوا وحدهم أمام الرأى العام المعتدين على حقوق السلطان .

وفى خلال هذه الفترة دخل منافس رابع فى المنطقة هو **((ألمانيا))** . فبعد أن احتلت فرنسا «تاجورة» أثار القنصل العام فى القاهرة مع « نوبار باشا » موضوع حقوق السيادة العثمانية على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن . وقد أثار هذا الاستفسار قلق الدول الأوروبية على مصير هذه المنطقة .

فقد دخلت « ألمانيا » السباق الاستعمارى فى غرب افريقية وشرقها فجأة . فقد كسبت الى صفها سلطان زنجبار ، وهددت الخطط الانجليزية التى تقضى بالمحافظة على سواحل المحيط الهندى كمنطقة لنفوذها ، وكنقطة وثوب لداخل القارة ، وأعالى النيل .

وقد اضطربت انجلترا لهذا التدخل الألمانى ، واضطرت الى ابقاء « أبى بكر باشا الصومالى » حاكما على «زيلع» خوفا من استيلاء ألمانيا عليها . وبخاصة انه يعتبر قاعدة هجوم مركزة على قواعدها فى « عدن » ، لهذا ولغيره نراها تسرع فتزود رجالها بالأعلام وبالتعليمات الخاصة بعقد المعاهدات مع المشايخ على طول امتداد الساحل ، وداخل الصومال . وسرعان ما استجابت لهذا التغرير قبائل « حبر تلجعلة » و «العيسى صومال» ، و « حبرجرهاجيس » .

وفى الوقت نفسه نرى فرنسا تسرع فتحتل «قبة الخراب» والساحل الممتد بينها وبين « امبابو » ، وتوقع

فى ٥/١/١٨٨٥ معـــاهدة مع بعض « الشيوخ » تفتح بمقتضاها المنطقة الكائنة بين سلطنة « العوصا » وبلاد « الصومال » بحيث يمكنهم الوصول الى أبواب « شوا » دون طلب التصريح من أحد . فالطريق أمامهم مفتوح !

كما تمد ((**ايطاليا**)) نفوذها فتحتل فى ٥/٢/١٨٨٥ « مصوع » .

وبالرغم من أن علاقةايطاليا بفرنسا كانت فى أول أمرها حسنةالا أنها سرعان ما تعقدت حين تضاربت مصالحهما حين جلاء القوات المصرية عن الصومال فبدأت ايطاليـــا تهتم بالفرنسيين فى « تاجورة » ، وتدعى اغتصابهم لمنطقة « خور انجار » فالعقد الذى وقع مع المشايخ لم تدخل فيه هذه المنطقة ، وأن المشايخ فى هـــذه المنطقة طالبوا بالاطلاع على العقد القديم مع فرنسا ، وانهم يطلبون الحماية من ايطاليا ضد هذا التعسف الفرنسى . وطالبت بحل هذه المشكلة على يد قائد « أوبوك » الفرنسى ، وقائد عصب الايطالى .

وقد استجابت فرنسا لهذه الفكرة ولم تسفر المحادثات عن رأى يرضى الطرفين ، وان كانت ايطاليا قد نجحت فى اثارة بعض المشايخ على فرنسا . مما اضطرها الى تقوية مستعمرتها فى « أوبوك » . ولكن المشايخ مالبثوا أن هدأوا لأنهم لم يكونوا « يعلمون معنى بيع أراضيهم فى القـــانون الدولى . أو بيع بعض الحقوق خصوصا وأن هذه الاتفاقيات كانت ترضى غرورهم الشخصى ، وتلقبهم بألقاب السلطنة وتمنحهم السيادة . وكان من الطبيعى أن يسير هؤلاء المشايخ مع من يدفع أكثر من الآخر » .

هذا ولا تعتقد أن المؤلف يقصــــد المعنى الحقيقى لكلمة ((**السيادة**)) فى قوله « ان الأجانب كانوا يمنحونهم السيادة لأنهم كانوا مشلولى الحركة ، وموضوعين تحت الرقابة الأجنبية دائما ، ولا يحق لواحد منهم أن يتصرف تصرفا لا يرضون هم عنه » . وفى الكتاب الكثير من هذه العبارات التى لاتعطى معانيها الحقيقية . وكل مانطلبه من المؤلفين وبخاصة «أساتذة التاريخ» أن يتريثوا فى تأليفهم وأن يستعيدوا ما يكتبونه قبل الدفع به الى المطبعة .

ومهما يكن من شىء فقد أساء هؤلاء الرؤساء الى أنفسهم ، والى بلادهم فقد كانوا يطلبون الحماية لأنفسهم . وبهذه الوسيلة تم استيلاء الفرنسيين أخيرا على ((**امبادو**)) وعلى ((**زيلع**)) .

ولكن نرى أخيرا أن حكومتى لندن وباريس تتفقان فى أكتوبر عام ١٨٨٥ على المحافظة على الوضـــع الراهن فى مناطق نفوذهما المطلة على خليج عدن وقد أقرت هذه المعاهدة فى صـــالح الطرفين على حساب المواطنين فى هذه البلاد . وفى فبراير عام ١٨٨٨ أنهت الاتفاقية بينهما صـــفحة من الصراع الذى دار بحدة فى شرق افريقية عامة، والصومال بخاصة . بينما استمرت حالة التوتر بين ايطاليا وفرنسا لعدم قيام حدود مرسومة تفصـــل مناطق نفوذ كل من الفريقين ، ولوجود روح التنافس بين الدولتين .

والذى يلفت النظر الى الكتاب أنه يحتوى على وجهات النظر الفرنسية ، والانجليزية ، والايطالية بأمانة . أما وجهـــة النظر المصرية ، والتركية فلا تكاد توجد فيه ، ولعل نظرةواحدة

على « المصادر » تلقى الضوء على هذا. ويمكن تطبيق هذا على الدور الذى لعبه السكان فى هذه المنطقة . وخاصة أن المؤلف يركز دائما على المستعمرين والمشايخ . أما الناس أنفسهم فلا يوجد شيء يدل عليهم ، ومن المؤكد أن الناس كانت لهم وجهة نظرهم ، وأن بعضهم قاوم نفوذ « المشايخ » وانهم تمسكوا بالحكم المصرى بعيدا عن رؤسائهم . ولعله قد آن الأوان لأن تتغير وجهة نظر « التاريخ » فى اصدار الأحكام من وجهة نظر الحكام فقط .

وأخيرا فالكتاب يضيف جديدا الى المكتبة الافريقية . اما اطلاق الأسماء من وجهة النظر الغربية كزنزبار بدلا من الكلمة التى استعملها العرب وهى زنجبار ، وأما الأخطاء التعبيرية ، والمطبعية المتكررة فيقولون انها لاتنقص من قيمة الكتاب .

* * *

للشاعر الأفريقى « أرماتو »

اهتفوا بهذا فى الغابات
من التلال الى الأحراش
دعوا العالم يردد هتافكم
ان الهنا أسود
شعره مجعد وعيناه بنيتان
وشكله جميل مهيب
خلقنا على صورته ومثاله
أن الهنا أسود
أسود من ظلام الليل الدامس
ومن الفسق المعتم والفجر غير المشمس
أعلنوها على العالم أجمع
أن الهنا أسود !
أنظروا أن الهنا حى برنزى اللون
قوى البنان مهيب الطلعة
ساعداه أقوى من بنى البشر
وطوله يعلو على هامة الناس
هل تقف يا الهى ضدنا أنت أيضا ؟
انظر الينا فان الناس تسخر منا
وحثالة القوم تلعننا
فى الأرض التى أعطيتنا اياها
أيها الآله القوى العادل
خبرنا سبحانك هل أنت معنا أم علينا ؟ !
أصمتوا أيها العبيد
أن الهنا أسود !

البوشمن

بقلم محمود سليمة

تتنوع الأجناس فى جنوب افريقية لأن بعض جهاتها تعتبر من مناطق العزلة التى تلجأ اليها السلالات المستضعفة ولذلك نجد فى جنوب افريقية أقدم العناصر الجنسية التى وفدت الى هذه القارة مثل «البوشمن» و « الهوتنتوت » .

ومن المعروف أن البوشمن وصلوا الى أوطانهم الحالية نازحين من الشمال ، وقد كان أسلافهم أوسع انتشارا اذ كانوا يحتلون الجزء الأكبر من شرق افريقية ووسطها ، والدليل على ذلك واضح مما اكتشفه العلماء من آثار فى « تنجانيقا » و «أوغندة» و « جنوب السودان » . ورغم ذلك كله لا يوجد دليل قاطع يدفعنا الى أن ننسبهم الى الزنوج الافريقيين الموجودين فى غابات وسط أفريقية .

وقد ثبت فعلا أن المواطنين فى جنوب وغرب الساحل بمنطقة ((الكاب)) لم يكونوا الا ((البوشمن)) الذين اعتادوا حياة خاصة متبعين فى ذلك بعض تطورات الحضارة الملائمة المنطقة الساحلية التى حلوا بها ويمتاز البوشمن بمظهر خاص يفرق بينهم وبين أى جنس آخر باستثناء الهوتنتوت .

الصفات الجسمانية :

قصر القامة التى تبلغ حوالى ٦٠ بوصة ، والأيدى والأقدام صغيرة ، وبشرتهم صفراء تميل الى السمرة ، وجلد أجسادهم مجعد وشعر الرأس قصير يتكور فى عقد صغير فيترك أجزاء جرداء بين هذه العقد ، والرأس متوسط هابط القمة والوجه مسطح ، والجبهة بارزة والأنف أفطس والعينان ضيقتان والأذن بدون « صرصور » وكلما اتجهنا شمالا يزداد طول القامة ويغمق لون الجلد ويكبر الرأس والوجه نتيجة لاختلاطهم «بالبانتو» .

خسارة علمية :

ومما يدعو الى الأسف أن عادات هذا الجنس الاجتماعية لم تدرس ولم تبحث بحثا وافيا منذ حوالى ثلاثة أجيال وذلك قبل الصراع بين هذا الشعب وبين الجنس الأبيض الذى تحالف مع البانتو لمحاربة البوشمن لتقليل عدده وهدم حضارته .

أقسام البوشمن :

ينقسم البوشمن الى ثلاثة أقسام رئيسية : —

١ — **البوشمن الشماليون .**
٢ — **الجنوبيون .**
٣ — **سكان الوسط .**

وينقسم كل قسم الى عدد من القبائل المتفرقة وكل قبيلة تتكلم لغتها الخاصة وتحمل اسما خاصا . وعلى الرغم من هذا فانهم جميعا يشتركون فى الاحتفالات .

النظام الاجتماعى :

والبوشمن نظام اجتماعى بدائى خاص . فالمجتمع عندهم هو الجماعة التى يتراوح عددها بين ٥٠ ، ١٠٠

شخص ، وتتجمع هـذه الجماعات الصغيرة فى وحدة تسمى القبيلة التى يكون لها غالبا لغة موحدة . وبالرغم من هذا فان كل جماعة فى هذه القبيلة تكون مستقلة عن الجماعة الأخرى . اذ تدبر كل منها شئونها الخاصة بها .

وكل جماعة فى القبيلة مقسمة الى أسرات .

وكل أسرة مكونة من الزوج والزوجة والأولاد .

والسلطة فى الجماعة تكون لأكبرهم سنا ، وأمهرهم ، وأقواهم عقلا ، وفى بعض قبائل الشمال الغربى يتزعم كل جماعة زعيم وراثى لايملك أى نفوذ الا فى قيادة الجماعة فى الحروب والصيد .

طرق المعيشة :

ان حياة البوشمن تعتمد على جمع الجذور ، والتقاط الفاكهة ، والديدان ، وصيد الحيوانات ، ولا يعرفون الزراعة أو تربية الماشية معرفة تجعلهم يعتمدون عليها من الناحية الاقتصادية . وهذه الحياة .. تستدعى الرحلة والانتقال والتجوال فى حدود خاصة متفق عليها بين هذه الجماعات .

المسكن :

يسكن البوشمن منازل نصف دائرية فى أكواخ مصنوعة بطريقة غير منتظمة من جذوع الأشجار ، ويقوم النساء بعملية بناء هذه المساكن التى تقام دائما بجوار موارد المياه ، وكل عائلة لها مسكن خاص .

السهام المسممة :

تستعمل قبائل البوشمن الكثير من الأسلحة والأقواس ، والأسهم المسممة التى يسقونها السم المستخرج من الثعابين وبعض النباتات ويستعملون كذلك الحراب ، والعصى المدببة للصيد «والفخاخ» لصيد الحيوانات .

النساء :

الوظيفة الرئيسية للنساء هى جمع الخضراوات والفواكه وتضع المرأة غطاء يحفظ عورتها من الأمام والخلف وتتزين بحلقات مصنوعة من الصدف .

هذا وتتميز بعض القبائل بعضها عن بعض بالخطوط الملونة باللون الأسود والأحمر على وجوههم .

الاحتفالات والطقوس :

يقوم البوشمن بعمل الاحتفالات والطقوس الدينية عند بلوغ أولادهم سن الرشد وهم لا يعرفون «الختان» . وعندما يبلغ الصبية سن « البلوغ » يؤشر على جباههم بخطوط هى عبارة عن جروح بواسطة أطباء القبيلة ويعيشون بعد ذلك فى عزلة لمدة شهر أو شهرين يعملون خلالها أعمالا شاقة تحتاج اليها القبيلة ، والبنات كذلك يقمن فى مدة العزل بعمل أنواع خاصة من الطعام .

وتقام عند بعض القبائل فى الجنوب العربى طقوس دينية عمادها الرقص من نوع خاص وفى أثنائه يلبس الذكور قرون الحيوانات على رءوسهم ، وبعد هذا الاحتفال يسمح لهؤلاء الصبية والبنات بأن يتزوجوا .

الزواج :

ان نظام تعدد الزوجات بين قبائل « البوشمن » شائع وغير ممنوع ، وفى بعض القبائل يستطيع الصبى اختيار عروسه من جماعة غير جماعته ، ومن شروط الزواج أن العريس يجب أن يقدم رداء خاصا من الجلد يسمى

« الكروس » ؛ ويشترط فى بعض القبائل أن يصطاد الزوج ثورا وحشيا ويقدمه هدية الى أهل عروسه فى حفل الزواج .

ويعيش العروسان بعد زواجهما عدة شهور مع أهل العروس . ويتبع الأطفال دائما آباءهم ، والأرامل يتزوجون مرة ثانية والزوج الثانى مسئول عن أطفال الأرملة ، واذا لم تتزوج الأرملة فان أهل زوجها يتحملون مسئولية أطفالها.

قتل الأطفال :

من عادة البوشمن أن يفترق الأخوة الصبيان عن أخواتهم البنات عند البلوغ ويحظى الطفل بعناية أمه مدة ثلاث أو أربع سنوات من العمر ..

واذا أنجبت الأم طفلا آخر قبل أن يبلغ الأول سنته الثالثة فانه يقتل ولذلك نجد المتوسط الأعلى للأطفال فى الأسرة ثلاثة أطفال .

دفن الموتى :

عند الممات تدفن الجثة بجانب الكوخ والركبتان مرفوعتان الى أعلى وتوضع كل أمتعة الرجل ومخصصاته بجواره ، ثم ترص الحجارة على المقبرة لتحميها من نبش الحيوانات .

التشريط عند البوشمن :

يوجد من البوشمن رجال ونساء متخصصون فى الطب ومهمتهم الأساسية هى القيام بعمل التشريط فى الطقوس الدينية الخاصة بسن البلوغ .

عقائد البوشمن :

والعقيدة المعروفة عند البوشمن هى عبادة القمر وبعض الأحجار ولهم بعض الآلهة وكل اله له اسم خاص : كما يعتمدون فى حياتهم على الصيد .

الرقص :

والرقص هو شعار الفرح عندهم وهو الوسيلة المتبعة عندهم للتسلية واقامة بعض شعائرهم الدينية ، ويتبعون فى الرقص طرقا مختلفة ، فمنها تقليد بعض الحيوانات أو الأشخاص الذين يقدسونهم ، وفى بعض الأوقات يلبسون الجلود ، ولهم الحان يتغنون بها ، وهم يستعملون الطبول فى أفراحهم وعباداتهم .

والبوشمن الجنوبيون يعتبرون أكثر القبائل رقيا تدل على ذلك النقوش الموجودة على جدران أكواخهم الصخرية والأوانى التىيخزنون فيها المياه ، وهى تمثل مناظر الرقص وبعض مشاهد الطقوس الدينية ، وبعض الآلهة المشبهة بأشخاص لها رءوس الحيوانات .

الاختلاط :

ولم يحدث اختلاط البوشمن بالأوروبيين تغييرا ما فى عاداتهم أو حياتهم البدائية التى يعيشونها ، ولم يستطع البوشمن التعود على الزراعة أو التجارة .

الاستعمار :

زحف الاستعمار الى البوشمن .. فاتخذ منهم الخدم ، والعمال ، وهم يقومون بواجبهم على الوجه الأكمل اذا عوملوا بلطف ولكنهم يهلكون بسرعة اذا عوملوا بقسوة وعنف ، لأنهم لم يتعودوا مثل هذه الحياة وبوصول الجنس الأبيض الى جنوب أفريقية اضطر البوشمن الى الخروج من أماكنهم التى استوطنوها أحقابا طويلة من الزمن وعاشوا مضطهدين من جيرانهم الذين حاربوهم وغلبوهم على أمرهم .

كينيا في صور

مع أن ((كينيا)) تعيش اليــوم فى مأساة دامية . فمواردها فى يد الانجليز ، وحقوقها السياسية مهدرة ، وقادتها خلف القضبان ، وأرضها الجيــدة فى أيدى الغاصبين . الا أن شيئا واحدا فيها لم يصبه التدمير . فهو فى لمعــة الغضب ، وترصــد الرمح ، وتجمــع القبضة . ثم فى الغابات الكثيفة التى تتجمع حول هذا السر الكبير .. ((سر الحرية !!)) .

ولقد ضحى الكثيرون من أهل هذه البلاد من أجل هذه الحرية ، وتشهد بذلك السجون التى تضم الكثيرين ، كما تضم القــائد الافــريقى العــظيم ((جوموكنياتا)) ، ولكن الصحو الآن بدأ يغمر كل مكان فى هــذه البلاد ، وبدأ كل مواطن يفضل الموت على الحياة بدون حرية ، ومن هنــا خــرج مــن أعمــاقهم قادة يعبرون عن آمالهم ، وحقهم فى الحياة ، ومن هؤلاء القادة الذين تسلموا المشــعل مــن ((جوموكنياتا)) الزعيم الشاب ((توم مبويا)) وقد صرح أخيرا بمعنى كبير من المعانى الانسانية فى قوله ((.. فى الوقت الذى نؤكد فيه أن كل شىء فى هذه البــلاد ينتمى الى الافريقيــين . نؤكد أننا لا نسعى لكى نخرج الى الوجود عنصرية سوداء . فكينيا المستقبل لن تسمح لسيادة شىء فيها سوى الحقوق الديمقراطية . ومن هنا فسيعامل كل أبيض كما أعامل أنا ، وكما يعــامل أولادى تماما نعم لن نعاملهم كما عاملونا لأن افريقية عادلة !!)) .

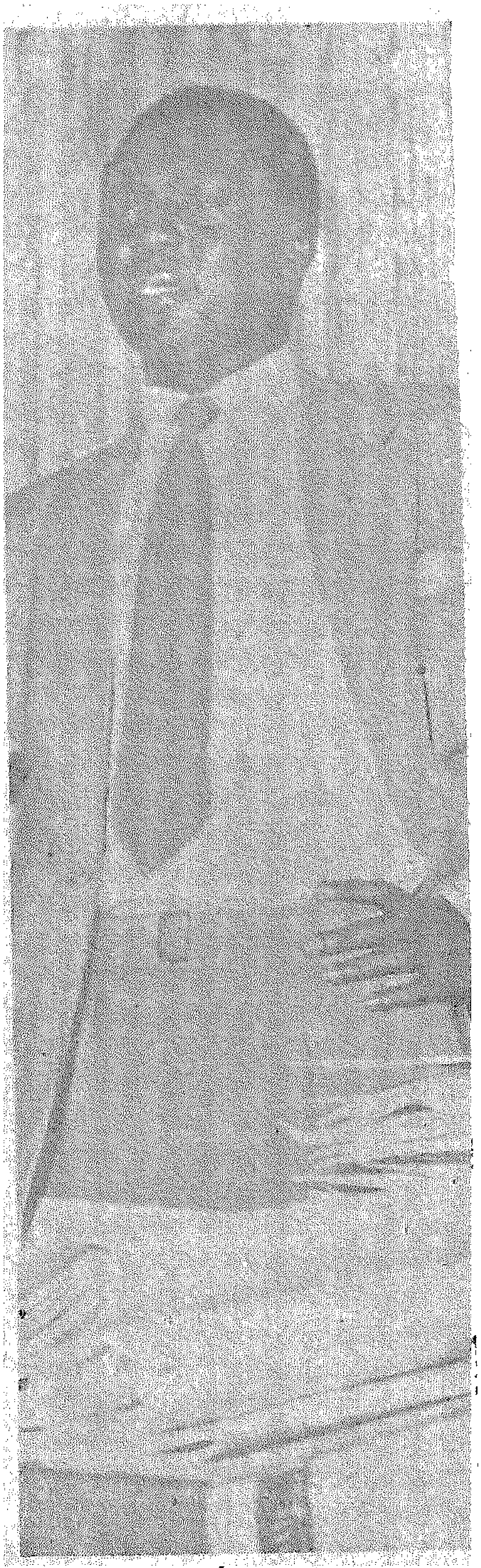

توم مبويا

جوموكنيـاتا يصافح أحد المواطنين بين الحراس

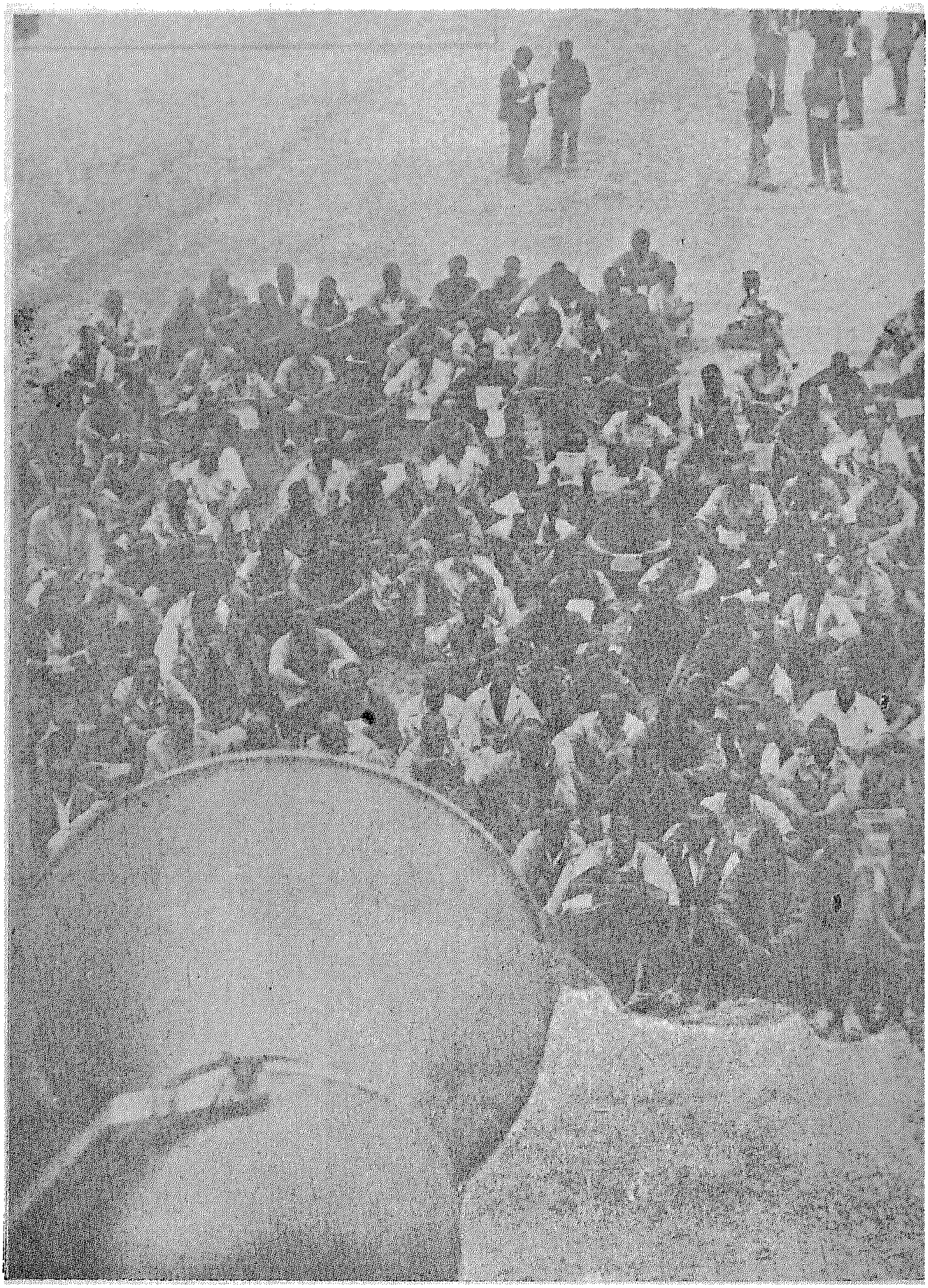

أحد السجون الذى يضم مئات من الكينيين

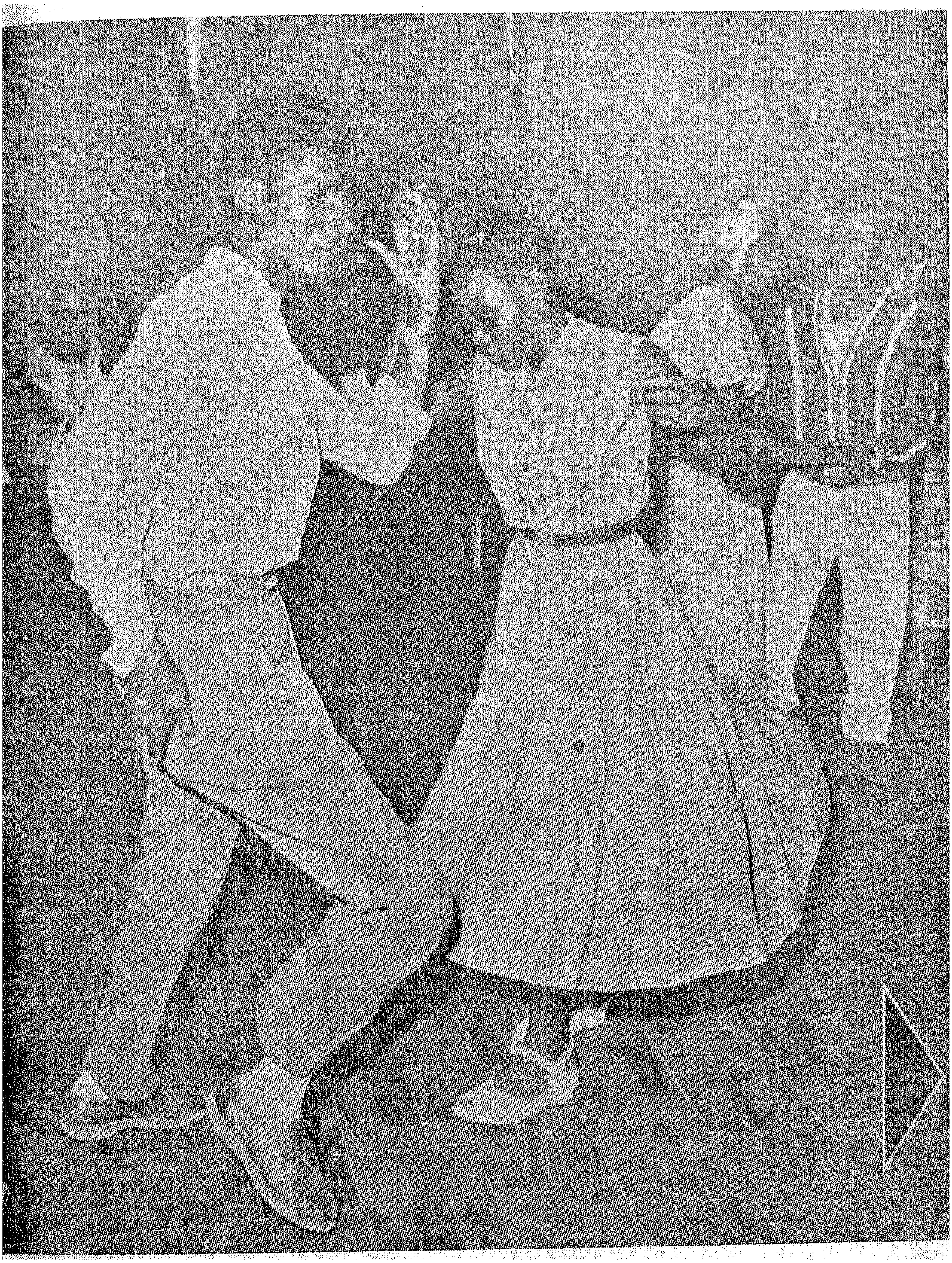

جانب من جوانب المرح

لمحة من تاريخ مراكش

يرجع تاريخ مراكش الى الماضى السحيق فان البقايا الكثيرة من الآثار المتحجرة والرسوم المحفورة على الصخر والكهوف السكنية وآثار العصر الحجرى لتقوم دليلا على وجود الانسان فى مراكش فى عصور ما قبل التاريخ والبربر هم أول الأجناس التى عرفت بسكنى مراكش وكانوا يسمون أنفسهم بالأمازين أو الرجال الأحرار وأصلهم الحقيقى مازال مجهولا وقد مارس هؤلاء البربر الزراعة والرعى وكانوا يتكلمون لغتهم الخاصة بهم والتى يمكن تتبع بقاياها فى اللهجات المراكشية المحلية فى وقتنا هذا كما كانوا على صلة بشعوب البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور وفى القرنين الثالث عشر والرابع عشر قبل الميلاد قاموا بغزو الدلتا وحاربوا المصريين الذين كانوا يعرفونهم باسم الليبيين ولقد كان للبربر ثقافتهم الخاصة . ونظمهم الاجتماعية التى يمكن تتبع آثارها فى مراكش اليوم وخصوصا فى بناء القرى وصناعة الأوانى الخزفية والنسيج والصناعات اليدوية التقليدية وهم نفس الناس الذين يعرفهم اليونان والرومان تحت اسم النورمنديون أو المغاربة وبمرور الزمن وتوالى العصور اختلط هؤلاء القوم بالمهاجرين الجدد من الشرق والجنوب والأندلس وكونوا مايعرف الآن بالشعب المراكشى أو المغربى ويحتمل أن يكون الفينيقيون هم أول من اكتشف مراكش من الأجانب فى الماضى كما كانت ميليلا أول ميناء لهم فى الطريق الى قادش ثم تبعهم القرطاجنيون فأقاموا محطات تجارية عديدة على امتداد الساحل تشمل تطوان وطنجه وأرزيلا ولاراش وشيلا كما قام الرحالة القرطاجنى هانو فى القرنين السادس والسابع قبل الميلاد برحلة بحرية الى سيراليون أقام أثناءها مراكز تجارية فى المهدية وموجادير وغيرهما من الأماكن على امتداد ساحل المحيط الأطلنطى ولقد اكتشفت فى العصور الحديثة بقايا هامة للمدنية اليونية فى طنجة ولكسوس .

ولقد تبع القرطاجنيون الرومان الذين تركوا آثارهم فى المدن العديدة العظيمة التى أقاموها فى طنجه ولكسوس وشيلا وتامودا وثاموسيدا وباناسا وخاصة فى ڤوليوبوليس كما منح الامبراطور أغسطس مدينة طنجه حقوق وامتيازات المدينة الرومانية .

وفى عام خمسة وعشرين قبل الميلاد حكم جوبا الثانى — وهو من البربر الذين تثقفوا بالثقافة الرومانية والذى تزوج كليوباترا سيلسينا وهى ابنة أنطونيو وكليوباترا ملكة مصر — كل الأراضى التى كانت معروفة فى ذلك العهد باسم موريتانيا الشرقية واتخذ ڤليوبوليس

عاصمة له وكانت ڤليوبوليس تقوم على مساحة أربعين فدانا تغطيها المبانى الفخمة والقصور الشاهقة والمعابد الضخمة والأسواق الغنية المزدهرة ولقد اغتال الامبراطور الرومانى كاليجولا بطليموس ابن جوبا الثانى فقامت بعد ذلك ثورة محلية انتهت بتقسيم ادارى جديد سنة ٤٤ بعد الميلاد وحكم فارس رومانى مقاطعتى تنجيتانيا وموريتانيا حتى القرن الثالث الميلادى ثم انهارت هذه الدولة وتبعها غزو من الساحل الشمالى فى القرن الخامس الميلادى .

وصول العرب

وحوالى منتصف القرن السابع الميلادى كان كل ما تبقى من المقاطعة الرومانية تنجيتانيا موريتانيا هو مدينة سيتا التى كان يحكمها كونت جوليان باسم امبراطور القسطنطينية ولم يحاول البيزنطيون طيلة مدة حكمهم اقامة أى سيطرة سياسية على المقاطعة ولكن نفوذهم الثقافى والتجارى كان يمتد جنوبا حتى مدينة ڤوليوبوليس كما دخلت المسيحية مراكش فى منتصف القرن الثالث الميلادى حيث حققت نجاحا ملحوظا ولهذا عندما وصل العرب من الشرق الى مراكش كان عدد المسيحيين واليهود كبيرا ولو أن الأغلبية الساحقة من السكان ظلت على معتقداتها الوثنية القديمة .

وفى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى حدث ما اعتبر نقطة التحول فى تاريخ مراكش وما ترك طابعه وأثره عليه طيلة الأجيال المقبلة ففى عام ٦٨٢ وبعد أن اجتاح القائد العربى عقبة بن نافع شمال افريقية كله وصل الى أبواب مدينة سيتا حيث قدم له حاكمها البيزنطى الكونت جوليان طاعته وخضوعه ومن سيتا اندفعت جحافل عقبة بن نافع المظفرة فى طريقها الى سوس ثم تقدمت غربا حتى وصلت الى شواطىء المحيط وتروى الأساطير أن القائد العربى المنتصر خاض بجواده أمواج المحيط وأشهد الله أنه لم تبق فى الغرب أراض يمتلكها ولا نفوس يهديها الى دين الاسلام . ولم يكن عقبة بن نافع ورجاله دعاة حرب وفتح وانتصار فحسب بل كانوا رسلا لنشر الاسلام واللغة العربية وسرعان ما انتشر الدين الجديد بين البربر وفى عام ٧٠٥ وصل جيش عربى آخر بقيادة موسى بن نصير فدعم ما حققه عقبة بن نافع من انتصارات حربية ودينية واجتماعية لدرجة أنه عندما قام القائد المسلم البربرى طارق لغزو الأندلس فى عام ٧١١ انضوى تحت لوائه آلاف المراكشيين وعبروا معه المضيق الذى يفصل شمال افريقية عن بلاد الاسبان ونزلوا على النتوء الصخرى البارز على شاطىء أسبانيا والذى ما زال يحمل اسم القائد العظيم وهو جبل طارق .

الأدارسه

اشتق اسم أول أسرة اسلامية حاكمة فى مراكش من اسم مؤسسها مولاى أدريس بن عبد الله بن الحسن ابن على من سلالة سيدنا على وزوجته السيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ترتب على هزيمة العلويين على يد الخلفاء العباسيين فى الشرق أن اتخذ مولاى أدريس من شمال افريقية ملجأ له وملاذا وعندما

وصل فى عام ٧٨٨ هـ الى شمال مراكش قابله رؤساء القبائل الذين كانوا يسكنون المدينة الرومانية القديمة « ڤوليوبوليس » بكل ترحاب واجلال ونظرا لما كان عليه مولاى أدريس من علم وحكمة وتقوى فقد امتد نفوذه الى القبائل المجاورة وعمت تعاليمه عن الاسلام كل المقاطعات المجاورة مما مكن أتباعه قبل أن يمر وقت طويل من تنصيبه ملكا على البلاد فذاعت شهرته وانتشرت تعاليمه وسادت النظم الاسلامية والثقافة العربية وفى عام ٧٩٣ توفى مولاى أدريس بعد أن دس له السم عملاء عدوه الخليفة هارون بن الرشيد ولازال جثمانه الطاهر مدفونا فى مدينة صغيرة تحمل اسمه وهى مركز الحج يحج اليه أتقياء المسلمين كل عام حتى أيامنا هذه .

وفى عام ٨٠٤ نصب ابنه أدريس الثانى الذى ولد بعد وفاة والده مولاى أدريس وتولى تثقيفه وتعليمه راشد أحد أتباع والده المخلصين ولما كان هذا الملك الصغير عبقريا موهوبا فقد سار على نهج والده بكل همة وعزم حتى وسع رقعة مملكته غربا الى نهر سيبو وشرقا الى سهول سيس كما نقل عاصمة ملكه الى مدينة فاس التى أصبحت مركزا للتجارة والثقافة فى مراكش لأجيال عديدة اذ تجمع فى هذه المدينة التى طبقت شهرتها الآفاق العلماء ورجال الدين والفنانون وجلهم من اللاجئين العرب الهاربين من الحكام العباسيين ولم يكن أدريس الثانى مؤسسا لمدينة فاس فقط بل انه أول من أقام الدولة المراكشية اذ انه وحد عددا من القبائل التى كانت مستقلة فى الماضى وجعل منها جميعا مملكة موحدة تقوم على أسس سياسية ودينية واجتماعية سليمة .

المرابطون

ثم جاءت أسرة المرابطين وهى ثانى أسرة عظيمة وليت حكم مراكش ويشتق اسمها من الكلمة العربية المرابطون أى أعضاء الرباط أو القوات المحاربة المرابطة هم رجال حرب أشداء جاءوا عبر الصحراء من السنغال وقد اعتنقوا الاسلام فى القرن التاسع الميلادى كما يعرفون أيضا باسم الملتمين نظرا لتعودهم وضع لثام على وجوههم وبعد أن أقاموا سلسلة من الحصون القوية التى كانوا يمارسون فيها شعائرهم الدينية وتمريناتهم الحربية اجتاحوا صحراء موريتانيا واحتلوا أقاليم الدرا والتافيلالت والسوس والتادلا المراكشية وفى عام ١٠٦٢ أسس قائدهم يوسف بن تاشفين عاصمة ملكه فى مدينة مراكش كما حاصر فاس عام ١٠٦٣ ثم امتدت فتوحاته الى نهر مولوايا شمالا ومن هناك عبر الريف الى طنجه وفى نفس الوقت كان الخيالة المرابطون يحملون رسالة الاسلام الى شواطىء نهر النيجر والى السنغال ومسينا وغرب نيجيريا . وعندما زاد ظلم الملك الكاثوليكى الفونس السادس وكثر اضطهاده لأمراء سيڤيل وبوداجوز وجيرانوا باسبانيا استنجد هؤلاء بيوسف بن تاشفين الذى خف لنجدتهم ونزل باسبانيا واستأصل شأفة الجيوش المسيحية ثم ما لبث أن فرض سلطانه على كل الأندلس

فبدأ بذلك عهدا من التبادل الثقافي والعلمي بين الممالك الاسلامية في الأندلس وبين مراكش مما كان له أبعد الأثر في الحياة المراكشية والفكر المراكشي لأجيال عديدة تالية وفي القرن الثاني عشر جمل الملك المرابطي علي ابن يوسف مدن مراكش وفاس وغيرهما من مدن شمال افريقية بالمباني الفخمة والآثار العظيمة على النظام الأندلسي كما قام غيره من ملوك المرابطين بحفر الترع والقنوات وغرس الحدائق في طول البلاد وعرضها وما زال اسم يوسف بن تاشفين مذكورا خالدا ليس فقط من أجل فتوحاته وانتصاراته فحسب بل وأيضا لكروم النخيل الشاسعة التي غرسها والتي لا تزال باقية في مراكش حتى يومنا هذا .

الموحدون

بعد أن دالت دولة المرابطين بعد حكم ملكهم علي بن يوسف خلفتهم في حكم مراكش أسرة جديدة عرفت باسم الموحدين وهم كأسلافهم المرابطين كانوا مصلحين دينيين يقوم مبدؤهم الديني على ايمانهم بوحدانية الله ومن هذا المبدأ اشتق اسمهم فعرفوا بالموحدين ولقد أسس هذه الأسرة ابن تومرت وهو أحد أبناء عشائر مسعوده العظيمة في جبال أطلس العليا فبعد أن تلقى العلم في الجامعات الاسلامية في الأندلس ومصر وسوريا رجع ابن تومرت الى تنبال في جبال أطلس كمصلح ديني وسياسي وتمكن في عام ١١٢٥ من تأسيس أسرة حاكمة خلفت أسرة المرابطين في الحكم ولقد تمكن ابن تومرت من اقامة دولة نظامية في جبال أطلس لها مواردها المالية المنتظمة التي كان يجبيها من الضرائب ولها جيشها القوي النظامي من المحاربين المتدينين الأشداء . وجاء بعده خليفته عبد المنعم الذي لقب عند تنصيبه ملكا بلقب أمير المؤمنين فواصل فتوحاته وانتصاراته الحربية كما نجحت خطته السياسية فوحد كل الأقاليم المراكشية تحت سلطانه كما استولى على المدن الرئيسية في الأندلس والجزائر وتونس وليبيا حتى أن الصلوات كانت تقام باسمه في الجوامع من تريبولي حتى قرطبة ولقد كانت هذه الفترة هي العصر الذهبي لتاريخ مراكش فقد أسس الملك عبد المنعم أعظم امبراطورية اسلامية في الغرب وجدت حتى الآن كما نجح في أقامة هذه الامبراطورية الاسلامية العظمى على أسس اجتماعية واقتصادية ثابتة كما نشر العدل والنظام والقانون في ربوع امبراطوريته الشاسعة .

ثم أعاد نظام الضرائب الذي بدأ في عهد الرومان كما كون أسطولا بحريا قويا وكذلك أسس المدارس والجامعات ونشر الثقافة الأندلسية في كل شمال افريقية .

ولقد كان أول خلفائه جديرا به اذ تولى أبو يعقوب يوسف الحكم من عام ١١٦٣ — ١١٨٤ وكان ملكا قويا محبا للفلسفة والفنون جمع في بلاطه أساطين العلماء ومشاهير الفلاسفة من كل المراكز الاسلامية في العالم وفي عام ١١٨٤ خلفه أبو يعقوب يوسف المنصور وظل ملكا حتى ١١٩٩ فأقام التحصينات على الحدود الشرقية للمملكة كما هزم الكاستيليون في موقعة الكاروس عام ١١٩٥ وخصص كل ما جمعه من غنائم وأسلاب في هذه

الحرب لاتمام المباني الشاهقة التي بداها والده ولاقامة العمارات الضخمة التي انشأها هو مثل الجامع العظيم الذي يعرف في مدينة الرباط باسم برج حسن كما نقل الموحدون عاصمة ملكهم الى مدينة الرباط حيث لا تزال بقايا الجامع العظيم ــ وقد مات يعقوب المنصور قبل أن يتم بناءه ــ تقوم دليلا ناطقا على ما بلغته هذه الأسرة من عظمة في فن البناء والمعمار كما يشهد بذلك أيضا برج جيرالدا وجامع الكتبية في مراكش .

وكذلك اشتهر الملوك الموحدون والسرينديون من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر بأنهم رعاة العلم والعلماء ولقد ظهر في عهدهم من مشاهير العلماء العالميين ابن رشد وابن طفيل الفيلسوف والادريسي العالم الجغرافي وابن خلدون المؤرخ وابن بطوطه الرحالة وكلهم اما من أبناء مراكش أو ممن ذاعت شهرتهم وظهرت كفاءتهم فيها .

المرينديون

عندما بدأ الملوك الموحدون في الضعف والانهيار طلبوا المعونة والمساعدة من شعب شديد قوي في الصحراء يعرف بالمرينديين وقد تمكن هؤلاء في منتصف القرن الثالث عشر من تولي حكم مراكش وكان ملوك هذه الأسرة الأوائل من الاداريين الحازمين والمحاربين الأشداء فأقام أول ملوكهم أبو يحيى (١٢٤٨ ــ ١٢٥٨) عاصمة ملكه في مدينة فاس ومهد الطريق لابنه أبو يوسف يعقوب الذي وسع حدود مملكته فشملت درا وسوس كما نجح في اجلاء الأمراء المسيحيين عن المدن الرئيسية في الأندلس ثم اتجه أبو يوسف يعقوب الى الشرق فامتد ملكه الى وسط الجزائر .

ومع هذا فقد اشتهرت أسرة المرينديين كما اشتهرت أسرة الموحدين بأنهم يجمعون الى شهرتهم الحربية وقدرتهم على الحكم والتنظيم حبهم للبناء والتعمير ورعايتهم للفنون والعلوم .

ولقد انفرد ملوك هذه الأسرة بقدرتهم على الانشاء والتعمير وتشجيعهم للفنون حتى أنه لا تخلو مدينة واحدة من مدن مراكش من أثر من آثارهم كما أن أبو يوسف أول ملوكهم قد أنشأ بمفرده مدينة جديدة بالقرب من العاصمة فاس عرفت باسم فاس الجديدة .

ثم شيد فيها جامعا وقصرا وأسكن فيها قواته المحاربة وخدمه وحشمه المدنيين كما شيد في كل مدينة من المدن المراكشية فاس ومكناس وسيل ومراكش وسيتا جامعا ومدرسة . ومن أعظم ملوك هذه الأسرة أبو الحسن الذي عاش من سنة ١٣٤١ الى ١٣٤٩ وكان المهندسون والمعماريون ورجال الصناعة في عهده أحب الناس اليه وأكثرهم حظوة عنده ويقال أنه كان يجمعهم من بعيد وقريب ويسكنهم في أحسن المساكن ويكسوهم أفخر الثياب ويدفع الملل عنهم أثناء عملهم بالفرق الموسيقية التي تسمعهم أعذب الألحان وبمشاهير المطربين الذين يغنون لهم بأصوات شجية أحلى الأغاني فلا عجب اذن وهم يعملون في مثل هذه الظروف المؤاتية أن كان انتاجهم من الحمامات

والفنادق والنافورات والمستشفيات والكبارى والحصون والمبانى العامة اما لم يسبق له مثيل فى الفن والجمال والأبهة والعظمة وبينما كانت أسرة الموحدين تبنى الأبنية القوية الضخمة من أجل الحرب والعقيدة كانت أسرة المرينديين تبنى من أجل الجمال والفن كما كانوا يشيدون على مهل وبدون عجلة ورغبتهم انتزاع الاعجاب والتقدير من كل من يشاهد مبانيهم ولقد قدم هؤلاء لفن المعمار فى شمال افريقية ما قدمه القوط لهذا الفن فى أوربا ومن عجب أن ذلك تم فى عهد متقارب واحد هنا وهناك .

كذلك نشط المرينديون فى تجارتهم فى أوربا كما اتخذوا الوسائل لمقاومة خطر قراصنة البحر المتزايد ولقد حدث مرة أن نجح القراصنة الأسبان فى دخول مدينة سيل وفى حمل الغنائم والأسلاب منها فلم ينس المرينديون هذا الدرس أبدا ثم بدأوا فى اقامة بوابة هائلة على النهر الموصل للمدينة حتى يمكن للسفن المراكشية وقت الخطر أن تدخل الى المدينة فى حراسة أسوار المدينة ولا شك أن هذا العمل قد أثبت أهميته وفائدته خلال القرون المتعاقبة فى وقت لم تكن فيه قوانين موضوعة للبحار كما كانت القرصنة من الأخطار الشائعة ضد التجارة الدولية .

السعديون

فى أواخر القرن الرابع عشر ازداد ظلم الأمراء المسيحيين فى الأندلس كما زادت هجرة العرب من الشرق الى مراكش مما كان يتطلب سياسة حكيمة ونظاما حربيا قويا لم يتوفرا الملوك المرينديين فلانت شوكتهم وضعفت قوتهم رغم كثرة عددهم ووفرة مواردهم فورثتهم فى الحكم أسرة قوية جديدة من درا استولت على مقاليد الحكم وتركت طابعها وأثرها فى تاريخ الأمة المراكشية .

ولقد تميزت هذه الفترة أيضا بحدث هام هو هجرة المسلمين من أسبانيا بعد أن طردهم الأمراء هناك واستيطانهم فى مراكش واضافتهم عنصرا جديدا لسكان مراكش الأصليين كما نجح الأسبان والبرتغاليون فى القرن الخامس عشر فى اقامة محطات وحصون فى نقاط مختلفة على سواحل مراكش وازاء هذا الخطر المتزايد من الغزو الأجنبى لمراكش هبت حكومة السعديين وكان أول الأعمال الجليلة التى حققتها هى طرد الغازين واقصائهم عن مراكش فبعد أن هزموا سوس عام ١٥١٠ احتلوا مراكش ١٥٢٠ وفاس عام ١٥٤٨ كما نجحوا فى طرد البرتغاليين من أغادير عام ١٥٤١ ومن أجلائهم عن سافى وازيمور حتى لم يبق للبرتغاليين عام ١٥٧٨ سوى حصن مازاغان كذلك حصن السعديون حدودهم الشرقية ضد الأتراك الذين كانوا قد احتلوا فى ذلك العهد باقى شمال افريقية .

ولقد كان أحمد المنصور الملقب بالذهبى أعظم الملوك السعديين وقد حكم مراكش من ١٥٧٨ الى ١٦٠٣ وقد نجح فى حفظ مراكش سليمة من الغزو التركى كما قوى الحصون الاستراتيجية على طول حدود مملكته وكذلك أعاد تنظيم الجيش على النظام التركى كما شجع صناعة السكر من

القصب فى اقليم سوس وهاوزمما فتح لمراكش أسواقا مربحة فى أوروبا الغربية كما سير حملة الى تمبكتو فى السودان سنة ١٥٩١ فعادت منتصرة محملة بالغنائم الهائلة من الذهب والعاج والنفائس الأخرى ولقد استغل هذه الأسلاب فى تجميل عاصمته مراكش حيث بنى مدفنين جميلين باقيين حتى الآن يضم أحدهما رفات والدته الليلى مسعوده كما يعتبر الآخر من نفائس فن المعمار فى مراكش ويقوم دليلا على ما بلغه هذا الفن من جمال وفخامة ودقة فى هذه الفترة وفى ردهات هذا المدفن ترقد رفات سلاطين السعديين وعائلتهم ومعهما جثمان أحمد المنصور الذهبى نفسه .

العلويون

أما الأسرة الحاكمة التى قدر لها أن تتولى حكم مراكش خلال الثلثمائة سنة التالية والتى ينتسب اليها جلالة الملك محمد الخامس الذى يتولى حكم مراكش الآن فقد نشأت فى سجلماسة العاصمة القديمة لمقاطعة تافيلالت وكانت هذه الأسرة تحيا حياة الزهد والتقوى والتعبد حتى أخرجها انحلال آخر ملوك السعديين من عزلتها فنهضت تبشر باصلاح دينى عاجل وسرعان ما تمكنت من السيطرة على مراكش كلها .

وكان مولاى رشيد أول ملوك هذه الأسرة وخلفه مولاى اسماعيل الذى أتم الفتوحات التى بدأها والده ودعمها مما جعل اسمه مشهورا معروفا فى العالم المتمدين ولقد كان مولاى اسماعيل مُعاصرا للملك لويس الرابع عشر فى فرنسا . وقد تربع على عرش مراكش من عام ١٦٧٢ حتى ١٧٢٧ ونظرا لما اتصف به من عقيدة دينية سليمة وروح وطنية وثابة وطاقة هائلة من النشاط وعزيمة حديدية لا تلين فان ما حققه من وحدة وما أقامه من نظم ادارية حازمة وما كونه من جيش نظامى قوى قد حفظ لمراكش حريتها واستقلالها من الغزو الأوروبى والغزو التركى كما حصن كل المواقع الحربية الهامة فى المملكة وخاصة المدخل الاستراتيجى لنهر سيبو فى المهدية كما أسس مدينة مكناسه واتخذها عاصمة لملكه وما زالت أسوارها الشاهقة وقصورها الفخمة وغيرها من الآثار تشهد بعظمة هذا الملك العظيم فى البناء والتعمير كما تنطق الحصون التى شيدها والقناطر التى أقامها وثكنات الجنود التى بناها والجوامع والمدارس التى أسسها بعظمته الحربية وقدرته الفائقة فى التنظيم والتدبير . وفى عهد مولاى اسماعيل تم لمراكش اجلاء الأسبان عن آخر حصونهم فى المدينة الساحلية لاراتش كما تحقق لها استرجاع طنجه عقب جلاء الانجليز عن هذا الميناء عام ١٦٨٤ كما فكر هذا الملك العظيم فى عقد تحالف حربى مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا ضد اسبانيا ولكن المفاوضات فشلت نظرا لعدم رغبة ملك فرنسا فى الوقوف ضد ملك كاثوليكى مثله وبعد أن ساد الضعف عقب وفاة مولاى اسماعيل عام ١٧٧٢ لفترة من الزمن عاد الى مراكش عهد من القوة والاستقرار على يد السلطان العلوى مولاى سليمان الذى تم فى عهده عقد عدد من المعاهدات والاتفاقيات التجارية

مـع دول أوروبـا العظمى كمـا أدركت مراكش عظمة الولايات المتحدة الأمريكية وهى دولة ناشئة حين ذاك فعقدت معها أول معاهداتها عام ١٧٨٦ كما تحالف السلطان مولاى عبدالرحمن مع آخر حكام الجزائر المستقلين الأمير عبدالقادر فى صراعه ضد الغزو الفرنسى وعقب الهزيمة فى موقعة أزلى اضطر الملك المراكشى الى الكف عن القتال واحتـل الفرنسيون كـل الأراضى الجزائرية عام ١٨٤٤ كمـا فرضـوا الحماية على تونس عام ١٨٨١ ثم ركزت الدول الأوروبية مدفوعـة بجشعهـا الاستعمارى جهودها على مـراكش وبدأت محاولاتها للتدخل فى شـئون مراكش الداخلية وبعـد عـدد من المعـاهدات السرية والعلنيـة تمكنت الدول الأوروبية من فرض سياسـة الباب المفتوح على مراكش مما أثر فى تجارتها ثم تمكنت الدول الأوروبية من عزل مراكش وفتحت بذلك الطـريق الى فرض الحمـاية الفرنسـية على مراكش عام ١٩١٢ ولقد دامت هذه الفترة من الحكم الأجنبى اربعة وأربعين عاما . وكذلك احتل الاسبان بالاتفاق مع الفرنسيين الجزء الشـمالى مـن مراكش كما وضعت طنجة تحت اشراف لجنة دولية . ولقد طالب المراكشيون بقيادة عبد الكريم بالاستقلال فى اصرار وعناد وقاتلوا فى حرب الريف من أجله من عام ١٩٢١ حتى عـام ١٩٢٦ ثم تجدد الصراع من أجل الاستقلال التام لمراكش وفى الثانى من مارس سـنة ١٩٥٦ استرجعت مراكش سيادتهـا الكاملة بزعامة وقيـادة الملك العلوى صاحب الجلالة محمد الخامس الذى بدأ صفحة جديدة فى تاريخ مراكش العريق الطويل .

ترجمة عزيز عبد الملك . عن الانجليزية

للشاعر الافريقى ((ارماتو))

لقد رأيت مـرة صبية سـوداء وجميلة
جالسة على جانب الطريق حزينة وحيـدة
فقلت لها :

أيتها الصبية الصغيرة السـوداء الجميـلة
لم تجلسين على جانب الطريق وحيدة حزينة ؟
فـاجابتنى : ((لست حزينـة ولا وحيـدة
ولكنى أعيش يا سـيدى بين الصم والبـكم
أرقب بضجر هؤلاء الموتى الذين لا يسـتحون
مما يجعل قلبى الشاب يبرد ويكف عن الخفقان)) .
أن الهنا أسود !

للدكتور : علي ابراهيم عبده

تقع روديسيا فى النصف الجنوبى من قارة افريقية ،ولا تطل على البحر، ويحدها من الشمال الكنغو البلجيكى ، ومن الشرق موزمبيق ونياسالاند ، ومن الجنوب اتحاد جنوب افريقية ، ومن الغرب مستعمرة جنوب غرب افريقية وأنجولا ،ويقسم نهر زمبيزى وروديسيا الى قسمين :

أولا — روديسيا الشمالية :

ومساحتها ٢٤٧ر٦٨٠ ميلا مربعا ، وعاصمتها مدينة لوساكا Lusaka التى ترتبط بخط حديدى مع الكنغو البلجيكى فى الشمال وبولاوايو Bulawayo فى الجنوب . ومن أشهر مدنها لفنجستون Livingstone وندولا Ndola ، وبروكن هل Broken Hill

وعدد السكان فى روديسيا الشمالية نحو مليونين ، منهم نحو خمسين ألفا من الأوروبيين . ويعيش ٨٥ فى المائة من هؤلاء الأوروبيين فى الشمال الغربى للمستعمرة بجوار خط السكة الحديدية والشمال الغربى من روديسيا الشمالية غير معروف تماما فيما عدا المناطق التى بها المزارع الكبيرة ومدن التعدين، التى تعتمد اعتمادا كبيرا فى غذائها على هذه المزارع . ويقطن نحو ألف من البيض الشمال الشرقى لروديسيا الشمالية ، وهؤلاء قصروا جهودهم على زراعة الدخان ،ومثلهم كمثل الأوروبيين فى كل المستعمرات الافريقية ، فهم المسيطرون على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية هناك . أما الافريقيون فليست لهم حقوق تذكر، اذ يملك البيض فى روديسيا الشمالية ٤٧ مليون فدان ، هى خير أراضيها مناخا وتربة . ويملك الافريقيون مثل هذه المساحة تقريبا مع أنهم نحو عشرة أمثال البيض . هذا بالاضافة الى أنه من الجائز اجلاء الافريقيين بعيدا عن أرضهم فى أى وقت اذا ما تطلب اكتشاف المعادن ذلك ، بدون مراعاة لأى اعتبار أو لظروف معيشة هؤلاء الافريقيين .

وعدد القبائل فى روديسيا الشمالية نحو خمسين قبيلة ، من أشهرها وأعظمها شأنا قبيلة الباروتشى Barotse التى تقطن منطقة باروتشلاند Barotseland ، ومنها قبائل التونجا والايلاولوسى . وقبائل لوسى أكثر هذه القبائل كلها تقدما . وعلى العموم فحالة هذه القبائل فى منتهى البؤس والشقاء ، لا من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل أيضا من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . فعلى الرغم من وجود مليونى افريقى فى روديسيا الشمالية ،كما سبقت الاشارة لا يوجد بها الا مدرسة ثانوية واحدة، كما لايوجد بها صحف افريقية على الاطلاق . ويلاحظ أن السلطات الاستعمارية البريطانية أنشأت هناك

محطة قوية للاذاعة ، تذيع باللغة الانجليزية وبلغات قبائل روديسيا الشمالية المختلفة . ولا نشك فى أن لهذه المحطة أثرا كبيرا على التوجيه الفكرى للافريقيين هناك .

والمناخ الاستوائى واضح تماما فى روديسيا الشمالية ، ولذلك فان جوها غير صحى ، اذ تنتشر بها امراض الملاريا والدوسنتاريا والحمى السوداء ، فيما عدا المناطق المرتفعة جدا فى الشمال .

وتعتبر روديسيا الشمالية من أغنى الأقطار الافريقية بالمعادن ، ففيها ثروة هائلة من معدن النحاس ، وهى احدى أقاليم العالم التى تنتج هذا المعدن بكميات وفيرة ، بل من المحتمل أن تصبح أكبر منتج للنحاس فى العالم كله . وبها أربعة مناجم رئيسية للنحاس ، هى بحسب ترتيب أهميتها شانجا وموفولريا ورون أنتيلوب وروكانا . وقد أخرجت هذه المناجم عام ١٩٥٥ نحو ٤٥٠ ألف طن من النحاس ، قدر ثمنها بنحو مائة وثلاثين مليون جنيه ، وهذا المبلغ يمثل ٩٣٪ من قيمة صادرات البلاد ، وبلغت الأرباح من هذه الكمية ٤٠ مليون جنيه . كما أن روديسيا الشمالية تنتج معادن الكوبالت والزنك والرصاص واليورانيوم بمقادير كبيرة .

ثانيا ــ روديسيا الجنوبية :ــ

ومساحتها ١٥٠٫٣٣٣ ميلا مربعا ، أى نحو نصف مساحة روديسيا الشمالية تقريبا . وهى تكون جزءا من هضبة جنوب افريقية . وارتفاعها يتراوح بين ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر . ومن أبدع المناظر فى روديسيا الجنوبية مناظر شلالات فكتوريا على نهر زمبيزى ، تلك الشلالات التى يزيد عرضها على ميل ، وارتفاعها أكثر من ضعف شلالات نياجرا . وهى متباينة الارتفاع فى أماكن مختلفة ، ويتراوح ارتفاعها بين ٢٥٦ ، ٣٤٢ قدما ويمكن سماع دوى هذه الشلالات من بعد عشرة أميال على الأقل . ورشاشها يرتفع لدرجة كبيرة حتى يمكن رؤيته من بعد خمسين ميلا . وتحيط بمنطقة الشلالات غابة كثيفة ، أصبحت مأوى أمينا لأنواع كثيرة من الحيوانات والطيور ، ولخصب التربة وتنوع المناخ فى روديسيا الجنوبية ينمو بها الكثير من المزروعات المختلفة . فتنتج هذه البلاد الذرة والقمح بكميات وفيرة . كما أن الدخان والبرتقال من أهم المحصولات هناك . وبسهول روديسيا الجنوبية أكثر من مليونين ونصف رأس من الماشية ، هذا بالاضافة الى أعداد كبيرة من الأغنام والماعز ، ولذلك أنتجت البلاد سنة ١٩٤٠ مليونى جالون من اللبن ، ومليون دستة من البيض ، ونصف مليون رطل من الزبد ، وكميات كبيرة من الجبن .

ومن ناحية الثروة المعدنية تنتج روديسيا الجنوبية من الذهب ما قيمته نحو ثلاثين مليونا من الدولارات سنويا . كما أن روديسيا الجنوبية تعتبر احدى دول العالم التى تنتج معدن الكروم بكميات كبيرة . كما تنتج أيضا كميات ضخمة من الفحم ومعدن الأسبستوس Asbestos والبلاتين . وعاصمة روديسيا الجنوبية هى مدينة سالسبورى ، وهى مدينة حديثة يبلغ

عدد سكانها نحو ٦٢ مليونا ، وتقع على الهضبة على ارتفاع ٤٨٦٥ قدما . ومن أهم مدنها أيضا بولاوايو Bulawayo ، التى يبلغ عدد سكانها نحو أربعين ألف نسمة . وعدد السكان فى روديسيا الجنوبية ٢٫٢٣٣٫٠٠٠ نسمة ، منهم ١٦٠ ألفا من البيض وكما فى روديسيا الشمالية هم المسيطرون على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى البلاد .

وقد بدأ التاريخ الحديث لروديسيا فى أواخر القرن التاسع عشر مع سيسل رودس ، أكبر شياطين الاستعمار فى افريقية ، فلم تكن روديسيا قبل ذلك منطقة معروفة من مناطق العالم المتمدين . ولم يكن يطرقها سوى بعض رجال الارساليات والتجار . ثم جاءها الرجل الأبيض من أرض اتحاد جنوب افريقية ، عندما انتشرت أنباء مناجم الذهب والمعادن النفيسة التى تحويها أرضها بين المغامرين . وكان قد سبق ذلك ما أشيع عن أنها أرض كنوز الملك سليمان التى ذكرتها الأساطير ، والتى شجع على تناقلها وجود خرائب زمبابوى Zimbabwe ، التى تقع على هضبة ماشونالاند Moshonaland المرتفعة ، والتى لا يعرف لها تاريخ ، وان كان يقال : ان قبائل هاجرت من جزيرة العرب أو من الهند فى القرن الثامن الميلادى هى التى قامت بانشائها . والملك الذى وجد رودس حين قدم البلاد أول مرة فى عام ١٨٨٨ اسمه لوبنجيولا Lobengula

وسيسل جون رودس انجليزى ، ولد فى ستراتفورد Stratford فى بمقاطعة هرفردشر Herfordshire فى ٥ يوليو سنة ١٨٥٣ . وكان والده قسيسا له اثنا عشر طفلا ، مات أحدهم من الاسراف فى شرب الخمر . وكان مفروضا أن ينضم سيسل الى السلك الكنسى ، ولكنه أصيب بمرض السل فنصحه الأطباء بالذهاب الى جنوب افريقية ، فهاجر الى ناتال سنة ١٨٧٠ ، وهو فى السابعة عشرة من عمره ، لا ليستشفى فحسب ، بل ليبحث أيضا عن الثروة والمال فى مناجم الماس . وعندما بلغ السابعة والعشرين أصبح مليونيرا ، وأنشأ شركة دوبير للتعدين De Beers Consolidated Mines Ltd. تلك الشركة التى أخذت تنمو الى أن أصبحت من أعظم شركات التعدين فى العالم ، ثم دخل ميدان التنقيب عن الذهب ، فأسس شركة مناجم الذهب ، واستطاع أن يسيطر على الشركات الأخرى التى تعمل فى هذا الميدان ، كما استطاع أن يوسع دائرة أعماله حتى شملت ما يسمى الآن باسم روديسيا . وفى عام واحد أصبح ملكا للذهب والماس فى جنوب افريقية . ودخل ميدان السياسة فأصبح رئيسا لوزراء مستعمرة الكاب فى سنة ١٨٩٠ . وكان رودس طموحا الى درجة كبيرة ، وفى بعض الأحيان وصلت أفكاره الى درجة الجنون ، فكتب وصية يضع فيها ثروته كلها تحت تصرف وزارة المستعمرات البريطانية للانفاق منها على جمعية سرية الهدف منها نشر الحكم البريطانى فى جميع أنحاء العالم ، وذكر أن من جدول أعمال هذه الجمعية السرية احتلال بريطانيا لكل أرجاء القارة الافريقية ، والبلاد المقدسة ووادى نهر

الفرات . وكل أمريكا الجنوبية وجزر المحيط الهندى التى لم تمتلكها بريطانيا العظمى بعد وجزر الملايو وشبه جزيرة الصين واليابان ، واسترداد الولايات المتحدة فى النهاية ، بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية البريطانية. وكتب رودس بحثا فى ضم عالم الكواكب والأجرام السماوية الى بريطانيا . ولم تقف مطامع رودس عند هذا الحد ، بل كان يحلم بانشاء خط حديدى يمتد من مدينة الكاب فى أقصى جنوب القارة الافريقية الى مدينة القاهرة فى الشمال ، وعرض أن يدفع من جيبه الخاص نفقات انشاء خط تلغرافى بين مدينة سالسبورى عاصمة روديسيا الجنوبية التى أسسها فى احدى حملاته وبين أوغندة . ومات رودس سنة ١٩٠٢ ، وهو فى سن التاسعة والأربعين ، وترك ثروة قدرها ٤٥ مليونا من الجنيهات ، ولم يترك ولدا واحدا . والمهم أنه استطاع فى سنة ١٨٨٨ أن يخدع ملك روديسيا ، الملك لوبنجيولا ، فيجعله يتنازل له عن مساحة من الأرض تبلغ نحو ٧٥ ألف ميل مربع فى مقابل مائة جنيه شهريا وألف بندقية وعدة صناديق من الذخيرة . والعجيب أن رودس بعد هذا الاحتيال على الملك ، أخذ عددا من أبنائه الكثيرين ليستخدمهم كخدم خصوصيين . ثم أنشأ رودس شركة جنوب افريقية لاستثمار الأرض الجديدة فى عام ١٨٨٩ ، وجمعت الشركة عددا من المغامرين ، ساعدتهم وفتحت أمامهم باب التقدم ، حتى تم للشركة فى مدة نحو سبع سنوات ضم كل روديسيا الجنوبية اليها ، وذلك بعد أن قامت حربان بين الشركة والأهالى الوطنيين ، الأولى كانت فى سنة ١٨٩٣ ، والثانية فى سنة ١٨٩٦ .

أما فى روديسيا الشمالية فيقال : ان زعماء القبائل تقدموا من تلقاء أنفسهم الى البريطانيين بطلب الحماية. وقد أطلق اسم روديسيا — نسبة الى سيسل رودس — على كل روديسيا باقليميها سنة ١٨٩٥ . وقد استمرت شركة جنوب افريقية البريطانية تحكم روديسيا الشمالية والجنوبية حتى سنة ١٩٢٤ ، أى السنة التى ضمت فيها روديسيا باقليمها الى التاج البريطانى ، وبذلك سد الطريق أمام أطماع البرتغاليين فى وصل مستعمرتهم موزمبيق فى شرق افريقية بمستعمرتهم أنجولا فى غرب افريقية .

أما نياسالاند فتقع فى شرق روديسيا الشمالية ، ويقع الجانب الأكبر منها على الشواطىء الغربية والجنوبية لبحيرة نياسا ، التى اشتق منها اسمها . ونياسالاند منطقة مستطيلة يبلغ طولها نحو ٥٢٠ ميلا ، ويتراوح عرضها بين المائة والخمسين ميلا . ومساحة نياسالاند ٣٦٫٨٢٩ ميلا مربعا ، وتتكون من عدة هضاب تفصلها عن بعضها وديان الأنهار التى تصب فى بحيرة نياسا . وأعلى هذه الهضاب هى هضبة ملانجى Mlange فى الجنوب ، التى يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠٠، ٧٠٠٠ قدم . وبحيرة نياسا نفسها على ارتفاع ١٦٤٥ قدما فوق مستوى سطح البحر. والأقاليم التى تقع على شواطئها رطبة جدا وغير صحية ، ولا تلائم سكنى الأوروبيين . وفى هذه الأراضى المنخفضة

تسبيا وفى وديان الأنهار تنمو النباتات المدارية بغزارة ، وخاصة طول شاطىء نهر شير Shire ، الذى يعتبر مصرفا لماء البحيرة ويصب جنوبا فى نهر زمبيزى . ويمتاز سطح الهضاب بالأعشاب ومجارى المياه والبحيرات والغابات الصغيرة . وهواء هذه الهضاب بارد منعش ، وأحيانا يسقط الصقيع أثناء الليل ، ولذلك يرغب المستوطنون البيض فى نياسالاند فى الاقامة هناك ، وفصل الأمطار فى نياسالاند يستمر من نهاية شهر نوفمبر الى نهاية شهر مارس ، ويتراوح متوسط المطر السنوى بين ٤٠ ، ٨٠ بوصة . وبالرغم من أن المناطق المرتفعة فى نياسالاند صحية المناخ ، فان مرضى الملاريا والحمى السوداء ينتشران فى المناطق المنخفضة وخاصة فى الوديان وعلى طول شاطىء بحيرة نياسا . أما الموارد الطبيعية فى نياسالاند فتختلف عن كثير من أجزاء افريقية الغنية بثروتها المعدنية، اذ أن نياسالاند تعتمد اعتمادا كبيرا على الزراعة ، ومن محاصيلها الرئيسية الدخان والقمح والقطن والأرز والشاى . وعدد سكان نياسالاند نحو ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة ، منهم أربعة آلاف من الأوربيين ، الذين يقطنون الجهات المرتفعة . **وأهم القبائل الافريقية فى نياسالاند هى قبائل الأنيانجا Anyanja ، ولهذا السبب جعلت الحكومة النيانجا Nyanja اللغة الرسمية للبلاد ، بالرغم من أنه توجد لغات كثيرة هناك ، منها لغات الياو Yao والتمبوكا Tumbuka والكوندى Konde والسواحيلى Swahili . وعاصمة نياسالاند هى مدينة زومبا Zomba ، التى يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة . ومن أشهر مدنها مدينة بلانتير Blantyre التى يبلغ عدد سكانها نحو تسعة آلاف نسمة ، وتقع على ارتفاع ٣٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهى مقر للجمعيات التبشيرية .**

ويعتمد تقدم نياسالاند لدرجة كبيرة على تقدم المواصلات بها ، بحيث يمكن ربط الأقاليم التى تنتج المحصولات بالبحر . وفى سنة ١٩٣٥ أنشىء كوبرى على نهر زمبيزى عند تشنديو Chindio ، تم بواسطته الاتصال عن طريق السكة الحديد بين بحيرة نياسا وميناء بيرا Beira فى موزمبيق . وبجانب الخط الحديدى يوجد فى نياسالاند طريق رئيسى معبد للسيارات طوله نحو ألف ميل ، وطريق آخر معبد ، ولكنه قصير يربط مدينتى بلانيتر وزومبا ببعضهما . وفيما عدا هذين الطريقين لاتوجد فى نياسالاند طرق مرصوفة ، وبقية الطرق القائمة فيها وعرة جدا ، والسير فيها نوع من المخاطرة بل هو مجازفة تماما فى موسم الأمطار . على أن هذه الطرق على وعورتها تمد بمناطق جبلية جميلة جدا ، وتنحدر أحيانا من ارتفاع ثلاثة آلاف قدم الى شاطىء البحيرة . وبالاضافة الى ذلك توجد فى نياسالاند عدة مطارات ، والاتصال الجوى يربطها بمدينة بيرا فى موزمبيق ومدينة سالسبورى فى روديسيا الجنوبية .

والتاريخ الحديث لنياسالاند يبدأ باكتشافها بواسطة الرحالة المكتشف الانجليزى **لفنجستون** Livingstion الذى وصل اليها فى سنة ١٨٥٩ وخالط

أهلها ؛ ثم أرسل الى مواطنيه يدعوهم الى هذه البلاد لتأدية رسالتين : أما الأولى فهى التبشير بالديانة المسيحية، وأما الثانية فهى التجارة ، وفرصها كثيرة وسانحة فى هذه الأرض البكر . ووجدت دعوة لفنجستون صداها وتحققت بشقيها . فقد استجابت الكنيسة الاسكتلندية للشق الأول من الدعوة ، فأرسلت بعثات تبشيرية ظلت تقوم فيها برسالتها الدينية والاجتماعية ، فبنت الكنائس ، وألحقت بها المدارس التى تعطى أبناء البلاد قسطا قليلا من التعليم . وأما الشق الثانى من دعوة لفنجستون ، فقد تحقق على يد تجار من جلاسجو أنشأوا فى نياسالاند شركة البحيرات الافريقية ليبيعوا المنتجات الأوروبية فى الاقليم ، ويصدروا منه الموارد الخام . ونياسالاند لم تفتح ، كما فتح غيرها من أقاليم افريقية ، بحد السيف ، وانما فتحها المبشرون، وغزتها الارساليات الدينية غزوا سليما لم ترق فيه الدماء ، ثم أرسل رودس السير هارى جونستون فى سنة ١٨٨٩ ومعه عشرة آلاف جنيه الى نياسالاند. واستطاع جونستون أن يخدع رؤساء القبائل ويجعلهم يقبلون معاهدات تجعل من بلادهم محمية بريطانية . وتم ذلك فى سنة ١٨٩٢ .

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٣ فرضت بريطانيا على شعوب روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند اتحادا فيدراليا أطلق عليه المستعمرون اسم اتحاد روديسيا ونياسالاند أو الحزام النحاسى ، وكان حلقة جديدة من حلقات الاستعمار . وقد لقى هذا الاتحاد معارضة شديدة من الوطنيين فى روديسيا الشمالية ونياسالاند ، نظرا لنفوذ الأوروبيين القوى فى روديسيا الجنوبية ، ولذلك خشوا أن يمتد هذا النفوذ القوى الى دولتيهما ومع ذلك فقد كانت السياسة الاتحادية الفيدرالية قد رسمت فى لندن منذ أمد بعيد ، ولم يبق الا أن تنفذ ، وقد نفذت فى ذلك الوقت . وحمل لواء معارضة الاتحاد فى روديسيا الشمالية منذ ذلك الوقت حزب الكونجرس الافريقى وزعيمه هارى نيكومبيولا ، وقد تعلم فى مدرسة الاقتصاد بلندن ، وأدركت حكومة الاتحاد مدى أثره على الجماهير ففرضت قيودا على حركاته الى حد منعه من الذهاب الى روديسيا الجنوبية عام ١٩٥٤ . ولكن بلغت به الجرأة والرغبة فى خدمة بلاده أن دعا الى مؤتمر افريقى عام حضره مندوبون من كينيا وأوغندة وتنجانيقا وزنجبار وروديسيا بقسميها ونياسالاند ، الا أن المؤتمر فشل بسبب تدخل السلطات البريطانية ، وانتهى الأمر بالقبض على نيكومبيولا فى يناير ١٩٥٥ والحكم عليه بالسجن لمدة شهرين مع الأشغال الشاقة .

وأصبح حزب الكونجرس الافريقى فى روديسيا الشمالية يلقى اضطهادا شديدا من جانب الحكومة ، والصراع بينه وبين الأحزاب الأوروبية هناك يدور حول اعطاء الحريات العامة للافريقيين ، وتسلم الوطنيين مقاليد الحكم فى بلادهم ، والقضاء على الاضطهاد العنصرى والمساواة بين العامل الأبيض والعامل الأسود فى الأجور . كما حمل لواء معارضة اتحاد روديسيا —

نياسالاند فى نياسالاند منذ انشائه حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند ، الذى خرج الى الوجود عام ١٩٤٤ ، وأحس الأوروبيون بخطره السياسى ، وأخذوا يحاولون أن يوقعوا بينه كهيئة قومية وبين زعماء القبائل، قائلين ان زعماء الحزب يريدون القضاء على سلطة زعماء القبائل وتركيز مقاليد الزعامة فى أيديهم . ولكن كل هذه المناورات فشلت ، واضطرت السلطات المسئولة الى الاعتراف بقوة حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند كقوة سياسية قومية افريقية، وخاصة بعد أن شد شعب نياسالاند أحزمته على بطنه ، وراح يجمع البنس والبنسين ليجمع تكاليف الرحلة لبعض مندوبيه ليسافروا الى لندن ليعارضوا الاتحاد مع روديسيا الجنوبية ، خوفا من سيطرة البيض على السود ، ولقد حدث منذ سنتين اتصال بين حزب الكونجرس الافريقى فى روديسيا الشمالية ، وحزب المؤتمر الوطنى فى نياسالاند . ودور هذا الحزب الأخير يرمى الى تحقيق نوع من التفاهم والتجاوب بين قبائل نياسالاند والهيئات الافريقية الوطنية ذات الصبغة السياسية ، وذلك عن طريق تعليم الشعب وتلقينه واجباته وحقوقه. ثم ان هذا الحزب لا يؤمن بالكفاح السلبى ، ولا يتورع أن يستخدم القوة فى سبيل تحقيق مطالبه فى مساواة الرجل الأسود بالرجل الأبيض فى جميع ميادين الحياة .

ولما انتشر الوعى القومى فى اتحاد وسط افريقية ، أى فى روديسيا ونياسالاند ، واتجه الافريقيون هناك نحو صيحة الشعوب الافريقية ، التى ترددت فى القاهرة وأكرا ، بأن افريقية للافريقيين ، أصيبت السلطات الاستعمارية بالذعر الشديد ، فدبرت فى أوائل هذا العام خطة لتمكين البيض، الذين يحكمون روديسيا الجنوبية ، من السيطرة الكاملة على نياسالاند وروديسيا الشمالية . وكانت أولى مراحل الخطة الاستعمارية ، هى اعلان اكتشاف مؤامرة مزعومة ، قيل ان حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند هو الذى دبرها لذبح البيض جميعا والقائهم فى البحر ، وان الدكتور باندا ، رئيس هذا المؤتمر ، وضع مع زملائه تفاصيل هذه المذبحة فى اجتماع سرى عقدوه فى الغابة القريبة من مدينة زومبا . ولكن الدكتور باندا فند هذه المزاعم فقال : « اننا لا ننوى أبدا ذبح البيض أو القاءهم فى البحر . ولكن هناك بعض الأوربيين ، الذين يريدون أن يظلوا سادة ، وأن نظل نحن عبيدا لهم. وأفضل لهؤلاء أن يرحلوا من نياسالاند. ان هذه هى بلادنا . هذه هى ديارنا ووطننا . وفى ديارنا ليس هناك سادة وعبيد . اننا مصممون على أن نكون أسيادا فى بلادنا . واذا لم تصل لندن الى حل سريع لهذا الموقف ، فسنلجأ لطرق أخرى لتحقيق مطالبنا » . ولكن بالرغم من ذلك فقد أعلنت السلطات الاستعمارية فى أوائل شهر مارس الماضى حالة الطوارىء فى نياسالاند ، وألقت القبض على الدكتور باندا ، ونقل الى روديسيا الجنوبية . كما اعتقل نحو مائة وخمسين من رجال حزب المؤتمر الافريقى هناك . وفى ظل حالة الطوارىء التى أعلنت ، أخذت

قوات الأمن تطلق النار على جموع الافريقيين ، فقتلت منهم عدة مئات وان كانت السلطات الاستعمارية تقدر عدد القتلى بنحو خمسين . وسرعان ما سادت نياسالاند اضطرابات عنيفة، وتدفق الافريقيون من الغابات مسلحين بالحراب ، وبكل ما وصلت اليه أيديهم ليقاوموا الارهاب الاستعماري ، واستخدمت السلطات القوات والطائرات لقمع الثورة ، وقام البوليس بحملة اعتقالات وتفتيش واسعة النطاق فى مدينتى زومبا وبلانتير فى ظل حالة الطوارىء التى أعلنت بأمر السير روى ويلينسكى ، رئيس وزراء اتحاد روديسيا — نياسالاند . وكان بين المعتقلين أورتون شيروا ، المحامى الافريقى الوحيد فى نياسالاند . وهو المستشار القانونى للمؤتمر الوطنى الافريقى . وكان الهدف من القاء القبض عليه حرمان أكثر من مائة من الافريقيين المعتقلين من حق الدفاع ، لأنهم وكلوه قبيل اعتقاله للدفاع عنهم عند تقديمهم للمحاكمة. كما كان من بين المعتقلين عدد كبير من الموظفين ، بينهم الطبيب الافريقى الوحيد ، ليظل الجرحى والمصابون من الافريقيين تحت رحمة الاستعماريين. وصدرت أحكام سريعة على بعض المعتقلين ، بعد محاكمات صورية ، فحكم على بعضهم بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات . وفى ابريل الماضى ألفت بريطانيا لجنة للتحقيق فى أسباب الاضطرابات فى نياسالاند . وقد نشرت هذه اللجنة تقريرها فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٩ ، وأثبتت بطريقة رسمية أن لا صحة لما ادعته الحكومة الاستعمارية فى نياسالاند من وجود مؤامرة دبرها حزب المؤتمر الوطنى الافريقى لاغتيال الأوروبيين هناك .

وأعلنت لجنة التحقيق البريطانية انه ليس ثمة دليل على وجود هذه المؤامرة ، وقالت « لقد رفضنا الدليل الذى تقدمت به الحكومة » ، وأضافت « اننا رأينا واستمعنا الى المصدر الرئيسى الذى استقت منه الحكومة أنباء المؤامرة ، ووجدنا أن الدليل الذى يسوقه غير مقنع » . واستطردت فى تقريرها تقول : « ان هذا الدليل لا يثبت بأية حال كيف تأكدت حكومة نياسالاند من وجود هذه المؤامرة » . وأضافت تقول : « اننا لا نعتقد أن هناك أى شىء يمكن أن نسميه مؤامرة ، أو حتى خطة لمؤامرة » . كما قالت اللجنة فى تقريرها « انه لم تتم أية محاولة لاغتيال أوروبى واحد خلال حوادث الاضطرابات ، علما بأنه كانت هناك مناطق بأكملها لا يسيطر عليها سوى رجال حزب المؤتمر الوطنى الافريقى» . وأضافت اللجنة أنها تعتقد أن الحكومة أمرت باعتقال جميع المسئولين فى حزب المؤتمر الوطنى حتى قبل أن تعلن أن هناك مؤامرة مدبرة لاغتيال الأوروبيين .

والدكتور باندا ، الزعيم الافريقى، الذى قاد كفاح شعب نياسالاند ، وانتهى به المطاف فى هذه المرحلة من مراحل الكفاح الى أحد سجون روديسيا الجنوبية ، عاد الى وطنه فى الصيف الماضى ، بعد أن قضى ثلاثين عاما فى المنفى ، فبايعه شعبه على الزعامة ليواصل كفاحه من داخل الوطن ،

وليضع فوق الأرض الافريقية موضع التنفيذ ما كان يدعو اليه وهو فى لندن، حيث كان بيته ملتقى نكروما وغيره من قادة الكفاح الافريقى . وبعد عودته طاف بين القبائل ووحد الصفوف، ونفث الحياة فى حزب المؤتمر الوطنى، الذى أصبح رئيسه ، والذى طالب باستقلال نياسالاند وانفصالها عن اتحاد روديسيا . أما السير روى ويلينسكى ، رئيس وزراء الاتحاد ، فينحدر من أسرة بولندية مهاجرة ووالده نصف يهودى ، وهو ضخم الجثة ، كان ملاكما هاويا فى الماضى ، ولم يتلق تعليما يذكر ، بل كان يعمل فى أحد الفنادق ، ثم اشتغل سائقا بقطارات السكك الحديدية ،ثم انخرط فى الحركة العمالية ، فأصبح رئيسا لاتحاد عمال السكك الحديدية لشمال روديسيا ، وهو اتحاد للعمال البيض. والتحق بعد ذلك بحزب شمال روديسيا ، وأصبح رئيسه ، ثم رئيسا للوزارة فى شمال روديسيا ،ثم نائبا لرئيس الاتحاد ، ثم أخيرا أصبح رئيسا لوزراء الاتحاد . وهو لا يحب الافريقيين ومن أكبر أنصار اضطهاد السود وجمعهم فى مجتمعات وأحياء خاصة بهم ، ويؤمن بأن مصير البيض قد تحدد فى الاتحاد ، وأن عليهم أن يبنوا دولة مستقلة لهم ، والا فانهم سوف يطردون ، كما طردوا من الهند ومصر .

والثورة فى الواقع لم تقتصر على نياسالاند ، بل امتدت أيضا الى روديسيا الشمالية والجنوبية ، حتى أن الحاكم البريطانى فى روديسيا الشمالية ، وهو السير آرثر بنسون، أمر فى النصف الأول من شهر مارس الماضى بحل حزب زامبيا الوطنى هناك، واعتقال جميع أعضائه ، بدعوى أن زعماء الحزب يلقون خطبا نارية ويطالبون بأن تكون افريقية للافريقيين وحدهم. وأنهم يدعون الى مقاطعة الانتخابات التى كان يحاول الاستعماريون اجراءها فى يوم ٢٠ مارس ، وكان حزب زامبيا الوطنى قد كشف للافريقيين المؤامرة الاستعمارية لتزييف ارادتهم عن طريق الانتخابات . وفى روديسيا الجنوبية قامت أيضا الثورات والمظاهرات ،حتى أن هوايتهد ، رئيس الوزراء هناك ،أمر بتعبئة جميع السكان البيض ،واعتقال أكثر من مائتين من الزعماء الافريقيين، واصدار القوانين التى تخول للحاكم البريطانى سلطات مطلقة لوقف نشاط الافريقيين وحل منظماتهم .

وفى الوقت الذى يلجأ فيه الاستعماريون الى هذه التدبيرات الغاشمة ، دفاعا عن مصالحهم غير المشروعة وعن سيطرتهم على أرض مغتصبة تظهر أفكار ومشروعات جديدة للتخلص من الموقف ، منها مشروع يرمى الى تقسيم نياسالاند وروديسيا الى قسمين : أحدهما للبيض ويضمهم الى اتحاد جنوب افريقية ، والثانى للافريقيين ويظل تحت حكم وزارة المستعمرات . ولكن هل يقبل الافريقيون فى روديسيا ونياسالاند هذه المشروعات ؟ لا شك أنهم كالافريقيين فى كل منطقة أخرى من القارة يقولون: « ان الأرض أرضنا والسيادة فيها لنا » .

الاستعمار البريطاني والحركة الوطنية في أوغنده

للدكتور عبد العزيز الرفاعى

بدأ اهتمام أوربا بأفريقيـة ، منذ أواسط القرن التاسع عشر ، استجابة لمقتضيات الثورة الصناعية بها . وقد أخذ التنافس الاستعمارى على امتلاكها بين دولها منذ سنة ١٨٧٠ ، وعندئذ سعت كل دولة الى أن تقطع أوصالها وكانت أوغندة ضمن ما سعت بريطانيا الى اضافته الى امبراطوريتها الشاسعة لتستكمل بهحلقات استغلالها للشعوب وتضيق عليهم فى أقدارهم ومصائرهم

وأوغنده محمية تحتل جزءا كبيرا من هضبةشرق أفريقية ، تبلغ مساحته ٩٤ ألف ميل مربع ، وهى مسـاحة تمتد على جانبى خط الاستواء ، تساوى تقريبا مساحة ألمانيا الغربية ، وقد ضمت اليهما مملكة قديمة تمثل الآن احدى مديرياتها الاربع وهى يوغنده .

ويحد أوغنده من الغرب الكونغو البلجيكى وتشترك معـه فى بحيرتى ألبرت وادوارد من منـابع النيل ، وتشمل من بحيرة فكتوريا الواسعة ، ذلك المنبع الثالث لهذا النهر ـ الجزء الشمالى والشمالى الغربى ، هـذا بالاضافة الى اشتمالها على بحـيرة كيوجا .

وهى اذ تحتل من الهضبة الافريقية جزءا كبيرا ، لا يزيد متوسط ارتفاعها عن ألف متر عـدا الاجزاء المنخفضة التى تحف بالاراضى الاخـدودية ، أما ما بها من جبال ، فجبل الجن الواقع شمال شرق بحيرة فكتوريا ، ثم جبل رونزورى الواقع بالقرب من بحيرتى ادوارد وألبرت، وهو جبل شـاهق الارتفاع ، صعب التسلق تكاد تغطيه السحب بصورة دائمة .

أما مناخ أوغنده فهو حار رطب الا فى المرتفعات ، غزير الامطار فى انتظـام فى معظم أيام السنة ، اذ تكتسو سطحها مراعى السافانا التى لعبت دورا كبيرا فى تكييف الحياة البشرية فى هـذه البلاد ، أما غابات أوغنده فهى وان كانت محدودة بسبب الارتفاع الا أنها فى أشـكالها وألوانها تزخر بألوان من الحيـاة ، ففيها تتدافع الاشجار وتتنافس صعودا الى أعلى من أجل ضوء الشمس والحياة ، وفيهـا تنفجر التربة عن نبت جديد كل يوم يجدد موات الحياة النباتية ، ويسمو كل نبت فوق بقايا غيره ويحلق عاليا ليصطدم بغيره بعيـدا فى الهواء ، وتتشابك الاغصـان ، ويمرح بينها الطير ، ويبدو الطير فى روعة الفراشة ،

كما تبدو الفراشة في حجم الطير . كل هذه الحياة المتلونة ، تبدو جلية في كل مكان تقريبا ، ولا سيما عند شلالات مرشيزون ، وبجانب ذلك يبدو مظهر الانسان في بذل مجهوده لتغيير وجه الأرض بالزراعة وغيرها .

فهناك النبت على اختلافه ، وهناك الطير والحشرات والزواحف والحيوان على اختلاف ألوانه ، مما يرمز الى غزارة الحياة في هذه البلاد .. ولكن مما يستلفت النظر حقا كثرة النمل في جميع أنحاء أوغنده وهي تملأ الطرقات في أكوام شامخة يبلغ ارتفاعها من ١٢ الى ١٥ قدما ، تقيم بيوتها من الطين الاحمر الفاتح الذى يلائم طبيعة التربة .

أما سكان أوغندة ، فيبلغ عددهم ٥ر٢٥٠ر٠٠٠ نسمة وغالبيتهم من الافريقيين من شعوب البانتو وتبلغ نسبة هذه العناصر ٢ر٩٩٪ يختلط بهم عدد من الهنود يبلغ عددهم ٥٠ر٣٠٠ نسمة ، أما الاوربيون البيض فلا يمثلون الا أقلية أغلبها من البريطانيين تعدادهم ٧٦٠٠ نسمة ، يوجد بينهم ما لا يقل عن ١٢٠٠ مبشر ، وقد انتشرت بينهم المسيحية ، حتى بلغ عدد المتدينين هنالك ١ر٢٥٠ر٠٠٠ نسمة .

ويؤلف الهنود في أوغندة جالية نشيطة ثرية ، ولكنهم لا يتمتعون بالسلطة السياسية والثقافية التى يتمتع بها الهنود في كينيا مثلا .. هذا وتعتبر غنتيبة العاصمة الادارية ومقر الحكومة الرئيسى ، أما كنبالا فهى العاصمة التجارية لهذا الاقليم .

بداية الاستعمار : يرجع توغل الاستعمار البريطاني في أوغندة الى تاريخ توغله في هضبة شرق أفريقيا ، أى الى عهد استكشاف معالمها .

ولقد كان المستكشف سبيك أول رجل أبيض ، يخطو الى أوغندة سنة ١٨٤٥ وقد اكتشف بعد سنوات قليلة ، أن بحيرة فكتوريا هى منبع النيل ، ولما جاء بعده ستانلى ، كان أول من جاب شواطىء هذه البحيرة الكبيرة وأثبت أنها وحدة مائية لا خمس بحيرات كما كان الاعتقاد . ولقد فتح ستانلى الطريق للمبشرين فتوافدوا بعده واستقروا وذلك بعقد ميثاق مع ملك بوغندة

ولم يكن لهؤلاء البوغنديين ملك فحسب ، بل كان لهم بجانب ذلك مجلس ونظام للعدالة وبرلمان ، وقانون للفروسية والشجاعة وكانوا يعيشون حياة قبلية متجانسة

وقد بدأ المبشرون يفدون بكثرة بعد سنة ١٨٧٧ وكان أول مبشريهم بريطانيا بروتستانتيا ثم فرنسيا كاثوليكيا . وقد راحا يضمان المريدين في نشاط كبير ، ومع ذلك نفذ التجار العرب قبل سبيك الى بوغندة ، وخلفوا آثارا اسلامية قوية ، ومن ثم أصبح الصراع في سبيل السيطرة الدينية ثلاثيا .. لذلك لم يكن لاحتدامه أثر مذكور ، ولكن حدث بين سنتى ١٨٨٨ ــ ١٨٩١ أن قام الافريقيون الكاثوليك بنهب الكنائس البروتستينية وأحرقوها ، كما أشعل البروتستنتيون النار في الكنائس الكاثوليكية ونهبوها وقد هرب اذ ذاك موانجا حاكم بوغندة مع الكاثوليك الفرنسيين

وكان الكابتن لوجارد في ذلك الوقت يغزو البلاد لصالح شركة شرق

افريقيـــة البريطانيـــة الامبراطورية، وقد عقـــدت بريطانيـــا سنة ١٨٩٠ اتفاقية مع ألمانيا لاقتسام النفوذ فى اقليم الهضبة ، ومن ثم دخلت كينيا وأوغندة تحت لواء بريطانيا وانضوت تنجانيقا تحت النفوذ الالمــانى . وفى سنة ١٨٩٣ ضمت بريطانيا بوغندة رغم انتقاد الرأى العام المعادى للاستعمار فى لندن ، وبعد صراع كبير وضعت بريطانيا يدها على هذه الشركة ومـن ثم امتد سلطانها الى أوغنـــدة وبوغندة فيما بين سنتى ١٨٩٤ ، ١٨٩٦ حيث أعلنت الحماية على اغندة ثم استكمل استعمار البقيـــة الباقية من أوغنده سنة ١٩٠٠ بمقتضى شروط معاهدة تسمى : « اتفاق أوغنده » ، وهى معاهدة كفلتها الملكة فكتوريا ، وتلا ذلك وصول السير هارى جونسون مندوبا خاصـــا وأقام صرح الادارة القائمة بها حاليا ، وقد احتفلت اذ ذاك مجلة «بنشن» بهذا الاتفاق ، ونشرت صورة هزلية لجون بول وهو يرقب فى تبرّم وشعور بالرضــــا ، طفلا افريقيا جديدا يولد بين ذراعيه ..

ولقـــد أصبحت المحمية بعد ذلك مشكلة من أربع ممالك قوية ترتبط بمعاهـــدات مع بريطانيا ، وتعتبر بوغنـــده أكبـــر تلك الممالك وأهم مديرياتها . أما الحـــكم فى المحميـــة فتكون من حاكم ومجلس تنفيذى وآخر تشريعى .

ولقد كان لبريطانيا أسلوبها الخاص فى ذلك ، ابتدعه اللورد لوجارد الذى يعتبر من أبرع بنـــاة الامبراطورية البريطانية فقد أنشأ فى أوغندة نظاما يقتضى أن يتولى فيهـــا البريطانيون مناصب الحكم ، بينما يقوم الافريقيون بالعمل ، ويتحملون مسئولية الاعمال البغيضة مثل : جمع الضرائب . وينفق البريطانيون ما يجمع من أموال من أجل الادارة المحلية . وقد لاءم ذلك الحكم غير المباشر ويتجاوب مع هدف بريطانيـــا ورغبتها فى التمكين من استقرار الحكم البريطانى ، لممارسته بين قبائل ذات تقاليد متأصـــلة فى الزعامة .

وبجانب ذلك حاولت بريطانيـــا تسيير دفة اقتصـــاد البلاد بشكل يتجاوب مع البيئة فى شكله ويمكنها فى موضوعه من وضع ثمرات الاقتصاد فى يدها .

نشأة الحركة الوطنية :

يعمل النظـــام السياسى البريطانى على تنمية النزعة الاستغلالية الكامنة ، ويهيىء الفرصة للسكان للتدريب العملى لادارة شئونهم ويعاون على الاحتفاظ بالنظم الافريقية مما كان سببا كبيرا لانماء النزعة الوطنيـــــة ، فقد كانت أساليب بريطانيا فى ادارة اقتصاد البلاد عاملا مهيئا لنمو هذه النزعة التى تمس كيان السكان مسا مبـــاشرا .

فلقد كان للاقتصاد كما كان لغيره أثره فى قيـــام الحـــركة الوطنيـــة فى افريقية وهو اقتصـــاد يقوم أساسا على الزراعة والارض ، والمعـــــادن والمنـــاجم . وقد لعب كل من هذه الالوان دوره فى افريقية : كل بلد حسب نوع الثروة المستغلة به ، وكان دور الزراعة كبيرا فى أوغنـــدة ، اذ الزراعة هى أســـاس الاقتصاد فى أوغندة فتبلغ نسبة مساهمة الأوغنديين فى الانتاج الزراعى ٩٤٪ (احصاء

سنة ١٩٥٠) فى حين تبلغ نسبة الاوروبيين ٦٪ فقط . ولتعليل ضآلة هـذه النسبة نقول : انه حين دخل المستعمرون افريقية وجدوا الاحوال الزراعية تسير فيها على أساس المنهج البدائى المعروف بالزراعــة المتنقلة . ومعنى ذلك أن المزارع كان يفلح قطعة من الارض عددا من السنين ويتركها بعد أن يضعف انتاجها ليفلح غيرها ، تاركا أرضــه الاولى للشمس والمطر والراحة ، لتعــود اليــها امكانياتهــا الزراعية ، ثم يعود اليها بعد فترة ، تاركا أرضه الثانيـــة للعملية نفسها وهكذا .. ولعل الجهل بهــذه النظم البدائيـــة هو الذى حدا بالمستعمر الاوروبى الى اصــدار تشريع باسم **قانون الأراضى الخالية** ، وبه أصبح من حق كل أوروبى تملك كل أرض غير مستغلة على اعتبار أنهــا ليست خاضعة لملكية أحد .

أما فى المستعمرات الانجليزية فقد طبق قانون الارض الخالية فى بعض المستعمرات ، ولم يطبق فى غيرها ، ويرجع عدم الاتســاق فى السياسة الانجليزية الى عوامل بيئيـــة ، ففى أوغندة بالرغم من كونها هضبة عالية فان الظروف التاريخية لممالك البانتو المزارعين حول البحيرات النيلية مثل الباجندا والبتيورو ، وشـــدة مراس القبائل الرعوية الأخــرى مثل الهيما وقبيلة الاشـــولى واللانجو Laugn كل ذلك قد حال دون اقامـــة وطن انجليزى فى أوغندة بجانب انتشار مرض النوم الذى لم يشــجع الرجل الأبيض على امتلاك الاراضى الزراعية بها .

ولا جــدال فى أن بريطانيا فى محاولاتها توطيد أقدامها فى أوغندا فى ظل الحكم غــير المباشر الذى يبرز طبيعة الاستعمار الســافرة الى حد كبير ، وفى محاولاتها ترك الاراضى فى أيدى الوطنيين ، ثم العمل على جنى ثمارها من وراء مجهــوداتهم ــ كانت تعمل على استنبات بذور الشــعور الوطنى فى قوة ، وتكوين الشــخصية الأوغندية الحديثة وتهيئتها للوثوب فى وجهها يوما ما .. فلم يستطع هــذا الاستعمار أن يصمد طويلا بحقيقته المؤلمة أمام الوطنيين ، ولم يكن مخلصا فى توجيه هذا الاقتصاد ، الا لمصلحة الرأسمالية البريطانية ، مما نمى القلق فى نفوس الأوغنديين على مصيرهم فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا من جهة أخرى تمكنهم من الهيمنة على بلادهم ، وتزيد فيهم النزعة الموروثة فى الاعتداد بالذات والتطلع الى الاستقلال .

ولقد استطاعت بريطانيا أن تحيل أوغنــدة الى مزرعة لزراعة القطن لحساب المصانع البريطانيـــة ، كما سيطرت على سائر الحاصلات الزراعية الاخرى : كالبن والطباق والشاى . وقد اقتضــاها الامر العناية بطرق النقل ، فهى تشرف على الزراعـــة ، وتهتم بتأميم القطن وتسويقه ونقله الى الخــارج . وقد نجم عن ذلك قلة المحصــولات الغذائيـــة ، وارتبــط الاوغندى بالاقتصاد البريطانى . كل ذلك كان من طبيعته أن ينمى القلق فى نفوس الســكان لانه لن يكون مصدر خير لهم فى جوهره ما دامت لا تسيطر عليه أيد أفريقية ، ولا يقل تحكم الادارة الاستعمارية فى التعدين

فى اثارة هذا القلق عن تحكمها فى السيطرة على القطن وغيره .. لذلك فان وسائل الحكم البريطانى اذا كان من طبيعتها أن تمكن بريطانيا من جنى الثمار العاجلة ، فانها كانت تهيىء الوطنيين للوثوب يوما فى قوة فى وجه هذا اللون من الحكم القائم على الدهاء والاستغلال .

وقد شعرت بريطانيا بهذا التذمر الذى أخذ يستشرى فعلا بين الافريقيين فحاولت توجيهه الى صراع مع الآسيويين المسيطرين الى حد كبير ، على الكثير من الاعمال التجارية وحلج القطن ، ولكنه كان يرمز الى قلق وتذمر موجه الى أصل الداء ، الى الاستعمار البريطانى ووسائله التى تقوم على استرضاء الافريقيين بالوسائل التى لا تمس جوهر أهداف الاستعمار .

ولقد بدا وميض الشعور القومى فى أوغندة ينجلى خلل الرماد ، ثمرة تفاعل عدة عوامل منها : الابقاء على النظام القبلى ، وتمكين الاوغنديين نسبيا من ممارسة شئونهم الداخلية ، والسماح لهم بملكية الاراضى مع سهولة اتصالهم بالعالم الخارجى مما نمى فيهم النزعة الاستقلالية الوطنية .

وكان موقف بريطانيا فى تسيير دفة الاقتصاد لصالحها محكا قويا لتوحيد مشاعرهم القلقة ونموها ، وازدياد الرغبة فى الاستقلال . وقد تجلى ذلك واضحا فى علاقتهم بنظام الحكم ومن يمثله فى أوغندة فى كثير من الحالات

وحقا لم تكن اذ ذاك أحزاب سياسية بالمعنى المعروف فى أوغندة غير أنه كانت هناك منظمة وطنية سياسية رئيسية ، هى المعروفة بالمؤتمر الوطنى الاوغندى الذى يزيد عدد أعضائه عن مائة ألف عضو تقريبا .

وبالرغم مما امتازت به أوغندة مدة من عدم التوتر السياسى العنيف فقد نشبت ثمة اضطرابات بين سنتى ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ، فاغتيل فى السنة الاولى أحد رؤساء الوزارات .

ولم يكن هدف الحركة قلب نظام الحماية ، ولكنها ان كانت قد بدت اضطرابات موجهة ضد أمراء الاقطاع اليوغندى ، واقطاع الكاباكا أكثر منها ضد الانجليز . فقد كانت مظهرا للآلام المتزايدة التى عمل على ايقاظها انتشار أضواء المعرفة الحديثة بين ربوعها مما مكنها من روح النقد والاحتجاج .

أما زعماء المؤتمر فقد كانوا من الوطنيين الذين يدركون أهمية الاصلاح فلم يأخذوا ما شاء كوهين حاكم المحمية أن يدخله من الاصلاح الديمقراطى للمجلس التشريعى دون نقد ، وانما شكوا من أنهم لم يستشاروا فى ذلك واتهموا اصلاحاته بالسطحية والمظهرية وبأنها تحمل بين جنباتها الرياء ، بل اعتبرت ذلك محاولة للتفريق بين أبناء أوغندة .

ولقد أثار استقلال **السودان** نيران الوطنية الأوغندية اذ يعتبر البوغنديون أنفسهم على مستوى السودان نفسه من حيث التقدم ولا غرو فاحساسهم قوى نحو العدالة والديمقراطية ، كما أنهم على درجة لا بأس بها من الحضارة ــ وان كانت أصولها غربية ــ بالنسبة لجيرانهم .

وقد حدث فى يونية سنة ١٩٥٣ أن ألقى لتلتون وزير المستعمرات

البريطانى خطابا فى لندن ، ذكر فيه عرضا أن شرق أفريقية قد يتحد يوما ما اتحادا فيدراليا ، وبمعنى آخر أن كينيا وتنجانيقا وأوغندة قد تلتئم جميعا فى اتحاد . وقد كان تأثير ذلك فى نيروبى كبيرا .. اذ بدا منه اتجاه بريطانيا لانشاء مستعمرة بيضاء فى شرق أفريقية ، وجاء رد الفعل فى أوغندة سريعا وعنيفا وخاصة عند البوغنديين الذين خشوا ضمهم بالقوة الى كينيا أن يتحولوا الى الخضوع للمستوطنين البيض ، فطالب الكاباكا ((**هلك**)) بنوع خاص من الاستقلال لبوغنده ، ليضمن لها عدم الانضمام الى بلد آخر . ورفض بهذا التعاون مع كوهين .. فما كان من كوهين الا أن عزل الكاباكا فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، فأحدث ذلك قلقا شديدا فى بوغنده .

وتحت ضغط الظروف السائدة تراجع البريطانيون أخيرا وأعلنوا السماح للكاباكا بالعودة الى أوغنده ، وكان قد رحل من قبل الى لندن . ولكن بشرط أن يوافق البوغنديون على شروط أهمها بقاء بوغنده جزءا من أوغنده ، وقبول الكاباكا الاوضاع الدستورية ، ولكن بالرغم من ذلك لم يهمد الشعب بل أعلن غضبه وسخطه من الحكم البريطانى القائم ونواياه .. عندئذ مضت بريطانيا فى استرضائهم فحاولت زيادة أعضاء المجلس التشريعى سنة ١٩٥٤ لتسترضى هؤلاء الثائرين فرفعتهم من ٣٢ الى ٥٦ عضوا كان منهم عشرون افريقيا بدلا من ثمانية ، ثم أعلن بعد ذلك وزير المستعمرات فى مجلس العموم فى ٢٢ يوليه سنة ١٩٥٥ أن الخلاف الاساسى حول دستور بوغنده قد تم حله ، وأن الكاباكا سيعود فى أقرب فرصة الى بلاده .

ولقد كشف موقف بريطانيا من الكاباكا عن طبيعة الحكم البريطانى الجارح ، فنمى ذلك من القلق والبرم الموجه نحو الاستعمار البريطانى ، فقد بدا للوطنيين البوغنديين سوء نواياه . وفى ظل ذلك أخذ البريطانيون يواجهون محنة وحيرة فى حكم البلاد

لقد أصبح للأوغنديين قضية وطنية يجدون فى حلها بما يحقق أهدافهم ، أما أعز أمانيهم فاقامة جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب ليمارس بها سلطاته ويكسح عن طريقها نير الاستعمار .

ولقد كان للثورات التى اشتعلت فى البلاد المحيطة بأوغنده من أجل التحرر ، آثارها فى اشعال جذوة هذه الروح ودفع الحركة الوطنية الى الامام والتحرك للوثوب فى وجه الاستعمار البريطانى الغاشم ، لتزيح عن صدرها أثقاله الجاثمة ، وتستقبل أوغندة عندئذ الحياة الحرة الكريمة .

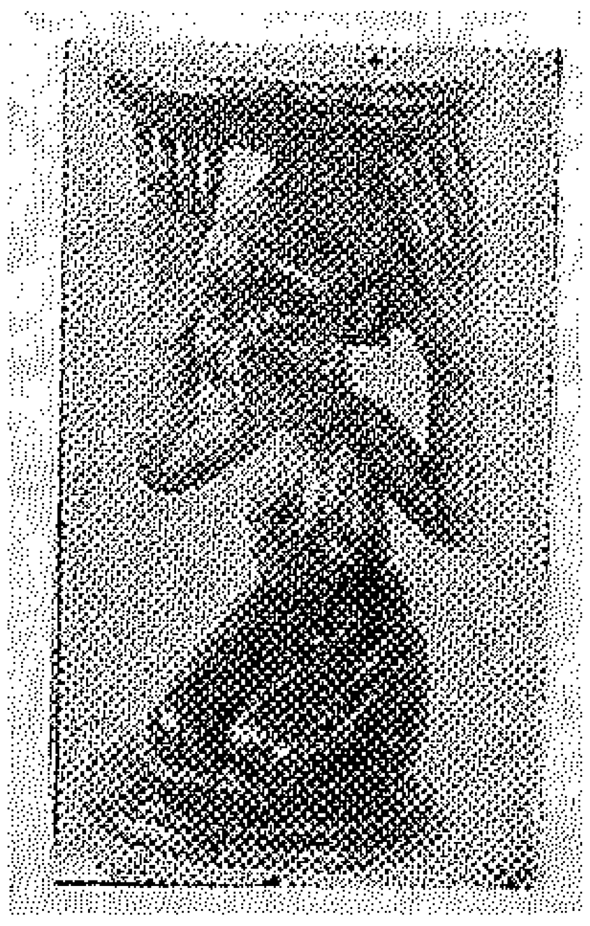

عقائد و فن

للأستاذ حلمى شعراوى

الحياة الافريقية زاخرة بالفنون كما هى زاخرة بالعقائد والطقوس ، وكما شكل الافريقى معتقداته وأديانه، كذلك شكل الكلمة والصوت والمادة ، وكما صدرت عنه الموسيقى والغناء .. الخ ، فاحتفظت كلها بروحه وعكست أنماط حياته ، كذلك صدر عنه فن آخر كان أكثر قدرة على الحياة وذلك لبقاء مادته ورسوخ تقاليده من ناحية ، ولارتباط مضامينه بأكثر ما يدور عليه فلك الحياة الافريقية من معتقدات ومقدسات من ناحية أخرى .. ذلك هو ((**فن النحت**)) .

وقد كان هذا الفن من أكثر الفنون التى خدمت حضارات أفريقية من حيث تعريفها للعالم الخارجى ، فنماذجه لها وجودها الخارجى عند صانعيها ، ويمكن للغريب أن ينفرد بها لدراستها ، كما أنها نماذج محسوسة يمكن أن تثير التساؤل المباشر والفهم المباشر كذلك ، وفوق هذا فانه يمكن الاحتفاظ بها حتى يتناولها أكثر من باحث بالدرس ، وهذا خلاف النص الأدبى الشفوى ، أو اللحن الموسيقى المتغير .

من أجل ذلك أصبح من اليسير الى حد ما ، وعن طريق فن النحت وحده ، أن نعرف فى العصر الحديث التراث الافريقى من عصر قديم .

وقد كان لحركة الاستكشاف الأوربى فى أفريقية فى العصر الحديث أهميتها فى معرفة العالم بهذا التراث ، وان كان العرب قد سبقوا أوروبا فى معرفة أفريقية ، الا أنهم لم يهتموا كثيرا بمعرفتها عن طريق الفنون بقدر اهتمامهم بنشر الاسلام مثلا ، وحتى الأوروبيين أنفسهم لم يبدوا فى بداية الأمر اهتماما بهذه الفنون . فنحن نعرف أن البرتغاليين قد دخلوا مدينة بنين ، وهى عاصمة مملكة بينى القديمة المعروفة حاليا باسم نيجيريا، وذلك سنة ١٤٧٢ وحملوا من هناك كثيرا من التماثيل وغيرها ومع ذلك فلم نجد لهم بها عناية ، حتى عرفتها المتاحف الألمانية فى مدينة (ULM) فى القرن السادس عشر .

وقد تبع حركة الاستكشاف حركة أخرى هى الدراسات «الانثروبولوجية» التى حاولت أن تخدم العلم بمعرفتها مختلف الظواهر الانسانية فى القارة كما خدمت الاستعمار عن طريق معرفة الشعوب معرفة جيدة سهلت للمستعمرين قيادتها وتوجيهها . وقد قامت التماثيل بدور ذى بال فى هذا الشأن ، لأنها كما قلنا تحتفظ بتاريخ طويل يكشف عن طبيعة التراث البشرى فى المنطقة ، ولانها من ناحية أخرى أصبحت أكثر المواد الفنية توافرا فى بعض المناطق ، « لان دخول

كثير من القبائل فى دين الاسلام مثل قبيلة « سينوفو » أو « باجا » غرب أفريقية جعلهم يعتبرون التماثيل أوثانا يجب التخلص منها ، ولذا اخذوا يبيعونها للانثروبولوجيين والموظفين الأوروبيين » كما يقول اليوت اليسوفون (مجلة اطلانطيك) وسهل ذلك عليهم بالطبع دراستها ، اذ ان فنا كالموسيقى أو الغناء كان يعتبر أحيانا من الطقوس السرية التى يجب الا يطلع عليها أحد ، كما حدث ذلك نفسه لبعض نماذج من التماثيل. ثم أخذت متاحف أوربا بعد ذلك تعنى بجمع نماذج هذا الفن . ومن أهم هذه المتاحف المهتمة بجمع أعمال المثالين الافريقيين : « متحف الجامعة فى فيلادلفيا » و « متحف الفن البدائى فى نيويورك » ، كما أن هناك متحف « چوس » فى نيجريا نفسها ، وهناك قسم الاتنوجرافيا بالمتحف البريطانى، ومتحف الانسان فى باريس .

ومما زاد فى أهمية فن النحت الافريقى بين الفنون الأخرى فى هذا العصر بالذات أنه هو والموسيقى يؤثران فى الفنون الحديثة تأثيرا ملموسا ، وتشهد أعمال كبار الفنانين فى العالم بذلك . ولئن كانت موسيقى ((الچاز)) هى اللون الفنى الذى يكشف عن أصل أفريقى بوضوح ، فان النحت لم يبد فى شكل معين مثل الموسيقى ، وانما كان للنحت الأفريقى أثره على أعمال كبار الرسامين والمثالين امثال بيكاسو وبراك ودبراك وماتسى .. الخ ، وكان ذلك هو أكثر ما لفت النظر الى الفنان الأفريقى المثال .

ومن الجدير بنا أن نتناول « تكنيك » هذا الفن بالدراسة حتى نرى فيه ما جعله موضع نظر الفنانين العالميين ، ولكن ذلك كان يعتبر تجاهلا لما وراء هذا التراث الفنى من تراث عقائدى هو الذى وهبه هذا الوجود وكما أن العقائد المصرية القديمة هى التى تكمن وراء الاهرامات والتماثيل الضخمة ، كأعمال فنية خالدة ، فان وراء التماثيل الأفريقية كذلك عقائد من هذا النوع ، حرى بنا أن نعرفها حتى نتعرف أولا على مضمون الفن قبل أن ندرس شكاله ، ولذا خصصنا هذا المقال لدراسة المضمون العقائدى لفن النحت فى أفريقية على أن نفرد مقالا آخر للأساليب الفنية فى النحت الأفريقى ، الا أننا نلفت النظر هنا الى أننا نركز بحثنا على غرب أفريقية ، لما لاقته هذه المنطقة من وفرة فى دراسة معتقداتها ، وفن النحت فيها على وجه الخصوص .

ذلك أن الافريقى تغلف عقائده كل شىء فى حياته . ولئن كانت بعض التماثيل ليس لها مضمون خاص ، الا أنها « لعب » أو « عرائس » للأطفال أو نوع من الزينة الشخصية أو الاستخدام المنزلى أو اتخذت منها « الأقنعة » المنحوتة التى تستخدم فى التهريج ، فان الأمر ليس دائما كذلك ، لأن الافريقى يقع تحت رحمة « اعتقاده » فى هذه التماثيل فى كل لحظة من حياته ، بل وقبل مولده . فأمه تصلى خلال حمله لتمثال يمثل « حامى الطفل » الذى لم يولد بعد ، وتصلى لتمثال آخر ليساعدها خلال الولادة ، وثالث يقبع خارج الكوخ ،

وأمامه طاسة لمساعدتها حين تعجز عن العمل . كما نرى تمثالا آخر وضع لمراقبة الطفل عند ولادته ، فاذا ما كانا توأمين فان تمثالا آخر وجد لحمايتهما مما يصيبهما من المكروه . . كما أن أغطية الأوانى تصاغ فى شكل توتم أو حيوان خرافى ، يعتقد أنه يحمى ما فى الاناء من طعام ، كما يحمى آكله .

ويتجه بعض الكتاب الفنيين حين يناقش أثر المعتقدات على الفنون فى أفريقية الى اتهام هذا الأثر بأنه يضيق مجال الفنان ، كما يضيق من وجهة نظره ، ويجعل لديه من المسببات العقلية والانفعالية ما يفسد « الجمال الفنى » البحت ، ولكن هذه القضية لاتبدو سليمة لأول وهلة ، ذلك أن العقائد الدينية أو غير الدينية عند شعوب أفريقية — غير الموحدة — انما تصدر عن مفاهيم شعبية عن الوجود والطبيعة ، أو تصدر عن شكل اجتماعى معين يفرض أنماطا من السلوك والاعتقاد والفنون ، وهكذا نجد أن المعتقدات انعكاس لطبيعة الحياة ، والفن انما يأتى كذلك ، وهذه قضية لاتعيب الفن فى شىء وهى نفسها التى تكاد تكون صلب القضايا الفنية الاجتماعية اليوم . ثم ان العقيدة — فى رأى سيجى — وان كانت تضيق مجال الفنان الا انها تركز انفعالاته ، فيبدو ذلك فى قوة تعبير التماثيل . كما كان لبعض العقائد أثر فى خلق أساليب فنية بعينها أو ألوان فنية خاصة لاداء وظيفة عقائدية مثل أهمية **« القناع »** فى النحت ، وهو لون فنى يرتبط بعقائد سحرية، ونظم الجمعيات السرية القبلية ، كما ستبرى بعد .

وأسلوب النحت المصرى وهو الأسلوب الفنى العريق ليس صادرا عن « اتجاه جمالى » خاص بالمصريين فى ذلك الحين ، وانما هو صادر عن طبيعة المعتقدات المصرية حينئذاك . حتى أن كاتبا مثل « سيجى » فى كتابه عن « النحت الافريقى » يذكر تشابها بين المعتقدات الأفريقية والمصرية القديمة وأثر ذلك فى النحت فيقول : « لقد اعتقد المصرى فى بقاء الروح وجسمها فى التماثيل ، كما يعتقد الأفريقى — فى غرب أفريقية — بروحية الأشياء والمادة ، و « روح الطائر المصرى » تشبه روح الحيوان التوتمى الافريقى ، والتماثيل التى كان المصريون يضعونها فى القبر تشبه فى معناها تماثيل الأسلاف الأفريقيين . وفكرة المصريين عن « الكا » التى تمثل الجوهر الخالد الشخصية تشبه فى غرب أفريقية فكرة « النياما » — أى القوة الروحية — (وتسمى كرا Krà عند الأشانتى) . وكما نظر المصريون الى الرأس كمركز للقوة الروحية ، وضخم مثالوهم رأس التماثيل ، كذلك فعل مثالو غرب « أفريقية » . وهكذا نجد العقيدة فى جهتين من أفريقية حين تتشابه تنعكس بصورة متشابهة على فنونهما وهو أمر جدير بالاعتبار ما دمنا لانستطيع أن ننكر القيمة الفنية للتراث المصرى فى النحت مثلا .

من أجل ذلك كله سنعرض لأهم العقائد عند قبائل غرب أفريقية — كمثال قد يكون عاما أو خاصا — باعتبار أن هذه العقائد نتاج لعقلية أفريقية ، تصدر عنها الآداب والفنون،

كما تصدر عنها هذه المعتقدات .

ويعرض « وليم فاج » للروح العامة للعقلية الأفريقية التى تتمثل فى حيوية الألوان الفنية قائلا : ان التفكير الأفريقى مشروط بأفكار الأفريقيين عن طبيعة الوجود ، ونظريتهم فى ذلك : أن الوجود « عملية » وليس « حالة » ، وطبيعة الأشياء فى حركتها أو طاقتها لا فى مادتها . وقوى الروح الانسانية أو الحيوانية أو النباتية أو فى مختلف العوالم يؤثر بعضها فى بعض ، وعن طريق استخدام هذه الأرواح يمكن للانسان أن يؤثر فى حياته الخاصة أو فى حياة الآخرين » .

هذه الفكرة العامة تؤدى بنا الى أن نفهم روح العقائد بعد ذلك وخاصة اذا عرفنا أن هناك طرفين مهمين تتمثل فيهما هذه الروح العقلية ، الطرف الأول هو الاتجاه الروحى أو الحيوى Animism ، وما ينتج عنه من معتقدات السحر والتمائم .. الخ . والطرف الثانى هو عبادة الأسلاف ، ويكاد يكون بدوره نتيجة للطرف الأول لا مقابلا له . ولكل من هذين الاتجاهين أثره فى خلق التماثيل واستخدامها ومدى الاعتقاد فيها . ولنعرض لكل منهما وأثره فى شيء من التفصيل :

أولا ـ الاتجاه الروحى أو الحيوى :

وهو الاعتقاد بأن « الروح » تقطن كل الأشياء ـ حية كانت أو جامدة ـ والانسان فى ذلك مثله مثل الحيوان والنبات والجماد . وهذه الروح ليست مادة ترى ، وانما هى « فكرة وارادة » كما يقول سيچى . وهى نفس الفكرة التى ما زالت باقية الى الآن عند الأطفال حين يلعبون « بالعرائس » على أنها « قرينة » لهم فى الحياة يتحدثون اليها ويشاركونها أسلوب الحياة اليومى . ومن الغريب أن تتضح هذه الفكرة أكثر وأكثر لو تناولناها كما تبدو فى فن النحت الذى نحن بصدده . فكثير من التماثيل يقوم من أساسه على الاعتقاد فى « الروح » أو « القوة الروحية » أو « النياما » كما تعرف فى غرب أفريقية و « قوة التمثال أو القناع تبدو ـ فى عقيدتهم ـ أكثر واقعية من قوة الكائن الحى ، وهؤلاء الذين يمتلكون تمثالا يعتقدون أنهم يملكون قوة يمكن أن تحميهم أو أن يعتمدوا عليها حتى فى تحسين حالتهم » (ص ١٩ النحت الأفريقى) . والمثال لا « يرمز » بتمثاله الى فكرة مثل تمثال المسيح الذى يقال أنه رمز القداسة ، وانما التمثال الأفريقى هو « الروح » نفسها . أى أن النحات الأفريقى يعتقد أنه يخلق الحياة نفسها ولا يرمز اليها ، ولذلك يعتقد أن التمثال له قوة وأثر سحرى يمكن استخدامهما مباشرة ، ولذلك قلنا أن من نتائج الاعتقاد الروحى الاعتقاد فى السحر ، ومن هنا وجب تناوله بالتفصيل .

ثانيا ـ السحر : السحر يعرف بأن يكون للكلمة أو الحركة أو التمثال قوة جلب لمساعدة القوى الخرافية للانسان أو لتعطيه قوة لتوجيه قوى الطبيعة السرية ، فهو فن الاتحاد والألفة مع الطبيعة واستخدام أسرارها . وقد يكون السحر أبيض ، فيستخدم فى تحسين خصوبة الأرض أو النسل أو دفع سوء الحظ ، أما السحر الأسود فيستخدم فى الحاق الشر بالآخرين .

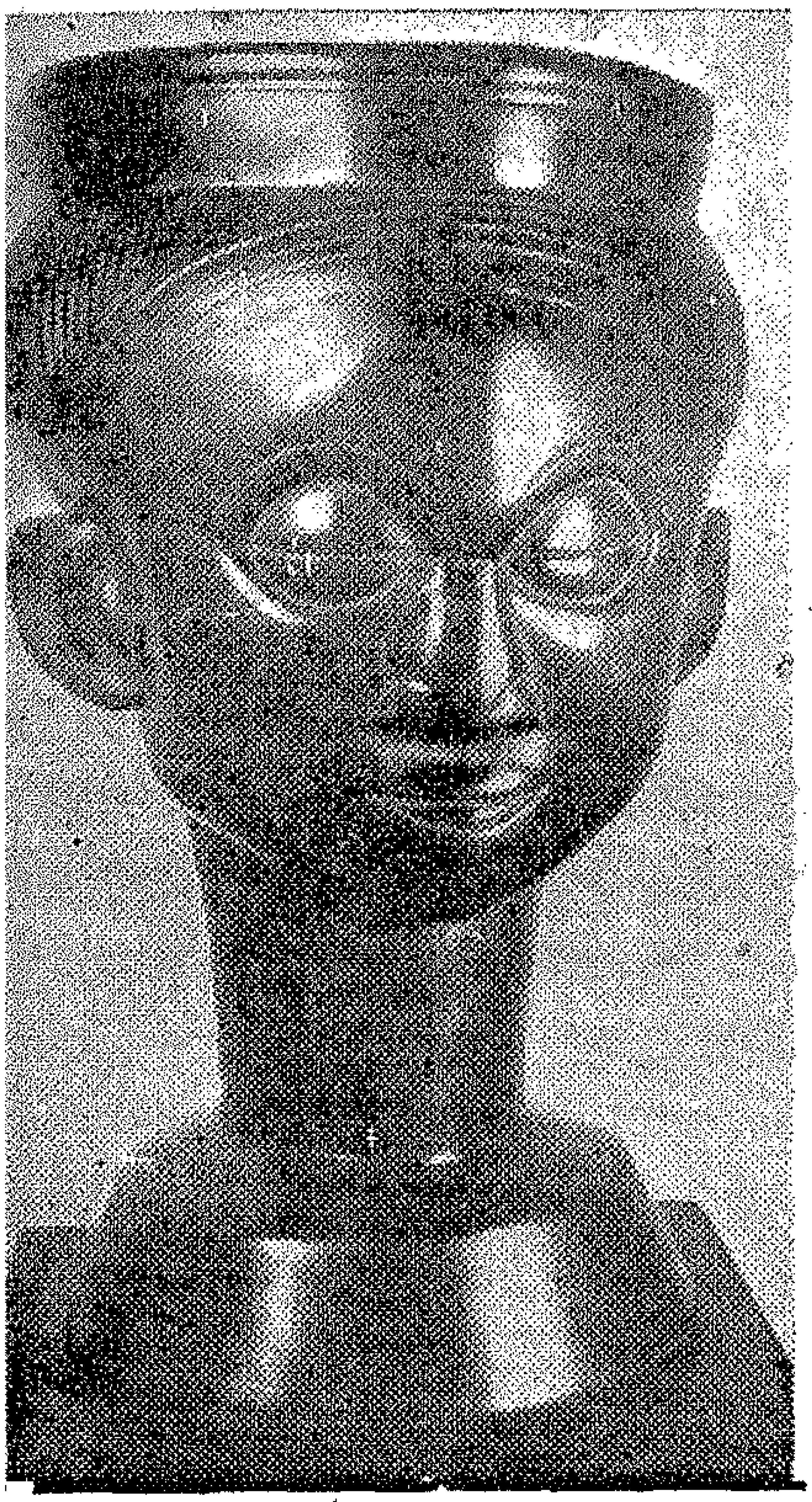

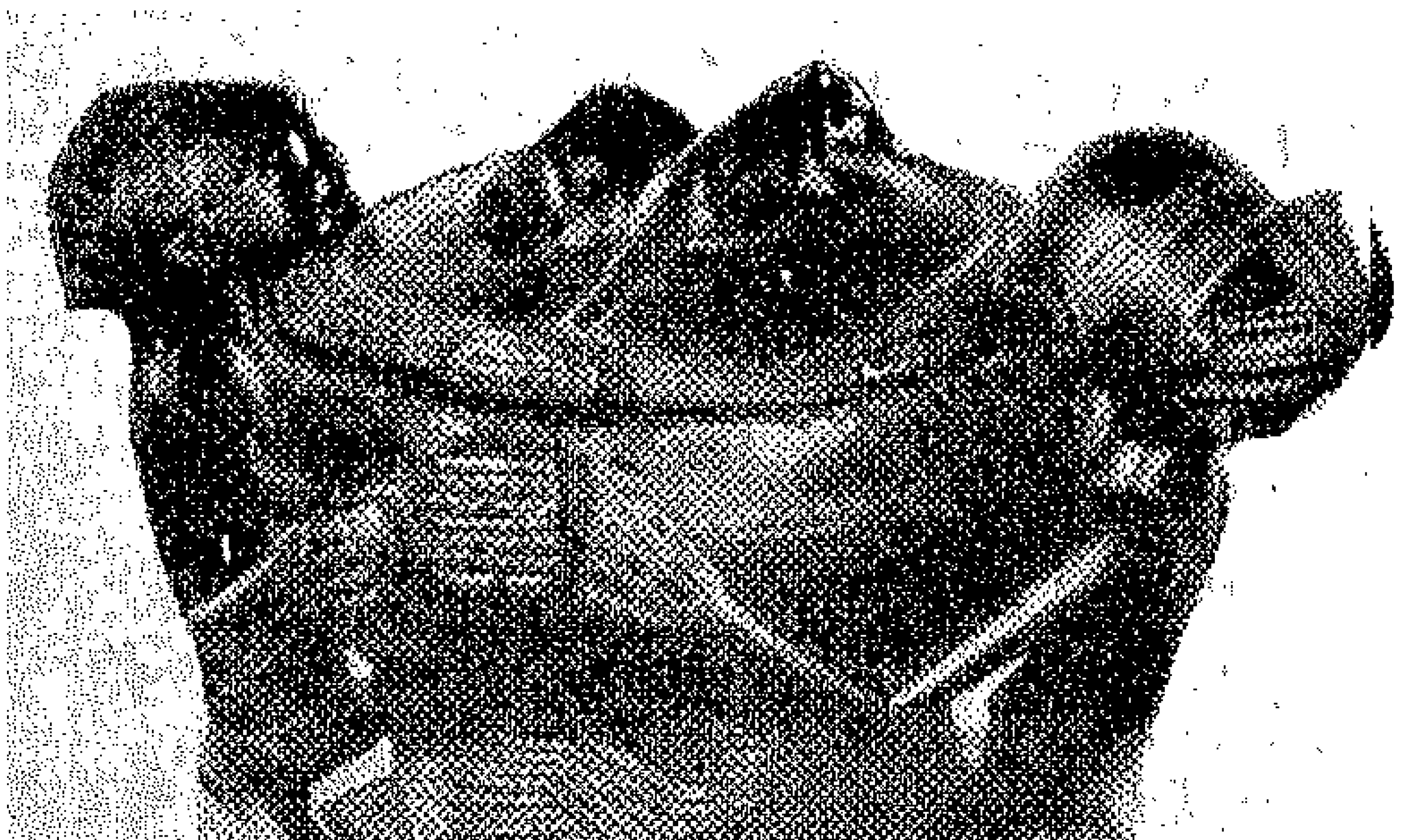

بعض الصور التى توضح جوانب هامة من قدرة الفنان الافريقى ، وارتباط فنه بمعتقداته، وبالحياة الاجتماعية من حوله .

وبالرغم من أن السحر يأخذ شكل الاعتقاد على هذا النحو الا انه نتيجة لاعتقاد ، وليس اعتقادا بذاته ، فهو يختلف بذلك عن الدين . ومن مظاهر هذا الاختلاف أن الطقوس الدينية تتصل بالأحداث مثل البلوغ والزواج والموت ، أما السحر فيجرى فى الأحداث غير المرئية للحياة ، كالمرض والجفاف .. الخ . والسحر عند الأفريقى يحل محل الصلاة فى الأديان المعروفة ، التى يقصد بها استجلاب القوة ، والتمثال السحرى الذى لا يحقق هذه النتائج يهشم ويحل محله غيره . وبمناسبة التهشيم نذكر أن الأفريقى فى استخدامه للتماثيل لأغراض سحرية يعتقد أن ما يجريه عليها سيجرى على الأصل ، فاذا شكل تمثال لعجل ثم كسرت رقبته ، اعتقد أن ذلك يعنى ذبح العجل الأصلى أو الوحش الذى يريده ، وقد يشرح ذلك ما ذكرناه من أعتقاد الأفريقى فى أن التمثال هو الروح وليس « صورة » لها. ويذكر سيچى «أن الانثروبولوجيين قد خسروا عددا كبيرا من أعمال النحت الهامة نتيجة لهذا الاعتقاد . اذ أن كثيرا منها قد حرق أو كسر » .

ثالثا : الاعتقاد فى الأوثان أو التمائم : (Fetishism) والكلمة ليست من غرب أفريقية ولكنها من اختراع العلامة دى بروسى البلجيكى فى مقارنته بين تماثيل العادات المصرية وتماثيل غرب أفريقية ، وقد اشتقها من كلمة « فتاح » المصرية على ما يرى سيچى . وتنطبق كلمة « فتشيه » بالذات على التماثيل ، ولكنها تشمل كذلك كل ما له قوة سحرية . والافريقى يخاف من الروح الشريرة أكثر من الوحوش ، ويخاف من « تمثال » الأسد أكثر من الأسد نفسه ، لأنه يستطيع الدفاع عن نفسه ضد الوحوش ، أما ضد « الأرواح » فدفاعه الوحيد هو السحر ، أو قوة الروح الكامنة فى « التمثال » . وأى شيء تؤدى عليه طقوس سحرية يعتبر « وثنا » أو « تميمة » فقد يكون قطعة من الخشب أو العظم أو الحجر.. الخ وتخدم كل « تميمة » غرضا معينا ، فالمحارب يحتاج الى تمائم لحمايته ضد الموت بالرصاص أو الغرق أو ضد التمساح ، فيعلق عددا منها حول رقبته .

رابعا ــ استخدام التماثيل فى العرافة أو الكهنة : وهى ما يعرف برمى العظم أو ما نسميه نحن « قراءة البخت » ، فعند قبيلة جابون مثلا بغرب أفريقية يمسك العراف بسلسلة مليئة بالتماثيل الصغيرة المصنوعة من العظام ، وتسمى « نجومبو » ويبلغ عددها أحيانا تسعين قطعة لكل منها معنى خاص ، فواحدة على شكل كلب تمثل روح الميت ، وأخرى فى شكل انسان تمثل الطفل ، وأخرى طويلة تمثل المسافر .. الخ . وموضع هذه الأشياء فى السلسلة ، يسمح للعراف أن يعرف مصير الانسان .

خامسا ــ الميثولوجيا : وهى أساطير تتضمن تاريخ الشعوب وآدابها بما لم تتضمنه الوثائق . وقد كانت الأساطير موضوعا خصبا « للنحت الرمزى » على ما يرى سيچى . وتحمل الأساطير أحلام القبيلة المعبرة ، ورأيها فى المستقبل ، ومخاوفها ،

وأمجادها . ويحمل الرمز الأسطورى النــــابع من « اللاشـــعور » مفاهيم روحية وايديولوجية كثيرة . والأقنعة والزينات فى الأعمال الفنية لها أصلها الأسطورى . وتكون الأساطير مصدرا لخلق انماط فنية معينة فى النحت مثلا بسبب التطور الميثيولوجى لفكرة الاله، أو تتابع خلق الكون .. الخ .

الطرف الثانى : عبادة الأسلاف أو الموتى : لعبـــادة الأسلاف قيمة كبيرة عند معظم القبائل الافريقية ، ذلك أنها تنبع من عدة مفاهيم هامة ، مثـــل الاعتقاد فى « روحانية الوجود » من جهة ، وخلود الأرواح من جهة أخرى. وروحانية الوجود تتمثل فى الاعتقاد فى « التوتم » الذى هو أصل القبيلة ، سواء كان حيوانا أو نباتا أو غير ذلك ، والقبيلة تتمثـــل أولا فى شـــيوخها ورؤسائها الذين يمثلون روح التوتم ويتوارثونها ، ولذلك يأخـــذ الرؤساء مركزا ممتازا يجعل القبيلة عند موت رئيسها تتبعه بمن كان معه من الخدم والزوجات والعبيد ليصاحبوه فى العالم الآخر . وكانت رأس الميت تحنـــط ، وتبقى أثناء الاحتفـــالات لأن « القوة الحية » أو الروح تستقر فى الرأس ، وكذلك كانت تبقى فى صـــــورة اناء يشربون منــــه ، ومن يشرب منــــه يكتسب القوة ـ قوة الميت ـ ولذلك لجأ النحاتون الى عمل تماثيل لرءوس الموتى ، وبدلا من أن يصحب الميت الأحياء الذين كانوا معه أصبح ينحت بعد ذلك أجساما وتماثيل مشابهة ، يمكن أن ترتد لها الروح يوما ما . كما تصنع تماثيل الأسلاف لتمثل هـــذه القوة الحيـــة ، ويعبدها التابعون ، ويقدمون لها القرابين . ويذكر سيجى من تقاليد بعض قبائل غرب أفريقية « أنهم يحتفظون أحيـــانا بجسد أب القبيلة ، ولكن جرت العـــادة أن يقام له تمثال أو قنــــاع ، ويعتقدون أن التمثال يحتفظ بقوة صاحبه الروحية ولكن ذلك يحدث بعــــد أن يقام له طقس خاص تحل الروح فى مكانها من التمثال الجديد » ويلاحظ اليسوفون أن التماثيل التى ينحتها المثالون فى القبائل لأسلافهم تختلف فى الحجـــم والتنفيذ عن أصولها ، وهو يرجع ذلك الى أن أساس الاعتقاد فى التمثال ليس لحجمه أو شكله ، وانما لروح السلف التى ستحل فيه ، وهى الجـــديرة بالاحترام والتقـــدير . ويختلف ذلك الى حد ما عن طبيعة التماثيل المصرية التى كانت تدفن فى المقبرة بجوار الميت لتحل فيها الروح اذا ما جاءت يوم البعث ولم تجد جسـدها ، فتحل فى شبيهه التمثال . ولذلك كان يجب أن يكون الشـــبه كبيرا بين الجســـم والتمثال . وسندرس هـــذه النقطـــة بتفصيل أكثر من ذلك حين نتناول فى مقال خاص « الأسلوب الفنى » فى النحت .

بقى الآن أن نتناول شكلا اجتماعيا له فى حيـــاة القبيلة أثره ، ذلك لأنه نتاج لطابع عقائدى قبـــلى معروف ، ولكنه يكون غنيا بألوان الفنون المختلفة، كما هو غنىّ بالطقوس . ذلك الشكل هو الجمعيات السرية التى تقـــوم فى القبيلة على أساس عقائدى ، وتؤدى دورا خاصا تعتقده القبيلة ، وترضى عنه بالرغم من سريته حتى على أفراد القبيلة واحتفاظ السحرة والعرافين به

وتقوم هذه الجمعيات بضم أبناء القبيلة من مختلف الأعمار لتعلمهم تراث القبيلة وعقائدها ، كما تقوم بالاحتفال فى مناسبات أعياد القبيلة الاجتماعية مثل احتفالات البلوغ والزواج .. الخ . ويتدرج فيها أعضاؤها درجات يعرف كل منهم المرحلة التى هو فيها ، ويقوم بدوره فى الاحتفال على هذا الأساس . وما يهمنا من هذا الشكل بالنسبة لفن النحت هو أن كل فرد فى مرحلة معينة يلبس « قناعا منحوتا » يمثل مرحلته ، وتصبح قيمة الفرد لا فى شخصه هو ، بل فى القناع الذى يلبسه ، وهو الذى يحدد درجته أمام القبيلة . ويصبح القناع بذلك لا مجرد رمز أو اشارة وانما تكمن فيه القوة الروحية ، كما تكمن فيه كذلك « قوة القانون » ذلك لأن الأحكام تصدر فى الاحتفال من ذوى الأقنعة الذين يمثلون أرواح الأسلاف. ومن يلبس القناع ، فان ذلك يعنى التحاقه بالقوة الحامية للقبيلة . وحين يموت صاحب القناع يحل محله شخص من نفس الدرجة ، وبذا تستمر سلطة القانون .

وتبدو قيمة « القناع المنحوت » السحرية فى كل مناسبة اجتماعية هامة مثل احتفال البلوغ مثلا . فعندما يبلغ الصبى هذا السن يلتحق بالجمعية السرية فى القبيلة ، وهذه بدورها تقيم احتفالا كبيرا تقلد فيه الشاب قناعا جديدا يناسب مرحلته التى بلغها ، ويعنى ذلك أنه أصبح شخصية جديدة جديرة بالتقدير والاحترام الجمعى .

وبعد ، فقد عرضنا الآن لألوان من العقائد الأفريقية ، وألوان من تأثيرها على فن النحت . ولا ينتظر القارىء أن نؤكد له أن المعتقدات هى المؤثر الوحيد على هذا الفن ، وانما هناك مؤثرات أخرى كثيرة قد يكون منها المناخ أو الموقع الجغرافى أو الجنس .. الخ ، والواقع أن لهذه العوامل جميعا أثرها فى فن كالنحت ، ولكن التراث العقائدى يبدو أثره بشكل ملحوظ ، والانسان الى حد كبير نتيجة تراثه الجماعى الذى هو بدوره نتيجة عوامل كثيرة هى « المرحلة الاجتماعية » كما يرى « دوركايم » ، أو هى أساليب الحياة ووسائل الانتاج المادية والتاريخية . **ولكن الذى يجعلنا متمسكين بأثر العقائد هو أننا سنبين فى مقال تال كيف أثر ذلك على الأسلوب الفنى نفسه أو ما يسمونه بالتكنيك ، فحجم التمثال ، وطريقة النحت ، ومادة التمثال نفسها ، وأنواع التماثيل .. الخ ، كل ذلك قضايا جديرة بالمناقشة ، لنكشف عن ابداعية الفنان الأفريقى فى تراثه الفنى المتنوع.**

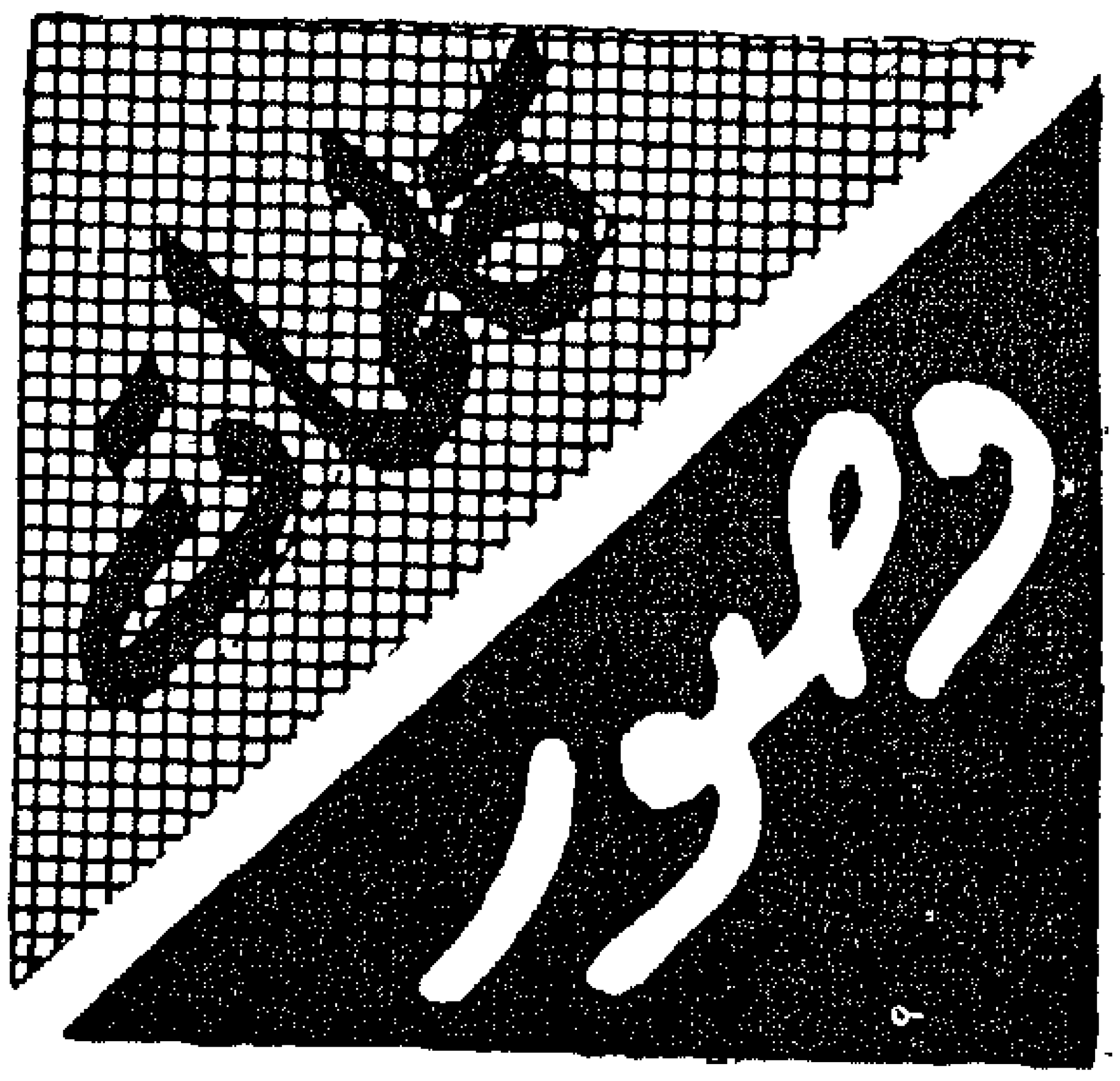

قصة فرعونية :

من الآداب المصرية القديمة التى تلقى ضوءا على الصلة القديمة بين مصر ، وافريقية تلك القصة المكتوبة بالهيروغليفية على بردية فى متحف « بطرسبرج » بعنوان « البحار الغريق » وتدور حوادثها حول بحار مصرى طموح كان يحلم بالسفر الى البلاد البعيدة ، وقد واتته فرصة السفر فى بعثة مسافرة الى الصومال على ظهر سفينة ضخمة يبلغ طولها حوالى ستين مترا ، وقد سارت هذه السفينة فى أمان ، والبحارة عليها فى سعادة غامرة ، يستشرفون بين الحين والآخر بلاد « صوماليا » ، وعندما لاحت لهم من بعيد ، وأضاءت وجوههم البسمات ، ونظر كل الى أخيه مهنئا هبت عاصفة مدمرة اقتلعتهم من السفينة ، وحطمتها فى قسوة ، وعنف .

وقد وجد البحار نفسه وحيدا فى الماء ، ورأى أشلاء السفينة وهى تغوص ، فأسلم نفسه بين الماء للقدر ، ولكن سرعان ما وجد نفسه مدفوعا بقوة الأمواج ــ كأن يدا تعطيه الحياة ــ الى احدى الجزر المتناثرة التى ما كاد يراها حتى تهلل الفرح فى نفسه ، ووجد فى نفسه أملا ، وفى جسمه قوة وأخيرا وجد نفسه يصارع الموت من حوله ثم ينتصب فى زهو ، وسعادة مخوضا فى الماء الذى غدا ضحلا تحت قدميه ثم معانقا شاطىء النجاة .

وفى الجزيرة وجد كل ما يمسك عليه الحياة . فالثمار تتدلى فوق راسه ، والطيور ، والأسماك يستطيع أن ينال منها ما يشاء ، ولم يكن يعكر عليه صفو حياته الا تلك « الوحدة » القاسية التى كانت تقرض أيامه ، وتكاد تصيبه بالجنون ، وبينما هو يفكر فى حاله سمع دبيب حية ضخمة تقترب ، وتقترب فى هيئة مذهلة للعقل فقد كان طولها خمسة عشر مترا ، وبعد أن استعرضت نفسها أمامه . عادت لترفع رأسها . ثم تقربها منه . ثم .. ثم تقول له فى صوت لم يميزه « من الذى أتى بك الى جزيرتى ؟ » .

وما يكاد الملاح يسمع هذا حتى ينهار على الأرض ، ويحاول الابتعاد عنها ، ولكنها تقترب منه . ثم تفتح فمها . ثم تطبق عليه فى حنو ، وتكرر عليه نفس السؤال .

ويدخل شىء من الأمن فى نفس الملاح فيقص عليها قصة طموحه ، وحبه للتوغل فى البحر ، والأمانى التى كان يعقدها على وصوله الى « صوماليا » فتتمسح به فى شفقة ثم تسأله الاقامة معها فيجيب .

ويجد الملاح نفسه فى يوم من الأيام يسألها عن قصتها فتقص عليه أنها كانت زوجة طيبة تستمتع بالحياة وسط زوجها ، وأولادها ، وأقاربها ، وفى يوم من الأيام دفع البحر الى الجزيرة بامرأة غريبة عن أهل الجزيرة وما كادت تستقر فيها حتى أشعلت الفتنة بين الرجال ، والغيرة بين النساء ، والحقد بين الأولاد مما تسبب عنه أن السماء سخطت عليهم ، وكانت علامة سخطها أن أسقطت عليهم شهابا دمرهم جميعا ، ولم ينج أحد من هذا التدمير سوى « الحية » .

وما كادت تنتهى من هذه القصة حتى وجد الملاح نفسه فى حزن شديد لمأساتها ولكنها أرادت أن تسرى عنه . فتنبأت له بأن سفينة مصرية ستصل عن قريب الى هذه الجزيرة بعد شهرين ، وأنه سيعود فيها الى زوجته ، وأولاده ، ولن يلاقى الموت الا فى وطنه !

فما كاد يسمع هذا حتى انحنى أمامها شاكرا ، ذاكرا لها أنه سينقل قصتها لفرعون مصر ، وأنه سيرسل اليها الكثير من هدايا بلاده ، وبعد شهرين حضرت السفينة ، وتلقى من الحية هدايا كبيرة منها العاج ، والأخشاب ، والقردة فشكرها وسار بفرح الى بلاده ليقص هذه القصة فى « مصر » التى خلدتها هى الأخرى — اعترافا منها بالجميل — على ورقة بردى .

قصة شعبية سودانية :

كان أحد الملوك المحليين فى السودان يملك بغلة ، وكان يطلق سراحها مما تسبب عنه ازعاج المزارعين الفقراء . فقد كانت تجرى فى حقولهم فتحطم الزروع ، وتميل بين الحين والآخر لتأكل ما تجده فى شراهة غريبة .

وقد اجتمع المزارعون الفقراء ، وقرروا أن هذا الحال لايمكن السكوت عليها ، وأنهم لابد أن يقوموا بعمل ايجابى يحمى قوتهم ، ورزق أولادهم من هذه البغلة ، وقد اهتدوا أخيرا الى أن يرفعوا الأمر الى الملك ، ولكنهم حين فكروا فيمن يقوم بعملية الابلاغ هذه تجمد لسانهم ، وأوشكوا أن يعودوا الى دورهم منكسرين ، وخيال مزارعهم المحطمة فى خيالهم ، ولكن واحدا منهم قال أنا أستطيع أن أكلمه فى هذا الأمر فأعجبوا بشجاعته ، وشهدوا له بالشهامة ، والذكاء .

وبينما هم يتبادلون مدحه فى حماس قال لهم « ولكن لابد أن نتحمل التبعة جميعا » فقالوا له « وكيف نتحملها جميعا والأمر كله كلمة أو كلمتان ترفعان الى الملك » .. فقال لهم « انى سأقول وحدى الكلمة الأولى ، وعليكم الذى سأقول فيه « البغلة » تكملون انتم « حطمت زرعنا » » .

فاتفقوا على هذا ، وساروا فى عزم ، وتصميم الى الملك . فلما رأوه سلموا عليه ، وانحنوا أمامه ، ولما سألهم عن طلبهم ، وسبب مقدمهم ، رفع الرجل الأول رأسه وقال الكلمة المصطلح عليها وهى « البغلة » وانتظر أن يتفوهوا بعد أن كررها ثلاث مرات ولكنهم صمتوا . وهنا ضاق الملك بهذه الكلمة التى كررت وصاح فيه «مالها البغلة؟» فأجاب الرجل وهو ينظر فى وجوه أصدقائه فى حرد ، وغضب « انها يامولاى وحيدة ، وقد جئنا لكم

لتشتروا بعض البغال الأخرى حتى يتكون منها قطيع كامل » فشكرهم الملك على هذه الفكرة الطيبة ، وأصدر أوامر سريعة تقضي بشراء قطيع كامل من البغال ! .

السلطان تيراب :

يروى أن السلطان «تيراب» سلطان كردفان كان يحب المرح ، وألوان الغناء ، والرقص ، وأن الشباب والشابات كن يجتمعن فى بيته للرقص والغناء ، وفى يوم من الأيام وجد شابا وشابة ينتحيان جانبا ثم يشيران اليه ، فدعاهما اليه ، وقربهما منه . ثم سألهما عن سبب اشارتهما اليه فقال الشاب «لقد سألتها أن تتزوجنى فقالت : كم تدفع لى مهرا ؟ . فقلت : لها انى رجل فقير لا أملك قوت يومى ، ولكنى أملك شيئا كبيرا عزيزا على هو ــ السلطان ــ ثم أشرت اليك ــ فهل تقبلين الزواج منى على ما أملك ؟ فقالت : فى فرح غامر وهى تشير اليك : قبلت المهر والزواج » .

فسر الملك وقال للفتاة : أرضيت بى مهرا ؟ . قالت : نعم . فقال لها : وهل تقبلين الفداء وأنا أفدى نفسى ؟ فلما أجابته بالايجاب أمر بعقد العقد ، وأغدق عليهما الأموال ، وقربهما من نفسه !

الأدب الشعبى :

لم يقف الأدب الشعبى فى المعارك التى خاضتها البلاد ضد الانجليز منعزلا ، وانما أسهم مساهمة كبيرة فى المعركة بلغته السهلة الساذجة ، وأفكاره النابضة الحرة . ومن هذا اللون ماكتبه « يعقوب بن صنوع » أحد رواد الصحافة فى مصر منددا بما فعله الانجليز عند فتح السودان ، ومسجلا لنفسه صفحة خالدة لم يرسم مثلها لنفسه الأدب الفصيح فقد كتب فى عام ١٨٨٩ .

«لابد بلغكم ياخلان، مافعلته القساة الانكليشان . بمدينة أم درمان بجثة محمد أحمد بطل السودان .. الى متى تحلم على الانكليز يارحمن .. ياما هم وحوش . ياسلام عليهم متى قدروا ما يعفوش .

نراهم اليوم يفتحون مقابر الأبطال ، ويخرجون الميت ويفعلون به أشنع الأفعال ، وفعلهم ده المشئوم . أجروه فى المهدى المرحوم ، أخرجوه من قبره، وأمام أهله وناسه ، بيدهم النجسة قطعوا رأسه ، وأعطوه لابن أخى غردون الجنرال الخسيس ،اللى فى عهد المهدى مات فى أم درمان فطيس !! » .

مكنسة :

يتميز الافريقيون بالبساطة ، والعمق فى الوقت نفسه ، ولعل مما يوضح هاتين الخاصيتين فى نفوس الأفريقيين تلك الهدية البسيطة التى تقدمت بها قبيلة الدكتور «هاستنجر باندا » حين قدم الى بلاده ليقودها فى معركة التحرر التى تخوضها روديسيا.

اذ أنه ما كاد يهبط من الطائرة حتى تقدم اليه زعيم القبيلة ، وفى يده هدية يتقدم بها باسم بلاده ، ولقد كانت الهدية ترمز الى طرد المستعمرين بقسوة من البلاد . لقد كانت « مكنسة ! » .

دكتور وليم ادوارد دى بوا :

من الحركات التحررية التى تدين لها افريقية ، وتعتبر نقطة ضوئية فى تاريخ كفاحها تلك الحركة التى قام بها

« وليم ادوارد دى بوا » أحد مواليد أمريكا والذى قام بتدريس التاريخ والاقتصاد فى جامعة « اتلانتا » فقد شغل نفسه فى مطلع هذا القرن بقضية الزنوج المضطهدين فى أمريكا على أساس من القانون . فقد ذكرهم بالمادتين ١٤ ، ١٥ من دستور بلادهم الذى يؤكد المساواة السياسية بين البيض والزنوج .

ومن أجل هذا عقد عدة مؤتمرات عام ١٩٠٥ ، وفى عام ١٩٠٦ ، ١٩١٩ ، وفى هذا المؤتمر الأخير ذكر المؤتمرون فى باريس أنه بينما كان الزنوج يموتون من أجل قضاياهم . كانت تعليمات الأمريكيين فى الحرب تؤكد لجنودها أنه لا يجب أن يتناولوا طعاما مع الزنوج ، ولا يجب أن يصافحوهم . الا بالقدر الذى يسمح لهم باصدار الأوامر ..

على أنه خرج من دعوته الخاصة بالسود فى أمريكا الى الأفريقيين فى بلادهم وهكذا يعتبر دكتور « وليم ادوارد دى بوا » أحد رواد الحركة الوطنية .

دعوة :

وجه الرئيس « جمال عبد الناصر » دعوة الى كل من الزعيمين الأفريقيين « سيكوتورى » رئيس وزراء غينيا ، والدكتور « توبمان » رئيس جمهورية ليبيريا لزيارة الجمهورية العربية المتحدة . ويتفاعل الأفريقيون بهذه المقابلة ، ويعتبرونها تأكيدا للروابط النامية بين كل جزء من أجزاء افريقية ، وخطوة أكيدة فى العمل من أجل صالح كل الدول الافريقية .

الزعيم سيكوتورى

صناعة الفخار فى افريقية

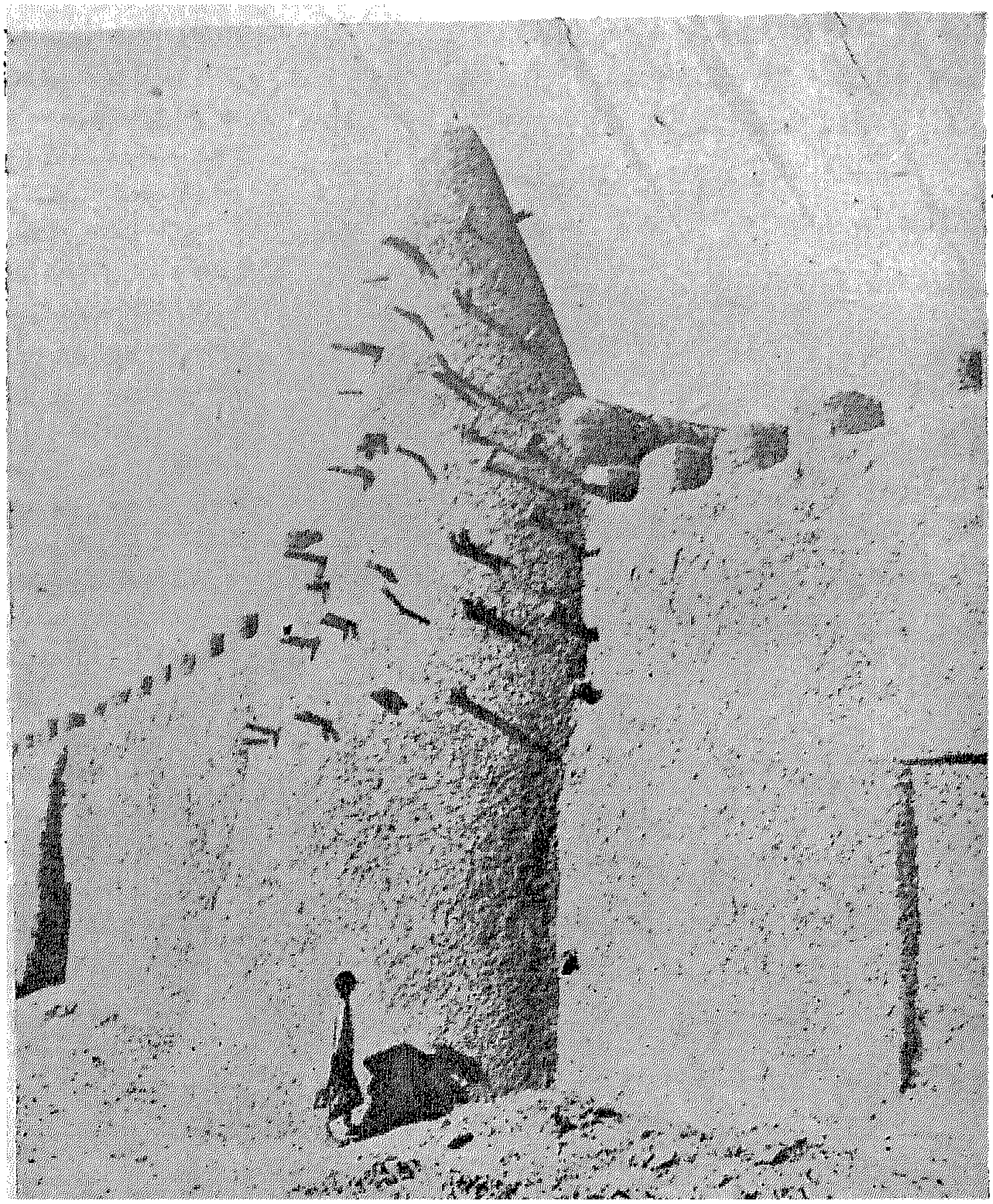

من أنظمة المبانى الشعبية

قصيدة :

من أقوى القصائد العربيـــة التى
تتعرض لحقيقة المحنة فى كينيا قصيدة
الدكتـــور محيى الدين صـــابر التى
يقول فيها :

كلها « ماو ماو » يوم النهضة
فلتذقها « بريطانيا » مرة
جرعة مسمومة فى جرعة
طالما احكمت القيد لنا
ثم سامتنا جحيم الذلة
ورمت وحدتنا طاغية
انما قوتنا فى « الوحدة »
واستباحتنا جنودا قحما
فى حروب ضد الانسانية
جاء بالانجيل منهم معشر
قيل عنهم من دعاة الرحمة
حرمونا جنة ليست لهم
واستغلوا أرضنا كالجنة
أرجعوها وخذوا انجيلكم !
لنعش فى أرضنا الطيبة
شغلت رهبانكم عن ربهم
ضيعة البن ، وحقل الحنطة !
وهوى حكامكم فى حماة
ومشت « كينيا » بحكم الرشوة
بعتم اجدادنا قرصنة
أمس خلف البحر بيع السلعة !
وبنيتم هرما من كذب
وجلستم انتمو فى القمة
واقمتم بيننا مجتمعا
همجى الراس والقاعدة !

استنزاف :

لقد استنزفت بعض الدول المستعمرة كثيرا من الدول الافريقية، وقضت على اقتصادها لأجيال قادمة . ففى « مدغشقر » الآن ترتكب جريمة فى حق شعبها الآن . ذلك لأن الفرنسيين يغمرون هذه الأرض بطبقة من المغامرين ينقبون عن « الأحجار المشعة » التى يكمن فيها ٢٠٪ من اليورانيوم و ٦٠٪ من الثوريوم حتى لقد انتشرت بينهم كلمة تكرر على كل لسان هى « فى مدغشقر يكفى أن تنحنى ، وتمد يدك لتكون من الاثرياء » على أن الجريمة لاتقف عند هذا ،وانما تتعدى الى السكان أنفسهم لأنهم يسخرون فى جمع هذه الأحجار الأهالى . ومن العادة أن العامل لايقوى على هذه العملية الا مدة معينة لاصابته بالاشعاع مما يجعله غير قادر على العمل بعد ذلك .

الله :

بعض القبائل الافريقية تجسم « الله » تعالى ويرونه فى صور متعددة مرتبطة بتاريخهم ، وواقعهم الاجتماعى والنفسى فقبيلة «البامبارا» تراه فى صورة كائن مائى يميل الى الشقرة واللون النحاسى . كما أن له قدرة على الظهور فى عدد كبير من الكائنات . أما مكانه المفضل اليه فهو نهر « النيجر » .

ويعلل أهل « توجو » تباعده عن الناس لأنهم فى الزمن الماضى لوثوا سماءه بأيديهم وأفكارهم القذرة ، وفى غرب « الكمرون » تسميه بعض القبائل « نيامبى » ، وقد يسميه بعضهم باسم « الموت » لأنه يدمر الحياة ، ويظن بعضهم أنه يعيش فى باطن الأرض بجوار الموتى ، بينما يرى البعض أن مكانه السماء حيث لايستطيع انسان أن يصل اليه ، ويستحسن التبتل اليه حين ينمو الهلال والدعوة القوية التى توجه اليه بأيد مرفوعة هى « أنا لست من عبادك الجشعين ! » ويقولون انه لم يهبط الى الأرض الا مرة واحدة نزل فيها على نسيج العناكب حاملا الرجل والمرأة لاسكانهما الأرض .

أما فى كينيا فيعتقد البعض فى اله عظيم يسمى «مولونجو» وانه مسيطر على كل شىء ، وموجود فى كل مكان ، وأن له أربعة عروش أحدها على قمة جبل « كينيا » !

من ثورات النساء فى افريقية

2nd. Year

Issue No. 21 - Aug. 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- CONFERENCE POLICY IN AFRICA
- ANGLO - GERMAN COMPETITION IN UGANDA
- RHODESIA AND NYASALAND
- PHARAONIC EGYPT AND EAST AFRICA
- THE BUSHMEN
- BOOK ANALYSIS

السنة الثانية

العدد ٢٢ سبتمبر ١٩٥٩

نهضة افريقية

في هذا العدد

- من أكرا الى مونروفيا
- العرب فى شرق افريقية
- من القصص السودانى
- من روائع النغم الافريقى
- نقد الكتب

الثمن ٣ قروش

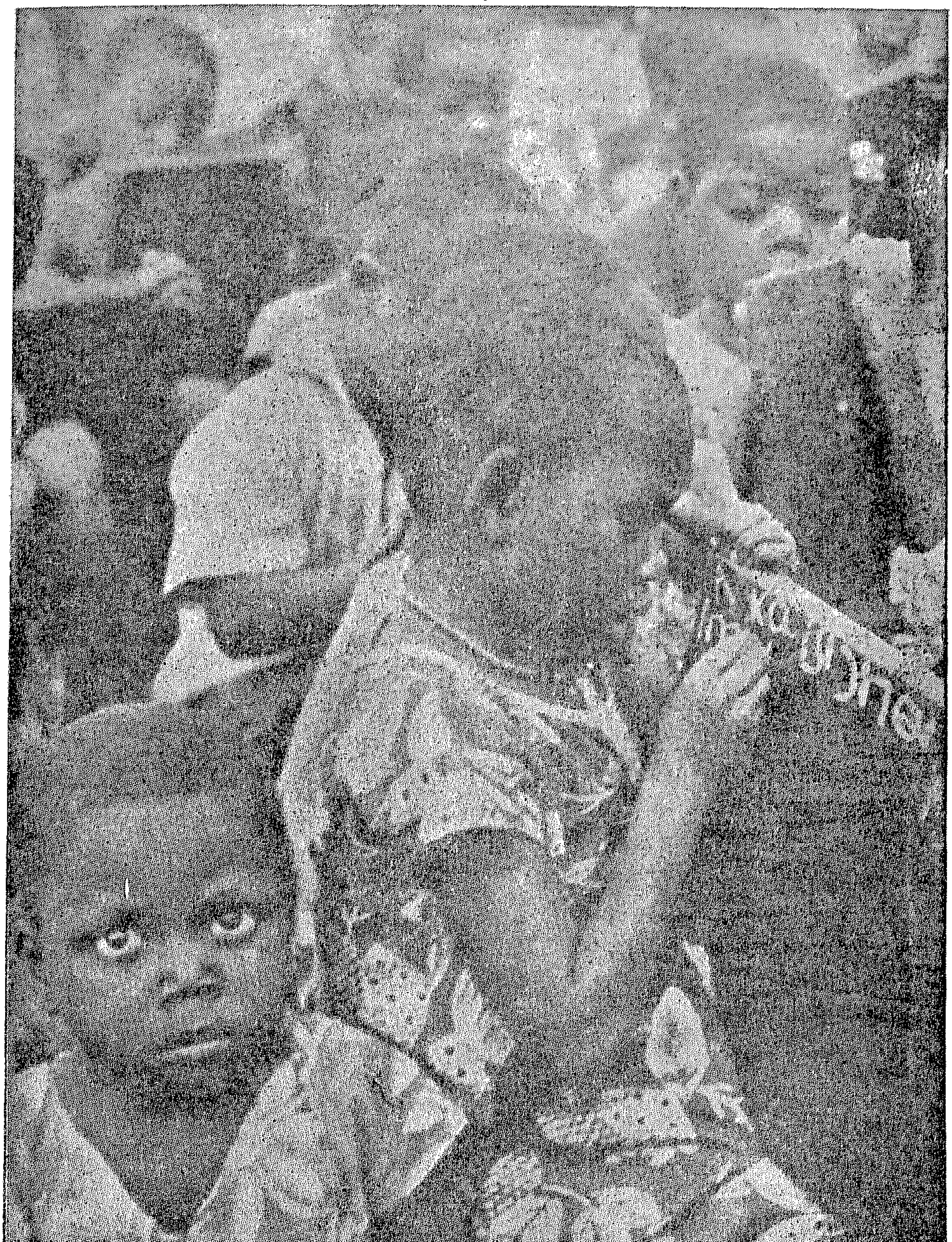

تعليم الأطفال فى افريقية

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة أفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

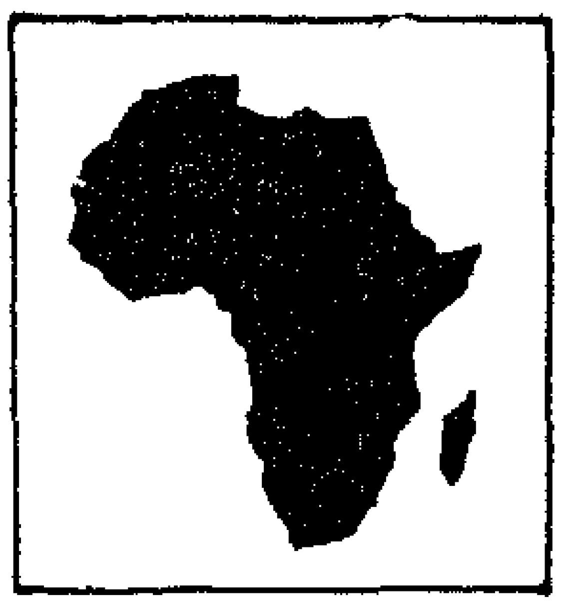

نهضة أفريقية

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

يغالى بعض الأمريكيين فى الترويج لنظرية «الأجناس» ، والقول بانحطاط الشعوب الملونة ، ولهم فى تطبيق هذه الفكرة التى لا تقوم على أساس علمى مغالاة تحطم القيم المضيئة فى قلب الانسان . حتى لقد وقف فى يوم من الأيام السناتور الأمريكى « بيلو » فى الكونجرس مرتعدا حينما ترددت نغمة أن هتلر كان أول من طبق عمليا قوانين التفرقة العنصرية .

فقد ذكر هذا السناتور « بفخر ! » أن أمريكا سبقت ألمانيا فى هذا المجال ، فقد عملت على ابادة السكان الأصليين ، واعتنقت عملية ابادة الهنود عن طريق التخلص من المال فى أيام العطلات ، وأيام الآحاد .

وتذكرنا هذه الأفكار المشوهة بالأحداث التى تظهر فى أول كل عام دراسى بأمريكا . حين تنادى بعض الولايات فى حدة ووحشية بأنه لامجال للأطفال السود فى مدارس تضم الأطفال البيض . متخذة فى كل ذلك وسائل يرتعد منها الضمير الانسانى ، وقد سمعنا أخيرا أن آخر « التقليعات » الأمريكية فى هذا السبيل هى تلك التى قامت بها ولاية « كارولينا الشمالية » فقد كتبت على الأرض فى كل الطرق المؤدية الى المدارس عبارة « عودوا الى بيوتكم أيها الزنوج ! » .

ألا يحق للعالم كله أن يوجه هو الآخر شعارا للأمريكيين يقول فيه : « عودوا الى انسانيتكم أيها الامريكيون !؟ » .

عبده بدوى

محتويات العدد

من آكرا الى منروفيا :	
للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق	٣
العرب فى شرق افريقية :	
للدكتور جلال يحيى	٧
من روائع النغم الافريقى :	
للأستاذ سليمان جميل	١٦
نقد الكتب :	
للأستاذ عبده بدوى	١٨
الجانب النفسى فى التفرقة :	
للأستاذ محمد عثمان	٢٧
حركات التحرر فى افريقية :	
للأستاذ محمد عبد المنعم يونس	٣٣
السودان فى صور :	٣٩
البحر الأحمر :	
للأستاذ سمير عطا	٤٣
جمهورية مالى :	
للأستاذ بهجت ابراهيم الدسوقى	٥٠
من القصص السودانى :	
للأستاذ عباس خضر	٥٣
كلمات وصور :	٥٥
كتاب الشهر :	
للأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم	٦٣

من أكرا إلى مونروفيا

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

حينما اختتم مؤتمر أكرا للشعوب الافريقية أعماله بقراراته المشهورة التى اتخذها فى شهر ديسمبر الماضى ضد ((النزعات القبلية)) و ((الحدود المصطنعة)) و ((الزعامات التقليدية البالية)) وسياسة ((التفرقة العنصرية)) التى أيد فيها شعب الجزائر المناضل ، وأدان سياسة الاستعمار المبنية على الدس والوقيعة بين ما يسمى ((افريقية البيضاء)) و ((افريقية السوداء)) ، كان من الواضح فى أكرا ، فى ذلك الحين ((ان مؤتمر الشعوب)) لم ((ينته)) باصدار هذه القرارات وبعقد النية وحشد الجهود لتحقيقها وتنفيذها ، وكان فى وسع المراقب السياسى أن يرى ((براعم)) مؤتمر جديد تنبثق من فروع هذه الشجرة الفتية القوية العروق التى نسميها ((الوطنية الافريقية)) ..

ذلك أن الشعوب الافريقية وحكوماتها على السواء قد انتزعت لنفسها زمام المبادأة ، وأخذت تضع ((الاستراتيجية)) السياسية و ((التكتيك)) العملى الملائم الذى يكفل الانتقال من مرحلة كفاحية الى المراحل التى تليها مستضيئة بتجارب الماضى وخبرة الحاضر المشترك فى صراع الاستعمار .

ولهذا فان انعقاد مؤتمر **((مونروفيا))** فى أوائل أغسطس عام ١٩٥٩ لم يكن مفاجأة لأحد سواء فى صفوف الاستعمار أو فى دوائر الشعوب الافريقية المناضلة وانما كان خطوة طبيعية ، بعد ((**أكرا**)) ، تتلوه ولا ريب خطوات أخرى قد أخذت براعمها تبدو للناظرين فى ((**كوناكرى**)) ، فلن تتوانى **((غينيا))** الفتية النابضة بعناصر الفتوة عن الأخذ بنصيبها المقدور فى ميدان التحرر الافريقى ..

ونعود الى حديث **((مونروفيا))** فنرى أنفسنا وقد تأهبنا للسفر من القاهرة، ولم نجد ، كالعادة ، طريقا جويا ميسرا يخترق بنا القارة من عاصمة الجمهورية العربية المتحدة الى عاصمة ليبيريا ، بل وجدنا أنه لامندوحة لنا عن الذهاب الى الغرب الافريقى عن طريق أوروبا ، وهكذا هبطنا روما ، فى

قيظ خانق ، ومن هناك طـرنا الى « لشبونه» فوجدنا الصيف القـائظ أيضا تدعمه رطوبة ثقيلة الوطأة ، وماهى الا هدأة قصيرة فى عاصمة البرتغال حملتنا بعدها مجنحة جبارة أخذت تعلو حتى استقرت فوق السحاب ، وجعلت منه ، تحت أبصارنا ، جبالا وهضـابا ووديانا ، بيضـاء ورمادية وحمـراء ، وجعلتنـا نخشى القمم المدببة المنتصبة فى جوف السماء أن تلمسـها الطـائرة فينـالهـا العطب والهلاك ..

وبعد ساعات تزيد عن العشر عددا وتزيد عن الدهور طولا ، هبطت بنـا الطائرة فى جو معتم عاصف مطير ، فقد انتقلت فى خلال تلك الساعات من فصل الصـيف فى البرتغـال الى فصـل الشتاء فى ليبيريا ، وعلى ضوء الثريات المرتعشة فى مطار « روبرتسفيلد » تحسسنا طريقنا على سلم الطائرة ، وكنا وفودا كثـيرة التقت بالصـدفة العابرة فى مطار لشبونة ، وما هى الا لحظات حتى كانت قوافل السيارات تندفع بنا الى مدينة «مونروفيا» التى تبعد عن مطارها الرئيسى بأكثر مـن ثمانين كيلومترا ، عبر طريق يخترق الأدغال ومزارع المطاط .

وفى نهاية الطريق ، صوب البحر المحيط، وجدنا ((مونروفيا)) ذات التاريخ العجيب والمفارقات الطريفـة ، فهى عاصمة دولة هاجر أسلافها تحت ضغط الاضطهاد الأمـريكى الأبيض ولجأوا ، طلبا للحرية ، الى الشاطىء الافريقى المقابل ، وجعلوا شعارهم حتى اليوم ((من أجل الحرية جئنا الى هذا المكان))، وجعلوا اسم دولتهم ((ليبريا)) مشتقا من اللفظ اللاتينى الدال على التحـرر من الظلم ، اشارة الى ما كانوا يعانونه فى بلاد ((العم سام)) ، ومع ذلك فقد أطلقوا على عاصمتهم اسم أحد الكبراء الأمريكيين فأسموها ((مونروفيا)) ، وسموا مقـر برلمـانهم ((الكابيتول)) تيمنا ، فيما يبدو ، بمقر الدار النيابية الأمريكية ، وأطلقوا على مقاطعـات بلادهم أسماء الولايات الأمريكيـة ، وأقربها الى ((مونروفيا)) مقـاطعة ((فرجينيا)) .. !

والمدينة نفسـها ، مدينة جميلة الموقع تقـوم على مجمـوعة مـن النتوءات الصخرية المتشابكة التى تطوقها مياه المحيط وتخترقها أنهار واسعة تجرى من الأدغال الداخلية الى الشاطىء ، وتتناثر على النتوءات اليابسة بيوت و « ڤيلات » واطئة ذات سقوف ملونة ، وتتخللها مساحات واسعة متناثرة من الأرض الجرداء التى يهطل عليها المطر أكثر شهور السنة ، وتؤازر الحـرارة المطر فتبعث خمائر النماء النشطة فى الأرض الجـرداء فتغطيهـا بالخضرة المتشابكة حينا ، وبأشجار « جـوز الهند » و « نخيل الزيت » الباسقات حينا آخر .

وفى صباح اليوم الرابع من أغسطس تقاطرت الى « دار الكابيتول » وفـود الدول الافريقية المستقلة ، وتناثر فى ممراته وأبهائه ممثلو الشعوب التى جاءت تعرض قضاياها وتدعو أخواتها الرشيدات الى أن تأخذ بيدها ، وفى جو من الحماس والتضامن الأخوى ، اتخذ الرئيس الليبيرى ((**تابمـان**)) مقعده

فى صدر القاعة المستديرة التى أعدت للمؤتمر ، وتقدم رئيس وزراء مراكش من منصة الخطابة فأعلن افتتاح المؤتمر واقترح أن يرأسه ممثل حكومة الدولة المضيفة ، ووقف الرئيس ((**تابمان**)) فألقى خطابا انسانيا ضافيا ، وتوالت ((خطب الافتتاح)) التى استطاع السامعون أن يستشفوا منها الاتجاهات العامة للحكومات الافريقية ازاء القضايا الخطيرة المعروضة على المؤتمر ، وعلى راسها ((**قضية الجزائر**)) .

وقد استغرق القاء الخطب الافتتاحية فترتين صباحيتين أعلنت فى خلالهما ((غينيا)) اعترافها بحكومة الجزائر المؤقتة ، واستنتج المؤتمرون ثم استوثقوا بعد ذلك ، من أن الظروف لم تأذن للحكومتين الافريقيتين الباقيتين حتى الآن بالاعتراف بالحكومة الجزائرية ، وهما : أثيوبيا وليبيريا .. بل انه حدث عندما أجمعت الوفود على رفع العلم الجزائرى على مبنى المؤتمر ، وقامت فعلا برفعه ، فى احتفال مهيب ، أن بادر الوفد الليبيرى فأصدر بيانا عاجلا أكد فيه أن مساهمته فى هذا العمل لا تعنى الاعتراف بالحكومة الجزائرية ، وأن هذه مسألة لا تزال قيد البحث ...

وبعد يومين من الخطب التى استعرضت الاتجاهات العامة قسم المؤتمرون انفسهم الى لجنتين رئيسيتين : اللجنة الأولى لقضية الجزائر والتفجيرات الذرية ، واللجنة الثانية لبحث القضايا الافريقية العاجلة كقضية الكاميرون ونياسالاند وكذلك لسماع الشكاوى من وفود الشعوب التى جاءت لتعرض المظالم وأفاعيل الاستعمار فى بلادها .

وقد أنجز المؤتمر اعماله بنجاح ، ففازت الجزائر باعتراف دولة شقيقة جديدة ، وتقرر عرض قضيتها من جديد على الأمم المتحدة ، واستنكر المؤتمر تجارب فرنسا الذرية فى الصحراء الافريقية ، وأوصى حكومات القارة بأجمعها أن تقف بكل الوسائل المحكمة فى وجه تلك التجارب الوحشية. وارتأى المؤتمر أن الأوضاع الحالية فى الكاميرون تبعث على القلق فان قرار الأمم المتحدة بمنح الكاميرون استقلاله فى العام القادم لابد أن تسبقه اجراءات ديموقراطية تكفل عودة الحياة الطبيعية الى البلاد وتطهرها من آثار المظالم الفرنسية وتتيح للشعب أن يختار الحكومة التى يريدها ..

وقد أدان المؤتمر سياسة العسف والنفاق التى تتبعها بريطانيا فى اتحاد وسط افريقية وفى أوغندا ، وأوصى بضرورة الافراج عن المعتقلين المعذبين فى كينيا ، واستمعت اللجنة الثانية لشكاوى مندوب ((**أنجولا**)) الذى تحدث باسم بلاده وباسم المستعمرة البرتغالية الكبيرة الأخرى ((**موزمبيق**)) وكشف للجنة عن أساليب البرتغال فى الحيلولة دون بحث الأمم المتحدة لقضايا المستعمرات البرتغالية بأن عدلت الدستور البرتغالى ونصت فيه على أن البرتغال ليس لديها مستعمرات ، وانما هناك ((مقاطعات برتغالية هى جزء من أرض الوطن فيما وراء البحار)) ... وأخذت تفعل ما تشاء فى مستعمراتها ، وتعتبر ذلك أعمالا ((داخلية)) لا شأن بها للمنظمات الدولية .. واستنكر

المؤتمر سياسة البرتغال التى تزعم أن مستعمراتها «جزء من أرض الوطن» ثم تشترك مع بريطانيا وفرنسا فى جميع المؤتمرات التى تنظم استغلال المستعمرات الافريقية واستعبادها ..

ولم تكن ليالى المؤتمر أقل نشاطا وحيوية من أويقات الصباح والظهيرة، فحينما انتهت الاجتماعات توالت الدعوات لحفلات التعارف والأمسيات الساهرة ، وهى الحفلات التى بدا فيها ميل اخواننا الليبيريين الى الاستمتاع بأطايب الحياة حيثما وجدوا الى ذلك سبيلا ، كما أبدت لنا تمسكهم الشديد بالمراسم والشكليات التى تجبرك على ارتداء ثقيل الملابس والتمنطق بشتى الأربطة — فى الجو الذى لا يطيق فيه الانسان أكثر من جلده حفاظا على التقاليد الغربية المرعية ..

وقد انفض المؤتمر ، وودعنا مونروفيا ، فى جو من التفاؤل المعقول، والشعور بأن الحكومات الافريقية قد استطاعت أن تدفع بقضايا التحرر خطوة جديدة الى الأمام ، وأن تتخطى عقبات لا يستهان بها ، فقد اتخذت « غينيا » مثلا قرارها بالاعتراف بالحكومة الجزائرية فى نفس الوقت التى كان يزورها فيه وفد اقتصادى فرنسى لتسوية مشكلات خطيرة عاجلة لها أثرها القوى على الحياة الاقتصادية فيها . ومع ذلك أقدمت غينيا على الاعتراف بحكومة الجزائر ، وزمجرت فرنسا ، ولم يوفق وفدها الاقتصادى بعد ذلك فيما قدم بشأنه الى « كوناكرى » ...

ولم يكن المؤتمرون يتوقعون أن يكون مؤتمرهم بمنجاة من التيارات الأجنبية التى ترمى بذور التفرقة والشك وتنمى عوامل التباغض بين الدول الافريقية، فعملوا بأقصى ما يستطيعون على الاحتفاظ حتى النهاية بروح التضامن وظهروا أمام العالم أخوة يسعون الى هدف مشترك واحد ..

ولم يفل من عزيمة المؤتمرين كذلك، ما ترامت أنباؤه فى المؤتمر من محاولات فرنسا وبريطانيا تثبيت أقدامهما فى الأقاليم التى تقرر أن تنال استقلالها فى العام القادم ، فان فرنسا ، مثلا ، تحاول أن تعقد ، منذ الآن ، اتفاقيات سرية مع بعض الزعماء الموالين لها فى « توجولاند » و « الكاميرون » ، وهى اتفاقيات تتيح لها بعد « الاستقلال » أن تحتفظ بنفوذها هناك ، وأن تقيم ما تشاء من « قواعد عسكرية » ...

كما ترامت أنباء المحاولات البريطانية فى نيجيريا وكيف نالت « شركة شل » امتيازا للبحث عن البترول فى نيجيريا الشرقية ، على مساحة من الأرض تبلغ خمسين ألف ميل مربع « أى نحو مساحة ليبيريا » ، وأن مدة ذلك الامتياز تسعة وتسعون عاما ..

ولكن الحكومات الافريقية كانت تعلم علم اليقين أن الاستعمار لن يقف مكتوف الأيدى ازاء الحركات الاستقلالية وأنه لن يتراجع بغير قيد ولا شرط وانما يحاول التشبث « بالامتيازات » و « الاتفاقيات المتعسفة » ، وهى أى الحكومات الافريقية — موقنة فى الوقت نفسه أنه حينما يصبح مصير البلاد فعلا فى أيدى شعوبها ، فان تلك الاتفاقيات والامتيازات لن تعدو أن تكون هشيما تذروه الرياح ..

العرب فى شرق افريقية

بقلم الدكتور جلال يحيى

عرف العرب شرق افريقية واتصلوا بها منذ أقدم العصور حتى قبيل ظهور الاسلام . وعملوا على الاتجار معها وسارت سفنهم تحمل منها واليها البضائع فى البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى . وأخذوا ينقلون التجارة بين بلاد هذا الاقليم من القارة الافريقية ، وبين الهند وبلاد الشرق الأقصى .

عرف العرب اذن أهالى شرق افريقية واتصلوا بهم وتزاوجوا منهم ونشأ عن ذلك اختلاط بين الأجناس السامية والحامية فى هذه المنطقة ، كما نتج عنه تبادل الآراء والمذاهب التى نشأت فى كل ناحية من نواحى هذه المنطقة .

ثم جاء « الاسلام » وساعد على خروج العرب من جزيرتهم مندفعين بحماس دينى منقطع النظير شاعرين بالمهمة التى عهد الاسلام بها اليهم وكلفهم بها وهى نشر دين الله الحنيف فى أرض الله الواسعة . وشاءت الظروف أن تكون الجزيرة العربية جدباء قاحلة بالنسبة للأقاليم التى تجاورها وساعد ذلك العرب بطبيعة الحال على عدم التوقف بل وعلى عدم العودة الى الجزيرة العربية . فنشأت جاليات عربية فى أماكن مختلفة من شرق القارة ثم اتصلت هذه الجاليات بالأهالى من القبائل المختلفة وتكونت أجيال جديدة من المخلطين اعتزوا بافريقيتهم مثل اعتزازهم بعروبتهم وباسلامهم . وسنجد ان هؤلاء المسلمين الافريقيين سيكونون أشد بأسا على أعداء الاسلام من العرب أنفسهم .

توغل العرب فى شرق افريقية متبعين كل الطرق التى سمحت لهم بها الطبيعة ، فساروا جنوبا فى محازاة السواحل الغربية للبحر الأحمر بعد أن فتحوا مصر . وساروا حتى سواكن ومصوع الحالية ولم يكن هذا السير سهلا اذ أن عقبات متعددة كانت تقف فى سبيلهم ، ولكنهم واصلوا السير حاملين معهم العنصر العربى والروح الاسلامية الجديدة الى تلك المناطق .

وعبر غيرهم « البحر الأحمر » من جدة الى السواحل الافريقية . كانوا يحملون التجارة هذه المرة على خلاف الأولين الذين اشتغلوا غالبا بالرعى . وهكذا جاءت التجارة لكى تدعم صلات العرب بشرق افريقية . كانت هذه التجارة موجودة بطبيعة الحال قبل مجىء الاسلام وعملت بعد ظهوره على توثيق الروابط ودعمها بين سكان ضفتى البحر الأحمر . جاء التجار العرب بمثل جديدة وبروح جديدة وشعر الافريقى باخلاصهم وعرف أمانتهم مما رفعهم فى نظره وجعله يميل الى الانتساب اليهم والتقرب منهم وكان أسلم طريق لذلك هو دخوله نفسه فى الاسلام .

وعبر بعض العرب جنوب الجزيرة من اليمن الى بلاد «عدل» «والصومال» وقامـــوا بنفس الدور الذى قام به زملاؤهم فى الشمال . كان العـــرب قد استخدموا هــذا الطريق للوصول الى الحبشة منذ أقدم العصور ولم يكن بوغاز باب المندب عائقا كبيرا يمنـع العرب من الوصول الى الحبشـة أو الأحباش من الوصول الى جنـــوب الجزيرة العربية وان امتـــداد حكم الحبشة على اليمن قبيل ظهور الاسلام وهجرة بعض المسلمين الى الحبشة لدليل على سهولة استخدام هـــذا الطريق .

كان العرب الذين استخدموا الطريق البرى والطريق البحـــرى الأول فى غالبيتهم من سكان وسط الجـزيرة وغربها ، أما من استخدم الطريق الثانى فكانوا فى غالبيتهم من اليمنيين ولقد قام هؤلاء اليمنيون بالاتصال ببـلاد الصومال فى أسفار موسمية واتصلوا بغيرهم من شعوب جنوب الجـزيرة والعمانيون ببقية سواحل افريقيـة الشرقية حتى زنزبار وموزمبيق .

ومع ازدهار الاسلام كدين ونظام ودولة زاد نشاط العرب وخصوصا سكان جنوب الجزيرة فى كل البحـار المحيطة بهم ، وسيظهر تفوق العمانيين فى هذا الميـدان أكثر من غيرهـــم وسيصبحون مع مرور الزمن البحارة العرب الذين يحملون تجارتهم ويحملون معها لواء العروبة والاسـلام الى كل السـواحل المحيطة بهــذه البحار من سواحل شرق افريقية وهى ما تهمنا بنوع خاص حتى ســواحل الهنـــد والملايو والصين . ثم جاءت أجنـاس أخـرى مسلمة غير الأجناس العربية ونزلت الى هذا الميدان وأيدت بذلك هذا التوغل العربى فى اسـلاميته وان كانت قـد أظهرت اسـتقلالها عنه فى عروبته .

وصل العرب والمسلمون الى شرق افريقية زرافات وحملوا معهم ، الى جانب تجارتهم ، عقائدهم ومذاهبهم التى سادت فى بلادهم نتيجة لظهور الاسلام وما تلاه من نشـــوء الفرق الاسلامية المتعددة .

كان الاسلام فى أول أمره يفضـل الاشراف المنتمين الى ذرية الرسول، مما تسبب فى نشوء حركات الشيعة التى استندت الى حد ما الى نشأة الحركات الشعوبية اذ أن الشعوب الاسلامية غير العربية أرادت بطريقة أو بأخرى أن تتخلص من طبقة الاشراف العرب خصوصا وأنها كانت تعتبر نفسـها أكثر رقيا ومدنية من عرب الصحراء. ثم نشـأت بعـــد ذلك الحـــركات الديمقراطية الاسـلامية التى رفضت الاعتراف بمركز الاشراف من ناحية وبالحركات الانفصالية غير العربية من ناحية أخرى ونادت بضرورة المساواة وتحكيم القــرآن بين الجميع .

وصلت نماذج من هذه الفـــرق والمذاهب الى شرق افريقية الواحدة تلو الأخرى وتحكمت فى ذلك عوامل مختلفة منها الاقتصـادى والسياسى والدينى والزمنى اذ أنها لم تصل فى وقت واحد .

كون العرب مـــدنا على الساحل الافريقى أو سيطروا عليها بنفوذهم ان كانت موجودة من قبل . وكانت هذه المدن مستقلة بطبيعة الحــال احداها عن الأخرى وتشبه ، الى حد

بعيد،المدن الحرة التي أنشأها اليونانيون والفينيقيون في جهات مختلفة من البحر الأبيض المتوسط . عملت هذه المدن على الاتجار في منتجات داخل القارة ووسطها ، وكذلك في منتجات الهند والشرق الأقصى . وكان للعرب السيطرة عليها خصوصا وأنهم كانوا هم البحارة الذين ينقلون هذه المنتجات في سفنهم وكانوا في نفس الوقت التجار أي أصحاب رءوس الأموال هذا زيادة على تفوقهم في النواحي المدنية والأخلاقية وفي ميدان العقيدة .

اختلفت هذه المدن الواحدة عن الأخرى في أحيان كثيرة في المذهب أو الفرقة التي تنتسب اليها ولكن هذه الفروق لم تكن ذات خطر كبير على مستقبل العلاقات بين العرب والافريقيين خصوصا وأن العرب لم يجبروا الأهالي على الدخول في ديانتهم من ناحية وانما قصروا نشاطهم معهم على الميدان الاقتصادي تجاريا كان أو زراعيا . فلم يشعر الافريقي اذن باختلاف بين طوائف العرب خصوصا وأن الأحداث الدولية تعرض سكان شرق افريقية بما فيهم من عرب وزنوج لأخطار أجنبية عملت على توحيد صفوف العرب وعلى زيادة اتحادهم بالافريقيين لدفع الخطر الأخير .

كان مجيء العرب اذن الى شرق افريقية يعتبر نوعا من أنواع الامتداد الطبيعي لالحركة ظهور الاسلام فحسب، بل ولتقارب هذه المناطق الواحدة من الأخرى وضرورة اتصالها ببعضها اذ أن كلا منها كانت تكمل الأخرى .

شاء الحظ أن ينزل العرب في المناطق الساحلية التي هي في واقع الأمر المناطق الفقيرة من القارة : تلك السهول الساحلية التي تمتد من شرق السودان شمالا الى بلاد عدل والدناقل ثم بلاد الصومال الى الشاطىء المواجه لجزيرة زنزبار . ودفع ذلك العرب الى ضرورة التوغل في داخل القارة بحثا عن المناطق الغنية ومنتجاتها وسيكون هذا بداية الاحتكاك الطبيعي بين العرب والشعوب الافريقية . ذلك الاحتكاك الحضاري الذي سيترك أثره في هذه الشعوب والذي سينعكس على حياتهم المادية والسياسية فيما بعد .

حاول العرب التوغل داخل هضبة الحبشة وكان من الطبيعي أن يصطدموا بسكان المناطق الجبلية الذين يمتازون مثل العرب بحبهم للحرية . احتك سكان الصحراء بسكان الجبال وحاول كل منهم أن يسيطر على المنطقة . كان سلاح كل من الطرفين هو الدين فأعلنوه ورفعوا رايته عالية لكي يكتلوا وراءهم القوات الشعبية اللازمة للوصول الى أهدافهم . وساعد الموقف الدولي العالمي على اتخاذ هذا اللون من ألوان الصراع . ذلك أن الحروب الصليبية كانت في حقيقة الأمر قد انتهت منذ فترة طويلة ولكن ظهور عصر النهضة في أوروبا واتجاه شعوب هذه القارة نحو البحث عن العالم الجديد وعن طرق المواصلات ودخولهم في حركة الاستكشافات الجغرافية كانت قد أوصلت البرتغاليين الى رأس الرجاء الصالح والى المحيط الهندي والى الهند . وظهر واضحا أن أوروبا ستحصل على تجارة الشرق الأقصى دون أن تمر في المنطقة التي يسيطر

عليها المسلمون فى شرق البحر الأبيض المتوسط . شعرت الحبشة بأن شخصيتها متميزة عن شخصية المسلمين الذين أخذوا يحيطون بها من السودان ومن سواحل البحر الأحمر ومن بلاد عدل . ورأت أن تتصل بدول أوروبا المسيحية وخصوصا البرتغال التى وصل بحارتها فى ذلك الوقت الى مياه المحيط الهندى .

كانت الأساطيل البرتغالية قد فرضت سيطرتها العسكرية على موانىء ومدن العرب التجارية على طول سواحل شرق افريقية وظهر أنها الحليف القوى الذى يستطيع مد يد المعونة الى الحبشة . وشعر العرب بدورهم بحركة التطويق والتحكم الذى بدأ البرتغال القيام به فى مياه المحيط الهندى وأرادوا التنفيس عن ذلك بسيطرتهم على القارة نفسها والأقاليم الداخلية بما فيها الهضاب .

تكتلت قوى المسلمين والعرب فى بلاد الصومال وهرر وتوغلت فى منطقة شوا وهددت النظام الاقطاعى القائم فى أقاليم الحبشة تهديدا كبيرا . وجاء ظهور الدولة العثمانية فى ذلك الوقت مشجعا للمسلمين على السير فى جهادهم، فتسلمت الدولة العثمانية مقاليد الأمور فى الشرق الأوسط ووحدت بين بلاده فى الوقت الذى تحولت فيه التجارة العالمية ومكاسبها من جيوب سكان المنطقة الى جيوب الأوروبيين . وكان من الطبيعى أن تعمل الدولة العثمانية على توحيد حركة الجهاد الاسلامى مادام الأوروبيون يواصلون رفع الصليب شارة ورمزا لحركتهم . وعاون الأتراك، خصوصا بعد استيلائهم على الحجاز واليمن ، العرب والمسلمون فى بلاد الصومال . وكادت هذه الحركة تنتهى بالنجاح وتتمكن من فرض سيطرتها على هضبة الحبشة ، الا أن ظروفا داخلية وخارجية تعاونت على فشلها . ذلك أن قوة العرب والمسلمين لم تكن كافية فى حقيقة الأمر للقيام بما وكل اليهم تنفيذه . وكان ضعف الدولة العثمانية البحرى وتفوق البرتغاليين ينذر بالنتيجة .

اتصل الأحباش بالبرتغال وحصلوا على الأسلحة وأوقفوا زحف العرب والمسلمين . وكان عليهم بعد ذلك أن يوقفوا تدخل البرتغال الكاثوليك أنفسهم الذين رسموا سياسة تحويل الأحباش من المذهب الأرثوذوكسى الى المذهب الكاثوليكى الرومانى . ولكن ما يهمنا هو وقف تقدم العرب فى بلاد الحبشة من ناحية وسيطرة البرتغاليين على السواحل الافريقية من ناحية أخرى .

انتهت سيطرة العرب والمسلمين عسكريا على شرق القارة . ولكنهم احتفظوا بالتجارة فى أيديهم وزاد تقربهم واندماجهم مع الافريقيين الذين شاركوهم المصير نفسه ، من تحكم الأجنبى فى هذه المناطق . واضطر البرتغاليون رغم سيطرتهم العسكرية الى الالتجاء الى العرب للحصول على منتجات داخل القارة ووسطها وسمح هذا للعرب باستمرار الحياة فى افريقية رغم فقدهم امتيازاتهم القديمة . .

ضعفت قوة البرتغال البحرية والعسكرية مع الزمن وضعفت معها سيطرتها على مياه المحيط الهندى . ونزل الى الميدان مستعمرون جدد

حاولوا الحصول على ميراث الامبراطورية البرتغالية كما هو . وكان هؤلاء المستعمرون هم الانجليز والفرنسيين ، ونشأ صراع بين المستعمرين الجدد والقدامى، وظهر هذا فى نفس الوقت الذى بدأ العرب فيه يستردون قوتهم فى شرق أفريقيا وفى جنوب الجزيرة العربية . استفاد العرب من هذا الصراع الاستعمارى ومن الانشقاق فى صفوف الأعداء المشتركين وتمكنوا من طرد البرتغاليين من موانىء شرق افريقية ومن توحيد السواحل مع منطقة عمان فى جنوب بلاد العرب.

ولم يتم هذا العمل الا نتيجة لظهور شخصيات عربية متفوقة استطاعت توحيد الجهود والامكانيات ثم تصويب ضربات قاضية للمستعمرين الأجانب .

عمل كل من الفرنسيين والانجليز على السيطرة على الهند وعلى المحيط الهندى وعلى طرق المواصلات البرية والبحرية المؤدية بين هذه المناطق وبين أوروبا . وكان هذا الصراع الاقتصادى البحت لا يظهر الا تحت ثوب صراع عسكرى من أجل السيادة على البحار والحصول على المستعمرات . ولكن الأمر لم يغب عن أذهان العرب فى المحيط الهندى وشرق افريقية . وتمكنوا بحذقهم ومهارتهم من تفادى الدخول فى هذه المعركة التى كانت تحتم عليهم الخضوع لمن ينتصر . ومكنهم ذلك من الحصول على اعتراف دولى بمركزهم وبدولتهم التى تمتد على جانبى المحيط الهندى .

وفى الحق أن الصراع الانجليزى الفرنسى قد انتهى بشكل خرجت منه بريطانيا ولها تفوق ملحوظ فى المياه التى تطل على سواحل شرق افريقية . وقد أثر ذلك فى مستقبل العرب فى هذه المنطقة خصوصا وأن امكانيات بريطانيا كانت متفوقة على امكانياتهم وتسمح لها بفرض سياستها بالقوة ان أرادت ، دون أن ينازعها فى ذلك منازع .

سيعمل التطور الاقتصادى الدولى على تطور السياسة البريطانية فى العالم وستدعى هذه الدولة أنها مكلفة ، قبل غيرها ، بالقضاء على تجارة الرقيق فى العالم . ستستند فى ذلك الى قوة أساطيلها وبعد مدى مدفعيتها للتحكم فى اقتصاديات العالم باسم الانسانية . وستجبر الدول الأخرى كذلك على الاشتراك معها فى هذه الحركة التى حاولت تشكيل الاقتصاد العالمى بأشكال جديدة فى صالح الدول الاستعمارية وسيظهر هذا واضحا من اتهامات الدول الاستعمارية أنفسها بعضها لبعض حينما ينشب خلاف بين صفوفها . ويمكننا أن نرى فيه رغبة الدول الصناعية فى القضاء على الأيدى العاملة التى تفلح حقول القطن فى أمريكا وفى القضاء على تلك الجماعات التجارية من العرب التى كانت تعمل على نقل منتجات القارة الافريقية فى قوافلها حتى السواحل .

اعتمد العرب على الرقيق فى تسيير قوافلهم وفى الزراعة فى المناطق الساحلية وكان الرقيق يعتبرون جزءا هاما من رأس مال العرب الذين حاولوا أن يعاملوهم معاملة حسنة طبقا لما أوصت به الشريعة الاسلامية من ناحية ومحافظة على رأس مالهم من ناحية

أخرى . وكان العرب يكونون الطبقة التى تتمتع بالسيادة وتشرف على التجارة فى المنطقة الممتدة بين الساحل وهضبة البحيرات . وكانوا زيادة على ذلك هم الطبقة الوحيدة التى تحمل الأسلحة النارية ويمكنها أن تدافع عن البلاد ضد أى دخيل أجنبى . استترت الدول الاستعمارية اذن وراء النزعة الاستعمارية وأعلنتها حربا على العرب بدعوى أنهم تجار رقيق . وعملت أساطيل هذه الدول على وقف حركة الملاحة العربية فى المحيط الهندى بدعوى أن سفنها لا تعمل الآ فى نقل السلع البشرية على مياه هذا المحيط . أعطت الدول الأوروبية قباطنة سفنها الحق فى زيارة وتفتيش السفن العربية ومصادرة ما تحمله من رقيق . ولم تكن هناك محكمة تفصل بين العرب وأساطيل الدول الاستعمارية الا محاكم الادميرالية الموجودة فى عدن ، ورأس الرجاء الصالح وأخيرا فى زنزبار . وكم من مرة اختصر فيها الأوروبيون الطريق بمجرد رؤيتهم لأحدى السفن العربية فاتهموها بحمل الرقيق وقضوا باتلاف شحنتها وهى فى مكانها فى عرض البحر وفتحوا عليها نيران المدافع وأغرقوها واعتذروا للأدميرالية بعد ذلك بأن عملية التفتيش تعرض البحارة الأوروبيين لخطر خناجر الملاحين العرب.

عمل الأوروبيون اذن على القضاء على قوة العرب البحرية والحربية فى شرق افريقية مستترين وراء نزعاتهم الانسانية الكاذبة لتحرير الجنس البشرى . وكما طبقوا سياستهم فى البحر عملوا على تطبيقها على الساحل . تقدموا بطلباتهم الى السلاطين المحليين تحت تهديد مدفعية أساطيلهم واستغلوا الخلافات بين الطبقات والجماعات بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، واستخدموا الترغيب والترهيب فى الوصول الى مآربهم . وافق سلاطين شرق افريقية تحت ظروف خاصة على عقد معاهدات . وأخذ الاستعماريون يتدخلون فى شئون المنطقة ويفرضون سيادتهم ونفوذهم تدريجيا على العرب بعد أن قضوا على سفنهم ثم اعتبروهم خارجين على القانون .

أضعف هذا الاعتداء الاستعمارى قوة العرب بقضائه على معظم سفنهم وعلى جزء هام من تجارتهم وبمنعهم من الحصول على الأسلحة النارية والذخائر اللازمة لاستمرار تفوقهم على القارة . فاضطر العرب الى أن يتوغلوا فى داخل القارة فوصلوا الى حوض نهر الكنغو ووصل بعضهم الى سواحل المحيط الأطلسى نفسه . وحملوا معهم بطبيعة الحال فى هذا التوغل عناصر العروبة مع المبادىء الاسلامية .

وبدأت طلائع الأوروبيين من مستكشفين ومبشرين تصل الى سواحل افريقية محاولين تفهم هذه القارة ودراستها ومعرفة امكانياتها وامكانية الاستفادة منها واستغلالها . جاءوا باسم العلم وحملوا الانجيل رمزا لتوغلهم ولكن ذلك لم يمنع العرب من معرفة سر وصولهم والهدف الحقيقى الذى كانوا يسعون اليه .

كان العرب قد رحبوا برجال الاستكشاف والمبشرين الأوروبيين عند وصولهم لأول مرة الى كريمة وطابورة.

قابلوهم بصدور رحبة ولم يعترضوا على نشاطهم . ولكن سرعان ما فطن العرب الى معنى وصول هذه البعثات والى معنى اعتمادها على حملات عسكرية مسلحة بأسلحة نارية . لقد جاءوا للاستيلاء على الاقليم او لفرض انفسهم عليه . كما أن المعاهدات التى كانوا يعقدونها مع المشايخ المحليين مهدت لرفع اعلام دول آجنبية على القارة وانتهت بحضور ممثلين لشركات استعمارية أوروبية الى القارة وتدخلهم فى أمورها وشئون السلاطين والملوك المحليين وعملهم على عزل بعضهم وتعيين آخرين فى أماكنهم حسبما تقتضيه مصالحهم .

شعر العرب بالخطر الذى يهددهم خصوصا وأن الأوروبيين قد بدأوا فى احكام النطاق حولهم . وظهرت فى هذا الوقت بعض الحركات العربية التكتلية وانتشرت بعض الآراء الاسلامية الثورية التى نادت بالرجوع بالاسلام الى الأصل فى كل من الحديث والسنة وتوحيد صفوف الأهالى ضد الغزاة الأجانب . وساعد ذلك العرب كثيرا على مقاومة الدخلاء المستغلين .

ظهرت حركات اتحادية فى شمال شرق القارة واتجهت نحو توحيد المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط حتى منابع النيل ، ومن سواحل البحر الأحمر وبلاد الصومال وسواحل المحيط الهندى حتى حوض نهر الكنغو . وعملت مصر كدولة افريقية على تنفيذ هذه السياسة ونجحت فيها نجاحا كبيرا اذ انها تمكنت من الوصول بالسودان الى حدوده الطبيعية ، وضمت اليه واليها كل سواحل البحر الأحمر والأقاليم الجنوبية من الحبشة وبلاد الصومال، ثم عملت على الاتصال بين اقليم هضبة البحيرات وسواحل المحيط الهندى .

أرسلت مصر حملتها الشهيرة الى بلاد الصومال سنة ١٨٧٥ م ولقيت من الأهالى كل تشجيع وترحيب وأخذ الأفريقيون يعلنون ، بلا خوف ، أنهم قد انضموا الى المصريين لكى يخلصوا بلادهم ، من تدخل الأجانب وسيطرتهم عليها . وشعرت الدول الاستعمارية وخصوصا انجلترا بخطورة هذا الاتجاه المصرى الافريقى ، والنتائج التى ستترتب على تأييد الافريقيين له . علمت انجلترا أن قيام كتلة موحدة فى هذا الاقليم سيقضى على نفوذها وسيقف حجر عثرة فى سبيل خط سيرها الى وسط القارة . فعملت على التدخل سياسيا وهددت بالتدخل عسكريا وأجبرت المصريين على الانسحاب من هذه المناطق . وسيكون من السهل على انجلترا أن تواجه أهالى شرق افريقية والعرب الذين يسكنون هذا الاقليم أكثر مما لو كان هناك بعض المصريين يقفون الى جانبهم .

وظهرت حركات تحررية عربية اسلامية فى المناطق المتصلة بشرق افريقية . ثبتت انجلترا نفوذها على سواحل زنزبار وقامت باحتلال مصر ولكن ثورة المهديين قامت فى السودان ووقفت فى وجه التدخل الأوروبى الاستعمارى وفى وجه الحكم الرجعى الذى تحالف معه . امتدت آثار هذه الحركة الى عدد كبير من البلدان فى شرق افريقية وعلم الأهالى أن هناك من يجاهد فى سبيل حماية بلاده وفى سبيل

منع الأجانب من الدخول فيها . حقيقة أنه لم تقم هناك ثورات أخرى مماثلة فى نفس الوقت فى شرق افريقية ولكن من الثابت أن أخبار الثورة المهدية قد وصلت عن طريق الحج الى عرب شرق افريقيةوبالرغم من أن رجال السنة قد وقفوا من هذه الثورة موقفا واضحا الا أن أحدا لم يكن بقادر على انكار عناصر الثورة فى حركة السودان وعناصر التحرر والرجوع بالاسلام الى بساطته الأولى كامتداد للحركات التطهيرية وللحركة الوهابية التى نشأت فى بلاد العرب . وان ما يهمنا من الثورة المهدية هنا هو أنها حاولت منع الأجانب من التدخل فى السودان .

ولقد نجحت فيما هدفت اليه عدة سنوات . وحينما اتفقت كل من انجلترا وألمانيا على تقسيم مناطق نفوذها فى شرق افريقية بذلك الخط الذى يفصل بين ممبسة ودار السلام ويسير فى الداخل بين جبلى كينيا وكلمنجارو حتى يقابل بحيرة فكتوريا عند خط العرض الأول جنوب خط الاستواء ـ اعتقدت انجلترا أنها تستطيع الوصول الى السودان عبر طريق الجنوب واعتقدت ألمانيا أن أحدا لن ينازعها فى حكم المنطقة التى اعترفت انجلترا بأنها لها . ولكن ثورة العرب امتدت فى كل هذه المناطق وبشكل يهدد التوغل الأوروبى فيها . كان ذلك نتيجة لقسوة الألمان وبداية تدخل الانجليز فى شئون العرب والافريقيين. وشعرت الدول الاستعمارية بضرورة استخدام القوة ضد العرب وبضرورة تطويقهم ومنع وصول الأسلحة والذخائر اليهم من السواحل فاتجهت هذه الدول الى اعلان الحصار البحرى على كل سواحل شرقى افريقية من سواكن فى السودان حتى حدود تنجانيقا الجنوبية مع مستعمرة موزمبيق البرتغالية ، وشرح اللورد سالسبرى وزير الخارجية البريطانية ورئيس الوزراء للمستشار الألمانى أن هذه الثورة تعتبر ممتدة بشكل موحد ومستمر من حدود مصر الجنوبية حتى المستعمرات البرتغالية فى الجنوب والكنغو فى الغرب . اعترف « سالسبرى » اذن أن العرب يقومون بحركات ، قد تكون غير متناسقة من الوجهة الاستراتيجية ولكنها متوازية وتهدف الى نفس النتيجة وهى الاحتفاظ بالبلاد ومنع تدخل المستعمرين فيها . ووحد مجهوده الاستعمارى فى هذا السبيل مع المجهودات الألمانية بشكل يضمن لهاتين الدولتين فرض سيطرتهما على العرب والأهالى فى شرق افريقية .

وتبلور الموقف بعد ذلك وازداد نشاط الشركات الاستعمارية كما ازداد نشاط رجال التبشير داخل القارة . ووصل هذا النشاط الى أوغندة ورأى المستعمرون أن نجاح العرب فى التقرب من ((**كاباكا بوجندة**)) واعلان هذا الملك الافريقى تأييده للمسلمين ودخوله فى الدين الاسلامى خطر عليهم ، اذ أنه سيوحد حركة المقاومة الوطنية فى هذه المنطقة ، ويصلها بالحركة التى يقوم بها التجار العرب فى كريمة وطابورة فى الجنوب مع حركة السودانيين فى الشمال وأنه قد يتمكن من الاعتماد على القوات المصرية التى كانت لا تزال موجودة فى أوغندة

تحت قيادة أمين باشا . فاضطرت الدول الاستعمارية الى المحاربة من جديد : محاربة العروبة والاسلام فى شرق افريقية .

استخدمت الدول الاستعمارية سلاح التبشير والقوات المرتزقة والخديعة والنفاق السياسى للوصول الى مآربها ، وتفتيت صفوف القوميين الافريقيين والقضاء عليهم صفا بعد صف .

تمكنت الدول الاستعمارية من السيطرة على الموقف فى شرق افريقية واستعانت فى ذلك بتفوق أسلحتها وقوة امكانياتها المادية وعدم تنظيم الافريقيين لصفوفهم أو توحيد خططهم ومجهوداتهم . كما استفادت من بعض الشخصيات الافريقية التى تعاونت معها ، أى مع الاستعمار جريا وراء المنافع الشخصية أو امتيازات الأسر الحاكمة ، وجبنت عن الانضمام الى الحركات التحررية فى القارة . فاستولت الدول الاستعمارية على مقاليد الأمور فى كل هذه المنطقة وأخذت فى استغلالها وأطلقت لبعثات التبشير كل حرية فى العمل حتى توقف تيار العروبة والاسلام وهو التيار الذى يمكن أن يوحد بين هذه المناطق ومناطق اخرى مجاورة بشكل يجعل الاستعماريين يواجهون تكتلات من الشعوب . ولم يكن من مصلحة المستعمر أن يواجه مثل هذه التكتلات .

كما أنها أطلقت حرية العمل للعناصر البيضاء دون غيرها ، وأيدتها بالشركات الاستعمارية لاستغلال البلاد ، واستنزاف حيويتها . **ولقد نجحت هذه الدول الاستعمارية بالفعل فى تحويل عدد كبير من الافريقيين الى الديانة البروتستنتية ونجحت فى جبر عدد آخر على التحدث باللغات الأوروبية ، ولكنها فشلت فى القضاء على العرب وعلى الاسلام فى هذه المنطقة كما فشلت فى التأثير على الشخصية الافريقية نفسها بشكل يجعل منها تابعا للمستعمر الغربى . ولقد مضى ثلاثة أرباع قرن من الاستعمار الأوروبى فى شرق افريقية ولا تزال الحركات قائمة فيها تنادى بالتحرر وبالوحدة وليست ثورات ((الماو ماو)) المتكررة وحركة الغليان التى تسرى فى بلاد الصومال وغيرها الا أدلة تثبت بقاء القوى الوطنية وصمودها فى الميدان .**

من روائع النغم الأفريقي

الأستاذ : سليمان جميل

اسم افريقى لامع فى مجال التأليف الموسيقى العالمى . هو **((فيلا سوقاندى))** ولد فى نيجيريا عام ١٩٠٥ ، وظهرت مواهبه الموسيقية مبكرة منذ طفولته .. تأثر بعمق بألحان بيئته ، ورقصاتها التقليدية المتنوعة .. ومنذ بدأ دراسته فى الكلية الملكية فى مدينة **((لاجوس))** بغرب أفريقية أشرف على عالم الثقافة الأوروبية ، وتزود بالعلوم الموسيقية ؛ وأتقن العزف على آلة الارغن ، وبدأ حياته الموسيقية عازفا على هذه الآلة الفنية العريقة بكنيسة **((لاجوس))** منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٤ ...

لقد تأثرت ألحان **((سوقاندى))** باللهجة الافريقية الأصيلة ، وظهر اهتمامه منذ بدأ محاولاته الأولى فى التأليف الموسيقى نحو تجميع **الألحان** الشعبية التى اتخذها مادة لموضوعاته الموسيقية المختلفة .. وتنقل **((سوقاندى))** الفنان الافريقى الأصيل فى مناطق ساحل الذهب يختلط بالناس يغنى معهم ألحان أفراح بلاده وأحزانها .. يغنى أغانيها للسلم والحرب ... ومع **الألحان** التى جمعها **((فيلا سوقاندى))** من ساحل الذهب وجنوب نيجيريا كتب أروع مؤلفاته الموسيقية التى اشتهرت فى العالم بعنوان **((متتابعات افريقية))** و **((المتتابعات))** "Suite" نوع من أنواع التأليف الموسيقى ، تبلور فى القرن السادس عشر الميلادى ، فى شكل مجموعة من الأنغام الراقصة الشعبية الآخذة فى التتابع من نفس المفتاح الموسيقى ، وان كانت فى الوقت نفسه متناقضة من حيث التعبير والايقاع والزمن . ولقد كانت **((المتتابعات))** منذ الأزمان البدائية فى العادة تجميع رقصتين متابعتين أولاهما بطيئة تعطى الاحساس بالفخامة والثانية سريعة مرحة وحشية ... وتطورت المتتابعات كشكل من أشكال التأليف الموسيقى ، ودخلها أسلوب **((المنيويت))** "Minuet" الذى انتقل بعد ذلك من المتتابعات الى **((الصوناتا))** "Sonata" كاطار آخر للتأليف الموسيقى . وظلت ((المنيويت)) فى مكانها من **((الصوناتا))** الى أن استعاض عنها **((الموسيقار بيتهوفن))** بحركة **((الاسكرتزو))** "Scherzo" السريعة التى ظهرت فى سيمفونيته الثالثة ((البطولة)) .. **ولعل ((المتتابعات)) هى أنسب تخطيط للتأليف الموسيقى انسابت خلاله ألحان ((فيلا سوقاندى)) تنبض بحياة افريقية النابعة من أعماق التاريخ ... وتتكون ((متتابعات افريقية)) من خمس مقطوعات ، يعزفها الأوركسترا الوترى وآلة**

((الهــــارب)) **وتتميز كل مقطوعة عن الأخرى من حيث لون التعبير :كثافته ، ودرجة تنويعه .**

وتتضمن المقطوعتان الأولى والثانية بعض الألحـــــان التى جمعهـــــا **((فيلاسوفاندى))** من غرب ســــاحل الذهب وعندما تستمع الى **((متتابعات افريقية))** ستبدأ المقطوعة الأولى من هذه المتتابعات برحلة مرحة سريعة تملأ روحك بالمرح والتفـــاؤل ، وتركز شعورك منـــــذ الوهلة الأولى فى موجة الادارة الوثابة .ارادة افريقية المتحررة ان المقطوعة الأولى هى **((اليوم المرح))** .. ومع متتابعـــــات افريقيـــــة ينقلنـــا **((فيلا ســــوفاندى))** الى لحن غنائى حالم ، تغنيه امرأة فى نيجيريا عند المساء .. وتناجى به طفلها لينام .. هذا اللحن ستتفتح له مشاعرك ، وأنت تستمع اليه فى مقطوعة **((لولاباى))** "Lullaby" وستدرك كيف تأثر **((فيلا سوفاندى))** بهذا اللحن الذى رسم به صورة أمه الحبيبة **((افريقية))** وعند مقطوعة **((آكينلا))** "Akinla" يصور **((سوفاندى))** أسلوب الحياة الراقية ،ويسمع اللحن مرتفعا راقصا ، والمؤلف يشكل فى هذا اللحن احساسا بالتناقض عنــــد المستمع ، لتركيز تجاوبه مع أبعـــــاد موضوعه المتباينة . ثم يظهر ((فيلاسوفاندى)) فى مقطوعة **((نوســـــــــتالجيا))** "Nostalgia" اى الحنين الى البيت .. مواطنـــــا افريقيا يقيم فى لندن ، يكتب موسيقاه الى بلاده نيجـــيريا ، يبثها أشــــواقه وحنينه . وفى ارسالية غرب لندن ، ليعمل الآن **((فيلاسوفاندى))** مرتلا وعازفا على آلة الارغن .. يقول عنــــه النقاد **((ان هـــــذا الموسيقار الافريقى لا يقدم الألحان والايقاعات الافريقيـــة لجمهور يتزايد فى العدد فحسب ، بل انه يضيف بها شــــيئا هاما الى عالم الموسيقى))** .

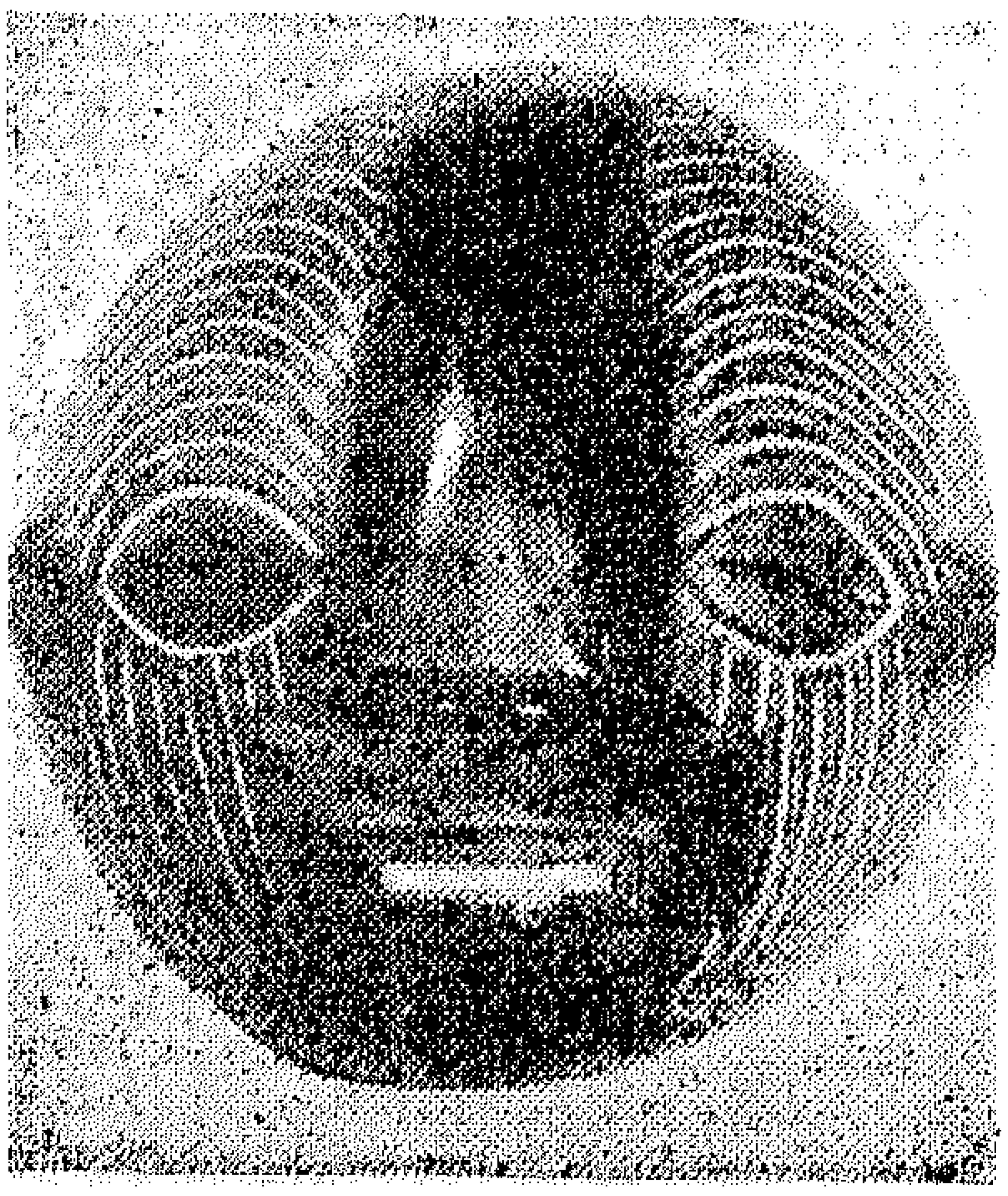

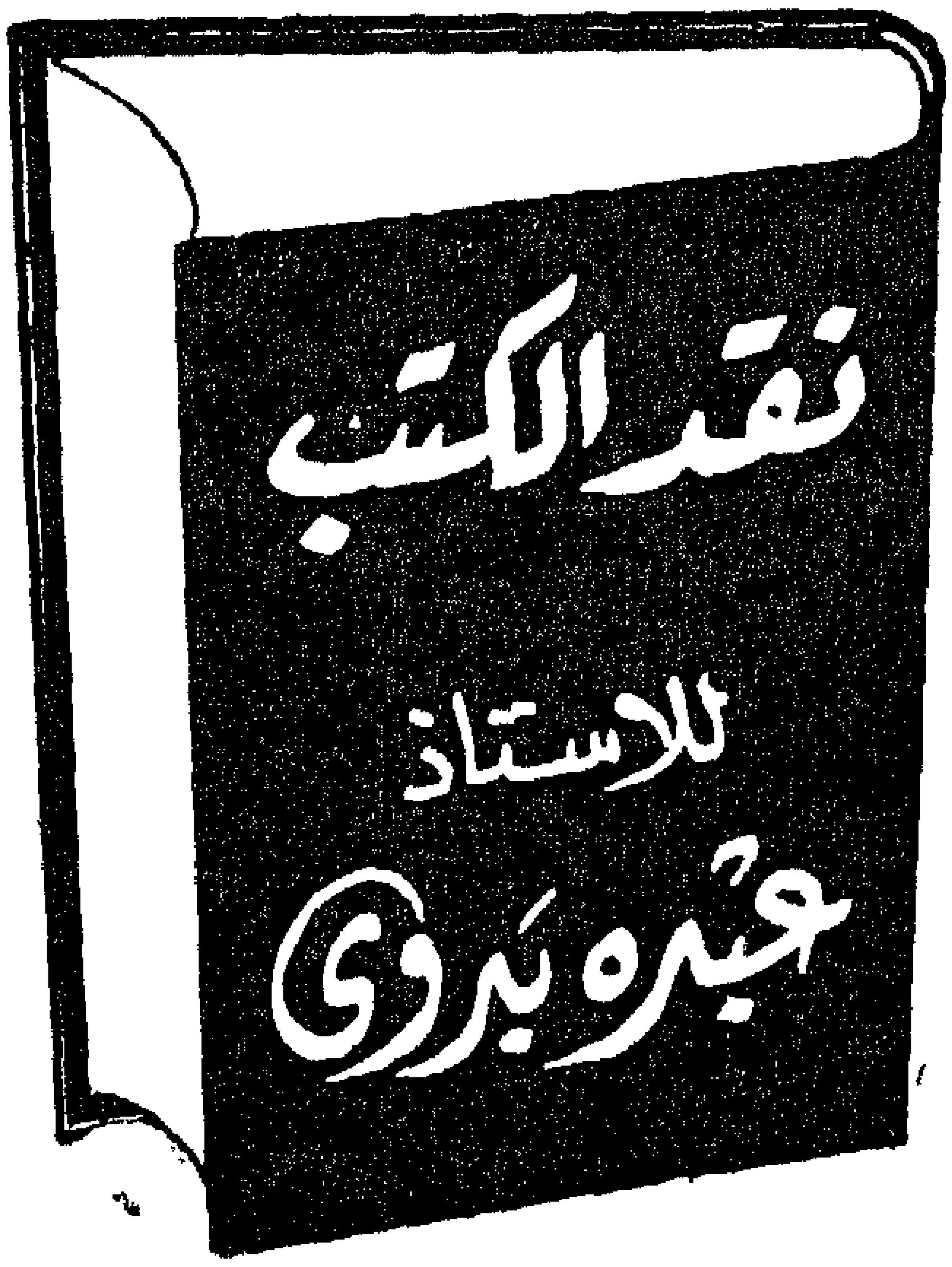

من الكتب الجادة التى تلقى أضواء مثمرة على الشعر فى السودان بعامة، والظاهرة الافريقية فى الشعر بخاصة كتاب ((**الاتجاهات الشعرية فى السودان**)) للدكتور محمد النويهى . فهو يتعرض للشعر فى السودان الشمالى الذى يتشكل من الزنوج ، والحاميين ، والعرب ، وان كان الوجه الحقيقى له الآن هو وجه العروبة ، والاسلام . كما يتعرض للشعر الفصيح فى السودان ، دون هذا الشعر الشعبى الذى يصور الأعماق الشعبية ، ويعطى القصيدة أبعاد النفسية السودانية الحقيقية .

وقد بدأ المؤلف بالشعر التقليدى المعاصر فوضعه بسرعة حادة أمام القارىء دون أن يقدم له بتمهيد عن حقيقة الشعر العربى فى السودان وتطوره حتى فى العصرين التركيين . أو عصر المهدية . فبعض الخطوط عن هذه الفترات القريبة كان يمكن أن يستأنس بها القارىء ، وهو يقتحم مباشرة الاتجاهات المعاصرة فى الشعر السودانى .

وقد أخذ على القصيدة السودانية فى هذه الفترة ما يؤخذ على القصيدة العربية القديمة من التزام الوزن الواحد والقافية الواحدة ، والوقوف بالطاقة الشعرية عند حد البيت الذى ينكر مافوقه وما تحته ، والاهتمام بالمساحة اللغوية التى يشغلها اللفظ دون نظر الى الايحاءات والظلال ، مع اهتمام واضح بالكلمة المجودة ، ذات الرنين . كل هذا فى اطار عام من البلاغة التقليدية الجامدة .

وأما من حيث الأغراض فيراها تحرص على الأغراض القديمة كالمدح والفخر ، والرثاء ، والحكمة ، والوقوف على الأطلال ، ووصف الناقة . هذا الى جانب بعض الأغراض التى تفرضها طبيعة العصر كالشعر السياسى ، والرغبة فى التحرر ، وفى خلق حياة أفضل . وقد يمكن لهذه الأغراض أن تخلق أدواتها ، وطرق التعبير الخاصة بها ، ولكنه يراهم يقومون بعملية صب الموضوعات فى النماذج القديمة الجاهزة التى تشد هى الأخرى المضامين الحديثة الى الأفكار القديمة المجمدة ((**فان وصفوا منظرا طبيعيا يوجد حقا بالسودان فكأننا نسمع شاعرا قديما نجديا أو حجازيا ينظر اليه ويصفه بأسلوبه المحدود ، وان ذموا حياة الخرطوم وفضلوا حياة مراعى البطانة فكأننا نسمع مهاجرا عربيا من الشام أو بغداد يسخر من الحضر ويحن الى حياة الصحراء ، وان نظموا فى يوم المؤتمر ، أو حفل الخريجين ، أو احتفال بوفد السودان ، أو فى افتتاح مدرسة ، أو دعوا الى تعليم المرأة . فكأننا نستمع الى شوقى أو حافظ ينظم فى نظائر**

هذه المناسبات فى مصر الحديثة)) .

وقد حدد المؤلف المنابع التى امتيح منها الشعر السودانى فذكر أنها الشعر الجاهلى الصميم ، والأموى ، والعباسى المولد . ثم أخيرا الفترة الحديثة فى البلاد العربية وخاصة شعر شوقى ، ولا أدرى لماذا قفز الشاعر من فترة الشعر الاسلامى دون توضيح هذه القفزة ؟ كما لا أدرى لماذا تجاهل شعر الفترة المملوكية ، والعثمانية . خاصة وأنا نرى بذور الشعر ــ فى السودان ــ تبدأ بهذا الشعر . وأن التأثر به فى أول الأمر كان أقوى من تأثير أى عصر من العصور ، وأنا نرى تأثيره واضحا فى شاعرين من الثلاثة الذين اختارهم كممثلين للشعر فى هذه الفترة وهما الشيخ « عبد الله البنا » ، والشيخ «عبدالله عبدالرحمن» فنحن نرى فى شعرهما السطحية ، والمعارضات ، والتشطير ، والتخميس ، والتكرار ، والألفاظ الخافتة ، وألوانا من نظم العلوم ، والحقائق التاريخية .

والمؤلف كما ذكر ينتهى بنا الى « خفوت الملامح السودانية تحت هذا الركام الهائل من التقليد » ومن هنا نراه يشدد عليهم فى قسوة ، وان كنا نرى أنهم فى ظل ظروفهم الاجتماعية والثقافية كانوا أسبق من غيرهم فى البلاد العربية الأخرى الى ظهور الملامح المحلية لبلادهم ، وأن دراستهم يجب أن تكون فى ضوء ظروفهم الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية . بل لا أذهب بعيدا اذا قلت ان الشعراء السودانيين فى هذه الفترة كانوا أسبق من غيرهم فى كل البلاد العربية الى اظهار جوانب عميقة من حياتهم ، ولناخذ مثالا لهذا شاعرا واحدا من الذين جعلهم المؤلف واحدا من العمد الثلاثة التى يقوم عليها البناء التقليدى للشعر فى هذه الفترة وهو الشاعر :

((محمد سعيد العباسى))

فنحن نراه فى قصيدة « سنار بين القديم والحديث » يتعرض لتاريخ بلاده ، ويذكر ملوكها السابقين بعد أن وقف بأطلال قصر كان يسكنه ملك سنار « بادى أبو شلوخ » ثم يقدم لنا صورة عن الحياة فى بلاده . كما نراه يرسم بخطوط عريضة أحد مراكز « دارفور » المسمى « مليط » ، و «وادى هور» الواقع غرب السودان ، والذى توجد حوله بعض الآثار العريقة فى القدم .

كما نراه يصور بعض العادات الاجتماعية ، فيصور لنا المرأة السودانية التى لا تنادى زوجها باسمه وانما تقول :

يقول لى وهو يحكى البرق مبتسما
يا انت ياذا وعمدا لا يسمينى :

كما نراه يقول

وخل التريك وهز البوا
تر حبسا على الغادة الناعية

مشيرا بهذا الى عادة اجتماعية معروفة فى السودان ، وهى أنه حينما يموت رجل ذو خطر تلبس النوادب لباس حربه ، ويحملن سيفه . ثم يدرن باكيات فى البيت ، وقد تستمر هذه العادة خمسة عشر يوما . بل نرى هذا الشاعر يسبق الى دراسة الشعر الشعبى ، وتضمين معانيه للشعر الفصيح . فنراه حين يسمع فى مضارب « أولاد طريف » صوتا رقيقا يقول :

يـا اب لونـا سـمرى
يـا اب حديثـا تمـرى

---

(١) الخوذة .

السـدوار أنى . . .
يـا الله تجمـع شـملى

نراه يحول هذه المشاعر السودانية البسيطة الى شعر فيصيح فيقول :

اللـون لـون الـذهب
والقـول حـلو الرطب
لى أرب فى ذا الرشـا
يـارب فاقض أربى !

كما نراه يقدم لنا مشاعر الفتاة السودانية التى تستنجد « بعرافة » لتعرفها بمكان حبيبها البعيد عنها ، وتمنيها بريال « مجيدى » فحين سمعها تقول :

ختـانة ختى زيـدى
بكريـكى بى مجيـدى
شـوق لى حبيبى
فى البـلد البعيـد !

نراه يحول هذا الى شعر فصيح فيقول :

عـرافة العـرب زيـدى
ومن نـداك استـزيدى
فكيف حـال حبيب
أمسى بقفـر بعيـد !

كما لا نعدم هذه الظاهرة فى شعر «الشيخ عبد الله البنا» وخاصة فى وصفه للبطانة ، وكثيرا ما نراه يرسم بضربة سريعة احدى العادات السودانية كقوله :

يـكاد البشر يقطر من وجوه
لهـا للضيف ضـم والتزام !

والحفاوة بهذه العادة شىء خاص بالسودانيين .

وفى الوقت نفسه لا نعدم هـذه الظاهرة فى شعر العمود الثالث والأخير للاتجاه التقليدى ، الشيخ « عبد الله عبد الرحمن » فى وصفه للنيل الأزرق وفى قصيدته الطبيعة فى السودان .

والذى أريد أن أخلص اليه أن المدرسة التقليدية فى السودان لا يقل فى انتاجها ظهور الملامح الشعبية عنه فى اى بلد عربى آخر . وأننا لو درسنا شعراء هذه المدرسة فى ضوء الظواهر الاجتماعية ، والثقافية المعاصرة لهم لوجدناهم ذوى احساس حاد ببلادهم ، ولا تزال هذه الظاهرة الحادة تسيطر على شعرهم الحديث حتى لتعتبر ظاهرة عامة من ظواهر الشعر السودانى فى كل عصوره ، ومن هنا ظهر الحنين الدافق فى شعرهم . وخاصة حينما يغتربون فى احدى البلاد التى تدين بالتفرقة العنصرية ! .

وقد رأى المؤلف أن دوافع التقليد ترجع الى محاولتهم بعث القديم تمهيدا لخلق حضارة جديدة ، وخاصة أن البيئة العربية لا تختلف كثيرا عن البيئة السودانية فى طبيعتها ، وظروفها الاجتماعية ، وأن هذا التشابه قد أغراهم بهذا التقليد .

كما رأى أن العنصر العربى كان ظافرا منتصرا « منه الفاتحون ومنه السادة الذين أسروا العبيد واقتنوا الرقيق وملكوا الأرض واستولوا على مقاليد الحكم . فلا عجب أن يحاول أحفادهم تغليب العنصر السيد على العنصر المسود فى تكوينهم . ومن الطبيعى أن يكون شعورهم الأول هو التقليل من أهمية العنصر المغلوب أو انكاره بتاتا ، وأن يظلوا على هـذا الشعور حتى يبلغوا درجة من اتساع النظرة تخفف من نعرتهم العنصرية وتحملهم على التسوية بين جميع السلالات البشرية »

والقارىء لهذا الكلام يتصور العرب قوما فاتحين غزاة دخلوا البلاد فكونوا من أنفسهم طبقة اجتماعية مستعلية على أهل البلاد الأصليين .

والذى نريد أن نؤكده هنا أن الغزو

العربى وقف من زمن بعيد عند النوبة العليا ، وأن التعريب السودانى قد تم عن طريق الهجرات من الشرق ، والشمال والغرب ، أكثر مما تم عن أى طريق آخر ، ومن هنا يمكن أن نقول أن عملية الغزو العربى فى السودان كانت عملية ((**غزو داخلى سلمى**)) . كما نؤكد أن الظاهرة العامة للسلوك العربى لم تكن الاستعلاء على أهل البلاد ، ولعل ذلك لما فيهم من أنفة قريبة من أنفتهم . بل لقد كانت الظاهرة البارزة هى عملية التقريب من جهة العرب ، ومحاولة الامتزاج بالسودانيين عن طريق التزوج منهم بكل الطرق .

ثم ينتهى المؤلف الى أن هزيمة السودانيين أمام الاستعمار الغربى جعلتهم يتعلقون كل التعلق بالاسلام والعروبة، وينصرفون فى كثير من أمرهم عن الثقافة الغربية ، بل ويقفون ضد الدعوة الى الأدب القومى ، وقد أخذ المؤلف عليهم فى هذا العصر الباكر عدم استجابتهم للثقافة الغربية وتمسكهم بالثقافة العربية . ونحن هنا نتساءل: أية ثقافة هذه التى يذكرها المؤلف ؟ والتى كان يمكن أن ينفعل بها شعراء هذه الفترة خاصة وأن الاستعمار قريب منهم ، وأن اللغة الانجليزية لم تتمكن بعد فى السنة الناس ، وعقولهم، وأن الانجليز أنفسهم لم يعملوا على تزويد الشعب بثقافتهم الصحيحة . بل بعدوا عنه فى كل مظاهر الحياة ، فالشىء الطبيعى هنا هو أن الشعراء لم يجدوا أمامهم الا الثقافة العربية وليس معنى التغنى بها وبأمجادها أنهم يعادون الثقافة الانجليزية ، والتقاليد الوافدة عليهم . فالشيخ عبد الله البنا يضرب بهم المثل فى كثير من مظاهر الحياة ، والشيخ عبد الله عبد الرحمن والشيخ العباسى ، ولانعدم فى شعرهم الاعجاب بالثقافة الانجليزية . فالمسألة اذن فى هذه الفترة ليست مسألة انتصار لثقافة ومعاداة لثقافة ، ولكنها مسألة الثقافة السائدة ((الموجودة)) ، والتغنى بها وبأمجادها .

ثم ذكر لنا أن عدد المثقفين قد تزايد فى الربع الثانى من هذا القرن ، وأنهم لم ينكروا ماضيهم العربى ، وانما رغبوا أن يكون لهم أدب خاص بهم يحمل ملامحهم ، ويجدون فيه أنفسهم ، وأن هؤلاء المثقفين كانوا نتاجا طبيعيا للثقافة الغربية ، والثقافة المصرية ، وقد كان من أثر هذه الدعوة كتيب **((الأديب السودانى وما يجب أن يكون عليه))** لحمزه الملك طنبل الذى ظهر عام ١٩٢٨ ، وكتاب ((**الحركة الفكرية فى السودان والى أين يجب أن تتجه**)) لمحمد أحمد محجوب الذى ظهر عام ١٩٤١ .

وقد ظهرت فيهما بذور الدعوة الى التجديد فى المضمون والشكل ، والاعتذار عن المقلدين فى الشعر السودانى بقرب ظروفهم البيئية ، والاجتماعية من البيئة العربية ومجتمعها ، وبهذه الصلة العربية الضاربة بجذورها فى أعماق السودان ، كما تعرضا لعمليات التزييف الشعورى ، والمبالغات الغثة فى الشعر ، وصلاحيته لكل زمان ومكان مع الوجود الخاص للكينونة السودانية التى تتألف من عدة عناصر ، وعدة ثقافات .

ثم انهما دعوا الى فتح النوافذ على الثقافة الغربية . ففى هذا ضرورة

للعالم الجديد الذى يرتبط بالدول من حوله ، على أنهما فى الوقت نفسه لم يريا الذوبان فى هذه الثقافة ، وانما رأيا أن يقبل الناس على هذا اللون من الثقافة . ثم يخضعونها لتكوينهم الخاص، ولظروف بلادهم حتى تنبثق من خلال هذا التطعيم ثقافة قومية يشاهد السودان من خلالها . وبخاصة أن السودان بطبيعته ، وتاريخه ، وأعماقه يثير المشاعر ، ويقدم لمن يستوحيه فنا خالدا عظيما .

وقد لخص الأستاذ محمد أحمد محجوب هذا فى قوله ((**هذا هو مثلنا الأعلى . حفاظ على ديننا الاسلامي، وتمسك بتراثنا العربى ، مع تسامح شامل ، وأفق فكرى واسع ، وطموح يجعلنا نقبل على دراسة الثقافات الأخرى ، وكل ذلك لنحيي به أدبنا القومى ونثير شعورنا بوطنيتنا لنصل الى حركة سياسية لن ينكرها علينا احد لأن طبيعة الأحياء توحيها ، والمرمى الذى نسير نحوه هو استقلالنا سياسيا واجتماعيا وفكريا**)) .

ويظهر من هذا الحديث وغيره أن السياسة أسهمت فى تشكيل هذه المدرسة ، وأن هذه الأفكار كانت ثمرة طبيعية لشجرة الحرية التى بدأت تضرب بجذورها فى البلاد ، وأن كل شيء بما فيه الأدب يجب أن يصب فى نهر الحرية الكبير .

وقد أراد المؤلف أن يصور الصراع على أنه موجه ضد الثقافة الغربية العنيفة فى السودان . كما حدث فى مصر مثلا ، ولكن الحقيقة التى لابد أن تظهر فى هذه الفترة والتى تجاهلها المؤلف هو أن جزءا كبيرا من هذه الدعوة كان يقصد به فصل الأدب السودانى عن الأدب المصرى ، وان الكتاب شغلوا بهذه الفكرة مدة كبيرة ، وقد تبلورت أخيرا فى المعركة الأدبية التى دارت فى السودان ، وامتدت حتى مصر حين أسهم فيها الأستاذ ((**محمد عبد القادر حمزه**)) .

فقد دعا الصحفى المصرى الأستاذ ((**حسن صبحى**)) الذى كان يرأس تحرير جريدة النيل الى ما سماه «الثقافة النيلية» ولكن الأستاذ محمد أحمد محجوب انبرى له داعيا الى فصل الثقافة السودانية عن شقيقتها المصرية وأنا هنا أنقل جانبا من تلك المناظرة التى أقيمت بنادى خريجى المدارس بأم درمان مساء السبت ١٩٣٥/٣/٢٣ فقد جاء فى كلمة الأستاذ محمد أحمد محجوب « فنحن قوم شدة وكرب بحكم الجبال والصحراء ، وفى طباعنا جد ، ونحن لتشابه الكثير من بقاعنا بجزيرة العرب استطعنا أن نحافظ على الطباع العربية رغم تطرق المدنية الينا ، فهنالك الكرم الحاتمى، وهنالك النخوة والشجاعة ، وهنالك الخيام تضرب فى الصحراء ، والفتاة والمرأة تقوم بواجبها مع أخيها وزوجها .. وهناك الهجرة والتشوق والسفر الطويل فتجار الجلابة لا يعود الرجل منهم من سفر الا الى سفر كلهم جواب أودية . طلاع ألوية . وهنالك الاقدام على المخاطر ، لأننا ألفنا الغابات والأدغال وعاشرنا الوحوش والوعول ، ونحن قوم فى طباعنا صراحة . وفى الشطر الثانى من وادى النيل نجد اخواننا الذين يمشون على أرض من الذهب . فيهم نعومة ورخاوة ، وفيهم أناقة وظرف.

كلهم فكه ممراح مهذار . ألفوا البقاء فى مصر فهم لا يطيقون فراقها ،ولو قوع بلادهم فى ملتقى أمم الشرق بالغرب كانت مهبط كل الأجناس فمصر بلاد أجنبية فيها اليوناني ،والايطالى ، والروسى ، والأسبانيولى ، والهندى ، والصينى ، ولغتها خليط من لغات هؤلاء القوم ، وهذا الاختلاط الطاغى جعل الشطر الثانى من القطر سريع التجرد من الصفات العربية » .

ثم ينتهى الى اختلاف كل من البلدين من حيث الاقليم ،والثقافة . ثم يخلص من هذا الى أنه «لاتوجد هناك ثقافة مصرية فطه حسين ، وهيكل كشاتوبريان ، واناتول فرانس ،وسنت بيف ،وجورج صاند .والعقاد ،والمازنى كالكتاب الألمان . أو مارك توين . أو هازلت . أروماثيو آرنولد . فهم لا يصدرون عن بلادهم «' والثقافة فى مصر لا زالت محاولة وفشلا » .

هذه هى الجذور الحقيقية للدعوة الى قومية الأدب فى السودان ، وهذه هى الحقيقة التى يجب أن تقال .

ومهما يكن من شيء فقد انتهى بنا المؤلف الى الحركة الرومانتيكية فى الشعر ، فالانطلاق الرومانتيكى يصدر عن تبرم بالواقع الذى يعافه الشاعر ، ومن هنا يلجأ الى دنياه العاطفية الفردية ، ولذلك نجد هذا الشعر ملونا بالقلق ، والحيرة ، والابهام وغموض المقصد والحزن ، والحنين الى المجهول.

ويعتبر خير من يمثل هذا التيار أصدق تمثيل الشاعر « **التيجانى يوسف بشير** » الذى وعى هذه الرؤى الجديدة السابحة فى وجدان وطنه ، والذى أعطته ثقافته العربية قدرةحية على أن يكون الشاعر الأول فى السودان-

فقد كانت ترفده تلك الثقافات التى ظهرت فى مصر ،والشام ، والمهجر ، خاصة وأن هذه الثقافات لم تقف ناتئة فى نفسه ، ولكنه صهرها ووضع عليها طابع روحه .

على أن الحقيقة التى يجب أن تقال هى أن « التيجانى » لم يجتر أحزانه الفردية ،وانما استلهم وجدانه الجماعى فى كثير من القصائد مثل «دنيا الفقير»، و «رسل الشباب فى مصر» ، و «ثورة»، و « الخلوة» ، « ثقافة مصر » ، و « الخرطوم » ، و «الأدب الضائع» . و « توتى فى الصباح » .

وقد قدم لنا المؤلف عدة قصائد للشاعر وأخذ فى دراستها دراسة ذاتية ممتعة ، ومن هذا اللون من الدراسة دراسته لقصيدة قطرات التى بدأها الشاعر بقوله :

قطرات من الندى رقراقه
يصفق البشر دونها والطلاقه
ضمنتها من بهجة الورد أفوا
ف ، ومن زهرة القرنفل باقه
نثرت عقدها اصابع من نو
ر ، وترسلن خفة واناقة
رب وشى نمقن فى صفحة الور
د ونضرن فى الربا انماقه
ومصابيح أسرجتها يد الشمس
وضاء فى زهرة خفاقه
يتقطرن انجما فى أكاليل
من الزهر أسرجت اوراقه !

فقد رأى أن الصور فى هذه القصيدة تعبر (**أولا**) عن الرقة ، متخذا لها رمزا أساسيا هو لفظة «الندى» التى كررها بمشتقاتها أكثر من مرة ، وفى كل مرة يعطى لها صورة جديدة نابضة فهو يسقطها كقطرات ، ويجريها كنهر ، وينفضها على الوان كثيرة من

الزهور . كما يحولها الى مزهر صادح فى يد الشاعر ..

كما أنها تعبر (**ثانيا**) عن الاشراق والتنوير . فهما عنصران أساسيان يرمزان الى حقيقتين كبيرتين فى نفس التيجانى وهما « الرقة والاشراق » اللذين أراد أن يغمر بهما عالمه الشعرى الخاص به .

وقد رأى أن الشاعر لم يعرف الحب الحقيقى للمرأة ، وعرض بالذين ذكروا أنه أحب فتاة نصرانية بعينها . فكل غزله يشير الى شوقه أن يكون محبا ، والفتاة هنا رمز لأشواقه « فحبه فى الحقيقة حلم كسائر أحلامه التى تعوض حرمانه فى واقع الحياة » فحبه جانب من جوانب انعزاله ، ويؤكد هذا بأن معظم حديثه فى الحب موجه الى غير السودانيات .

ونحن نميل الى أنه أحب فتاة مسيحية بعينها ، وأنها مرسومة بعناية فى شعره . فالشاعر كان يسكن فى حى « **المسالمة** » بأم درمان وهو غاص بالمسيحيات . ثم نراه يشتغل بشركة « **سنجر** » محصلا للشركة ، وهو فى كل ذلك يضطرب مع كثير من الأجنبيات ، وأن قلبه الشاب الشاعر ما كان ليغفل التعلق بواحدة منهن ، والتى أحب من أجلها كل ما يحيط بها حتى ليقول :

آمنت بالحسن بردا — وبالصبابة نارا
وبالكنيسة عقدا — منضدا من عذارى
ايمان من يعبد الحسـ — ن فى عيون النصارى

ويرجح أن تكون هذه الفتاة لبنانية فهو يقول :

يا هذه عمرك الله — هل سمعت بقيس
فتى يقيم بجنبى — بين سهم وقوس
رمته ليلى بجفنيـ — ن واستعاذت بترس
وأنت يا ابنة لبنا — ن تعبثين برأسى !

وكما أننا لا نوافق على رأى المؤلف حين يذكر أن عدم تشبيبه ببنات جنسه يدل على أنه لم يعرف الحب الحقيقى. لأن المجتمع السودانى فى رأينا ما زال مجتمعا يحافظ على المرأة ، وينكر التعرض لها . فنحن لا نوافق الدكتور النويهى كذلك على ما ذهب اليه من أن كلمة « بريق » فى البيت الذى يتغزل فيه بفتاة سودانية ، والذى يقول فيه:

يزف عليه شباب الفنو — ن ويبرق فى وجنتيه الفصد (١)

تدل على أنه كان يهوى النور ، ويتعطش اليه تعطشا مستمرا ، وأن هذا يدل على أنه كان يؤثر أن ينسحب الى عالمه الوهمى « حيث يحقق بخياله كل الأمانى التى تعذرت عليه فى واقع الحياة » .

فالذى أعرفه أن كلمة البريق هذه واقعية . لأن «الشلوخ» تعطى بريقا ذاتيا ، وهذا يشاهد فى الجرح المتعمد. فاذا زدنا على هذا أن السودانية تضع على هذه الشلوخ بعض الزيوت العطرية عرفنا أن كلمة «البريق» ليست رمزا بل كلمة مفرطة فى الواقعية .

وفى الوقت نفسه نؤكد أن الشاعر لم يكن استبطانيا يجتر أحزانه الفردية فى انعزال تام ، وانما نراه مشاركا فى

(١) الفصد : الشلوخ التى تكون على الوجه .

الكثير من الأحداث ومستلهما وجدانه الجماعي في قصـــائده التي ذكرناها وغيرها .

ثم ذكر لنـا المؤلف أن الشـــعر الرومانتيكي قد فقد بالتكرار لمعانه ، وأن رقتــه تحــولت الى ميــوعة ، وحساسيته قد بدلت بمرض ، وأن الشعراء قد تحولوا داخليا الى واقع الحياة الذي يهزهم في كل آونة وحين، وأن من الواجب مجابهة هذا الواقع . الذي يمكن في اطاراته ابراز العناصر السودانية أكثر مما يبرزها الشـعر الرومانتيكي ، فكما أن المقلدين يهملون مضامين مجتمعهم المعاصر الى المضامين الذهبية القديمة ، والانحشار في قوالبها « المجمــدة » فكذلك نرى الابداعيين يهملون قضاياهم ، وأحاسيسهم الى أبراج عاجية راكدة .

ومن هنا نرى ((**الواقعية**)) تشق طريقها في أول الأمر في النثر ثم تظهر في الشعر على يد ((**جعفر حامد البشير**)) في ديوانه « حرية وجمال » مهملا كثيرا من الشعراء الذين يعتبرون أكثر فعالية في التأثير الواقعي ما عدا هذا الديوان الذي كتب المؤلف مقدمته .

ثم ذكر لنا جانبا من تطور هــذا الشعر الى ((**الواقعية الاشتراكية**)) مستشهدا بهـذا الاتجاه على ديوان ((**قصائد السودان**)) لتاج السر الحسن، وجيلي عبد الرحمن . فقد تفتحا على نمو القوى الشعبية في مصر ، وتأثرا بهذا المذهب الذي يخضع الأدب والفن لأهداف جادة يلتزمها الفنان .

ثم فرق بين المقلدين في الســودان الذين جعلوا الشعر وسيلة لتحقيق غايات اجتماعية ، ووطنية . من حيث أن المقلدين يريدون استعادة المجــد الاسلامي ، والسيادة العربية في أشكالها القديمة . أما المدرســة « الواقعيــة الاشتراكية » فتبتر كــل ما يربطها بماضيها ، وأمجادها ، وتضع عينيها في اصرار على المستقبل . فشعر المدرسة الأولى « بعثي » أما شعر المدرســة الثانية « فتبشيري » أي أن المدرسة الأولى مدرسة « كنا » أما المدرسة الثانية فمدرسة «سنكون» ، ومدرسة سنكون هذه تتمثل في شعر تاج السر، وجيلي « هما لا يريدان أن يعود العرب سادة ،بل يريدان أن يتحرر جميع العبيد في أنحاء الأرض ! » وهــذه قضيــة لا أحسب الشاعرين يوافقان عليــها ولا أحسب أن شــعرهمـا القــديم أو الحديث يدل على هذه الظاهرة .

وقد ذكر المؤلف أن المدرسة الواقعية الاشتراكية تتضمن الأخطار الآتية : ـــ

١ ـــ المبالغة في السعي وراء الأهداف الانسانية الكبيرة الى حد نسيان البيئة، والمجتمع التي تضمه . مع أن قضــايا الأدب يجب أن تصعد من البيئة ، وترتبط بالناس فيها .

٢ ـــ العناية بالأهداف الاجتماعية قد يؤدي الى ذوبان الشخصية الفردية. مع أن الأساس القوي لكل عمل أدبي كبير هو استقلال الشخصيات المنتجة وتميزها عن باقي الشخصيات الأدبية الأخرى .

٣ــ التحول الى أدب الشعارات ، والدعايات السياسية .

ثم تحدث المؤلف عــن ((**العروبة والافريقية**)) ، وكيف عمل السودان في أول أمره على تجاهل الظاهرة الافريقية أو انكارها . مع الاشادة التامة بالعناصر العربية ، ثم عمل على اندياح المشاعر الوطنية ودفعها للاتصال بكافة العناصر، والقبائل في السودان المترامي الأطراف حتى يقفوا جميعا صفا واحدا أمـام الاستعمار ، فاذا ما حقق الشـعب السوداني انتصاراته نراه يتخلص من

« العقد » ومن انكار العنصر الافريقي، وقد ساعدهم على هذا الفهم العميق لمسألة النقاء العنصري، وقوفهم على مدى ما في التفرقة العنصرية من خرافة.

وقد رأى أن من يمثل هذا الاتجاه هو محمد مفتاح **الفيتوري** الذى أهمل العروبة، وسمى نفسه زنجيا، وأخذ يتحدث عن افريقيته وقد رأى أنه رد فعل على انكار العنصر الافريقي في الكينونة السودانية مع أن الحقيقة تؤكد أن **الفيتورى** لم تتمثل فيه الكينونة السودانية الا من جهة الوراثة. أما ثقافته، وحياته واقامته الى وقت قريب فقد كانت عربية مصرية فالسودان بطبيعته، ومجتمعه، ومشكلاته لم يشكل وجدانه، ولذلك لم نر ذكرا للسودان في شعره. وانما هى طبيعة « الأسود المأزوم » الذى يقاوم طبيعة الحياة من حوله وقد خلع على الافريقيين – مع انسانيتهم وبساطتهم – مشاعره البغيضة، وحقده العارم على الحياة.

وقد أكد المؤلف أن «مأساته الحقيقية – أنه ساخط على انتسابه الى السود الافريقيين. وهو في صميمه يكرههم ويكره انتسابه اليهم ».

والمؤلف يقف عند هذا الحد في الحديث عن الظاهرة الافريقية، ونحن نرى أن الفيتورى لا يمثل الا جانبها المرضى. أما جانبها الوضيء الحقيقي فنراه يتمثل في شعر الدكتور ((**محيى الدين صابر**)) وخير ما تمثله قصيدته العظيمة « كينيا » التى تعرض فيها لحقيقة حركة «الماو ماو»، ولصمود « جوموكنياتا »، ولمآسى التبشير، والرق، والتفرقة العنصرية.

كما نراه اعتزازا في شعر ((**عبدالمجيد الحاج الأمين**))، وعمقا في شعر ((**محيى الدين صابر**)) ولعل خير من عبر عنها تعبيرا حقيقيا هو الشاعر ((**محمد مهدى المجذوب**)) الذى أحب حياة الزنوج، وتمنى أن يعيش مثلهم طليقا يلف من حول وسطه «السكسك» ويزين جبهته بالودع، ثم يمضى متغنيا على ربابة، وفى عينيه آثار الخمر القوية. دون أن يلقى لوما من «قريش» أو « تميم » وقد عبر عن افريقيته بصراحة في قصيدته ((**المصير**))، وفى قصيدة ((**فجر كذوب**)) التى صرخ فيها:

عندى من الزنج أعراق معاندة

وان تشدق فى انشادى العرب !

هذا هو مجمل رأينا في هذا الكتاب، وان كانت هناك بعض أشياء أخرى كالتعميمات المطلقة، وتناسى بعض الشعراء الذين لهم خطر في تشكيل الشعر هناك كمحمد المهدى مجذوب، ومحمد محمد على، وأدريس جماع، والعوضى الكريم، والترسل في نقد قصائد بعض الشعراء، والتركيز عليها دون الخروج من مجموعها بما يعطى فكرة واضحة عن فن الشاعر، فاذا أضفنا الى هذا ضحالة المراجع التى رجع اليها المؤلف، والتى لا يشير الى صفحاتها مع أن الكتاب مقرر على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية زيادة على قصور المادة الشعرية عن اعطائنا الوجه الحقيقي للشعر السودانى عرفنا أنه يجب على السيد الأستاذ الدكتور أن يقدم لنا شيئا أعمق من هذا في دراساته المقبلة فهو خير من يقدم لنا هذه الدراسة بحكم ثقافته العميقة، واقامته في السودان مدة كبيرة كرئيس لقسم اللغة العربية في كلية الخرطوم الجامعية.

وان كنا في الوقت نفسه نغبط الشعر السودانى على هذه الدراسات الكثيرة التى يقوم بها أساتذة كبار كالدكتور محمد النويهى، والدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس.

الجانب النفسى فى التفرقة العنصرية

للأستاذ محمود عثمان

لئن كان بعض المجتمعات التى يوجد فيها البيض والسود جنبا الى جنب يعانى كثيرا من الضغط السياسى والاجتماعى ، على أثر المطالبة ببعض الحقوق السياسية أو تعديل بعض الاوضاع الاجتماعية الخاصة بالسود ، فان مشكلة التفرقة العنصرية لا تمت فى الحقيقة الى أصل سياسى أو اجتماعى بقدر ما تمت الى احساس نفسى بحت ، سيطر على سلوك الرجل الابيض وأفكاره ومواقفه جميعا ـ بعد أن تشبث بموقفه ـ بحيث يبدو كثيرا للبعض أن مشكلة التفرقة العنصرية من نوع المشكلات التى يعسر حلها

ومعنى قولنا ان الناحيتين السياسية والاجتماعية تعدان ثانويتين بالنسبة للناحية النفسية اذ المسألة تقوم على أساس أن تفاوت المستوى السياسى وكذلك الاجتماعى للبيض والسود نشأ عن شعور ب « الكراهية » و « عدم الثقة » بينهما . فعامل البغض أو الحب المفقود بين طرفى النزاع هو الذى حدد بداية التنافر ثم العداء ، وما يزال ذلك الشعور هو الذى يغذى طبيعة المشكلة .

وكراهية البيض للزنوج لا يجوز بحال أن ندمجها فى باب الحالات الفردية ، اذ هى بلا مرية « ظاهرة » تتسم بالعمومية التى لا تنال من شأنها استثناءات طفيفة . وهذه الظاهرة هى المسماة «بالنجروفوبيا» ومعناها الحالة النفسية من المقت والكراهية التى تراود الرجل الابيض نحو الاسود ، سواء أكان يعرفه ويحتك به أم أنه لا صلة تجمعه به ، بمعنى أن احساسه بالكراهية يخرج من حيز مجتمعه الى كل المناطق والمجتمعات التى توجد فيها جماعات زنجية

وقد لوحظ أن « النجروفوبيا » من الجائز أن تتسع دائرتها وتشمل الرجل الابيض الذى يعضد الزنوج ، وينفعل لقضيتهم ، وهو الذى يسمى « صديق الزنوج » .

ولنا أن نتخذ من هذا دليلا على أن قاعدة الكراهية للرجل الاسود قد تأصلت فى نفسية الرجل الابيض بحيث صار لديه الاستعداد لمعاداة من يؤازرونه ، ويعطفون عليه ولو كانوا من بنى جلدته .

ولا يتبادر الى الذهن أن الكراهية

المذكورة تصدر من جانب شخصيات لا تزن الامور ، وتعيش فى مجتمعها حياة عقلية عادية ، فحسب ، بل انها موجودة كذلك عند أغلب المثقفين بصفة خاصة . فقد ورد فى كتاب عن حياة مؤرخ انجليزى كان الى وقت قريب يعد شيخا للمؤرخين – وهو ماكولى – « **اثنان أمقتهما الى أبعد حد : سائقى الزنجى ، وذلك الذى يصادق الزنوج ويعاضدهم ! »** .

وكما وضع العلماء نظرية عن كراهية الزنوج ، فقد اصطلحوا أيضا – وقد جرفهم الهوى والبحث غير النزيه – على تسمية التمادى فى حب الزنوج ومساعدتهم ب « داء النجرومانيا » الأمر الذى يوحى بأن من يقف الى جانب الزنجى فى محنته ، يكون كمن أصابته حالة مرضية تخضع للتشخيص وتتطلب سرعة العلاج . وقد صنف « ج. كامبل » كتابا جعل عنوانه – « النيجرومانيا » . وقد جاء فيه : « **من يجرؤ أن يدافع عن حقوق الزنوج بعد أن يعرف ما هى ! »** .

تلكم هى النقطة التى ينبغى أن نبدأ منها : وهى أن التفرقة العنصرية ألقيت بذرتها فى بيئة المقت وكن الضغينة ، فان أخذت شكل طبقة سائدة وطبقة مسودة ، أو شكل قرارات حرمان من بعض الحقوق ، أو تنظيم المجتمع تنظيما خاصا بحيث يحتل فيه الزنوج قطاعا معروفا ، فان كل هذا غير قمين بأن يعمينا عن المرتكز الاول ، بحيث يمكن القول بأن حل هذه المشكلة الممعنة فى العسر يمكن أن يبدو للعيان واضحا ، بعد أن ننجح فى ايجاد هذه الحلقة المفقودة وأعنى بها روح الثقة والحب . أما أن تتظاهر الدولة بأنها بسبيل تصحيح الاوضاع العامة ، وهى تعلم أن الابيض لا يحترم الاسود ، وأن هذا الاخير لا يثق فيه ، فهذه مغالطة لا تخفى ، واصرار على عدم النظر الى « **ظهر العملة** » كما يقول المثل الفرنسى . والدليل المادى على هذا أن قانون تحرير الارقاء أو عتقهم (فى أمريكا) لم ينته الى شىء ايجابى ، بل لم يحسم الموضوع ، ولم يغير من وضع الزنجى فقد كان وضعه بعده هو وضعه من قبله ، ولم يكن القصد منه الا الابقاء على الوضع الاول ، لكن فى اطار من التطور الاجتماعى الشكلى .

والآن فان مسألة تقسيم الاجناس الى طبقات نوعية ، والاعتقاد بتفوق نوع منها على نوع آخر ، مسألة لا تنتسب للعصور الحديثة فقط ، كما قد يتبادر الى الذهن . بل هى مسألة قديمة قدم المجتمع الانسانى . وقد أخذت المسألة شكل « القضية الاجتماعية » منذ القدم بعد أن تعقدت الحضارة ، واتسع أفقها . حتى اضطر مفكرو اليونان – بعد اتصالهم بغيرهم من الامم – الى كتابة آرائهم فى موضوع « الفوارق بين الاجناس » ، ويمثل أرسطو موقف هؤلاء المفكرين تمثيلا دقيقا . ولنتناول مقولاته فى هذا الباب كخطوة أولى فى بناء الاساس

لهذا الموضوع نفسه ، فأرسطو يحلل السيادة والتبعية أو العبودية بين الاجناس على النحو الآتى :

١ ـ (الطبيعة) ذاتها قدرت على نفر من الناس أن يحكم ويسود ، وعلى نفر آخر أن يكون للنفر الاول خادما وعبدا ، وهذا طالما أنها ـ أى الطبيعة ـ منحت الفريق الاول قدرات عقلية من نوع يمكنه من سيادته ، والفريق الثانى منحته قدرات من نوع يبقيه على عبوديته . وحق القوى على الضعيف كحق الانسان على الحيوان .

٢ ـ يجب على الفريق الثانى ـ أى الخاضع ـ ألا يمس هذا الوضع لأنه هو الذى يحتاج الى مساعدة الفريق الاول لا العكس . فهو يفزع اليه يسأله العون والمشورة ، بحكم عقليته المتميزة .

٣ ـ الشعوب الفاتحة دائما تتميز بمواهبها الراقية . واذن فالبرابرة خلقوا ليكونوا عبيدا ، انظر أرسطو « السياسة » .

ولن نناقش هنا الدافع الى صدور هذه المقولات عن الحضارة الهيللينية ، فهذا شطط عن الموضوع ، وانما يمكن أن نقول انه بالرغم من البعد الزمانى المديد الذى يفصلنا عن أرسطو ، فما زالت أغلب كتابات علماء الاجناس الذين يمدون بنظرياتهم أصحاب سياسة التفرقةالعنصرية ـ لا يخرجون كثيرا عن نظرية أرسطو التى سبقت الاشارة اليها .

والأجدر بنا الآن هو أن ندرك بعض الحقائق التى ساهمت فى صياغة العلاقة بين الرجلين الابيض والاسود صياغة نفسية .

فجلب الزنوج من افريقية الى المستعمرات الغربية ، تم أولا لخدمة أساسها نفعى تجارى اقتصادى محلى . ثم تطور ثانيا فأصبح جلب الزنوج ـ فى حد ذاته ـ تجارة مجزية ، سواء ليؤدى عن الابيض تجارة أو ليتاجر هو به .

ثم خطا المجتمع الغربى خطوات سريعة نحو الشكل الرأسمالى الحديث . وليس ثمة من ينكر الدور البارز الذى اضطلع به الزنجى فى اكمال رسم الملامح الرأسمالية للمجتمع الحديث . فقد عمل الزنجى الافريقى فى خدمة السيادة من رجال الصناعة عملا شاقا ، وبذل من طاقته الكثير ، ولكن ـ وهى نقطة ذات بال ـ كان الزنجى الافريقى فى عمله الشاق وطاقته المبذولة ، يعمل فى ظل احساس بأنه رق ، وأن هذا الانتاج الذى يخرج من بين يديه لا حق له فيه . أو بعبارة أخرى كان عمله آليا بحتا ، ومن ثم فقد تمت عملية استخدامه من غير وعى

واذا نجح الرجل الابيض فى كسب الشوط الاول ، سهل عليه ـ بعد ذلك ـ فرض سيطرته ، وصعب على الأسود أن يسترد ما فاته .

والمشاعر التى سادت المجتمع الذى يجمع الآن بين اللونين كانت هكذا :

أولا ـ البيض نحو السود : اعتبار الزنوج الحاليين سلالة أرقاء . واذن فلا يعقل أن يفكر الزنجي فيدعي لنفسه الحق فى منحه شيئا كان آباؤه لا يملكونه

ثانيا ـ البيض نحو أنفسهم : كان سلوك البيض وموقفهم مكتسبا من أنهم هم أيضا سلالة لسادة آمرين متميزين عمن دونهم . واذن فلا يجوز لهم التفريط فى وضع صانه لهم آباؤهم .

ثالثا ـ الابيض الفقير نحو الأسود الفقير : واذا ما تركنا السادة نجد أن المرءوسين أنفسهم ـ من بيض وسود ـ تشتعل نيران الكراهية بينهم

* * *

وقد نفكر فى عامل الدين ، ونتساءل عن قصوره فى ايجاد حل للمشكلة ، أو العمل على أن يقلل من حدة الجفوة ، ويكسر من تطرفها ، وهذا أضعف الايمان ، ولكن الواقع أن المبشرين ، شأنهم فى هذا شأن أعضاء جمعيات محبى الانسانية يتسمون عموما بالترفع والحساسية المفتعلة ، وليست عندهم نية اقحام أنفسهم فى معترك لا يجيدون الصيال فيه . وأخشى أن أقول انهم ـ على العكس ـ نفخوا فى جذوة المشكلة ، وهم وسط الزنوج بشكل مستتر ، وتحت ستار من الاعمال النافعة والارتقاء بالبشرية !

ثم خطا المجتمع الذى يحكمه الرجل الابيض خطوة حاسمة من حيث تأثيرها البعيد المدى على نفسية الافريقى ، ذلك أن المجالات قد تحددت لتعليمه وتربيته ، وبالتالى لتأهيله . وهذا التأهيل من البساطة بحيث كانت الاعمال التى يمكن أن يزاولها هينة تافهة ، قد لا ترضى عما عسى أن يعتلج بين جنبيه من طموح ، ونزوع الى الانطلاق . وهكذا تتربى فيه أولى درجات الفشل واليأس . وينعكس هذا الاحساس على كل من جهازه الادارى والنفسى ، وخاصة أن مسألة العمل مرتبطة بمسألة الاجر . والاعمال تجازى بقدرها .

هذا ويعزو بعضهم ظهور بعض الأسماء الزنجية فى ميدان الصحافة والأدب فى أمريكا ، الى طبيعة المجتمع الامريكى نفسه وليس الى دوافع ذاتية فى شخصية الزنجى .

هذا من ناحية الرجل الاسود ، أما الرجل الابيض فقد أتيح له أن يعايش بعض التطورات ، والافكار التى أثرت بدورها فى نفسيته ، وسممت نظرياته ، وكان كل هذا وبالا على وبال ، ونتج عنه استحكام مخيف لقضية التفرقة العنصرية

* * *

لقد قلنا ان نظريات الاجناس الحديثة لا تختلف كثيرا عما سبقها ، وأما هذه النظريات فتقوم أساسا على هذه الحقائق الانثروبولوجية :

١ ـ الفوارق (الطبيعية) بين الاجناس من العمق والتحكم ، بحيث ينبغى أن نقر بوجود فوارق نوعية بين المخلوقات البشرية

٢ ـ هـــذه الفوارق النوعية أو العنصرية لهـــا أيضا أرومة وأصول مختلفـــة ، وهى منعزلة عن غيرها من الأنواع من أقدم العصور .

٣ ـ تختص بعض الاجناس بالنبوغ والمواهب التى تعين على الابتـــداع

٤ ـ اختلاط الاجناس وتهجينها يساعد على الجفاف العضوى ، ويؤدى الى تقويض الحضارة .

٥ ـ الاختلاف فى الشكل والمظهر الخارجى من لون ومـــلامح .. الخ . مقرون باختـــلاف جنسى ، ويتضمن اختلافا عقليا أيضا .

أما التطورات والافكار المشـــار اليها ، والتى أثرت فى نفسية الرجل الابيض . فمنهـــا مثلا : ظهور نزعة الحفاظ على الطبيعـــة الاجتماعية ، ومتعلقاتها من نحو المركز ، والثروة ، والمظهر العام ، وهى اشياء من الواضح أنها مترتبة على الحركتين الرأسمالية والاستعمارية .

ثم ان افراد الطبقة الراقية هؤلاء اطلعوا على آراء سوقية عارية تماما عن الروح العلمية ، وتناولوا مشكلة الفوارق الجنسية من زوايا سطحية تماما . لـكن الارستوقراطى الابيض الذى يعض على مركزه بالنواجذ لا يبالى الا بما يبقى على الحالة الاجتماعيـــة كما هى

فالســادة البيض يجب أن يظلوا كذلك ، والطبقات الزنجية كما هى أيضا ، والحقوق والعلاقات والمعاملات لا تتغير ولا تزول .

كذلك ظهـــرت فى بعض الاوقات مبادىء هى من نبات النزعة التسلطية فمبادىء القرن الثامن عشر التنويرية عن حقوق الانسان ، والمستقبل الأرقى للانســـانية ... الخ كانت قد زالت لتحل محلها مبادىء من نوع آخر ، مثـــل « ابتلع الضعيف قبـــل أن يبتلعك ! »

ويتمشى مع نقطة الكتابات السوقية الآنفة ، نقطـــة موازية هى مهاجمة « الداروينية » ورميها بأنها رجعية لا تتمشى مع الاتجـــاهات الحديثة . وواضح طبعا أن القصد من مهاجمة النظرية لأنهـــا تنزل بالاجناس كافة عن مستوى مشترك .

كذلك وجد مبدأ « البقاء للاصلح » من يحرفه ويصوغه فى شكل « البقاء للارقى » . ولما كنا قد اتفقنا على أن هنـــاك « نوعية جنسية » تنطوى على « نوعية عقلية » فالبقاء من ثم لواء معقود للأرقى والسيد !

وقف الرجـــل الابيض فى ملتقى هذه العظـــات والاكاذيب العلمية . ولكنه لم يكن مسلحا ضدها ، بل كان مسلحا بما يدفعـــه الى العمل المادى المتمثل فى اعلان سيطرته على سكان افريقية .

وقد شخص علماء النفس الحالة النفسية التى للرجل الابيض والتى دفعته الى التعبير عن فكرة التفرقة العنصرية بشكل ما . فقد لاحظوا أن اعلاء الجنس من شـــأن نفسه يلاقى

تقـــديرا واعجـــابا من جانب الامم المتحضرة . على حين أن اطراء الفرد لذاته واعلاءه من شأن نفســـه يعد أكبر دليل على الحماقة . وتفســـيرا لحالة هي ان الابيض يعاني كبتا لرغبته في اظهار تفوقه ، ثم يحدث «تحويل» أو « تعويض » لطريقـــة التعبـــير ، فتنصب عنجهيتـــه على اظهار سمو جنسه ، من ناحيـــة ثم الحط من جنس آخر من ناحية أخرى . وهذه هي قاعدة « الكراهية » التي تتربى عند الاجناس نحو أجناس أخرى .

والدلالة السيكولوجية الخالصـة لهذا التصرف هي أن في نفسية الرجل الابيض ـ الذي وصل الى المستعمرات في غياهب القارات ، واستعبد الرجل الاسود ، وتكدست أمواله ـ هـــذا الرجل الكبير تتحرك في داخله روح طفولية ، تحثـــه على تأكيد ذاتيته ، فلا يستطيع الا أن يؤكدها فوق ذاتية الزنوج .

وقد ظن بعضهم مثل «مونستربرج» « ان النظريات الخاصة بالاجناس ان هي الا تعويض للفلسفة ، ونتيجـة لعصر خال من الفلسـفة » .

وهم يقولون : ان هـــذه الروح الطفولية تتحرك في الرجل الابيض الاستعماري الثري ، وذلك راجع الى كيت وكيت من العلل والأسباب التي يذكرونهـــا . ولـــكن ماذا نقول في « مونتسكيو » ، وهو يضع أسســـا للقوانين والسنن التي للزنوج .

ولا أظن أن هناك ما يسعفني لايجاد تعليل للامر ، فلنقرأ كلامه اذن ، دون أن نعلق بشيء :

« أن أنبح لي أن أدافع عن حقنـــا الذي تمتعنا به في اتخاذ الزنوج عبيدا فاني أقول : ان شعوب أوروبا بعد أن وفدت على سكان أمريكا (الاصليين) تحتم عليها ان تسترق شعوب أفريقية لتكون أداة لها في استغلال ما تغله هذه البقاع المترامية وهذه الشعوب ان هي الا **جماعات ســـوداء البشرة مـــن أخمص القدم الى قمة الرأس . وأنوفها فطساء لدرجة لا يمكنك معها أن ترثي لها ، أو تعطف عليها . ثم انه لا يدور بخلدي . ان الله ، تعـــالت حكمته ، قد بث روحا ـ وروحا كريمة بالذات ـ في داخل جسم حالك السواد ! » .**

* * *

وبعـــد فان في افريقيـــة دولا ومجتمعات تلاقي من مشكلة التفرقة العنصرية العناء الكثير ، وان كان هذا يتمثل في جنوب القارة بشكل خاص ذلك ان جنوب أفريقيـــة عرف هذه النزعة التاريخية الحضارية الخاصة بتقسيم المجتمع الى قطـــاعين يتميز أحدهما عن الآخر ، أو نزعة التفرقة أو التمييز وهي أيضـــا كانت عند الهيللنيين الذي شـــطروا مجتمعهم شطرين : أحدهما « متحضر » وهو الذي يتكلم اليونانية والآخر «متبربر» وهو الذي يجهلها ، وهذه الفكرة نجد صداها عند كثير من الامم في مختلف الحقب التاريخية .

حركات التحرر فى افريقية

للأستاذ محمد عبد المنعم يونس

قارة افريقية قارة عريقة ذات تاريخ حافل مثير ، غنية بثرواتها المعدنية وموادها الخام ومصادر القوى الكهربائية . تخطو شعوبها فى الوقت الحاضر نحو التقدم بخطى سريعة مما أدى الى انتقال معظمها من العصر الحجرى رأسا الى العصر الذرى ، وقد أصبحت أخبار هذه القارة العريقة لها الصدارة فى صحف العالم . وكثيرا ما تطالعنا الصحف بخبر مثير ينبىء عن ميلاد دولة جديدة تمكنت من التخلص من ربقة الاستعمار وتحررت وانضمت الى مجموعة الدول الافريقية المستقلة أو عن قيام اتحاد بين بعض الدول المتحررة أو عن قيام ثورة عنيفة فى وجه المستعمر الغاصب الذى استمرأ الاستغلال والسيطرة واستنزاف موارد البلاد ، أو عن انشاء سد عظيم يوفر مقادير هائلة من المياه المختزنة لوقت الحاجة وييسر الحصول على القوى الكهربائية التى تستغل فى قيام شتى الصناعات .. وهكذا .. وقد ساعد فيض الوطنية الجارف الذى يغمر جهات القارة الافريقية على انجاز كثير من المشروعات الضخمة التى كانت تحتاج أجيالا عدة فى فترات وجيزة .

وقد لفتت القارة الأفريقية أنظار العالم كله بما غمرها من وعى ، نما نموا سريعا فى السنوات الأخيرة ، ومن موجات قومية متتابعة زادت ضخامتها واتساعها بصورة لم يكن يتوقعها أكثر الناس تفاؤلا . وستكون أكثر مناطق العالم خطرا وحساسية خلال العشرين عاما القادمة . وقد شعر العالم أجمع أن تلك القارة قد تأثرت بالعالم العربى الى حد كبير واستجابت لنداءاته التحررية ، ولا عجب فقد كان العالم العربى منذ أجيال كثيرة النافذة التى أطلت منها الحضارة والمركز الذى شع منه نور العلم والمعرفة على تلك القارة العظيمة .

ففى العصور القديمة بلغ قدماء المصريين أواسط القارة وتبادلوا المتاجر مع شعوبها ، ثم عند ظهور الاسلام وقيام الدعوة الاسلامية وما تلاها انتشر العرب فى معظم أجزاء القارة الأفريقية. واندمج تجارهم فى معظم شعوبها وأقاموا معها روابط وثيقة ونشروا مع تجارتهم مبادىء الدين الاسلامى الحنيف واللغة العربية وآدابها ،كما حمل الرحالة والجغرافيون العرب أمثال السعدى والادريسى وابن خلدون وياقوت والبكرى وابن بطوطة مشعل المعرفة ، وتعتبر كتاباتهم ذات أهمية واضحة فى تاريخ تلك القارة ، وأثاروا فى المجتمعات التى حلوا بها موجات من الفهم والتفكير والنزوع الى التقدم والرقى .

الى أن قامت حركة الكشف الجغرافى ، وخرج المغامرون والرحالة

والمستكشفون لارتياد مجاهلها والتوغل فى داخلها بعد كشف سواحلها فأدركوا أنها قارة مليئة بالخيرات تفيض بالمعادن النفيسة والمواد الخام التى تفتقر اليها الدول الغربية فى صناعتها ، فبدأت أفواج رجال الارساليات المسيحية تفد وفى أعقابها التجار والشركات الاستغلالية ثم الجنود بأسلحتهم النارية لتثبيت أقدام هؤلاء المستعمرين .

وقد أدى انقضاض هؤلاء المستعمرين من دول غرب أوروبا على تلك القارة المظلومة واستنزافهم لمواردها ، الى عرقلة سيرها فى سبيل الرخاء والتقدم ، وهدف الدول الاستعمارية واحد لا يتغير وهو ابقاء شعوب تلك القارة متأخرة ومتخلفة عن شعوب العالم لتتمكن من الحصول على خيراتها فى يسر وسهولة ، لأن بقاءها فى ظلمات الجهل يبعدها عن التفكير الواعى المستنير الذى يدفعها الى المطالبة بالتحرر والاستقلال والخلاص من يد الغاصب ، وقد عبر أحد الإستعماريين عن حيرته ذات مرة بقوله : ((**ان تعليم الافريقيين خطر ، ولكن عدم تعليمهم أشد خطورة**)) . كما أن تنبه الافريقيين الى أساليب المستعمرين قد بلغ درجة ملحوظة ، اذ علق أحد المواطنين بهذه العبارة : ((**عندما قدم الأوروبيون كانوا يملكون الانجيل وكنا نحن نملك الأرض ، أما الآن فقد أعطونا الانجيل وأخذوا منا الأرض**)) . — وهذا يوضح بجلاء أن قدوم الارساليات المسيحية لم يكن الغرض منه نشر مذهب معين أو دين معين بل كان الهدف منه استعماريا محضا يرمى الى اغتصاب الأراضى من أهل البلاد الأصليين واعطائها للمستوطنين البيض ، وهكذا اتخذ الغربيون من الدين ستارا يخفى وراءه اطماعهم الاستعمارية وأغراضهم الخبيثة .

وكثيرا ما كان رجال الاستعمار يستغلون سذاجة زعماء القبائل الافريقية وبساطتهم لخداعهم ، فكان رجل الاستعمار يرسل أحد أعوانه الى زعيم القبيلة حاملا له بعض الهدايا من الأقمشة المزركشة والمصنوعات البراقة والملابس الغربية ويستأذنه فى السماح له ولرجاله باقامة معسكر بضعة أيام ، فيأبى كرم الضيافة على زعيم القبيلة الا القبول ، فيقيم رجل الاستعمار مأدبة غداء فاخرة يدعو اليها زعيم القبيلة ، واثناء هذه المأدبة يتخم الزعيم بالطعام والشراب ، فينتهز الاستعمارى هذه الفرصة ويقدم له ورقة ليوقعها ثم يطلب الى أحد أعوانه قراءتها ، وطبعا لا يفهم زعيم القبيلة شيئا منها لأنها بلغة أجنبية ، لكن الاستعمارى الماكر يوهمه بأنها وثيقة لتأكيد الصداقة وتدعيم علاقات الود والاخاء بين الطرفين ، وماهى فى الحقيقة الا معاهدة تخول لهذا المستعمر المخادع حق استغلال أرض هذا الزعيم وما عليها ومن عليها الى أقصى الحدود ، وهكذا ينتقل من مكان الى آخر ليكرر هذه المهزلة حتى يتم له امتلاك أجزاء متعددة ، وكان هذا هو الأسلوب الخسيس الذى لجأ اليه المستعمرون الأوروبيون فى اغتصاب أجزاء القارة الافريقية .

وقد بلغت أرباح الشركات

الاستغلالية فى أفريقية فى الخمسين عاما الأخيرة ما لا يقل عن ٤٢٠٠ مليون من الجنيهات ، مع أن العامل الافريقى الذى يكد ويكدح فى مناجم الذهب أو النحاس أو الماس أو اليورانيوم يتقاضى ثمانية قروش فى اليوم ، ولم يقف استغلال المستعمر له عند هذا الحد ،بل حرم عليه وهو فى بلاده وفوق أرض وطنه أن يدخل الأندية ودور السينما والمطاعم التى يدخلها السادة البيض المزعومون ، كما أنهم يحرمون عليه المرور فى الأحياء التى تخصص للبيض ، وركوب الأتوبيسات التى يركبونها .

فثورة شعوب افريقية على المستعمر الغاصب أمر طبيعى لابد منه ، لأنها ثورة مشروعة فى سبيل التحرر والتقدم وكلاهما طبيعة من الطبائع الاصيلة فى بنى البشر ، ومن العجيب حقا أن يتولى خمسة ملايين من المستعمرين الأوروبيين السيطرة والتحكم فى شعوب تلك القارة البالغ عددها ٢٠٠ مليون .

بالرغم من أن الاستعمار قد لفظ أنفاسه الأخيرة فى قارة آسيا وجهات الشرق الأوسط وشمال أفريقية ،فانه ما زال يعلق آمالا كبيرة فى البقاء فى قلب تلك القارة التى تفيض بالخيرات والثروات ، ويتمثل هدف الدول الاستعمارية فى استغلال تلك الجهات واستنزاف مواردها بأقل ثمن ممكن ، ويعتقد المستعمرون أن فى القيود التى يفرضونها على الحركات التحررية والمنظمات السياسية واتحادات العمال وأساليب الضغط والارهاب والقاء الوطنيين المتحمسين فى غياهب السجون وفرض الأحكام العرفية وما الى ذلك مما يكفل لهم السيطرة والبقاء، لكن الشعوب الأفريقية مصممة على الحصول على حقها الطبيعى فى الحرية والاستقلال مهما كلفها ذلك من ثمن .

لقد تكالبت عدة دول أوروبية على اقتسام قارة أفريقية فيما بينها وأبرمت معاهدات واتفاقيات نظمت توزيع الغنيمة ، ولكن بانتهاء الحرب العالمية الأولى زال النفوذ الألمانى عن تلك القارة ، كما أن الحرب العالمية الثانية أعقبها ابرام معاهدة الصلح مع ايطاليا سنة ١٩٤٧ وتوقيع اتفاقية الوصاية وبمقتضاها تقلص نفوذ ايطاليا عن مستعمراتها الافريقية السابقة واقتصر على ادارة صوماليا أثناء فترة الوصاية من ديسمبر سنة ١٩٥٠ الى ديسمبر ١٩٦٠ ، وأصبحت الجهات الأفريقية التى تنوء تحت ظل الاستعمار الأوروبى تحت نفوذ بريطانيا التى لها ١٤ مستعمرة ، وفرنسا التى يبلغ عدد مستعمراتها ١٣ وبلجيكا التى لها مستعمرة واحدة والبرتغال التى لها ثلاث مستعمرات واسبانيا التى لها مستعمرتان .

الدول المستعمرة	تعدادها	تعداد الشعوب الافريقية المسيطرة عليها
١ ـ بريطانيا	٤٩ر٨١٢ر٠٠٠	٥٨ر٨٣٤ر٠٢٢
٢ ـ فرنسا	٤٣ر٣٠٠ر٠٠٠	٣٢ر٤١١ر٥٠٠
٣ ـ بلجيكا	٨ر٨٦٨ر٠٠٠	١٢ر٠٠٠ر٠٠٠
٤ ـ البرتغال	٨ر٨٦٥ر٠٠٠	١٠ر٣٨٨ر٧٦٧
٥ ـ اسبانيا	٢٨ر٩٧٦ر٠٠٠	٢٢٤ر١٢٦

ويتضح من هذا البيان أن تعداد معظم هذه الدول الاستعمارية يقل بكثير عن تعداد الشعوب الواقعة تحت نفوذها والتى يتولى الأمور فيها حفنة معدودة من رجال الاستعمار .

ولم يقتصر الأمر على تنافس دول أوروبا الغربية فى استغلال أجزاء القارة الافريقية ، بل ظهرت فى الميدان الاستعمارى الولايات المتحدة الأمريكية التى زحفت على أفريقية بشكل مقنع حديث يتمثل فى الشركات الأمريكية التى تبلغ رؤوس أموالها التى تستثمرها فى مشروعات استغلالية ما يزيد على ١٥٠ مليون جنيه كما تقدم الحكومة الأمريكية حوالى ٣٠٠ مليون جنيه لبعض حكومات افريقية .

وقد شهدت السنوات العشر الأخيرة موجات جارفة من الحركات القومية التحررية غمرت القارة الأفريقية ، وقد كللت جميع هذه الحركات بالنجاح وأسفرت عن تزايد عدد الدول الافريقية المستقلة ، ويوضح البيان التالى الدول التى نالت استقلالها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ودخلت فى قائمة الدول الأفريقية المستقلة التى تضم الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة وأثيوبيا وليبيريا واتحاد جنوب أفريقية .

الدولة	تاريخ استقلالها
١ ـ ليبيا	٢٤ ديسمبر ١٩٥١
٢ ـ السودان	١٩ ديسمبر ١٩٥٥
٣ ـ المغرب	٢ مارس ١٩٥٦
٤ ـ تونس	٢٥ مارس ١٩٥٦
٥ ـ غانا	٦ مارس ١٩٥٧
٦ ـ غينيا	٢ أكتوبر ١٩٥٨

من الأمور التى لايختلف فيها اثنان فى الوقت الحاضر أن أفريقية تسير فى الطريق الى ميلاد جديد ، وأعظم ظاهرة تسود حياة الأفريقيين فى كل مكان هى القومية ، والثورة التى تجيش فى نفوس أبناء تلك القارة ، ثورتهم على سنوات طويلة من الذل والمهانة والبؤس ، ثورتهم على حياة هى أقرب الى حياة الحيوانات منها الى حياة الانسان ، ثورتهم على فقرهم المدقع فى بلادهم التى يفيض كل شبر من أراضيها بالثروة والغنى فى حين يستمتع الدخلاء الأجانب بكل ما تجود به هذه الأرض من خيرات وفيرة ، فظواهر الثورة بادية وواضحة فى كل مظهر من مظاهر الحياة فى أفريقية لأن الأفريقيين لايرضون بغير الحرية بديلا ، وهدفهم الأسمى التحرر من السيطرة الأجنبية سواء أكان مصدرها تلك الفئة القليلة ـ من المستوطنين ـ الأوروبيين ـ التى تتمتع بخيرات بلادهم ـ ونعيم ثروتهم أم الحكومة الأوروبية التى تفرض عليهم وهى على بعد آلاف الأميال منهم ؟ وظاهرة الرغبة فى التحرر هى اللون السائد فى كل مظهر من مظاهر الحياة فى أفريقية الآن ، فهى التى تدفع الأفريقيين الى التعرف ببعضهم بعضا وهى التى فتحت أعينهم الى أن ينظروا الى أنفسهم كأمة ذات كيان لا مجرد قبائل متفرقة .

ولقد ظهرت مبادىء كثيرة تدعو الى الديمقراطية والاشتراكية وتنادى بالتحرر الوطنى ولا شك أنه قد حدث تطور جلى شمل جميع أنحاء قارة أفريقية نتج عن عدة أمور منها نمو تجارة الاستيراد والتصدير وتزايد

عدد مزارع المواد الأولية واتساع الاستثمارات وتعدد المناجم ونشأة طبقات اجتماعية جديدة لم تكن قد ظهرت في القارة من قبل مثل طبقة المستوطنين الأوروبيين والطبقات المتوسطة والعمال الصناعيين الأفريقيين وانتشار مدارس الارساليات المسيحية وتضاعف نشاط المبشرين الأوروبيين ورواج الكتب والصحف والاذاعة ونشأت أجيال مثقفة مستنيرة من شعوب افريقية .

ومما عجل بهذا التطور اشتراك الافريقيين في الحربين العالميتين الأولى والثانية كجنود وعمال واطلاعهم على آفاق جديدة واتصالهم بحضارات وثقافات كثيرة ، كما كان للأزمات التي قامت في أعقاب الحرب العالمية الأولى أثرها الجلي ، وكذلك ظهور الحركات والأحزاب السياسية التي تزعمتها الطبقة الجديدة من الزعماء الأفريقيين الذين أجمعوا على تغيير الأوضاع وضرورة انسحاب المستعمرين لينال الافريقيون قسطهم في الحياة الحرة الكريمة ويتمتعوا بخيرات بلادهم التي طالما حرموا منها ، فقامت الحركات التحررية التي تهدف الى تغيير الحدود السياسية التي فرضها المستعمر الغاصب ، وتعديلها وفق ما تقتضيه طبيعة الأمور ، ثم بدأت الشعوب الأفريقية التي نالت استقلالها تدعو الى الاتحاد لتأليف جبهات قوية تستطيع الصمود أمام مؤامرات المستعمر العنيد فقام الاتحاد الذي نشأ بين دولتي غانة وغينيا ، وأعقبه اتحاد مالي الذي يضم بعض الجمهوريات التي تتمتع بالحكم الذاتي في أفريقية الغربية الفرنسية وهي السنغال والسودان الفرنسي وفولتا العليا ، وداهومي وتكون أيضا اتحاد جمركي بين جابون والكنغو الاوسط وأوبنجي وشاري وتشاد وكلها أعضاء في أفريقية الاستوائية الفرنسية ، وقد حرص كل من هذه الاتحادات على النص بأن بابه مفتوح لانضمام اية دولة افريقية اخرى مما يوضح أن الرغبة أكيدة في التكتل ضد المستعمر .

لكن السلطات الاستعمارية سعت الى تأليف اتحادات زائفة تدين لها بالولاء وتعمل حسب هواها ووفق مشيئتها : في ظاهرها مصلحة الأفريقيين وفي باطنها الدمار والهلاك لهم ، فحاول البريطانيون اقامة اتحاد شرق افريقية من كينيا وأوغندا وتنجانيقا ليتأكد الاستيطان البريطاني في جميع أجزاء هذا الاتحاد ، ولكن شعوب هذه الجهات قاومت هذا الاتحاد بشدة وعنف ولا سيما شعب أوغندا المجيد الذي ادى عناده واصراره بالمستعمرين البريطانيين الى نفي الكاباكا (ملك بوجندا) وقيام أزمة ١٩٥٣ ولم تفتر عزيمتهم بعد هذا بل دعوا الى اقامة اتحاد افريقية الوسطى من روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند ، وكذلك محاولاتهم الأخيرة ادخال الصومال البريطاني في اتحاد مع الصومال الايطالي السابق الذي سينال استقلاله عام ١٩٦٠ وتأليف دولة مستقلة واحدة تدخل في نطاق الكومونولث ، وربما تحدث تسوية سياسية بشأن الصومال الفرنسي تهدف الى ضمه الى هذا الاتحاد المنتظر وتعويض

فرنسا فى مقابل ذلك بمنحها مستعمرة غمبيا البريطانية التى تطوقها السنغال فى أفريقية الغربية الفرنسية ، ولو أن ديجول قد صرح أخيرا بأنه يعارض فى منح الصومال الفرنسى استقلاله وبالتالى دخوله فى اتحاد مع الصومالات الأخرى .

ان موجة التحرر والاستقلال طغى مدها على القارة الافريقية فشملها جميعا اذ يعتبر استقلالها على رأس الأحداث العظيمة فى تاريخ القارة الافريقية ، فهى تضم حوالى ٣٥ مليونا من السكان وتعتبر أكبر دولة فى قارة أفريقية وستصبح رابعة دول الكومنولث من حيث المساحة .

أما الدول الثلاث الأخرى فكلها تحت وصاية الأمم المتحدة ، وقد كانت توجولاند والكمرون من المستعمرات

الدولة	تعداد سكانها	تاريخ استقلالها
١ ــ الكمرون	٣٫٢٠٠٫٠٠٠	أول يناير سنة ١٩٦٠
٢ ــ توجولاند	١٫٣٠٠٫٠٠٠	٢٩ أبريل سنة ١٩٦٠
٣ ــ نيجيريا	٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠	أول أكتوبر سنة ١٩٦٠
٤ ــ صوماليا	١٫٣٠٠٫٠٠٠	أول ديسمبر سنة ١٩٦٠

كلها واجتاحتها الثورات فى كل مكان ، ولابد للمستعمر من تركها لأهلها اليوم أو غدا ويستعد الزعماء الوطنيون للمعركة التى ستنتهى حتما بانتصارهم وفوزهم .

وافريقية اليوم على عتبة الحرية ولم يبق سوى بضعة شهور قليلة ثم تفتح أبواب الحرية على مصراعيها فى معظم بلادها .

وسينضم الى صفوف مجموعة الدول الأفريقية المستقلة خلال عام ١٩٦٠ أربع دول تضم ما يزيد على أربعين مليونا من الافريقيين يوضح البيان السابق تعداد سكان كل منها والتاريخ المحدد لنيلها الاستقلال .

وتعتبر نيجيريا أهم هذه الدول الألمانية لكنها صفيت بعد الحرب العالمية الأولى ، أما صوماليا فقد كانت ضمن المستعمرات الايطالية فى افريقية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية وبمقتضى نظام الوصاية تولت فرنسا ادارة الكمرون وتوجولاند كما تولت ايطاليا ادارة صوماليا حتى تاريخ نيلها الاستقلال .

ولم تقف الحركات التحررية عند هذا الحد ولكن الثورات مازالت تغمر بقية أنحاء تلك القارة العريقة ، فالكنغو وكينيا وأوغندا وروديسيا ونياسالاند كلها تطالب بالاستقلال وتسعى الى نيل حقها فى الحرية وستفوز حتما على المستعمر الغاصب الذى آن له أن ((يحمل عصاه ويرحل الى غير رجعة)) .

السودان فى صور

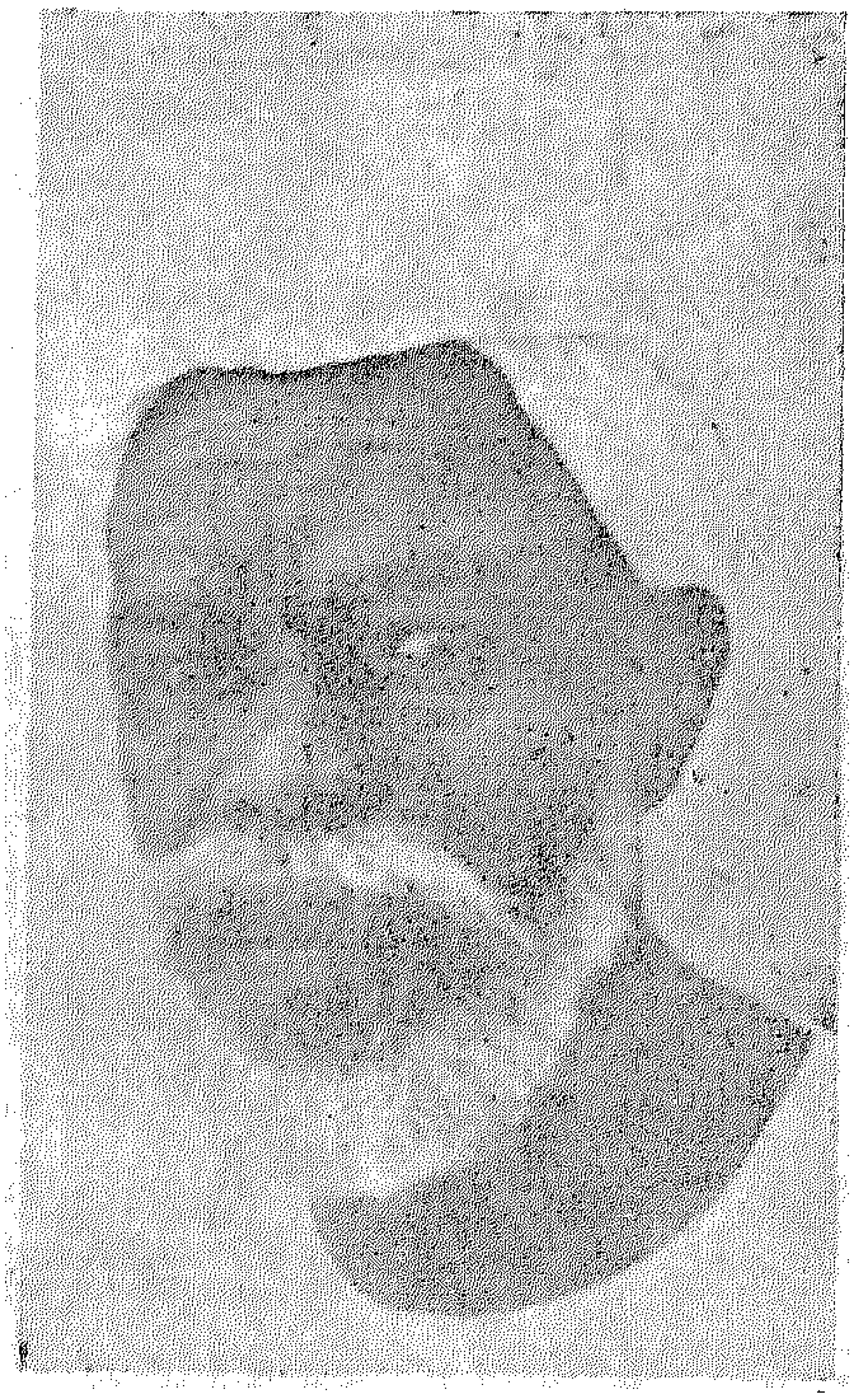

تقوم فى السودان الآن نهضة مباركة تشمل كل شيء فيه ، وتتجدد فى كل مرفق من مرافقه فقد بدأت الحيـــاة تدب فى أوصاله قوية عارمة بعد أن نال استقلاله . ومن هنـا نراه يتجدد فى كل مظاهر الحياة ، ويسير بخطى قوية فى طريق العزة والكرامة . مدركا فى الوقت نفسه أن عليه رسالة نحـو جيرانه الذين لم يتحرروا بعد .

فافريقية اليوم وحدة من المشاعر، وأحاسيس مترابطة فى كل مكان فيها . وبمثل هذا الشعور القوى بالوطن الكبير « افريقية » نستطيع أن ننال مكاسب .. تلو مكاسب .. وانتصارات بعـد انتصارات .. والغد للقارة .

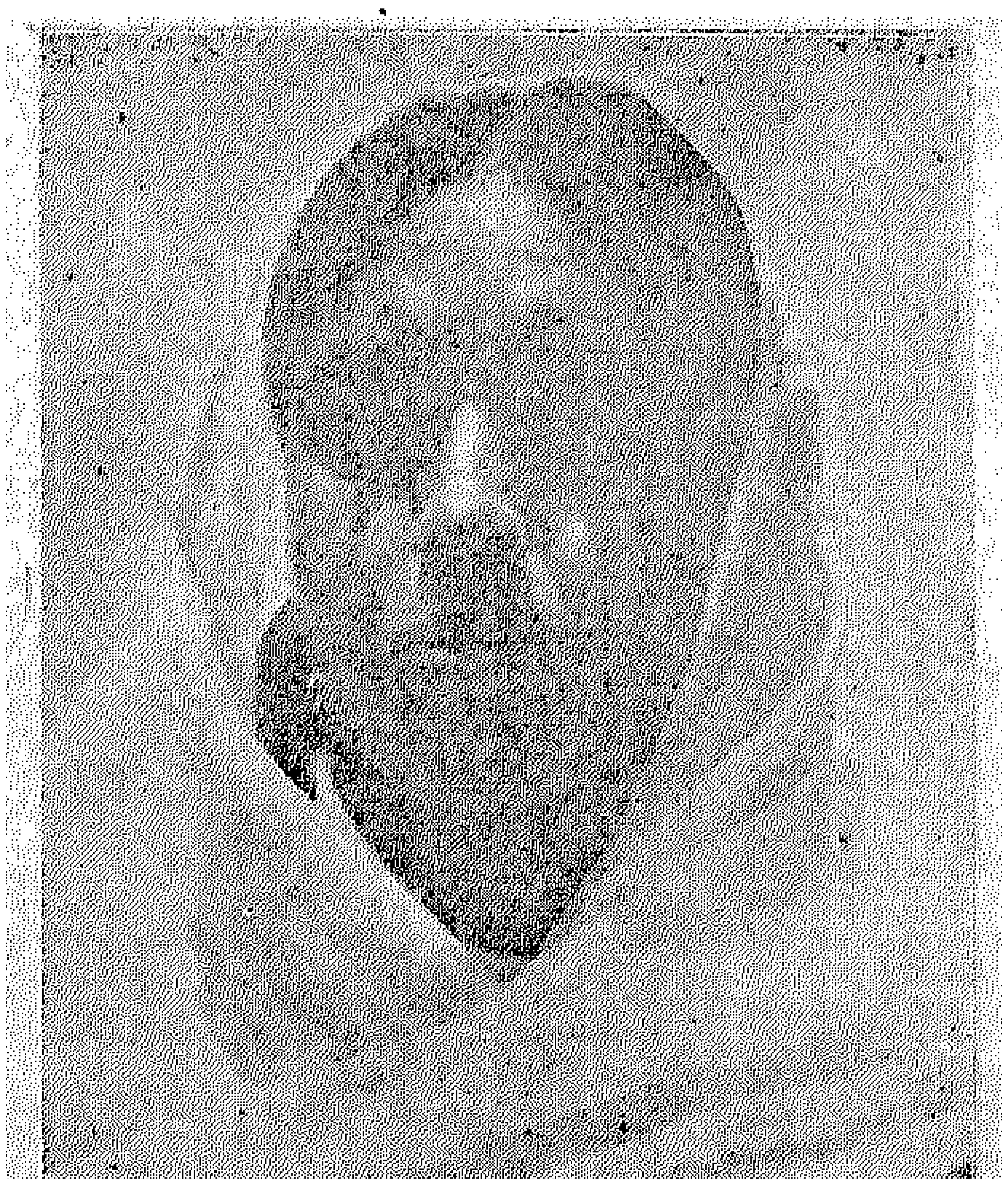

ملامح ســودانية

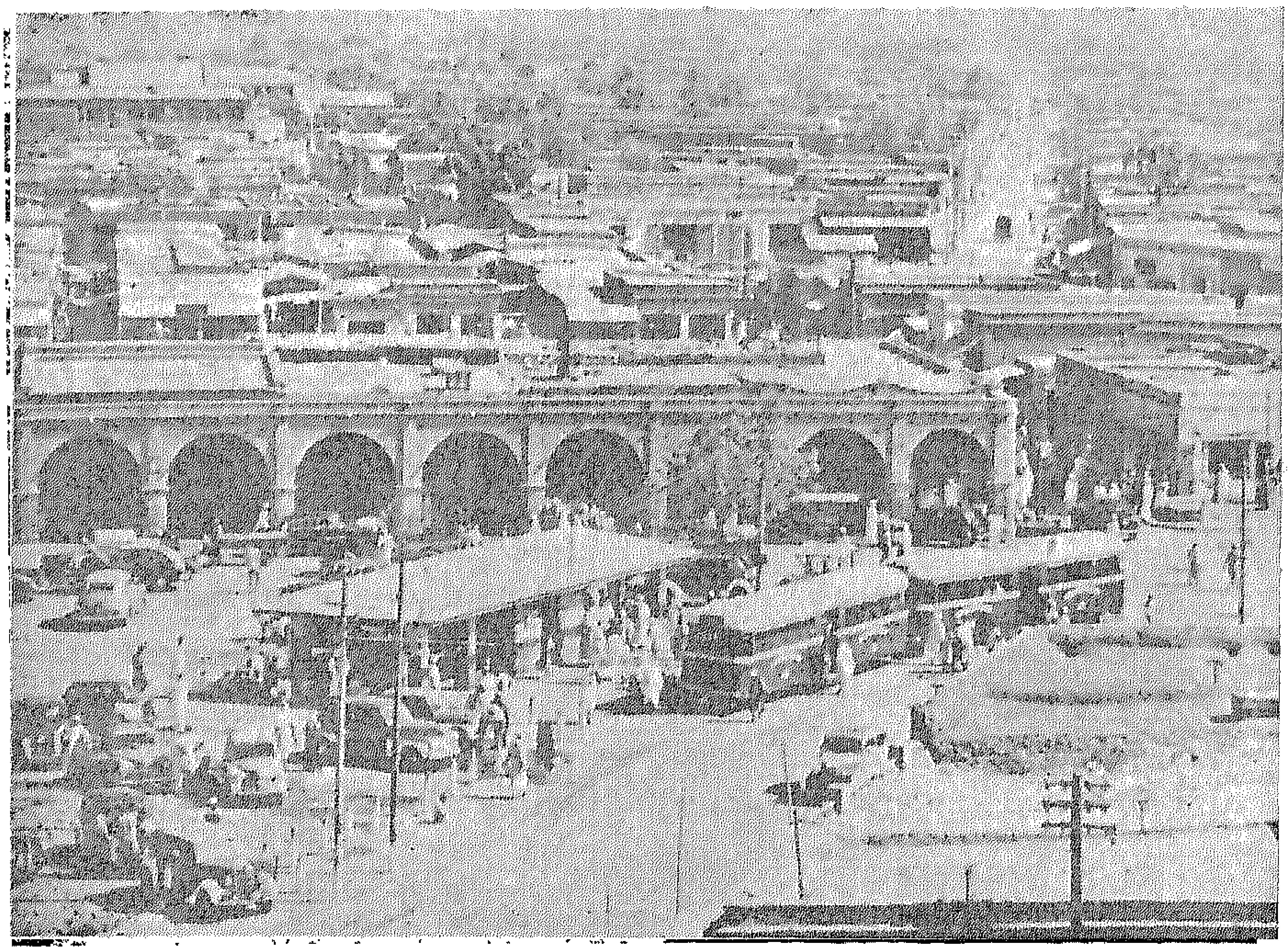

مدينة الخرطوم

من نظام المبانى العربية فى سواكن

وجه من جنوب السودان

المواصلات فى جنوب السودان

التبكير للرزق

البحر الأحمر

ودول العالم القديم

للأستاذ سمير عطا

لم تكن أهمية البحر الأحمر فى العالم القديم بأقل من أهميته الفائقة بالنسبة للعالم فى **العصر الحديث** .

ولا يمكننا أن ننكر أبدا ، أن البحر الاحمر كان من أهم العوامل التى بنيت عليها أهمية هذه الدول الواقعة على جانبيه . فلولاه لما أصبحت مصر همزة الوصل بين الطرق العالمية كما هى عليه الآن ، وكما كانت من قديم الزمان . بل انها لم تكن تبلغ هذه المكانة فى الأهمية . كطريق عالمى بين الشرق والغرب ، ولا يقلل من أهمية البحر الأحمر ، وجود طرق برية أخرى كانت تصل ما بين الشرق والغرب . اذ تبرز هذه الأهمية حقا حينما تضمحل هذه الطرق ، وتموت شيئا فشيئا . بينما يظل البحر الأحمر مزدهرا ، يعج بالحركة على مر السنين .

وقد ظهرت البحرية المصرية فى البحر الأحمر لأول مرة فى عهد الملك ساحورع . وقد استطاع المصريون — حينما نزلوا الى هذا البحر — أن يتصلوا ببلاد النوبة عن طريق أكثر سهولة من الطريق البرى ، لأنهم كانوا يجلبون الذهب والرقيق من هذه البلاد . الا أن مغامرات المصريين فى البحر الأحمر ازدادت نشاطا فى عهد الأسرة السادسة ، يدل على ذلك الآثار التى وجدت من عهد هذه الأسرة ويؤيده أيضا ... ((**قصة الملاح الغريق**)) المشهورة فى الأدب المصرى القديم ، والتى ظهرت فى هذا العصر . ولكن الملاحة فى البحر الأحمر مالبثت أن ضعف شأنها بعد انهيار الدولة القديمة بسبب غارات بدو الصحراء واضطراب الأحوال الداخلية ، الا أن الأسرة الحادية عشرة لم تكد تتولى الأمور فى مصر ، حتى أمنت هذا الطريق ، وأعادت الصلة بين مصر وبلاد بنت الى سابق عهدها . وفى عهد هذه الأسرة شقت قناة «سيزوستريس» . وهى أقدم اتصال مائى بين البحرين الأبيض والأحمر عن طريق النيل .. اذ كانت تخرج من فرع النيل الشرقى (الفرع البيلوزى) عند بوبسطة ، وتخترق وادى الطميلات بمديرية الشرقية الى بحيرة التمساح ، فالبحيرات المرة ، فالقلزم على شاطىء الخليج المسمى باسمها .

وكان من اثر ذلك . . . أن ازداد النشاط البحرى فى البحر الأحمر عن

ذى قبل ، فى عهد الملكة «حتشبسوت» وتحدثنا الآثار المصرية ان هذه الملكة ، أرسلت حملة تتألف من أربعين سفينة الى بلاد بنت . ولا تزال أخبار هذه الحملة مسجلة الى اليوم فى معبد الدير البحرى ، الذى يرجع تاريخه الى هذا العصر ..

وقد فكر نخاو عام ٦٠٩ ق م ، فى اعادة حفر القناة ، بعد ان سدت حتى تنشط المعاملات مع بلاد العرب وغيرها . ولكنه أوقف العمل كما يقال : حين تنبأ له أحد الكهنة .. بأن القناة لن تفيد الا الأجانب ، وستعود على مصر بالضرر (١) ، أو أن مهندسيه هم الذين نصحوه بذلك .. لارتفاع مستوى البحر الأحمر عن الدلتا . ومع ذلك فقد استغل نخاو البحر الأحمر فى بعثة من أشهر البعثات البحرية فى التاريخ القديم وهى البعثة التى بدأت الطواف حول أفريقية.

وقد ذكر هيرودوت هذه الرحلة فى تاريخه الكبير ، وكان الفينيقيون يقودون هذا الأسطول الذى دار حول أفريقية حتى وصل الى اعمدة هرقل (جبل طارق) ، ومنها الى مصر . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات . ويقال : ان الملاحين قد نفدت مؤونتهم مرتين ، وانهم نزلوا بالساحل الغربى لأفريقية ، فحرثوا الأرض ، وبذروا الحب وحصدوه . وليس هناك ما يدل على حدوث قتال بينهم وبين سكان البلاد التى نزلوا بها .

من هذا يبدو ان المصريين لم تكن لهم اغراض توسعية أو استعمارية من وراء هذه الحملات .. وانما كانت أغراضهم تجارية بحتة ، لأن المصريين كانوا فى حاجة شديدة الى التوابل ، والى الطيوب ، وكانوا يجلبون كذلك المر واللبان . وهذه الأصناف كانت لازمة للتحنيط فى مصر .. اذ ان فن التحنيط المصرى كان من صميم العقيدة المصرية . وقد كان مقصورا فى عصر الدولة القديمة على الطبقات العليا فى المجتمع المصرى ، غير ان ثورة الدولة الوسطى وقيام الدولة الحديثة ، أديا الى شيوع هذا الفن بين المصريين على اختلاف طبقاتهم . ولعل هذا يتفق مع اقبال المصريين على ركوب البحر فى عصر الدولة الحديثة . فهذه البضائع كانت تجلب من أسواق اليمن ، والمراكب المصرية كانت تبحر الى هذه الأسواق فى العصور القديمة. والدليل على ذلك أن كلمة « بنت » فى اللغة المصرية معناها « سمرة اللون » ، وهذه السمرة فى اللون كانت من خصائص الأجناس القديمة المحيطة ببوغاز باب المندب ، والدليل الثانى : أن اقليم حضرموت كان معروفا طوال العصور التاريخية بأنه مزرعة اللبان فى العالم القديم ، وهو لايزال كذلك حتى اليوم . والبحوث الحديثة التى قام فيها علماء الآثار بدراسة الأوصاف التى وردت فى الأساطير المصرية عن هذه البلاد .. قد دلت –

---

(١) يظهر ان هذه النبوءة لم يكن لها نصيب من الصحة ، فان القناة أصبحت اليوم فى عهد الجمهورية العربية المتحدة مصدر ثراء عظيم وخير عميم لمصر وشعبها ، بفضل الرئيس جمال عبد الناصر وتأميمه للقناة ، وقد بلغ دخل مصر من القناة ٥٧ مليونا من الجنيهات ، ولقد أصبحت مصر بفضل هذه القناة بعد التأميم فى مركز تحسدها عليه كبريات الدول .

بصفة قاطعة — على أن بلاد « بنت » ، هى بلاد اليمن القديمة ، وبلاد الصومال الحالية . واذا كانت الوثائق المكتوبة تنقصنا لتأييد هذا الكلام ، فان قيام الحضارة ينهض دليلا ملموسا على ذلك ، فعلماء الحضارة اثبتوا أن فن الرى العربى القديم كان اشد تأثرا بالتقاليد المصرية منه بالتقاليد العراقية ، واثبتوا أن عمارة سد مأرب تشبه عمارة السد الذى أقامه المصريون عند مدخل واحة الفيوم ، كما أن فن النحت اليمنى القديم يحمل طابعا مصريا بارزا .

واذا كان الفينيقيون هم الذين قادوا الأسطول المصرى فى الطواف حول أفريقية ، فاننا نجد صلة الفينيقيين بالبحر الأحمر لاتقتصر على هذا العمل الكبير ، وانما كانت أيلة على رأس خليج أيلة ، أو خليج العقبة الحالى ، مدينة ذات شأن عظيم فى التجارة فى الزمن القديم . اذ كانت ملتقى القوافل بين مصر والشام وبلاد العرب . ولذلك فقد جاهد الاسرائيليون فى الاستيلاء عليها ، ونجح النبى داود فى فتحها ، وظلت جزءا من مملكة يهوذا فى عهد النبى سليمان . وقد استعان سليمان بالفينيقيين فى جعل أيلة ميناء ضخما تبنى فيه السفن لمزاولة نشاطها البحرى فى البحر الأحمر ، وقد حصنها عزريا وجعل منها ميناء رائعا كان ينافس صور فى يوم من الأيام .

ونعود الى مصر فى الدولة الحديثة حيث نشهد قصة من أروع ما عرفه التاريخ القديم من قصص .. تلك هى قصة غرق فرعون فى البحر الأحمر .

وقد يكون هذا الفرعون هو «منفتاح»، فقد جاء فى لوح عثر عليه فى طيبة انه أباد بنى اسرائيل . وقد دعا هذا بعض المؤرخين الى القول بأنه فرعون المذكور فى الكتب السماوية ،أما أين غرق فرعون وجنوده فى البحر الأحمر؟ فقد نستدل على ذلك .. بتتبع سير الاسرائيليين حين هروبهم من مصر عن طريق وادى الطميلات شمال بلبيس حتى وصولهم الى البحيرات المرة ، وكانت تمتد شمالا الى أبعد مما هى عليه الآن لاتصالها بالبحر الأبيض . وربما غرق فرعون فى هذا المكان ، أو فى خليج السويس نفسه .

وبعد اضمحلال الدولة الحديثة ظهرت قوة النوبيين فى جنوب مصر ، حتى تولى أمرهم الملك « بعنخى » ، فرأى أن تكون مصر كلها تحت حكمه .. ولم يجد طريقا لغزو الشمال خيرا من طريق البحر الأحمر. وكان ذلك أول خطر حربى فى التاريخ يهدد مصر عن طريق هذا البحر ، ولو أن هذا الغزو النوبى لا يعد غزوا خارجيا ... فالنوبة منذ القدم جزء من مصر و « بعنخى » نفسه كان نصف مصرى تجرى فيه الدماء الفرعونية . وبعد عصر « نخاو » أصبحت حركة الملاحة فى النصف الجنوبى من البحر الأحمر ، أنشط منها فى النصف الشمالى على وجه العموم . فقد شهد جنوب البحر الأحمر ، فى تلك الآونة ، قيام عدة حضارات عظيمة فى اليمن والحبشة . وكانت دولة سبأ ، قد ظهرت فى هذه الحقبة كقوة عظمى فى العالم القديم . وساعدت الظروف الدولة السبئية ،

على أن تتبوأ مكان الصدارة في المحيط الدولي ، وتهيمن على طرق التجارة بين الشرق والغرب . فان مصر بعد الأسرة السادسة والعشرين ، لم تعد قادرة على أن تلعب دورا بارزا في سياسة الشرق الأدنى، وكذلك انتهت دولة آشور بعد هجوم الفرس من جنوب بحر قزوين، وانفردت بابل بالزعامة في بلاد العراق . وكان ملك اليهود قد انتهى في أورشليم عام ٦٠٨ ق.م. ، واستطاع البابليون أن يهزموا المصريين في معركة قرقميش ، وبذلك بسط البابليون سيطرتهم على الشرق الادنى . وانتهزت سبأ فرصة هذا الصراع الدولي فاستولت على تجارة العالم القديم ، وتجمعت في ايديها ، من جراء ذلك ، ثروات طائلة عن هذا الطريق . وظلت سبأ تحتل هذا المركز حتى سنة ٢٣٠ ق.م. حينما اخذت الوثائق القديمة تسجل لنا خروج بعض القبائل اليمنية على زعامة سبأ ... فثارت قتبان وحضرموت ، بل اخذت القبائل المؤسسة لدولة سبأ تتنازع من أجل العرش . وفي وسط هذا الاضطراب السياسي . نمت قوة حمير ، واستطاعت سنة ١١٥ ق.م. ، أن ترث ملك سبأ وأن توحد القبائل **اليمنية** ، وتؤسس **دولة حمير** ،وتمثل فترة هذه الدولة العصر الذهبي للملاحة في البحر الأحمر .

ولا يفوتنا قبل الحديث عن حمير .. ان نذكر شيئا عن نشاط العراق القديم في هذه الحقبة . فان صلة مصر ببلاد العراق لم تكن تقتصر على الطريق البرى المار بشمال بلاد العرب وجنوب بلاد الشام ، وانما كانت السفن المصرية تتخذ من البحر الأحمر طريقا .. يوصلها الى المحيط الهندى ثم الى الخليج العربي ، لكى تصل الى بلاد العراق . ولقد نتج عن ذلك ، ان أسس المصريون مدينة يثرب ، كما تدل البحوث الحديثة . فان اسم يثرب مشتق من اسم الالاهة « اتريبس » المعروفة في الديانة المصرية ، ولم يكن هذا الطريق مقصورا على السفن المصرية بالنسبة للعلاقة بين مصر وبلاد العرب والعراق، بل كان لبحرية العراق دور بارز في هذا المضمار . ولقد رأينا في آثار الحضارات العربية كثيرا من أصول الحضارات العراقية القديمة منذ فجر التاريخ . وأول هذه الحضارات هي الحضارة السومرية والحضارة الأكادية . وقد اتصل السومريون والأكاديون ببلاد العرب منذ الألف الرابع قبل الميلاد ، يدل على ذلك ان النقوش السومرية والأكادية ورد فيها اسم موضعين ببلاد العرب هما : **معان وملوخا** ، وقد ثبت بعد الدراسة والبحث أن هذين الموضعين لهما في النصوص السومرية مدلول يخالف ما في النصوص الأكادية ، ففي النصوص الأولى : ظهر أنهما يدلان على مواضع على شاطىء الخليج العربي الغربي ، وتبين أن البحرية السومرية، كانت تصل الى آخر الخليج العربي ، جلبا للاحجار والأخشاب اللازمة في الصناعات القديمة . والنصوص الأخرى أوضحت ان المقصود بهذه المواضع .. هو ساحل بلاد العرب كله . ومعنى هذا أن البحرية الأكادية ، كانت أوسع

نشاطا .. اذ استطاعت أن تدور حول الخليج العربى ، وأن تصل الى منطقة السويس . وبذلك اشترك العراقيون منذ القدم فى التجارة القديمة ، وذهبت سفنهم الى أسواق اليمن القديمة ، وظهر أثر هذا الاتصال فى الحضارتين اليمنية والأكادية ، فالقلم اليمنى القديم هو نفس القلم المسمارى الأكادى القديم ، واللغة اليمنية القديمة تشبه الى حد كبير اللغة الأكادية . غير أن قيام الدولة **الأشورية غير من هذا الاتجاه البحرى،** وبدأت دول العراق تتجه صوب شرق البحر الأبيض المتوسط . ولم يرض عرب اليمن بهذا الوضع مما دعا الأشوريين الى القيام بحملة شرقية كبيرة عام ٧٢٤ ق.م. ، ورد فيها للمرة الأولى اسم **ثمود وسبأ** ،وذكرت هذه النصوص أن السبئيين دفعوا الجزية للأشوريين .. فلا غرابة اذا رأينا الحضارة السبئية تضمحل بعد ذلك شيئا فشيئا . ومع ذلك فان التاريخ قد ترك لنا فى حالات كثيرة .. ما يدل على أن الدول التى تعاقبت على بلاد العراق كانت ، وما زالت حتى اليوم ، ترى أن مجالها الحيوى فى الشرق الأوسط يرتبط كثيرا بمنافذ البحر الأحمر ، وقد شعر بهذا البابليون . ثم الفرس من بعدهم . ولعل الحروب القديمة التى دارت رحاها بين الفرس والروم ، كان من اهم اغراضها السيطرة على هذه الطرق الهامة فى الحياة الاقتصادية فى العالم القديم .

وحينما أخضع «قمبيز» مصر وتولى بعده «دارا» عرش فارس ، اهتم هذا الاخير بطريق البحر الأحمر اهتماما كبيرا ، وليس ادل على ذلك من أنه **حفر القناة** التى كان « **نخاو** » قد أوقف العمل فيها . ولكن الاسكندر الأكبر سرعان ماهزم دارا ، وقضى على امبراطورية الفرس ، وخضعت مصر لليونان ، وقامت فيها دولة جديدة عرفت باسم الدولة البطلمية . وقد عملت هذه الدولة على ازدهار التجارة فى البحر الأحمر، وبذلك دخلت فى منافسة رائعة مع دولة الحميرين فى اليمن . وكانت هى المسيطرة على تجارة البحر الأحمر منذ زمن بعيد ، اذ أن تجارة الهند الرائجة كانت تنتقل بحرا حتى شاطىء **حضرموت** ،ثم تنتقل برا من هذا الشاطىء على ظهر القوافل حتى مدينة مأرب عاصمة سبأ ، ثم تنتقل منها الى مدينة مكة ، ثم الى أسواق الشرق الأدنى . ولكن حدث فى أواخر القرن الثانى ق . م . تغير فى طريق هذه التجارة ، وسلكت طريق البحر الأحمر وأخذت هذه التجارة البحرية الجديدة تذهب الى شعب آخذ فى النمو على أنقاض سبأ ، هو شعب حمير لموقعه على ساحل البحر الأحمر . وكان هذا العامل الاقتصادى من أهم العوامل التى ساعدت على قيام دولة حمير ، وعلى انتشار نفوذها فى بلاد العرب . فورثت ملك سبأ ، ووحدت البلاد تحت سيادتها ، ونجح الحميريون فى هذه التجارة البحرية الى حد بعيد ، حتى اصبحوا بحق سادة البحر الأحمر دون منازع .. حتى لقد أطلق عليهم اسم فينيقيو البحر الأحمر . والأساطير العربية تذكر لنا .. أن الحميريين

فتحوا بلاد الهند . وهذا يدل على أن نشاطهم البحرى امتد شرقا حتى وصل الى بلاد الهند ، بل امتد نشاطهم البحرى كذلك حتى شمل شمال أفريقية ، ويؤيد هذا أن بعض القبائل المغربية قبل الفتح العربى ، كانت ترجع أنسابها الى أصل حميرى.

غير أن هذه الحالة لم تستمر طويلا، فقد بدأت على مسرح السياسة الدولية، ظواهر منافسة خطيرة كانت تنذر بنهاية عهد السيطرة الحميرية .. ذلك أن الحميريين حينما سيطروا على التجارة ، واحتكروا تجارة التوابل ، رفعوا من أسعارها ، وفرضوا عليها الضرائب الباهظة وكان العالم القديم لا يستطيع الاستغناء عنها ، لذلك فكرت بعض الدول فى التدخل للقضاء على هذا الاحتكار . وقد ساعد على ذلك أن قامت فى مصر دولة البطالمة ، وكانت قوية غنية ، فأضحت من أسبق هذه الدول الى منافسة الحميريين فى ميدان التجارة.

واستطاع بطلميوس الثانى – بعد أن وصل النيل بالبحر الأحمر – أن يرسل سفنه الى هذا البحر وأن يشترك فى هذه التجارة الغنية . وكانت روما فى ذلك الوقت ، قد أخذت تبرز كأقوى دولة فى العالم القديم ، وقد تولى بومبى قيادة الجيش الرومانى فى الشرق بعد خطبة شيشرون الرائعة المعروفة باسم « الدفاع عن قانون مانيليوس » التى حث فيها على تعيين بومبى فى هذه القيادة بعد تمرد الجنود على القائد السابق «لوكللوس» ولا يعنينا هنا الدافع الذى جعل شيشرون يدعو الى تعيين بومبى ، وانما الذى يعنينا ... هو ما كان يهدف اليه بومبى نفسه . ولا شك أنه قد سعى كثيرا لتولى هذا المنصب.

وكان بومبى – الى جانب مقدرته العسكرية – على علم تام بالأحوال السياسية المضطربة فى روما ، وما يدبر فيها من مؤامرات ودسائس ، ففضل أن يتجه الى الشرق فهو ميدان بكر لنشر النفوذ الرومانى .. حيث يكون هو السيد الوحيد لهذا الميدان تشبها بما فعل الاسكندر من قبل . ولذلك فانه بدا بالاستعلام عن الطرق المؤدية الى الهند لكى يستولى عليها وترك لأسطوله مهمة مطاردة خصم روما العنيد « متراداتيس » ، بينما اتجه هو الى بحر قزوين حيث أخضع شعب « الالبانيين » . وسرعان ما قامت الحرب الضروس فى أعالى الفرات بينه وبين البارثيين . وقد راودت «بومبى» نفسه فى الاستيلاء على بابل على أثر ذلك ، الا أن الأحوال فى أرمينية استدعت وجوده هناك لتنظيم الأقاليم الواسعة التى فتحها ، ولذلك فقد عاد الى أرمينية ولكن لم ينس حلمه بالاستيلاء على الشرق والوصول الى الهند .. ففكر فى طريق آخر أسهل من طريق بابل وايران . ولم يكن أمامه الا البحر الأحمر فجعله بومبى هدفه الرئيسى فيما يقبل من حملات . ولعله كان يفكر فى الوصول الى الهند . ثم الزحف منها على ايران وبابل ... تسانده جيوش رومانية أخرى تزحف عليهما من الشمال . وبدأ تنفيذ خطته بالاستيلاء على دمشق عام ٦٤ ق.م. ، ثم زحف على

بقية سوريا وانتزع فلسطين من أسرة المكابيين اليهودية غير أن الفوضى كانت تضرب بجرانها فى ربوع سوريا مما استنفد الكثير من جهد بومبى فى القضاء على العصابات ، وقطاع الطرق فى داخل سوريا ، وتدمير حصون القراصنة البحريين على الساحل الى جانب المقاومة الشعبية ضد السيطرة الرومانية . وبعد ذلك أخذ بومبى يعد العدة لغزو البتراء عاصمة النبطيين — وهى من أهم المراكز التجارية القريبة من البحر الأحمر — ففى البتراء مفتاح الطريق الى البحر الأحمر ، الا أن أحد أفراد أسرة المكابيين ثار فى أورشليم مما اضطر بومبى الى العودة اليها ومحاربته . وقد استماتت اليهود فى الدفاع عنها فلم تسقط الا بعد ثلاثة أشهر . ولم يكد بومبى ينتهى من فتح أورشليم حتى اضطرته الظروف الى العودة الى بنطوس فى آسيا الصغرى ... لاعادة الأمن فيها . وكان الزعماء فى روما ينتظرون آنذاك الى فتوحات بومبى بعين القلق والحسد ، فبدأوا يدبرون المؤامرات ضده . وكان أشدهم فى ذلك كراسوس الذى شرع قانونا ينص على فرض الجزية على مصر بادعاء ان الاسكندر الثانى ، أو بطلميوس الحادى عشر ، قد أوصى بها للرومان ... وان الملك الحالى لمصر بطلميوس الثانى عشر أو الزمار ليس وريثا شرعيا .

وقد استطاع احد البحارة الحبشيين أن يدل الرومان على مسالك هذا البحر ، ومن ثم دخلت السفن الرومانية للمرة الأولى المحيط الهندى .

وبينما كان هذا النزاع يدور بين الفرس والرومان ، كان هناك عامل آخر ظهر فى تاريخ البحر الأحمر وهو العامل الدينى . فقد وفدت على بلاد العرب ديانات سماوية — فدخلت النصرانية فى القرن الرابع فى عهد الملك قسطنطين ، وانتشرت فى بلاد العرب . وبنى المسيحيون كنيسة فى صنعاء وكنيسة فى نجران ، كما وفدت اليهودية على هذه البلاد . وهذا النزاع بين هاتين الديانتين اظهر عاملا جديدا هو النفوذ الحبشى وتطلعه الى بلاد العرب .

وكان تنصر الأحباش سببا فى تحالفهم مع البيزنطيين بسبب الدين المشترك .. ذلك أن البيزنطيين قد حلوا محل الرومان الغربيين فى التطلع الى الشرق الأدنى ومعابره الى الهند والشرق الأوسط عامة .

ولقد كانت سوريا ومصر فى ذلك الوقت باستعمالهما طريق البحر الأحمر ، أكثر بلاد العالم تصديرا لمنتجاتهما وما يرد اليهما من منتجات.. فكانت سوريا تصدر الحرير والخمور والزجاج . وكانت مصر تصدر البردى والبهارات التى تصلها من الشرق الأقصى ، ولكن القرن السابع صحبه كثير من الاضطرابات ، ولاسيما ركوب الصقالبة البحر وظهور القرصان فى البحر الأبيض ، مما قلل من نشاط التجارة ، فى القرنين التاسع والعاشر . وبدأت بيزنطة تتجه الى التجارة مع روسيا فبعدت عن الشرق ولكن التجارة البيزنطية — على وجه العموم — كانت منذ القرن العاشر ولا سيما فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، قد أخذت فى الاضمحلال . وذلك نتيجة لما حل بها من تضعضع ، بما تنازلت عنه من امتيازات بحرية لدولة البندقية .

جمهورية "مالى"

للأستاذ : بهجت ابراهيم الدسوقى

قام اتحاد حديث فى اقليم غرب افريقية الخاضع للاستعمار الفرنسى تحت اسم اتحاد مالى أو جمهورية مالى . وقد كان فى بدء تكوينه مكونا من أربع مناطق هى : السنغال ، والسودان الفرنسى ، وداهومى ، وفلتا العليا .

وقديما كانت هناك مملكة تسمى مملكة مالى قامت بعد زوال دولة المرابطين . وكانت هذه المملكة أعظم مملكة من ممالك السودان الغربى . ويذكر ابن خرداذبة فى مسالك الأبصار عن الشيخ سعيد الدكالى « ان هذه المملكة الاسلامية الكبرى مربعة طولها اربعة أشهر وعرضها مثل ذلك وجميعها مسكون الا ما قل » .

ولقد ذكر فى كتاب العبر أن هذه المملكة تشتمل على خمسة أقاليم :

(١) اقليم مالى (٢) اقليم غانة (٣) كوكو (٤) أقليم تكرور (٥) صوصو.

وكان اقليم مالى يتوسط هذه الأقاليم الخمسة وقاعدتها منى .

ويقع اقليم غانة غرب صوصو ، ويمتد الى ساحل المحيط من جهة الجنوب ويقع اقليم كوكو شرقى اقليم مالى وحاضرتها كوكو . وتقع تكرور غرب هذه الأقاليم وقاعدتها مدينة تكرور جنوب نهر السنغال .

وأول من أسس هذه المملكة هو سونديا ــ تاكيتا . وهو من قبائل المادنغ وذلك فى القرن الثالث عشر الميلادى .

ومن هنا ثبت أن البلاد التى يتألف منها الاتحاد الآن كانت كلها تحت مملكة مالى المذكورة .

واذا نظرنا الآن الى منطقة غرب أفريقية نجد أنها تتميز عن المناطق الأخرى من أفريقية ، بتقسيمها الى أجزاء متعددة . وقد نتج هذا تطبيقا للخطة الاستعمارية لاستعمار هذه البلاد . فمنذ دخل الاستعمار وهو يجاهد فى تقسيمها وتفتيتها ، ولم يكتف بذلك ، بل عمل على غرس الكراهية والحقد بين القبائل المختلفة وأخذ يستعدى بعضها على بعض .

ولقد مرت هذه المنطقة بتطورات مختلفة لنظم الحكم ، وشاهدت حروبا مستمرة بين القبائل للسيطرة . فمن دولة المرابطين الى دولة مالى الى دولة غانة ، فلما حلت الفترة المعروفة بفترة « الزحف نحو افريقية » بدأ المستعمرون يواجهون فى زحفهم صعابا كثيرة ، وذلك نتيجة لصمود القبائل ووحدتهم والترابط الذى حدث بينهم ، لذلك بدأ المستعمرون فى تنفيذ خططهم القائمة على المبدأ العتيق « فرق تسد » واستطاعوا بهذه السياسة دخول المنطقة .

ومع كل ذلك لم يستطع المستعمرون أن يغيروا من شعور أهل هذه المنطقة ونظرتهم الى حقيقة وجودهم وانهم يكونون شعبا واحدا لمنطقة واحدة لاتفصلها الفواصل المصطنعة . فهذه

الأسماء المختلفة للأقاليم التى تكون المنطقة والتى عمل المستعمرون على فصل كل اقليم منها عن الآخر ، وتكوين شخصية منفردة له ، هذه الأسماء ما زال أهل المنطقة ينظرون اليها على أنها أجزاء لشخصية واحدة هى شخصية شعب غرب أفريقية .

ويبدو ذلك من التصرفات التى يأتيها الأهالى فى هذه المنطقة ، من تنقلهم بين الأقاليم المختلفة دون رقيب أو مانع .

وليس أدل على ذلك من اننا نجد أبناء القبيلة الواحدة موزعين فى مناطق مختلفة ، كذلك نجد قبيلة الزبرمة وهي من انشط القبائل فى غرب أفريقية ، وقد اشتهرت بتجارة التجزئة ، ومركزها الرئيسى فى داهومى وتتعامل مع التجار السوريين واللبنانيين، فتأخذ منهم ما تحتاج اليه من بضائع ، ثم تنتقل فى باقى المناطق أو تتولى توزيعها دون أن تقف فى طريقها حدود أو موانع أو جوازات أو تأشيرات .

كذلك نلاحظ أن نغمة الوحدة نغمة محبوبة شيقة استخدمت فى المعارك السياسية . ونجد اندفاع الأهالى نحو قبول هذه الفكرة شديدا .

وهذا ما دفع سيكوتورى رئيس وزراء غينيا الى قبول الاتحاد مع غانة ، ولم يمض على استقلاله أشهر .

واذا ما نظرنا الى هذه المنطقة نجد أن بها اتجاهين استعماريين ينضمان فى الاتجاه الانجليزى الذى يعمل على تثبيت أقدام السياسة الانجليزية وحماية المصالح الانجليزية فى المنطقة، بل يعمل هذا الاتجاه على ضم مناطق خارج النفوذ البريطانى وادخالها فى فلك السياسة البريطانية .

وأما الاتجاه الآخر فهو الاتجاه الفرنسى الذى يعمل على الوقوف فى الاتجاه الأول ، وتثبيت السياسة الاستعمارية الفرنسية ، والعمل على حماية المصالح الفرنسية ، والرد على توسعات الاستعمار البريطانى . ويظهر ذلك فى الاتجاه الفرنسى الحديث من منح استقلال شكلى فى فلك الاتحاد الفرنسى ، كما يتضح من الاتحاد الذى هو موضوع حديثنا وهو اتحاد مالى ، ولكن السياسة الفرنسية سريعة الفشل ، وذلك لأنها تعتمد أكثر ما تعتمد على أسلوب القوة والعنف والسيطرة ، بعكس السياسة البريطانية التى تعتمد على أسلوب اللف والدوران والغموض ، مما يؤدى الى بقائها بعض الوقت .

ومع ذلك فاننا نجد اتجاها آخر حديثا يتجه نحو هذه المنطقة وهو الاتجاه الأمريكى الذى يتمثل فى السيطرة الاقتصادية وخاصة بالنسبة للدول المستقلة ، حتى أن هناك زعماء يؤمنون بالمبادىء الاشتراكية ، ومع ذلك فقد قبلوا هذا الاتجاه الحديث .

وكان نتيجة لتكوين اتحاد غانة وغينيا . وخروج احدى دول المنطقة من التبعية الفرنسية ، وتحررها من الاستعمار الفرنسى ، أن أراد الفرنسيون الرد على هذا الاتحاد بتكوين اتحاد من الأقاليم التى صوتت على الدخول فى الاتحاد الفرنسى . وكان أن تكون اتحاد مالى نسبة الى مملكة مالى القديمة . وكان الفرنسيون يأملون أن تدخل الأقاليم السبعة من المنطقة فى هذا الاتحاد ، الا انه لم يدخله فى بدء تكوينه سوى أربعة أقاليم هى : اقليم السنغال ، والسودان ، والداهومى ، والفلتا العليا . وقد بدأت المشاورات

لتكوين هذا الاتحاد بين الأقاليم الأربعة فى ٢٥ من يناير سنة ١٩٥٩. ثم أعلن الاتحاد فى ١٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ ، ولكن ما ان أعلن هذا الاتحاد حتى بدأت العناصر المناهضة له فى الظهور والتكتل ، وخاصة فى داهومى ذلك الأقليم الذى كان يغلى كالبركان ، والذى زعم الفرنسيون أن نتيجة التصويت على دستور ديجول كانت فيه ١٠٠٪ بنعم ، فلقد كان هذا الاقليم أول الأقاليم التى خرجت من الاتحاد ، وتبعه فلتا العليا ، وكان ذلك فى حوالى ٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ . ولقد تفاعلت عوامل كثيرة من نشاط المنظمات الا أن السياسة الفرنسية العنيفة أدت الى خروج اقليمى داهومى وفلتا . ولم يبق فى الاتحاد الآن سوى السنغال والسودان تحت زعامة **سنجور** .

وكان لزاما علينا أن نتعرض للمناطق الثلاث الأخرى التى لم تدخل الاتحاد وهى ساحل العاج وموريتانيا والنيجر .

أما ساحل العاج فان العامل الفعال على عدم دخوله الاتحاد كان عاملا شخصيا ، وهو الخلاف بين **أوفوى** زعيم حزب التجمع الديمقراطى ورئيس الوزراء وبين **سنجور** ، فقد كان **أوفوى** يأمل أن يتربع على زعامة هذه المنطقة ، ولذلك فهو يقف فى وجه كل مشروع يتزعمه **سنجور** ، وكذلك الاختلاف الاقتصادى بين اجزاء المنطقة وخاصة بين ساحل العاج والسودان والسنغال .

أما موريتانيا فان وضعها حساس لأن زعماءها يحاولون أن يظهروا فى اتجاهاتهم السياسية بمظهر المحايدين المعتدلين ، ولذلك لم يرغبوا فى الدخول فى صراع بين اتجاهات مختلفة ، كذلك فان أغلبية هذا الاقليم من المسلمين ، كما أن مواطنى الجزء الشمالى من موريتانيا بيض البشرة ويميلون الى الاتحاد مع مراكش . كل هذه العوامل أدت الى عدم دخول موريتانيا هذا الاتحاد ، أما النيجر فهو أيضا يحاول أن يتسم بموقف المحايد ، وذلك لأن زعماءه تربطهم صداقة وطيدة بأوفوى من ناحية وبسنجور من ناحية أخرى ، كذلك ظهور بعض الزعماء الوطنيين الذين هددوا باثارة قلاقل .

كذلك هناك عوامل فى الاتحاد نفسه وهى ضعف الأسس التى يقوم عليها الاتحاد . وافتضاح أمره للأهالى وانه يسعى الى اظهار شخصية فرنسية بجوار الشخصية الأفريقية وهذا ما لا يقبله الأهالى ، كذلك ما اتضح من ربط الأجهزة الادارية فى هذه المنطقة بالجهاز الادارى فى باريس ، وما اتضح من محاربة فكرة القومية الأفريقية .

الا أنه مع كل ذلك فان الزعماء الوطنيين بدأوا يحرزون مكاسب من التكتلات الوطنية والثورات الشعبية والمظاهرات العدائية للنظم الفرنسية .

كذلك نرى الهجمات الجريئة للوطنيين وخاصة فى داهومى والنيجر والسودان الفرنسى مما دفع الفرنسيين الى الاستعانة بقواتهم المدرعة وسلاح الطيران لاخماد هذه الثورات . وبدأ القادة الوطنيون يقودون الجمهرة المكافحة ، ولن يمضى وقت طويل حتى تتحرر هذه المنطقة من ذلك الكابوس الاستعمارى البغيض وتعود الأرض الى أصحابها ، ويتحرر الأفريقيون من ربقة الاستعمار .

من القصص السودانى

للأستاذ عباس خضر

استيقظ **آدم** من نومه وهو يشعر بدبيب فى رأسه يلح عليه أن يشرب فنجانا من **الجبنة** القهوة وكان ذلك فى عصر يوم من الأيام التى تمر به طويلة ثقيلة ، وخرج من الخيمة الى الفضاء الواسع فأحس بأشعة الشمس الحامية تتسلط عليه كأنها تدق رأسه..

وعاد الى داخل الخيمة يبحث عن **عدة الجبنة** فلا تكاد يده تمسك بشىء .. فقد سرح فكره فى الماضى .. الماضى القريب قبل أن ترحل **عشة** مع أبيها وأهلها ، كان سعيدا بقربها ، يراها فى النهار سارحة بالغنم أو ماشية بين بيوت الحلة ، ويراها بالليل مع البنات الأخريات .

كان يتعمد أن يسوق غنمه الى جوار غنمها ويتحدث معها عن أى شىء .. يدلها على المراعى، ويرجع نعجتها المنحرفة الى القطيع، ويجرى وراء الخروف الشارد ليعيده.

ما أجمل نعجتها . وماأظرف خروفها الصغير ! .

ولا ينسى أبدا تلك الليالى القمرية التى كان يلقاها فيها مع البنات ، ومنفردة أحيانا .

لاينسى أبدا منظرها فى القمر وما أوحى به اليه من شعر ..

القمر .. والشعر .. هما سبب نكبته وتعاسته ..أثار الأول لواعج قلبه وحرك شاعريته وجاء الشعر .. لم يستطع أن يكتمه ، قاله عشة فرأى صداه فى حمرة الخجل على وجهها .. ثم قاله لأصدقائه فأذاعوه ..

وردد الناس شعر آدم فى **عشة** ، ولم يعد حبهما سرا .. وسمع **أبو عشة** غزل **آدم** فى ابنته .. واستفظع الأمر ..

ان الحلة كلها تنشد شعر هذا الشاب فيها .. حقا انه شعر عفيف ولكن الألسنة الطويلة لابد أن تمتد الى ما وراءه ..

وتقدم **آدم** لخطبة حبيبته ، ورفض الوالد خوفا من أن يقال انه ما زوجها له الا بعد ما كان بينهما ..

ولم يكتف أبو **عشة** برفض الخطبة، بل رحل بأسرته عن الحلة ، وذهبوا ينتجعون مكانا آخر بعيدا عن **آدم** ..

أبو **عشة** ! سامحه الله من أجلها ..

لو كان وافق .. وزوجها له .. لكانت **عشة** تعد له الآن «**الجبنة**» ..كانت الآن تحمص البن ، ثم تدقه ، ثم تضعه فى اناء **الجبنة** الفخارى ثم تصبه فى الفنجان من الفوهة المسدودة بالليفة ، فينزل مصفى .. ويتناول الفنجان من يدها الحلوة ...

وأفاق **آدم** من خياله .. ماذا تفعل القهوة بدون **عشة** .. ؟ هل تشفيه من صداعه الأبدى ؟ ليته يشرب نصف فنجان من يدها .. نصف فنجان فقط !.

أقسم **آدم** الا يشرب القهوة الا من يد **عشة** .. واعتزم أمرا ..

ركب ناقته ، وربط نفسه على ظهرها بحبل ، وأحكم الرباط حتى اذا دار رأسه من عدم شرب القهوة لا يسقط من على ظهر الناقة ... وسار على هذه الحال فى الطريق الموصل الى الحلة التى نزلت بها حبيبته مع أبيها وأهلها، حتى وصل الى هناك فى حالة اعياء شديدة .

وعرفوه ، وكلموه فلم يرد ،وأمسكوا بزمام الناقة وأناخوها .

ـ مالك يا **آدم** .. لماذا تربط نفسك هكذا .. ما بك ؟ .

لم يجب . بل ظل صامتا ساكنا كأنه تمثال لا يتحرك ..

وأخيرا لمح **عشة** ، فدبت الحياة فى جسده وعادت النظرة الواعية الى عينيه ، وهتف بها :

ـ **عشة** ... أريد ((**جبنة**)) ..

وجاءته **عشة** بالجبنة ، وعاش لحظة سعيدة .. تملى بحبيبته ورشف من يدها القهوة ، وكأنه تزود من ذلك بما يكفيه بقية حياته ..

ونهض الى ناقته وهو ينشد :

((اتعلمت البن وفراجه على جاسى))
((يكون فى جبنه موتنكه نحاسى))
((أصل الجابنى نص فنجال وماشى))

يقول :

انى تعلقت بشرب البن ، وفراقه قاس على، وأحب أن أشربه فى((**جبنة**)) من الفخار لا فى كنكه من النحاس ، والذى أتى بى الى هنا أنى أريد أن أشرب نصف فنجان من يد حبيبتى، أرجع بعده من حيث أتيت .

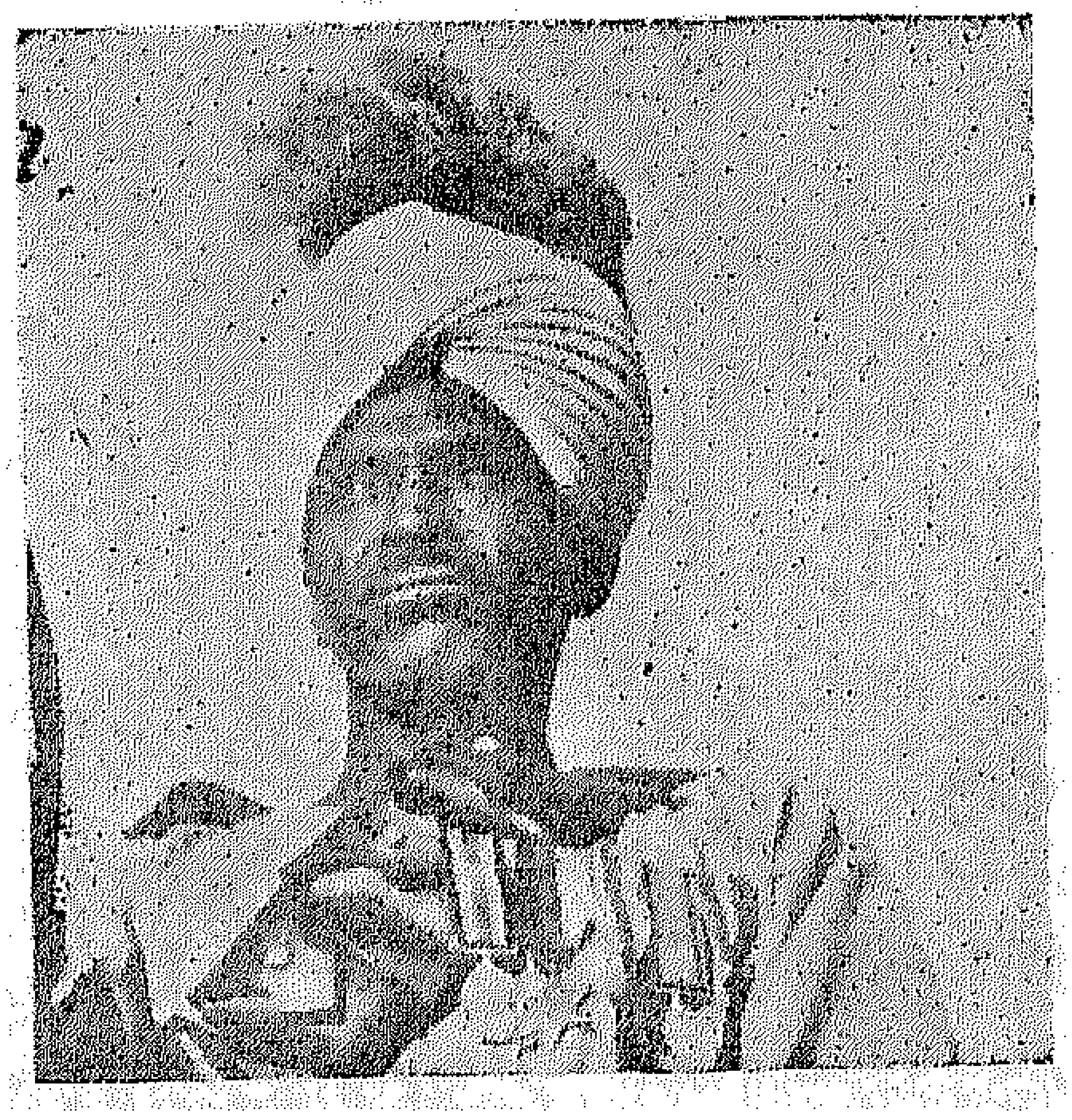

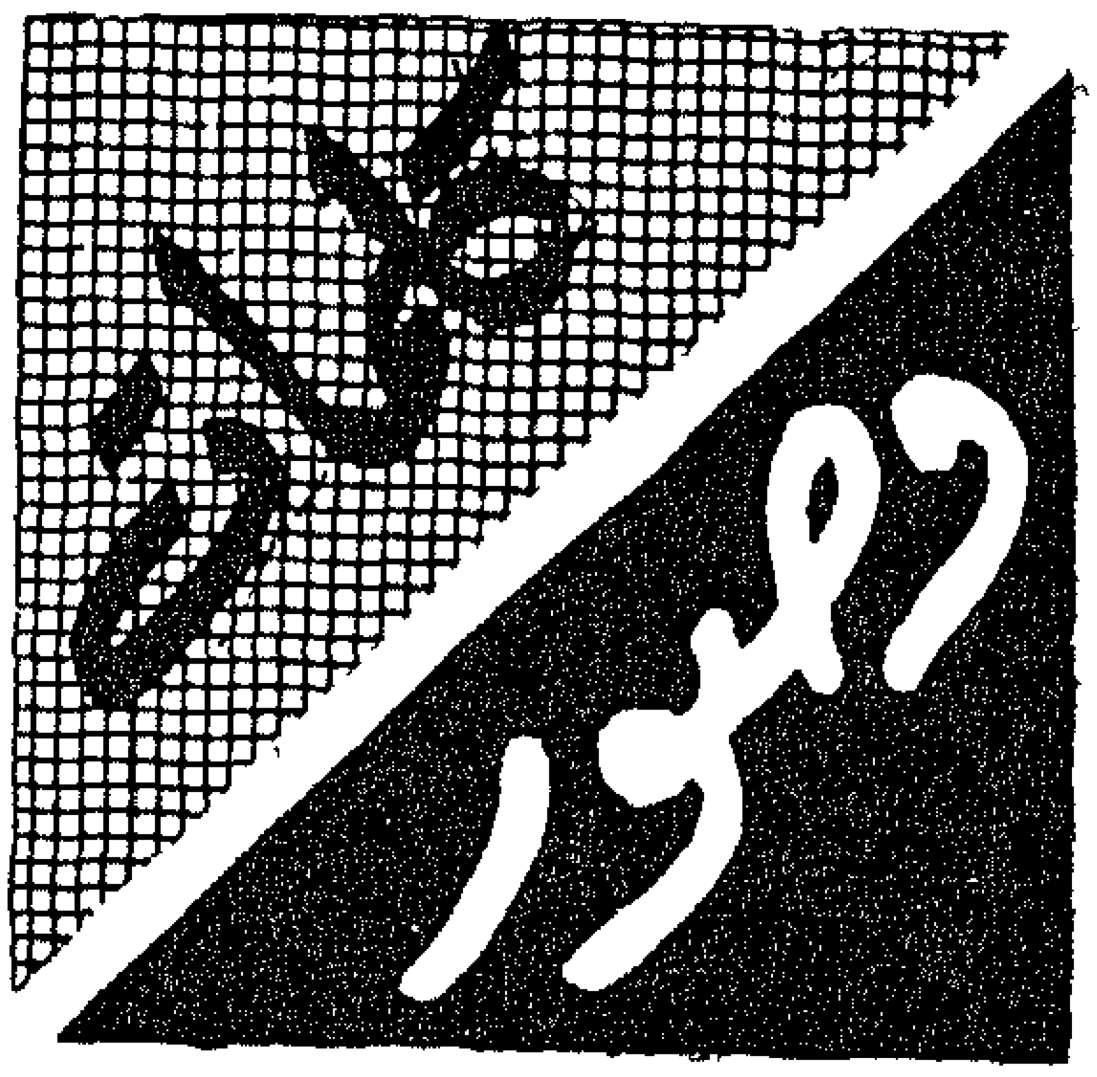

أساطير :

تتشابه الأساطير فى أفريقية تشابها كبيرا مما يدل على أنها كانت « قارة مفتوحة » ينتقل فيها الناس والأفكار . زيادة على وحدة المشاعر والظروف التى تولد أفكارا متحدة ، وخواطر متشابهة .

فهناك بئر فى ((**الفاشر**)) تسمى ((**حجر قدوة**)) توجد لها خاصية لا توجد لكل الآبار فى السودان . فحين تكاثر الناس فى دارفور ، واشتد شوقهم الى أن يروا بعض المناطق مزهوة بالخضرة وعلى جوانبها القطعان الغزيرة من الحيوانات فكروا فى زيادة ما يملكون من الماء الذى يعتبر بدوره « كثيرا من الحياة » .

وقد تحدث الشعب فى هذا الى نفسه ، وتدحرجت هذه الأفكار فى شوق ومحبة الى أن وصلت الى قصر السلطان ((**على دينار**)) الذى كان يحلم هو الآخر بما يحلم به شعبه .

ومن هنا صحت عزيمته على القيام بهذا الأمل الكبير الذى راود شعبه ، وعاش معه وهو يقطع الجبال .. وهو يسير على السفح .. وهو يرجو أن يكون له المزيد مما يقتنى ، وقد اختاروا لعملية الحفر مكانا منخفضا فى مجرى يشق مدينة « الفاشر » من الجنوب الى الشمال ، ويسمى هذا المجرى « خور تندلتى » .

واستمرت دقا الفئوس على صدى الأغانى المتفائلة التى كانت تحلم هى الأخرى بما يعشش فى جفونهم من أمل جميل . واستمر هذا الحداء الجميل يسوقهم الى باطن الأرض التى بلغ عمقها ستين قامة . وكلما كانت تنداح أمامهم دائرةالعمل كانوا يهتزون من الفرح ، ومن الأمل .

وقد أسلمتهم الأيام بعضها الى بعض ، ولم يتسرب اليأس الى نفوسهم وهم يدقون قلب الأرض فى عنف واصرار ، الى أن كان اليوم من الشهر السادس الذى أسلم الفئوس فى سواعدهم الى شيء صلب فى قلب البئر ، وكان هذا الشيء الصلب حجرا ضخما كلما ضربوا عليه زادهم يأسا من وجود الماء . وبالتالى من وجود القمح الذى سيكسو الوديان ، والأذرة التى ستعلو بقاماتها الى الأفق ، والقطعان التى ستجرى هنا وهناك :

وقد رأى السلطان « على دينار » مقدار ما يقاسيه شعبه . فجمع العلماء من بلاده ، وشرح لهم ما وصل اليه الحال فى البئر التى انتهت بجهودهم الى « حجر » . وقد قرروا جميعا فيما بينهم وبين أنفسهم أن على كل منهم أن يكتب آية قرآنية تتفق وحالته النفسية ، وحالة البلاد من حوله ، وأن تكون هذه الآيات على « ألواح خشبية » ثم يؤتى بهذه الألواح الى البئر ، ويصب عليها الماء

حتى تتساقط الآيات على هيئة قطرات من نور الى قلب البئر) .

وقد بدأوا فى تنفيذ هذه الفكرة يوم الجمعة بعد أن أدوا صلاتهم وتحولوا جميعا الى البئر ، وفى يوم السبت خرجوا من ديارهم وفى صدورهم كثير من الايمان فى أن هذا اليوم سيكون حاسما فى تاريخهم . وما كادوا يصلون الى البئر حتى تدلى الكثير منهم فى قلب البئر ، ورفع كبيرهم الفأس وقد أغمض عينيه على مزرعة جميلة يمتلكها ، وما كادت تسقط حتى تصايح العمال من حوله . ثم بدأت استغاثات بمن فى خارج البئر حتى لا يغمرهم ماء البئر ، وقبل أن يفكر من فى الخارج . كان الماء فى البئر يحملهم فى رفق ، وفى حب الى اخوانهم فى الخارج الذين كانوا فى غمرة الفرح لا يصدقون هذه المعجزة :

ولم يذهب خبر هذه البئر بعيدا فقد كان الناس جميعا مقبلين لرؤية هذه البئر ، وما كاد السلطان « على دينار » يراها حتى كبر باسم الله وأمر باقامة الأفراح فى مملكته ، وأصدر أوامره بأن تسمى هذه البئر « حجر قدوه » اشارة الى الحجر الذى « قد » فى باطن البئر . وما زالت هذه البئر موجودة الى الآن ، ومسماة بهذه الاسم .

ولم يكتف الشعب باحاطتها بشىء من القداسة ولكنهم أطلقوا حولها أسطورة تقول « من يشرب من ماء حجر قدوه » يعود الى الفاشر مرة ثانية ، ويؤكد الكثيرون هناك فى غرب السودان أن هذه البئر لم تخلف أبدا هذا « الوعد ! » .

وكلنا يذكر فى مصر تلك الأسطورة الجميلة التى لا تزال تتردد على ألسنتنا ، والتى مؤداها « **أن كل من يشرب من ماء النيل عاد اليه !!** » .

* * *

تشرشل وأوغندة :

يقف القارىء كثيرا أمام أحد المشاهد المصورة بدقة وعناية فى كتاب تشرشل « رحلتى الأفريقية » حتى ليخيل اليه أنه أمام عدة «تابلوهات» تعرض بمهارة فائقة ، ولكنه ما يكاد ينتهى من عملية الاستمتاع هذه حتى يرى فى نهاية اللوحة العامة شيئا غير طبيعى ، شيئا يقول له أن كل هذه الألوان من الجمال ليست لوجه الفن .

فبينما تراه تقول « **لقد توغلت فى كثير من الغابات الاستوائية الهائلة فى « كوبا » ، و « الهند » . وملأ قلبى سحرها الموحى . ولكن غابات أوغندة الرائعة محت بجلالها ، وبتنوعها ، وباختلاف أشكالها ، وبالكثرة العظيمة فى أنواع طيورها ، وحيواناتها ، وزواحفها ، وبخصوبة أرضها ، وسخاء الثروة الكامنة فيها . كل ما عاش فى خيالى من صور الجمال الطبيعى لغابات الهند ، وكوبا ، وسائر بقاع العالم الجميلة** » ..

بينما تراه يقول هذا تراه فى الحال يقرر أن من الخير قيام خزانات ضخمة للتحكم فى مياه النيل من هذه المنطقة « فليس فى العالم كله مكان كهذا يمكن فيه ببناء بسيط أن تتحكم فى مقادير هائلة من الماء » ثم يمضى فى حديثه ليؤكد أنه يمكن أن يقوم فى هذه المنطقة جهاز — كالجهاز الذى سيتحكم به فى الماء — يستطاع به التحكم فى السودان ، ومصر .

الفولكلور الأفريقى :

من القصص الشعبية التى تحمل ملامح البيئة فى جنوب السودان تلك القصة التى تدور حول أختين تدعى أولاهما ((**ناجوكوم**)) ذات الأنف الطويل كمنقار الطيور ، و ((**ناكودنج**)) ذات الأنف الأفطس الصغير وكيف طلبت « ناكودنج » من أختها ذات الأنف الذى يشبه منقار الطيور أن تذهب معها لاحضار المياه من النهر ، ولكنها رفضت أن تذهب معها ، فلما طلبت منها أن تدخل البيت وتحضر الجرة فرحت ، وأسرعت الى الداخل، وهناك قامت باجراء عدة ثقوب فى الجرة . ثم أسرعت وسلمتها الى أختها وعلى شفتيها ابتسامة خبيثة .

وقد حملت « ناكودنج » الجرة ، وأسرعت الى النهر فى فرح ، ونشاط غامرين . فلما طالعت النهر ابتسمت ، وأحست براحة كأنما النهر يتهادى بأمواجه المترجرجة فى صدرها ، وببطء أنزلت الجرة ، وغمستها فى الماء فدفعها النهر الى أعلى ، ولذت لها هذه المداعبة فأخذت تكررها ، وأخيرا غمرتها بقوة داخل الماء . فانفجرت الجرة ضاحكة ، وثقلت فى يديها ، ولكنها جذبتها بعنف ، ولم تستطع أن تحملها فوق رأسها لأن المياه كانت تتدفق من ثقوب صغيرة فى أسفلها .

وحزنت « ناكودنج » وتحسست أنفها الأفطس ، ولم يهدها تفكيرها الى شىء ، وأخيرا رفعت رأسها فى خوف . حين سمعت صوت ضفدعة تناديها بالقرب منها « لا تحزنى يا ناكودنج فالطريقة السليمة لكى تعودى بالماء الى بيتك هى أن تسدى الثقوب التى فى أسفل الجرة بالطين .. فشكرتها « ناكودنج » وأسرعت بالجرة الى بيتها وهى تحس بلذع الجوع .

وفى البيت فتشت عن نصيبها من العصيدة ولكنها لم تجده فلما سألت أختها أنكرت ، بينما كانت رائحة العصيدة واضحة فى أنفاسها . ومن هنا لم تجد « ناكودنج » وسيلة لاظهار غضبها الا أن تدق الطبل فى القرية ..

وما كاد صوته يتردد فى الغابة حتى انطلق الفيل بسرعة نحو الصوت المدوى . ولكن بينما كان يجرى فى حماسة اصطدمت أرجله بجسم السلحفاة فاشتعلت نارا ، وامتدت النيران الى أشجار الملك . فلما رأى المطر النار تكاد تأتى عليها تساقط حتى يوقفها ، ولكن فى أثناء تدفقه دمر كثيرا من بيوت النمل ، وخربها .

.. وقد غضب لهذا النمل أشد الغضب ، وأسرع الى الملك يشكو له ، وأن المطر هو الذى تسبب فى الظلم الذى وقع عليه ، فاستدعى الملك « المطر » وسأله فى غضب عن التهمة الموجهة اليه . فرد عليه المطر بأنه خاف على أشجار الملك من النار التى أحدثتها « السلحفاة » فابتسم وسأل « السلحفاة » فى غضب عن أسباب النار فقالت « لقد احتك الفيل بجسمى » .

وهنا تدخل الفيل قائلا « سيدى لقد كانت سرعتى استجابة لنداء الطبل المنبعث من منزل « ناكودنج » ، وقد عودتنا احترام هذا الصوت ، والاسراع الى النجدة » .

وهنا توجه الملك الى « ناكودنج » سائلا « لماذا ضربت الطبل » فقالت « وماذا كنت غير ذلك عندما أرى أختى قد أكلت نصيبى من العصيدة » .

وهنا سأل الملك أختها « لماذا أكلت العصيدة ؟ » .

فما كان من أمر « ناجوكوم » ذات الأنف الطويل كمنقار الا أن أطرقت معترفة بذنبها . بعد أن كانت واثقة أن أحدا لن يعرف من أمرها شيئا . !

وهكذا نرى فى القصة عـــدة مـدلولات اجتماعية . لعــل أهمهـا ترسيب عملية الشرفى الفتاة ((ناجوكوم)) ذات الخلقة الدخيلة ، والتى تعتبر بأنفها الذى يشبه المنقار ((رمزا)) للشر ، ورمزا للقوة الدخيلة المتمثلة فى الاستعمار .

مملكة مالى القديمة :

يقص علينا **((ابن بطوطة))** أنه حين زار هذه البلاد وجد العروبة بها قوة نامية . فقد شاهد حرص الناس على أداء الصلوات فى أوقاتها ، وفى ملابس نظيفة ، وسلوك جميل ، وقد روى أنه دخل على « القاضى » يوم العيد . فوجد أولاده على القرب منه مقيدين . فسأله أن يطلق سراحهم فى هذا اليوم المبارك . فكان رد القاضى عليه انه لن يسرحهم من قيودهم حتى يحفظوا القرآن الكريم . كما روى أيضا انه بينما يسير فى طريقه اذ مر بشاب وسيم فى ثياب فاخرة ، ولكنه يخب فى قيد ثقيل . فما كان منه الا أن التفت الى من حوله سائلا ، ماذا فعل هذا الشاب ؟ أقتل ؟ ولكن الناس ابتسموا من حوله وقالوا له « انما قيد حتى يحفظ القرآن » .

اتحاد كينيا الأفريقى :

من القرارات التاريخية التى تلمح فيها بذور المقاومة الخالدة للمستعمرين هذه القرارات التى اتخذها « اتحاد كينيا الأفريقى » فى أول يونيو عام ١٩٤٧ وهى :

١ ــ هدفنا نحن الافريقيين فى قيام حكومة ذاتية يتولاها الأفريقيون من أجل أنفسهم ، وسوف تحمى هذه الحكومة جميع حقوق الأقليات العنصرية .

٢ ــ زيادة مقاعد الأفريقيين فى المجلس التشريعى ، وتحقيق المساواة فى الجمعية المركزية للمناطق الداخلية فى افريقية الشرقية .

٣ ــ زيادة مساحة الأراضى للأفريقيين بعد أن اغتصبت منهم وسلمت للأجانب .

٤ ــ تهيئة التعليم الاجبارى المجانى لكل المواطنين .

٥ ــ تحسين الأجور ، والمساكن بالنسبة للعمال تحقيقا لمبدأ « المساواة فى الأجر للعمل المتشابه » .

ثغر بور سودان :

يعتبر ثغر « بور سودان » من أجمل ثغور العالم ، وان كان يمتاز على بعضها بالجزيرة المرجانية ، وقد مر به منذ عدة سنين الأستاذ « سايمز » حينما كان مديرا لمعارف بورما . فاهتز بهذا الثغر ، وزفت لنا مجلة Punch اللندنية هذه القصيدة التى ترجمتها .

حيث لم يكن بالأمس الا خـــلاء بلقعا وبعض رمال مجدبة .
ودربا ساحليا مديدا قد تخلى عنه المسافرون .
من كان منهم يمتطى الركائب ، أو يستقل السفن الشراعية .
.. تراه الآن الاطار الضخم لأحدث باب فى افريقية .
ان التجار هنا قد نفوا عنهم الهدوء .
من طريق الصحراء ، ومن الشاطىء الرملى ، وحيث يوجد النخيل .
واندفعوا فى حركات مستمرة .
يصبغون الأســمر بالأسود بالأحمر .
بينما يدل الثغر تياها بمخازنه المضلعة .
وبعاصرات الزيوت . وآلات الرفع الصغيرة .
وكما أن عيناى ما زالت تحس هناك .
وهج الحديد ، ورائحته حينما تنصب عليه الشمس .
وتبصر تلألأ الملح المتوهج .
فكذلك لن أنسى أبدا تلك الرائحة التى تصعد محترقة .
لأولئك الصبية العديدين من الأعراب .
وهم يعرضون ألوانا من الفراء للبيع .
وألوانا من السياط المأخــوذة من الكركدن .
يعرضون تجارتهم غير عابئين بوهج الشمس فى الظهيرة .
كما لن أنسى الجمالين يسيرون خفافا بشعرهم المجعد .
تحت عبء بالات القطن الضخمة .
وهم يجعلون القبة الاستوائية الزرقاء تتردد .
بأصوات الأغانى التى كان يرددها آباؤهم .
والتى كان يمكن أن تنسى لولا هذا الغناء ! .
.. وهنا فى الميدان الفسيح يمكنك أن تتأمل ، وأن ترى .
تحت عشرين قدما من العباب الأزرق أرضا مسحورة من المرجان .
حيث عمالقة الأسماك تقوم بعدة حيل غريبة .
وهى تعيش فى جناتها الهادئة .
وتبدو وكأنها تشير الى حكمة كبيرة !!

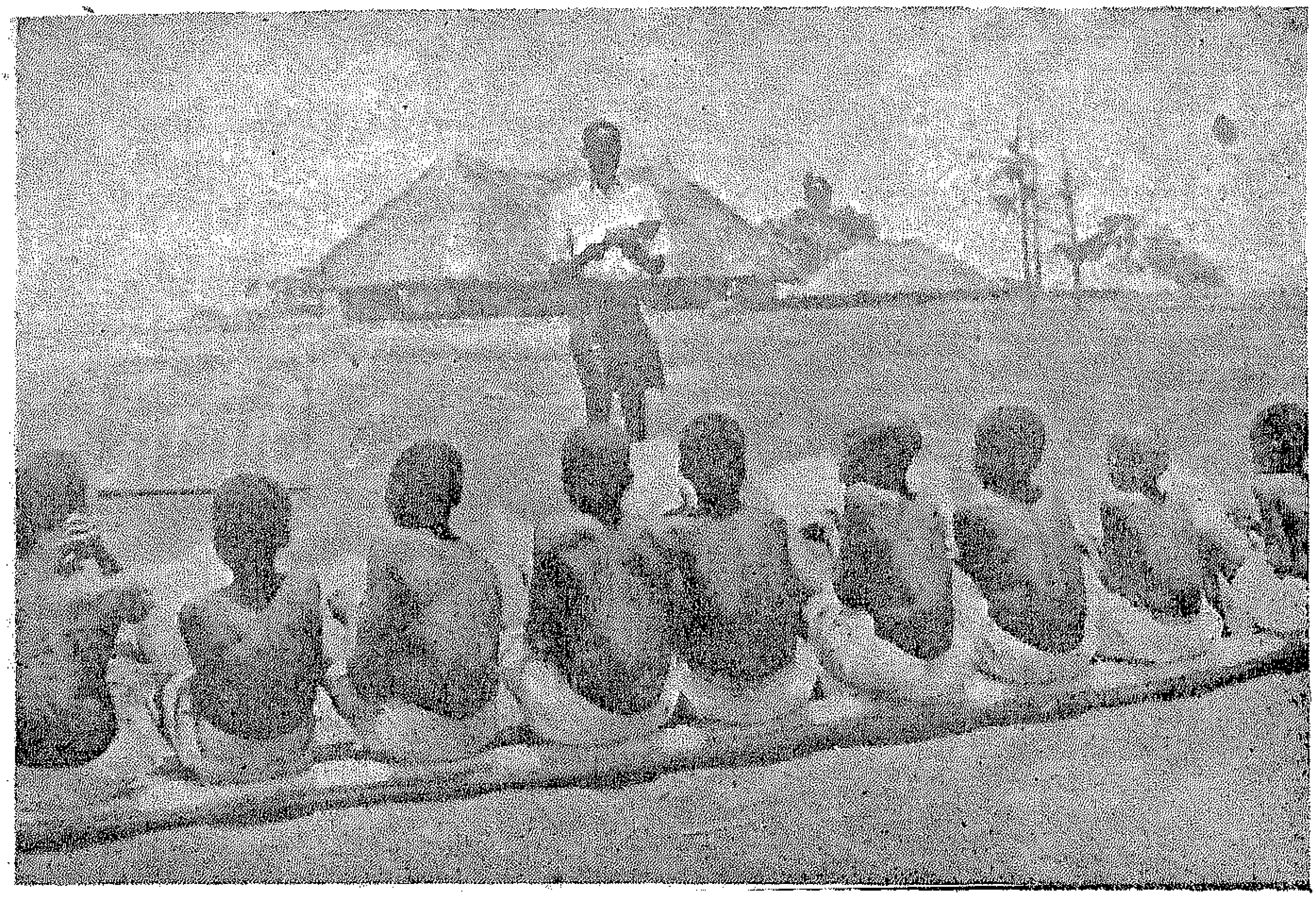

الفصول المفتوحة فى افريقية

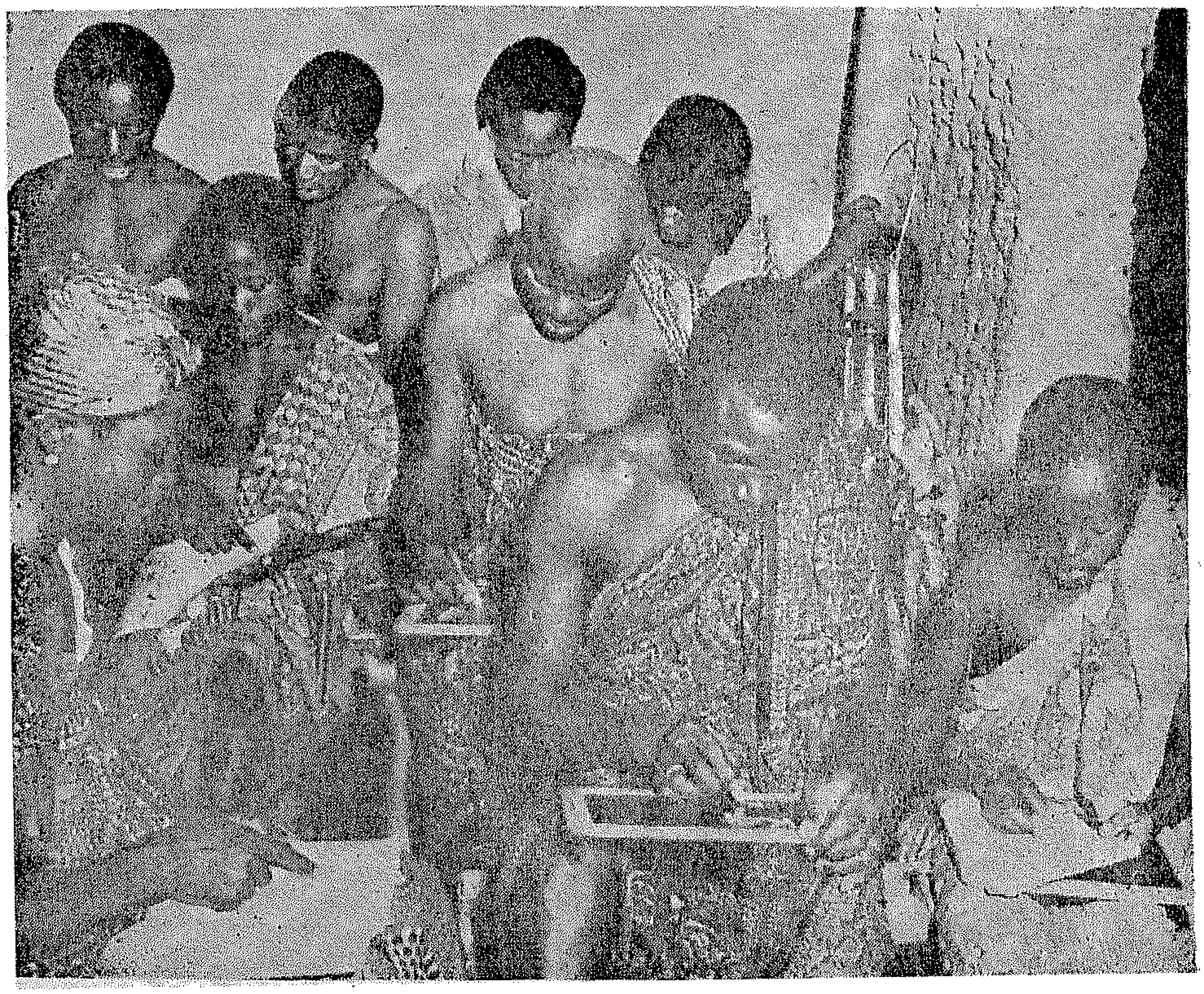

تعليم الكبار فى افريقية

العمال فى المناجم بجنوب افريقية

الشعر الشعبى :

من معانى الشعر الشعبى فى السودان قول أحدهم « ما أتعس الشاب حينما يسوء حظه ، وتقبل عليه مصائب الفقر ! » .

انه فى هذا الحال ان زرع لا يأتى زرعه بمحصول ، وان سافر طلبا للرزق عاد بيد فارغة . أما الفتيات الجميلات فيكرهن عشرته ، ومقابلته . ومن هنا فلا يجد الا العجائز يوزع عليهن النظرات ثم يعود ليجلس وحيدا لينقر فى الأرض باصبعه أو بعصاه فيشبه بحق فرخ الدجاج الذى ينقر فى اناء الدقيق بحثا عن حبة مكسورة تقيم أوده » .

ومن هذا قول بعضهم « ان قلة المال تملأ نفسى بالألم والحسرة حتى ما أكتمه من الألم يعتبر أضعاف ما يكسو وجهى الحزين ، ولكن علينا بالصبر ، والثبات فى هذه المحنة القاسية فلعل الله أن يكتب لنا الخلاص منها .

انها محنة تحدثنى فى صدرى أحيانا بأن أحمل سلاحى واخرج الى قتال الناس ، وسلب أموالهم منهم ، ولكنى قد قطعت على نفسى عهدا لسلاحى أن أستعمله أبدا فى غير وجه الحظ ! » .

النساء فى أفريقية :

مما يسجله التاريخ الكفاحى للمرأة الأفريقية أنها من أشد الناس حبا للحرية وللوطن . ثم انها لا تقف منعزلة عن الأحداث ، ولا تشارك من وراء الرجال وانما لها هى الأخرى الكفاح الخاص بها ، وآخر معاركها من أجل الحرية تلك المعارك التى اشتركت فيها مع البيض فى جنوب أفريقية .

فقد رفعت رأسها غاضبة على القرارات التى تقضى بحظر دخول الأفريقيين الى المناطق الصناعية ، والمدن ، ووقفت وجها لوجه أمام الحديد والنار الذى استطاع أن يزج بمائة وستين امرأة أفريقية فى السجن ، ومن المناظر المألوفة هناك فى هذه الفترة تجمعات النساء اللائى يخرجن فى عزم واصرار محاولات اخراج الأفريقيات من السجن . وهكذا يحيط الجميع أفريقية بقلوبهم .

« ع . ب »

كتاب الشهر

أزمات فى قلب أفريقية

عرض وتقديم
للعميد (أ.ح)
عبد الفتاح ابراهيم

CRISIS IN CENTRAL AFRICA

١ ـ الكتاب والكتاب :

ليس هذا الكتاب كتابا بالمعنى المتعارف بين الناس للكتب ، وان كانت له كل معالمها من الخير والسعة والحجم والصياغة ، وما الى هذا من المقاييس التى تقدر على أساسها المؤلفات اليوم ، والفكرة فى هذا أن أصحابه أصلا لم يقولوا عنه أنه كتاب ، ولم يستهدفوا هذا عندما كتب كل منهم الدراسة التى قدمها، بل لعلهم لو قدروا هذا من البداية لكان لهم فى الموضوع شان آخر ، ومع هذا فمندى أن الكتاب يقدم الطابع الذى أفضله للدراسات التى تكتب فى الموضوعات العامة طابع الموضوع الواحد الذى يتناوله بالبحث عدد من المتخصصين فيعرض له كل بالدراسة من الزاوية التى تستهويه ، والتى يحسن الكتابة فيها ، وهكذا نجد أمامنا عدة مدارس من مدارس الفكر بازاء موضوع واحد ، قد تتفق وقد تتعارض ، وليست العبرة بالاتفاق والاختلاف ، بل بقدر أهمية ومنطق الاستنباط الذى تنتهى به الآراء .

على أنه لم يكن من وحى الخاطر فى الحقيقة أن يقدم هذا الكتيب الذى نعرض له بالدراسة

اليوم مشكلة مستقبل قلب القارة الافريقية ، مشكلة الاتحاد الفدرالى الذى يضم نيسالاند الى روديسيا الشمالية والجنوبية ، فيعرض الكتاب « بذور القومية فى نيسالاند » الأرض التى تعتبر بلا سبب حجر الزاوية فى الاتحاد، كما يعرض « كيف تؤثر المشاركة فى الاتحاد على القوى الفردية فيه » واخيرا «وجهةنظر أوروبية صريحة لمشكلة قلب القارة » ،ولم يكن من وحى الخاطر كذلك ان نعرض هذا الكتاب فى الدراسة، فى الوقت الذى تغير فيه حكومة بريطانيا من موقفها تجاه حكومة « السير روى ولنسكى » الرجل الذى وصل الى منصة السياسة باصوات الناخبين ، مستندا الى اغلبية برلمانية مهما كان رأيها فى هذه الأغلبية ، ولم يكن من وحى الخاطر كذلك نعرض للقارىء هذه الدراسات، وتقرير «لجنة دڤلين» عن الموقف فى قلب القارة يثير المتاعب فى اروقة مجلس العموم البريطانى، وتعمل حكومة المحافظين جاهدة على الا تكون مشكلة قلب القارة احد الموضوعات التى تتعرض للجدل فى المعركة الانتخابية القادمة بين العمال والمحافظين ، للوصول الى تشكيل الحكومة القادمة فى بريطانيا (١) .

والواقع أن «الزامبيزى » يعتبر أكبر القضايا التى تسعى دوائر «الوست منشستر »لوضع برنامج شامل لها لتصبح افريقية الوسطى المتعددة الشعوب والأجناس دولة صناعية ذات ثروات معدنية ضخمة ، وأن تستغل القوى الجبارة للنهر لخلق حضارة جديدة فى قلب القارة ، سوف يشتد التنافس عليها من جانب الدول الكبيرة فى المستقبل القريب .

والشىء الذى تثيره زيارة «ولنسكى» لبريطانيا للمطالبة بالاستقلال الذاتى، وللمطالبة بأن يكون لها مطلق الحرية فى الاشراف على « روديسيا » الشمالية و « نياسالاند » هو هذه الاجراءات للطوارىء فى « نياسالاند » وهى الاجراءات التى طبقت بمناسبة ما زعمته الهيئات التبشيرية من وجود مؤامرة للقتل الجماعى دبرها أعضاء مؤتمر نيسالاند الافريقى الذين قبض عليهم دون محاكمة ، ومع أن غالبية السكان البيض لم يبدوا رأيهم فى المسألة، فان بعثة « كيرك » الاسكتلندية ،هى وحدها التى تقول بأن اجراءات الحكومة كانت فى منتهى الحكمة والرزانة والتعقل .

وتقول الحكومة البريطانية انها بالاضافة الى لجنة « دڤلين » تعتزم ايفاد بعثة برلمانية تمثل الأحزاب البريطانية الثلاثة لتقدير الموقف قبل انعقاد المؤتمر الدستورى لسنة ١٩٦٠ .

ويبدو أن تقرير لجنة « دڤلين » الذى جاء فى ١٤٦ صفحة لم يحقق ما استهدفه ، اذ تتساءل التيمس البريطانية فى عدد ٢٤/٧/٩٥٩ بقولها:

« ما فائدة ارسال لجان الى افريقية ؟ !! ما فائدة هذه اللجان اذا لم تكن لها فائدة سياسية واضحة، فائدة تهدئة ثائرة المعارضة ، واراحة ضمائر الشعب ، واقناع الافريقيين بصدق نوايا بريطانيا ، والواقع أن هذه اللجنة (لجنة دڤلين) لم تجمع معلومات اضافية ، ولم تعط فكرة جديدة عن المشكلة .

وتثير الجريدة المحافظة «التيمس» أن المسألة مسألة آراء ، فان اللجنة لم تعن بأن توضح ما اذا كان « السير روبرت ارميتاج » محقا أو غير محق عندما أعلن حالة الطوارىء فى « نياسالاند » ، بل كل الذى تقوله،

---

(١) راجع نشرة «فليت ستريت» النشرة السياسية الأسبوعية التى يصدرها « ولفرد رايمر » عدد ٦٤٨ بتاريخ ٩/٧/٩٥٩ .

هو أنه لم يكن أمامه سوى هذا التصرف !! .

والفرق كبير بين انعدام أيةوسيلة أخرى للتصرف من ناحية فكرة « ارميتاج » نفسه ، وبين السؤال عن صحة ذلك الاجراء نفسه أو عدم صحته !! .

والأمر الثانى : هو أن اللجنة تقول انه كانت هناك أحاديث عن أعمال العنف والقتل ، ولكنها لم تستطع القول بوجود تدبير اجرامى سابق ، وفضلا عن هذا ، هل كانت تتوفر فعلا الوسائل لتنفيذ هذه التدابيرات أو لاتتوفر !! .

وهذه مسألة آراء ، ولكن كيف تترك الآراء طليقة مع خطورة التصرفات التى كان أسوأ ما فيها أن رجال البوليس هم الذين أخطأوا فى نقل وتصوير خطب « الدكتور باندا » وكانوا هم الذين أولوها لـ «أرميتاج» كما شاءوا ، ومن ثمة تصرف الرجل هذا التصرف المعيب (١) .

واذن فلم يكن هذا أو ذاك من وحى الخاطر ، بل ان الموقف فى قلب القارة اليوم ، هو الذى حدد اتجاهات البحث كما حدد ضرورة العرض ، فالدراسات فى صورتها التى نقدمها اليوم تعتبر (من أبحاث اليوم) ولا أقول (أبحاث الساعة) لأن مشكلة قلب القارة مشكلة عرض لها وسيعرض لها الكثيرون من المتخصصين ، ولا خلاف بينهم الا بالقدر الذى يستطيع كل منهم أن يخلو فيه من الغرض ، وأن يتخلص من الهوى .

والشىء الذى يجب أن أذكره هنا هو أن هذه الدراسات فى الواقع يقدمها أصحابها أقرب ما تكون الى السرد القصصى التاريخى ، وهم لم يسلكوا فى عرضها الأسلوب العلمى الجامد الذى نجده عادة فى مؤلفات المتخصصين المعاصرين عندما يعرضون لبحث المشكلات السياسية المعاصرة .

أما الكتاب الثلاثة: فهم الدكتور «رولاند أوليفر » و « الأستاذ ستانلاك سامكانج » ثم الكاتبة « دوريس ليسنج » ..

والدكتور « رولاند أوليفر » محاضر فى التاريخ الافريقى بجامعة لندن اليوم ، زار افريقية مرتين ، وقضى فى كل مرة بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٨ سنتين كاملتين ، نظم سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٥٧ مؤتمرين عن التاريخ الافريقى والآثار الافريقية ، وله بعض الكتب عن أفريقية أهمها كتابه « الجماعات التبشيرية » كعامل هام فى شرق افريقية .

أما الأستاذ « ستانلاك سامكانج » فصحفى افريقى يعمل كضابط اتصال ومستشار للعلاقات العامة بـ « سالسبورى » من أعمال روديسيا الجنوبية ، نال البكالوريوس من جامعة «فورت هير» بجنوب افريقية ، ثم نال الماجستير من جامعة انديانا بأمريكا ، وقد عمل جاهدا من أجل جامعة «نياستينا» فى «سالسبورى» التى ينتظر أن تفتح أبوابها للطلاب فى العام القادم، ويعتبر الكاتب الأفريقى متخصصا فى مشكلة الاشتراك فى الاتحاد فى قلب القارة ، أما « مسز دروين ليسنج » فقد ولدت فى ايران ونشأت فى « روديسيا » وعاشت فى لندن مع ابنها طوال السنوات العشر الماضية ، وعند عودتها الى افريقية لآخر مرة فى السنتين الماضيتين ــ من هذه الرحلة التى وصفتها فى كتابها « العودة الى الوطن» ــ اعتبرت «مهاجرة غير مرغوب فيها» واعتبرت كذلك بأمر السلطات فى جنوب افريقية، وفى وسط افريقية وعللت السلطات هذا الأمر بوجهات نظرها اليسارية ، ولكن الدافع الحقيقى كان الحصيلة الكبيرة من الدراسات والقصص والمسرحيات والروايات الطويلة التى كتبتها ، والتى لم تخل أية واحدة منها من نقدات لاذعة هنا وهناك لسياسة البيض فى افريقية ، وبخاصة فى قلب القارة ..

---

(١) نشرة فليت ستريت العدد رقم ٦٤٨ بتاريخ ١٩٥٩/٧/٩ .

وهكذا نستطيع أن نصحب ثلاثة من المتخصصين فى عرض مشكلة من أهم المشكلات المعاصرة فى قلب القارة التى نعيش فيها ، والتى لها أهميتها بالنسبة لنا ، ان أولئك الذين رسموا لتحديد « افريقية السوداء » فى الجنوب من الخط المتعرج الذى يقع فى الجنوب من الصحراء قد صوروا فاصلا مخادعا ،انهم يحاولون أن يؤمنوا وأن يؤمن الناس معهم بأن هذا الخط يمكن أن يفصل بين الجماعات العربية فى الشمال والمجموعات الزنجية فى الجنوب .. ولكنهم تناسوا أن الكتلة الافريقية انما هى مزيج من الحامية والسامية ،وأن هذه الجماعات البشرية قد تجاوزت قرونا وقرونا كثيرة ،وهى تحس بمشاعر واحدة .. ثم وثبت لتكافح الحركات التحررية فى تواريخ متقاربة، هذا شىء ، والشىء الآخر هو أن السياسة العربية لشمال هذا الخط المتعرج تلعب دورا هاما فى وسط القارة وجنوبها ..

ومن أجل هذا نعرض لهذه الدراسات اليوم ! ! .

٢ ــ بذور القومية فى نياسالاند :

الى أية مرحلة من مراحل الاستعمار يمكن أن ترجع « القومية » فى أصلها ونشأتها ؟ ! !! ، هل الى اليوم الأول الذى رفع فيه المستعمر علم دولته على الأرض الجديدة ؟ !! أو عندما حاولت الحكومة المستعمرة أن تشعر رعاياها الجدد بسلطانها ؟ !! أو عندما عاد الطلاب الوطنيون الأوائل من جامعات أوروبا ممتلئين بالطموح ، لتطبيق ما شاهدوه فى المجتمع الغربى ؟ ! .

والغريب أن هذا البحث لا يعنينا نحن الافريقيين الا عندما نحاول أن نكتب دراسة فى تاريخ القومية ، ولكن الغربيين يعنون بهذا ، ويحاولون دائما أن يصلوا الى اجابة صحيحة دقيقة لهذه الأسئلة ،لأنهم يؤمنون بأن صلاتهم المستقبلة مع الدول الافريقية تتوقف على قدر تفهمهم للزعماء الافريقيين ووجهات نظرهم ، فالقومية قوة دافعة ولدت أثناء العلاقة الاستعمارية ، ولا قيمة اطلاقا لما كان عن طابع السياسة الاستعمارية ، فكل ما حدث من أخطاء سيضيع فى زوايا النسيان، ولكن مولد القومية ودوافعها ،وتكون هذا وذلك فى « ريجيم » المجتمع الاستعمارى هو الذى سيبقى ، وله مؤثراته المتتابعة مستقبلا .

وقد لايكون من المهم تقدير رد الفعل من جانب الرجل الأسود بالنسبة للرجل الأبيض القادم الى القارة ، ولا تكون أيضا أهمية لتقدير رد الفعل المضاد من جانب الرجل الأبيض ، ولكن الشىء الذى نذكره هو أن الافريقيين لم يكونوا سلبيين فى الانصياع لطاعة البيض ، وتاريخ السنوات العشر أو العشرين الأولى ملىء بالحروب الصغيرة ،صحيح أنه ربما كان الغربيون قد نسوا هذه الحروب ،ولكن الافريقيين مازالوا يذكرون حرب الزولو ، والأشانتى ، بل يذكرون ما علق به دزرائيللى ذات يوم عندما قال عن شعب الزولو : **« لقد هزموا قادتنا وردوا مبشرينا ، والآن قتلوا أميرا ملكيا ، فخطوا نهاية أسرة من أكبر الأسر المالكة فى أوروبا!!»** ويذكرون حروب العرب فى نياسالاند

وشرق أفريقية، وحرب الكونغو وحملة لوجارد على أمراء « الفولانى » فى نيجيريا الشمالية ، وحروب الفرنسيين مع « السامورى » على النيجر العلوى وعرب اقليم تشاد ، وثورة « الماجى ماجى » على الألمان فى شرق افريقية ، وحرب « هيريرو » فى جنوب غربى افريقية .

على أن هذه الحروب من وجهة نظر الدول « الامبريالية » تنقسم الى مجموعتين ، الأولى الحروب التى خيضت فى سبيل تثبيت الحكومات الاستعمارية ، والثانية لكبت الثورات التى قامت فى وجه هذه الحكومات بعد أن قامت من وجهة النظر الرسمية ، ولكنها بالنسبة للافريقيين تعتبر مجموعة واحدة متصلة ، وهى كلها فى جملتها محاولات للدفاع ، أو لاعادة الحال التى كانت قائمة قبل أن يجىء الأوروبيون ، وكان الأوروبيون ينظرون دائما الى هذه الثورات بفزع على أساس أنها ثورات عامة على الأوروبيين بعامة .

ولكن فى أية مرحلة .. ؟ وبين أية مجموعة من الناس اذن نمت بذور القومية ؟ .

ان الاجابة الصحيحة هى : أن زعماء الحركة القومية لم يكونوا هم الزعماء التقليديين للمجتمع الافريقى ، لم يكونوا من الزعماء ولا من رجال الدين ولا من السحرة بل على النقيض كانوا من المجموعات التى ذهبت الى معاهد العلم ، المجموعات التى ترك أفرادها أوطانهم وعاشوا عدة سنوات وسط الأوروبيين ، وتحققوا أن الأفراد فى الغرب لا يتبعون المثل التى يعلمونها لهم فى معاهد العلم ، ومن ثمة تحققوا أن الأوروبيين منافقون ! .

وفى سنة ١٩١١ كتب رجل من « نياسالاند » اسمه « تشارلس دومنجو » : (أن الهيئات الثلاث المجتمعة معا (الجماعات التبشيرية ، والحكومة ، وشركات الاستثمار) انما تعمل للكسب ، وان هؤلاء الناس لا يتبعون المسيحية التى يبشرون بها ، لأنهم بدلا من أن « يعطوا » . « يأخذون » ، ومن السادسة صباحا الى الخامسة أو السادسة مساء يخرقون كل ماجاء فى رسالة القديس يوحنا . (الاصحاح الخامس) .

وهكذا بعد خمس وثلاثين سنة من عمل المبشرين ، وبعد عشرين سنة من الحكم الاستعمارى لنيسالاند جاءت الثغرة ، وحدث التشقق فى بناء الامبريالية عن طريق النافذة التى ظن الاستعماريون أنها تدخل اليهم الضوء والهواء ، ولم تكن ثمة حاجة الى اثارة التقاليد القبلية ، ولا تصوير الرجل الأبيض فى طابع آكل اللحوم البشرية ، كانت هذه النشرة التى كتبها « تشارلس دومنجو » والتى قرأها أناس لهم احترامهم قد كشفت عن نفاق الرجل الأبيض ، وهدمت المثل العليا التى يبشر بها ، وقدمت فكرة غريبة فى كل مظاهر اتجاهاتها ، استجاب لها أولئك الذين يستطيعون القراءة ، ومن ثمة ولدت « القومية » فى صورة بدائية ، لأن جل هؤلاء الناس كانوا قليلى الثقافة ، ولم تكن تتوفر لهم أية خبرة سياسية .

على أن الدكتور « رولاند أوليفر »

يدخل عاملا جديدا قويا له أثره الفعال، ما فى هذا من شك ، ولكنه لم يكن العامل الرئيسى اطلاقا ، وذلك فى حديثه عن التعبير الذاتى للقومية، فهو يقول : ان «القومية» فى نياسالاند كما هى الحال بالنسبة لها فى جنوب افريقية ترجع الى نفوذ كنائس الزنوج المستقلة فى الولايات المتحدة ، والى هذا العدد من الافريقيين الذين ذهبوا لحضور الدراسات فى حلقاتها واجتماعاتها الدورية ، فكان هؤلاء هم الرواد الأولين لتحدى النظام الاجتماعى القائم .

لقد وجد الناس فى نيسالاند أن كل الأديان منذ آلاف السنين ، حتى الأديان البدائية فى الغابة لاتقر التشريع الذى جاءت به الطبيعة القاسية من أن البقاء للأصلح ، ووجدوا أن الأديان تمد أيديها للضعيف عقليا وجسمانيا، وأنها كلها تفرض المساواة للأسود والأصفر والأبيض ، مساواة تامة بين العراة والمتدثرين فى الثياب ، ولكنهم عندما تلفتوا من حولهم وجدوا أولئك الذين يبشرون بالمسيحية ، والذين يجيئون بهم لهذا العمل يكسبون ويغنمون ، يغتصبون كل شىء ، ولا يتركون لهم غير الفتات فكفروا بما يسمعون ، وكان من الضرورى أن يوجدوا لهم طابعا خاصا ، فكانت الفكرة : العودة الى الحال التى سبقت وصول الرجل الأبيض ، فكان هذا الاتجاه ميلاد فكرة «القومية» ، وكل تطورها بعد ذلك يتبع عامل الوقت !! .

٣ ــ كيف نكون شركاء !!!

وهنا بعثت الى الضوء مسألة « الاشتراك » ، وسياسة المشاركة ، وهى سياسة يمكن أن تنجح لو جاءت فى الوقت المناسب متبعة الأصول الصحيحة ، وهنا المشكلة لأن اختيار الوقت المناسب ، ووضع الأصول الصحيحة للاجراءات ليس بالأمر السهل الهين الميسور ..

والحديث بالنسبة لقلب افريقية لا يخرج عن هذه الصورة العامة للمشاركة ، فعندما كسب « السير جودفرى هوجنز » (اللورد مالقيرن فيما بعد) الأغلبية لمعركة الاتحاد سنة ١٩٥٣ كانت البلاد تسير فى مرحلة تقدمية ، وأمل الكثيرون من الافريقيين ــ حتى الذين عارضوا فكرة الاتحاد بقوة ــ أن تواجه البلاد عصرا جديدا فى العلاقات بين أجناس السكان .

وكانت تكتيكات حكومة الاتحاد واضحة ، فبدلا من أن تفعل شيئا ما ايجابيا لتوضح أن هذا عصر جديد جدير بسياسة جديدة قرر « لورد مالقيرن » لتكذيب ادعاءات ناقديه:أنه سيبيع البيض الجنوبيين للسود الشماليين بالابقاء على الحال كما هى ، وكانت هذه أولى أخطاء «لورد مالقيرن» وحتى لو كان قد ألغى نظام الأبواب المختلفة ، لدخول الناس الى دار البريد فى روديسيا الجنوبية ، لكان الكثيرون من الأوروبيين قد تقبلوا الأمر على أنه روح السياسة الجديدة للشركة التى تقوم بين بلدين ، ونظر الافريقيون الى هذا العمل البسيط على أنه مرحلة عملية من مراحل السياسة الجديدة .

وعندما قدم « مستر داوتى يامبا» العضو الذى يمثل مصالح الافريقيين فى روديسيا الشمالية مشروع قرار

بالغاء التمييز العنصرى فى المرافق العامة التى تتولاها حكومة الاتحاد خذله « لورد مالفيرن » فكان هذا خطأه الثانى .

وبذلك وضح للافريقيين أن الشركة الجديدة لا تعنى تغيير مجرى الحياة العادية التى قاسوا منها الكثير الا اذا قاموا هم بدورهم بعمل ما .

وقد أعلنت الرابطة الافريقية الوطنية — وقد حلت الآن بحكم القانون — أنها ستحارب هذا التمييز العنصرى فى دور البريد وغيرها ، ولهذا فانهم يؤمنون الآن فى ساليسبورى بأن الحكومة لو ألغت الآن قانون تخصيص أبواب لكل لون من السكان ، فان هذا لا يرجع الى تغيير سياسة الاتحاد بقدر ما يرجع الى اصرار السكان على عدم تقبل الاهانة ، ولو كانت الحكومة قد وافقت على «مشروع يامبا» لكانت قد أبدت روحا طيبة فى سياسة المشاركة .

وكان الافريقيون دائما يقولون بأن السماح لكل الطلاب بدخول الجامعة، واستخدام الأطباء السود بشروط استخدام الأطباء البيض ذاتها ، والسماح للافريقيين بدخول غرف الطعام فى قاطرات السكك الحديدية كلها من العلائم التى تدل على تطبيق سياسة المشاركة فى الاتحاد .

ثم ان الكثيرين فى الوقت نفسه يقولون أن دافع الضرائب البريطانى ما كان يرضى بدفع نصف مليون جنيه للجامعة ، لو كانت قاصرة على البيض وحدهم ، ثم ان عدد الأطباء السود فى الوقت الحاضر كان ثلاثة ، وهم يعيشون فى مناطق تفصل بينها أميال وأميال، ولكن الفكرة أن هناك الكثير من المرضات السود ، اللاتى اجتزن نفس الامتحان ، كالممرضات البيضاوات الا أنهم لا يمنحن نفس الأجور عندما تستخدمهن حكومة الاتحاد ، وحتى الأساتذة من الملونين يوضعون فى درجات أقل من درجات البيض ، وقد وضع ناظر مدرسة فى الدرجة الثانية مع أن مساعديه الأوروبيين وضعا فى الدرجة الأولى ، وصحيح أيضا أن الحكومة تسمح للافريقيين الذين يرتدون ثيابا منظمة نظيفة بدخول غرف الطعام فى القاطرات ، ولكن الصحيح أيضا أن الكثيرين من كبار الافريقيين يرفضون هذا ، لأنهم لا يقبلون منحة يحرم منها الافريقى العادى .

وهكذا فشلت حكومة الاتحاد فى اكتساب ثقة الافريقيين فى سياسة المشاركة ، وفى الوقت نفسه لم تكسب ثقة البيض ، فالبيض لا يجدون معنى المشاركة محددا واضحا ، والسود لا يجدون فى هذه السياسة أية ناحية عملية جديرة بالرأفة .

٤ — فى نيسالاند :

على أن المشاركة لم تفشل فى مكان ما من الاتحاد ، كما فشلت فى نيسالاند حيث أدت معارضة الاتحاد الى حوادث دامية سببت فقد الكثير من الأرواح ، على أنه لكى نتفهم اتجاه افريقيى نياسالاند نحو الاتحاد يجب أن نرجع الى أيام الحملة من أجل الاتحاد فى سنة ١٩٥٣ ، ففى ذلك الوقت لم يكن من المعروف أكان الناخبون الأوروبيون سيوافقون على الفكرة أم لا ، ولكسب أصوات البيض

فى روديسيا الجنوبية ألقيت الخطب التى كرر أصحابها القول بأن الاتحاد سيحول دون ايجاد دولة افريقية فى نيسالاند .ولم ينس أهل نيسالاند هذه الأقوال . ولن ينسوها ، فقد أضحت فكرة الاتحاد تعنى أنهم لن يسودوا بلادهم .

وقد قال «لورد مالقيرن » عند تقاعده أنه يظن أن نيسالاند ستكون أول قسم من الاتحاد سيكون رئيس وزرائه من الافريقيين ، ولو أنه قال هذا سنة ١٩٥٤ لكان الموقف فى نيسالاند غيره اليوم ، ولما كانت هذه المعارضة للاتحاد قد قويت الى هذا الحد الذى هى فيه .

ولقد نوقش الأمر على أساس أن نيسالاند يجب أن تظل فى الاتحاد ، لأنها لو تركته فستذهب أيضا روديسيا الشمالية ، ومن ثمة تضطر روديسيا الجنوبية الى الانضمام لاتحاد جنوب افريقية ، ومن ثمة كانت الوسيلة لابقاء نيسالاند فى الاتحاد اقناع الزعماء الافريقيين بأنهم سيعاونون ليتعلموا كيف يتولون أمر بلادهم ، فاذا ما انتهت هذه المرحلة الدراسية كان لهم بعد هذا أن يقرروا البقاء فى الاتحاد أو الخروج منه ، والمعتقد أنه عندما يحتمل الزعماء الافريقيون فى نيسالاند أمر بلادهم سيدركون قيمة الاتحاد ونفعه ، ومن ثمة فسيكونون هم دعاة البقاء فيه ، على أساس أنهم سادة بلادهم ، لقد كان الكثيرون من الزعماء الافريقيين فى بلاد أخرى يدعون الى الخروج من الكومنولث ، ولكنهم عندما استقلوا لم يتركوا الكومنولث وتعلقوا به .

ان التوتر فى الاتحاد الآن أعمق وأبعد مدى مما كان فيه فى أى وقت سابق ، وقد أدت أنباء الاضراب الافريقى فى روديسيا الجنوبية الى اتجاه البيض الى شراء البنادق والمسدسات ، وقد عرف أهل روديسيا الشمالية العنف منذ قامت الثورة فى نيسالاند .

وهكذا يتضح لنا أن « المشاركة » لم تؤت ثمارها ..

ولو أدت هذه الاضطرابات الى ادراك الحقيقة لكان الدرس الذى يجب أن يتفهمه الجميع هو الحاجة الى خلق الثقة بين كل الأجناس ، وما لم توجد المشاركة هذه الثقة فانها تكون معدومة النفع لا تصلح لشىء !!

ولكن أية ثقة !! .

وكيف يمكن أن تتوافر مع تباين الأهداف !! .

٥ ــ غدر وخيانة !

على أننا لكى نستطيع أن نعرف صورة صحيحة للحياة فى نيسالاند وفى روديسيا الشمالية يجب أن نقرأ الدراسة التى كتبتها « مسز دوريس ليسنج » من نهايتها ، فهى تقول فى السطور الأخيرة :

« ومهما حدث ، فان الناخبين الانجليز يتحملون مسئولية سماحهم لحكومتهم بأن تسلم « السير روى ويلنسكى » ، الرجل الذى يتولى رياسة الوزراء فى الاتحاد ــ الذى يبدى اعجابه بنظام الحكم فى جنوب افريقية ــ افريقيى نيسالاند وروديسيا الشمالية بدون رغبتهم ، وفى الوقت نفسه يحتملون خيانة الوعود التى أعطيناها لهم » .

« اننا نحتمل مسئولية أسوأ نظام اجتماعى فى العالم ، حيث يعيش سبعة ملايين ونصف مليون من الافريقيين فى فقر مدقع يقتلهم المرض وسوء التغذية والجهل والحرمان من أبسط صور الحرية ، انهم يحكمون بوساطة ثلاثمائة

الف من البيض ، مستوى معيشتهم مرتفع بدرجة كبيرة ، ومع هذا فان عددا قليلا جدا من هؤلاء الذين يعملون كل شيء ، وأى شيء للابقاء على سيادتهم » .

والآن فلنرجع مع « دوريس ليسنج » من بداية بحثها .

ففى الثالث من مارس نشرت الصحف فى بريطانيا على عرض الصفحة الأولى ((**عضو برلمان بريطانى يحمل قسرا الى الطائرة لابعاده !**)) ، وهى تقول أن كل من قرأ هذه الكلمات لابد أن يكون قد تصور أن أحد أعضاء وفد برلمانى من مجلس العموم كان فى رحلة الى الصين أو الى الاتحاد السوفييتى ضبط وهو يصور منطقة عسكرية ، ولاشك أن من فكروا فى هذا قد ذهلوا من مقاومة هذا العضو المحترم أمر الابعاد .. ولماذا لم يذهب الى الطائرة متزن الخطى محتفظا بكرامته ، حتى لو كانوا يقودونه الى المقصلة ! .

ولكن لاشك فى أن الصدمة كانت أكبر عندما قرأ الناس أن « مستر جون ستونهاوس » عضو مجلس العموم العمالى قد أبعد من روديسيا الشمالية ، وأنه قد قاوم أمر الابعاد حتى اضطر ضباط الهجرة الى حمله قسرا الى الطائرة لابعاده ..

والفكرة أن روديسيا الشمالية كنيسالاند ، لاتزال من الناحية النظرية تحت حكم البرلمان البريطانى ، ومع هذا فان سلطات الاتحاد أبعدت من أراضيها عضوا من أعضاء المجلس الذين تفرض لهم القوانين حكم هذه البلاد التى أبعد منها حضرة العضو المحترم كل الاحترام (!!!) .

ولكن أية حقوق للانسان فى مثل هذه البلاد .. ؟

ان العامل الزراعى يتقاضى اثنى عشر شلنا وستة بنسات فى الشهر ، مع غذاء من الأذرة ، ومع اقامة فى كوخ من الطين ، ليعمل من السادسة صباحا الى السادسة مساء فيما عدا ساعة واحدة للغذاء ، فاذا تأخر ساعة واحدة عن العمل جوزى بغرامة لا تقل عن شلنين ، فاذا طالب بترك العمل رفض طلبه فاذا فر أعيد للعمل ، واذا ذهب الى مركز البوليس خيروه بين الضرب أو أن يدفع غرامة عشرة شلنات ، وهو دائما يتخير الضرب ، لأنه أقل قيمة من الناحية المادية ، ولكن لا يضربه رجل أبيض بل يوكل أمره الى كونستابل افريقى ، يعرف كيف يضربه ، حتى لا يعود للفرار ! .

والغريب أن أصحاب الاقطاعات الزراعية فى الاتحاد لا يعرفون لماذا يتحدث الانجليز فى بريطانيا عن سوء الحال فى مناطق اتحاد وسط أفريقية ! ؟ .

ومع أن «مستر جون ستونهاوس» قد قاوم رجال البوليس الذين جاءوا اليه لتنفيذ أمر ابعاده ، كانت مقاومته بدعة لا يعرفها رجال الادارة هناك لأن العادة أن البوليس يذهب ليلا للقبض على زعماء الجمعية الوطنية ؛ فيدخل المنازل ليقبض عليهم ، ويلقى بهم الى السجون فى سكون ، وعندما أقول المنازل أقصد أكواخ الطين ، فى مناطق « الجيتو » لأن السود يحرمون من الاقامة فى المدن حيث يقيم البيض .

وفى كل مرة تقول سلطات الحكومة فى الصحف وفى دور القضاء أن المقبوض

عليهم مجرمون ،لدى البوليس سجلات عنهم ،هكذا قالوا عن «هارى نكومبولا» و «كينيف كاوندا» من زعماء روديسيا الشمالية .

لقد أخذ البيض ٦٪ من أراضى نيسالاند وروديسيا الشمالية ، أما روديسيا الجنوبية فقد أستولى البيض فيها على ثلثى الأراضى الزراعية .

ومعنى هـذا أن الافـريقيين لا يستطيعون الاقامة فى ثلثى بلادهم ، ومن أجل هذه الحقيقة يرى أهـل نيسالاند وروديسـيا الشماليـة أن الاتحاد تهديد لهم لاغتصاب أراضيهم، وأنهم اذا سلموا الى « ويلنسكى » وضموا الى روديسيا الجنوبية كان معنى هذا فقدانهم أراضيهم اغتصابا وببطء ، أى أن يفقدوا ما بقى لهم من حـرية .

لقد قاوم الافريقيون فى نيسالاند وروديسيا الشمالية الاتحاد ، ولكى يخفف وقع المصـاب اخترع البيض كلمات « المشاركة فى الحكم » ، ولكن الافريقيين لم يخدعوا بما خـدع به الكثيرون من الناس .

ان نمو الحركة الوطنية فى المناطق الثلاث انما هو نتيجة مباشرة لحقيقة أن (الاتحاد) قد فرض فرضا عـلى الافريقيين على غير رغبتهم .

وهم فى بلاد الاتحاد لا يحترمـون القانون ، وهم يقصون قصة محاكمة « هايبس كوربوس » الذى اتهم باثارة الاضراب فى روديسيا الشمالية سنة ١٩٥٦ ، فعندما أصدرت المحـكمة حكمها بأن الاتهام غير قائم ،وأن القبض والاعتقال غير قانونيين أصدر المجلس التشريعى قانونا فى مساء اليوم نفسه، ولم يطلق سراح الرجـل ، بل قـدم للمحاكمة من جديد بموجب القـانون الجديد !! .

والشىء الذى يجب أن لا يغيب عنا هو أن الحكومة تعتقل الزعماء ، أملا فى أن تشتد المقاومة ، وتحدث بعض حوادث عنيفة ، ومن ثمـة تستطيع الحكومة أن تسـتخدم كل وسـائل العنف ، مستخدمة كلمة « الماو ماو » لتجعل من أرض الاتحاد كينيا أخرى .

ولكن الحكومة هى التى ستتحمل الخسارة فى النهاية .

وهكذا تعود «دوريس ليسنج» الى السطور التى قدمت بها بحثها .. ومهما كانت النتيجة فان الناخبين الانجليز هم الذين يحتملون مسئولية سماحهم للحكومة البريطانية بتسليم « السير روى ويلنسكى » افريقيى نيسالاند وروديسيا الشمالية على غير رغبتهم، دون تقـدير لعـدالة أو عـرف ، أو احترام لقانون . والغريب بعد هذا أن تتحـدث بريطـانيـا عـن ميثـاق حقوق الانسـان ! .

وهكذا تنتهى مأساة مشكلة أفريقية الوسطى بالفصل الاخير ، الذى يبدأ بتشـكيل « لجنـة دقلين » وينتهى بتقريرها والعاصـفة التى ثارت فى مجلس العموم البريطـانى فى الثامن والعشرين من يوليو المـاضى ، هذا الفصل الذى قلب المأساة الى ملهاة .. وبقى النظارة مشـدوهين لان الاضواء لا تزال تملأ المسرح ، ولم يسـدل الستار بعد !!

the greed of the great powers.

Africa is a force to be reckoned with. It is a moral one, because it rests on basic human rights. It is a force far more potent than all the atom bombs put together. Together with Asia, our force is even more overwhelming.

The Arab world is the bridge linking the two continents. The United Arab Republic is proud to beleng to both.

Guided by the principles of the Charter of the U.N., we also feel hovering over us the spitit of Bandung and of Accra. In all humility, let us prove ourselves worthy of it so that, when this Conference concludes its work, we can also prouly boast of the spirit of Monrovia.

Mr. Chairman,

Excellencies,

Thank you.

rests in the spirit of Voltaire and Jean-Jacques Rousseau. I believe that many Frenchmen hold the same opinion as myself.

As the President of Liberia so justly observed in his opening address, we are faced with great responsibilities. We have achieved great progress in the past few years. But we must not let this success go to our heads, for the colonial powers are still poised, thinking of new ways and means to throw us back and do us harm.

The old motto of "Divide and Rule" is still uppermost in their minds. They know that unity of minds, of purpose and of action are the greatest obstacles to their schemes.

The latest creation of the colonialist mind is the pitting against each other of African and Arab Nationalisms.

Our Conference here, as well as the previous one in Accra, are the best proof that we refuse to be taken in. The first item in our Agenda shows that all Africa is backing Arab Algeria in its fight for freedom.

Yet the colonial powers and their media of information and propaganda persist in playing up the supposed racial difference between Africa south of the Sahara and Arab Africa in the North, thus trying to create a rift and a division. Let me point out to them that racialism is a state of mind, of which, thank God, we Africans are completely free.

Racialism, racial hatred, as we have seen in Algeria, goes further than the mere difference in the colour of the skin.

Here I want to state quite emphatically that Arab North Africa, and History attests to it, has always had relations with countries south of the Sahara, and vice-versa.

The Egyptian Region of the United Arab Republic has freely inter-mixed with peoples all along the river Nile, up to the innermost heart of Africa, in the Great Lake Region.

We have mixed blood in our veins. I shout it to the whole world : I am proud of it.

What the colonial powers are really afraid of, is that present international organisations can afford overwhelming superiority to the small nations if they stand fast and in unison against

ed nothing substantial and I do not think that he is in a position to do so. The Constantine plan, which Radio Paris extols daily is, as the French would say "une pure chimère". The war in Algeria - it is a shooting war, you know - is costing France a billion dollars a year. The crumbling economy of France, despite the huge amount of foreign aid with which it is injected now and again, cannot afford to sustain the cost of both.

The Constantine plan is nothing but a bait, which France is dangling in its bid for complete control over Algeria's mineral wealth.

The glory of France, not only requires that it overcome the Algerian forces 10 times smaller in number, but that it also explode an atom bomb in the Sahara. If the Algerians are subhuman species to be arrested and tortured or hunted down at will, then it is only natural for the rising French Fascism not to bother about other Africans who may perish under the daily fallout.

Seeing that sand storms are a frequent occurence in the area, it is highly probable that all the great rivers south of the Sahara might become contaminated with radioactivity.

I am sure that the assembled delegations will approve of the prompt action taken by the brother Governments of Liberia, Ghana and Guinea.

The U.A.R. always declared itself against nuclear tests, anywhere. But the danger is becoming more immediate, and we, African countries, should formulate a vigorous and concerted plan of counteraction.

This is the plight of France, sinking slowly under the rising tide of militarism. Were it to gain its ends, Heaven forbids, then not only Africa, but Europe itself might be endangered. For militarism is a highly contagious disease.

But if our efforts to save Algeria come to success, if we also succeed in keeping Africa safe from the dangers of nuclear tests, then I am quite certain that French Militarism will not survive those failures. We will not be only saving Algeria and Africa, but France itself.

The real glory of France

Ho finally comes to the conclusion that they are great neurotics who would make excellent victims; at the first electric shock they would tell everything

France should congratulate itself that the Resistance who led the fight for freedom against Nazi Germany was not built around such men as these.

If I am permitted, I shall again quote Sartre. In searching for the true meaning of torture he says that "Torture's real dividend is the degradation it creates in the torturers themselves. It will never bring back the glory of France. Glory was never a synonym for depravation".

Jean-Paul Sartre here puts his finger on the sore spot. The French Army Command, or rather the handful of colonels, who staged the "coup of May the 13", and who now are the true rulers of France live under the spell of the Dien-bienphu psychosis. They are maintaining in Algeria an army half a million strong, equipped to the teeth with the mighty arsenal of weapons put at its disposal by some of the NATO powers, presumably to defend the continent of Europe against a possible attack, but which have been turned round to serve France's aggressive tendencies against Africa.

The French Army Command, I correct myself again, the handful of colonels who are now ruling France, think that if the French Army in Algeria could defeat a force ten times smaller... glory will be theirs again.

This has come to obsess them as a point of patriotism and pride. Looking at the matter, in true perspective, it should rather be to their shame and disgrace.

There are those who thought that the coming of General de Gaulle to power might open a just and honourable way out of the impasse. Riding on his wave of popularity last year, he spoke in attractive but highly ambiguous terms. But even this is no more. Willingly or not, he has been hamstrung by the glory-obsessed French Army Command. While his Prime Minister is toeing the line in a French Assembly that has fallen under the domination of the "ultras" and the rightists.

General de Gaulle has offer-

Africans, the Algerians, have been subjected. All along the eastern borders of Algeria, and elswhere, whole villages were, and are still, being pillaged and destroyed; and areas of cultivation laid to waste. Close to one million luckless Algerians have been tured almost overnight into destitute refugees.

French authorities have even approached some countries, asking them to stop sending aid to those refugees, on the grounds that that too would mean meddling into the domestic affairs of France.

Once and for all, the fiction of Algeria being an integral part of France must be exposed. It is a fiction born of the notorious unilateral declaration of the 22nd of July 1834, a full 13 years before France could achieve the final conquest of Algeria. I am sorry if I used the word "final". For Victories achieved through brute force can never be final. What is final, what is truly irremediable is the unbending will of the people, of all peoples, determined to achieve freedon, liberty and independence.

But we brother Africans, assembled here, to discuss the problems created by the selfishness and intrusion of non-Africans into our territories and into our own affairs ; we Africans must not sink down to the inhuman level of the protagonists of colonialism, no matter how much we have, or our brothers have suffered from it.

For the plight of Algeria has also its obverse side - the plight of France itself.

It is the tragic downfall of all what France had stood for, under the rising tide of Fascism and terrorism.

The French clergy has denounced it. Priests returning from Algeria, have borne witness to many a horrid tale.

Many other brave voices have also been heard from France. But always they came to be drowned by the cry that to speak against torture meant insulting the Army.

In his admirable introduction to Alleg's book, Jean-Paul Sartre exposes the true face of the torturers who think of themselves as supermen simply because they have other men at their mercy.

inside the heads of those people. "That", they said with conclusive professional superiority, "is a different branch of science".

Yes, it is a different pranch - but it has nothing to do with science, I can assure you. And it is left for the European settlers to handle it.

Whenever the Africans still in subjection try to assert their rights as human beings, they arbitrarily are browbeaten and hunted down as criminals. In the Cameroons, the arbitrary laws of 1955 have driven hundreds into exile or into notorious internment camps. Imaginary accusations are levelled against respectable people as had been the case with Dr. Hastings Banda. False witnesses are arraigned as had been the case against Jomo Kenyatta. Uganda "Apartheid" that ugly word; born and bred in South Africa; "Apartheid" and all the evil practices that it stands for, is creeping north. Nyasaland and the Rhodesias already know its full and horrid meaning. The grip has also tightened around the unhappy territory of South-West Africa.

On my way, here, I also heard of the death in prison of the leader of the Algerian General Workers' Union. January last, a military tribunal had acquitted him of a charge of endangering the security of the State. But instead of being released, he was transported to yet another detention camp, there to meet his sad and tragic end. He had been burned to death. The French clain that he accidentally set fire to his own bed clothes. An Explanation which is hard to believe. Death through torture is quite a commonplace occurence in Algerian prisons. As practised in Algeria, torture is but the ugly face of racial hatred. What is happening in Algeria is also the story of colonialism in Africa. They have two basic factors in common : greed and racial discrimination.

Four and a half years ago, on the 1st of November 1954, to be precise, the Army of National Liberation launched its glorious fight against the French oppressors. I will not go into details since they are known to you all. Though it does not mean that we can dismiss from our minds the horrible tales of terrorism and vandalism to which our brother

the government and the people of Liberia, to our Distinguished Chairman and Distinguished Colleagues, I wish to convey the greetings and wholehearted support of President Gamal Abdel Nasser, of the government and people of the United Arab Republic, with both its regions, the African and the Asian.

Colonialism came to Africa, spearheaded by men whose values and motives had become dominated by the materialism of the industrial revolution. They came as gods and controllers of destiny. They felt superior. They could not, and would not, make efforts to understand Africans or African ways of life, which had developed for so long in privileged shelter from foreign influence and greed.

Colonialism came to Africa already despising Africa and the Africans. It came, not for Africa's sake, but for what it could greedily get out of Africa. The colonialist arrived feeling superior, determined to impose himself and his way of living on the African. The negation of Africa in all dimensions was as complete as it could possibly be. No group of human beings can be left indefinitely outside in the night of the human spirit.

Those are pretty strong words. Some quarters, not Africa, I assure you may accuse me of extremism. The accusation is bound to collapse, however, when I reveal that I had been quoting all along the Afrikaans writer Van der Post, whose sense of justice rose in revolt against what has been and still is being perpetrated against Africa and the Africans. Van der Post also speaks of how the problems of Africa are studied in a variety of ways - but he asserts that they are all of secondary improtance, since they by-pass the most fundamental of all: the humble effort of trying to understand the human being.

Van der Post relates the tale of two scientists who had asked to accompany him into the Kalahari desert. They were doing research work - a comparative study of the head neasurements of people all over the world. They showed him an impressive catalogue of detail already observed. Van der Post asked them if they were not interested in what went

U.A.R. POLICY IN AFRICA

STATEMENT OF HIS EXCELLENCY H. ZULFICAR SABRY

CHAIRMAN OF THE U.A.R. DELEGATION TO THE INDEPENDENT AFRICAN STATES CONFERENCE

Monrovia, Wednesday 5th August, 1959

Mr. Chairman
Excellencies,

Guided by the spirit of the Accra Conference of 1958, we, the representatives of the Independent African States, have assembled again. We have come to discuss and take council among ourselves about affairs topical not only to our continent, but to the world at large. States, big and small, are cocking their attentive ears; the voice of Africa is being heeded at last. Not because any Big Power has willed it, but thanks only to the concerted efforts of our governments and the heroic struggles of the African peopels, still in subjugation, and who are to join us sooner or later. Much sooner than colonialism would hope or expect. Already in our midst, not present at Accra last year, we are happy to have the Distinguished Delegation of the new independent State of Guinea. Next year, we will also be happy to welcome to our concert of independent African Nations the Cameroons, Nigeria, the Togo and Somaliland. I join my Distinguished Colleagues in offering our warm thanks and heartfelt gratitude to President Tubman, to the government and people of Liberia whose kind invitation and generous hospitality made it possible for us to convene in their fair and lovely capital of Monrovia, which for more than a century had represented and presaged the rising tide of African freedom. Indeed, the very name of Liberia spells good omen to the future liberation of other peoples, whom God has created equal, but whom colonialists, in their greed, refused to consider so.

To President Tubman, to

الطفولة فى افريقية

2nd. Year

Issue No. 22 - Sept. 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- FROM ACCRA TO MONROVIA.
- THE ARABS IN EAST AFRICA.
- SOME SUDANEES NOVELISTS.
- AFRICAN MUSICAL MASTERPIECES.
- BOOK ANALYSIS.

80 Pages.

30 Milliemes.

السنة الثانية　　العدد ٢٣　　أكتوبر ١٩٥٩

نهضة أفريقية

في هذا العدد

- الرمح المشتعل
- قبيلة «الكيوكويو»
- ثورة افريقية
- جومو كينياتا
- نقد الكتب
- كتاب الشهر

الثمن ٣ قروش

لوحة افريقية على النحاس

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ـ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة أفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

نهضة أفريقية

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

لقد أصبحت القاهرة اليوم مصدرا لاشعاع القوى الافريقية الضخمة التى بدأت تهز العالم ، وتفرض سياستها الحكيمة التى تنبع من ضميرها ، كما تؤكد القيم الانسانية الشريفة فى ظل السلام الوارف ، ومغناه الحبيب ! فالمد الافريقى اليوم يعترف به كطاقة بناءة تستطيع أن توقف التلاعب بمقدرات الشعوب ، فلن تعود كما كانت من قبل وقودا للمعركة ، ثم تعود الى نفسها حزينة مجهدة بينما يرفرف النصر على الذين كانوا دائما فى مؤخرة الحصون ، ووراء الخطوط !!

وتأكيدا لهذه المعانى الكبيرة فقد احتفل فى القاهرة بيوم ((جوموكينياتا)) وشهدنا المشاعر تتلاقى ، والقبضات تتحد . ثم ترسم مستقبلا جميلا لكينيا وهى تسير خلف قلبها الكبير ((جوموكينياتا)) وخرجنا من هذا الحفل وكلنا احساس بأن ((الرمح المشتعل)) كان يرسم معنا الخطة ، ويصوب فى يدنا الرمح !

.. ثم شهرنا الاحتفال بيوم افريقية الاستوائية ، واستروحنا منه نسمات الحرية التى تشق طريقها فى جهد ثم تصل الينا مصرة ، عنيدة !

.. ثم كان احتفال ((الرابطة الأفريقية)) بعيد استقلال غينيا . وهكذا ، تلاقى الافريقيون فى دمعة يوم ((جوموكينياتا)) ، وتسارعوا الى رمح فى يوم أفريقية الاستوائية ، وأشرقوا فى بسمة فى عيد استقلال ((غينيا)) ..

كل هذا كان فى القاهرة !!
القاهرة العظيمة !!

((عبده بدوى))

محتويات العـــدد

الرمح المشتعل :
للأستاذ محمد عبد العزيز أسحق ٣

قبيلة الكيوكويو :
للدكتور عبد العزيز الرفاعى ٧

كفاح جوموكينياتا :
للأستاذ محمود دكسيه ١٢

جوموكينياتا : ١٤

ثورة أفريقية :
ترجمة الأستاذ حلمى شعراوى ١٩

مؤامرة على الزعيم جوموكينياتا :
للأستاذ زكريا نمر يوسف ٢٣

حاجة كينيا الى رأس المال : ٢٤

السياسة البريطانية فى كينيا : ٢٨

جيبوتى :
للدكتور جلال يحيى ٣١

يوم غينيا : ٣٩

نقد الكتب :
للأستاذ عبده بدوى ٤٣

الشركات التجارية وآثرها فى الاستعمار :
للدكتور زاهر رياض ٥٤

كلمات وصور : ٦٣

كتاب الشهر :
للأستاذ عبد الواحد ابراهيم ٦٧

الرمح المشتعل

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

احتفلت شعوب آسيا وافريقية بيوم ((جومو كينياتا)) وتردد اسم هذا الزعيم الافريقى العظيم مقترنا بذكريات كفاحه للاستعمار البريطانى فى كينيا كفاحا نادر المثال .

والذى يتأمل سيرة ((جومو كينياتا)) يرى حلقات متوالية من خصائص القيادة الموهوبة التى غذتها البيئة والظروف فجعلتها متكاملة فعالة ذات منهج واضح وهدف مرسوم .

فقد ولد الزعيم الكينى منذ حوالى ستين عاما فى مقاطعة كينيا الوسطى ومن أبوين ينتميان لقبيلة ((الكيوكويو)) التى حملت فيما بعد عبء الجهاد الوطنى الاكبر واقترن اسمها بالحركة المسماة ((**ماو ماو**)) .

ولم يكن للافريقى الذى تماثل ظروفه ظروف ((**كينيا**)) الحق فى أن ينال فى طفولته حظا ، مهما كان ضئيلا ، من التعليم المنظم ، ولهذا فقد انطلق الصبى الصغير مع أقربائه وأبناء قبيلته الذين تربطهم التقاليد الموروثة فاذا هم كالغابة المتماسكة الجذور المتشابكة الفروع ، يرقص ويغنى ويتناقل أساطير الاجداد ويفتح عينيه الواعيتين على حقائق الطبيعة بما فيها من مشقة ومأساة ، الى أن صادفته احدى الارساليات الاسكتلندية فاستطاع عن طريق تعليمها البدائى أن يقرأ ويكتب .

وكانت هذه نقطة انطلاق لم تتوقف قط لدى الزعيم ((**جومو كينياتا**)) فانه بعد أن ترك الارسالية لم يترك كتابا وقع بين يديه الا والتهمه ووعاه ، وقد عرف عنه أن له منذ طفولته ذاكرة عميقة حادة . لقد عمل ((**جومو**)) الطفل خادما فى بيوت السادة الانجليز فى كينيا ، ولكنه قرأ كتب هؤلاء السادة ، ولما سئم خدمة السادة عمل نجارا وفلاحا الى أن نما عوده واستقامت شخصيته وتجاوز العشرين من عمره فساهم فى تكوين أول هيئة وطنية فى كينيا (عام ١٩٢٢) وكان اسمها ((**رابطة الكيوكويو المركزية**)) . وقد تكونت تلك الهيئة حينما وضح تغول المستوطنين الانجليز على أراضى ((**الكيوكويو**)) الخصبة ، واتخاذ ذلك التغول صبغة قانونية بصدور مرسوم من الحاكم البريطانى يعتبر أصحاب الاراضى من ((الكيوكويو)) (مستأجرين مؤقتين) تمهيدا لطردهم من أراضيهم .

ولم يطق المستوطنون وجود

« رابطة » تدافع عن حقوق أعضائها (بالوسائل الدستورية) فأوعزوا الى الحاكم العام أن يلغيها ، ولم يتردد الحاكم العـام فى الغائها ، ووجـد **« جومو كينياتا »** طريقا جديدا للدفاع عن قومه فأصدر جريدة **« الاتحـاد »** واستطاع هو وزعماء **« الكيوكويو »** أن يثيروا الرأى العـام البريطانى على حاكم كينيـا فأرسلت الحـكومة البريطانية كعادتها « لجنة تحقيق » برلمانية وانتخبت الـ **« الكيوكويو »** **« جومو كينياتا »** متحدثا باسمهم أمام اللجنة ، وعادت اللجنة الى بريطانيا وقدمت تقريرها الى البرلمان ، بعد عام فسـافر **« كينياتا »** الى بريطانيا للقيام بالدعاية الواسعة ، فى الاوساط البرلمانية ، لقضية قومه ، وهناك ، لم تسفر جهوده عن شىء ، فقـد طوى البرلمان تقرير اللجنة واستمرت حكومة كينيـا الاستعمارية فى طريقهـا المشئوم ، وبقى **« كينياتا »** فى بريطانيا سـنتين ، أتيح له خلالهما أن يكون على صلة وثيقة بجمعية **« الفابيان »** الاشتراكية المشـهورة التى تولد منها حزب العمال البريطانى والتى كان من أشهر أعضـائها الكاتب الايرلندى **« برناردشو »** ...

وكانت هذه الفترة ، فترة تركيز مذهبى ومنهجى لدى هـذا الزعيم الناضج العقل الوافر التجربة وقد عاد منها الى كينيا ليجد لجنـة بريطانية جديدة باسم « لجنة توثيق الروابط بين أقطار افريقية الشرقية » فانتخبه قومه متحدثا باسمهم أمام تلك اللجنة التى نشرت تقريرها بعـد عامين ، وأوصت فيه باجلاء قبيلة «الكيوكويو» عن أراضى أجدادها واعطاء تلك الاراضى للنازحين الانجليز .

وقـد حاول **« كينياتا »** أن يعيد تكوين رابطة الكيوكويو المركزية فلم يوفق ، وحاول أن يصدر جريدة فلم يتمكن ، ثم حاول القيام بدعاية مضادة للقوانين التعسـفية الجـديدة فلم يستطع ، ولم يجد أمامه سبيلا غير الهجرة ، فى طلب الفرصة السانحة ، وفى طلب العـلم أيضا ، فذهب الى لندن (فى عام ١٩٣١) وانتسب الى **« كلية العلوم الاقتصادية »** ثم ذهب الى جامعة موسـكو ، ثم طاف أنحاء أوروبا ، ثم عاد الى انجلتـرا ليبث الدعوة الوطنية فى جماعات الافريقيين الكثيرة المنتشرة فى المدن البريطانية ، وفى خلال ذلك اشتغل بتدريس لغة « الكيوكويو » فى **« مدرسـة اللغات الشرقية »** فى لندن وتقلبت به الاحوال فاشتغل بيديه عاملا فى الزراعة ، ثم محاضرا لدى بعض الهيئات التعليمية العماليـة ، وفى احدى مراحل هذه الحياة العاصـفة ، كان يشارك فى مسـكنه المتواضـع المغنى الزنجى الامريكى **« بول روبسون »** ويلقنـه بعض الاغانى الافريقية الشعبية .

وفى نهاية الحرب العالمية الأخيرة هب الافريقيون المنتشرون فى بريطانيا وعقـدوا مؤتمرا عاما فى مدينـة مانشستر باسم **« الاتحـاد الافريقى الشـامل »** وكان هدف ذلك المؤتمر تكوين لجنة اتصال تربط بين جميع الهيئات الوطنيـة المكافحة فى القارة الافريقيـة وفى الخارج ، وانتخبه **« جومو كينياتا »** رئيسـا للمؤتمر ،

كمـــا انتخب ((**كوامى انكـــروما**)) سكرتيرا عاما .

وفى العام التالى (عام ١٩٤٦) عاد ((**كينيـــاتا**)) الى كينيـــا فوجد نواة صـــالحة للحركة الوطنية ممثلة فى ((**اتحاد كينيا الافريقى**)) وقد انتخبه ذلك الاتحاد رئيســـا له وكان ذلك الاتحاد يضم ممثلين منتخبين من جميع فئات السكان فى ((**كينيا**)) بما فيهم ((**الكيوكويو**)) ، وكان هدفه الرئيسى مقـــاومة قوانين التمييز العنصرى وسياسة اغتصاب الاراضى .

وقد رسم ((**اتحاد كينيا الوطنى**)) لنفسه سياسة بعيدة المدى تتمثل فى نشر التعليم ومحـــو الامية من جميع المواطنين ، فقام بحملة واسعة لجمع التبرعات وافتتاح المدارس ، وما هى الا فترة قصيرة حتى كان الاتحـــاد يشرف على مائتين وســـتين مدرسة تضم أكثر من سبعين ألف طالب ، وخطا الاتحاد خطوة عملية فعالة فأنشأ معهـــدا لتخريج المعلمين ، وكان ذلك المعهد هـــو الأول من نوعه فى افريقية الشرقية .

واستمر الزحف المقدس ، واتسع نطاق ((الاتحـــاد الافريقى)) وازداد نفوذه (السلمى) ، ولم يأت عام ١٩٥٠ حتى كان عدد أعضائه العاملين أكثر من مائتى ألف عضو ، وكانت لجانه الفرعيـــة تشمل جميع المدن والقرى النائيـــة فى كينيا . وقرر الاتحاد ، بزعامة ((جومو كينياتا)) أن يتخـــذ ((الوسائل الدستورية)) للحصول على الحقوق المسلوبة ، وكان هذا القرار أشد ما أزعج المستوطنين الأوروبيين ، ذلك أنه يسلبهم ـ أو يسلب الحاكم العام المتصرف بوحيهم ـ حق اتخـاذ الاســـاليب العنيفـــة لقمع الحركة الوطنية ..

ولهـــذا ، بدأ السادة المستوطنون يحيـــكون ((**مؤامرات**)) مقصـــودة لاســـتفزاز الوطنيين الكينيين ودفعهم الى أعمال العنف ليتخـــذوا من ذلك ذريعـــة لطلب اعلان الاحكام العرفية واتخاذ وســـائل التعسف والارهاب للقضاء على العناصر القومية .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد كان هذا التدبير الذى لجأ اليه المستوطنون نفس التدبير الذى لجأ اليـــه حاكم أوغندا البريطانى (عام ١٩٥٩) حينما افتعل بعض أعمال العنف ليبرر اعلان حالة الطوارىء فى أوغنـــدا ويوقف نشـــاط **المؤتمر الوطنى الاوغنـــدى** ويصيب الحياة السياسية بالشلل .

ومهمـــا يكن الأمر ، فقـــد تحفز الرجل الاوروبى فى **كينيـــا** وتكونت هيئـــة من المستوطنين باسم ((**اتحاد الناخبين**)) وأخـــذت هذه الهيئة فى تكوين العصابات وتوجيهها للاخلال بالامن ، وما لبث الحاكم العام أن وجد الامن مختـــلا ولم يجد عسرا فى أن ينسب اختلاله الى الاتحاد الافريقى ، فأعلن حالة الطوارىء وعطل الاتحـــاد وأعتقل زعيمه ((**جومو كينياتا**)) ، ولم يجد شعب كينيا أمامه وسيلة الا الرد على العنف بالعنف ، وقامت حـــركة ((**الماو ماو**)) .

ان ((جومو كينياتا)) لم يسلك قط مسلك العنف فى سياسته التحررية .

وانما كانت سياسته مبنية على التنظيم النقابى والضغط الدعائى والاستعانة بالهيئـــات الدوليـــــة والمنظمات الدستورية . وتم يشترك ((جـــومو كينياتا))فى تنظيم ((ماو ماو)) ، وانما ولدت تلك الحركة بعـــد اعتقـــاله ، وكانت رد فعل للمؤامرات العنيفة التى أوجدها المستوطنون البيض ..

وقد تعقب هؤلاء المستوطنون الزعيم المعتقـل بمؤامراتهم فلفقوا شـــهود الزور الذين أعانوا على ادانة الزعيم والقـــائه فى غياهب السجن ، وعلى تشـــديد الخناق على بقايا المنظمات الوطنية بعد حلها . وظل حكم الرعب مسيطرا على كينيا الى أن انقضت منذ أشهر مدة العقوبة الظالمة التى حكم بها على ((**كينياتا**)) وآن أوان الافراج عنه ، وهنا أطلت المؤامرات من جديد فقرر الحـــاكم العام ، الافراج عنه ، وسجنه فى نفس الوقت .. أفرج عنه من سجن حـــكومى قانونى وألقى به معتقلا ، فى صحراء مهلكة فى شمال كينيا ، ويا لسخرية القدر ! لقد صدر قرار اعتقاله فى الوقت الذى أعلن فيه أحـــد شهود الزور ، وقد استيقظ ضميره ، أنه شهد بالافك تحت تأثير الرشوة ، على((**جومو كينياتا**)) ، فماذا حدث .. ؟

لقدقدم الشاهد السابق الى المحاكمة فأكد اعترافه وأدانته المحكمة وفى ذلك تبرئة ضمنية ((**الجـومو كينيـــاتا**)) وأرسل الشاهد الى السجن ، وأرسل الزعيم البرىء فى الوقت نفســه الى المعتقل ..

هذه لمحات من حياة الزعيم ((**جومو كينيـــاتا)) وجهاده من أجل كينيا ومقتطفات من مآثم الاستعمار والعدالة البريطانية فى المستعمرات ، نضعها أمام الشعوب الافريقية المناضلة لكى تضم الى صيحاتها القوية صيحة فى وجـــه البريطانيين . ((أفرجـــوا عن كينياتا !))** ..

قبيلة الكيوكويو

بقلم الدكتور عبد العزيز رفاعى

تعتبر قبيلة **الكيوكويو** احدى قبائل كينيا، وأهمها شأنا وأشدها قوة ومراسا وطموحا ونشاطا ، وأبرزها شخصية وميلا الى المحافظة على كيانها ، بحكم تكوينها الأنثروبولوجي المميز ، وظروفها الجغرافية الخاصة ، ذلك التكوين الذى جعلها مهدا لمبادىء **الماوماو** ، ومزرعة خصبة لاستنباتها ، حتى كانت منها حركة ، عقد عليها لواء زعامتها ، وأقضت مضجع الاستعمار البريطانى ، ولا تزال ميزاتها تتجلى خلل الرماد ، رغم همودها النسبى فى ظل طغيانه وبطشه .

كان أفرادها من سكان الغاب ، من سلالة منحدرة من مزيج من الجنس الزنجى والعنصر الحامى ، لذلك فهم يمثلون صفات الطرفين ، ويحتفظون من سلالتهم الزنجية بحرفة الزراعة التى يمارسونها بشكل يبرز الكثير من شعوب افريقية السوداء .

الخصائص الاجتماعية : مجتمع **الكيوكويو** بهذا مجتمع زراعى ، يعيش فى منطقة نجدية ، له طعامه المناسب وله طابعه المظهرى الخاص ، وتقاليده المميزة ، وهو يوصف بالشدة وقوة البأس .

و**الكيوكويو** يثقبون آذانهم ويعلقون فيها أثقالا تتدلى فى شكل حلى يستوى فى ذلك الرجال والنساء ، يلبسها الرجال لتضفى على مظهرهم مهابة بين المجتمع ، كما يتخذها النساء للزينة .

و**الكيوكويو** مجتمع مترابط يقدس عاداته وتقاليده . وعقائده الدينية الراسخة ، ذات طقوس معقدة يتزوج الواحد منهم بأكثر من واحدة ، ولكن لنسائهم حقوقا وواجبات ، فهن لسن بين المجتمع كالسلعة تباع وتشترى ، بل لهن حقوقهن الثابتة بشكل لايستطيع معه حتى الأزواج العبث بها ، ومن طبائع النساء بين هذا المجتمع حمل الأشياء على رءوسهن ، كما تفعل الفلاحات فى مصر ، وغيرها ، ولكن ليس ثمة من هن أكثر ميلا لهذه العادة من نساء **الكيوكويو** ، فهن لا يحملن أثقالهن فوق رءوسهن بل تبدو أيضا مشدودة على ظهورهن بسير من الجلد حتى جباههن ، لدرجة أن ذلك يترك أثره فى أجسامهن فى سن معينة على شكل أخاديد ، ولهؤلاء النساء ، كشابات **البانتو** تقاليدهن فى الزواج ، فالفتاة تتعرف أولا بالشاب ، وتستمتع بمصاحبته ، حتى يتبلور

رأيها فيه كزوج فقد تختاره وقد ترفضه ، وقلما يفرض عليها الزواج بدون رغبتها .

وللكيوكويو محرماتهم كما لهم تقاليدهم ، فمن المحرمات سفاح ذوى القربى الذى يعتبر من أبشع الجرائم عندهم ، ومنها الشذوذ الجنسى حتى يكاد ذلك يكون غير معروف ، ومن التقاليد المرعية وسائلهم فى ختان الاناث ، فهى منتشرة بينهم بلا استثناء ، وقد كتب زعيمهم كينياتا فى كتابه « مواجهة جبل كينيا » عن هذا التقليد ، فدافع عنه فى عبارات بليغة ، وهو يشرح حفل الختان العام ، فى حين أن ذلك كان موضع نقد المبشرين مما ترك أثره السيىء فى نفوسهم عن الكيوكويو .

ومن مميزات هذا المجتمع ، قدرته على اكتساب وامتصاص التقاليد والثقافات الأجنبية ، فحين اتصل الغرب بكينيا عن طريق الاستعمار البريطانى ، وانساب رجاله بين هذه القبيلة ، كانت قبيلة **الكيوكويو** أسرع الى اكتساب ثقافتهم فتعلموا الحرف الفنية فى زمن وجيز ، وأصبحوا تجارا مهرة وسواقين ، حتى أنهم يمثلون مجموعة كبرى من عمال السكك الحديدية هناك .

أما من ناحية تنظيمهم الاجتماعى فهم يمتازون بأنهم قوم بلا زعماء مثل **الأيبوس** فى نيجريا الذين يشبهونهم فى الكثير من الأمور ، **والكيوكويو** بجانب ذلك شديدو التأثر بالمبادىء الديمقراطية ، شديدو الايمان بالفردية بحكم بيئتهم ، وبجانب احترامهم لنظمهم الموروثة فان الاستعمار البريطانى يثير القبيلة ـ ولقد شاء الاستعمار البريطانى اثارة هذه القبيلة من حيث لا يدرى لكن الكيان المتماسك **للكيوكويو** استطاع أن يستجيب فى الوقت المناسب ، ويعبر عن طبيعته الى تحدى الاستعمار البريطانى عندما شاء أن يفتت وحدة مجتمعهم ، ويحطم مقومات حياتهم من أجل مصالحه ، وكانت له مواقفه عند كل خطوة يخطوها ، حتى كان أقواها تزعمهم للحركة الثائرة المعروفة **بالماوماو** التى انطلقت ثمرة عدة عوامل رئيسية مثيرة : ـ

ضرب الاستعمار الأوروبى على اقتصادهم الزراعى الحدود ، ثم سمح للبيض بامتلاك الأراضى ، التى تعتبر مصدر حياتهم ، فزاحموهم فى وسائل العيش ، فلما زاد عددهم البالغ ١٫٢٠٠٫٠٠٠ نسمة وضاقت بعيشهم الأرض الزراعية أخذوا يضربون فى الأرض سعيا وراء الرزق ، والحقد يملأ نفوسهم ، من اغتصاب البيض لمقومات حياتهم ، فهاجروا فى الأماكن المجاورة لأرض القبيلة ، ثم ذهب فريق منهم الى **نيروبى** العاصمة ، وبين أحياء العمال فيها ، أخذوا يواجهون حياة تعسة ، ولم يجد الفريق الثانى بدا من العمل كأجراء فى مزارع البيض ، وقد قبل هؤلاء فى كرامة جريحة أن يعملوا اجراء تحت نظام واضعى اليد وعبيدا للمستعمر الذى رحب بهم أينما حلوا ، اذ وجد فيهم أداة تنعش الزراعة ، وتنمى رأس المال ، فعاشوا يفلحون الأرض ويزرعون للمستعمر نباته ، ولكنهم يغرسون فى قلوبهم الحقد والكراهية له

كل يوم ، وزاد الضغينة حدة أن المزارعين البيض كانوا فى أكثر المناطق ازدحاما بالسكان ، فى أغلبهم من جنوب افريقية الذين يحاولون محاكاة الدكتور **مالان** ضد الزنوج ، وقد زاد المظالم شدة فى نفوسهم حاجز اللون والتفرقة العنصرية .

وانتشرت المسيحية بينهم . فانتشرت فى مذاهب عدة . ولكنها كثيرا ما كانت قشرة بالغة الرقة ، فلما ناقضت تقاليدهم سرعان ما قاوموا مدارس الارساليات المسيحية ، لاستيائهم من تعرضها لتقاليدهم فى ختان البنات ، فأنشأوا لهم مدارس مستقلة للعناية بشئونهم ، وحينما اقتضى الأمر توفير المدرسين ، أنشئت كلية للمعلمين وأصبح **جوموكينياتا** فيما بعد الموجه لنشاطها ، وقد أصبحت هذه المدارس ، منبعا للوثنية الكيوكويوية ، ومركزا لزعامة الثورة .

التهيؤ للثورة : كل هذا وذاك كان من العوامل التى أثارت مشاعرهم من المستعمر البريطانى ، وقد وجدوا من أنفسهم بحكم تكوينهم الأنثروبولوجى استعدادا للثورة — وكان لنظامهم الاجتماعى ، الخاص أثره فى انتشار مبادئهم فى سرية عجيبة ، فهو لا يرتكز الى سلطة مباشرة أو قيادة مدرجة ، بل على نظام قرص العسل النحل ، المبنى على جماعات السن المماثلة ، وكان لهذه اللامركزية ، وتنظيم الخلايا بينهم بيئة عرفت كيف تتعهد مبادىء **الماو ماو** على الاستعمار البريطانى بالنماء والانتشار ، والوثوب فى وجهه فى الوقت المناسب .

ولقد كان لتقديسهم لتقاليدهم وعاداتهم المنفذ الرئيسى الذى هبطت منه الى نفوسهم روح الثورة ، وكان تقديسهم **للقسم** أداة مكنتهم من التعبير عن مكامن قلقهم ، والسعى الى علاجها فى قوة وحماسة .

وأخذت موجة القلق تنتشر فتستشرى بين **الكيوكويو** بزيادة حركة الاستيطان الأبيض تارة ، وتفشى أساليب الاستعمار البغيض ، وحملات هذه القبيلة فى وجهه للابقاء على تماسكها تارة أخرى ، فنشرت فيها موجات الثقافة الاوروبية وتكونت فى القبيلة طبقة جديدة تدعو للوطنية والحرية ، فمهدت لهذه الجماهير ، زعامة جديدة ، وأسبابا جديدة لاثارتهم ، ورسمت لهم طرق الخلاص للقضاء على هذا الاستعمار ، ثم انطلقت أسباب القلق الروحى من عقالها فى ميادين العنصرية والدين والاقتصاد جميعا .

وكان **جوموكينياتا** نموذجا يرمز الى **الكيوكويوى** المثقف ثقافة غربية ، ولكن أفكاره كانت تمتد عبر حدود بلاده الى تحرير أفريقية .

لقد نشأ يتيما واشتغل خادما ثم نجارا ، ثم مفتشا لشبكة مياه **نيروبى** ، ثم انضم للجمعية المركزية للكيوكويو سنة ١٩٢٢ ، وما لبث أن أصبح زعيمها ثم أصدر سنة ١٩٢٨ جريدة بلغة **الكيوكويو** فى **نيروبى** ، ولما سافر الى أوروبا سنة ١٢٩٩ عاد الى وطنه بعد ١٧ سنة فتزعم حركة المقاومة ، التى كانت أصولها تنبعث من موجة القلق العام المنتشر اذ ذاك .

وكان **للكيوكويو** منظماتهم المركزية

التي تستهدف استرجاع المناطق المفقودة في النجود البيضاء ، وكان **جوموكينياتا** سكرتيرها العام ، ولموقف المنظمات العدائي من البيض عطلتها الحكومة ابان الحرب الثانية ، ولكنها ظهرت ثانيا في صورة اتحاد افريقي سنة ١٩٤٤ ، وقد ضمت اليها هذه المرة بجانب **الكيوكويو** أعضاء من القبائل الأخرى وقد تولى رياستها **جوموكينياتا** الزعيم الجديد .

وقد حمل **الكيوكويو** عبء هذه الحركة المعروفة **بالماو ماو** حتى بلغت نسبة من تأثر منهم بمبادئها ٩٠٪ وأصبح **جوموكينياتا** منذ سنة ١٩٤٦ الزعيم المسيطر ، فكان له نفوذه على جمعية المدارس المستقلة والاتحاد الافريقي ، وكان مركز نفوذه في كلية المعلمين قوى الشخصية يبذ سائر الزعماء بين القبيلة ، وقد أخذ نفوذه في الانتشار كالسحر بين أفرادها .

وكان من السهل الوقوف على هذه الحركة ، وهي تتهيأ للانطلاق ، ولكن رغم الشواهد الدالة على وجودها لم يهتم أحد من البريطانيين بها ، ولم يكن حدوث اضطرابات في صيف عام ١٩٥٢ أمرا محتملا بل لقد ذهب حاكم كينيا اذ ذاك الى حد الاعتقاد بأن التقارير التي تشير الى أن شرق أفريقية يغلى بالقلق . محض هراء ، ولا تفسير لها ! وكان طبيعيا أن لا يعرف البريطانيون حقيقة الموقف عندما انفجرت الثورة ، بعد أن أنهى هذا الحاكم مدة حكمه ، في معرفة سرها لأنهم كانوا يجهلون طبيعة تنظيم **الكيوكويو** الاجتماعي أولا ، وانما حاروا لأن البريطانيين تعمدوا اهمال شأن هذه القبيلة ، بل كان الكثير منهم يأبون مواجهة حقيقة اتجاهاتهم الاستعمارية التي أدت الى اندلاع هذه الثورة ، وعدم محاولتهم دراسة شئون هذه القبيلة الأبية ، فقيل بين أوساطهم عندما ثارت ان ثورتها لا تمثل الا عودتها الى الحالة الوحشية الحيوانية ! ! ولما أخذتهم نيرانها بدأوا في النهاية يهتمون بالأمر وعندئذ كلفت بريطانيا أحد العلماء الأنثربولوجيين بدراستها ، كما كلفت الطبيب الدكتور كاروزارد بدراسة حالتها النفسية ، للكشف عن بواطن أمورها ، فقرر أن الاضطراب السيكولوجي الذي أصابها في السنوات الأخيرة هو الذي مكن القلق منها ، ودفعها الى السعي لأن تطمئن على كيانها ، وقد نسى هذا الطبيب أن يقرر أن من أسباب هذه الحركة بجانب ذلك كان دافع الوطنية والحرية السياسية ، التي أخذت تنشرها الطبقة المثقفة ، حتى مكنتهم من التعبير عن هذا القلق في صورة هذه الثورة التي أقضت مضجع الاستعمار البريطاني في كينيا مدة طويلة ، وانطلقت الثورة ، ولمست بريطانيا خطورة الموقف ، وخشيت امتداد الثورة من هذه القبيلة لسائر القبائل ، فجدت في القضاء عليها ، فأرسلت الى **كينيا أرسكن** جزار معارك **القنال** في مصر ، فاستعمل الطرق الوحشية في القضاء على الثوار ، ثم اعتقلت **جوموكينياتا** زعيم الحركة في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٢ فحاكمته محاكمة انتهت بسجنه سبع سنوات كاملة ، وكان من أساليبها محاولة استغلال تقليد الكيوكويو في القسم

لتفتيت قـــوة الثـــورة ، فكانت تضغـــط على الأهـــالي لحلف اليمين للخروج على **المـــاوماو** ، ولكن كان رد **الكيوكويو** على هؤلاء قاسيا ، اذ كانت المذابح القاسية جزاء لكل من يحاول الانضمام الى جانب البريطانيين .

ولقد عانت قبيلة **الكيوكويو** العناء الأكبر فى زعامتها لمقاومة الاســـتعمار البريطانى ، وخشيت بريطانيا انتشار الحركة الى خارج كينيا ، ولكن ، كان من حسن حـــظ البريطانـــيين ، أن أغلب القبائل فى **كينيـــا** من **الماســـاى** وكانت تكره الكيوكويو لسيطرتها على الحركة ، ولكن رغم ذلك فقد نجـــح **الكيوكويو** فى اخراج الحركة عن نطاق **كينيا** الى **تنجانيقا** ، فأحـــدثت بهـــا قلاقل جمة .

وظل الصراع يحتدم بين الطرفين ؛ واهتزت بريطانيا أمام صمود هـــذه القبيلة ، ولكنها استطاعت بوسائلها الغاشمة أن تخمد أنفاس هذه القبيلة الشديدة الاعتزاز بنفسها ، ولكن هل عالجت بريطانيا بهذا الداء من جذوره؟.

ان الداء لا يزال دفينا فى **كينيـــا** والقبيلة لن تستطيع أن تنسى جراحها ، وهى بهذا تتهيأ لأن ترد على تحدى الاستعمار البريطانى بشدة . فى حينه ، فلن تستطيع **كينيا** أن تقف جامدة ، ولها فى **الكيوكويو** أسوة طيبة ، وركب التحرير الافريقى يمضى فى سبيله قدما فى كل مكان حتى تثب فى وجهه مرة أخرى وفى صورة أقوى ، تحقق فى ظلها الآمال وتبنى صرح كيانها قائما على مبادىء الحرية بالعزة والكرامة .

كفاح جومو كينياتا

للأستاذ محمود دكسيه

في هـــذا اليوم المشهود وفي هذا الاجتماع التاريخي الذي حـــوى أبناء القارتين الحبيبتين آسيا وأفريقية ، أولئك الاحرار الذين تحابوا من أجل المبادىء الانسانية ، ومن أجل التعايش السلمى ، وليقدروا مصيرهم بأنفسهم من وحيهم الخاص لا ما يملى عليهم من قبل الدول الاستعمارية .

وفي هذا الصعيد الطاهر ومن قلب الام الرؤوم ، مأوى الاحرار الذين أراد المستعمرون أن يشردوهم من أوطانهم العزيزة حتى يثنوهم عن عزمهم ، ومن قلب الشعوب الافريقية النابضة من القاهرة .

أتقدم لاعبر لـــكم لا باسم اخوانى الطلبـــة الصوماليين في الجمهورية العربية المتحـــدة ، فحسب بل باسم الشعب الصومالى كله .. اننا نعارض بشدة السياسة الارهابية في كينيا ، والاحكام التعسفية التى تبيح انجلترا لنفسها تطبيقها في أرضـــنا العزيزة أفريقية ، تلك الاحكام الانتقامية تجاه الزعيم الوطني الغيور **جـومو كينياتا** ذلك البطل المجاهد الذى واجه انجلترا الاستعمارية بكل جيوشها وأساطيلها بقلب يملؤه ايمانه الراسخ بحرية بلده **كينيا** وكل بلد أفــريقى لا يزال يئن تحت براثن الغاصب الاثيم حتى كاد يظفر بأمنيتـــه ــ التى هى أمل كل افريقى وأسيوى ــ لولا غدر المستعمرين الذين حاولوا اخماد الشعلة التى أوقدها الزعيم **جومو كينياتا** .. بتعذيبه وحبسه سبع سنوات ثم نفيه الى بلدة جدباء ، لا لشىء بل ليخيفوا المجاهدين ويحبسوهم فى عقر ديارهم ، ولكن أنى لبريطانيا المتعاظمة هـــذا ! وقد ولى عهدها الاستبدادى ، وأفل نجمهـــا الاستعمارى ، ونفض العملاق الافريقى عن نفســـه غبار السبات ، فاندلعت الثورات فى كل جزء من القـــارة التى ضربوا عليهـــا ســـياج الاستعمار ، وعزلوها عن ركب قافلة الحضارة حقبة من الزمن فتحررت مصر ، وكانت فاتحـــة عهد جديد تحت لواء بطلها الافريقى ورائدها وقائدها المظفـــر ، والمهدى المنتظر ، الســـيد الرئيس **جمال عبد الناصر** .

وهـــذا **جومو كينياتا** موقد ثورة **كينيا** التى توالت بعدها ثورات الشعوب الافريقية الواحدة بعد الأخرى ، ولن يهـــدأ لنـــا بال الا اذا أفـــرج عنه ، وخرج هو وزملاؤه من أعماق الســـجون ، ونالت جميـــع القـــارة الافريقية حقهـــا الكامل فى الحيـــاة والحرية .

ونحن هنا وقد اجتمعنا فى هذا الجمع الغفير انما نعلن ونؤكد فنقول للساسة الاستعماريين فى **كينيا** : لقد آن الاوان لكى تتراجعوا عن غيكم هذا وانهم فى محاولتهم الدنيئة تعذيب زعيمنا وبطلنا المناضل **جومو كينياتا** انما يزيدون ثورتنا أوارا ، وعزمنا مضاء وقوة ، حتى ننال ما نصبوا اليه من مجد وسؤدد .

فان حاولوا تعذيب **جومو** البطل ، فليعلموا أن كل فرد فينا **جومو** ..

وان تعرض الزعيم الكبير **جومو** للويلات والعذاب الاليم فالشعب الصومالى كله يشاركه فى هذا العذاب حيث يعانى ويقاسى أمر العذاب فى الحدود المتاخمة لكينيا ، وفى محمية الصومال ، من المستعمر الغاشم نفسه. أضيف الى ذلك ما تفعله الدول الاستعمارية الاخرى ، فهناك فرنسا الباغية تعذب الأحرار وتفتك بالمواطنين الصوماليين ، وهناك دولة استعمارية أخرى تدعى أنها تنتمى الى الكتلة الافريقية الآسيوية تحاول جاهدة ما وسعها الجهد محو القومية الصومالية ، وقد اغتصبت بعض أراضينا ، ولكن هيهات أن يتم لها ما تريده ! .

فليسقط الاستعمار البريطانى فى كينيا .. وفى الصومال .. وفى **نياسالاند** وفى كل شبر من القارتين الافريقية والآسيوية ..

والى الآمام ... **يا جومو** فى كفاحك المقدس ... ونحن وراءك ووراء كل زعيم مخلص يناضل من أجل قضيتنا .. قضية أفريقية كلها ، ومن أجل حقنا فى تقرير مصيرنا بأنفسنا ..

عاش كفاح الزعيم الافريقى **جومو** .

عاش نضال الشعوب من أجل الحرية .

والله أكبر ...

والنصر لافريقية ...

جوموكينياتا

« يولد الشخص مرة واحدة » ولقد ولد ((**جومو كينياتا**)) لا كما يولد أى طفل أفريقى مرة واحدة لن تتكرر ، فقد اكتسب فى شبابه معرفة واسعة بشئون بلده ، كان يتلقاها من الكبار فى صغره ، ثم تعود أن يرويها فيما بعد للصغار من أبناء وطنه على سبيل التسلية فى أمسيات الليالى ، وكان والده رجلا مزواجا ، كما كان جده كذلك من قبله ، فوجد ((**جومو كينياتا**)) نفسه وسط عشيرة كبيرة ذات درجات مختلفة من القرابة . وكان عليه ، لكى يحـــافظ على عادات بلاده وتقاليدها كأى طفل افريقى أن يجتاز عدة مراحل من الدربة والتجـديد ، وأن يعاون أقرباءه الذين اختاروه زعيما لهم .

كان « جومو كينيـــاتا » قبل ان يتلقى أى نوع من التعليم ـ يتمتع بثقافة حديثة شاملة عن افريقية ، ثقافة لا تدون الحقائق فيهـا بقلم ، ولا تسجل على الورق ، وانما تعتمد على الذاكرة القوية ، التى تؤدى وظيفة المكتبة .

ولقد تحدث « جومو كينياتا » فى كتابه ((**وقفة أمام جبل كينيا**)) عن هــذه الظاهرة فقال : ((**ان الافريقى يعرف دائما ـ دون حاجة الى مفكرة يسجل فيها أحداثه ـ كيف يستطيع أن يحتفظ فى ذهنــه بالخواطر ، ويستذكرها حينما تدعو الحاجة اليها فقد كان فى حياته الكثير مما يحتاج الى حفظه فى ذاكرته ، وكانت لديه الطريقة الواضحة السهلة التى يروى بها قصصه وأحداث ماضيه ، وكانت تعقد المباريات المختلفـــة للشبان ، لمعرفة مدى قدراتهم على الحفظ برواية القصص والحوادث التى سمعوها من قبل ، يؤدونها بالغناء أو بالرقص ، وكانت هيئة القضاة التى تحكم على المشتركين فى هذه المباريات وتصحح أخطـاءهم مكونة من الجماهير وآباء الطلبة**)) .

« وجومو كينياتا » ينتمى الى قبيلة ((**الكيكيو**)) ، وقد ولد منذ ٥٩ سنة أو ٦٦ تقريبا فى مقاطعة « كيامبو » فى الاقليم المتوسط من كينيا .

ثم التحق فى سن العاشرة تقريبا باحـدى الارساليات التابعة للكنيسة الاسكتلندية فى « فوت هول » ، وكان اليتيم « كاموا نجينجى » وهو الاسم الاصلى لجومو كينياتا ، والذى أجريت له عملية تعميد تحت اسم «جونستون» صبيا يعمل فى مطبخ أحـد أطبـاء الارسالية ، وكان هذا الطبيب يدلل « كينياتا » باسم « جون كينامان » وذلك لما يتمتع به « كينيـاتا » من نظرات نفاذة ، ثم اشتغل بعد ذلك فى حانوت نجارة تابع للارسالية . وتقدم السن بجومو كينيـــاتا ، فحصل على وظيفة فى شركة المياه فى « نيروبى » مسجلا لارقام العدادات ، وفى هذه الاثناء تعرف « جومو كينياتا » بأسرة انجليزية ، أدركت مدى ما يتمتع به هذا الشاب الافريقى من ذكاء وألمعية فأمدته بالكتب وساعدته على دراساته

فى ارسالية الكنيسة الاسكتلندية .

جومو فى طليعة المكافحين : ـ

وفى عام ١٩٢٢ تأسست جمعيـــة « الكيكيو المركزية » وهى أول منظمة سياسية افريقية قوية . وعين « جومو كينياتا » سكرتيرا عاما لها . وكانت تهــدف الى استرجاع الاراضى التى سلبت من الافريقيين ، فى ظل القانون الذى صدر عام ١٩٢١ الذى يقضى بأن يـــكون الافريقيون أجراء ، ويسمح للبيض فقط بأن يكونوا أصحاب هذه الارض المؤجرة . ثم اضطهدت الحكومة الاستعمارية ـ فيما بعد ـ هذه الجمعية وعملت على الغائها .

وفى عام ١٩٢٨ أسس « جومو كينياتا » أول جريدة افريقية اسمها **((مورجونياتيا))** وظل يحررها بنفسه حتى عام ١٩٣٠ .

وفى عام ١٩٢٨ اختير « جـــومو كينياتا » متحدثا رسميا باسم جمعية « الكيكيو المركزية » عندما عرضت الجمعية قضيتها أمام لجنة « هيلتون ياتج » .

وعندما عرض تقرير هذه اللجنة للمناقشـــة أمام البرلمان البريطانى ، ذهب « جومو كينياتا » عام ١٩٢٩ مندوبا عن الجمعية ، لكى يقدم وجهة نظر الافريقيين فيما يتعلق بموضوع الاراضى وغيره من المسائل الاخرى الى وزير الدولة لشئون المستعمرات حتى عام ١٩٣١ ثم عاد « كينياتا » فى العام نفسه الى لندن متحدثا باسم الافريقيين أمام اللجنة المشتركة ، ثم أوفد مرة أخرى لكى يوضح ويناقش أمام لجنة « موريس كارتر » التى كانت تبحث مشـــكلة أراضى كينيــا عام ١٩٣٢ والتقرير الذى ظهــر عام ١٩٣٤ ، وقد درس « جومو كينيـــاتا » هذا التقرير ، وأســهم فى المناقشـــات والمنازعات المختلفة التى دارت حوله ومن بينها مسألة نقل شعب «الكيكيو» من مناطقهم الموروثة فى « تيجونى » فى الاقليم المتوسط عن كينيا وهكذا ظل « جومو كينياتا » من ١٩٣١ حتى ١٩٤٦ بعيدا عن وطنه ، وخلال هذه الفترة كان يدرس فى مدرســة لندن للاقتصاد ، ثم فى جامعة موسكو .

ووضع فى عام ١٩٣٨ كتابه المشهور عن التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية تحت عنوان **((وقفة أمام جبل كينيا))** وكتب له أســتاذه **((برونشـــلاف مالينوسكى))** مقدمة هذا الكتاب .

وقد زار جـــومو كينيـــاتا خلال السنوات التى قضاها فى لندن ـ كثيرا من مناطق أوروبا ، والتقى **((ببول روبسون))** المغنى الزنجى المشهور فتعلم من «كينياتا» بعض الاغانى الافريقية التى رددها فى فيلم **((مراكب النهر))** وقام أيضا بتعليم لغة « الكيكيو » فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، وفى أثناء الحرب اشتغل مع عمال الزراعة

وفى عام ١٩٤٥ تولى « كينياتا » باعتباره رئيسا للاتحاد الافريقى العام رياســة المؤتمر الذى انعقــد فى « مانشستر » واستمر أسبوعين ، وكان هـــذا الاتحاد يهدف الى توطيد الصـــلات بين كل الهيئات الافريقية السياسية فى جميع أنحاء العالم . ولقد حضر المؤتمر مندوبون من افريقيـــة والهند الغربيـــة والولايات المتحدة الامريكيـــة . وكان دكتور **((كوامى نكروما))** هو السكرتير العـــام لهذا المؤتمر .

جومو يغير اسمه :

وغير جـــومو كينيـــاتا اسمه من « جونســـتون كامو وانجينجى » الى « جومو » ومعناها «الحرية المشتعلة» أما كلمة كينياتا فقد اشتقت من كلمة « كيكيوية » ويمكن ترجمتهـــــا « بمضـــمد الجروح » ، على أن الاسم

المختصر الذى ظل ينادى به هو كينياتا، وذلك لانه يحب دائمـا أن يلبس الاحزمة المزركشة بالخرز .

كينياتا يعود الى وطنه :

وفى عام ١٩٤٦ عاد «جومو كينياتا» الى وطنه الحبيب « كينيا » بعد أن قضى سبعة عشر عاما بعيدا عنها . ثم انتخب فى العـام التـالى ، أى فى عام ١٩٤٧ رئيسـا للاتحاد الكينى الافريقى ، وأصبح هذا الاتحاد تحت قيادة المنقذ الافريقى « جومو كينياتا » قوة سياسية جبارة ، تتحدى قوانين التفـرقة العنصرية التى يضـعها المستوطنون البيض .

ولقد كانت المساعدات التى تقدمها الحكومة فى مجال التعليم تافهة للغاية فأراد « جومو » ومعـه جماعة من الزعماء الافريقيين أن يحققوا نهضة علميـة حقيقية فأنشـأوا مدارس افريقية ، أطلقوا عليها اسم **« المدارس المستقلة »** تعتمد على التبرعات التى تجمع تحت رعاية « جمعية الكيكيو » للمدارس المستقلة وجمعية **« الكيكيو كارينجو التعليمية »** . وكانت هـذه المدارس تضم كلية المعلمين الافريقية ، وهى الكلية التى كانت تعد المدرسين الافريقيين للعمل فى المدارس المستقلة وقد أنشأ هذه الكلية التى تعتبر الاولى من نوعها فى منطقـة شرق افريقية الزعيم **« ميبيو كارينجو »** .

ووصل عدد المدارس المستقلة بها الى ما يقرب من ٢٦٠ مدرسة ، التحق بها أكثر من ٧٠٫٠٠٠ تلميذ .

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٢ ، وبعد ستة أسابيع من اعلان حالة الطوارىء القائمـة الآن أصـدرت الحكومة الاستعمارية أمرها باغلاق كل هـذه المدارس الافريقيـة ، بحجة أن فى وجودها خطرا على حكومة المستعمرة « الصالحة » ومما يؤسف له حقا ، أن هذه الحكومة الصالحة لم تكن الا حـكومة استعمارية تثير الرعب فى كينيا .

ونتيجـة لتنفيذ أمر الحـكومة الصالحة ، اغلاق هـذه المدارس حرم أكثر من ٧٠٫٠٠٠ تلميذ من حقهم فى التعليم ، كما قامت الحكومة بهدم بناء بعض هذه المدارس ، وحولت بعضها الآخر مكانا لشنق الوطنيين ، أو محاكم تصدر فيها الاحكام باعدام الافريقيين

الاتحاد الافريقى الكينى : —

كان هذا الاتحاد بمثابة جبهة متحدة تضم الافريقيين الوطنيين جميعا ، دون اعتبار للحيثيات القبلية أو الدينية أو الطائفية .

وفى اليوم الاول من شهر يونيو عام ١٩٤٧ عقد هذا الاتحاد أول مؤتمر له تحت رياسـة « جومو كينياتا » ووافق الاعضاء على اتخاذ دستور ، ووضع برنامج للاصـلاح الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، عرض فيما بعد على الحكومة الاستعمارية فى كينيا ولم يأت عام ١٩٥٠ حتى كان هـذا الاتحـاد الافريقى يضم أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ عضو ، وامتدت شـبكة فروعه الى كل مكان فى كينيا .

وظل هذا الاتحاد يقوى يوما بعد يوم ، وكانت مقاومته المشروعة تخلق الرعب والخوف فى قلوب المستوطنين البيض ، الذين أخذوا يرسمون الخطط للقضاء على جومو كينياتا ، وابعاده هو وزعماء الاتحاد الكينى . وقام « جومو كينياتا » ومعـه قادة الاتحاد بحملة جمعوا فيها أكثر من مليون توقيع على التماس رفعوه الى البرلمان البريطانى .

ثم بعث الاتحاد فى شهر نوفمبر من عام ١٩٤٧ باثنين من المنـدوبين يمثلان الاتحاد ، وهمـا « اتشيانج أونيكو » السكرتير العام — ، و «ميبيو كويتارجى » العضـو التنفيذى ، الى

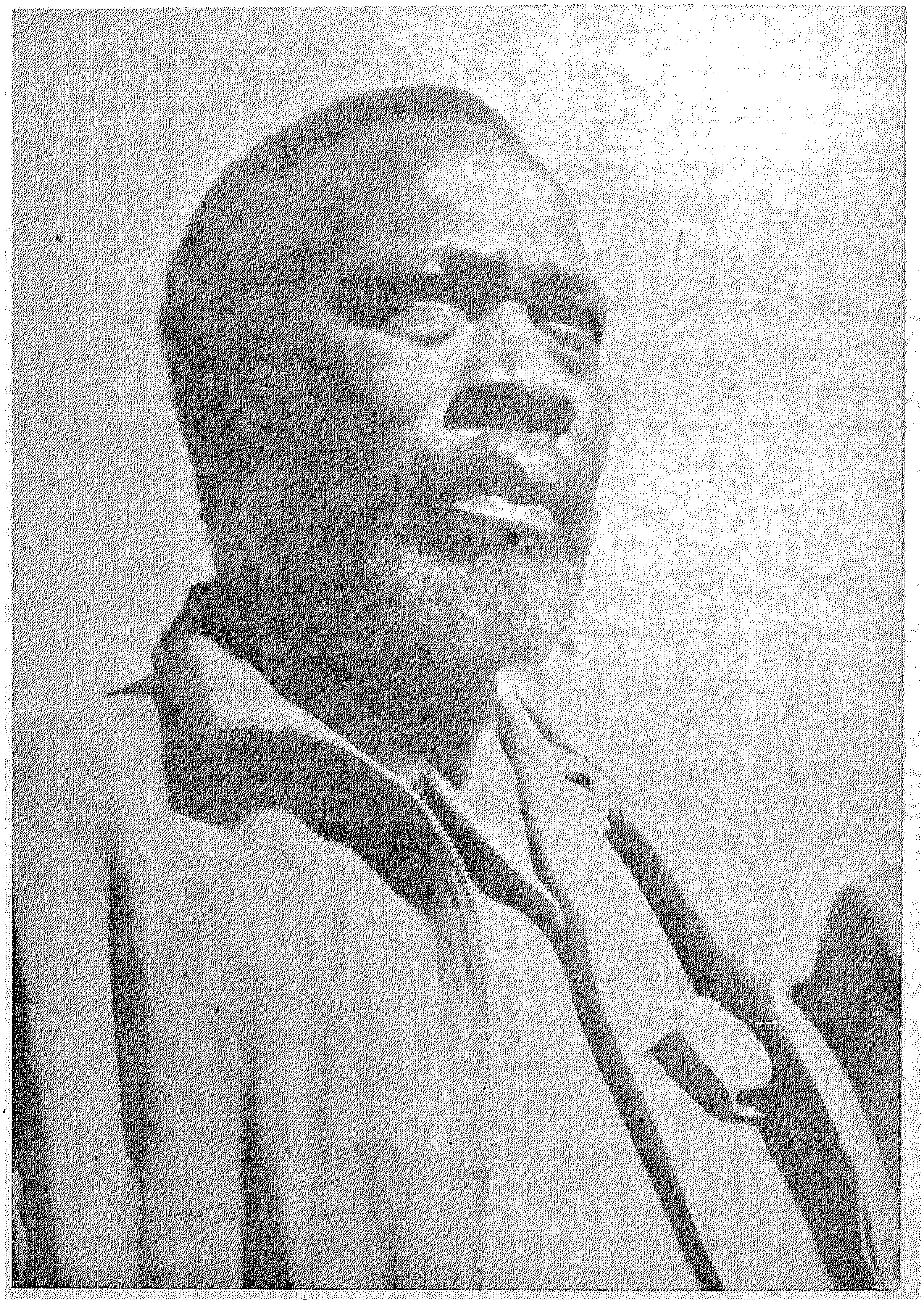

الزعيم جوموكنياتا

انجلترا لرفع هذا الالتماس الى وزير الدولة لشئون المستعمرات ، يومئذ مستر أوليفر ليتلتون ، الذى رفض مقابلتهما وعندما خاب ظنهما فى لندن اتجها الى باريس لكى يضعا قضية كينيا أمام المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الامم المتحدة ، وكان مقره يومئذاك فى باريس .

وبعد ذلك عاد عضوا الوفد الكينى مرة ثانية الى انجلترا حيث ألقيا على الجماهير البريطانية ـ بمساعدة مؤتمر الشعوب المعادية للاستعمار الذى كان رئيسه يومئذ فى جميع أنحاء بريطانيا شرحا فيها قضية كينيا ، وأضافا مزيدا من التوقيعات على هذا الالتماس لرفعه الى مجلس العموم .

مؤامرات البيض :

ثم عاد « أونيكو » الى كينيا ليكتب تقريرا عن مهمته التى قام بها ، بينما ظل « كويتانجى » فى لندن ليعمل على تحقيق أهداف الاتحاد الكينى ، ويظهر الرأى العام البريطانى على قضية بلاده باسم الاتحاد .

وعندما علم المستوطنون البيض فى كينيا بأن هذا الالتماس قد لاقى تأييدا واسعا فى لندن . وكسب عطف الرأى العام البريطانى عليه ، أخذوا يضغطون على الحاكم العام لكى يوقف نشاط هذا الاتحاد ، ويقبض على « جومو كينياتا » وغيره من زعماء الاتحاد .

وهكذا بدأت المؤامرة ، وبدأت حملة العداء السافرة ، وحركة الاستفزاز ضد كينياتا وضد الاتحاد الكينى . ووجد الحاكم العام صعوبة فى العثور على سبب معقول ، يبرر به الغاء هذا الاتحاد ، فدبر مسألة اطلاق النار والقتل تحت ستار حالة الطوارىء .

ان جومو كينياتا ـ كزعيم افريقى ـ قد أنقذ شعبه من كثير من الاساليب الوحشية ، التى تتنافى مع حقوق الانسان ، وبصرف النظر عن جهوده المتواصلة التى قام بها لكى يعيد الاراضى الى أصحابها الافريقيين ، فانه قد نجح فعلا فى الغاء نظام **«الكيباندى»** أى التسجيل الشخصى الذى كان سبة وعارا فى جبين أبناء « كينيا »

ثم بدأ المستوطنون البيض يدبرون المؤامرات ضد الاتحاد الكينى بشكل قاسى رهيب . ويطالبون بالقبض على « جومو كينياتا » . كما طالبت « اتحاد المنتخبين » وهو المنظمة السياسية للمنتخبين بالقضاء على « جومو كينياتا » وكل زعماء الاتحاد الكينى ، وبعثوا بخطاب الى الحاكم العام فى السابع من أغسطس عام ١٩٥٢ وقعه « كيندال ويزرد » وأصبح الضغط من جانب المستوطنين من القوة . بحيث استدعت الحكومة البريطانية أعضاء لجنة الشئون الافريقية ، والنائب العام ، ومندوب المستوطنين البيض ، وغيرهم للتشاور مع وزير المستعمرات فى وقف نشاط الاتحاد الكينى ، والقاء القبض على زعمائه .

وفى العشرين من أكتوبر عام ١٩٥٢ أعلن الحاكم العام حالة الطوارىء فى كينيا . ثم ألقى القبض على **« جومو كينياتا »** صباح يوم ٢١ من أكتوبر ، وأخذ فى طائرة تحت الحراسة الشديدة الى احدى المقاطعات الواقعة على الحدود الشمالية .

وقد بعثت الحكومة البريطانية بعدد كبير من جنودها لتعزيز الأمن فى كينيا خوفا من حدوث اضطرابات . ولا تزال كينيا تغلى ، ولن تهدأ ثائرتها حتى ترد اليها حريتها ، وزعيمها **« جومو كينياتا »** .

ثورة افريقية

بقلم توم مبويا

هنالك ، ثورة قائمة الآن فى افريقية وهى تبدو فى بعض المناطق سياسية ممثلة فى حركات الوطنيين بهـــا ، ولكنها فى الواقع ثورة اقتصـــادية جديدة فى أنحاء أفريقية . وتختلف الثورات فى مكانها ومضمونها وشكلها ، باختلاف البلد الذى تحدث فيه . ولكن أحدا لن يخطىء القول حين يقول ان افريقيه تسير بخطى سريعة نحو التغير من الاقتصاد البدائى غير الصناعى الى اقتصاديات المال والتسويق .

وقد حـــدث النمو الاقتصادى فى افريقية من خـــلال اتصالها بالخارج وخاصـــة بأوروبا الغربية . وقد رأى الرواد الاوروبيون الاوائل فى أفريقية امكانياتها الاقتصـــادية الـــكبيرة ، وبخاصة بعد اكتشاف المعادن الثمينة فى أنحاء مختلفـــة منها . ولم يقتصر الاوروبيون على التجـــارة وحـــدها ، ولكنهم حاولوا السيطرة على افريقية سيطرة تامة مستمرة . وأدى ذلك الى تقسيم أفريقية ، وايجاد نظم تقوم على الاستغلال ، ونشاط اقتصادى يهدف الى خدمة الاقتصاد فى الامبراطوريات الكبرى ، وتغذيتها فحسب ، متجاهلين ضرورة التطور من وجهـــة النظـــر الافريقية ، ومصالح شعب افريقية .

ومهما حصل عليه الافريقيون فقد كان أمرا عارضا بالنسبة لاغراض الدول الاستعمارية فى افريقيـــة من المنافع الاقتصادية .

ومن أجـــل دعم سياســـة الدول الاســـتعمارية ، وتأكيد ســـيطرتها السياسية شجعت هذه الدول خلق المستعمرات . وبخاصـــة فى الجهات التى يكون مناخ أرضها مشجعا على ذلك ، أو تكتشف المعـــادن فيهـــا بكميات وفيرة .

وعلى الرغم من أثر وجـــودهم فى تنميـــة الاقتصـــاد الافريقى ، فان الاستعمار كان ولا شـــك أكبر عائق لتقدم الشعوب الافريقية نفسها . ففى ظل الحكم الاستعمارى لم ينل التعليم الا القليل جدا من انتباه المستعمرين ، وكذلك الصـــحة والتـــدريب الفنى والتطور العام فى المجتمع الافريقى . كما تجاهل المستعمرون الافريقيين ، واعتبروا افريقيـــة سوقا لاستهلاك البضائع الاوروبية ، لقد كان تقسيم أفريقيـــة واستخدام كل بلد كمصدر للمواد الخام للدول الاســـتعمارية الكبرى ، مما جعل من المستحيل أن نخطط لتطور الاقتصاد الافريقى على مدى واسع يشمل القارة ، أو حتى على أسس اقليمية .

وكلما كان اقتصاد بلدين أفريقيين متكاملا ، فان من الطبيعى أن يكون نموهما متحدين أسرع بكثيرمن نموهما منفردين ، كما سيكون أكثر فاعلية فى المنافسة فى السوق العالمية والميادين الاقتصادية الاخرى المتنوعة ، فى حين أننا نجد الدول الاستعمارية تعامل كل بلد على حـدة ، وفى عزلة عن البلد الآخر .

وفى أعقاب الحرب شهد العالم انبعـاث دول جـديدة تحررت من الاستعمار الى الاسـتقلال . فبعـد استقلال الهند حدثت يقظة مفاجئة فى آسيا وافريقية ، وبدأ كثير من الشعوب يطالب بالتحرر من النظام الاستعمارى وكلما ازداد الضـغط ونالت بعض المستعمرات حريتهـا كلما تغـيرت السياسة الاستعمارية . وكان نفوذ الامم المتحدة وقلق بقية العالم على الشعوب المتخلفة ، مما ساعد على حدوث هذا التغير فى السياسـة الاستعمارية . ونتيجة لذلك نجد خطط التنمية تدخل مختلف البلدان اليوم ، وتبذل الجهود فى قلب الدول الاستعمارية لتخصيص مبالغ من المال لتنمية مستعمراتها .

وقد أنشىء صـندوق تنميـة المستعمرات وهيئـة المستعمرات فى بريطانيـا ، كما أنشىء صـندوق الاسـتثمار للتنميـة الاقتصـادية والاجتماعيـة Fides فى فرنسا ، ومشروع السـنوات العشر للـكنغو البلجيكى لزيادة التنمية الاقتصادية فى البلاد الافريقيـة . وقد تبع هذا التغير كذلك زيادة فى اشتراك الشعب الافريقى أشتراكا مباشرا فيها ، وخلق مشروعات تربوية وتدريبية للافريقيين كما وجدت هيئات مثل لجنة التعاون الفنى الافريقية ، بالرغم من أن هناك اعتراضـا على تكوين مكتب اقليمى لمنظمة العمل الدوليـة ، واللجنـة الاقتصادية لهيئة الامم .

ان الاقتصاد الافريقى ما زال يعتمد على رءوس الاموال والمهارة الاجنبية ، كما يعتمد فى أسـواقه على الدول الاستعمارية وما زالت منتجاته تنافس البضائع المشـابهة من البلاد الاكثر والاحسن انتاجا .

وافريقيـة مقسمة من الناحيـة الاقتصادية الى بلاد تعدينيـة وبلاد زراعية . فجنوب افريقية يعتمد على ثروة معدنية كبيرة تحصل على دخل من تصدير الماس والذهب واليورانيوم وفى روديسيا تجد النحاس والكروم ، وفى الكنغو النحاس والماس واليورانيوم وتجذب البلاد التعدينية رءوس الاموال الكبيرة . فالبلاد الثلاثة المذكورة ، التى تضم عددا من السكان يبلغ ٣٣ مليون نسـمة قد استهلكت نصف رءوس الاموال المستغلة فى بقيـة القارة ، البالغ عددها ٢١١ مليون نسمة . ومنذ سنة ١٩٤٧ بلغ رأس المال الكلى المستثمر حوالى ١٠ بليون دولار .

وتعتمد التنمية فى المناطق الزراعية على المحصولات النقـدية مثل البن والشاى والكاكاو والقطن والسيسال وهى تجعل هذه البلاد تشعر بالتغيرات الدقيقة فى أسعار السوق العالمية . فكاكاو غانه يكون ٧٠٪ من صادراتها بينما ٩٠٪ من صادرات كينيا وأوغندا زراعى ، كذلك (القطن فى أوغنـدة والشاى والبن والسيسال فى كينيا) وحـوالى ٧٠٪ من صادرات نيجيريا كذلك وافريقية الغربية (الفرنسية) من الفول السودانى ، وزيت النخيل ، والكاكاو .

وما من شك فى أن افريقية كلها

يقظة اليوم الى حاجتها ، لتغيير اقتصادها والاسراع فى تصنيعها . وتبدو الحاجة الى التنسيق فى محاولة عدد من البلدان فى منطقة واحدة ، وأن يكونوا مشروعات انتاجية متعددة للالمنيوم بدلا من توحيد مصادرهم . والمثل الآخر هو ما يبدو فى اقتراح بناء عدة سدود منفصلة لانتاج الطاقة الكهربائية فى بلاد متجاورة ، حيث يمكن أن يكفى سد واحد حاجة البلدين

وقد نشأ التأكيد على ضرورة التصنيع ضمن الجهود الكبيرة التى تبذل من أجل زيادة القوة الكهربائية والعمل جار الآن فى مشروع كاريبا بروديسيا ، وتمت المرحلة الاولى من مشروع مساقط أوين فى أوغندة لخدمة كينيا معها . وفى أثيوبيا يجرى العمل فى سدكوكا ، كما تمت دراسة مشروع الفولتا فى غانة ، وخزان أسوان فى الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، ومشروع انجا فى الكنغو . كما نذكر أيضا زيادة اهتمام لجان الامم المتحدة المختلفة ، والبنك الدولى .

ويمكن النظر الى اللجنة الاقتصادية التى كونتها الامم المتحدة لافريقية على أنها اعتراف من الجميع بأن افريقية لابد أن تعامل ككل لا كأجزاء منفصلة ولن يؤدى ذلك الى زيادة التنسيق فحسب ، بل انه سيفتح الابواب لمساعدات فنية أكثر ومصادر مختلفة لاستثمار رءوس الاموال .

ان ما يدعم التنمية الاقتصادية هو المحصولات النقدية ، ورءوس الاموال ، والمهارات الفنية ، واكتشاف المعادن وخلق مطالب جديدة . وقد أثر ذلك فى تفشى الامراض فى مختلف المناطق كما تغيرت النظرة الافريقية اجتماعيا وثقافيا . وقد بدت هذه التغيرات كذلك بين العمال الافريقيين فى المناطق المدنية .

وتختلف مساهمة الافريقيين وفائدتهم تبعا لطبيعة النظام الاستعمارى وبخاصة وجود أو غياب المستوطنين البيض فى البلاد . فحيث لا يوجد المستوطنون يكون الافريقيون هم المنتجين الوحيدين للمحصولات النقدية ، كما يشتغلون بالبيع بالتجزئة فى الوقت الذى يقوم فيه على المناجم شركات كبرى لها رءوس أموال ضخمة ولديها مهارات فنية ومعدات مختلفة .

وفى المناطق التى لا يوجد بها هذا الاستيطان الابيض تنتشر وسائل الزراعة الحديثة بسرعة ، وتتسع دائرة وسائل النقل فيزيد التبادل الاقتصادى ، كما يتمتعون باستقرار اجتماعى وتوزيع أفضل للدخل القومى وزيادة فى نصيب العمال من هذا الدخل . ويصبح الادخار ممكنا لان دخل الافريقى يتغير بتغير الدخل القومى ، وتغير الاحتياجات . وتصبح السيطرة الثقافية أقل وطأة ، ويمكن أن يفتح باب العمل الحكومى للافريقيين ويقل التوتر السياسى ويمكن الاعتراف بحق الافريقيين فى الحرب السياسية

والتمثيل على هذا الشكل يمكن أن يوجد فى غانة ونيجيريا وسيراليون وان كان اشتراك الافريقيين فى مشروعات واسعة النطاق ما زال محدودا . ففى غانة مثلا تجد أكبر المشروعات فى يد الاوروبيين أو الشركات الامريكية ، بينما يتجر السوريون بالتجزئة . ولكن النشاط التجارى لن يكون جيدا دون اشتراك أهالى غانة . ويحاولون هناك « أفرقة » الشركات ويمكن أن تجد الافريقيين فى مجالس ادارتها . وتكافح الحكومة فى سبيل تشجيع المشروعات الوطنية من خلال مؤسسة التنمية الاقتصادية وفى كلية كوماسى التطبيقية يتدرب الافريقيون على الاعمال الفنية .

وعلى النقيض من ذلك بلاد شرق ووسط أفريقية التى يبدو فيها أن

الميزان الاقتصادى يميل فى عمد لصالح المستوطنين الاوروبيين . فقد حدث إبعاد الاهالى عن أراضيهم كما أن نمو المحصولات الزراعية النقدية فى كل من كينيا ونياسالاند وروديسيا وتنجانيقا يقع أساسا فى أيدى المستوطنين البيض . ويحتل الافريقى دائما المركز الاقل فى الحياة الاقتصادية للبلاد ،ويقتصر على القيام بالعمل الرخيص فى المناجم التى يملكها الاوروبيون ، وكذا فى الشركات والمزارع والتجارة . ان الافريقى فى كل هذه الاعمال يشتغل أجيرا فى الزراعة

والسيطرة السياسية فى جنوب أفريقية واتحاد وسط افريقية مع السيطرة الاقتصادية فى أيدى البيض والسياسة هناك ما هى الا لتأكيد سيطرة البيض وتأمينهم من أى تمرد افريقى أو منافسة فى أى ميدان .

والعمل الفنى محجوز للاوروبيين ، أما البيع بالتجزئة ففى هبوط ، ودخل الافريقى منخفض ولا يرتفع عن الكفاف والادخار غير موجود بالمرة .

وفى كينيا وأوغندة وتنجانيقا أبشع صور التمييز العنصرى ، وان كانت معتدلة عنها فى اتحاد جنوب أفريقية ، وتبدو تغيرات سياسية تحاول أن تعطى الافريقيين بعض الحرية فى شئونهم السياسية . وهى مناطق زراعية .

وفى أعقاب الحرب بدأ الافريقيون يدخلون انتاج المحصولات النقدية من خلال الجمعيات التعاونية للانتاج . وفى تنجانيقا تجد الجمعيات التعاونية مسئولة عن ٥٠٪ من صادراتها وأهم هذه الجمعيات فى كلمنجارو وفى كينيا تجد جمعية تعاون ميرو للبن مسئولة عن جزء كبير من انتاج البلاد .

وفى كينيا وتنجانيقا تجد الصراع السياسى والعنصرى يهدد دائما دخول رءوس الاموال الاجنبية ، كما أنك تجد ازدياد السيطرة على الحياة الثقافية .

وفى بعض أنحاء أفريقية تجد نمو الدخل القومى لا يتبع النمو الاقتصادى أى تحسن فى الوسائل الفنية والمهارات المدرة للدخل أو ازدياد مستوى المعيشة ذلك أن طبيعة توزيع الدخل الحكومى وبالتالى الدخل الاقتصادى كله للافريقيين والعمال معتمدة على القوة السياسية للافريقيين .

ان الاجور ما زالت منخفضة وهى تعتمد على مدى عزم العمال ، وما زالت نقابات العمال فى مهدها ، ولكن الاتفاق بينها موجود فى عدد من البلاد والنقابات العمالية نفسها تختلف باختلاف النظام النقابى فى الدول الاستعمارية ، والمشكلة الرئيسية فى نمو نقابات العمال هى وجود عدد كبير من العمال المهاجرين ، والحاجة الى برامج التأمين الاجتماعى والاسكان والامكانيات التعليمية . وكذلك الحاجة الى زعامة ذات كفاءة وخبرة . وبالرغم من هذه الصعوبات فنفوذ الحركة النقابية يزداد واتحاد عمال المناجم فى روديسيا الشمالية أصبح أقوى صوت ضد التمييز العنصرى فى وسط افريقية .

ان الثورة الافريقية تتجمع فى كل لحظة ، وسيذكر عام ١٩٥٨ فى التاريخ على أنه ((عام أفريقية)) ففى أبريل منه عقد مؤتمر الدول الافريقية المستقلة فى أكرا ، وفى ديسمبر اجتمع مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا وكذلك فى الشهر نفسه تكونت لجنة الامم المتحدة الاقتصادية لافريقية وسيزداد اشتراك الافريقيين على هذا النحو أكثر وأكثر ، كلما استقلت البلاد الافريقية ، وأصبحت مسئولة عن نموها الاقتصادى .

عن الانجليزية : للأستاذ حلمى شمراوى

مؤامرة على الزعيم جومو كنياتا

للاستاذ زكريا نمر يوسف

باسم أفريقيا الاستوائية ننقل لحضراتكم تحياتنا الحارة من قلب القارة الافريقية اذ نحتفل اليوم بيوم **جومو كينياتا** الزعيم الافريقى الذى تعرض للبطش والتنكيل من المستعمرين البريطانيين الغاصبين ، فلقد سيطر الاستعمار على شعوب أفريقية وآسيا منذ أكثر من ثلاثمائة عام ، وحاول فى هذه المدة القضاء على ثقافتها وحضارتها التقدمية ، باتباع سياسة الضغط والتمييز العنصرى ، ان هذه السياسة الاستعمارية هى التى أيقظت شعوب أفريقية وآسيا وجمعتهما فى صعيد واحد للدفاع عن قضاياهم المشتركة ومبادئهم السامية ، وهى احترام حقوق الانسان الاساسية ، وسيادة الامم وسلامة أراضيها والمساواة بين جميع الأجناس ، ولما كانت هذه المبادىء فى نظر المستعمرين خطرا داهما وتهديدا مباشر للنفوذ الاستعمارى ، فقد بدأ المستعمرون اعتقال الزعماء المخلصين ، ومنهم الزعيم **جومو كينياتا** الذى قاد ثورة **ماو ماو** العارمة التى زلزلت أقدام المستعمرين البريطانيين الغاصبين الذين ألقوا بالزعيم **جوموكينياتا** فى السجن وهم مخطئون ، فاذا أعدنا النظر للتاريخ اتضح لنا أن أية قضية لن تظهر فى الحياة الا اذا اعتمدت على رجال مخلصين مؤمنين بالله والوطن ، فالايمان بالله والوطن هما العاملان الأساسيان لانقاذ الشعوب من الظلم والاستبداد ، والزعيم الافريقى **جومو كينياتا** ما هو الا رجل مخلص لوطنه ، وقد ناضل فى سبيل المساواة والعدالة ، وطالب باستقلال بلاده ، لذلك اعتبرته السلطات البريطانية خطرا يهددها واعتقلته وألقت به فى السجن ، ثم بدأت محاكمته فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، وهذه المحاكمة ما هى الا خطة استعمارية مدبرة للقضاء على الروح المعنوية والحركات التحررية التى تحولت نارها الى لهيب فى أفريقية ، وان شعوب افريقية الاستوائية يستنكرون هذه السياسة العدوانية ، ويطالبون بالافراج عن الزعيم **جوموكينياتا** . وغيره ، فان فى افريقية الاستوائية زعماء يقتلون ظلما ، وزعماء آخرين يلقى بهم فى أعماق السجون ، أو ينفون من بلادهم !

حاجة كينيا الى رأس المال

بقلم « هيلارى ماركواند »

كانت كينيا حتى عام ١٩٥٥ تتمتع بفيض من الرخاء ، بالرغم من حالة الطوارىء التى تسود البلاد . كان دخلها الاقليمى فى ازدياد مطرد مدى ثمانية أعوام مضت ، بمعدل سنوى بلغ ٢٣٪ . الا أن دخلها فى عام ١٩٥٦ لم يتجاوز ما كان عليه سنة ١٩٥٥ . لذلك قررت حكومة كينيا أنه من السفه انفاق أكثر من ثلاثين مليون جنيه استيرلينى على المشروعات الانشائية خلال الثلاث سنوات من ١٩٥٧ الى ١٩٦٠ بالرغم من أنه كان فى الامكان ، اذا تيسرت السبل والوسائل ، « صرف مبالغ تبلغ فى مجموعها خمسين مليون جنيه على المشروعات الحيوية » أما عن ميزانية كينيا العادية « المتكررة سنة بعد أخرى » فان الرقم المدرج فى بند المصروفات عن السنة المالية الجارية خمسمائة ألف جنيه عن تقديرات السنة الماضية .

ويرجع خفض الدخل عن المعدل السابق للتوسع فى نفقات الانشاء والقوات الحربية ، وفرق الأمن الآن ، كما ترجع هبوط حدة الطوارىء الى المكاسب التى تجنيها البلاد من الصادرات ، وان كان السبب الرئيسى هو المشقة العظمى فى طريق الحصول على رأس المال الأجنبى والفائدة المرتفعة التى تدفع عنه .

تدهور الدخل :

لم تعان كينيا كثيرا من انخفاض أسعار المواد الخام بقدر ما عانت البلاد المتخلفة الأخرى فى أفريقية وآسيا ، فقد حافظ البن وهو أهم صادرات البلاد على سعره ، كما لم يحدث نقص كبير فى ايرادات الشاى واليورانيوم والمواد الكيماوية . وحتى السيسل (التيل) لم يظهر عليه ما يدل على انهيار كبير مثل باقى المواد . ومع ذلك فان حالة الاضطراب الراهنة بالاضافة الى احتمال المزيد من الانخفاض فى الطلب من الولايات المتحدة يعتبر مدعاة للحزن . وبالاضافة الى هذا فان كينيا تحصل على دخل لا بأس به من اجراءات نقل السلع المصدرة من الأجزاء الأخرى فى أفريقية ، ولهذا فانه اذا حدث تدهور فى صادرات القطن من يوغندة أثر ذلك تأثيرا سيئا فى تجارة ممباسة وفى أرباحها .

ومما زاد الأمر خطورة ارتفاع فائدة القروض التجارية ، والقروض الطويلة الأجل ، وقيمة الاستثمار ، مع ارتباط العملة النقدية فى شرق أفريقية ارتباطا وثيقا بالجنيه الاسترلينى . ومع أن الحكومات الثلاث هناك لا تملك الا القليل فى تقرير السياسة المالية فى لندن ، فان أى ضغط على الأرصدة اللندنية لا يلبث

أن تشعر به « نيروبى » وآخر قرض عقدته كينيا تجاوز الاكتتاب فيه الحد المطلوب ، ولكنه كان قد أصدر بمعدل ٩٧٪ بفائدة قدرها ٥ر٦٪ .

وقد ظلت كينيا مضطرة الى استثمار رءوس الأموال منذ سنوات كثيرة وتستوردها بفئات عالية ، وبذلك تصبح الأرباح المركبة عبئا ثقيلا يعطل سير المشروعات الانشائية .

وتشعر الحكومة بأنها مضطرة الى قصر النفقات الداخلية على الخدمات الاجتماعية وغيرها فى نطاق ضيق لاحتمال ارتفاع الفائدة ، ولهذا فان اخفاق حكومة المملكة المتحدة فى الاستجابة الى كل الرجاء المتواضع الذى تقدمت به كينيا للحصول على رأس المال ومعونة جارية خلال الثلاث السنوات الآتية يعتبر مخيبا للآمال ، وواضح أن بريطانيا أفادت من التغيير الذى طرأ على التجارة وأصاب كينيا وسائر شرق أفريقية بضرر جسيم . ويندر أن يزعم أحد أن كينيا مسئولة بأية حال عن التضخم النقدى داخل المملكة المتحدة الذى حدا بالحكومة البريطانية الى وضع حد له بتخفيض النفقات .

الاشتغال بأعمال المزارع أصيب بضربة قاسية :

ولاشك أن اهمال الزراعة فى كينيا له أثر كبير فى نشاطها الاقتصادى ، فهى تستوعب ٢٠٠ر٢٣٥ من الأيدى العاملة من المجموع البالغ ٧٠٠ر٥٩٦ ، كما تستوعب ملايين من الأفريقيين ممن يعتمدون على العمل فيها فى أقواتهم الضرورية . وتدل التقديرات على أن زراعة افريقية تنتج قرابة خمس حاجة البلاد الغذائية ، فى الوقت الذى تمكنها زيادة الانتاج الزراعى من تصديره الى الخارج ليكون مصدرا طيبا من مصادر الثروة . وبالرغم من أن الحكومة صرحت بحق بأن الاهتمام فيما يتصل ببرنامجها الانشائى يجب أن ينصب أولا على الزراعة ، والمياه المطلوبة لها فانها لم ترصد سوى ٩ ملايين من الجنيهات للصرف عليها خلال الثلاث السنوات الآتية ، على حين أن برنامج السنوات الثلاث المشرفة على النهاية الآن اقتضى ١٤ مليونا من الجنيهات . وهناك فى نطاق الرقم الكلى المخفض اعتماد مالى من أجل الزراعة الافريقية : ولا يمكن لأحد من ذوى المعرفة أن يساوره شك فى أن هذا الاتجاه فى وضعه الصحيح أفضل من حيث علم الاجتماع . على أنه مما يقرب المأساة أن لا تتوفر الاعتمادات المالية من أجل المشروعات الانشائية العملية الصحيحة ، التى تحتاجها البلاد فورا . ومنذ عشر سنوات حين أتيحت لى زيارة شرق أفريقية آخر مرة كانت التربة التحتية الحمراء الجدباء ظاهرة هنا وهناك على مساحات شاسعة فى المناطق المخصصة للأفريقيين . وكانت الأنهار فى كل مكان تصب فى البحر حاملة معها التربة الفوقية الثمينة . والآن يرى المرء آلاف الأفدنة المستصلحة التى تمت وقايتها بوساطة اقامة السدود وغيرها من وسائل الصيانة فأصبحت الأنهار الآن نظيفة أكثر منها فيما مضى ، ويبدو أن نوعا من الثورة قد تحقق .

توحيد البلاد :

وهناك ثورة أخرى دائرة الآن وقد وصلت الى درجة خطيرة وهى تتعلق بتوحيد البلاد . وهذه عملية ذات أثر اقتصادى بعيد ولكنها لاتنجح اجتماعيا الا اذا صحبها نضج على درجة مناسبة ، وبسرعة كافية ، كى يستوعبها الأشخاص فى غير هذا المكان، الذين سيحرم عليهم دخول البلاد عند توحيدها واسقاط الجنسية عن مواطنين معينين . وقد تزايد سكان أفريقية حديثا زيادة كبيرة . وان ٤٠٪ من السكان دون سن العمل. وستعد أرض جديدة أو فرص جديدة بأية وسيلة فى جهة أخرى فى خلال سنوات قليلة لعدد هائل من هؤلاء الحديثى السن . وقد أسفر جزء هام من هذه السياسة عن نتائج ناجحة كل النجاح فى مقاطعة فورت هول وهى تتعلق بوجود أراضى جديدة سهلة الرى ، وهناك حاجات أخرى يجب أن تنجز ، ولا يمكن القيام بها الا اذا تيسر وجود الموارد اللازمة . أما الحساب الخاص بزراعة الغابات فقد خفض فى السنوات الثلاث التالية من ٢٦٢٫٠٠٠ جنيه الى ١٢٦٫٠٠٠ جنيه

الانتاج الصناعى فى كينيا :

والقوة الصناعية العاملة فى كينيا يبلغ عددها الآن ٧٥٫٠٠٠ عامل ، وقد قيل ان أجور الأفريقيين فى مثل هذه الوظائف قد ارتفعت ٥٠٪ عما كانت عليه منذ عشر سنوات مضت . أما العاملون فى الصناعات الخفيفة فى كينيا فمن مصلحتهم اظهار رغبتهم فى توسيع سوقهم الداخلية للستة الملايين من الافريقيين الذين يكونون كتلة شعب كينيا وان سياسة حكومة أفريقية وتشجيع اتحادات التجارة للتوسع فى الانتاج بزيادة الأجور ستمكن هذه الصناعات الخفيفة من التوسع ومن توظيف أكبر عدد من الأفراد ، وبالتالى ستدعم الاقتصاد ، وتساعد على موازنة الأجور فى كينيا وغيرها من جميع أنحاء أفريقية ، بالرغم من أن الصناعة قد تعتمد لمدة طويلة على الجهود الخاصة وعلى الزراعة وكذلك فان التقدم الجوهرى فى الطرق ، والسكك الحديدية ومياه الرى وتوليد القوى والخدمات الصحية والاسكان والتعليم — لا يمكن أن يتم بسهولة وفى سرعة وبدرجة مناسبة بل بمرور الزمن بل لابد من مرور الزمن ، ومن عون الحكومة برأس المال .

فرض الضرائب :

وقد اختص المشروع الجديد للتقدم الحكومة المحلية والصحة والتعمير بنصيب قدره ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ جنيه (كان ٥٫٧٤٢٫٠٠٠) والتعليم الأفريقى بمليونى جنيه كانت ٣٫٢٦٧٫٠٠٠ جنيه عند المقارنة بالفترة السابقة . وهذا بطبيعة الحال للارتقاء، وليس للمصروفات الجارية ، ولكن الزيادة المنتظرة فى السكان البالغين ورغبة الافريقيين الملحة فى تعليم أبنائهم من العظم بحيث لا يمكن حكومة كينيا اتخاذ الأهبة لها .

وتجرى مناقشات كثيرة فى أوروبا عن امكان اعطاء مساعدات أكبر للدول المتخلفة ، وبخاصة التى فى أفريقية . وانه من المنتظر ايجاد

وسائل لتصريف بعض الفائض فى أوروبا للطبقات الفقيرة فى كينيا وفى غيرها من دول أفريقية ، التى نجد الحاجة فيها ملحة الى مثل هذه المساعدات ، ولعل من المعقول أن نتساءل عما اذا كانت كينيا نفسها قد بذلت جهداً خاصاً بالنسبة لزيادة رأس المال من مواردها فى المناجم والمصانع الخاصة على الوجه المرسوم . ولقد كان متوسط مكسب الرجل الأوروبى السنوى فى سنة ١٩٥٦ ، ١٠٨٣ر١ جنيه فى الزراعة ؛ و ١٣٩٦ر١ فى الصناعة والتجارة ! أما الأرقام المقابلة لها بالنسبة للرجل الافريقى فقد كانت ٣٢ جنيها و ٧٤ جنيها

وقد فرضت ضرائب مباشرة على كل من المناجم والمصانع ، ولكن ضريبة الدخل ظلت قليلة لتشجيع تكوين رأس المال وللمنافسة مع باقى أقاليم أفريقية فى تشجيعها للسعى فى الحصول عليها من الخارج . وفى الظروف الحالية ليس من العسير على المرء أن يفكر فى ايجاد طريقة لخفض دخل أولئك الذين يتمتعون بدخل كبيرا ، وذلك بمد الدخل العام باحتياجاته الملحة ، دون أن يكون ذلك سببا لتعطيل دخول رأس المال الأجنبى .

السياسة البريطانية فى كينيا

للمواطن الكينى ((جورج سيدا))

منذ صدور تصريح ((**لينوكس بويد**)) الخاص باضافة اثنى عشر مقعدا المجلس التشريعى ظل الأعضاء الأفريقيون الثمانية المنتخبون يلتزمون الرفض المنذر بالخطر ، لأن تصريح « لينوكس بويد » لم يكن اقتراحا عادلا ، وانما أريد به خديعةالافريقيين فقد قال : ان **الاثنى عشر مقعدا يجب أن تعطى فقط للافريقيين المعينين من بين الموالين للحكومة المنفذين لمشيئتها** وبذا يملأون ماأسماه ((المقاعدالخاصة)) ومن ثمة أعرب ثمانية من الأفريقيين عن رغبتهم فى المنافسة على أربعة من المقاعد الافريقية التى يجرى عليها الاقتراع بطريقة خاصة فى مجلس « كينيا التشريعى » الذى نص عليه دستور « لينوكس بويد » الجديد ، فأشاروا الى أنهم أقوى من أن ترهبهم تهديدات المقاطعة التى تقوم بها منظمة الأعضاء الافريقيين المنتخبين ، وهم يعتقدون أن الدستور الجديد يجب أن تتاح له التجربة العادلة .

وممن أعلنت أسماؤهم أخيرا من بين الثمانية مستر ((**جوموكينياتا**)) أول رئيس لاتحاد كينيا الأفريقى فى نيروبى ومستر ((**مودى أوودى**)) كاتب الاختزال على الآلة الكاتبة الذى قال ((**اننى أشعر بأنه قد آن لذوى المقاصد الطيبة من الناس أن يتقدموا فى شجاعة ، ويلتمسوا الوسيلة التى يستطيع بها الشعب على اختلاف أجناسه أن يعيش فى ألفة ويعمل فى تضامن**)) ويتم الانتخاب لشغل المقاعد الخاصة بواسطة المجلس التشريعى المنعقد للاقتراع فى هيئة مؤتمر

والخطورة التى ينطوى عليها ترشيح الأفريقيين الثمانية تتجلى فى بيانها **توم مبويا** المتحدث بلسان منظمة الأعضاء الافريقيين المنتخبين ،القائل بأن معارضته لدستور ((**لينوكس بويد**)) تمثل وجهة نظر جميع الأفريقيين فى كينيا ، وان كانت توعز بقصد الدعاية، واحداث بلبلة بين الأفريقيين ، بأن الاتجاه الجديد للأحداث يشير الى أن جانبا مسئولا من الرأى الأفريقى المعتدل لا يشارك فى وجهة النظر هذه، وبيان منظمة الأعضاء الافريقيين المنتخبين يؤكد عزمهم على عدم الاعتراف بالافريقيين الساعين للفوز بالمقاعد الخاصة أو التعاون معهم أو مشاركتهم فى العمل .

ويقول هذا البيان : ((**ان أولئك الذين يحاولون ترشيح أنفسهم انما يتضامنون مع من يسعون الى الابقاء على السيطرة الأجنبية ، ومصادرة حرية الشعب الافريقى ـ عليهم اذ ذاك أن يعتبروا خونة متآمرين على التضحية بافريقية !**)) .

. وتقول صحيفة ((**شرق افريقية وروديسيا**)) : تضطرم كينيا بالقلاقل الآن نتيجة لنشاط العناصر الهدامة بين الافريقيين هناك ، وقد اكتشفت حكومة كينيا فى فبراير سنة ١٩٥٨ قيام جمعية تدعى ((**كياوانيانونجى**)) Kiawa Nia Nuingi وصفتها السلطات بأنها شبيهة ((**بماو ماو**)) فمنعت كل اجتماع سياسى ،ونهت الأفريقيين عن حمل مدى الأدغال بعد الغروب، فقد كان الأفريقيون يستخدمون تلك المدى فى مهاجمة كلاب البوليس بنيروبى .

وفى الثلاثين من يناير ، أطلقت النار على أربع سيارات على قيد ميل من نادى ((**موتايجا**)) : **(مركز نيروبى)** ولم يكن قد مضى وقت طويل على مقتل أحد المستوطنين الأوروبيين له من العمر ٨٩ سنة وجد ميتا مع زوجته فى مزرعتهما ، وكانت آثار الطلقات النارية بادية ، ولكن القاتل لم يعثر له على أثر ، ثم تلا ذلك فى السادس والعشرين من مارس أن فر من سجن ((تييرى)) أربعة عشر مسجونا من ((**الماو ماو**)) وكان بعضهم يمضى عقوبة السجن المؤبد ، وبسبب المقاطعة التى ابداها الأعضاء الأفريقيون المنتخبون صرحت الحكومة فى الأسبوع الماضى بأن جميع الأعضاء الأفريقيين قد ألقى القبض عليهم ، ووجهت اليهم تهمة التآمر على ارتكاب جنحة تحت التعديلات الجديدة ، التى أدخلت على قانون العقوبات خاصة بالاجراءات الانتخابية ، كما وجهت اليهم زورا تهمة أخرى ، هى أنهم أصدروا بيانا يعتبر قذفا فى حق الأفريقيين المؤيدين لسياسة الحكومة ، وقد أنكر جميع المتهمين الاتهامات الموجهة اليهم ، والجدير بالذكر أن اجراء الحكومة ضد ((**مبويا**)) Mboya وزملائه اتخذ عشته حملة الترشيحات للمقاعد الخاصة .

والذى حدث فعلا أن خمسة من الثلاثة عشر أفريقيا الذين كانوا قد أبدوا الرغبة فى خوض المعركة الانتخابية انسحبوا قبل يوم الترشيح، وقاسى اثنان لهما أعمال تجارية فى ((**نيروبى**)) من أثر المقاطعة ، كما اضطر ثالث الى الانسحاب بعد أن بلغته أنباء بأن حياته مهددة بالخطر ، كذلك أقامت الحكومة الدعوى ضد صحيفتين من صحف نيروبى هما ((**كلونيال تايمز**)) و ((**ايست افريكان تايمز**)) اللتين يملكهما آسيويون بتهمة القذف لأنهما نشرتا على صفحاتهما البيان الذى أصدره فريق ((**مبويا**)) وزعمت السلطات أن به طعنا واغتيابا ومن ناحية أخرى نشرت صحيفة ((**برازا**)) Baraza الافريقية التى تصدر بالسواحلى ويملكها أوروبيون مقالا افتتاحيا غاية فى الصراحة ((قائلة ان رجال السياسة الافريقيين على حق فى مناهضتهم طريقة انتخاب المزيد من أعضاء المجلس التشريعى ، طبقا لنظام المقاعد الخاصة . وأوضحت الصحيفة أن الموقف الذى نشأ نتيجة لذلك هو بالضبط ما كان يخشى حدوثه فريق ((**مبويا**)) ، وذلك أن أى شخص ينتخب لملء أحد المقاعد الاثنى عشر الخاصة ، فيتعين عليه الظفر بتأييد الأعضاء البيض دون حاجة الى أصوات الأفريقيين أو الآسيويين .

ذلك هو اللغز الحقيقى الكامن فى المعارضة التى أبداها الأعضاء الافريقيون المنتخبون الثمانية بأن س لا يحظى من بين الافريقيين بتأييد الأوروبيين لا يمكن أن ينتخب لملء المقاعد الخاصة ، لأن المجلس التنفيذى يضم ثمانية وثلاثين عضوا من البيض، يقابلهم أربعة عشر أفريقيا واحد عشر آسيويا وعربيا .

وفى الرابع والعشرين من ابريل قاطع الشعب الأوتوبيسات والسيارات ، وقتل ثلاثة ضباط اداريين من البيض وجد أحدهم ملقى بجواره مسدس ، كما جرح واحد وعشرون أوربيا داخل سياراتهم ، وقد اختار فريق «مبويا» بالاشتراك مع جميع الأحزاب فى ابريل للزحف من أجل الحرية ،ومناواة الحكومة ، فوافق على ذلك جميع الافريقيين وكانت شعاراتهم «لتسقط الحكومة البريطانية ! » ، « نريد الاستقلال ! » .

ان جميع الأحزاب فى كينيا بزعامة المؤتمر الوطنى الافريقى النيروبى يتجهون الى اخوانهم فى الدول الحرة ليعتبروهم اخوة لهم ، ويشدوا أزرهم ما استطاعوا ! .

« عن الإنجليزية »

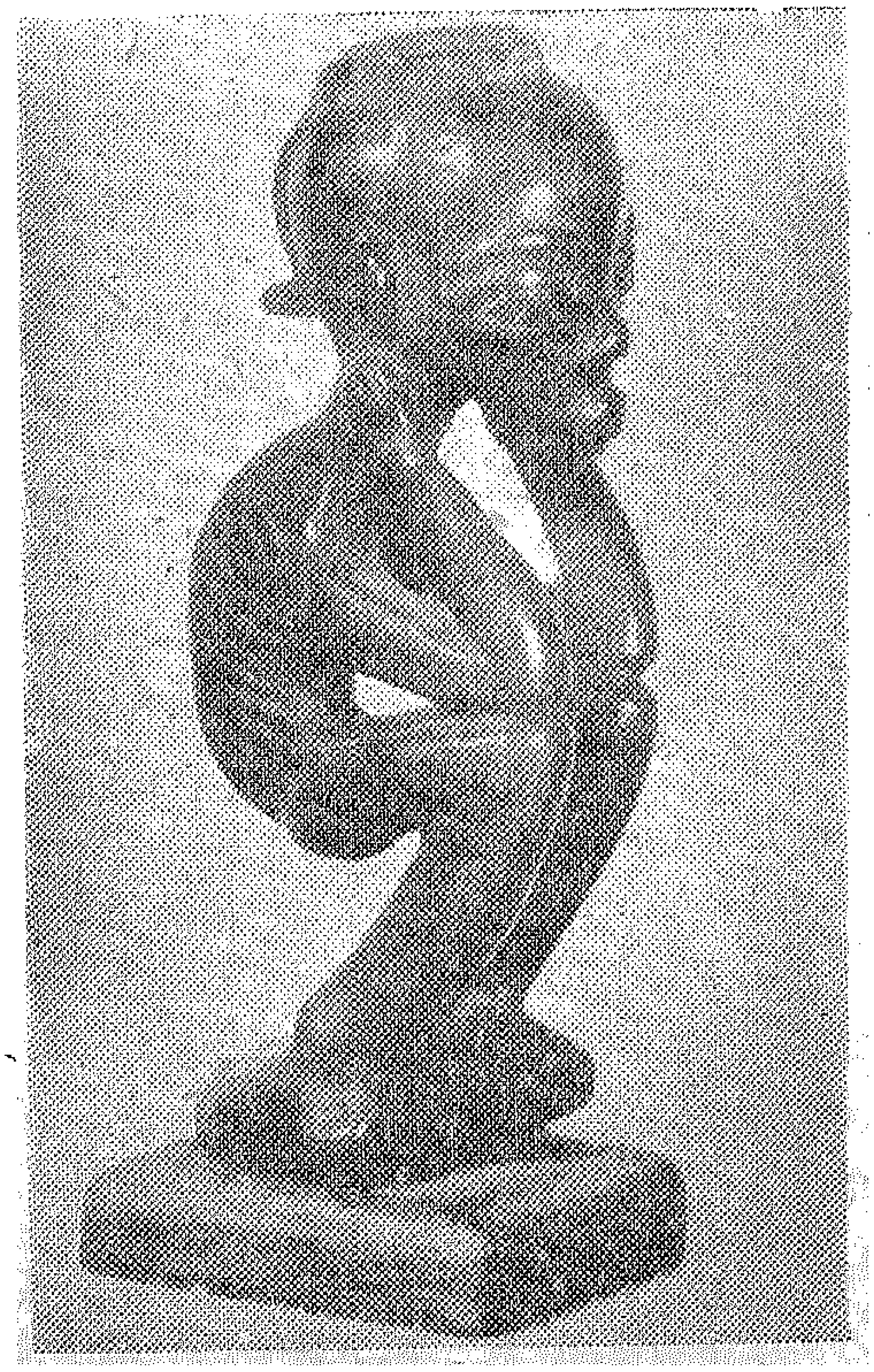

جيبوتي

من موانئ افريقية

بقلم الدكتور جلال يحيى

يعتبر ميناء «جيبوتى» رغم صغره، من أهم الموانىء الموجودة فى شرق افريقية ، وعلينا أن نعرفه وندرسه، خصوصا وأنه فى أيدى القوات الاستعمارية التى مازالت تتحكم فى القارة الافريقية وامكانياتها الاقتصادية، وبالتالى فى مستقبلها ومستقبل أبنائها .

• بدأت فرنسا اتصالها بشرق افريقية ،وعند السواحل القريبة من بوغاز باب المندب ، أى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . فى خلال القرن التاسع عشر . كان ذلك قبيل وسط ذلك القرن ، حينما بدأت القوة المصرية تتطلع الى توحيد ضفتى البحر الأحمر ، والوصول الى مياه المحيط الهندى ، مما جعل انجلترا تتدخل ، وتستولى على عدن لكى تتخذها قلعة تفرض منها سيادتها على مياه هذا المحيط ، ونقطة هجوم على السواحل المصرية فى البحر الأحمر . وعند اختمار مشروع حفر قناة السويس ، ذلك المشروع الذى كان واضحا أنه سيصل الشرق بالغرب . مما جعل الدول الاستعمارية تفكر فى انشاء محطات برية على طول هذا الطريق ، تسمح لسفنها بالتموين بالفحم والمأكولات والتزود بالمياه فى هذه الرحلة الطويلة . وستكون هذه المحطات هى القواعد البحرية الاستعمارية التى سترتكز اليها الدول الأوروبية فى توسعها فى القارة الافريقية، ومحاولة استغلالها .

اشترت فرنسا أرض أوبوك فى عام ١٨٦٢ لاقامة محطة بحرية عليها ، ولكنها لم تستغل هذا الموقع عدة سنوات . وواصلت السفن الفرنسية التزود من ميناء عدن بالرغم من شعور الساسة الفرنسيين بضرورة الاستقلال عن انجلترا ، اذ أن الظروف قد تتأزم بين الدولتين مما يؤدى الى تعريض مواصلات فرنسا مع مستعمراتها فى الشرق الأقصى للخطر .

وبدأ التكالب على افريقية ، واستولت فرنسا على « تونس » ونزلت القوات البريطانية فى مصر . وأخذت فرنسا تتوسع فى مدغشقر والهند الصينية وشعرت بضرورة الحصول على قواعد بحرية مستقلة ، خصوصا وأن نزول انجلترا فى مصر كان فى حد ذاته عملا يحمل معنى المنافسة الصريحة لفرنسا . ورأت فرنسا أن انجلترا قد أطلقت يدها فى « الملحقات » المصرية ، وأخذت تحاول التدخل فى أمور السودان وترسل قطعها البحرية الى الموانىء المصرية على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن بدعوى المحافظة على الأمن والنظام . ورأت فرنسا أن انجلترا قد أخذت « تستولى » على مصر والبلاد المتحدة معها . فعملت من جانبها على اقتطاع أجزاء لنفسها من أراضى هذه الدولة، واستعدت لكى ترد على انجلترا ، اذا ما استفسرت منها عن معنى نزولها فى الموانىء المصرية ، بأن لها صفة انجلترا نفسها فى الموانىء الأخرى .

واستولت انجلترا على « زيلع » و « بربره » والساحل الصومالى الواقع بينهما ، فعملت فرنسا على الاستيلاء على الأراضى التى اشترتها فى أوبوك فى عام ١٨٦٢ واتخذتها نقطة للتوسع فى السواحل المصرية

المجاورة ، وذلك باستيلائها على قبة الخراب وتاجوره . ووقع تنافس دولي بين كل من انجلترا وفرنسا فى هذه المناطق ، وتعرضت هذه المسائل بطبيعة الحال لحقوق الدولة العثمانية، تلك الحقوق التى ضمنتها كل الدول الأوروبية ، ثم جاءت للاشتراك سويا فىالاعتداء عليها وخرقها . وانتهىهذا التنافس بحصول فرنسا علىجيبوتى، التى أصبحت عاصمة ساحل الصومال الفرنسى بعد أوبوك .

وشعرت كل من فرنسا وانجلترا بضرورة الوصول الى اتفاق حول تقسيم مناطق النفوذ الخاضعة لهما فى شرق افريقية ، خصوصا وأن ممثلى هاتين الدولتين قاما بنشاط ملحوظ ظهر وكأنه سيؤدى الى صدام بين قوات هاتين الدولتين . وكانت انجلترا ترغب فى السيطرة على ساحل الصومال المواجه لعدن، حتى تضمن حصولها على التموين اللازم لهذه القاعدة الحربية الهامة التى تقع على صخور حصينة ، ولكن فى منطقة جدباء قاحلة . أما فرنسا فانها كانت ترى أن فى استطاعتها العمل على السيطرة على طرق تجارة القوافل التى تأتى من الحبشة وهرر وداخل القارة صوب الساحل وخليج عدن ـ وكان استيلاؤها على تاجورة يسمح لها بالسيطرة على أحد الفروع المؤدية الى الطريق الرئيسى الواصل من هرر الى زيلع ، وكان هناك فرع آخر للطريق نفسه يصل حتى رأس جيبوتى . وكذلك فان فرنسا حاولت الاستيلاء عليه ، اذ أنه لم يكن فىقدرتها زحزحة انجلترا بعيدا عن زيلع .

وأظهرت فرنسا لانجلترا رغبتها فى الوصول الى حل للمسألة ، والاتفاقمعها اذا مااعترفت انجلترا لها بملكية كل الساحل الجنوبى لخليج تاجورة من قبة الخراب حتى رأس جيبوتى، كانت فرنسا توافق على أن تترك لانجلترا المنطقة الواقعة من زيلع والى الشرق منها ، نظير حصولها على المناطق الواقعة الى الغرب من هذا الميناء الهام ، تلك المناطق التى تسكنها قبائل العيسى صومال ، والتى يمكنها أن تتحكم منها بالفعل فى طرق التجارة الآتية من داخل القارة ، قبل وصولها الى زيلع نفسها .

واقترحت فرنسا أن تنشىء خطا مستقيما يمتد على الخريطة من زيلع الى هرر كأساس للحدود بين المحميتين الانجليزية والفرنسية .

ولكن السلطات البريطانية اعترضت على هذا الاقتراح ،واقترحت أنتقيم خطا آخر يمتد من رأس جيبوتى الى هرر . كما اقترحت حرية التجارة على طريق القوافل الذى رسمت عليه هذه الحدود . ووافقت فرنسا على ذلك ، وأعدت وزارة الخارجية البريطانية الوثائق للتوقيع . وعندئذ تنبهت فرنسا الى أنها ترغب فى الاستيلاء على رأس جيبوتى نفسها وبأكملها داخل منطقة نفوذها . فأبلغت ذلك لانجلترا .

ونتج عن هذا تأخير التوقيع على الاتفاقية ، وبخاصة أن انجلترا كانت قد أعلنت الى الدول وضع حمايتها على الساحل الممتد « منرأس جيبوتى على الشاطىء الجنوبى لخليج تاجورة حتى بندر زياده » .

وافقت انجلترا على التغيير ولكنها اشترطت اضافة فقرة يمتنع بها كل من الطرفين عن ضم هرر أو محاولة فرض حمايته عليها . وادعت فرنسا أن هذه الفقرة تسلبها كل حق للتدخل أمام أية دولة أخرى تحاول الاستفادة من عدم تحرك فرنسا ، لكى تحصل على امتيازات فى اقليم هرر وجنوب الحبشة . فاقترحت الاتفاق على عدم الاعتراف بوضع هرر تحت حماية أى دولة ثالثة وبذل كل جهد لمنع وقوع هذه الامكانية . ولكنها عادت ووافقت على مادة أخرى اقل حدة تنص على أنلاتتنازل عن حقها فى منع أية دولة أخرى من الحصول على أى حقوق فى هرر أو فرض سلطتها عليها.

تم اذن الاتفاق الانجليزى الفرنسى فى بلاد الصومال فى أوائل شهر فبراير سنة١٨٨٨ وأصبحتجيبوتىواقليمها داخل حدود منطقةالحماية الفرنسية، واعترفت انجلترا بذلك .

ولم تكن «جيبوتى فى ذلك الوقت الا منطقة قاحلة غير مسكونة . وكانت السلطات الفرنسية

تقيم فى أوبوك ، وسرعان ما انتبه لاجارد ،حاكم الصومال الفرنسى الى ضرورة تغيير مركز الحكم من أوبوك ، وبخاصة أن ميناءها كانت غير ذات قيمة كبرى ، وكان الايطاليون يهددونها بسهولة من الشمال عند رأس دميره ، وكانوا يغرون الدناقل ، بالمال والهدايا ، وغيرها من وسائل المستعمرين الفرنسيين والانجليز وكل المستعمرين المتنافسين ، على عدم خدمة السلطات الفرنسية فى أوبوك . واختار لاجارد مكانا يقع على طرق القوافل ، وبعيدا عن الايطاليين والدناقل ، ويصلح بدرجة أكثر للمحلاحة ، فاختار جيبوتى التى تقع فى بلاد العيسى صومال وهم الذين تخصصوا فى نقل المتاجر على ابلهم الى هرر وجنوب الحبشة . ولم تمانع الحكومة الفرنسية فى ذلك .

انتقلت الادارة الفرنسية من أوبوك الى جيبوتى فى عام ١٨٩٢ — وكانت فرنسا قد بدأت ، منذ سنوات متعددة سياسة الاتصال بمنليك ملك شوا ثم امبراطور الحبشة ، وعملت على الاتجار معه ومده بالأسلحة والذخائر الذى لم يكف عن طلباتها خصوصا عندما تأزمت الأمور بينه وبين الايطاليين. وسارت قوافل الأسلحة من الصومال الفرنسى الى منليك ، ولم يدفع ثمنها للحكومة الفرنسية . وكانت هذه الحكومة قد « خزنت » هذه الأسلحة فى ساحل الصومال ، ولما قامت ضجة حول امداد فرنسا لمنليك بالأسلحة ، أمرت هذه الحكومة باجراء حصر للأسلحة ، وأثبتت هذه العملية فقدان أكثر من ٨٠٠٠ بندقية ولم تقم الحكومة الفرنسية بعد ذلك بأى عمل سوى توجيه أمر ادارى الى لاجارد بضرورة وضع الأسلحة فى مخازن أمينة فى المستقبل .

دفعت فرنسا اذن الثمن لمنليك مقدما منافسة منها لايطاليا التى أرادت ، مثل فرنسا، الوصول الى الاستفادة المادية من هذه المنطقة.

ولكن ايطاليا كانت قد أخطأت فى أنها حاولت فرض حماية « قانونية » أو « شكلية » على الحبشة قبل أن تتأكد من امكان تنفيذها ، أو الاستفادة منها .

وظهر ميل منليك الى فرنسا فى هذه الفترة بشكل واضح وبخاصة أن أحد مستشاريه كان سويسريا من أصل فرنسى وهو الج Ilg — وكان منليك على صلات مستمرة بلاجارد حاكم الصومال الفرنسى . وسيؤدى هذا الى ازدياد النفوذ الفرنسى فى الحبشة، وبخاصة فى الأقاليم الجنوبية منها ، وذلك فى نفس الوقت الذى سيزيد العداء بين الحبشة وايطاليا . وكانت الدبلوماسية الفرنسية ،والشخصيات الفرنسية التى تعمل فى هذه المشروعات، وامكانيات فرنسا المادية والأدبية تتفوق على ايطاليا وامكانياتها ورجالها.

عمل لاجارد حاكم الصومال الفرنسى ، وهانوتو ، وكيل وزارة المستعمرات على رسم خريطة جديدة لافريقية : خريطة تتحكم فيها فرنسا فى منطقة الحزام الأوسط بين الشرق والغرب . وعارضت فرنسا بذلك مشروعات بريطانيا التى حاولت الوصل بين القاهرة ومدينة الراس . وسيكون لجيبوتى فيها أهمية كبيرة اذ أنها ستكون بداية الخط عند الساحل الشرقى لافريقية .

* * *

عمل الفرنسيون على وضع مشروع لانشاء سكة حديدية تمتد من جيبوتى الى هرر ثم أديس أبابا ،عاصمة الحبشة، وتمتد بعد ذلك حتى النيل الأبيض . وضعوا هذا المشروع فى عام ١٨٩٤ ، وأخذت الشركة الامبراطورية للسكك الحديدية الأثيوبية ،وهى شركة مركزها بباريس ، فى دراسة هذا المشروع .

وبدأ الفرنسيون فى تنفيذ الجزء الأول من مشروعهم ، وهو الخاص بالجزء الممتد من جيبوتى

الى دير داوا منذ سنة ١٨٩٧ ، أى بعد انهزام الايطاليين أمام الأحباش فى موقعة عدوة ،وبعد زيارة لاجارد لمنليك مباشرة . ووصل هذا الخط فى عام ١٩٠٠ الى حدود ساحل الصومال الفرنسى مع الحبشة ، ثم واصل امتداده صوب الغرب (١) .

وكان من الطبيعى أن يثير مثل هذا المشروع مخاوف الدول الاستعمارية الأخرى ، مثل انجلترا ، التى كانت لها مصالح موازية لمصالح فرنسا فى هذه المنطقة . حقيقة أن كلا من انجلترا وفرنسا كانت قد اتفقت بعد فاشودا . ولكنهما اتفقتا على الجزء الداخلى من القارة ،اتفقتا على أعالى النيل والمنطقة التى تفصله عن المستعمرات الفرنسية فى الغرب . ولكنهما لم تتفقا على الأطراف الخارجية لهذا الخط . لم تكن فاشودا الا بداية لتصفية المشكلات الفرنسية الانجليزية ، وكان من الضرورى اتمامها باتفاقيات وتسويات تمتد من هذه المنطقة شرقا وغربا ، للقضاء على كل أوجه المنافسة التى هى العامل الأول فى خلق النزاع .

كانت جيبوتى قد ازدادت أهمية فى ذلك الوقت . وزاد عدد سكانها وأصبحت عاصمة ساحل الصومال الفرنسى . وخشيت انجلترا أن تتخذها فرنسا قاعدة للتوغل منها الى بلاد الحبشة ،والوصول الى حوض النيل اقتصاديا، ان لم يكن سياسيا واداريا . وكانت فرنسا قد عينت لاجارد منذ سنة ١٨٩٨ وزيرا مفوضا لها فى الحبشة ، وزيرا فرنسيا فى بلاد منليك، صديقه الشخصى . وسيعمل هذا الفرنسى من أديس أبابا على تأييد السياسة الفرنسية فى التوغل فى داخل القارة غربا ، حتى بعد أن أخذت بلاده فى التراجع أمام انجلترا فى أعالى النيل ، فى فاشودا .

---

(١) LEMOYNE, R,. ; La Côte Française des Somalis. P. 286.

شعر لاجارد بأن الانجليز قد أخذوا فى منافسة فرنسا فى مشروع مد سكة حديد جيبوتى ، وبأنهم يسعون بذلك الى القضاء على تفوق النفوذ الفرنسى الذى يمتد غربا فى الحبشة مع هذه السكة الحديدية ، ويسعون الى مشاركة فرنسا فى استغلال حاصلات الأقاليم الجنوبية فى الحبشة وهى أكثر أقاليمها ثروة .

رأى لاجارد أن الحبشة قد أصبحت محصورة بين الايطاليين والانجليز ،وأنه ليس لها أى منفذ حر سوى الصومال الفرنسى وجيبوتى . وأراد استغلال هذه النقطة . وشرح لبلاده أن كلا من انجلترا وايطاليا حاولت ، لمدة سنوات طويلة ، محاصرة الصومال الفرنسى نفسه ، ولكن فرنسا قد احتاطت للأمر حينما فاوضت انجلترا لتحديد الحدود معها . ثم شرح أنه لم يقبل خط الحدود بين الصومال الفرنسى والحبشة الا بعد أن قبل منليك التعهد بمنع كل الدول الأجنبية من الوصول الى داخل البلاد مهما كان شكل هذا التدخل ومهما كانت الدوافع اليه . وكان هذا نوعا من الاعتراف غير المباشر بالاحتفاظ بمنطقة نفوذ فرنسى ،فيما وراء حدود مستعمرتها من ناحية الغرب ، يمكن لفرنسا أن تتدخل فيها اذا ما أجبرتها الظروف على ذلك ، أى فى حالة تدخل أية دولة أخرى فى الحبشة . كان لاجارد قد عمل لفترة سنوات لكى يترك لفرنسا ، وحدها ، حق التدخل فى هذه المنطقة من شرق افريقية حينما تحين الفرصة . وكان خط سكة حديد جيبوتى يسير فى هذه المنطقة ويواصل تنفيذ هذه السياسة .

ولكن بعض المنتفعين فى شركة الامتياز الخاصة باستغلال هذا الخط الحديدى حاولوا جعل هذا الخط ، فى بداية عام ١٩٠١ ، مستقلا عن كل اشراف فرنسى بدعوى حقوق السيادة الحبشية ، ثم بمحاولة أعطائه صفة دولية أو انجليزية ـ فرنسية(١) . ورأى

---

(١) انظر الوثائق الدبلوماسية الفرنسية : المجموعة الثانية ـ الجزء الأول ـ وثيقة من لاجارد الى دلكاسيه رقم ٥٢ صادرة من أديس أبابا فى ٢٩ مارس ١٩٠١ .

لاجارد ان هذه المجهودات ستنتهى ، ان نجحت ، بادخال أشد النفوذ خطرا على فرنسا فى تلك المنطقة ،وهو النفوذ الانجليزى والايطالى ، وحذر بلاده من الموافقة على ذلك شارحا أن موقف فرنسا سيصبح أشد صعوبة ، ما لم تتدخل الحكومة الفرنسية نفسها فى الأمر .

كانت الحكومة الفرنسية قد سمحت بمرور الخط فى أراضيها بشروط خاصة عقدتها مع شفينه Chefunsux ممثل الشركة الامبراطورية لسكك حديد الحبشة . ثم اتفق أصحاب الامتياز الفرنسيون مع بعض الشركات البريطانية التى اتحدت تحت اسم الشركة الافريقية الجديدة ، للاشتراك معهم .

وحينما تدخل وزير المستعمرات الفرنسية فى الأمر شرح له مندوب الشركة الامبراطورية ان الاتفاق مع الشركة الافريقية الجديدة يسمح لها ببناء ٧٠ كيلومترا من الخط ، ولكن ذلك مشروط بمهلة اختيار فى صالح الشركة الامبراطورية ،ومن حقها حتى أول سبتمبر سنة ١٩٠١ . وكانت الشركة الافريقية الجديدة قد دفعت للشركة الامبراطورية مبلغ مليونى جنيه استرلينى ، وكان من حقها أن تنسحب بعد التنازل عن مبلغ ٦٢٥٫٠٠٠ جنيه .

وشعر الفرنسيون أن الانجليز يسعون إلى التدخل فى المشروع بل السيطرة عليه ، ان أمكن وبخاصة وان بيز ، أحد الشخصيات السياسية البريطانية زار بلاد الصومال فى هذا الوقت ، وصرح بأن النفوذ الفرنسى لا يزال سائدا فى الحبشة ، وأن الشعب الأثيوبى يعتقد أن بريطانيا كانت تعطف على الأقل ، على ايطاليا أثناء حربها مع الحبشة . أما فرنسا فانها سمحت للحبشة بمقاومة عدوتها ، وذلك بموافقتها على مرور الأسلحة من جيبوتى . وأظهر بيز أن النجاشى أصبح لا يثق بانجلترا ، وبخاصة بعد أن قام منافسوها بشرح سياستها فى السودان وجنوب افريقية له . وتحدث عن سكة حديد جيبوتى ، ومعاونة الشركات البريطانية للمشروع وأصر على أهمية احتفاظ بريطانيا بنفوذ متفوق فى ادارة هذا الخط ، حتى تستطيع أن تحول بعض منتجات هرر الى الموانىء الخاضعة للسيطرة الانجليزية ، ولا تتركها تمر بأكملها فى جيبوتى ، الأمر الذى سينتهى الى خراب زيلع ، ووقف كل تجارة بين الصومال الانجليزى والحبشة .

اقترح بيز انشاء خط حديدى بين بربرة وهرجيسا ، لكى يسمح بوصول تجارة هرر والأوجادين الى المستعمرة الانجليزية ، كما أوصى حكومته بزيادة أهتمامها بالصومال ،والعمل على توثيق صلاتها بعدن ، خصوصا وأن حركة المقاومة الوطنية التى يقودها مهدى الصومال كانت قد بدأت تشغل بال الانجليز .

ظهر جليا ان انجلترا تعلق أهمية سياسية أكثر من الأهمية التجارية على انشاء خط سكة حديد جيبوتى ، وعلى ضرورة التدخل فى المشروع . ذلك أن رئيس مجلس ادارة اتحاد الشركات الانجليزية التى اشتركت مع الشركة الامبراطورية (فرنسية الجنسية) ، شرح أهمية وصل زيلع بهذا الخط ، ومراضاة فرنسا بعمل وصلة أخرى حتى أوبوك . وادعى هذا الرجل المالى ان هذا المشروع سيساهم فى زيادة العلاقات الودية بين فرنسا وانجلترا ، وفى ازدياد الرخاء فى الحبشة ، اذ أنه سيتيح لكل من الدولتين الاستعماريتين حظا متعادلا فى النفوذ التجارى فى شرق افريقية . واكد أن الانجليز لن يتهاونوا

فى تسمية نفوذهم فى ذلك المشروع ، وتحدث من « حظ انجلترا المتعادل مع حظ فرنسا » .

ولكن الحكومة الفرنسية رأت أن هذه التصريحات لا تختلف عن تلك التى تفوه بها الكولونيل هارنجتون، ممثل انجلترا فى الحبشة حينما تحدث مع حاكم مستعمرة الصومال الفرنسى، وذكر له أن من مصلحة الدول الأجنبية أن تتفق على العمل سويا فى الحبشة فى كل الميادين السياسية والتجارية ، أكثر من أن تحاول الحصول على نفوذ خاص بها . وخشيت فرنسا من أن يكون هذا الكولونيل قد نجح فى اقناع الأوساط ذات المصالح البريطانية بوجهة نظره هذه ، وأن الانجليز يسيرون فى تنفيذ سياسة رسمت جيدا . فخشيت فرنسا ضياع نفوذها فى هذه المنطقة ، وقررت الحكومة تكوين لجنة وزارية لدراسة هذه المسألة ، والاتصال بالشركة الامبراطورية ، وعدم الاستماع فى النهاية لغير مصلحة فرنسا نفسها .

* * *

وخشيت الحكومة الفرنسية أن يعمد الانجليز الى انشاء وصلة تخرج من الخط الرئيسى داخل الأراضى الحبشية ، قبيل الحدود مع المستعمرة الفرنسية ، وتسير حتى ميناء زيلع مما يفقد جيبوتى أهميتها .

وخافت الحكومة الفرنسية من أن يقوم الانجليز بانتزاع انشاء الخط كله من أيدى رجال الأعمال الفرنسيين، وزاد خوفها حينما علمت أنهم قد أسسوا شركة خاصة سيكون لها ، بمفردها ، الحق المطلق فى انشاء أى خطوط حديدية جديدة فى الحبشة .

وكانت الأخبار قد سرت بأن السلطات البريطانية ستضمن تسيير خط من البواخر بين الخرطوم واللادو . وكان عقد الامتياز الذى منحه منليك لالج وشفنيه ، وهو ما سيكون خط جيبوتى هرر جزءا منه ، يشتمل على امتداد لهذا الخط حتى النيل كما ذكرنا . فلنتصور اذن هذا المجموع مع وصلة مقترحة من زيلع الى خط سكة حديد جيبوتى قبل دخوله فى أراضى ساحل الصومال الفرنسى ! .

لم يكن دلكاسيه ، وزير الخارجية الفرنسية ورئيس الوزراء يشك اطلاقا فى الأهداف الفعلية لتلك الترتيبات التى تسير تحت اسم شركات رأسمالية خاصة . وكان يعتقد أن العوامل الاقتصادية وحدها ، لا تستطيع أن تعلل أو تشرح انشاء وصلة الى زيلع ، وهو ميناء صغير ردىء . ورأى أن هذه الوصلة تهدف الى ترك جيبوتى بالرغم من أنها تمتاز بحسن الأمن وسهولة الملاحة . ورأى أكثر من ذلك أخطارا استراتيجية وحربية .

ولذلك فانه كتب الى وزيرى المستعمرات والمالية شارحا : أنه على فرنسا أن تمنع نجاح هذه المحاولات، حتى لو اضطرت الى تقديم بعض التضحيات ، وذلك محافظة على مصالح سياستها العليا (١) . وطالب بانهاء هذه المسألة فى أقرب وقت ممكن وقبل أن تنتهى المهلة التى أعطتها الشركة الامبراطورية لاتحاد الشركات البريطانية ، والتى نص عليها الاتفاق لكى يصبح العقد ملزما .

واضطرت الشركة الامبراطورية الى قبول وجهة نظر الحكومة الفرنسية . ونجحت الاتصالات بالحبشة فى رفض حكومة أديس أبابا للتصريح بعمل وصلة

---

(١) الوثائق الدبلوماسية الفرنسية . المجموعة الثانية . الجزء الأول . وثيقة من دلكاسيه الى وزيرى المستعمرات والمالية . رقم ٣٠٩ فى أول يوليو سنة ١٩٠١ .

الى زيلع . ولكن هذا لم يهدىء ثائرة الدول الاستعمارية التى كانت تتنافس على الحبشة فى ذلك الوقت .

لم تنس ايطاليا مشروعاتها الاستعمارية وكذلك انجلترا ، ولكن انجلترا نجحت فى تسوية مشكلاتها مع فرنسا فى عام ١٩٠٤ ، وكانت ايطاليا قد توصلت قبل ذلك ومنذ سنة ١٩٠٢ الى تصفية المسائل المعلقة مع فرنسا ، واعترفت لها بعدم معارضتها فى مراكش نظير عدم معارضة فرنسا لها فى طرابلس وبرقة - ومهدت هذه الاتفاقات الدولية الى التقرب بين الدول الاستعمارية الثلاث على حساب بلاد الحبشة. فاتفقوا جميعا فى سنة ١٩٠٦ واعترفوا لفرنسا بحق اتمام بناء سكة حديد جيبوتى التى كانت قد وصلت الى دير داوا ، ومدها حتى اديس أبابا . ولكنهم اشترطوا على فرنسا عدم مد هذا الخط الى الغرب من العاصمة الاثيوبية .

أصبح اذن على الحكومة الفرنسية أن تؤيد المشروع ، فما ان وقع المشروع فى ضائقة مالية ، حتى عملت هذه الحكومة على الاشراف على تكوين الشركة الحالية التى تسمى « شركة سكة الحديد الفرنسية الأثيوبية من جيبوتى الى اديس أبابا » . وكانت هذه التسمية المحددة نفسها دليلا على الرغبة فى السير طبقا لاتفاق فرنسا مع كل من انجلترا وايطاليا . ونجحت هذه الشركة فى الحصول على عقد امتياز فى عام ١٩٠٨ من امبراطور أثيوبيا ، لاستغلال هذا الخط مدة ٩٩ سنة .

وواصل الفرنسيون العمل على اتمام هذا الخط ، بالرغم من المصاعب الطبيعية التى اعترضتهم ، والتى اقتضتهم بناء كثير من الجسور «والكبارى» ولاسيما على مجارى الأنهار. وتم الخط فى عام ١٩١٧ بوصوله الى عاصمة الحبشة . وبلغ طوله ٧٨٣ كيلومترا منها ١٠٥ فى أراضى ساحل الصومال الفرنسى .

تلك هى قصة سكة حديد جيبوتى ، ذلك الشريان الذى سيعطى لهذا الميناء حياته ، ويسمح له باستمرار النمو والازدهار ، ويسمح للفرنسيين بسهولة استغلال موارد الحبشة من هذه القاعدة البحرية المطلة على خليج عدن.

* * *

أما جيبوتى نفسها فقد أخذت فى الاتساع بمضى الوقت ، وازداد عدد الأهلين الذين نزحوا اليها واقاموا بها .

ولقد ظلت سياسة الحكومة الفرنسية فى جيبوتى حتى عام ١٩٣١ هى سياسة « تحسين الميناء » الذى كان موجودا من قبل ، فأنشأت احدى المعابر « السقالات » وأحد الارصفة البحرية ، ورصيفا آخر للفحم . ولم تزد حركة هذه الميناء فى عام ١٩٢٦ عن ٥٥٠٠٠ طن . ولكن احدى الحوادث البحرية وقعت فى هذه السنة ؛ وهى اشتعال النار فى احدى السفن الراسية فى الميناء . فأخذت فرنسا فى اعادة دراسة مشروع سابق يرجع الى عام ١٩١٢ ، للاعتماد على بقايا احدى السفن الغارقة فى عمل رصيف بحرى يزيد الميناء اتساعا . وهكذا ظهر أن المشروع الجديد سيقوم على أساس الاعتماد على بقايا هاتين السفينتين . وأن هذه الأعمال الانشائية ستنتهى قبيل اعلان الحرب العالمية الثانية ، وأن هذه الأرصفة ستستخدم فى استقبال الفحم ، وتخزين المازوت اللازم للملاحة .

زادت حركة ميناء جيبوتى الى ٢٠٠٠٠٠ طن فى العام . ولكن الحرب العالمية الثانية أوقفت كل حركة فى هذا الميناء ، وبخاصة فى سنتى ١٩٤١، ١٩٤٢ نتيجة لهجوم الايطاليين ، ودخولهم فى ساحل الصومال الفرنسى . وفى عام ١٩٤٨ بدأت جيبوتى تستفيد من ميزانية الاستثمار والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأراضى الواقعة فيما

وراء البحار ، فبدأت مشروعات لا بأس بها لتحسين الميناء وتوسيعه وتجهيزه - وتم ذلك فى عام ١٩٥٣ . ويمكن لميناء جيبوتى التجارى الآن أن يستقبل خمس سفن كبيرة على الرصيف وفى الوقت نفسه ، يستقبل سفنا لها غاطس من تسعة أمتار الى عشرة . وقد زود الميناء بالمخازن وبمواسير المياه والمازوت وأصبح فى امكانه أن يخزن ٥٠٠٠٠ طن من البترول .

* * *

ولقد أعلنت فرنسا أن جيبوتى وساحل الصومال الفرنسى منطقة حرة من أول يناير سنة ١٩٤٩ . وكان هذا القرار يتمشى مع النظام الموجود منذ سنة ١٩٠٦ والذى يسمح بمرور تجارة الترانسيت من والى الحبشة دون فرض أية رسوم عليها . ثم جاءت فرنسا وغيرت العملة الموجودة فى جيبوتى وفى ساحل الصومال الفرنسى فى ١٧ مارس سنة ١٩٤٩ . وأصبح هناك ما يسمى « فرنك جيبوتى » وهو فرنك مستقل كل « غطائه » من الذهب ، ويشرف على اصداره اتحاد المصارف الفرنسى الأمريكى الموجود فى نيويورك . وألغيت بذلك كل سلطات مكاتب العملة ، وأصبح من حق من يحمل هذه الفرنكات الجديدة أن يحولها أو يحول أية كمية منها الى الدولارات ، دون أى قيد أو أية اجراءات أخرى . وساعد ذلك على اتساع العمليات التجارية ، كما شجع على الاتجار ، مع الحبشة ، عن طريق جيبوتى .

وهكذا نرى أن ميناء جيبوتى يعيش على حركة ملاحة السفن التى تمر فى طريقها من والى الشرق الأقصى . تلك السفن التى تحتاج الى التزود بما يلزمها من ماء وفحم ومازوت ومأكولات ويعيش من ذلك الخط الحديدى الذى يتوغل فى الداخل حتى أديس أبابا يحمل اليه ما يلزمه من العالم الخارجى ، ويعود محملا بصادراتها الزراعية والحيوانية .

ولقد عملت مشروعات الانشاء والتعمير فى الحبشة ومرور أدواتها فى جيبوتى على خلق حركة لها قيمتها فى هذا الميناء . كما أن هذه الحركة قد زادت ، نتيجة لنزول بعض الشركات الاستغلالية للعمل فى بلاد النجاشى . ولقد اعتقد بعضهم وبخاصة فى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ أن جيبوتى ستفقد مركزها وأهميتها ، بالنسبة للحركة مع الحبشة ، وفى صالح ميناء عصب الصغير . ولكن ظهر خطأ هذا الاعتقاد ، اذ أن عصب لا ترتبط بالحبشة الا بطريق السيارات ، أما جيبوتى فتعتبر المخرج الطبيعى لمنتجات هذه البلاد نظرا لوصول السكة الحديدية اليها .

ولقد عملت التنظيمات الادارية والمالية التى أدخلتها فرنسا فى ساحل الصومال من ناحية ، والتطور الدولى فى العالم من ناحية أخرى ، وخصوصا العلاقة بين فرنسا والبلاد العربية ، والعلاقة بين العرب واسرائيل ، على التقرب بين فرنسا واسرائيل . وكما ساعدت فرنسا اسرائيل فى التسلح ، وفى انشاء خط لأنابيب البترول من أيلات الى حيفا ، نجدها تساعدها فى الخروج من الحصار الاقتصادى الذى فرضته الدول العربية عليها ، بل نجدها تساعدها فى القيام بحركة تطويق للعالم العربى فى افريقية .

وليس هذا المشروع جديدا ، اذ أن كلا من البرتغاليين ثم الفرنسيين قد حاولوا اقامة هذا المشروع فى القرن السادس عشر . ونهاية التاسع عشر ، وباءوا فيه بفشل ذريع .

ولكن « فرنسا » تبدأ فيه العمل مرة جديدة مشجعة (اسرائيل) على اتخاذ «جيبوتى» قاعدة تجارية لها فى شرق افريقية ، تتوغل منها للسيطرة الاقتصادية على « الحبشة » وترسم خطا فى « افريقية السوداء » حتى « المحيط الأطلسى » .

ومن هنا تظهر أهمية جيبوتى ، ذلك الميناء الافريقى ، فى السياسة الاستعمارية الجديدة فى العالم .

يوم غينيــا

La Journée de Guinée

احتفلت الرابطــة ((الافريقيــة))
احتفالا مجيدا بعيد استقلال غينيــا .
وغينيا . تبلغ مساحتهــا حــوالى
٢٨٠ر٩٠٠ كيلو متر مربع ، وعاصمتها
كوناكرى Kounakri ، ويربو عــدد
سكانهــا على مليونين ونصف المليون
يعيشون فى الأقاليم الأربعة الآتية : ـ

١ ـ السهل الساحلى .
٢ ـ الهضبة .
٣ ـ مرتفعات ((فوتا جالون)) .
٤ ـ الاقليم الجنوبى الشرقى .

وقد اغتصب الاستعمار الفرنسى
هذه المنطقة بعد كفــاح مــع الزعيم
((الحاج عمر تال)) وأولاده ثم عادت
أخيرا الى أبنائها عام ١٩٥٨ بعد كفاح
مرير رفع رايته الزعيم ((سيكوتورى))
الذى جمع بصدق الشعب من خلفه
ثم سار بهم فى خطى ثابتة على طريق
الحرية المضىء !

وقد أعلن المرة بعد المرة أنه لا يعتبر
استقلال بلاده حقيقيا الا اذا تحررت
كل افريقيــة ، وهــكذا يحس
((سيكوتورى)) بمشكلات القــارة ،
ويعتبر نفسه مواطنا افريقيا ينتمى
الى كل قرية وكل غابة ، وكل مدينــة
فيــه .

.. وبهــذا الرجــل ، وكثيرين من
القلوب الكبيرة مثله تسير القارة بخطى
ثابتة وقوية على طريق الحرية !!

الزعيم سيكوتورى ←

Leader Šeko Touré

السيد نائب وزير الخارجيـــة يخطب

Le vice-ministre des affaires étrangères Zulfikar Sabri, parlant

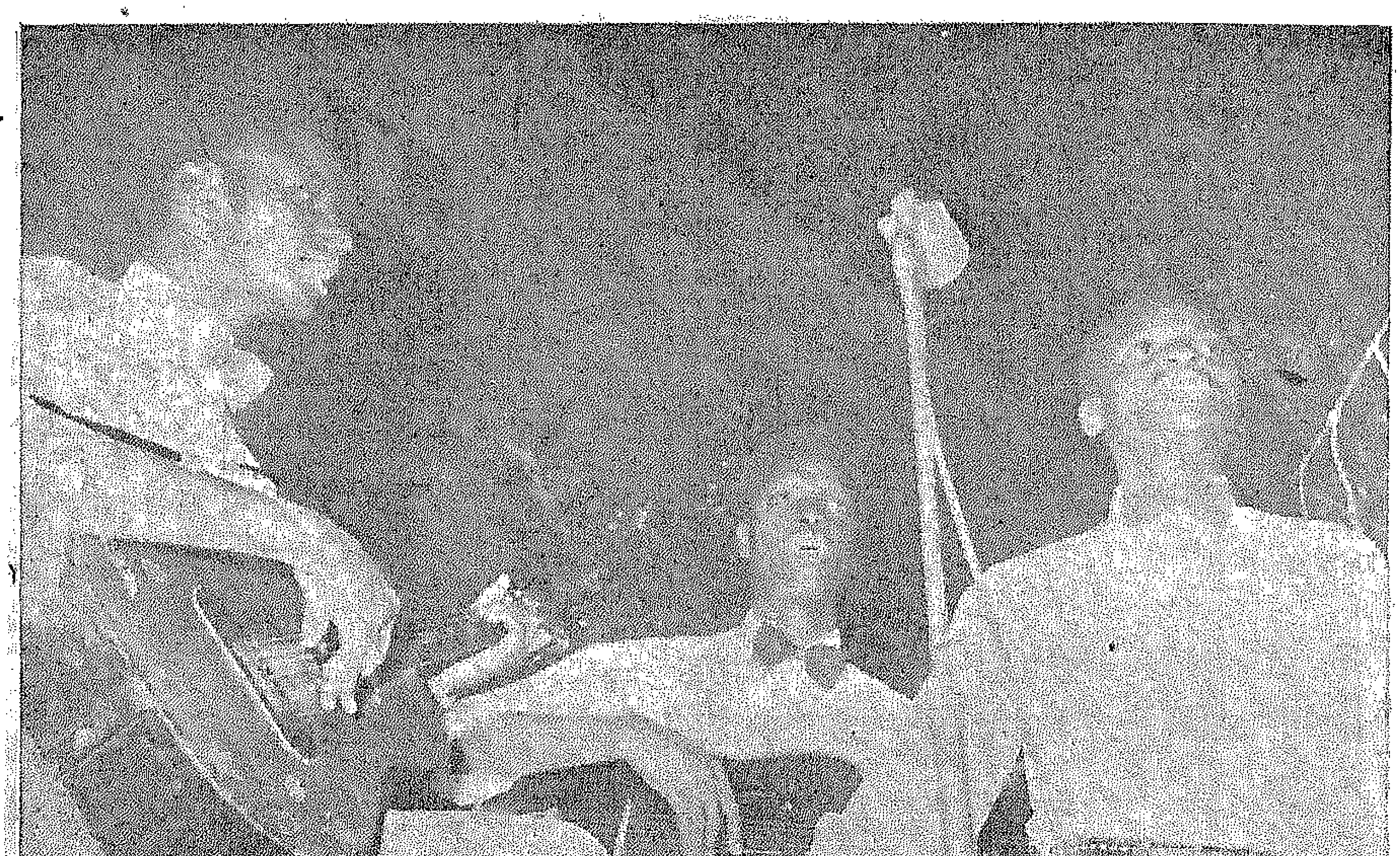

أغاني افريقية

Des Chansons Africaines

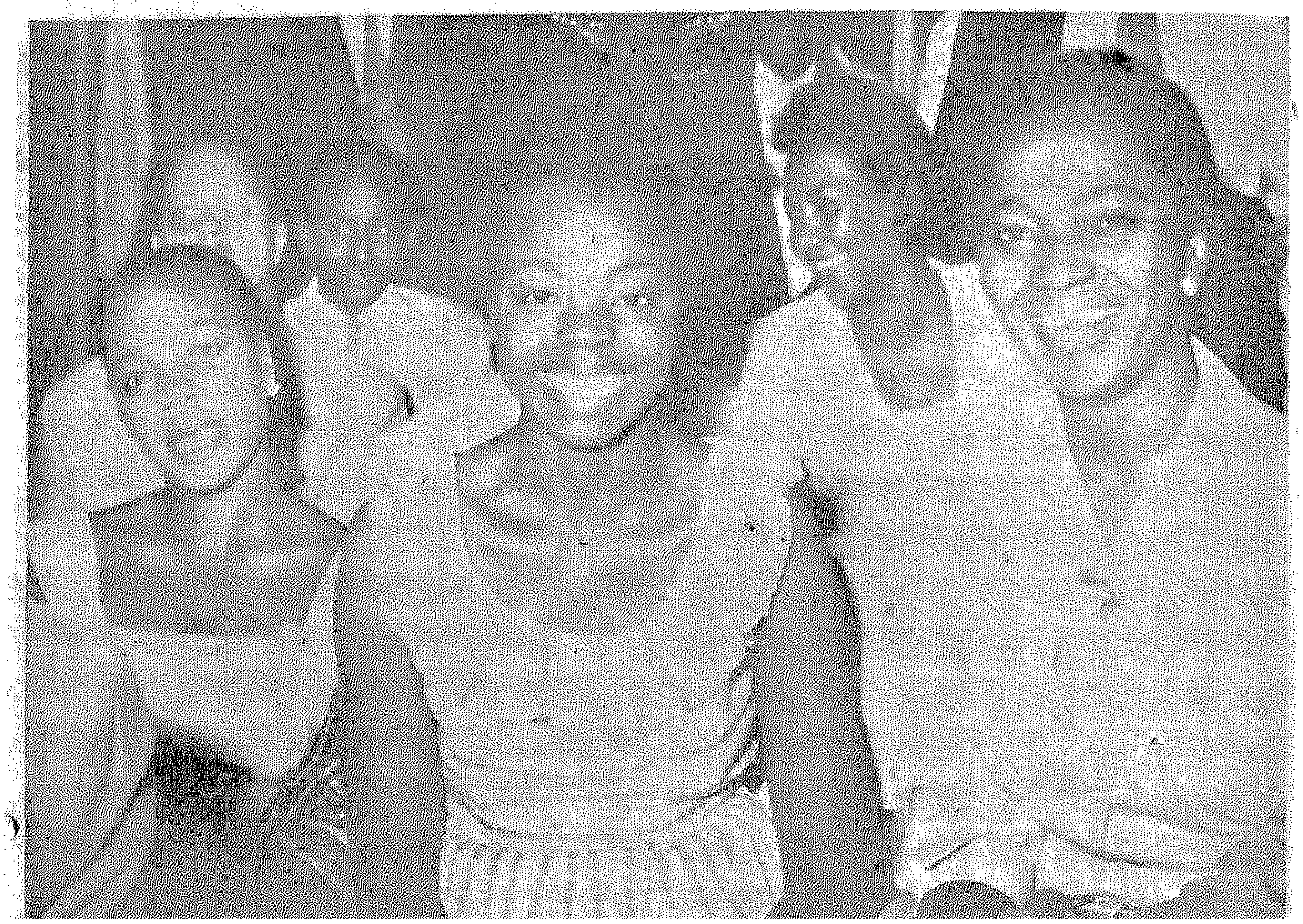

جانب من الحفل
Un coin de la partie

((طفلة)) تقدم الحــلوى فى الحفــل
Une petite fille présente les gâteaux

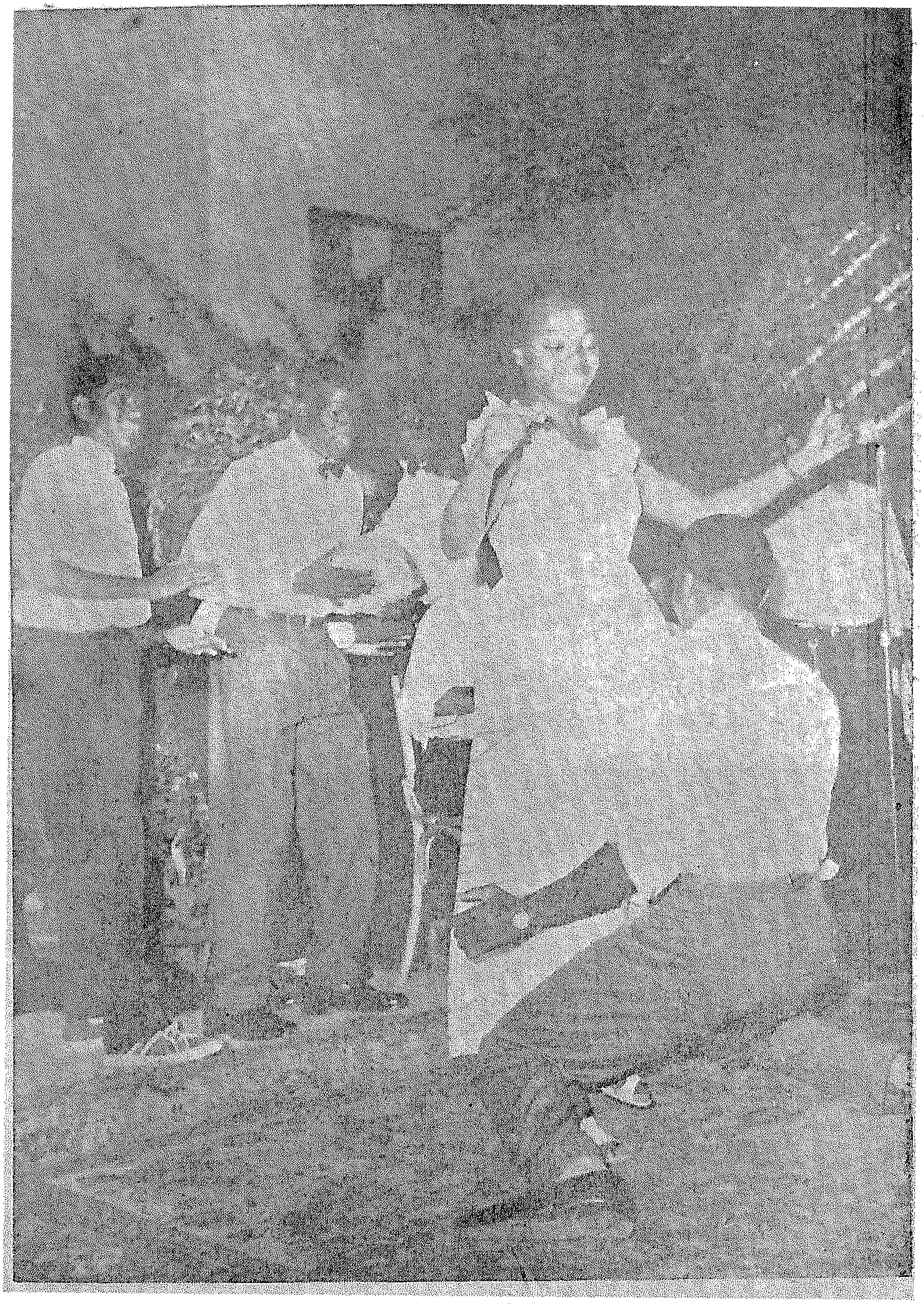

الرقص ابتهاجا
Danse Joyeuse

نقد الكتب

للاستاذ عبده بدوى

من الكتب التى ظهرت حديثا فى المكتبة العربية كتاب **((أضــــواء على الصومال))** للأستاذ ((عبد الصـــبور مرزوق)) الذى عاش فترة من الزمن فى هذه البلاد . وانها لظاهرة طيبة تلك الظاهرة التى نراها فى شبابنا فى هذه الأيام . فهم لا يقصرون أنفســهم على بلادهم ، وانما يعملون على السعى الى بلاد كثيرة من أفريقية . فاذا ما تغلغلوا فى أعماق هذه القارة العظيمة وجدناهم لا ينحسرون عن التيارات هنـــاك ، وانما يشـــــاركون بحب ، وفهم فى الأحداث الدائرة . فاذا ما عادوا الينا وجدنا فيهم عمق التجربة ، وصدق الاحســاس ثم وجدنا ــ وهــذا هو الأهم ــ شيئا نقرأه ، ويربطنا بهــذه البلاد ، وبقبس موجة الثقافة العربية وحدودها التى تمتد أكثر من امتداد حدودها السياسية !

والكتاب لا يسير على الطريقـــة المنهجية فى التأليف فهو لا يعطيك الحيـــــاة السياســـــية والعقلية ، والاجتماعية . ثم ما يريد به اثراء الحياة ، وانما يعطيك عدة انطباعات ترسبت فى ذهنه من هذه التجربة .

فهو يقدم لك مشاعره حينما تهيأ لترك وطنه الى ((صوماليا)) فى الرابع والعشرين من ديسمبر عـــام ١٩٥٥ ويعترف بأنه لا يعرف عن تلك البلاد مساء سفره الا أنها شىء مجهول . فاذا ما تحددت بعض قســماته رآها فى **((أدغال وأحـــــراش وغابات كثيفة مخيفة تتوطن فيها أخطر الأمـــراض والأوبئة ، ويتواثب من خلالها أغصانها مع الوحوش والطير قوم من بنى آدم سود البشرة غلاظ الطباع والأكبـــاد كما صورهم لنا المستعمرون)) .**

وقد يكون بعض هذا الكلام معقولا لو كان المؤلف مسافرا الىماتحت خط الاســـتواء من أفريقية ، ولكنه كان يقصد هذا الجزء الذى كان يسمى بالصومال الايطالى ويحده الصومال البريطانى ، وأثيوبيا ، وكينيا ، وخليج عدن ، والمحيط الهندى ، والذى قرأنا فى تاريخنا أنه ارتبط بمصر القديمة كل الارتباط . حتى لقد كان المواطن المصرى البســيط تتردد على شــفاهه دائما فى دعائه كلمة **((اجعل لى صومالا فى بيتى !))** فقد كان يجمـــع بينهما العنصر الحامى ، ودلت الحفائر على أن هناك تشابها بين البلدين فى كثير من مظاهر الحياة ومراســيم الموت . كما سجلت النقـــوش أنه كانت بين البلدين هجرات متتابعة ، وأن من أشهر الصوماليين فى بلاط ابن الملك خوفو صومالى اسمه **((هرتيزى)) .** كما سجلت الكثير من الرحـــلات

البحرية المصرية اليهـــا . ولقد ظـل أثر هذه الرحلات الى الآن فى التأثير اللغوى الذى اكتسبته اللغة الصومالية من اللغة المصرية القديمة ، وفىالقصص الشعبى الذى ظل يدور هناك ومنهـا قصة البحار الغريق (١) ، وفى كثير من أشكال الصناعات المحلية .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد وانما يتعداه الى كثير من العصـور ، فاذا ما كان العصر العربى قرأنا الكثير عن هذه البلاد فى كتب المؤرخين العرب ، وأحسب أن المؤلف يعرف الكثير منها ، وقد ظللنا على صلة روحية بهذه البلاد عامة حتى لقد عرف جزء منها منـذ عهـد قريب حكما مصريا فى منتهى العدالة . فلما اشتد فى هـذه المنطقة الصراع العالمى ، وبدت خطوات فرنسا وانجلترا تضغط على صدر هـذه المنطقة ، ورأت انجلترا أن تقوم بعملية تفريغها من القوى المصرية ثار الواعون هناك ، وتمسكوا بالحكم المصرى !

والانسان هنا فى القاهرة ومنـذ عهد بعيد لا يعـدم أى يرى وجها صوماليا فيه كثير من القسمات المصرية والعربية ، فهم ليسوا على حد قول المؤلف **((سود البشرة غلاظ الطبـاع والأكباد)) .**

والذى أريد أن أخلص اليـه أن الدعوى بأنهذه البلاد مجهولة للمواطن العربى ليست سليمة ، فالتـلاميذ يعرفونهذه الصلة ، والمثقفونيعرفون أن التراث العربى زاخر بالحديث عن كل أفريقيـة الشرقية ، وزيادة على هذا فان فى السوق كثيرا من الكتب تعرف بهذه البـلاد . واذا كان الاستعمار قد وقف بيننا وبين أعماق القارة ، وبين أفريقية الغربية فانه ظل عاجزا عن قطع صلتنا الروحية بالبلاد التى ظهرت فيها العروبة ، ومن هذه البلاد ((صوماليا)) .

ومهما يكن من شىء فالمؤلف يقدم لنا قطاعا من الطبيعة ويذكر لنا أنه وصـل مع مقديشيو فوجد أناسـا يستقبلونه بالبشر والترحاب ، وليسوا غلاظ الطبع والاكبـاد ولا وحوشا فى هيئة الانسان ، وفى الوقت الذى كانت البعثة تتغلغل فيه داخل البلاد وجـد شريط أخضر يمتد فى أناقة وخصوبة على يمين السائر . وكان لابد لهم أن يدركوا أن هذا العالم الأخضر الخصيب يمتلكه الدخلاء . أما هـذا الجانب الآخر المجدب فلم يكونوا فى حاجة الىأنه يعرفوا أنه ملك المواطنين.

ويتذكر المؤلف وهو عـلى طريق ((**أفجوى**)) بلاده . فقد وجد فى هذا القطاع خصبا ونماء ، وما كان له أن يبعد صورة بلاده عن خاطره . فكل شىء هناك يحمله حمـلا على عملية التذكر هذه . فأشجار ((جوز الهند)) تظهر الكبرياء التى يظهرها النخيـل على النيل ، والأيدى المتشجنة عـلى الفأس هناك كأنها صـورة أخـرى ((للقطة)) خالدة للكادحين فى حقول مصر . وتلك النسمات الرخية التى تتسرب أمام الفـلاحين فى العودة الى قراهم هى نفس النسمات الوديعة التى تهفهف على وجـوه الفلاحين وهم عائدون الى قرية مصرية منطوية على نفسها ، وعلى تاريخها ، وعلى غدها !

ولكن كل هذا العالم المبكر يوجـد الىجواره عالمآخر لايحمل طابع البلاد ، ولا واقعها المعاصر : فهنـاك الآلات الميكانيكية التى تحول مجرى المياه فى

(١) مجلة نهضة أفريقية العدد ٢١ ص ٨٤.

نهم الى أراضى الغرباء ، فاذا رفعت بصرك قليلا عن هذه الآلات وجدت قصورا صغيرة تعشش فى مساحات كبيرة من الحدائق . فاذا رفعت نظرك أكثر وجدت كنيسة ضخمة تحمل طابعا غريبا عن الطابع المميز للبلاد !

والمؤلف ينقلنا الى عدة قرى فى خفة ورشاقة حتى يصل بنا الى قرية حبيبة هناك تسمى ((**مصر**)) فيقدم لنا منها شخصية « العريف » فى كتابه ومن حوله التلاميذ ، وكيف كانت تحيتهم ممثلة فى اللبن المحفوظ فى قشور « جوز الهند » ، وكيف أن هؤلاء التلاميذ مع صغر سنهم يتقنون ترتيل القرآن ، ويستطيعون كتابة العربية بالخط النسخى الجميل . ثم يذكرنا المؤلف بأن فى صوماليا ثلاثة أماكن واحد منها باسم ((**مصر**)) . كما أنك تجد بها أسماء ((**المنصورة**)) ، و ((**بيلا**)) و ((**الاسكندرية**)) وكم كنت أحب أن يحقق المؤلف هذه الأسماء ، ودوافع التسمية بها وأزمنتها والظروف الاجتماعية حولها ، ولكنه يجذب القارىء جذبا ليطوف به فى البلاد التى اجتازها دون أن يذكر أن من الطبيعى أن يسأل القارىء وهو يجذبه أن من حقه أن يطالبه بتعميق الرحلة ، وأن يقدم له فلسفتها . لا خطوات تظل تضرب ، وتضرب فى صوت رتيب أجوف !

بالرغم من أن المؤلف يقدم لنا عدة ((تابلوهات)) رائعة عن الغصون المتشابكة ، والطيور المشقشقة ، ((الحشرات البناءة)) ، والرعاة الذين يستظلون بشعرهم الكثيف ، وبالرغم من أنه يقول انه قدم قطاعا ((عرضيا)) عن الطبيعة الصومالية . الا أننا نراه قد قدم لنا قطاعا ((طوليا)) . أما ما كان ينقصه فهو القطاع العرضى .. قطاع العمق ..

.. ثم يقص علينا المؤلف رحلته لزيارة مركز التربية الأساسية الذى أنشأته الأمم المتحدة فى ((**دنسور**)) ، ومقابلته لدكتور ((**باريرا**)) المشرف على هذه المنظمة هناك والذى تعيش معه زوجته الطاعنة فى السن ، تاركين ولدهما الوحيد فى وطنهما ((**المكسيك**)) وبالرغم هذا فقد أقاما مدة ثلاث سنوات كونا فيها علاقات طيبة مع الأهالى ، وبذلا فيها مجهودا رائعا لخدمة الصوماليين ، ولكن الحقيقة ترينا أن هذه الاصلاحات مهما كانت صادقة الا أنها سطحية لا تصل الى الجذور . فالمشكلة هناك أعمق من هذا التناول القشرى الذى تقوم به هذه المنظمة هناك .

خاصة وأن المنظمة بانتمائها الى الأمم المتحدة لا تقتصر عمن تفعله شركات التنقيب عن البترول بها . فوحداتها مزودة بوحدات صحية ممتازة ، وبأحدث الطرق العلمية ، بل بطائرات على أهبة السفر بالحالات التى يستعصى علاجها على هذه الوحدات هناك !

والتعاون الذى تقدمه « الأمم المتحدة » هناك فى الزراعة لا يزيد عما تقدمه من الناحية الصحية . خاصة وأن الاستعماريين قد أدخلوا فى أذهانهم أن المشكلة فى بلادهم مشكلة وجود المياه . وقد كان دور الأمم المتحدة هناك هو اقامة حقول تجريبية تضم بعض الخزانات بحيث

تتجمع فيها المياه بانتظام لاستخدامها بعد ذلك فى كافة الوجوه هناك ، ولكن اتساع هـــذه الخزانات لا يزيد عن اربعة عشر مترا ، ولا يزيد عمقها عن اربعة امتار ، كما انها تقام فى أماكن معرضة للشمس المحرقة مهما يعرضها لعملية تبخير مستمرة ، وزيادة على كل هذا فان هذه الخزانات ليست سوى حفر بدائية غير مبطنة بمادة تمسك تسرب الماء منها ، ومن هنا فهى لا تستمر فى البقاء أكثر من خمسة عشر أو سبعة عشر يوما بعد انتهاء موسم المطر . والكلام بهذه الصورة يقدم البلاد فى صورة لا تعرف المياه الجارية ، ولكن المعروف أن بهـــذه البلاد نهرين من الأنهار الطويلة فى العالم يخترقان هذه البلاد من الشمال الى الجنوب ، ويفيضان مرتين كل عـــام لا مرة واحدة . بل ان الماء بعد عمليات الحفر لا يبعد عن سطح الأرض بأكثر من خمسين قدما . بل قد يتفجر الماء ذاتيا كما فى بعض المناطق المرتفعة .

والمؤلف يقدم اقتراحا عمليا لهذه المشكلة التى تقف فى طريق تقـــدم البلاد ، وازدهارها الزراعى :

أولا : تنظيم خريطة شبكية لتوزيع مياه النهرين العظيمين حتى ترتوى بها أكبر مساحة ممكنة من الأرض ، وذلك عن طريق اقامة السدود ، والقناطر اللازمة بدلا من أن تضيع هـذه الثروة المائيـــة فى جوف الأرض الساخنـة ، ويمضى باقيها الى المحيط الظـامىء الذى لايرتوى .

ثانيا : ينبغى توفير العناية الفنيـة اللازمة لصيانة وتعميق مجرى النهرين حتى يكونا أكثر استعدادا لتحمـــل واجتذاب كميات أكثر من ميـــاه الفيضان فمن الملاحظ أنهما يسيران حتى اليوم فى المجرى الذى رسماه لنفسيهما بيد الطبيعة منذ يومهمـا الأول لم تمسهما يد انسان ولم تحاول أن تهذبه على الرغم من أن عمـــر الاستعمار فى صوماليا قد جـــاوز الستين .

ثالثا : فى المناطق التى يتعذر تحويل مجرى المياه اليهـــا لأى سبب يمكن القيام بمحاولات جـــدية لاستخراج المياه الجوفية الوفـــيرة والقريبة من السطح . كما أنه فى حالة التفكير فى مياه الأمطار فلابد من اقامة الخـــزانات الضخمة بالطرق الحديثة التى تجعلها تؤدى الغرض منها فعلا .

هذا هو الحل الذى يقدمه المؤلف ، وما أحسب أحدا يقوم به الا أبنـــاء البلاد أنفسهم حينما تتاح لهم الفرص ــ وقد حانت / فخلاصهم سيكون فى نهاية عـــام ١٩٥٩ ــ لحكم بلادهم . والتفكير فى استثمار كل قطعة منها ، واحتشاد القوى لبعث كل مرافق البلاد هناك .

والذى نريد أن نخلص اليه هناك أن هذه المؤسسات الدولية التى تخدم فى أكثر من مكان من أفريقية لا تقدم حلولا جـــذرية ، وانما تتوخى علاج بعض الحالات الفردية التى يمكن أن تكون مادة للدعاية خارج البلاد . ومع أنها مشكورة الى حد ما الا أن الحل الدائم لكل المشكلات القائمة لن يكون من خارج البلاد ، كما أنه لن يكون الا بأيدى الأفريقيين ، وعقولهم !

ولعل الخطـــــورة التى تأتى من

هؤلاء الخبراء أنهم لا يعملون بوحى من انسانيتهم فى كثير من أمورهم ، وانما بوحى من معتقداتهم الدينيـــة والسياسية ، ومن هنا نرى بعضهم ينحرف عن الطريق الاصلاحى المرسوم له الى طريق آخر ، وربما يكون أقرب طرق الانحراف بالنسبة لهؤلاء الخبراء هو « التبشير » .

وهكذا نرى المؤلف يلمس الأشـياء مسا سريعا ، ويمضى بنا فى عجـلة ليقدم لنا قطاعات سريعة هناك ، والذى يظهـــر أن المؤلف « لم يسر فى أرض محايدة » وانما اتخذ جانبا واحدا هو الاشادة بالشعب الصومالى ، والضغط على الاستعمار ، والتشهير به ، وهذا الحماس لا يفيـد الحقيقة فى كثير . فنحن نعرفه أن بعض « المشـايخ » هناك قد انزلوا ببلادهم من المحن مالم ينزلها بهم كثير من هؤلاء الخبراء . فهم الذين كانوا يسارعون الى بيع قطاعات كبـيرة من بلادهم للأجانب ، وكانوا يقفون الى جانب من يقدم لهم بعض المعـونات التى لا تهم الشعب فى شىء وانما تهمهم هم شخصيا . فبعضهم قد وقف بحمق وصـــلابة الى جانب فرنسا ، والبعض الآخـــر قد وقف بجوار انجلترا ، وأبدى اســـتعداده لمحاربة فرنسا من أجلهـا وعلى حـد قول الدكتور جـلال يحيى « أعطـوا السفن البريطانية الحق فى مصـادرة الرقيق سـواء فى البحر أو على البر ، واستخدام القوة لذلك ان لزم الأمر وقبلوا أن يعاملوا الممثـلين والمندوبين الذين ستعينهم الحكومة البريطانيـة بكل اعتبار ، وسمحوا لهم بالاحتفاظ « بحرس شخصى » .

بل نرى البعض من هؤلاء قد وقف بجوار الايطاليين أيضا ، ومن هنا نرى كثيرا من الحقائق يضيع خلال حماس المؤلف للخطوط الذى رسمها فى ذهنه . وأنا أحب أن أوكد هنا ان الكشف عن القوى الأجنبيـــة لا يقل فى أثره عن الكشف عن القوى الرجعية فى البـلاد فهم الذين يقيمون الجسور بأيديهـم ليمر عليها هؤلاء الدخلاء . ومن المؤكد أنه قد ارتكبت أخطـــاء جسيمة فى حقوق البلاد التى فرط فيها الكثيرون من سادتهـــا .

وممـــا نراه من تحـــامل المؤلف وتحمســه أنه حينمـــا قابل الخبير المكسيكى هناك وجه اليه شـيئا من اللـــوم لأنه لا يعرف العربيـــة أو الصومالية ، ولو كان يعرف واحـدة منهما أو كلاهما لاستطاع نقل أفكاره « بصورة مباشرة تكون نتائجها أسهل وأسرع وأشد تأثيرا على الوجـدان » فلما عرف أخيرا منه أنه يتعلم منـذ عام الصومالية والعربية وأنه موفق فى هذه الدراسة بدأ المؤلف يداخله الشك فى عملية التعليم هذه .

ثم يقــدم لنا المؤلف صـــورة عن « مقديشو » ، ولا أدرى لماذا كتبهـا هكذا بينما نراها فى الكتب العربيـــة الأخرى « مقديشيو » فهو يقدم لنـا فيه صورة شعرية عن تأثير المحيط فى هذه العاصمـــة للصومال ولا أدرى كذلك لماذا يسمى البلاد الصومال . بينما اصطلح العلماء على تسمية هـذا القسم الذى عاش فيه والذى خضع لتأثير النفوذ الايطالى « صوماليا » .

فهو يذكر أن المناخ معتدل فى هذه المنطقة طول العام ، وأن مستوى درجة

الجرارة .هناك لا يزيد على الثلاثين ، وانه لا فرق بين العاصمة وأيه مدينة ساحلية فى مصر وأن أثر المحيط لا يقف عند حد تلطيف المناخ ، وعند وجود ثروة مائية ضخمة ، وانما يتعداهما الى أثره .« الميناني » هناك . فوجود البلاد على الشاطىء هناك جعلها فى مركز هام بين جنوب شرق افريقية ، وبين أوروبا وآسيا . ثم أن رمال الشاطىء هناك تستخدم استخداما بنائيا فى نظام الاسكان . ومع أن وجود هذا الميناء كان يمكن بواسطته أن يدر على البلاد خيرا كثيرا الا أن أغلب البضائع التى ترد الى هذا الميناء بضائع « **ايطالية** » وعليها ما يشبه الاعفاء الجمركى .

والى جانب أثر المحيط الاقتصادى فى البلاد ، نرى أن بعض الجوانب الاقتصادية الأخرى التى تتشكل منها اقتصاديات البلاد تتمثل فى قطع الأخشاب من الغابات ثم تحويلها الى « **فحم نباتى** » يصدر الفائض منه الى عدن ، وممباسة ، ومنطقة الخليج الفارسى — وقد كنت أحب أن يسميه المؤلف الخليج العربى — على أن مدى الاستفادة من هذا النوع من الحياة الاقتصادية لا يتعدى العملية الآلية التى يقوم بها السكان حينما يقطعون الاشجار ، أو ينقلونها الى حيث تحرق ، ثم نقلها ثانية الى حيث تصدر . فاذا ما أضفنا الى هذا أن امتياز قطع الاشجار تمنحه الحكومة للشركات بدون مقابل لاحظنا أية ضربة يعانى منها الاقتصاد الوطنى هناك ، وكيف توضع القوانين عن عمد لتدميره !

أما التجارة فتكاد تكون مركزة تماما فى أيدى الايطاليين . فهم يديرون الفنادق ، والمقاهى ، ودور السينما ، والمحال العامة ، ويحتكرون استيراد سلع معينة تدر عليهم أرباحا طائلة خاصة وأنهم شبه معفون من الضرائب الجمركية .

هذا الى جانب الاستثمارات اليهودية ، والباكستانية ، والهندية ، أما الدور الذى يقوم به العرب ، والصوماليون هناك فيأتى بعد هذه الطبقات . فهم يعتمدون أساسا على القوى الشعبية فى البلاد !

والصناعة تخضع كذلك للنظام الذى قدمناه من قبل ، فرءوس الأموال الضخمة فى أيدى الأجانب ، ودور الصوماليين هناك فى المصانع التى تقوم بحفظ اللحوم ، وصناعة الصابون ، والمنتجات الزراعية ، وصيانة السيارات ، وصناعة السكر ، واستخراج الزيوت ، وحفظ الأسماك . دور الصوماليين فى كل هذا هو دور « **المجهود العضلى** » الذى لا يتعدى الحمل ، والقيام بالأعمال التى لا تمت الى فنية العمل بصلة .

والمؤلف يذكر لنا مدينة الاسماعيلية أقرب المدن المصرية فى تخطيطها العام الى العاصمة هناك ، وان أكثر من تسعين فى المائة من هذه المبانى مملوكة للايطاليين والباكستانيين والهنود ، وقلة من العنصر العربى . أما الصوماليون فلم يبدأوا فى الاهتمام بهذه الناحية الا مؤخرا ، والعاصمة تتركز فيها كل مرافق الحكومة بسلطاتها المختلفة ، وكل مشروعاتها التى تكاد تكون حكما فى أيدى الايطاليين .

أما الأهالى فيقيمون هناك فى حى منعزل فى بيوت من الخشب والطين .

ثم يطوف بنا المؤلف فى جولة حول المجتمع الصومالى فينقل بعض العبارات عن ((**ابن بطوطة**)) ويجىء بعض هذا النقل محرفا ، ثم يذكر أن مقديشيو آهلة بالسكان ، وأن أهلها يمتلكون الكثير من الجمال حتى لينحرون منها كل يوم مائتين . كما أنها تغص بالتجار الأقوياء ، ويصنع فيها نسيج رائع يسمى باسمها ، وأنه يصدر الى مصر ، وأن الشبان كانوا يقبلون على المرسى ومعهم الطعام فيتقدم كل واحد منهم الى تاجر وفى يده الطعام وهو يقول ((**هذا نزيلى**)) .

وأن ((ابن بطوطة)) حين قدم مع القادمين صاحوا أنه فقيه وليس من التجار ، وعلى هذا فهو نزيل القاضى وأن القاضى واسمه ابن برهان المصرى الأصل سرعان ما علم ، واذا به سريع بين طلبته الى حيث كان يقف ((ابن بطوطة)) ، ويسلم عليه القاضى ويذكر له أن على الرجل الشريف والفقيه ، أن يتوجه من فوره الى دار ((السلطان)) ، وانهم ما كادوا يصلون الى هناك حتى قدمت للجميع أطباق تضم أوراق ((التنبول)) و ((الفوفل)) وعطروا بماء الورد ، وأمر أن ينزل ((ابن بطوطة)) بدار الطلبة مكرما ، وأن تقدم له كسوة تليق به ، ثم كيف قابل السلطان ولقى ترحيبا بالغا من الجميع ، و ((ابن بطوطة)) يصف الكثير من ألوان حياتهم فيصف طعامهم ولباسهم ، وطريقة سلامهم ، ومظاهر استقبالهم ، ووداعهم .

ثم ينتقل المؤلف الى أن المجتمع هناك كان مكونا من عدة قبائل ، وأن أول سلطان طور سلطة القبيلة كان السلطان ((**أبو بكر فخر الدين**)) ثم يذكر لنا الصورة التى عرف بها هذا السلطان فى الخيال الشعبى ، وأنه قد تبرع لفقيرين بمائة درهم بينما هو لا يملكها ، ولكن امرأته تعطيه اياها . فاذا ما وفى هذا النذر ترك ثيابه لعبده ليغسلها ، وينشرها فوق الجبل ، وبينما هو يسأل عن بعض العنبر يذكر له عبده أن الجبل الذى نشر عليه ملابسه قد تحول حتى صار ((**جبلا من عنبر**)) هذه هى الصورة التى قدمها المؤلف عن أول سلطان فى البلاد ، ومع أنها تحمل كثيرا من الخصائص النفسية والاجتماعية لهذا الشعب الا أنا نسأله : أما كان له أن يرسم لنا الصورة الحقيقية لهذا السلطان الذى يعتبر أول من وحد بلاده ؟

ثم يؤكد لنا المؤلف مافى هذا الشعب من ديمقراطية ، وأنهم لا يعانون من العقد والأزمات تجاه صاحب السلطان، وينتهى الى أن السبب البعيد لهذا المظهر الديمقراطى يرجع الى عدم وجود طبقات اقتصادية لأنه لا يوجد اقتصاد منظم يعمل على خلق هذه الطبقات ، ويعمل على التنازع بينها .

ويرى أن القبلية من أسباب هذا أيضا ، وأن هذه الديمقراطية لا تزال موجودة الى اليوم بين وجوه القوم ، وصعاليكهم ، وهذه قضايا لا يمكن التسليم بها . فنظام الطبقات يوجد على أشده فى مثل هذه المجتمعات ، والاقتصاد المنظم لا يعمل على خلق الطبقات بقدر ما يقرب بينها وأما أن القبلية تعمل على خلق

الديمقراطية فشيء ظاهرى فقط لانه توجد بين القبيلة والأخـــرى ، وبين القبيلة وأفرادهـــا عدة مســـتويات ناشئة تظهر فى التكوين الاجتمـــاعى وهذا شيء مقرر ومعترف به فى علم الاجتماع !

ولعل من الغريب حقا أن يصور لنا المؤلف أن عدم الانفصال بين الشعب الصومالى يرجــع الى تلك النصيحة الساذجة التى قصها أحد المعمرين التى تقول ((**لا تضرب أخاك فأخـوك لك**)) ، وأن العمل بهـــذه النصيحة قد أصبح جـزءا من ســـلوك الشعب الطبيعى . فالمؤلف هنا يقدم لنا الظواهر السلوكية فى ضوء نصيحة لشيخ معمر ، دون أن يكلف نفسه عناء ارجاعهـــا الى ظواهر نفسية ، واجتماعية . مركبة فى نفسية الشعب هنـــاك .

وقد سر المؤلف حقا ــ وهذا ظاهر فى الكتاب ــ بالنصوص التى قدمهـــا « ابن بطوطة » فهو يرددها فى أكثر من مكان ، ويربط بينها وبين مظاهر الحياة هناك . فحين يتكلم عن المرأة لا ينسى ما قاله « ابن بطوطة » ، وحين يتكلم عن الملابس لا ينسى ما قاله «ابن بطوطة » وحين يتكلم عن ديمقراطية الشعب لا ينسى ما قاله «ابن بطوطة» ولا أدرى لماذا وقف عنده فقط ، ولم يتعرض لغيره من المؤرخين العـــرب الذين تحدثوا عن شرق افريقية بمـــا فيها الصومال . ان كان معجبا حقا بربط آراء المتقدمين بالواقع الموجود هناك ! .

وهو لا ينسى فى الوقت نفســه أن يرجع كل الموبقـــات التى توجـــد فى المجتمع هناك الى الاستعمار فوجود الســـاقطات ، والعبث بالمعتقـــدات ، والقيم الشريفة .. الخ يرجع جميعه الى الاستعمار ، ورأيى أن التـــأليف بهذه الروح الحماسية يضر أكثر مما ينفع . فقد يكون الاستعمار أحـــد الأسباب القوية التى تعمل على تدمير روح الشعب ولكن لابد من الكشف عن القوى التى تسانده فى الشعب ، والى عوامل الضعف فى البناء الأســـاسى فى الدولة ، والى الاعتراف بأن بعـــض أسباب التخلف يرجـــع الى الشعب نفســـه فى نظمه وعلاقاته ، وطريقـــة استقباله للحياة . بدليـــل أن هنـــاك شعوبا لم يدخلها الاستعمار ومع ذلك تعيش فى انعزالية بعيدة عن الحيـــاة. ولعل ارجاع كل الموبقات الى الاستعمار يسيء الى الشعب نفســه أكثر ممـــا تفيده عملية التبرير هذه . والا فأين صموده ؟ وصلابة حضارته فى وجـــه هذا الدخيل ؟ وكيف مكن له «المشايخ» أنفسهم من دخول البلاد ؟ .

ثم يقدم لنا المؤلف صـــورة مـــن عادات هذا الشعب وتقاليده كاحتفالهم ببداية العام الاسلامى ، ومولد الرسول على نحو مايحتفل به فى مصر . والتقرب بذبح الغنم لوقف الريح . ثم يرددون ((**اســـتغفروا ربكم انه كان غفـــارا ، يرســـل السماء عليم مدرارا**)) ، وأن السبب فى هذا أن رجلا كان يدعو الله اجتلاب المطر فانشق البحر أمامه ، وخـــرج منـــه ولى يســمى « عويس القرنى » ويلاحظ أن اسمه « أويس » لا « عويس » ثم قال له « كيف تطلبون الرحمة وأنتم العصاة ؟ » وقرأ الآية الســابقة ! ولا أدرى لماذا يستند المؤلف دائما الى هذه القصص حين الحديث عن القضايا الجادة .

ثم ذكر أن من أهم الأعيـاد ذات الطابع الاجتماعى هناك «عيد فرعون». ثم يقول لعل فكرة التضحية واسالة الدم قد تسربت الى أعياد الصوماليين من نفس السنة الاسلامية المألوفةفى الأضحى ، واعتبار اسالة الدماء نوعا من القربان الى الله ، ونحن نميل الى أن هذه الفكرة مأخوذة من التقـاليد القديمة قبل أن يدخل الاسلام اليهم، خاصة وأن هذا اللون من التقرب قد عرف فى كل العالم وفى افريقية بنوع خاص قبل ظهور الاسلام ! والمؤلف، يؤكد لنا حب هذا الشعب للعلم ،وأنه حتى عام ١٩٣٠ لم يكن هناك تعليم منظم الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وأن هناك لونا من التعليم أحدهما التعليم الذى تشرف عليه الدولة ، والثانى التعليم الذىيقوم بهالوطنيون.

ثم يذكر لنا أن الاسلام قد وفد الى هذه البلاد مبكرا ، ومدفوعا بالرجال الذين أبعدتهم السياسة . أو التجارة عـن بلادهم . ثم نراه يكشف عـن مساوىء الرجلالأبيضويورد ماأورده الدكتور محمد عوض محمد عن رأى «مونتسكيو» فىتحقير الرجل الأسود، وقد ذكرنى هذا النقل برأى آخـر يقول ان هذا الرأى مدسـوس على هذا المفكر فى لغته الأولى وأن كتاب « روح القوانين » برىء من هـذا الرأى .

ثم لم يؤكد المؤلف أن الصـوماليين متدينون . شديدو الحساسية بكل ما يتصل بالدين وأن نظـام الطـرق الصوفية هناك عتيد ، وأن الدعـوة «البهائية» قد أخذت طريقها الى هناك وأخذت ترمى بشبهات فىوجهالعقيدة الاسلامية ، كما أن المبشرين يقومون بمحاولات يائسة فى تثبيت عقائدهم، وأنهم يتسـترون وراء مسـاعدة المحتاجين ، وقد نالت هـذه البلاد حظا وافرا من اهتمام مصر . فقـد أنشأ المؤتمر الاسلامى مركزا ثقافيـا هناك ، وما يزال يعد العدة للقيام بعدة مشروعات اسلاميةهامةهناك . خاصة وأن الصوماليين يعتبرون مصر قبلة العالم الاسلامى ،ويعقدون عليها الكثير من الآمال .

والمؤلف يذهب بعيدا ــ ويعترف فى الوقت نفسه بأن مصادر التحقيق تعوزه حين يتحدث عن طبيعة الجنس الصومالى فيأتى برأى غريب حقـا حين يقـول « واذا صـح تقـديرى فهم فصيـلة من فصـائل الجنس البشرى لها خصائصها ، ولا تصـح نسبتها الى العرب وحـدهم ولا الى البانتو وحدهم ولا الى الجالة وحدهم فلقد أخذوا من دماء هذه الأجناس جميعا ، وان كان الدم العربى أكثرها وأطولها وأعمقها فى حيـاتهم تأثيرا » **والحقيقة العلمية التى يجب أنتقال فى هذا المجال أن الصوماليين ينتمون الى الأصل ((الحامى)) الذى قدم من آسيا ، وتوغل فى افريقية عن طريق ((باب المندب)) ثم انتشر قسم منـه فى القرن الافريقى من رأسجردفوى حتى قسـمايو . ومن هـذا القسم يتشـكل العنصر الصـومالى ، وان كانت قد دخلت فيـه بعض الدماء العربية ، والزنجية ! .**

ثم يكشف لنا المؤلف عـن الدور الذى قامت به ((**البرتغال**)) فى البلاد . ثم دور الحماية الايطاليـة الذى بدأ

باستغلال « المشايخ » والاتفاق معهم على بيع الأراضى ، وتمكين النفوذ للايطاليين ، وها هو نص الاتفاق مع سلطان المنطقة ((**أقول أنا سلطان المجرنين جميعا . أنى طرحت ، ووضعت وجهى وصحيحى (توقيعى) بيدى فى هذه الورقة على أنى بذلت بلدى وملكى من رأس عون الى رأس الخيل .. تحت حكم دولة الايطالية الفخيمة السلطان المعظم امبرتو بريمو (الأول) على يد وكلائهما (كذا) القنصل فيلوناردى قنصل زنجبار والكومانداتو آموريت قبطان المنورايدو، والكومانداتو برشيلى قبطان المندرستافيتا ، وأخذت منهم بنديرة (علم) الدولة المذكورة لأنشرها فى تلك الناحية المذكورة رأس الخيل .**

فكل من جاءنى من الدول الثانية الأفرنج أو غيرهم أو العرب فلا أعطيهم منى جواب ، ولا مكاتبة ، وكل ضرر يحصل على دولة الايطالية وجماعته فعلى أن أقوم فيه بجهودى . كتبت هذه الورقة برضى منى مختار على نفسى وعلى كل من يكون لى من أخوانى وجماعتى وذريتى من بعدى باقرار منى وأنا بكامل عقلى وصحة بدنى والسلام)) .

ولم يقف الأمر عند هذا السلطان، وانما ظهر سلطان آخر فى ١١ من أبريل ١٨٩١ يضع فيه شخصه ، ورعاياه تحت حماية ايطاليا ، ويتعهد بحماية بنديرتها ، ثم تواترت الاعترافات من السلاطين الخونة ، ولعل آخر هذه الاعتراف ما جاء فى هذه الرسالة من أحد السلاطين للايطالى « فيلوناردى » فقد كتب يقول ((**أرسل لى بنديرتك بتعجيل والسريع لاتهون كلامى .. الله الله . يكون بنديرة ويسلم بيد الشيخ محمد بن هارون لا تأخر الله الله والسلام !)) .**

وكانت نتيجة كل هذا اعلان الحماية الايطالية فى ١٨٩٦/٧/١ .

وقد ظهر الشعور الوطنى عدة مرات ممثلا فى ((**الملا بن عبد الله حسن**)) الذى أعلن الجهاد المقدس ، والمؤلف يتحدث عنه فى حماس خطابى دون أن يذكر لنا شيئا عن « مهديته » وكيف كانت المهدية فى هذه الفترة رد فعل فى العالم الاسلامى وخاصة الافريقى منه دعوة للخلاص من الأجانب ، والرجوع الى الاسلام ، ودون أن يربط دعوته بالدعوات المشابهة له والتى كانت قريبة منه زمانيا ومكانيا كدعوة **محمد احمد المهدى** فى السودان **وابن حميد** فى الكنغو ، **ورابح** فى تشاد ، **وعرابى** فى مصر .

.. ثم يقدم لنا المؤلف صورة عن الدعوات الجديدة فى البلاد للتحرر ، وكيف وضعت البلاد تحت الوصاية الدولية ، وكيف أنه سينال حريته عام ١٩٦٠ .

ثم يسلمنا أخيرا الى ضربة الخنجر التى أودت بحياة ((**كمال الدين صلاح**)) فنراه يتحدث فى عدة عبارات انشائية يصف فيها الجو الذى كان مشرقا ، والطريق الذى كان يغص بالناس . ثم يقول ((**وراح كمال الدين صلاح**)) وهكذا ينهى حديثه عنه فى كلمة جامدة دون أن يوضح دور الرجل الذى قام به ، وكيف كان يجاهد وحده عدة دول هناك ومن خلفهم كثيرين من الرجعيين فى البلاد . ثم كيف كسب

عدة انتصارات مشرفة لمصر وللانسانية وللصوماليين هناك . وكيف ترك أهله، وأهمل صحته ، وتوغل فى قلب البلاد ليقف على حياة الصوماليين . بل ان المركز الثقافى نفسه ، وارسال البعثات من الأزهر ، ووزارة التربية ، وغيرهما كان ثمرة كفاح هذا الرجل . هل ترى المؤلف هنا تعمد اغفال دور **كمال الدين صلاح** فى هذه البلاد ؟ ان الحقيقة فى الكتاب تؤكد هذا .

واذا كان قد انتهى فى ذهن المؤلف عند عبارته « وراح كمال الدين صلاح » فانه يعيش فى وجدان الانسانية وانى أستطيع أن أؤكد أن أى كتاب يتعرض للكفاح الصومالى ثم يغفل دور هذا البطل — لأمر ما — هو كتاب لا يتفق مع الحقيقة فى شىء . فكمال الدين صلاح لم يخسر شيئا باهمال دوره الانسانى فى هذا الكتاب ، ولكن الكناب هو الذى خسر . . خسر الحقيقة العلمية !! وخسر كلمة الحق التى يجب أن تقال !! .

مهما يكن من شىء ففى الكتاب حماس شاب محب لبلاده ، ولعروبته، ولهذا الوطن الصومالي فى افريقية ، كما أن للكاتب قدرة فائقة فى السيطرة على قلمه لولا ما يتخلل عرضه من عبارات خطابية تبعده عن العرض العلمي المثمر ، فموهبة المؤلف كخطيب — وقد نال جائزة الدولة فيها عام ١٩٤٨ — تسيطر على كل ما جاء فى مؤلفه . فصوته مرتفع دائما من خلال السطور ، وهكذا نرى المؤلف يقدم عرضا طوليا لفترة زمنية قضاها هناك . فكتابه يذكرنا برحلة « ابن بطوطة » ولعل هذا سر اعجاب الكاتب به . وانها لظاهرة طيبة أن تعود بعثاتنا العلمية من افريقية وفى قلبها شىء تقوله .

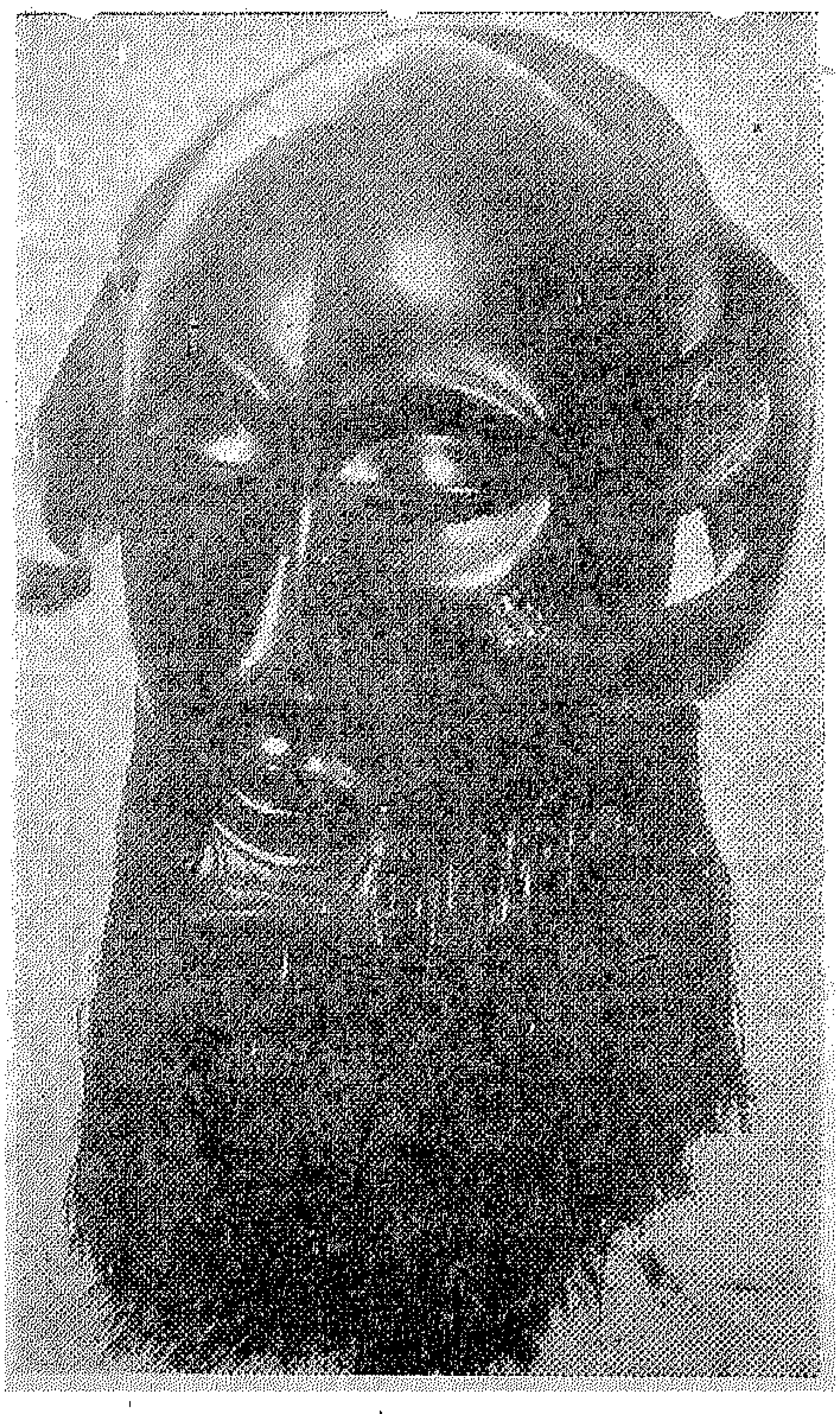

الشركات التجارية وأثرها فى استعمار أفريقية

بقلم الدكتور زاهر رياض

كان البرتغاليون أول من نزل بساحل افريقية عند بدء حركة الاكتشافات الكبرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ومع ذلك لم يكونوا أول من أسس الشركات التجارية من أجل الاتجار مع الاهالى ، بل كانت المعاملات أشبه بصفقات حكومية . ومع ذلك لم يجنوا من ورائها أرباحا تذكر لكثرة نفقات الادارة والمنشآت الحكومية التى أقاموها . بل كان البريطانيون بالرغم من أنهم لم يشتركوا بأى مجهود فى حركة الاكتشافات – هم الذين بدأوا هذه العمليات على أساس تجارى بحت . فحصلت الشركة الافريقية الملكية على مرسوم من الملك **شارل الثانى** يبيح لها حق الاتجار على طول ساحل افريقية الغربى ، بل حق احتكار التجارة فى منطقة تبدأ من **مراكش** حتى **مستعمرة الرأس** . ولكن هذه المحاولات انتهت بالفشل . بسبب قيام عدة شركات أخرى تنافسها فى المنطقة نفسها ، وكانت هذه الشركات أقوى منها لما أنشأته من الحصون والحراس المقيمين فيها .

على أن أكثر الشركات أثرا فى الاستعمار ، وأشدها ارتباطا بعملياته تلك التى قامت بعد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وخاصة بعد اتفاق برلين الذى يعطى جميع الدول حق النزول فيما تشاء من أجزاء افريقية بشرط اعلان هذا النزول الى بقية الدول ، ثم العمل على تثبيت حقها فى المنطقة التى تعلنها ، فقامت فى الاملاك البريطانية (**شركة شرق افريقية**) ثم (**شركة نياسالاند**) ثم (**شركة رودس البريطانية لجنوب افريقية**) وكلها كانت تبغى نشر التجارة البريطانية ، وكذلك النفوذ البريطانى بالرغم مما كانت تعانيه بعض هذه الشركات من التضييق من الحكومة البريطانية . كما قامت فى الاملاك البلجيكية (**شركة الكونغو للتجارة والصناعة**) فى سنة ١٨٨٦ وأسست سلسلة من المراكز لمباشرة نشاطها ومنحت سلسلة أخرى من الامتيازات لبعض الشركات فى افريقية الفرنسية الاستوائية فى سنة ١٨٩٩ كما تأسست **شركة موزمبيق وشركة موسامیدس** البرتغاليتان وغيرهما من أجل العمل فى الاملاك البرتغالية . وفى الأملاك الألمانية تأسست **شركة شرق افريقية الألمانية** للعمل فى هذه المنطقة التى تسمى حاليا **تنجانيقا** ، كما عمل

غيرها من الشركات الالمانية فى افريقية الجنوبية الغربية ، ومنطقتى **الكمرون** الشمالية والجنوبية .

وكان من الطبيعى أن تختلف هذه الشركات فى قدراتها المالية ، والمسئوليات الملقاة على عاتقها ، وفى درجة كفايتها واستعدادها . ولذا لم تمض مدة طويلة حتى وجدت بعض هذه الشركات نفسها عاجزة عن السير فى عملها ، فاضطرت اما الى التوقف عن العمل كلية أو تأجيل نشاطها ، وكانت معظم الدوافع التى دفعت الى تأليف هذه الشركات اشاعات انتشرت فى أجزاء أوروبا كافة عن ثروات خرافية تكمن فى باطن افريقية ، مع عدم تقدير للصعوبات التى ربما اعترضت العمل . فكانت النتيجة ضياع كثير من رءوس الاموال ، نتيجة لنقص الدراسة لمناطق الاستثمار . وقد بدأت بعض هذه الشركات بنجاح يبشر بأمل فى تقدم أعمالها ، ولكن سوء الاحوال الصحية ، وعدم ملاءمة المناخ للاوروبيين اضطرهم الى مبادلة ما جمع من مواد افريقية كالمطاط أو العاج بمواد أخرى أقل قيمة ، رغبة فى سرعة الرحيل عن هذه الاجزاء ، مخافة المرض الذى كان يتهددهم .

ولكن ازدياد الخبرة بأجزاء افريقية وبالصعوبات التى واجهتها من حيث المناخ والادارة ، أدى فى النهاية الى انتعاش العمل مرة أخرى ، وخاصة فى السنين الاولى من القرن العشرين . فالشركات التى توقفت عن العمل بدأت تسعى الى استعادة امتيازاتها وخاصة فى الاملاك البريطانية والبلجيكية والالمانية ، خصوصا وقد قرن هذا الطور من النشاط بمد الخطوط الحديدية ، وأخذت الحكومات التى قامت هناك على عاتقها القيام بعبء العمل .

ويكاد تاريخ جميع الشركات على اختلاف جنسياتها وتاريخ انشائها يتشابه ، فهو يبدأ فى العادة بحصول الشركة على حق الاتجار فى منطقة من المناطق ، ثم بتأسيس المراكز التجارية ، ثم الأخذ فى عقد الاتفاقات التجارية مع زعماء القبائل من أجل الحصول على مواد التجارة ، ثم تبدأ فى العمل فيحتاج هذا العمل الى تكوين الادارة وحماية المراكز التجارية وخطوط مواصلاتها الى الداخل . ولا يلبث هذا العبء أن يبدو مجهدا لها ثقيلا على أعبائها ، فتختل ادارتها فتبدأ بالشكوى الى الحكومة طالبة التدخل من أجل مساعدتها ومدها بالقروض ، أو بمشاركتها بنصيب فى الادارة ، حتى اذا ظهر عجزها واضحا باعت للحكومة حق الادارة لقاء مبلغ من المال ومن ثم يتحول النفوذ التجارى الى نفوذ سياسى ، يبدأ باقامة حاكم عام ، وبجانبه قوة تساعده على استتباب الأمن وحفظ النفوذ ، وينتهى الأمر بالاستعمار السياسى ، وبقاء الشركة تعمل فى المجال الاقتصادى غير مستندة على نفوذ ما وربما انتهى الامر الى انسحابها نهائيا من الميدان ، وسنحاول الآن أن نعطى بعض التفصيلات عن هذه الشركات ، وتطور الأمور فيها .

ولعل أولى هذه الشركات تأسيسا من أجل استغلال افريقية ، تلك التى أسسها الملك **ليو بولد** فى سنة ١٨٧٨ باسم **جمعية دراسة أعالى الكونغو** برأس مال قدره مليون فرنك اكتتب

فيهـــا الملك بربع رأس المال لغرض (دراسة امكانيات الارتباط بعلاقات تجارية مع سكان **الكونغو**) وساند مجهودات هـــذه الجمعية جماعة من الرأسماليين الذين سرعان ما أصبحوا شركاء فيهـــا ، وأصبح غرض هذه الجمعية ينحصر فى الاتصال بأهالى حوض **الكونغو** وعقد الاتفاقات معهم من أجل الحصول على امتيازات لبناء الطرق وزراعة مســـاحات كبيرة من الارض . واذا ما نجح الملك فى انتزاع اعتراف الدول بسيادته وسلطانه فى **مؤتمر برلين** سنة ١٨٨٤ نظير منح حق حرية الاتجـــار فى المنطقة التى يمتد اليها نفوذ الجمعية أخذ يغرى الشركات التجارية البريطانية والفرنســية على المســـاهمة فى الاعمال ، فيعطيها حق اســتثمار مناطق معينة ، وسرعان ما اختفت هذه الجمعية لتحيا من جديد باسم **دولة الكونغو الحرة** .

ولقيت هـــذه (الدولة) صعوبات مالية هائلة ، بسبب المصاريف الباهظة التى اضطرت الى انفاقها دون أن يقابلها الا ايراد ضئيل ، مما اضطر الحكومة البلجيكية الى تقديم قروض متعـــددة اليها حتى سنة ١٩٠١ ، وأخيرا صدر مرسوم بتحويل هذه (الدولة) الى مستعمرة بلجيكية فى سنة ١٩٠٨ .

ولم يكن هذا المرسوم وهذا الضم الا نتيجة للحملات الكثيرة التى بدأت تتوالى على الادارة القديمة ، والتى بلغ من سوء ادارتها أن ارتفعت الاصوات فى كل من بريطانيا والكونغو وبلجيكا تطلب التدخل العاجل من أجل وضع حد لما يجرى هناك من فظائع . حتى لقد طلب مجلس العموم فى بريطانيا من حكومته ومن حكومات الدول التى وقعت على ميثـــاق برلين ـ التدخل لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر . وكان هذا الاجراء من مجلس العموم نتيجة تقرير كتبه القنصل البريطانى ، الذى أرسل الى **الكونغو** لدراسة ما يجرى هناك .

وكانت جميع أراضى **الـــكونغو** قد اعتبرت منذ سنة ١٨٨٥ أرضا خالية ؛ فخلصت بذلك (للجمعيـــة) الملكية القانونية لجميع الاراضى . ثم منح حق استثمار هـــذه الاراضى لسبع شركات احتكارية أطلق لها جميعا حرية العمل وكان الملك شريكا فى كل هذه الشركات. فلا غرابة اذا وصلت أرباحه الى ثلاثة ملايين من الجنيهـــات فى مدى عشر سنوات ، وكان رأس المـــال المدفوع لا يزيد عن تسعة آلاف جنيه .

وقد ترتب على اعتبار أرض **الكونغو** أرضا خالية أن اعتبر جميع السكان مرغمين على جمع المطاط والعاج ، وبذلك أصبح كل من يوجد عنده بعض العاج سارقا ، واستدعى عدد من الضباط الاوروبيين ليراقبوا العمال أثناء العمل ومن أجل جمع كميات معينـــة جعل البطش هو الامر اليومى لهؤلاء الضباط وصار التفانى فى البطش هو المقياس الذى يقاس به اخلاصهم فى العمل ، وصار قطع اليد هو العقاب الاول لمن يتهاون فى العمل . وصار جمع هذه الايدى المقطوعة وعرضها على الرؤساء هو الوسيلة لبيان مدى الاخلاص فى خدمة الشركة ، ولم يكن قطع اليد يحدث الا بعد القتل .

ومن وراء هؤلاء الضباط كان ممثلو شركات الاحتكار الذين يعنيهم تقديم كميات معينـــة والا اتهموا بدورهم

بالتقصير ، فكانوا لا يترددون في الاتصال بالأهلين ، وتقديم الرشا لهم من أجل الجمع ، وكان نقص الكمية التي يقدمها الوطني مقابل الرشوة يقابلها الاستيلاء على ما يملكه . وكانت هذه الملكية تمتد الى زوج الرجل وأولاده . فلا غرو اذا كان عمل الحكومة البلجيكيةاثر الاستيلاء ينحصر فيالغاء الاحتكارات ، والقضاء على مساوىء الادارة القديمة ، وليس معنى ذلك أن الحال قد أصبحت في **الكونغو** موضع رضا الاهلين . فيكفي أن نعلم أن الكاتب الامريكي **جون جنتر** قد زارها خلال الحرب العالمية الثانية ، فقال : **ان السياسة البلجيكية لا تسعى الا الى معالجة تذمر السكان باتاحة الفرص الاقتصادية لهم ، وليس لمخلوق في الكونغو حق الانتخاب .**

واذا كان بعض الافراد الايطاليين قد بدأوا محاولاتهم بشراء بعض أراضي افريقية حول **ميناء عصب** منذ سنة ١٨٧٠ الا أن هذه المحاولات كانت فردية بحتة ، وكانت الحكومة الايطالية آنئذاك أضعف من أن تؤيد مثل هذه الجهود . ولكن الجهود الحقيقية بدأت منذ تأسست شركة روباتينو سنة ١٨٨٠ وأخذت في شراء المساحات الكبيرة منشيوخ هذه الجهات وكانت الشركة أضعف من أن تستطيع حماية هذه الاراضي التي دخلت في حوزتها ، فتركت أمر هذه الحماية الى الحكومة الايطالية ، مما اضطرها الى اصدار أمرها الى بعض السفن الحربية الايطالية بانزال بعض الجنود بعد أن رفعت العلم الايطالي . وفي ظل هذه الحماية أخذت الشركة في بناء المنازل وانشاء الورش ، وفي نهاية ذلك العام عين هناك حاكم ايطالي **يعمل تحت** امرة وزارة الخارجية ، وبذلك **بدا أن** هذه **الشركة التجارية الايطالية** لم تكن الا ستارا رقيقا يخفي وراءه أغراضا استعمارية واضحة .

وحدث مثل هذا في **الصومال الايطالي** ، وان كان على صورة محجبة بعض الشيء ، فقد حصلت **شركة شرق افريقية البريطانية** على حق ادارة بعض موانيء شرق افريقية من**سلطان زنجبار** الذي كان صاحب السيادة ، ولم تلبث هذه الشركة البريطانية أن تنازلت عن هذه الموانيء وهي : **كيسماو وبرافا ومركا ومقديشو** الى شركة ايطالية ، وحدد امتياز هذه الشركة بنصف قطر دائرة قدره عشرة أميال بحرية ، حول هذه الموانيء . وكان ذلك في ٩ يونيو سنة ١٨٨٦ وكانت هذه الحقوق لمدة ٢٥ سنة قابلة للتجديد اذا رغبت الحكومة الايطالية خمسا وعشرين سنة أخرى . واذا ما استطاع **السير توماس هولر أن** يحصل من **الامبراطور منليك** الاثيوبي في سنة ١٨٠٦ على منطقة في الداخل تقع خلف الاملاك الايطالية صرخ الايطاليون بأن هذه المعاهدة البريطانية الاثيوبية الجديدة تعتبر خطرا على التجارة الايطالية التي تركزت على الساحل، وظلوا يصرخون حتى حصلوا في سنة ١٩٠٨ على حق امتداد الحدود الايطالية على طول **نهر جوبا** ، فأعطاهم خمسين الف كيلو متر أكثر مما كان لهم ، وهي منطقة قال عنها **تيتوني** رئيس وزرائهم آنئذاك : انها تعادل ضعف مساحة جزيرة **صقلية** .

ولن نحاول هنا أن نبين اتساع الاملاك الايطالية في هـــذه المنطقة بالتفصيل ولـــكن يكفي أن نذكر أن الشركة الايطالية هي التي بدأت تعمل هناك ، فكانت هي التي تعين الحاكم وتمارس سلطات الحـــكومة ، من حفظ الامن ، واقامة القضاء . وكان الامن في يد عدد من العساكر الوطنيين ذوي المرتبات الضئيلة ، لا يزيد عددهم عن ٦٠٠ جنـــدي . وكانت ايرادات هـــذه (المستعمرة) لا تكفي لنفقاتها اذ كان على الشركة أن تدفع نصف ايرادها للسكان ، ومن النصف الآخر تدبر جميع النفقات الاخرى . مما اضـــطر الحكومة الى أن تبدأ باعانتها فارتفعت الاصوات من كل جانب تشـــكو سوء الاحوال فيهـــا ، بل وصلت هـــذه الاصوات الى مجلس النواب الايطالي ، متهمة الحـــكومة بالجبن عن مواجهة الموقف ، فهي اما أن تصرف على هذه المســـتعمرة أو تتركها ، فما كان من الوزارة الا أن اعتذرت عن ذلك بعذر كان أقبح من ذنبها ، هو أن الحكومة قد ساهمت في الحركة الاستعمارية ، ولكنها لا تستطيع التضحية برأس المال من أجل نجاح المستعمرة .

وبعد مناقشات دارت ست سنوات لم تعمل خـــلالها الشركة أي مجهود لتحسين أحوالها ، بسبب عجزها المادي وبسبب عجز الحكومة عن أن تمد اليها يد النجدة . اضطرت الحكومة تحت ضغط الاتهامات القاسية التي كيلت لها أن تستصدر مرسوما بالاستيلاء على الشركة في ١٤ مايو سنة ١٩٠٤ .

ولم يكن ما فعلته الشركات الالمانية ثم الحكومة الالمانية يختلف عما فعلته الحكومة الايطالية. فقد أخذت الشركات الصناعية الالمانية تصرخ الى حكومتها من أجل الحصول على منتجات البلاد الحارة ، من أجل تقدم الصناعة ، وزاد من الحاحهم كثرة السفن التي يملكها الالمـــان . فلو ظلت ألمانيـــا بدون مســـتعمرات لتعرضت مصنوعاتها للرســـوم الجمركية المرتفعـــة التي تفرضها الدول على المصنوعات الالمانية ولذا اتجـــه التفكير الى المستعمرات للتغلب على أزمة المواد الخام ، وأزمة ايجـــاد أسواق للصناعات الالمانية النامية ، وأزمة الاسطول الالماني التجاري . ولم تكن الحكومة الالمانية لتستجيب لهذه الصرخات ، اذ كانت ترى في المستعمرات الخارجيـــة عبئا لا نستطيع احتماله ، كما رأت انهـــا ســـوف تجلب عليهـــا عداء الدول الاستعمارية التي ســـبقتها كانجلترا وفرنســـا الأمـــر الذي تريد ألمانيـــا الناشئة أن تتجنبه جهـــد الطـــاقة ، ومن ثم وقع العبء أولا عـــلى عاتق الشركات الالمانية . وكانت أولاها في هـــذا المضمار : **الشركة الاستعمارية الالمانيـــة** التي أسسها **كارل بيترز** خصوصـــا وأن صراخ التجار الالمان الذين نزلوا **بساحل افريقية الشرقي** قد ارتفع من ســـوء معاملة القناصل البريطانيين لهم ، ووضعهم العراقيل أمامهم .

فبدأت هذه الشركة في سنة ١٨٨٤ عقد المعاهدات مع السلاطين المحليين للاتجار معهم . وكان هذا الجزء الذي بدأت الشركة فيه نشاطها هو الذي يسمى حاليا بتنجانيقـــا ، والذي كان يخضع اسميا لسلطان زنجبار ، ونجحت الشركة فعلا في عقد جملة اتفاقات مع

شيوخ فى الداخل لم يكونوا يعترفون بسلطة سلطان زنجبار عليهم ، مثل **مونجونجو** سلطان **فروفيرو** الذى قبل أن يضع بلاده تحت تصرف الدكتور بيترز وشركته من أجل استثمارها ، على أن لا يمس ذلك حقوقه كحاكم ، وكذلك سلطان **اوساجارا** ، الذى أعلن فى وثيقته أنه لم يخضع يوما لسلطان زنجبار ، ولم يسمع به ، وأرغم سلطان زنجبار تحت ضغط الأسطول الألمانى على الاعتراف بكل هذه الاتفاقات . وعلى أثر هذا عقد اتفاق بين انجلترا والمانيا اقتسمت بمقتضاه الأراضى الداخلية الخارجة عن سلطة سلطان زنجبار ، فأخذت بريطانيا كينيا بينما اخذت المانيا تنجانيقا ، وكان ذلك فى سنة ١٨٨٦ .

وقد رفض الرايخستاخ أن يعتمد لهذه المستعمرة أية اعتمادات ، كما رفض الادارة الألمانية المباشرة لها ، ولذا ترك أمر ادارتها مؤقتا الى الشركات المحتكرة ، على أن الأمر لم يكن سهلا فقد بدأ السكان بمقاومة هذا القادم الجديد ، وقامت الاضطرابات فى كثير من الأنحاء ، مثل ما حدث فى **باجامويو** حين حاول الأهلون رفع العلم الألمانى ، وفى تنجانيقا أسر السكان سفينة ألمانية حاولت دخول الميناء ، وانتشرت الثورات فى جميع أنحاء البلاد وخاصة فى ليندى وماكندانى حين هجم الأهلون على من كان بها من الألمان الذين لم يستطيعوا النجاة بأنفسهم ، اذ احتل الثوار المدينتين وأبادوا من فيهما الى آخر رجل فيهما ، ثم اجتاحوا دار السلام وقتلوا وأسروا أعضاء الارساليات التبشيرية هناك . ولما كانت الشركة الألمانية أضعف من أن تقضى على هذه الثورة فانها طلبت المعونة من السلطان فأرسل لها بعض القوات ، ولكن الثوار أرغموهم على الانسحاب بعد تكبيدهم خسائر فادحة . فلم يجد الألمان بدا من أن يطلبوا المعونة من حكومتهم فأرسلت لهم قوة مختلطة من الألمان والأتراك والسودانيين والزولو تحت قيادة أربعين ضابطا ألمانيا . وهذه القوة وان كانت قد نجحت فى حصار الموانىء الا أنها سرعان ما واجهت الفشل فى الداخل ، اذ اتحدت القبائل كلها ، ودارت المعارك الكثيرة القاسية . ومن الطبيعى أن تكتب الغلبة للسلاح الألمانى الحديث ، وهم وان انتصروا أخيرا الا أن هذا النصر كلفهم ثمنا غاليا .

ولم تكن هذه آخر الثورات ، بل تعاقبت الاضطرابات بعدها ، على أن اعنفها وأشدها بأسا ما كان فى سنة ١٩٠٥ وهى الثورة المعروفة باسم **ماجى ماجى** التى راح ضحيتها أكثر من ٣٠٪ من القوة الألمانية بعد أن أبادت أكثر من مائة ألف من الأهلين. ولم يكتب لألمانيا أن تجنى ثمرة تعبها الا من بعد سنة ١٩٠٨ ، على أن تمتعها بها كان قصيرا ، اذ اضطرت المانيا الى التخلى عن هذه المستعمرة . وغيرها من المستعمرات الألمانية أثر هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٨ ، وقد أجمع كل من كتب عن المستعمرات الألمانية أن هذه الثورات لم تقم الا بسبب الادارة السيئة للشركة ، مما اضطرها الى طلب المعونة من الحكومة فكانت مستعمرة **فوجو** ثم **الكمرون** أولى المستعمرات التى استولت عليها الحكومة وتبعتها تنجانيقا فى سنة

١٨٩١ ،وأنشئت لها وزارة المستعمرات من أجل ادارتها .

وفى غرب افريقية انتشرت عدة شركات صغيرة ذات جنسيات مختلفة، تعمل متجاورة على طول الساحل ، وعمل معظمها فى تجارة الرقيق . وفى القرن التاسع عشر احتلت القوات البريطانية بعض أجزاء هذا الساحل من أجل سحق هذه التجارة . فأخذت هذه الشركات تعمل فى المجال الاقتصادى ، ولكن اشتداد التنافس بينها أدى الى تكتل الشركات البريطانية فى سنة ١٨٧٩ فيما سمى اتحاد الشركات البريطانية الافريقية . فاتسعت أعمالها . وأدى هذا الاتساع والنجاح الذى لاقته الى اندماجها بعد ثلاث سنوات فى شركة واحدة سميت بالشركة الأهلية الافريقية ، فكان هذا داعيا الى خروج الشركات الفرنسية من الميدان ، لعدم تلقيها أية معاونة من أحد .

وفى سنة ١٨٨٦ منحت هذه الشركة امتيازا من الحكومة باحتكار تجارة هذه الأنحاء باسم ((**شركة النيجر الافريقية الملكية**)) . ولكنها رغم امكانياتها الواسعة كانت أضعف من أن تقوم بكل المسئوليات فى هذه المنطقة ، خصوصا وقد قامت بمد خط حديدى صغير من لاجوس الى الداخل ، وكان نفوذها الحقيقى لا يتعدى ما حول ضفتى نهر النيجر . أما غير ذلك من المناطق فكان اسميا بحتا . ولذا كان الأثر الاقتصادى قبل سنة ١٩٠٦ ضئيلا ، فلم تجد المناطق الا أن تتنازل عن نشاطها الادارى للحكومة مقابل مليون جنيه واقتصرت هى على النشاط التجارى تحت حماية القانون البريطانى . وكان هذا النفوذ الحكومى الى جانب ما فعلته الحكومة من مد السكك الحديدية إلى الداخل هو الذى بدأ يحقق للشركة بعض الربح ،وكانت تجارتها فى القطن والفول السودانى . وما زالت صادراتها تزيد حتى وصلت فى سنة ١٩٣٠ الى ١٢٫٠٤٩٫٦٤٩ جنيها .

وفى شرق القارة تألفت (جمعية شرق افريقية البريطانية) سنة ١٨٨٨ ولم تلبث أن تحولت الى شركة مساهمة باسم (**شركة شرق افريقية الامبراطورية البريطانية**) التى أعلنت عن أهدافها وهى أهداف أقرب الى الأهداف الدينية والانسانية ، وأبعد ما تكون عن شراء السلع والاتجار بها ، وكان من بين أعضائها بعض الماليين واللوردات والعسكريين . وكان رئيسها **السير وليم ماكينون** هو الذى وضع الخطوط الرئيسية لسياستها فى السنوات الأولى من تأسيسها . وبدأت الشركة تمارس عملها التجارى ، وكان عقد المعاهدات أولى خطواتها فى هذا السبيل ثم تأسيس المراكز الداخلية وحراستها . وبدأت الصعاب تكتنفها منذ اللحظة الأولى من انشائها ، وكان مد الخط الحديدى الى الداخل أول مشروعاتها لضرورته . ولم تكن ماليتها لتستطيع القيام بهذا العمل الضخم الى جانب ماتقوم به من جمع المواد التجارية وتخزينها وحراستها ثم حراسة الطرق التجارية التى تجتازها (حملاتها) كما كان المبشرون الكاثوليك والبروتستانت قد سبقوها الى أوغندا ، فى سنة ١٨٧٥ واقتسموا الأهلين فيما بينهم ، وكانوا فى الحقيقة يمثلون نفوذين سياسيين معاديين ، أولهما : يمثل الفرنسيين والثانى : يمثل البريطانيين ،

والى جانبهما كان التجار العرب القدامى يمثلون نفوذا ثالثا قديما هو النفوذ الاسلامى . وكانت التعليمات التى اعطتها الشركة البريطانية الى ممثلها هناك ان يمنع استيراد الأسلحة والذخيرة ، وأن يعزز مركز الحزب البروتستانتى . وأن يستميل الكاثوليك ، وأن يشعر كل واحد وخاصة ملوك بوغندا والممالك الأخرى بقوة الشركة . ولكن عدم الثقة الذى ساد فريقى الكاثوليك والبروتستانت كان كافيا لأن يحول البلاد الى بركان ثائر . ولم تلبث الحرب ان قامت بينهما فعلا فى سنة ١٨٩٢ ، ودارت الدائرة على الكاثوليك . هذا بينما كانت الأعمال تسير من أجل مد الخط الحديدى . فبدا للشركة ولما يمض على بدء عملها غير اربع سنوات أن الاستمرار فى هذه الصفقة معناه الخراب الشامل . فقررت الانسحاب من هذا الميدان وأبلغته فعلا الى ممثلها هناك . ولكنه وجد أن هذا الانسحاب يعنى القضاء التام على النفوذ البريطانى ، وربما الى القضاء التام على النفوذ الأوروبى كله ، وترك البلاد للنفوذ العربى الذى كان يتمثل فى التجار المسلمين .

ولم تكن معلومات الحكومة البريطانية عن هذه الأنحاء كافية الى حد يبيح لها التدخل ، فقررت فى ٣١ مارس سنة ١٨٩٣ أن تتحمل نفقات الاحتلال الى أن تتمكن من الحصول على معلومات وافية عن الموضوع .. وأوفدت الى هناك **السير جيرالد بورتال** قنصلها فى زنجبار ، لبحث الحالة هناك ، وارسال تقرير الى حكومته وكان تقريره كافيا لأن تقرر الحكومة التدخل بصفة رسمية واعلان الحماية على شرق افريقية فى يونيو سنة ١٨٩٤ . ومع ذلك ظلت بلاد شرق افريقية تجتاحها الفوضى حتى سنة ١٩٠٠ ، حين بدأ بعض النظام والاستقرار يعود اليها .

وفى وسط افريقية كان **المستر سيسل رودس** أول من تنبه الى ضرورة مد النفوذ البريطانى — الذى كان قاصرا حتى سنة ١٨٨٨ على اتحاد جنوب افريقية — الى الشمال قبل أن يسبقه الى هناك الألمان والبرتغاليون الذين كانوا قد استقروا على كل من ساحلى افريقية الشرقى والغربى ، ويهدف كل منهما الى وصل المستعمرتين لايجاد حزام ألمانى أو برتغالى . وكذلك لوقف زحف البوير نحو الشمال . فكان أن تقدم بنفسه نحو الشمال وعمل على اغراء الزعماء الوطنيين بأن لا يعقدوا اتفاقا مع دولة أجنبية ، دون ابلاغ المندوب البريطانى فى جنوب افريقية ، ولم تلبث الشركات والأفراد ان تقدموا للحصول على امتيازات استغلال هذه الأجزاء وألف **سيسل رودس** شركة البحيرات الافريقية البريطانية وحصل على امتياز استغلال هذه الأراضى فى سنة ١٨٨٩ ، وكان هدفه يرمى الى مد السكك الحديدية والتليفون والتلغراف لتشجيع الهجرة ، ثم العمل على استثمار موارد البلاد للتجارة ، ثم استثمار الأراضى للكشف عن المعادن . وألفت الشركة قوة حربية لحماية موظفيها ومراكز أعمالها . وسرعان ما تحولت هذه القوات المدافعة الى قوات مهاجمة تعمل على الاحتكاك بالوطنيين ، وكان الامر ينتهى فى العادة بمعاهدة سلمية تبيح للشركة حق

استغلال الأراضى ، أو اجلاء الوطنيين، ومن ثم تحولت حقوق الاستغلال الاقتصادى الى حقوق سيادة ، اذ خولت لها المادة العاشرة — من صك الاستغلال — حق اصدار قوانين توافق عليها الحكومة ، وجعلت هناك ادارة مهمتها الاشراف على العلاقات بين الشركة والأهلين . ولم يلبث المستر سيسل أن أصبح رئيسا لوزراء جنوب افريقية ، فدبر أمر الاغارة على الأملاك الشمالية بواسطة مجموعات من المخاطرين ، بعد أن مناهم بستة آلاف فدان لكل منهم لاستغلالها . وسرعان ما اكتشف الذهب فى عدة أماكن مما أدى الى هجرة أعداد هائلة من طالبى الثروة ، وكان هؤلاء يعيشون فيما يشبه المعسكرات ، وسرعان ما بدأ الاحتكاك بين هؤلاء القادمين والأهلين . ونصرت الشركة هؤلاء القادمين ، واستعملت فى ذلك جنودها الذين كانوا من الوطنيين المدربين تحت أمرة ضباط بريطانيين ، كما فعلت شركة الهند الشرقية البريطانية فى الهند .

وتأسست شركة جنوب افريقية ، واشترت جميع حقوق شركة البحيرات ، وظلت هذه الشركة الجديدة صاحبة السلطة الادارية فيما يسمى الآن بروديسيا ونياسالاند ، حتى سنة ١٩١٤ حين انتهى امتيازها ، ولكنها حصلت على مد الأمتياز لعشر سنوات أخرى انتهت فى سنة ١٩٢٤ حين جعلت روديسيا مستعمرة بريطانية ، وظلت الشركة تعمل فى نطاق اقتصادى بحت، ودفع بعض زعماء روديسيا الى طلب الحماية البريطانية فقبلته .

ويملك المستعمرون البيض فى روديسيا الآن ٤٨ مليون فدان ، وهى نصف مساحتها ، وتبدو فيها التفرقة العنصرية ، على أشدها ، حيث عزل الافريقيون فى مناطق خاصة ، كما يقع عبء الضرائب على عاتقهم ، بالرغم من انخفاض أجورهم ، مما أدى الى قيام عدد من الاضطرابات فى سنة ١٩٣٥ سحقت كلها بالقوة .

وفى سنة ١٩٥٣ تألف من أقاليم روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند اتحاد سمى اتحاد وسط افريقية بالرغم من اختلاف الوضع السياسى لكل منهما . وها نحن نسمع أخيرا فى مارس الماضى بقيام الاضطرابات فى روديسيا الشمالية حين هاجم مائة افريقى مسلحين بالهراوات والرماح جماعات من البيض، وأصابوهم بجراح بالغة مما أدى الى القبض على أعداد كبيرة منهم ، والزج بهم فى معسكرات الاعتقال ، مما يدل على ظهور الروح القومية بين الافريقيين ، الأمر الذى يقض مضاجع المستعمرين ، وقد اتهم **السير روى ويلنسكى** حزب العمال البريطانى بأنه يشجع العناصر الوطنية على الثورة ضد البيض ، كما ظهر فى روديسيا زعيم افريقى آخر هو **فلاكسل موسوبول** ، يقود أيضا حركة المقاومة ضد قوات الاستعمار ، وتبذل الحكومة جهودا يائسة للعثور عليه ، وهو يتخذ من جبال **ميسوكو** مقرا لقيادته ، ويشن — ومعه أنصاره — هجماته على قوات الحكومة ومنشآتها، مما أدى الى أن يسود الذعر بين البيض المقيمين هناك . ويطالب الافريقيون بحل اتحاد وسط افريقية ، واعطاء نياسالاند وروديسيا الشمالية الحكم الذاتى ، بعد الافراج عن جميع الزعماء المعتقلين ثم الغاء النص الذى يحرم الافريقيين من عضوية المجلس التشريعى ، ، واذا جمعنا هذه الثورة الى ثورة كينيا ، ثم الى الحركات التحريرية فى نيجيريا وساحل الذهب ، كان هذا كله ايذانا بانتهاء النفوذ البريطانى من افريقية ان شاء الله .

كلمات وصور

يوم غينيا

وافق يوم ٢ من أكتوبر عام ١٩٥٩ عيد استقلال « غينيا » الثاني . وقد رحبت بهذا اليوم جميـــع الطوائف الأفريقية فى الجمهـــورية العـــربية المتحدة ، التى شاركت مشاركة فعالة فى الاحتفال بهذا اليــوم الذى خلص شقيقة له من الاستعمار الفرنسى ، وقد كانت أهم مظاهر هذا الاحتفال ما قامت به « الرابطة الأفريقية » . فقد أقامت حفـــلا كبيرا دعت اليه الكثـــير من الأفريقيـــين ، والمهتمين بالشئون الافريقية ، وقد بدىء الحفل بكلمة نائب وزير الخـــارجية السيد **« حسين ذو الفقـــار صبرى »** جاء فيها « أى أشقائى اننا ندين بالحيـــاة لأرض أفريقية . ففيها نشأنا ، وعلى أرضها الطيبة ترعرعنا ، ومن خيراتها أطعمنا ، ومصيرها هو مصيرنا ، وهو الذى حدا بنا وبكم أن نحتفل اليـــوم باستقلال تلك البـــلاد التى اتخذت كلمات **سيكوتورى** عقيدة . هــــذه الكلمات التى يقول فيهـــا « انه يجب علينا أن نكرس أنفســـنا مخلصين ، ومسلحين بالوعى المدعم بالعمل الدائب لتحرير الوطن الأفريقى تحريرا كاملا ».

وانه بهذه الكلمات يلتقى التقاء كاملا مع عقيدتنا ، وعقيدة الرئيس **جمـــال عبد الناصر** التى أعلنت على الملأ منذ

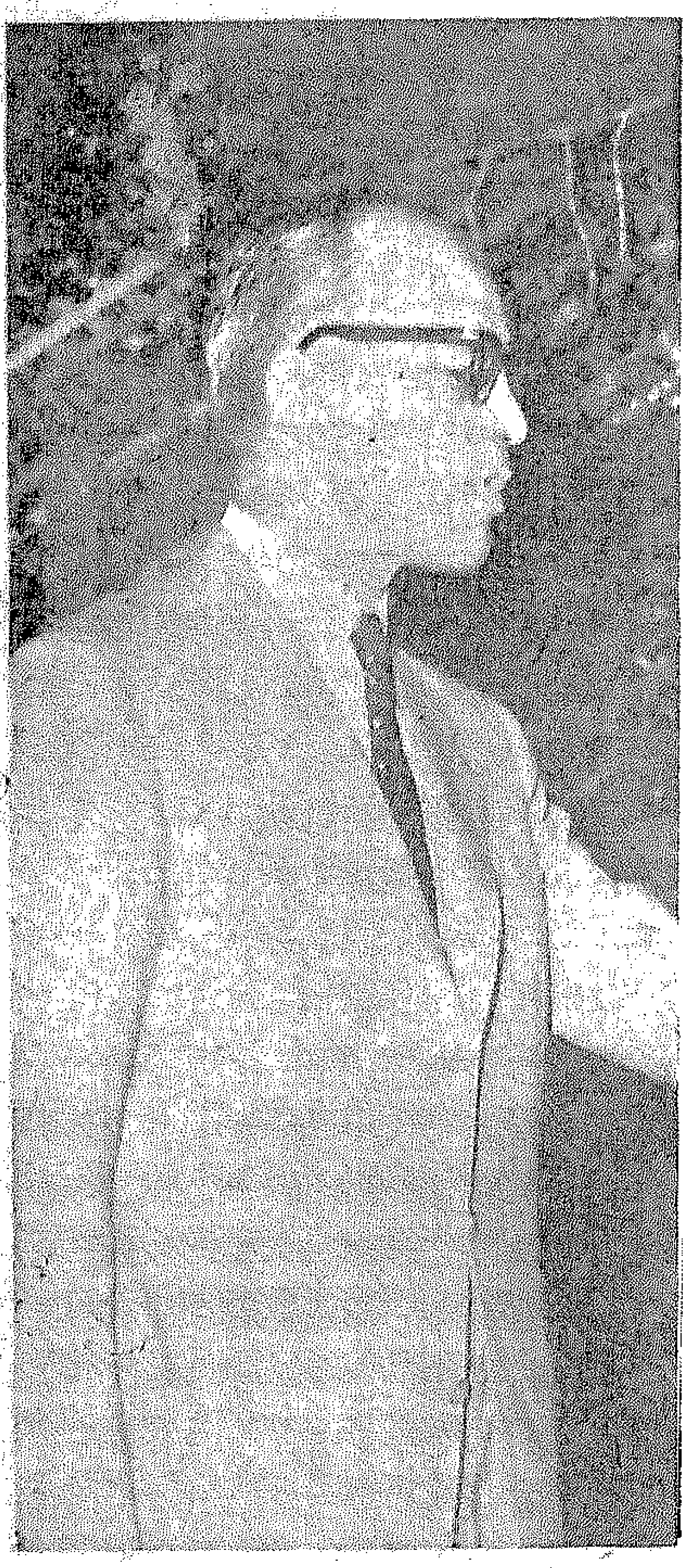

السيد نائب وزير الخارجية

فجر الثورة ، والتى ترجمت فعلا الى أفعال لا مجال لحصرها .

أيها الســادة : ان على الدول الصغيرة ألا تنزعج اذا صال المستعمر وجال ، وهدد وتوعد ، وحتى اذا رفع السلاح وحشد الطائرات والأساطيل ، والعدة والعتاد . طالما أنه ليس هنـــاك بين صـــفوفها فئة مستضعفة النفس . ذليلة الهمة . تبيـــع ولاءها بأبخس الأسعار ، وأمامنا العديد من الأمثلة .

ففى غينيا وقف « سيكوتورى » وقال كلمة مدوية فاستشاطت فرنسا

غضبا ، وحاولت أن تئد هذا الاستقلال الوليد ، وأن تخنقه خنقا حتى تصبح « غينيا » عبرة لشقيقاتها من الأقطار المجـــاورة ، ولكنها باءت بالفشـــل وأصبحت الكلمة هي كلمة « الشعب ».

ثم ذكر الســيد النائب طرفا من حياة « سيكوتورى » ، وكيف وقف والشعب من ورائه هادئا بوعيـــد فرنسا ، واحكامها الحصار عليه ، هذا الحصار الذى كانت نتيجته هــذا اللقاء الذى يضمنا الليـــلة فى فرح بالحرية ، واعتزاز بما كسبه هــذا الشعب الغينى العظيم .

فقد صـــفى « ســـيكوتورى » الاستعمار فى بلاده ، وأثبت بحق أنه حفيد البطل الغينى العظيم «ساموری» الذى حارب الفرنسيين من قبـــل ومحاهم المرة بعد المرة !

ثم ألقى الأستاذ « **محمد عبد العزيز اسحق** » كلمـــة الرابطة ، فذكر أن احتفال الرابطة اليوم بيوم غينيـــا ستتلوه أيام أخر من أيام الحـــرية المجيدة . التى بدأ يخفق علمها الدامى الآن على أكثر من مكان فى القـــارة . فعلم القارة الذى يخفق الآن على كل جزء من أجزاء القـــارة هو كلمـــة « **الحرية** » .

فأفريقية ليست منطوية الآن على أحزانها ، وجراحها ، ولكنها واضـــعة عينيها على فجر ، وقابضة بيدها على الدخلاء ، ومتساندة فى كل جزء منها : فما تحسه فى « غينيـــا » تحسه فى « غانه » ، وما تلمحه فى « زنجبـــار » تلمحه فى « كينيـــا » ، وما تراه فى « الكونغو » تراه فى « جنوب أفريقية » فالقارة اليوم قلب واحد ، وأمـــل واحد ، وتحت علم الكلمة الكبيرة .. كلمة « الحرية » .

ثم رحب بالحاضرين ، وشــكرهم على اسهامهم فى هذا الحفل ، ووعدهم باللقاء فى أيام أخرى مجيدة للاحتفال باستقلال دول أفريقية أخـــرى فى « الرابطة الافريقية » .

ثم تكلم أحد المواطنين الغينيين فبدأ كلمته بالآية الكريمة « **ونريد أن نمن عـــلى الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** » ثم قص علينا قصة شعبه الذى أصبح امام نفسه ، وسيد مصيره ، ومالك بره وبحره . ثم قال : يجب علينا نحن أبناء غينيا أن نسجد لله شكرا عـــلى نعمة الحرية . فلم نأخذ الحرية بكيد كدناه لأن الكيد كيد الله . « **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى !!** » فاذا كنا انتصرنا فبالله انتصرنا « **ولينصرن الله من ينصره** » ، واذا كنا نشكر اليـــوم فالله يقول « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » .

ثم ختم حديثـــه بتوجيه تحية صـــادقة الى رجل أفريقيـــة العظيم الرئيس « **جمال عبد النـــاصر** » **والى** شعب الجمهورية العربية المتحدة .

... ثم تعاقب الخطبـــاء ، وتخللت كلماتهم رقصات شعبية ، وأغـــان أفريقية . ومع أن أغلبها كان بلغـــات أفريقيـــة محلية الا أن الجميع كانوا يحسون ما يقال . فقد كان فيها صفاء الراعى الذى يمد نايه ويغنى للأفق الكبير ، وقد كان فيها تصلب الاصرار وهو يقاوم القوى الدخيلة ، وقد كان فيها الحنين الى الزعماء الوطنيين خلف الأسوار ... ثم أخيرا كانت فيها أفريقية كلها بصراعها الدامى ، وفجـــرها الرطيب ، وغدها المنتظر .

.. هذا فى القاهرة أما فى الأمـــم المتحـــدة فقد ألقى « **ديالو تيللى** » رئيس وفد غينيا فى الجمعية العـــامة خطابا دعا فيه الى تحرير القـــارة الأفريقية ، ومؤكدا فى الوقت نفســه أن أفريقية لن ترتبط بأى معسكر ، ولن تعتنق أية فلسفة خارجية ، فلن تعمل بلاده من أجل حركة التحرير فى أفريقية فقط ، ولكنها ستعمل كذلك

على توحيدها . كما ندد بمواقف الاستعمار فى الجزائر ، ونياسلاند ، والكونغو . ثم ختم كلمته بقوله « لقد آن الأوان لكى يرحل الاستعمار عن القارة الأفريقية شاء ذلك أم أبى !! » .

.. وهناك فى غينيا كان كل شيء يحتفل بهذا اليوم .. الأرض .. السماء .. الشعب !!

* * *

أسطورة من غانة

تولع الدول الأفريقية بالأساطير التى تدور حول الأبطال ، ومن أجمل هذه الأساطير أسطورة « القط الأبيض » التى نسجتها العقلية الغانية ، وتركت فوقها ((**زخارفها الجميلة**)) ، وقد ظهرت هذه الأسطورة فى غانة عام ١٩٥٠ — ولعلها أحدث أساطير أفريقية — فحين حكم الانجليز بالسجن عامين على « كوامى نكرومه » داخل غابة رهيبة بسبب اعلانه حرب المقاومة السلبية .

ففى احدى الليالى التى كان يدور فيها الحارس « كومو » حول السجن ، وعيناه تتحسسان فى حب وعطف قضبان الزنزانة التى يقيم فيها ((**كوامى نكرومه**)) أحس بقط أبيض فى عينيه قوة خارقة . يطل يمينا وشمالا بين القضبان . ثم يقفز قفزة رهيبة الى سور السجن . ثم يطلق صوتا رهيبا . تنساب منه كلمة « غانة » ممطوطة .. مؤثرة !

ويدهش الحارس مرة ثانية حينما يحس أن حقول « الكاكاو » المترامية ترد عليه بنفس الصوت الذى تنساب منه كلمة « غانة » ممطوطة .. مؤثرة !

ولا يكف فى أذنه هذا الصوت الا حينما يعود « القط الأبيض » مع الفجر .. ثم يقفز قفزته الرهيبة على السور .. ثم الى داخل زنزانة « كوامى نكرومة » .

ويحدث بهذا الحارس « كومى » زملاءه الحراس . فيجتمعون فى اللبنة الثانية وكلهم عيون تتطلع فى حنان الى قضبان النافذة ، وبينما هم متشبثون بنظراتهم ، ودموعهم على القضبان .. يطل عليهم وجه « القط الأبيض » وهو ينظر فى رهبة يمينا وشمالا ثم يقفز الى السور . ثم يصدر هذا الصوت الرهيب الذى تنساب منه كلمة « غانة » ممطوطة .. مؤثرة !

ويتردد هذا الصوت فى كل حقول الكاكاو ، ومناجم الماس ، وكل أقاليم « الأشانتى » فيقف الحراس هم الآخرون يرددون نفس الصوت !! يرددون كلمة « غانة » .

.. ويتلقف الشعب الغانى هذه الأسطورة التى نبعت من شعوره ، ورغبته فى لقاء زعيمه ، واذا الناس جميعا يضيفون عليها « زخارف جميلة » . ثم أخيرا يخرجون الى الطرقات وهم يغنون لحنا يشبه لحن « جسد جون براون » المشهور ، وترافق اللحن هذه الأغنية الشعبية فى كلماتها الغانية البسيطة :

« جسد كوامى نكرومة مسجى فى السجن
وروحه تهيم اذا الليل أقبل
فنراه يخرج فى قط أبيض
قط قوى
ينادى « يا غانة ! »
فترد غانة كلها بانها لن تنساه ! »

الشعر الشعبى فى أفريقية

للشعر الشعبى نكهة خاصة هى نكهة الشعب . فالأغنية الشعبية لا تصدر عن وجدان ذاتى . وانما ينفعل بها الوجدان الجماعى للشعب . وقد تكون الأغنية الشعبية تتحدث عن مشاعر فرد واحد ، ولكن هذا الفرد الواحد هو الشعب جميعه فى صراعه للحياة ، ورغبته فى حياة أفضل ، ونحن نقدم اليوم جانبا من هذا اللون الشعبى . ففى « ساحل

العاج » تتغني قبيلة ((بايلى)) بهـذه الأغنية المؤثرة :

كنا ثلاثة من النسوة
وثلاثة من الرجال
وأنا ((كوديو انجو))
وفى الطريق الى مكان العمل بالمدينة
فقدت زوجتى ((ناناما))
أنا الوحيد الذى فقد زوجته
كنت وحدى الذى حدثت له هذه النكبة
كنت وحدى أجمل الرجال الثلاثة
الذى وقع له الحزن
وعبثا ناديت زوجتى
فقد ماتت كما يموت ((الفروج)) وهو يجرى
كيف أخبر أمها ؟؟
كيف أسوق اليها الخبر ؟
فذكراها وهى تموت يكاد يقتلنى !!

.. فقد يكون المواطن ((كوديوانجو)) قد فقد فى يوم من الايام زوجته على الطـريق ، ولكن الشعب فى كل يوم يتغني بهذه الأغنية الشعبية وهـــو يساق الى العمـــل بالمدينة ، مدفوعا بالقوة الحاكمة ، وبالحــاجة المذلة . وهكذا أصبحت الزوجة الجميــــلة ((ناناسا)) رمـــزا لمفارقة القبيلة ، والحرية ، ومن هنا فهم لا يطيقون فى المدينة حيث لا يملون من ذكر حريتهم . فذكرها يكاد يقتلهم حزنا !!

.. وها هى أغنية حب تتغنى بها قبيـــلة ((بارنجا)) بموزمبيق ، ومن خلالها تظهر طائفة من العـــــادات ، والتقاليد التى هناك :

حرمت نفسى من كل شىء منك
حرمت نفسى من جسمك كما أردت
كل شىء حرمت نفسى منـه
.. فالقمح الذى يأكله أهلك
ليس الا عيونا بشرية !!
.. والكؤوس التى يشرب منها أهلك
ليست الا جماجم بشرية . !
.. وشرائح البطاطس التى يشوونها
ليست الا أصابع بشرية !!
ولكن ارفضينى كما أردت
واحرمينى من كل شىء كما تريدين
فليس لأحد مثل رغبتى فيك !!

ومن أجمـــل الأغانى الشعبية حقا تلك الأغنية التى أطلعنا عليها ((دافيد ديوب)) التى تلمح فيهــــا كل القارة بمشكلاتها ، ورغبتها فى الحياة . فهى تقـــول :

افريقية .. يا قارتى
يا بلاد المحاربين الأبطال الذين حاربوا
فى بلاد الأجداد .
افريقية ان جدتى تغنى
فى جانب من نهرها البعيد
أنا لم أعرفك أبدا
ولكن دمك يملأ نظراتى
دمك الأسود يغمر الحقول
دم عرقك !!
عرق عملك !!
عمل العبودية
عبودية أطفالك
افريقية حدثينى
ان ظهرك المنحنى
والدموع تحت ثقل الخضوع
ترتعش فى خطوط حمراء قائلة :
((نعم !)) للسوط الذى يلهبها فى الظهيرة !
وعندئذ يجيبنى صوت حزين
أيها الولد المندفع
ان الشجرة العملاقة الشابة
هذه الشجرة التى ترقد هناك
وحيدة فى فخار بين الأزهار الذابلة
((هى افريقية !))
افريقيتك التى تولد مرة ثانية !
تولد من جديد فى عناد واصرار
وتكتسب فاكهتها شيئا فشيئا
رائحة مرة
هى رائحة ((الحرية !!))

الفنانون المصريون :

كانت البعثات التى كانت توفدها مصر الى الصومال تضم دائما بعض الفنانين ، وما يكادون يصلون حتى يتجولوا بين ربوع البـــلاد ، وفى أيديهم أوراق البردى يسجلون عليها كل مظاهر الحياة هناك ليتمكنوا متى عادوا الى مصر من تقديم ملامح صادقة للواقع الصومالى، ومن أروع ماصوروه هناك صورة ملك الصومال وزوجته ، وأولاده ، وبعض الزعماء . مستخدمين فى ذلك اللون البنى الذى كانوا يختارونه للملامح المصرية .

كتاب الشهر

ـ ١ ـ

كينيا أرض الصراع

تأليف الزعيم **جوموكينياتا**

تلخيص **الأستاذ عبد الواحد أبراهيم**

قدم «شامان لاى» المحامى الهندى عند اعادة المكتب الهندى الافريقى نشرهذا الكتاب بقوله :

« بالرغم من أن الآراء التى عبر عنها « جوموكينياتا » فى هذا الكتاب قد مضى عليها وقت طويل ، وادى وجود الأحداث الأخيرة الى تغيير اتجاه مشكلات كينيا المعاصرة ، فان الحقائق الأساسية التى ضمنها كتابه لا تزال ذات أثر فعال فى الموقف الخطير الذى يعاصر كينيا فى الوقت الحاضر .

ولم يحدث أن اتصل شخص بجوموكينياتا اتصالا وثيقا من غير أن يتأثر بما يمتاز به هذا الرجل من سعة الأفق ، وبعد نظرته الى الأمور ، وطاقاته العقلية العجيبة ـ وفوق هذا كله ـ بحبه الذى لا يموت لبلاده وأبناء وطنه .

ولقد ذهبت الى افريقية للدفاع عن جوموكينياتا وزملائه كمحام ، وعدت وأنا مؤمن تماما بما لهذا الرجل فى قلبى من منزلةعزيزة أحس بها نحوه لا كصديق شخصى لىفحسب، بل كصديق للانسانية التى تلمح فيها روح الاله بما فيها من نزعة مثالية لا تقر الظلم ولاترضى عن العنف ، وتشيع دائما فى أعماقها أضواء الخير المتلالئة حتى فى أشد الأوقات ظلمة وحلكة .

وفى آخر يوم كنت أزوره فيه داخلالسجن الصغير الذى كان يرقد وراء قضبانه فى « كيبنجيوريا » أمسك بيدى وقادنى الى زنزانته التى تشبه صومعة الفلال ثم انحنى يبحث فى دولاب ملابسه عن مذكرته التى كان يحتفظ بها منذ عام ١٩٣١ ، والتى كانيسجل فيها يومياته يوما أثر يوم ، ثم أطلعنى على عبارة فيها كتبها له المهاتما غاندى بخط يده نصها : ـ

« تستطيع الحقيقة وحدها ، واتخاذ سياسة السلام أن ينقذا أية أمة من قيود العبودية ، وأسر الرق ! » .

ولا شك فى أن الرجل الذى يعتز برسالة غاندى التى تدعو الى السلام ، لا يمكن أن توجه اليه تهمة القيام بالعنف أو الاضطراب» .

اننىأعرفأن كينياتا ـ حقيقة ـ انسانيحب السلام ،ويحب شعبه ،ويفضل أن يموت على أن يتخلى عن كفاحه من أجل حرية بلاده ، وقد أهدى كتابه الذى أصدره تحت عنوان « Facins mrount Kenya » « الى مونجوى» والى واميوى بل الى كل شباب افريقية الذين تربطهم بأجدادهم روح الحب للكفاح من أجل تحرير افريقية وتأكيد ايمانهم بالوحدة التى تجمع بين الحى والميت ، والطفل الذى لم يولد للعمل على اعادة القيم والمقدسات التى انهارت ! » .

والحق أقول : ان كينياتا قد وضع هذا الكتاب كدعوة صادقة لاعادة بناء كعبة الحرية التى يحاول الرجل الأبيض أن يدمرها فى كينيا »

« شامان لاى » نيودلهى فى ١٩٥٣/٥/٢٧ .

* * *

مدخل للتعريف بكينيا :

تحتل كينيا حوالى ٢٤٥٫٠٠٠ ميل مربع ، أو بعبارة أخرى تبلغ مساحتها

ضعف مساحة كل من بريطانيا وايرلاندا . ويحدها من جهة الشرق المحيط الهندى ، والصومال الايطالى من الجهةالشمالية الشرقية ، والحبشة والسودان من الشمال ، وأوغندا من الغرب ، وتنجانيقا من الجنوب . أما الجزء الذى يطلق عليه اسم « محمية كينيا » فهو عبارة عن شريط يمتد حوالى عشرة أميال على طول الشاطىء ، وقد كان هذا الجزء من أملاك سلطان زنزبار ، استأجرته منه حكومة كينيا نظير ١٦ر٠٠٠ جنيه سنويا ، ثم أصبح قطعة يخضع لادارة مستعمرة كينيا

والمعروف أن ثلاثة أخماس أراضى مستعمرة كينيا أرض غير خصبة ولا تتمتع بنظام الرى الصالح ، أما الجزء الباقى فهو عبارة عن :

١ ــ سهول : تكونت بفعل العوامل البركانية ، وتتدرج فى الارتفاع من ٣ر٠٠٠ قدم الى ٩ر٠٠٠ .

٢ ــ وادى الخليج : ويشمل بحيرات رودلف ، ناكيورد ، نايواشا وغيرها من البحيرات الاخرى .

٣ ــ جزء من حوض بحيرة فيكتوريا ويبلغ ارتفاعه حوالى ٣ر٧٢٦ قدما فوق مستوى البحر ، ويصل ارتفاع جبل كينيا ، الذى اشتقت منه اسم المستعمرة ، الى ١٧ر٠٤٠ قدما ويغطيه الجليد والثلوج طيلة العام .

ومن منحدرات جبل كينيا الجنوبية والشرقية تتدفق مجموعة نهيرات بحيرة **تانا** التى تتصل بالمحيط الهندى بالقرب من ((**لامو**)) .

وتقع مستعمرة كينيا كلها فى المنطقة المحصورة بين الدرجة الرابعة شمالا ، والدرجة الرابعة جنوب خط الاستواء ، ومناطقها المنخفضة ذات مناخ استوائى ، ولذلك فانالمستوطنين الاوروبيينلشدة حرارتها لا يستطيعون العيش فيها ، اللهم الا فى جزء منها يبلغ خمس مساحتها وهو سهول يطلق عليها اسم ((**الاراضى المرتفعة**)) حيث يعتدل الجو وتسقط الامطار بصورة منتظمة ، وتعتبر تربتها صالحة جدا للزراعة ، ولا يمكن تحديد منطقة الاراضى المرتفعة تحديدا دقيقا ، نظرا لعدمرسم خريطةجغرافية واضحة لها ، وقد كانت هذه المنطقة دائما مأوى لكثير من القبائل الافريقية ، حتى جاء البريطانيون فاقتطعوها للعناصر الأوروبية ، وقصروها عليهم ، وحرموا على الهنود والافريقيين امتلاك شبر فيها ، وسأرجىء الحديث عن سياسة عزل هذه المنطقة لأنه يحتاج الى صفحات كثيرة .

* * *

دخول البريطانيين : ــ

وقد بدأ الحكم البريطانى فى كينيا عام ١٨٩٥ عندما أعلن الانجليز حمايتهم لهذه المنطقة ، بعد أن احتلتها شركة شرق افريقية البريطانية من قبل . وفى العام نفسه بدأت الحكومة فى بناء خط السكة الحديدية من **ممباسا** حتى **كيسيومنو** ، وتم تنفيذه فى عام ١٩٠٢ . وانتقلت محمية كينيا فى عام ١٩٠٥ من ادارة وزارة الخارجية الى ادارة وزارة المستعمرات .

وفى عام ١٩٠٦ صدر قرار بتعيين حاكم عام وقائد عام وتكوين مجلس تنفيذى وآخر تشريعى .

وفى عام ١٩٠٧ صدر قرار بتعيين

أعضـــــاء فى المجلس التشريعى من البيض المستوطنين .

وفى عام ١٩٢٣ سمح بانتخـــاب أعضـــاء من العرب والهنود ، وكانت الحـــكومة البريطانيـــة قد أعلنت عام ١٩٢٠ قرارها باعتبار كينيا احدى مستعمرات التاج . ثم أضيفت مقاطعة **جوبالاند** فى الخامس عشر من شـــهر يوليو عام ١٩٢٤ الى ايطاليا ، وبالرغم من الاحتجاجات الشديدة التى لا حصر لها من جانب الافريقيين فقد تجاهلت الحكومة البريطانية كل اعتبار وسارت فى اصرار على تنفيـــذ سياســـتها المرسومة .

* * *

النظام الادارى فى كينيا :

ويدير حـــكومة كينيا حاكم عام يساعده مجلس تنفيـــذى مكون من ثمانية أعضاء من الموظفين السابقين وأربعـــة أعضـــاء من غير الموظفين ، وجميعهـــم من الأوروبيين ، ومجلس تشريعى يقر القوانين ، وهـــو تابع لوزارة المستعمرات ، ويتكون من واحد وأربعـــين عضوا ، ويرأســـه الحاكم العام .

* * *

سكان كينيا :

أما ســـكان كينيـــا فقـــد دلت الاحصائيات عقبالحرب العالمية الثانية على أنها تضم : —

٣٠٠٠٠ر٠٠٠ر٣	من الافريقيين
٤٥٠٠٠ر	من هنود الجاوه
١٩٠٠٠ر	من البيض الأوروبيين
١٣٠٠٠ر	من العرب

وتكون هذه الأجناس من الناحية السياسية ثلاث طبقات : —

فالأوروبيون — ســـواء أكانوا من البريطانيين أم الامريكان أم أية جنسية أوروبيـــة أخرى — يمثلون الطبقـــة الارستقراطية ، ويحافظون على مستوى اللوردات ، والعرب والهنود يشكلون الطبقة الوسطى .

أما الافريقيون فهم طبقة الفلاحين والعمال .

ويتراوح الأجـر الذى يتقاضـــاه العامل الافريقى بين ٦ شلنات و ١٢ شلنا شهريا ، بشرط أن يعمل ثلاثين يوما كاملة فى الشـــهر . ويتعرض للغرامة أو السجن اذا أخل بشروط العقد . وايواء العامل الهارب يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون بالغرامة أو السجن .

على أن الحياة فى المزارع الأوروبية لا تغرى العمال الافريقيين بالاستمرار فيهـــا نظرا للشروط المجحفة التى تفرض عليهم . ولمـــا كان الاوروبيون يستنكفون من الاعمال اليدوية فهم فى مسيس الحاجة الى الافريقيين ، وهكذا كانت مصالحهم تضطرهم الى اتخاذ كل وسائل العنف التى لا يقرها قانون ولا تتفق مع أبسط حقوق الانســـان وكرامته ، لارغام العمال الافريقيين على العمل فى مزارعهم .

* * *

أراضى التاج :

وفى عام ١٩١٧ صدر قانون عرف باسم ((**قانون أراضى التاج**)) ويقضى هذا القـــانون بنقل ملكية الافريقيين لاراضيهم الى ملـــكية التاج ، وبذلك أصبح الافريقيونالذين كانوا يعيشون

فى أراضيهم مجرد مستأجرين لها ، ومعنى هذا أن من الممكن فى أى وقت أن ينقلوا من مكان الى آخر تشاؤه الحكومة .

ومن المتناقضات الواضحة أن الحكومة قد ملكت للاوروبيين مساحات واسعة من الاراضى الزراعية الخصبة ، وبالرغم من أن الارقام توضح أن هناك نسبة واسعة من الاراضى لا تزال فى أيدى الافريقيين على أنها مناطق محجوزة لهم ، فان معظمها — مع الاسف — ليس الا صحراء مقفرة . والباقى لا يمكن زراعته الا اذا أنفق عليه المال الوفير ، وهيئت له وسائل التطور والتحسين ، الامر الذى لا يملكه الافريقيون الفقراء .

* * *

ضريبة الرأس والكوخ : —

ولقد صدر قانون ضريبة الرأس والكوخ وهو قانون يقضى بأن يدفع كل افريقى تجاوزت سنه السادسة عشرة ضريبة سنوية قدرها اثنا عشر شلنا ، وعلى كل من يملك كوخا واحدا أن يدفع عنه اثنا عشر شلنا أيضا وكثيرا ما يحدث أن يكون للشخص الواحد أكثر من كوخ ، اذا كان متزوجا بأكثر من واحدة ، وعلى هذا الشخص أن يدفع اثنى عشر شلنا لكل كوخ . وكل من يعجز عن دفع ضريبة الرأس أو ضريبة الكوخ يجب أن يشتغل فى أراضى الأوروبيين نظير الضريبة المفروضة عليه . وبهذه الطريقة يمكن ضمان وجود عمال افريقيين فى مزارع الرجل الابيض .

ومن الظلم البين أن ترى شعب كينيا الافريقى يدفع هذه الضرائب الفادحة ، ثم لا يتمتع بمستوى تعليمى معقول ، فطبقا للتقرير الذى أصدرته ادارة التعليم فى كينيا عام ١٩٣٧ يوجد ١٠٠ر٨٧٢ تلميذا فى المدارس الابتدائية وتنفق الحكومة حوالى ٨ شلنات لكل تلميذ ، فى الوقت الذى تنفق فيه حوالى ٢٥٥ر٤٩ جنيها على أقل من ٠٠٠ر٢ تلميذ أوروبى ، وهكذا يجب على الفقراء أن يدفعوا الضرائب لكى يتعلم أولاد الاوروبيين الاغنياء !

وليست سياسة الحكومة فى كينيا فى المجال الاجتماعى أسعد حالا من سياستها التعليمية ، فالتأمينات الصحية ونظام المعاشات وانشاء المستشفيات العامة الخ .. لا يتمتع بها الا ذوو البشرة البيضاء ، ولا تفكر الحضارة الاوروبية فى أن تهب الافريقيين شيئا من خيراتها .

* * *

الظلم الاجتماعى : —

ويقوم نظام الحكم فى كينيا على أساس من التفرقة العنصرية بأدق معانيها وترسم السياسة هناك فى كل مجال من مجالات الحياة العامة ، على أساس ضرورة وجود هذه التفرقة . وقد اصطبغ الحكم بطابع الاستبداد والدكتاتورية ، وأصبحت كرامة الرجل الابيض وسلطته فوق كل اعتبار ، وغدا الصراع العنصرى أبعد مدى من القانون والتشريع ، وليس لمعنى التآخى أى أثر فى كينيا بين الانسان الابيض والانسان الاسود ، بل لقد حرم قانون أوروبا على افريقى كينيا أبسط حقوقهم فى الديموقراطية والحريات المدنية .

ففى الفصل ١١٠ من قانون العقوبات الجنائية ، وكذلك فى الفصل الثامن

من قانون السلطة الوطنية : يعتبر خروجا على القانون اجتماع أكثر من خمسة أشخاص دون تصريح بذلك ، بل لقد فسر هـــذا القانون تفسيرا تعسفيا عندتطبيقه على الاجتماعات التى تعقد لاتخاذ موقف معين من الحكومة .

وينص البند الثـــامن على أن لكل حاكم من حكام الاقاليم الحق فى أن يصدر مختلف التعليمات التى يراها مناسبة داخل الحدودالاقليمية لدائرته والتى لابد من أن ينفـذها الوطنيون الذين يخضعون لسلطته وهى تشمل :

أ ـ حرمان الوطنيين التابعين لدائرته من اقامة أو حضور أى اجتماع داخل منطقته ... واذا عارض أى افريقى هذه التعليمـــات فانه يكون ملزما بدفع غرامة لا تزيد على سبعة جنيهات وعشر شلنات ، واذا كان عاجزا عن دفع هذه الغرامة كانت عقوبتـــه السجن لمدة لا تزيد على شهرين .

ولم يكتف الرجل الابيض بذلك بل أصـــدر قانونا عـــرف باسم قانون « **التسجيل الوطنى** » وهو يقضى بأن يحمل كل افريقى فوق السادسة عشر شـهادة التسجيل التى عرفت باسم « **كيبـــاندى** » وأن تؤخـــذ بصمات أصـــابعه ، واذا عثر على أى افريقى لا يحمل هذه الشهادة معه فى أى مكان يسير فيه فمصيره السجن بعد القاء القبض عليه .

وقد استاء الافريقيون استياء بالغا لهـــذا الاجراء من جانب الحـــكومة ، واعتبروا هذه الشهادة بمثابة وثيقة العبودية . فهى لا تشـــبه البطـــاقة الشخصية التى كان يحملها البريطانيون أثناء الحرب ، كما أنها ليست البطاقة التى يحتفظ بها الجميع على السواء للتحقق من الشخصية ، انها ليست فى الواقع الا عملية تفرقة عنصرية ضد الافريقيين . لأن هذا الاجراء لم يطبق بالنســـبة للاوروبيين أو الهنود أو العرب .

* * *

قبل وصول الرجل الابيض : ـ

وســـنحاول هنـــا أن نستعرض الاوضاع فى كينيا قبل خمسين عاما مضت أى قبل أن يكون للاوروبيين أو حتى للعرب أى أثر يذكر فى داخل هـــذه الدولة الواسعة ذات الغابات الكثيفة والسهول المترامية والجبال والتلال والصحراء حيث كانت تعيش حـــوالى ٣٢ قبيلة لكل منها منطقتها وطريقتها الخاصة فى الحياة .

والمعروف أن هـــذه القبائل كانت مقسمة الى ثلاث مجموعات رئيسية .

١ ـ القبائل الرحل التى تعيش على الرعى كقبائل الماساى .

٢ ـ قبائل بعضها من أهل المراعى الرحل ، وبعضها الآخر من القبـــائل الزراعية ، وذلك كقبائل الكافير وندو والكيكيو ، والواكومبو .

٣ ـ القبائل التى تسكن الغابات وتعيش على الصيد ..

على أن الافريقيـــين الذين كانوا يسكنون المناطق الشاطئية كانت لهم صلات تجارية مع العالم الخارجى ، وكانوا يعرفون الكثير عن هذا العالم . بينما كان اخوانهم الذين يعيشون فى المناطق الداخلية يجهلون كل ما ابتعد عن هذه المناطق ، وليست لديهم أية فكرة عن العالم الخارجى ، لقد كانوا يتطلعون الى السماء فيجدونها بعيدة عنهم تنحدر تدريجيا حتى تستقر على بعض التلال أو الجبال ، وينتهى العالم

فى نظرهم عند هذا الحد . أما بالنسبة لأسلوب الحكم عندهم ، فقد كان يقوم على أساس من النظم القبلية التى تتفق مع تقاليدهم وعاداتهم المحلية ، وعلى درجة تطورهم الاجتماعى ، وقد كان لكل قبيلة رؤساؤها ومجالس الاعيان فيها ، وهم الذين يقررون شئون الحرب والسلام . وكانوا - كأية جماعة بشرية أخرى - أناسا تتحرك فيهم دائما غرائز الصراع الحيوانى ، تمر بهم فترات ينعمون فيها بالسلام والرفاهية ، ثم تعصف بحياتهم زوابع الحرب وشرورها ، بسبب غزوات قطعان الماشية ، وكان شعارهم دائما ((**اذا استطعت أن تهرب بالقطيع فى هدوء دون أن يراك أحد فافعل ، واذا كان عليك أن تحارب فلا تتردد فى استعمال حرابك**)) .

وقد زودت الطبيعة كثيرا من المناطق الداخلية بالحواجز التى لا يمكن عبورها بسهولة الأمر الذى كان يحول بين القبائل المتعادية وبين الاحتكاك المباشر ، ويجعل الغزوات مسألة على جانب كبير من الصعوبة .

وهكذا كان سكان المناطق الداخلية فى كينيا يعيشون فى جو من الحرية المطلقة ، يتجولون فى ربوع بلادهم من مكان الى آخر ، ويستمتعون بالهبات التى منحتها لهم الطبيعة ، فالراعى لا يكاد يستقر به المقام فى جهة حتى يفكر فى الانتقال الى جهة أخرى تبعا لما تمليه عليه الأرواح من ايحاءات ، كما كانوا يعتقدون ، والصياد ينصب شباكه فى أى جزء من الغابة حسبما يحلو له ، والمزارع يفلح الارض التى يرى فى باطنها الخصوبة والاستعداد للنماء ، ويدبر أموره الخاصة بنفسه فى حرية لا حدود لها .

* * *

وصول الموزونجو :

ثم وصل الموزونجو ، وهو الاسم الذى أطلقه الافريقيون على الجنس الاوروبى ، ويعنى به الرجل المخبول أو المعتوه .

وحدث عندما كان ((**واياكى**)) زعيما لشعب ((**الكيكيو**)) أن انتشرت بين جميع قبائل شرق افريقية اشاعات مؤداها أن جوا من الاضطرابات والقلاقل سوف يسود البلاد . وكان **موجو واكيبورو** عرافا مشهورا برع فى النبوءة وقراءة الغيب المستور ، فلمس الزعيم ، وأخبره بأن جماعة من الاشخاص الاقوياء لا يشبهون فى مظهرهم أو فى ملابسهم هذه الكائنات الانسانية التى نألفها ، ومعهم أسلحة غريبة ، ولا يمكن تصور ما لديهم من قوة وبأس ، يحملون معهم ثعبانا عظيما ضخما يخرج من فمه نارا ودخانا وسيحلون بهذه البلاد ، وسمع الزعيم **واياكى** هذه القصة من العراف وكان يجلس بجواره أعيان قبيلة الكيكيو وجماعة المحاربين فيهم ، فأخذوا يسنون سيوفهم ، واتجهوا الى الحدود يراقبونها فى حذر وانتباه شديدين . والمعروف أن هؤلاء الافريقيين كانوا يتعاملون مع القوافل العربية ولهم بهم صلة ، وقد ألزموهم طرقا تجارية محدودة يجتازونها فى سيرهم ، ولكنهم كانوا يسمحون لهم بحرية التجول داخل البلاد .

وظهر الاوروبيون على مسرح أفريقية أولا كتجار يتبعون الطريق الذى يسلكه العرب ، وكان رجال

القبائل يختبئون داخل الغابات يرقبون هؤلاء التجار الجدد فى شىء من اللوعة والاسى والخوف والحذر ، ويقولون فيما بينهم وبين أنفسهم ((**لقد حذرنا العراف موجو**)) .

وهكذا أخذ رجال الكيكيو يتعودون تدريجيا على رؤية هذه الوجوه الغريبة ، ويتاجرون معهم أحيانا ، ويسمحون لهم باستعمال الطريق الذى يقع على طول الحدود بين أراضيهم وأراضى **ماساى** ، ولكنهم لم يسمحوا لهم أبدا بالاقتراب من منازلهم أو أراضيهم الزراعية ، وكلما حاولوا ذلك وقف المحاربون من رجال ((الكيكيو)) يصدونهم عن تقدمهم ..

* * *

امتزاج أخوة الدم : —

فى أحد الأيام كان الزعيم ((**واياكى**)) ومعه جماعة من أبناء قبيلته يجلسون تحت ظل شجرة يحتسون بيرة العسل فى الوقت الذى كانوا يقومون فيه بالاستعداد للاحتفال بالعيد الذى تعودوا أن يحتفلوا به بعد حصاد محصول الذرة ، وصل رسول يرتجف من شدة الخوف وقال للزعيم :

((سيدى .. ان لدى أخبارا سيئة للغاية .. لقد مر رجل أجنبى ومعه قافلته من غابتنا ، وهو الآن فى طريقه الى ((نيرونجور)) ولقد هب المحاربون من كل مكان لمواجهة هذا الخطر واقسموا جميعا أن يدفنوا رماحهم وسهامهم فى بطن هذا الأجنبى ، ويقطعوا جثته اربا اربا ، ثم يلقوا بها الى النسور والضباع !)) .

وعندئذ هب الزعيم واقفا على قدميه وصاح منزعجا فى أحد كبار الموجودين حوله :

((ان الأمر مزعج حقا .. عليك أن تسرع بأقصى ما تستطيع ، وتمنع المحاربين من قتل أى غريب ، خوفا من أن يمتزج دم حياته السحرى بتربة أرضنا ، فتغضب الأرض ولا تنبت زرعها خصوصا واننا فى وقت نحتفل فيه بعيد من اعيادنا الدينية)) .

وسرعان ما تم للزعيم ما أراد ، ومثل الرجل الابيض بين يديه ، بعد أن احتجزوه أربعة أيام كان الزعيم يتشاور خلالها مع كبار رجال قبيلته فى أمر هذا الغريب ، وقرروا ترك هذا الرجل يشتغل بالتجارة ما دام لا يتسبب فى أذى أو ضرر للقبيلة واذا ما حدثته نفسه بأن يقوم بأى عمل عدائى ، فعلينا أن نقضى على حياته هنا .. وفى اليوم المحدد ذهب الزعيم **وياكى** وبرفقته عدد كبير من رجاله وأعوانه المحاربين الى ((**داجوريتى**)) حيث أحضروا الرجل الابيض ، ووقف بين يديه ، وبعد تبادل التحية سأله الزعيم عن سر مجيئه وطبيعة عمله .

فأجابه بأن غرضه الاساسى من وجوده هنا هو القضاء على العناصر التى تفد الى شرق أفريقية للتجارة فى الرقيق . وعندئذ أجابه الزعيم وهو يستشيط غضبا ... هل تعتقد أيها الرجل أن المحاربين عندى عاجزون عن الوقوف أمام هذه العناصر التى تتحدث عنها ؟ ألم يخبرك هؤلاء الحمالون الذين يعملون معك كيف أعامل كل من تحدثه نفسه بأن يسلك سلوكا لا أقره فى بلدى ؟ ان أى شخص يحاول أن يلحق أدنى ضرر برعيتى ، لابد وأن يدفع الثمن غاليا ..

وعندئذ أحس هذا الرجل الابيض بمدى الحرج الذى وقع فيه ، فحاول أن يغير من موضوع حديثه ، وقال للزعيم ((اذا تفضلت يا سيدى بقبول صداقتى ، فاننى أتعهد بأن أتعامل معكم كما يتعامل الاخ مع أخيه ، وسيسلك كل من هم من أبناء جلدتى هذا السلوك نفسه)) .

وسأله الزعيم مرة ثانية ماذا يعنى بكلمة « اخـــوة » هل يقصـــد بها الحضور الى هنا أنت وأبناء جنسك لتعيشوا بيننـــا ؟ وتبادل الجالسون النظرات بعضهم الى بعض ولكن أحدا منهم لم ينبس ببنت شفة . وأجابه الرجل الغريب « سيدى ليست لدى أية رغبة فى أن نستوطن بلادك ، ان كل ما أطمع فيه هو السماح لى بالمرور مع قافلتى على الطريق الذى يقع عبر أراضـــيك ، وأن تسمحوا لى بشراء ما أحتاج اليـــه من الطعام فى مقابل البضائع التى سأحضرها معى »

وأومأ الزعيم ، وكأنه راض عن اقتراح هذا الاجنبى ، ثم أذاع بشرى استقرار الســـلام والامل فى الخير بصـــوته الوقور الهـــادىء ... وبعد مناقشات طويلة تقرر توقيع اتفاقية بين الزعيم **واياكى** ورجاله من ناحية وبين الرجل الابيض كابتن **لوجاردو** الذى يمثل أبناء شعبه من ناحية أخرى وهكذا دخل الطرفان فى معاهدة أبدية وعنـــد الاحتفال بتوقيع هذه المعاهدة تجمع الناس من مكان فى **راجوريشى** ليشهدوا ساعة الاحتفال بأخوة الدم وبدىء الاحتفال بذبح شاه أخذت منها قطعة ثم حكت بكفى الزعيم والرجل الابيض ، بعد أن جرحتا قبل ذلك ، وكان هذا يعنى تحقيق فكرة حقن دماء الشخصين ، وفى نهاية الاحتفال بدأ كل واحد من الحاضرين يلتهم قطعة من لحم الشـــاة التى ذبحت وذلك لكى يؤكد فى الوقت نفســـه عزمه على أن يكون للآخرين كالاخ ويتعامل معهم على هـــذا الاساس فى كل مجال من مجالات الحياة .

وكانت هـــذه المعاهدة التى تمت بهذه الصورة تعتبر المعاهدة الوحيدة التى وقعها شعب الكيكيو مع البريطانيين على أساس من احترام كل منهما لحرية الآخر ، وكانت هذه المعاهدة تنص على أن يقوم شـــعب **الـــكيكيو** بتزويد الاوروبيين بالطعام ، بناء على الشروط المتفق عليهـــا ، ولا يصح لاى فريق الحاق الضرر ، أو الاذى بالآخرين .

ومما هو جدير بالذكر هو أن هذه المعاهدة لم تتضمن امتيازات اقليمية من أى نوع ، أو بند أو شرط يمس حقوق شعب ((**الكيكيو**)) فى أرضه !

* * *

وعود منقوضة : ـ

وقد وقعت معاهدة الاخوة المذكورة عام ١٨٩٠ وظل الاوروبيون الذى جاءوا بعـــد **لوجاردو** يحرضون على احترام نصوصها ، وتنفيـــذ بنودها طبقـــا للشروط المتفق عليها بين الطرفين ، ولكن هذه الحالة لم تدم ـ مع الاسف ـ طويلا ، اذ أن بعض الاوروبيين الذين خالطوا الافريقيين بدأوا يسيئون اليهم بتصرفاتهم الى اخـــوانهم فى الدم ، وانتهت حالة الصداقة والسلام ، وقد وصف **الكابتن لوجاردو** ـ الذى أصبح اللورد لوجارد ـ هذا الموقف فى كتابه الذى أسماه ((**ظهور امبراطوريتنا فى شرق افريقية**)) بقوله :

« لقد عشت ما يقرب من الشهر بين هؤلاء النـــاس ، والواقع اننى قد تأثرت بالمعـــاملة الطيبة التى كانوا يعاملوننى بها أكثر مما تأثرت بمعاملة أية قبيلة أخرى قابلتها فى افريقية كلها ، لقد توطدت بيننـــا الصداقة بشكل لا نظير له ، ولم يساورنى شك فى أى يوم من الايام ، ولم أتوقع حدوث

أى لون من ألوان الخطورة . حينما كنت أتجول وحدى فى أى مكان مهما ابتعدت عن معسكرى »

ولكن حدث فيما بعد — كما قال **لوجاردو** فى الكتاب نفسه — أن أصيبت هذه العلاقات الطيبة بنكسة خطيرة . ولعل ذلك يرجع — كما أعتقد — الى الحاجة الى الطعام الذى كانت تفتقر اليه القوافل المارة ، فقد كان رجالها يسرقون غلات الافريقيين ، ويتسببون فى حدوث كثير من المتاعب ... واننى لشديد الاسف حقـــا لهذه السياسة الخرقاء التى تسببت فى اغلاق هذه البلاد ، التى كانت بمثـــابة السوق الموعودة لحركة التطور التجارى بين الشواطىء والبحيرات ، والتى تحولت بعد الصداقة والسلام الى حالة من العداء وســـفك الدماء ، وجعلت من الافريقيين أناسا يتربصون العداء بكل أبيض أوروبى ، ويذبحـــون كل من يعثرون عليه من هؤلاء البيض ، بالرغم من وجود جبهة قوية للدفاع مكونة من ١٥٠ رجلا مسلحين بأحدث الاسلحة ، فى الوقت الذى كان فيـــه **ويلسون** أيام الســـلام لا يحتفظ معه بأكثر من ثلاثين شخصا ليس معهم من السلاح الا القليل جدا » .

وهنا دعت الظروف الى أن يهب الزعيم **واياكى** ومعه رجاله الاشداء ، لكى يقاوموا هذا الخطر الجديد ، ولكن ماذا يستطيع **واياكى** أن يفعله بحرابه وسهامه وسيوفه البدائية ، أمام جماعة تحارب بأحدث الآلات الحربية الجبارة وأخيرا وقع زعيم **الـــكيكيو** فى قبضة الاوروبيين أسيرا لا حول له ولا قوة ، ثم تقرر نفيـــه وابعاده ، ولكنه فى الطريق الى الشاطىء لقى نهايته ومات من الحسرة والالم عند مدينة **كبوزاى** حيث دفن هناك .

وكان هـــذا هو المصير الذى لقيه الزعيم القوى والحاكم الوطنى العظيم .. وهكذا تحققت نبوءة العراف « **موجو كيبيرو** » .

وتعاقبت السنين بعد ذلك ، وشهد الشعب الافريقى فى كينيـــا تطورات كبيرة قلبت حياته رأسا على عقب . فقد أعلنت بريطانيا — رسميا — ملكيتها لكينيا ، وبدأ المستوطنون البريطانيون يفدون بسرعة الى هذه المنطقة الافريقية وأخذت الحـــكومة الجديدة تمنحهم بطريق الهبـــة أو الاثمـــان الرمزية اقطاعيات زراعيـــة واسعة من أجود الاراضى هنـــاك ، وكانت الاراضى الزراعيـــة فى كينيا من سعة المساحة بحيث أن الحـــكومة لم تستطع أن تملكها للاوروبيين فورا ، فأبقت بعض الافريقيين — الى وقت ما — فى أراضيهم وما كانوا يعرفون يومئذ أن وجودهم مرهون بوصول مزيد من البيض الذين سيستولون على تراث آبائهم وأجدادهم

ان الارض عند الافريقى أعز لديه من أغلى قيمة فى الدنيـــا . وأفريقيو كينيا بالذات على استعداد دائما لأن يضحوا بحياتهم فى الدفاع عن أراضى أجدادهم ، فالمسألة فى نظرهم ليست مسألة أرض يعيشون عليها فحسب ، بل انها روح السلف ورابطة الدم بين الاجيال الماضية ، ولكن ... ماذا يفعل هـــؤلاء الافريقيون أمام الطـــائرات والقنابل والغازات السامة ... ؟!

* * *

الامور تتغير :

ومن المعروف أنه قبل الحرب العالمية الاولى لن تكن فى كينيـــا حـــركة

سياسية منظمة ، فقد كان زعماء القبائل – طبقا للتقاليد المتوارثة – يمثلون طبقة رجال السياسة ولقد أصبح هؤلاء الزعماء بعد دخول البريطانيين موظفين لدى الحكومة تدفع لهم الرواتب ، وتمنحهم العطايا والهبات . وكل زعيم لا ينفذ رغبات الحكومة يلقى المصير الذى لقيه الزعيم الراحل ((وياكى)) .

والزعماء الذين تتوطد صلتهم بالحكومة يحصلون على ثقتها وتأييدها وبذلك تعطيهم سلطة النيابة فى جمع الضرائب ، ورفع مستوى انتاجية العمل .

وأصبح من الاجراءات المتبعة التى ينفذها المندوب الاقليمى تزويد الزعيم باثنى عشر رجلا أو أكثر – اذا دعت الحاجة – من رجال البوليس المسلحين لكى يتمكن من اخضاع أية منطقة تحاول أن تعترض على قوانين الحكومة .

ويشغل بعض الافريقيين الذين حصلوا على قدر معين من الثقافة الاوروبية – على أيدى رجال الارساليات الاجنبية – بعض المناصب الثانوية فى جهاز الحكومة ، وكان من المتوقع أن تلعب هذه الطائفة دورا هاما بالنسبة لكينيا ، لولا أن الضغط الاقتصادى وعوامل التهديد التى يلوح بها لكل من تحدثه نفسه بالخروج على تعليمات الحكومة هى التى تلجمهم ، وتشل نشاطهم الوطنى .

ولقد فرض على الشعب الافريقى أن يظل ساكنا محروما من أية وسيلة من وسائل التعبير ..

وأثناء حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ انضمت الآلاف من شباب شرق افريقية إلى كتائب الجيش البريطانى ، وأدت خدمات جليلة للحلفاء . ووصف السير **ادوارد** عضو البرلمان الانجليزى الذى كان يشغل فى يوم من الايام منصب حاكم كينيا ، مدى الخدمات التى قام بها الافريقيون فى هذه الحرب فكتب يقول : –

((لقد قام هؤلاء الافريقيون بأعمال فوق طاقة الجنس البشرى ... ولم يمكن أن ينسى الحلفاء هؤلاء الافريقيين الذى كانوا يحملون الزاد والمؤن والذخيرة فى معمعان المعركة ثم يوصلونها الى القوات المحاربة على بعد عدة أميال)) .

وعاد الافريقيون بعد الحرب الى بلادهم ، وكانت المكافأة التى جوزوا بها على جهودهم الجبارة فى مساعدة الحلفاء أن أعلنت بريطانيا داخل المملكة المتحدة نداء تدعو فيه الموظفين الذين أحيلوا الى المعاش بالذهاب الى كينيا التى أسمتها يومئذ ((مجال العمل النموذجى)) .

وهكذا تقاطر البريطانيون الى كينيا ينشدون الجنة الموعودة ، ورأينا كثيرا من الاسر والقبائل الافريقية يطردون من أراضى آبائهم وأجدادهم ، لأن الارض قد أصبحت ملك التاج البريطانى ، وفرضت الحكومة ضريبة الرءوس والاكواخ ، وشددت قبضتها فى جمع هذه الضرائب ، واستعملت كل ما فى جعبتها من وسائل العنف والقسوة ، ثم أصدرت قوانينها بتنفيذ شهادات التسجيل التى يمقتها الافريقيون .

((له بقية))

président de la République française oppose aux Anglo-Saxons imbus de leurs prérogatives et préoccupés, au temps des fusées, de s'adapter aux exigences de la stratégie périphérique, nul ne peut en douter.

Mais réclamer la mise en œuvre d'une stratégie globale - de cette stratégie globale, dont M. Georges Bidault s'était montré l'ardent protagoniste au tournant décisif de la guerre d'Indochine - n'est-ce pas retomber dans les erreurs et les catastrophes du passé ?

N'est-ce pas justement revenir à cette politique "du bord du gouffre" que M. Dulles avait, assurait-on, emportée dans sa tombe, et dont on ne voit pas comment les Etats neufs ou jeunes pourraient en accepter le retour ?

On objectera que le général de Gaulle ne vise à participer à l'élaboration de la stratégie globale qu'en vue de mieux la contrôler.

Hélas ! une semblable objection ne tient pas dès l'instant où le gouvernement français n'a d'autre ambition que d'amener ses alliés à soutenir son action en Algérie et à leur soutirer les secrets qui lui permettraient de fabriquer sa bombe "H" à meilleur compte...

...Au moment même où la conférence genevoise sur l'interdiction des expériences nucléaires envisage un accord limité, mais indispensable.

Dès lors, que dire et penser de ces jeux infernaux ?

La politique de la France est en train de sombrer dans les plus funestes contradictions.

Voilà ce qu'il faut conclure de tant de manœuvres dilatoires et dépourvues de tout fil conducteur.

Certes, les temps sont "durs". Mais beaucoup jugeront avec nous qu'en compliquant les négociations en cours et en s'abritant derrière des slogans usés jusqu'à la corde, la France fait le contraire de ce qu'elle devrait faire.

On ne peut à la fois prétendre aider son prochain et ranimer en même temps les cendres de la guerre froide.

Il faut savoir ce que l'on veut. Et notre pays flotte dangereusement sur des mers où il s'ingénie à perpétuer les tempêtes.

Afin de gagner du temps ? Le malheur est que le temps ne travaille pas pour lui:

ni à Genève, ni à l'O.T.A.N.

principaux partenaires, à savoir la possession des armes nucléaires, celles-là mêmes qui lui échappent encore, à lui de Gaulle, et lui font sentir son infériorité dans la lutte pour un nouveau partage des zones d'influence - de substituer, disons-nous, à ces critères les promesses d'une action commune en faveur de l'expansion économique sous le couvert de laquelle notre pays n'apparaîtrait pas trop démuni. En outre, ce projet pourrait conduire à un désarmement général (?). Mais, cette fois, sans dommages excessifs pour le prestige de la France...

Admettons que cette explication soit plausible, bien qu'elle pose le problème des disponibilités réelles de notre pays, compte tenu des spéculations sahariennes, et qu'elle présuppose une véritable reconversion de l'économie américaine, dont on n'aperçoit pas les signes avant-coureurs.

A ce propos, il serait bon d'interroger les Latino-Américains.

Reste à savoir si une telle hypothèse cadre, précisément, avec le... reste.

Avec le reste, c'est-à-dire la politique des légions romaines en Algérie, car l'armée, suprême rempart du général, en lisant Mao a retrouvé César. Avec le reste, c'est-à-dire la confusion entretenue sans cesse par les dirigeants de la Ve République sur la nature même des bouleversements qui se sont produits sur la planète, partout où se situe l'univers des pays neufs et qui se réduiraient, selon Mr. Debré et les siens, aux effets pernicieux de la propagande communiste.

Avec le reste, c'est-à-dire enfin le combat singulier que le général de Gaulle mène contre l'O.T.A.N., au sein de l'alliance atlantique, non pas, semble-t-il, pour sauvegarder sa liberté, plutôt pour se donner de nouvelles chaînes dans une croisade, qui, en perpétuant la guerre froide, en continuant de dresser les deux blocs l'un contre l'autre et en attisant le feu de l'anticommunisme, rendrait illusoire toute aide sérieuse et efficace aux pays sous-développés.

Il y a donc là une antinomie flagrante entre ce que certains gaullistes, en quête d'une excuse, désignent, faute de mieux, comme la grande pensée du règne et les faits qui se déroulent sous nos yeux.

Qu'il y ait une part de vérité dans les arguments que le

LA POLITIQUE FRANÇAISE
s'enfonce dans les contradictions

Si l'on cherche une "explication cohérente'' à la politique extérieure du général de Gaulle, on court le risque de ne pas la trouver.

A moins - ce n'est là qu'une hypothèse - que l'on ne décide d'oublier certains faits qui, en dépit des apparences, ne seraient qu'épisodiques, pour ne retenir, au-delà des contradictions et des hérésies, que la grande pensée du règne.

Entreraient dans la liste (déjà longue) de ces faits épisodiques, d'abord l'entreprise de sabotage à laquelle se livre la délégation française à Genève, ensuite la suspension inconsidérée de notre diplomatie à l'axe Paris-Bonn, que M. Strauss, sur le plan militaire, et M. Ehrard, sur le plan écononmique, n'ont pas tardé à transformer en balançoire sous les regards complices du vieil Adenauer, dont tout le monde s'accorde à dire aujourd'hui qu'il ne s'est servi de la Petite-Europe qu'afin d'achever le redressement de son pays, enfin, les avances stupéfiantes autant que dérisoires de l'Elysée et de l'Hôtel Matignon à l'Italie, qui, déjà, n'est plus celle de M. Pella, et à l'Espagne, qui est en train d'allumer quelques pétards sous les fesses du Caudillo.

Mais comment définir la grande pensée du règne ?

A ce sujet, le général de Gaulle n'aurait livré qu'une partie de son secret.

Il semble que, redoutant les compromis genevois dans la mesure où ces derniers se feraient sur le dos de la France - telle est au moins son opinion - il s'efforce de surmonter son absence de moyens à l'égard des Grands, ses difficultés intrinsèques et aussi ses déboires, en détournant les derniers courants de la guerre froide au profit de l'aide aux pays sous-développés.

L'objectif de de Gaulle serait, en conséquence, de substituer aux critères sur quoi se fonde actuellement la puissance de ses

JOMO KEYATTA DAY 26959
RESOLUTIONS

On the occasion of Kenyatta Day, 26/9/59, decided by the Permament Secretariat of Afro-Asian Peoples' Solidarity, the African Association salutes with emotion the heroic struggle of Kenya Africans and those who died or were imprisoned for defence of African freedom in Kenya ever since 1952. Noting with very great indignation the continuation and existence of state of Emergency, used by the British colonialists as a means to transfer power to white rettlers, and shocked by the repressive measure taken against the African Nationalists and the deplorable continuation of detention and exilement of the only African Kenyan leader Jomo Kenyatta, the African Association reaffirms its unconditional solidarity with the African people of Kenya struggling for independence and therefore demands :-

(1) The immediate release of the Kenya African leader Jomo Kenyatta and his colleagues.

(2) The termination of seven-year old state of emergency with all its diabolic and ruthless measures such as restrictions of African country-wide political organisations, taperecording of African political speeches, compulsory communal labour and carrying of pass books, and restriction of African freedom of press, assembly etc.

(3) That Jomo Kenyatta must be consulted by the constitutional expert now in Kenya - Professor Mackenzie - and that Jomo Kenyatta must represent his people in the forthcoming round table constitutional conference before election next year - 1960.

(4) Immediate resettlement of Africans in their own land in Kenya Highlands presently reserved exclusively for European settler only.

(5) Stoppage of further European farmers' immigration into Kenya.

(6) The rapid liquidation and disbandment of British military bases, established for exterminating the innocent unarmed Africans.

(7) That the British must respond to the Kenya African demand for full independence and self-determination Now, and non-compromise on any constitutional change which may provide for something short of rule by African majority in Kenya not later than Now.

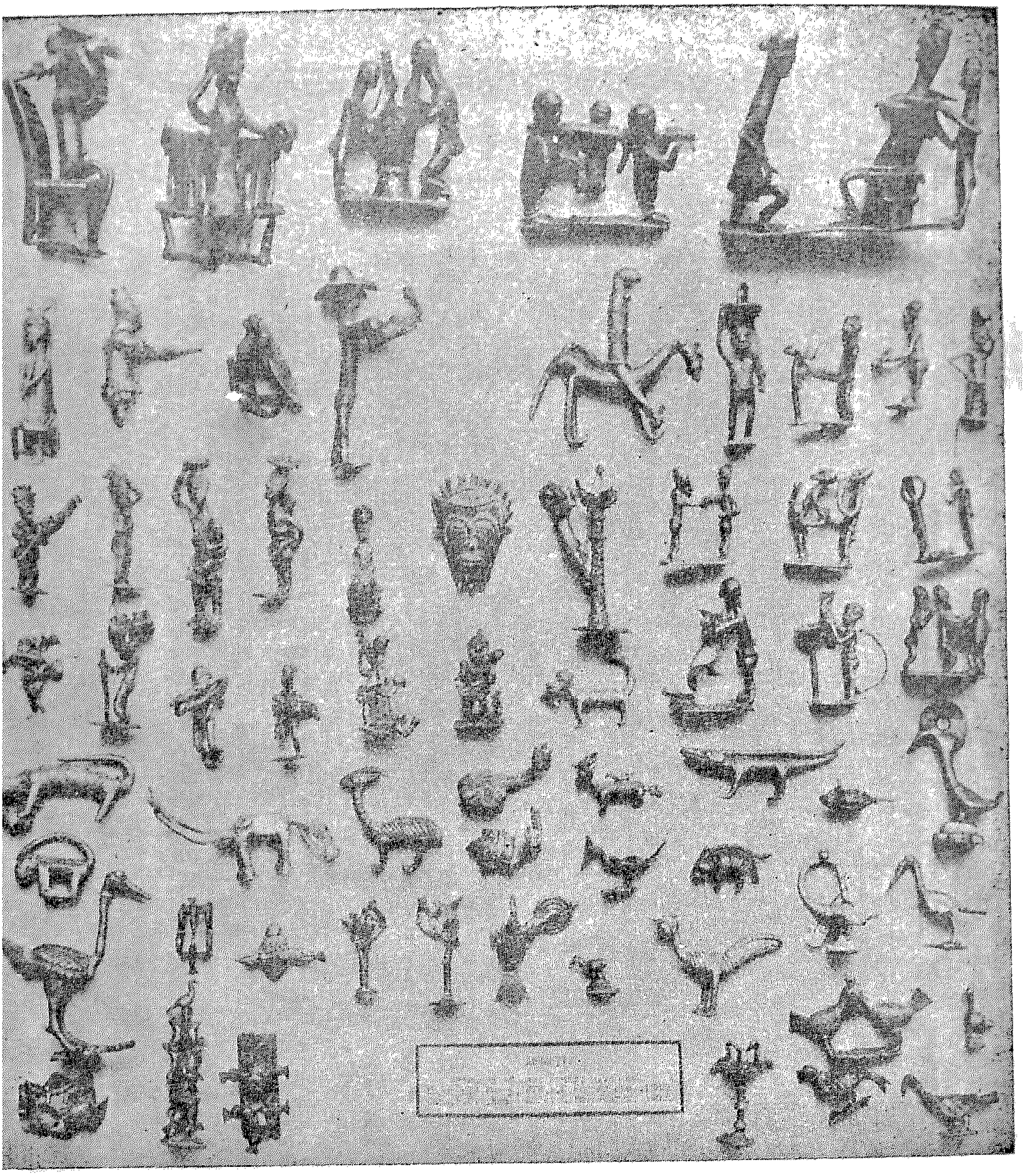

من روائع الفن الافريقي

2nd. Year

Issue No. 23 - October 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- THE BURNING SPEAR.
- THE CONGO TRIBE.
- AFRICA REVOLUTION.
- JOMO KENYATTA.
- BOOK ANALYSIS.
- BOOK OF THE MONTH.

80 Pages.
30 Milliemes.

السنة الثانية

العدد ٢٤

نوفمبر ١٩٥٩

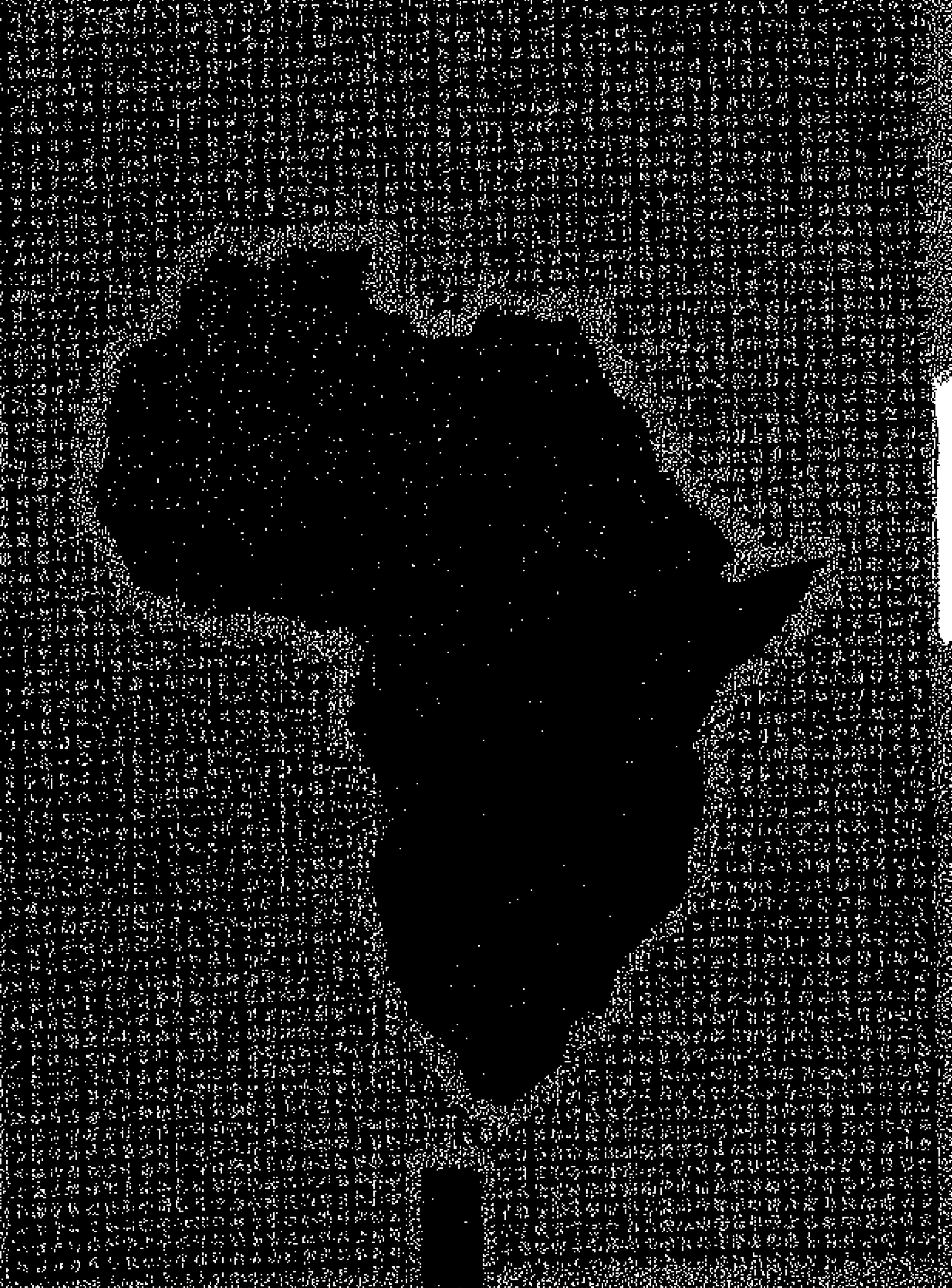

نهضة افريقية

فى هذا العدد

- ما وراء الدخان
- التجار العرب في افريقية
- من القصص الافريقي
- ذكريات الخرطوم
- فن النحت
- كتاب الشهر

الثمن ٣ قروش

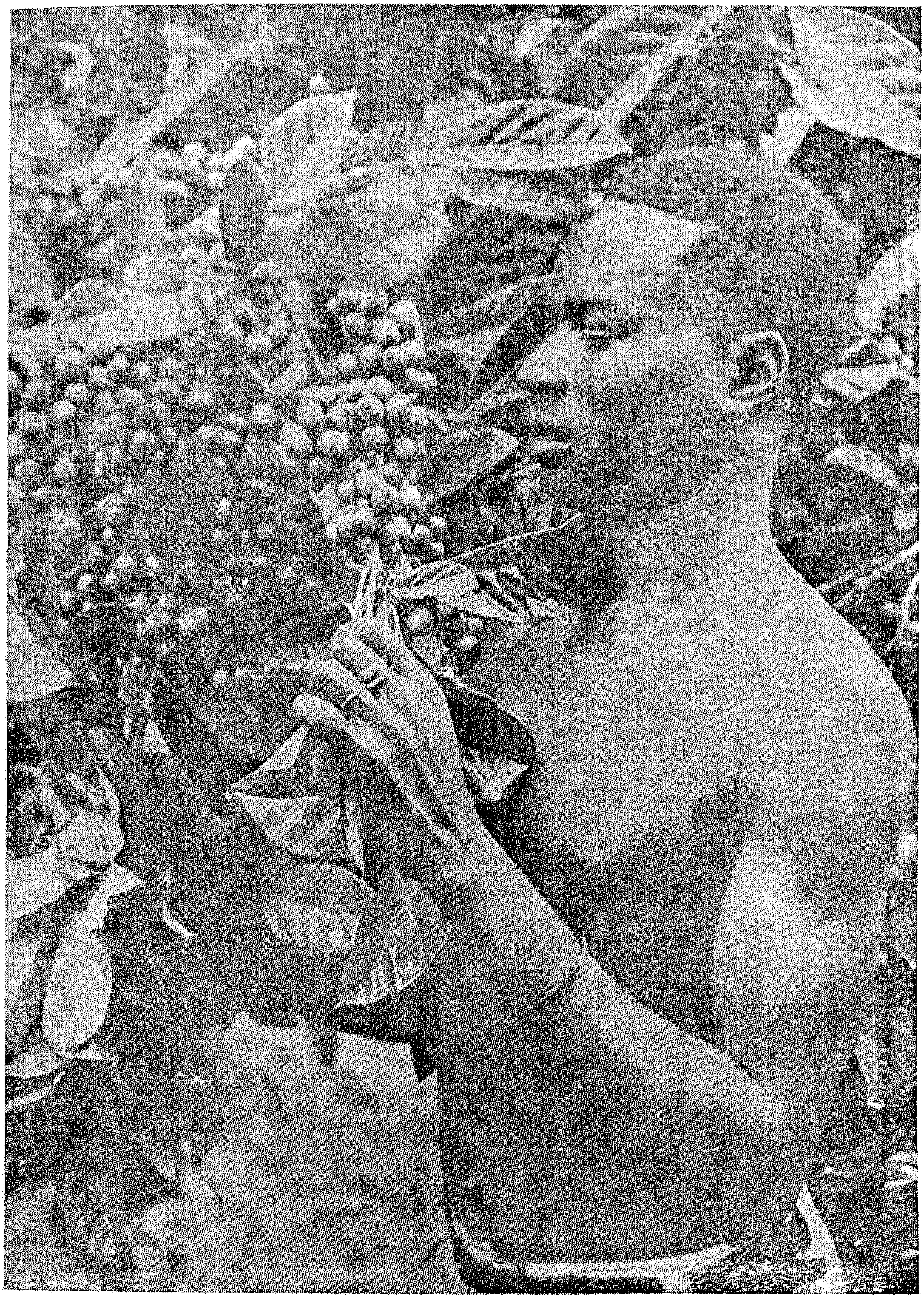

« مزارع من غينيا »

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

نهضة افريقيه

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

صحيفة

ما وراء الدخان :	
للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق	٣
التجار العرب فى غرب افريقية :	
للدكتورابراهيم أحمدالعدوى	٨
أفريقية الاستوائية :	١٤
افريقية الوسطى وروديسيا الجنوبية :	٢٢
للسيد جوثيا . م . نكومو	
هذه هى غانة :	٢٩
الشخصية الافريقية :	
للأستاذ عزيز مترى عبد الملك	٣٥
ذكريات الخرطوم : (شعر)	
للأستاذ عبده بدوى	٣٧
السودان فى صور :	٣٩
من القصص السودانى (أولاد السمكة)	
للأستاذ عباس خضر	٤٣
أثر السياسة الاستعمارية فى التعليم :	
للأستاذ على شلش	٤٦
كلمات وصور :	٤٩
الغيرة :	
للأستاذ سيد العقاد	٥٥
كتاب الشهر :	
للأستاذ عبد الواحد ابراهيم	٥٩

فكرة ..

(١)

بصدور هذا العدد تكون مجلة ((نهضة افريقية)) قد أتمت عامين فى الحقل البكر الذى اختارته ، والذى شقت طريقها فيه بأمانة واخلاص ، فقد كانت نتيجة طبيعية لاهتمام الجمهورية العربية المتحدة بافريقية ، وحركات التحرر فيها ،

وقد حرصت هذه المجلة دائما على أن يكون لها اتجاه علمى فى كل القضايا التى تتناولها ، والبحوث التى تتعرض لها . مع ملاحقة صادقة للأحداث التى تمر بالقارة فى سرعة مذهلة . بحيث أصبح من الممكن للباحث العربى وللقارىء العربى أن يضع يديه الآن تماما على مشكلات القارة ، وظروفها ، وماضيها وغدها .

فنحن نؤمن بان مجلة ((نهضة افريقية)) هى هدية الجمهورية العربية المتحدة لافريقية . .

(٢)

أصبحت افريقية الآن مدينة مفتوحة للافريقيين وثقافتهم وسياستهم ، بعد أن كانت مغلقة أمام كل ما هو افريقى .. وقد شهدت القارة فى هذا الشهر اجتماعا لاتحاد نقابات العمال فى ((أكرا)) ، ومباراة فى القاهرة بين فريقى الاقليم الجنوبى وغانة ، واجماعا على مقاومة تفجير القنبلة الذرية فى الصحراء الكبرى ، واستعدادا لاعلان يوم ((تحرير افريقية)) ، واحتضانا لزعيمة جنوب افريقية بعد أن فرت الى دولة مجاورة ، وتوقيعا لاتفاقية السودان .

وهكذا تعيش افريقية كل يوم فى مكاسب وانتصارات جديدة

((عبده بدوى))

ما وراء الدخان

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

الحوت الافريقى :

من أقاصيص السندباد : انه امتطى ذات يوم سفينة ، ليعبر بها البحار الى الهند والسند و ((**بلاد تركب الأفيال**)) ..

وما أن أمعنت السفينة فى بحار الظلمات حتى اكفهرت السماء ، وهجمت العواصف الرعناء ، فاقتلعت الشراع ، وقذفت بالبحارة الى أعماق اليم ، ولم ينج الا صاحبنا السندباد، الذى ظل يكافح الموج حتى ألقت به المقادير الى جزيرة خضراء ، فسيحة الأرجاء ،فيها الأشجار الوارفة،والثمار الممتعة ، والعيون الجارية ، والظل الظليل ..

وما أن استقر المقام بالسندباد وخيل اليه أنه قد صادف ليلة القدر، وأصاب سعادة العمر حتى أحس بزلزال ، ونظر فاذا الجزيرة تتحرك وتنتفض أجزاؤها وتعلو وتهبط ، واذا بالحقيقة المذهلة تتكشف عن حوت عظيم أخذته غفوة من النوم تناسب حجمه الهائل ـ وهبطت عليه الأمطار فأينعت على ظهره الأشجار .. وطار صواب السندباد وتبخرت أحلامه ، فالقى بنفسه فى البحر يطلب النجاة ..

ومنذ القرون الوسطى كانت سفن الاستعمار تطوف بافريقية ، وتنزل اليها الف سندباد ، وقد تناسلوا وعاثوا فى القارة جبروتا وطغيانا ، وخيل اليهم أنهم ملكوا الأرض ومن عليها .. وفى هذه الأيام تتزلزل الأرض تحت أقدام الاستعمار ، ويدرك أنه لا يقف على أرض صلبة ، وانما يقف على هزات مخيفة ، ما يكاد يفر من احداها حتى تلاحقه الأخرى ، وليس ببعيد اليوم الذى تكتمل فيه انتفاضة ((الحوت الافريقى)) فاذا الاستعمار يلقى بنفسه فى الموج طالبا النجاة ..

أمجاد ((مالى)) :

ان عام ١٩٦٠ يدخر للاستعمار الشىء الكثير ، فليست ((الكارثة)) أن أربع دول افريقية جديدة سوف ترفرف أعلامها فى الآفاق ، وترفع رءوسها شامخة فوق مقر هيئة الأمم فى نيويورك (وهذه الدول هى : نيجيريا ، والكاميرون ، والصومال ، وتوجولاند) وانما تبرز فى الأفق دولة اتحادية عريقة الأصول ، هى دولة ((مالى)) .

لقد اطمأن السيد ديجول الى استفتائه المشهور ، الذى أدخل به المستعمرات الفرنسية السابقة الى حظيرة ((الجماعة الفرنسية)) وحمد المقادير ان لم تفلت منه غير ((**غينيا**))

ولكن الاطمئنان قد أخذ يخلى سبيله ليحل محله القلق وتوقع التفكك والانحلال ..

فما ان استقلت غينيا ،واستطاعت أن تهزم المكايد السياسية والاقتصادية التى نصبتها فرنسا ، وتواطأ فيها مع فرنسا ما يسمى « بالعالم الغربى» حتى انهارت عظمة « الجماعة الفرنسية » أمام عيون الأفارقة ، وحتى تحركت «أخوات غينيا» وهبت شعوبها تطلب لنفسها العزة والكرامة الدولية والتحرر من قيود التبعية، ورأينا اقليمين عظيمين (هما السودان « الفرنسى » والسنغال) يثبتان على دعوة « مالى » (وهذا هو اسم الامبراطورية الافريقية العريقة التى كان السنغال والسودان جزءا منها فى القرون الوسطى ..) .

وتتلخص دعوة « مالى » فى تكوين دولة اتحادية من السودان والسنغال، دولة مستقلة لها جيشها وماليتها وكيانها الدولى وعضويتها فى الأمم المتحدة ، ومعنى ذلك انفصالها عن « الجماعة الفرنسية » وتأهبها لاتحاد جديد مع دول افريقية جديدة . .

انه لم يمض الا نحو عام على استفتاء ديجول ، ونحن لا نشك لحظة فى انه لن يمضى عام آخر حتى تلحق ب « مالى » افريقية الوسطى « الفرنسية » التى تحيط بالكاميرون والتى تتاخمها نيجيريا من جانب والكونغو وأوغندا و « رواندا » من جانب آخر ، وكلها تغلى الآن كالمرجل الذي يذيب ثلوج الاستعمار ..

ان رماح « لومومبيا » غير رماح « تيبوتيب » ...

عندما تحركت شهية « ليوبولد » ملك البلجيكيين فى أواخر القرن الماضى لالتهام « الكونغو » كانت أكثر بقاع هذا الاقليم معروفة لدى العرب، وكان لها باقاليم السواحل الشرقية أوثق الصلات ، وكان فرسان العرب وتجارهم يجوبون أراضى الكونغو فيتاجرون ويكتشفون المجاهل، ويقيمون أنظمة الحكم ، ويوطدون أقدامهم ويمتزجون بالسكان ليجعلوا من تلك الأقاليم الشاسعة دولة عزيزة الجانب مترامية الأطراف ..

وعندما أطل الاستعمار الأوروبى بجشعه على أقاليم الكونغو ، ممثلا فى رسل ليوبولد وبريطانيا وفرنسا هب العرب فى وجوههم ، وقاتلوهم قتال المستميت ، وكان رمز المقاومة العربية الافريقية فى ذلك الحين : حميد بن جمعة المرجبى الشهير ب **«تيبوتيب»**.

وحينما انتصر الاستعمار بالرشوة والخداع والبارود على شجاعة العرب الافريقيين ورماحهم ، خيل الى المستعمرين أن الكونغو قد أصبح فى حظيرتهم «دجاجة تبيض الذهب» ومرت عشرات السنين ، وبعث البلجيكيون الى الكونغو بتجارهم وحكامهم ومبشريهم ، وأخذوا يطبقون ما يسمى ب « السياسة الأبوية » ، أو سياسة العطف المادى (ورفع مستوى المعيشة) وظنوا أن الكونغو قد استكان ..

وفى ديسمبر سنة ١٩٥٨ انعقد مؤتمر الشعوب الافريقية فى اكرا ،

ولم تمض أشهر معدودات حتى قامت ثورة « ليوبولد فيل » وفزعت (السياسة الأبوية) أمام صيحات الكونغوليين : « أخرجوا من افريقية»، وبدا شبح الطوفان الوطنى مجسما أمام الحكام البلجيكيين ، وعلى الرغم من أنهم (أعادوا النظام) فى ليوبولد فيل الا أنه لم يخطر ببالهم قط أن فى وسعهم أن يمارسوا فى الكونغو (ومساحته تزيد على مساحة بلجيكا أكثر من سبعين مرة) حربا استعمارية تماثل حرب الجزائر ، فاضطر ملك بلجيكا وحكومته الى التصريح بعزمهم على التدرج بالكونغو نحو الاستقلال ، وأن أقصى آمالهم أن يركن الشعب الكونغولى الى الهدوء والسكينة لكى يتاح للحكومة البلجيكية أن تهيىء « الظروف الديموقراطية » المناسبة للاستقلال ، وتحدد الوقت الكافى لتهيئة هذه الظروف بأربع سنوات ..

ولكن مرور بضعة أشهر أخرى على أحداث «ليوبولد فيل» كان كافيا لاشعال « ثورة » جديدة فى «ستانلى فيل » على بعد عشرات المئات من الأميال فى داخل الكونغو ، واذا كانت حركة «أباكو» فى «ليوبولدفيل» قد استطاعت أن تنتزع من بلجيكا وعدا بتقرير المصير بعد أربع سنوات ،فان « الحركة الوطنية الكونغولية » قد أصرت فى « ستانلى فيل » على نيل الاستقلال فورا . .

وكشر الاستعمار مرة أخرى عن أنيابه الهزيلة المحطمة ، وأخذ يطارد الشعب الكونغولى الأعزل ، ويعتقل زعماءه (وعلى رأسهم الزعيم لومومبا) ويحاول أن يغرى الشعب الافريقى المكافح بالاشتراك فى انتخابات محلية (تمثيلية) ويلقى اليه بالوعود الكاذبة الخداعة ..

ان البارود يقف مرة أخرى أمام الرماح فى الكونغو **ولكن رماح اليوم غير رماح « تيبوتيب » .. !**

حول « بحيرة الآلهة » ..

اذا قدر لك أن تتابع نهر النيل الى منابعه فى أوغندا فانك واجد على شطئان « بحيرة الآلهة » التى سماها المستعمرون «بحيرة فيكتوريا» شعبا اسمه الـ « باغندا » وهو يقطن الاقليم الرئيسى من يوغندا ، واسم هذا الاقليم « بوغندا » ..

والى الجنوب الغربى من هذا الاقليم تمتد أراضى « رواندا » وأراضى « أوراندى » وهما المقاطعتان اللتان كانتا مستعمرتين ألمانيتين قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم وضعتهما «عصبة الأمم » — بعد انهزام ألمانيا ، تحت وصاية بلجيكا ..

واذا تأملت شعب «باغندا» وشعب « رواندا » وجدت طابعا بشريا يعيد الى ذاكرتك ما رأيته من صور ورسوم على معابد الفراعنة ، فان لون البشرة أقرب الى لون القهوة والملامح دقيقة متميزة ، ومشاهد القوم فى حياتهم الاجتماعية والفنية فيها الشيء الكثير مما تراه مرسوما من مشاهد على مخلفات الأجداد الأولين فى وادى النيل ، بل ان الدواب — وعلى الأخص الثيران — التى تراها اليوم فى «بوغندا» وفى « رواندا » تكاد تكون صورة حية من الثيران التى اندثرت منذ

وقت طويل فى الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ..

وقد سبقت « بوغندا » شقيقتها الصغرى « رواندا » فى التنمر للاستعمار الأوروبى ، ولكن الأنباء قد تلاحقت بأن الشقيقة الصغرى قد تأهبت لوثبة وطنية ترمى من ورائها الى نبذ « الوصاية » البلجيكية ، والسير فى ركب الدول الافريقية المستقلة ، ولما كانت بلجيكا تخضع فى وصايتها على «رواندا» و «أوراندى» لرقابة الأمم المتحدة فانها لن تستطيع انكار حقهما فى تقرير المصير ، ولكنها بما طبعت عليه من روح استعمارية سوف تلجأ الى التسويف والمماطلة ، والى المؤامرات والدسائس تبثها بين القبائل الساذجة . وهذا ما وردت به الأنباء من أن بعض القبائل قد اشتبك فى صراع مع بعضها الآخر ..

ولكن « رواندا » رغم كل ذلك قد أخذت فى جمع الصفوف وتآلف القلوب تمهيدا للوثبة الكبرى ..

حول جبال القمر

والى الشمال من « رواندا » والى الجنوب والى الشرق هزات وانتفاضات شتى . وكلها ترمى الى القضاء على المستعمر البريطانى وكسر شوكة « المستوطن » الأوروبى . والذين يعرفون السياسة البريطانية اللولبية لا تدهشهم المشروعات « المرنة » المطاطة التى يحاول بها وزير المستعمرات البريطانى الجديد أن يلهى بها شعوب أوغندا وكينيا والروديسيات (وهى تحيط بجبال رونزورى ، ومعناها « جبال القمر »).

فقد أوحى الوزير الجديد «بتخفيف» وطأة قانون الأحكام العرفية الذى أعلن منذ بضعة أشهر فى «أوغندا» لوقف نشاط الأحزاب السياسية ، وكان من نتيجة ذلك الافراج عن « بعض » المعتقلين السياسيين .

ولكن القانون الجائر ما يزال قائما مصلتا على رقاب الوطنيين الأوغنديين..

ووافق الوزير الجديد على عقد مؤتمر يضم « بعض » ممثلى كينيا ، وممثلى وزارة المستعمرات حول مائدة مستديرة فى لندن — عام ١٩٦٠ — لمناقشة المطالب الوطنية ، ومناقشة مطالب الآسيويين والمستوطنين الأوروبيين ، كما وافق على عقد مؤتمر مماثل لبحث شئون تنجانيقا ونياسالاند . .

ومع ذلك فان بريطانيا ما زالت تؤازر حكام المستعمرات فى استمرار نفى ((**جوموكينياتا**)) واعتقال دكتور ((**باندا**)) ، هذا بالرغم من انتهاء مدة العقوبة الظالمة التى وقعت على « جوموكينياتا » وبالرغم من تقرير لجنة تحقيق بريطانيا ((**لورد دافلن**)) ثبت فيه أن دكتور باندا لم يحرص على استخدام العنف لتحقيق المطالب الوطنية . وبالرغم من أن حوادث **نياسالاند** المفتعلة لم ينتج عنها قتل رجل واحد من المستوطنين الأوروبيين ، وكان جميع القتلى من أهل البلاد الوطنيين ..

وقد قابل المجاهدون الافريقيون ، فى تلك المنطقة التى وصفناها بأنها تحيط بجبال القمر ، محاولات بريطانيا ووعودهم المطاطة بالمزيد من التقارب

وجمع الشمل ونبذ الخلافات الداخلية .

ومثال ذلك ما حدث فى «أوغندا» من التقارب بين المؤتمر الوطنى الأوغندى ، صاحب الأغلبية الساحقة فى الانتخابات الماضية ،وبقية الأحزاب الصغرى ، وما حدث فى زنجبار من اندماج «الحزب الافريقى الشيرازى» فى الحزب الوطنى وتوحيد أهدافهما فى مطلب عاجل هو « الاستقلال فورا » ...

واذا كان هناك خلافما فى افريقية الشرقية والوسطى فهو حول مدى القوة التى ينبغى أن تكون طابع الكفاح ضد الاستعمار ، وقد رأينا مظهرا لذلك فى انضمام أحزاب أوغندا وزنجبار « المعتدلة » الى الاحزاب المطالبة بالاستقلال الفورى ، كما نرى مظهرا آخر فى « تنجانيقا » هو محاولة الزغيم « الزبيرى » دفع حزب « الاتحاد الوطنى التنجانيقى » وزعيمه « نيريرى » الى المزيد من الحماسة والحرارة فى مواجهة الاستعمارية ..

ان الظواهر تبتدىء يوما بعد يوم، من وراء ستار الدخان الذى يحاول الاستعمار أن يخفى به الحركات الوطنية الافريقية ،وخاصة فى افريقية الوسطى والشرقية ، وكلها ظواهر تنبىء بعودة القارة الى أصحابها ،وأن نصيب المستعمر منها لن يكون أكثر من نصيب السندباد من « جزيرة الحوت » ..!

التجار العرب فى غرب افريقية

للدكتور ابراهيم أحمد العدوى

كان امتداد الفتوحات العربية حاملة راية الاسلام الى مصر وبلاد المغرب : تونس والجزائر ، ومراكش ـ نقطة تحول كبرى فى تاريخ غرب افريقية . ذلك أن تلك الجهات الافريقية شاهدت قيام نوع من العلاقات الطيبة مع مصر وبلاد المغرب رائدها التعاون فى شتى الميادين الاقتصادية والثقافية والسياسية . وأتاحت هذه العلاقات لغرب افريقية أن تتخلص من عزلتها التى جاءت نتيجة الاستعمار الرومانى لمصر وبلاد المغرب زمنا طويلا . فالامبراطورية الرومانية الكبرى سيطرت قبل الميلاد على بلاد المغرب وكذلك مصر ، ولم تسمح الا باتصال قليل بين هذين القطرين وسائر البلاد الافريقية . ووقفت الصحراء الكبرى بدورها حاجزا لا يشجع على نشاط الاتصال مع ما وراءها من أرض أفريقية . ثم جاءت بعد الدولة الرومانية الكبرى وريثتها الامبراطورية الرومانية الشرقية ، المعروفة باسم الامبراطورية البيزنطية واحتلت مصر وبلاد المغرب ، وسارت على سياسة أمها الكبرى فى خلق عزلة بين البلاد الافريقية ، بعضها عن بعض .

غير ان الفتوح العربية الاسلامية فى مصر وبلاد المغرب أطاحت بسلطان الروم ، وجعلت أهل هذين القطرين الافريقيين أحرارا فى التطلع الى جيرانهم من سكان القارة سواء أكانوا قريبين أم بعيدين . وكانت هذه النظرة الافريقية الجديدة من مصر وبلاد المغرب تقوم على أساس المساواة التامة بين سائر الشعوب الافريقية ، والتعاون فيما فيه الصالح العام لهم جميعا . ووجدت هذه النظرة الجديدة تعبيرا لها فى ميدان التجارة ، الذى يتطلب الاستقرار وخلق الثقة فى النفوس بين سائر الأطراف المشتركة فى هذا الميدان الحافل . وقام التجار العرب من مصر وبلاد المغرب بأداء هذه المهمة الجديدة التى تعتبر الحجر الأساسى الذى يجب أن تبنى عليه العلاقات الحديثة بين سائر البلاد الافريقية فى الوقت الحاضر . اذ كان هدف أولئك التجار نقل منتجات بلادهم الى غرب افريقية بما يسد حاجاته الضرورية ، ويساعد على دعم اقتصادياته ، ويحملون من تلك الجهات فى مقابل ذلك ما تخرجه الأرض من كنوز وخيرات .

واشتهرت بلاد غرب افريقية منذ تلك الفترة المبكرة من نشاط التجار العرب بأنها مصدر الذهب ، الذى اتخذته البشرية من أقدم عصورها الى اليوم رصيدا توازن به ميزانياتها واقتصادياتها . وساعد هذا العنصر الهام على نشاط التجار العرب ، ودراستهم للطرق التجارية الكبرى التى تصلهم بأرضه ومصادره . وكان امام أولئك التجار عدة طرق غيره ،

ما زال بعضها قائما الى اليوم ، مع تعديل يسير فى أسماء بعض المدن أو مواقعها . وأشهر هذه الطرق التى سلكتها قوافل التجار العرب ما يلى :

١ ـ الطريق المصرى :

من أسيوط الى الفاشر عاصمة دارفور ثم الى غرب أفريقية .

٢ ـ طرق بلاد المغرب :

(١) من بنى غازى ـ ثغر برقة ـ عن طريق أوجلة وواحة كفرة الى أبشر عاصمة واداى ، ومن ثم الى الفاشر ، فغرب أفريقية كذلك .

(ب) من مدينة طرابلس الغرب عن طريق مرزوق ـ عاصمة فزان ـ الى كوكا العاصمة التجارية لاقليم برنو ، ومن ثم الى كانو مستودع خامات الجهات الشرقية من غرب أفريقية ومقر صناعتها وتجارتها .

(ج) من مدينة الجزائر عن طريق عين صالح والمبروك الى تمبكتو .

(د) من أغادير عن طريق تندوف وتودنى ، وهى المركز الرئيسى لمناجم الملح فى الصحراء الى تمبكتو .

وقد كان الطريقان الأخيران من اهم الطرق التى سلكها التجار العرب وعرفوا مدنها بأسماء أخرى كانت لها سمعتها ومكانتها التاريخية . فظهر فى المنطقة فيما بين مدينة الجزائر **وأغادير** بلدة اتخذها التجار العرب مركزا لهم للتجارة مع غرب افريقية ، وعرفت هذه المدينة باسم **((سجلماسة))** حيث اشتهرت بينابيعها المائية ومواردها الغذائية ، مما جعلها مركزا للقوافل ، تأخذ منه زادها وتموينها قبل اجتياز الصحراء . وتجمعت فى سجلماسة كذلك جميع منتجات بلاد المغرب ولا سيما المجوهرات والمنسوجات والتمر ، حتى أصبحت سوقا رائجة للتبادل التجارى مع غرب افريقية . وفى الوقت نفسه كانت أسيوط تقوم بمهمة شبيهة بالتى تقوم بها سجلماسة ، اذ ترد اليها المنتجات والمصنوعات المصرية ، ولا سيما المنسوجات والأوانى ، ويحملها التجار العرب الى داخل افريقية الغربية .

وكانت الجهات الغربية من افريقية تتنوع من حيث اقتصادياتها ومواردها الطبيعية . فجهاتها المتاخمة للصحراء الكبرى ، والتى تنتهى عندها طرق القوافل الهامة ذات مراع تكسوها الحشائش التى تساعد على تربية الدواب ، وتهيىء للسكان هناك أسباب الراحة وتوفرها للوافدين من الصحراء ومن ثم شاهدت تلك الجهات قيام أعظم الامبراطوريات التى عرفها غرب افريقية ، مثل مملكة **غانه ، ومالى ، وتكرور** وغيرها ، حيث خلفت كل منهما الأخرى ، وورثت ما كان لها من مجد تجارى وسلطان . وقام الى خلف هذه الممالك نطاق آخر ، غنى بثروته النباتية والأرضية ، ولاسيما الذهب ، كما شاهد بدوره قيام ممالك أخرى هامة ، وأخيرا قيام نطاق ساحلى عبارة عن أرض مستطيلة ضيقة ، يعيش أهلها فى قرى متناثرة .

وبدأ التجار العرب من مصر وبلاد المغرب يتصلون بأهل النطاق الأول من غرب افريقية ، ويؤسسون علاقات تجارية وثقافية قوية مع ممالكهم ورجال السلطان فيها . ولم يحاول التجار العرب التدخل فى الشئون الداخلية لتلك الممالك الافريقية مما جعلهم موضع احترام الجميع ومحل ثقتهم ، وهيأ لطرقهم التجارية الازدهار الدائم على الرغم مما قد يحدث من تطورات فى نظام الحكم او رجال السلطان . وكان الطريق الذى يبدأ من سجلماسة الى غرب افريقية

مثالا يوضح الحقيقة السالفة ، ويكشف عن نشاط التجار العرب من اجل رفاهية أهل هذه البلاد . فبعد ان يجمع التجار سلع بلاد المغرب يبدأون رحلتهم الى غرب أفريقية . وكانت أول محطة تجارية تقابلهم بعد سجلماسة هي ((**تغازى**)) التى اشتهرت بمناجم الملح فيها ، « حتى ان بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر بها ، انما هى رمل فيه معدن الملح ، يحفر عليه فى الأرض ، فتوجد فيه ألواح ضخام متراكبة ، كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض ، يحمل الجمل منها لوحين » .

وحرص التجار العرب على أن يحملوا من ((**تغازى**)) أكبر كمية يمكنهم حملها من الملح ، لأنه ضرورى جدا لأهالى غرب افريقية ، ويعتبر عندهم أهم من معدن الذهب المتوفر فى بلادهم . ثم تستأنف القافلة سيرها حتى تصل ((**تاسرهلا**)) ، وهى احدى المحطات التجارية الأخرى الهامة على الطريق ، وهناك يقضى التجار العرب بعض الأيام من أجل راحة الدواب والحصول على كميات وافرة من الماء ، لأن الطريق بعد ذلك الى ((**ايوالاتن**)) وهىأولى مدن غرب افريقية بعد اجتياز الصحراء ، شاق ومخيف . وفضلا عن ذلك يبعث التجار من تاسرهلا بشخص يطلق عليه اسم ((**التكشيف**)) ، مهمته أن يسبقهم الى ايوالاتن ، ليخبر وكلاءهم وعملاءهم بها بقدوم القافلة ، واعداد الدور لاقامتهم والخروج الى لقائهم فى عرض الصحراء على مسيرة أربعة أيام ومعهم المياه خوفا من نفاد المؤونة التىتحملها القافلة من تاسرهلا . وقد كانت مهمة «التكشيف» فىغاية الخطورة وتتوقف على وصوله سالما نجاة القافلة ، ذلك أن الطريق من«تاسرهلا»الى«ايوالاتن» ملىء بالكثبان الرملية المتحركة ، التى تغير معالم الأرض ، وتحمل المسافر على أن يضل السبيل .

وقد اشتهر أهل ايوالاتن فى غرب افريقية بحرصهم على دعم الروابط مع التجار العرب الذين يعتبرون أداة الاتصال بينهم وبين العالم الخارجى . ولذا تجد فىتلكالمدينةنفرا من تجارها الوطنيين ، عرفوا بالأمانة والصدق فى المعاملة ، ومهمتهم تلقى التجار العرب الذين ليس لهم عملاء فى المدينة ، وتيسير سبل الاقامة لهم . وفى نفس الوقت حرصت السلطات الرسمية فى **ايوالاتن** على الترحيب بالتجار العرب بمجرد وصولهم المدينة ، اذ يضع أولئك التجار سلعهم فى مكان فسيح فى حماية ((**الفربا**)) ، وهو لقب معناه نائب السلطان ، ثم يتوجهون الى السلطان نفسه ، فيستقبلهم استقبالا رسميا ، ومن حوله أعوانه فى ملابسهم وأسلحتهم من الرماح والقشى . وبعد أن يتحدث اليهم السلطان ، ويستفهم عن شئونهم ، يقدم لهم شرابا وطنيا ، مبالغة منه فى اكرامهم ، ودلالة على انتهاء حفل الاستقبال .

وكان التجار يقصدون بعد ذلك مملكة غانة التى ازدهرت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، والتى كانت عاصمتها غانة أيضا سوقا ومركزا هاما لتجارة الذهب . وهناك يأخذ التجار العرب من أهل **سجلماسة** فى العمل على اعداد العدة للتبادل التجارى . ذلك أن أهل غانة حرصوا على اخفاء مناجم الذهب فى بلادهم ، ولم يسمحوا للتجار بالذهاب اليها رأسا . وكانت منطقة مناجم الذهب تقع فى أرضخلف غانة ، وتعرف باسم

« ونجارا » ، حيث تحيط بها أنهار السنغال والنيجر ، وغيرهما من الروافد الكثيرة هناك . وفى أوقات الفيضان تغطى المياه تلك المنطقة ، وعند هبوطها يقبل الأهالى على الأرض الطمية ويستخرجون منها معدن الذهب .

وفى غانة يتفق التجار العرب مع التجار المحليين ووكلائهم على الذهاب الى منطقة « ونجارا » أو الى البقعة التى يسمح فيها بالتبادل التجارى . وعلى ضفاف احدى الأنهار يضع التجار سلعهم أكواما ، ثم يدقون الطبول ايذانا بمقدمهم ورغبتهم فى البيع والشراء ، ثم يعودون الى الوراء. وهنا يخرج الأهالى الوطنيون ومعهم الذهب ، ويضع كل منهم مقدارا من الذهب الى جوار كل سلعة حسبما يتراءى له ، ثم يعود الى مقره الأول . وبعد ذلك يخرج التجار العرب مرة أخرى الى تلك المنطقة ، فان رأوا أن الذهب يتناسب مع سلعهم أخذوه عنوانا على قبولهم الصفقة التجارية ، والا عادوا تاركين الذهب . فيخرج الأهالى الوطنيون مرة أخرى ويضيفون ذهبا الى المقادير السالفة ، حتى يتفق الطرفان ، ويحمل التجار العرب الذهب عائدين ، ويدقون الطبول دلالة على انتهاء المتاجرة . وجرت هذه المعاملة فى ثقة تامة ، دون أن يحاول أحد خداع الطرف الآخر أو خيانته .

ولما تدهورت أحوال غانة سنة ١٢٢٤ م اتخذ التجار العرب محطة لهم شمالى غانة نفسها ، وأسسوا بها خياما لهم ، مما جعل المدينة تعرف باسم « بيرو » ، وهى كلمة محلية معناها الخيمة . ولكن حين ورثت **مالى** سلطان غانة بدأ التجار العرب يقصدونها ، ويتعاملون مع أهلها على نفس الأسس التى سبق أن تعاملوا بها مع أهل غانة.

وساعد على ازدهار التجارة العربية مع المملكة الجديدة ، أن الطريق من **ايوالاتن** الى **مالى** كان سهلا ميسورا ، ويسير فيه التجار ، فى طمأنينة ، ويجدون به كل ما يحتاجون اليه . وقد وصف ابن بطوطة الرحالة المغربى الشهير هذا الطريق ، مسجلا نشاط العرب التجارى عبره قائلا :

« ومن أيوالاتن سرت الى مالى ، وبينها مسيرة أربعة وعشرين يوما ، والطريق آمن ، وبه أشجار كثيرة ، وأشجارها ضخمة يستظل القائم بظلها ، وبعضها لا أغصان لها ، ولكن ظل جسدها بحيث يستظل الانسان. وبعض تلك الأشجار قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر ، فكأنها بئر ، ويشرب الناس من الماء الذى فيها ....والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا ادما ولا دينارا ولا درهما ، انما يحمل قطع الملح والزجاج الذى يسميه الناس النظم ، وبعض السلع العطرية ، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى ، فاذا وصل قرية ، جاء نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفونى وهو كحب الخردل ، يصنع منه الكسكسو والعصيدة ودقيق اللوبيا ، فيشترى منهن ما أحب من ذلك » .

وعلى هذا النحو من سهولة السفر والطمأنينة يصل التجار العرب الى « مالى » ويتبادلون السلع مع أهلها ، وصارت لهم جالية كبيرة تضم أناسا من مصر والمغرب منهم شمس الدين ابن النقويشى المصرى ومحمد بن الفقيه الجزولى وعلى المراكشى . وكان أولئك التجار يعدون الدور اللازمة لاخوانهم

الوافدين من مصر والمغرب ، ويسهلون لهم عملية المتاجـــرة . وقد زار ابن بطوطة هؤلاء الرجال العرب ولقى منهم كل حفاوة وتكريم . وانتظمت التجارة العربية مع **مالى** عندما أسس خمسة اخوة فى تلمسان بالمغرب الأقصى نقابة تجارية لهم ، رأس مالها عظيم ، وكانوا شركاء بالتساوى . ونظمت تلك النقابة نفسها تنظيما رائعا جعلها ســـيدة التجارة العربية مع غرب افريقية : فأقام اثنان من أولئك الأخوة فى **والتا** لجمع العاج والذهب ، وزار أحدهم **مالى** العاصمة سنة ١٣٥٢ ، لتوثيق الصلات مع التجار بها وأهلهـــا ، وفى نفس الوقت تلقى هذان الأخوان السلع من بلاد المغرب عن طريق الآخرين اللذين **فى تلمسان** ، ودأبا على تصدير المتاجر اللازمة لأهل غرب افريقية . أما الأخ الخامس وهو الأكبر والرئيس . فأقام فى **سجلماسة** نفسها ، مركز القوافل التجارية ، ليراقب السوق كلها من هذا المكان الحيوى ، ويستطلع تقلبات الأسعار ، والعرض والطلب للمتاجر المختلفة حتى يجنب النقابة الأضرار والخسائر .

واشتهرت مملكة **مالى** ، كما اشتهرت **غانة** من قبل باحترام التجار العرب ، والحرص على سلامة أموالهم . فمن محاسنهم « شمول الأمن فى بلادهـــم فلا يخاف المســـافر فيها ، ولا المقيم من سارق ولا غاصب ، ومنها عـــدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان (وهم التجار العرب بسبب بياض بشرتهم) ، ولو كان القنـــاطير المقنطرة ، انما يتركونه بيـــد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه .. » وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة حادثة أخرى هامة تدل على أمانة أهـــل **مالى** مع التجار العـــرب ، وتكشف فى نفس الوقت عن قوة العلاقات التجـــارية بينهم وبين المصريين .

شاهد ابن بطوطة فى مدينة تمبكتو وهى احـــدى مـــدن مملكة **مالى** قبر سراج الدين بن الكويك ، أحـــد كبار التجار من أهـــل **الاسكندرية** . وكان سلطان مالى وهو « منساموس » ، قد زار هذا التاجر عند خروجـــه للحج سنة ١٣٢٤م ، ونزل فى ضـــيافته بمنزله ببركة الجيش ، وهى احـــدى ضواحى القاهرة اذ ذاك . وقد احتاج هذا السلطان وحاشـــيته الى مال ، أقرضهم اياه التاجر المصرى ، ثم خرج هذا التاجر المصرى بعد ذلك ومعه ابنه قاصدين **مالى** للحصول على المال . ولمـــا وصـــلا **تمبكتو** استضـــافهما أبو أسحق الساحلى ، وقدم لهما طعاما وفى نفس تلك الليلة توفى التاجر المصرى سراج الدين بن الـــكويك . فسرت الشائعات أنه مات مســـموما بسبب شىء دس له فى الطعام . غـــير أن ابن التاجر المصرى بادر الى دحض هذه الفرية ، ودعـــم أواصر الروابط بين مصر وغرب أفريقيـــة ، حيث أعلن للناس أنه تناول الطعام مع والده فى نفس الليلة التى توفى فيها ، ولو كان فى الطعام سم لقضى نحبه بدوره كما توفى والده . ثم وصل الابن الى **مالى** وحصل على المال وعاد الى ديار مصر .

وكانت مدينة **تمبكتو** التى توفى بها التاجر المصرى من أهم المراكز التجارية فى غرب افريقية ، والتى كان يقصدها التجار العرب ، ومعهم حاصلات المغرب من البـــلح والملح والمجوهـــرات ، ويحصلون هناك فى مقـــابل ذلك على الذهب وحب الكولا والحبوب . وكانت **تمبكتو** عبارة عن خيام فى أول الأمر ، ثم ظهرت فيها الدور المبنية بعد أن ازدهرت تجارتها مع البلاد العربية ، واتخذت لها ميناء على نهر النيجر ،

الذى يبعد عنها بمسافة مقـــدارها خمسة أميال .

واشتهرت بلاد غرب افريقية بمعدن آخر غير الذهب وهو النحاس . وكانت مدينة **تكدا** اهم مصدر لهذا المعدن ، حيث داب أهلها على أن يحفـــروا عليه فى الأرض ، ويأتوا به الى البلد ، فيسبكونه فى دورهم ، يفعـل ذلك عمالهم ، وخـدمهم . فاذا سـبكوه نحاسا أحمر ، صنعوا منه قضبانا فى طول شبر ونصف ، بعضها رقاق ، وبعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ بحساب اربعمائة قضيب بمثقال ذهب ، وتباع الرقاق بحساب ستمائة بمثقال ، وهى صرفهم ، فيشترون برقاقها اللحم والحطب ، ويشترون بغلاظها الخدم والذرة والسمن والقمح وكانت القوافل التجارية من مصر تأتى سـنويا الى **تكدا** للحصـول على النحاس ، حتى قدر بعض المؤرخين ما تضمه القافلة الواحدة بمقدار ١٢٫٠٠٠ بعـير .

ويكشف هذا الرقم عن مقدار النشاط التجارى بين مصر وغرب افريقية ، وازدهار العلاقات بينهما .

وهكذا صارت بلاد غرب افريقية بفضل التجار العرب وثيقة الصـلة بمصر وبلاد المغـرب ، اللذين صارا مراكز لاشعاع الحضـارة العربية فى قارة افريقية . فقد تبع التجار العرب الى غرب افريقية ازدياد الثراء هناك ، وصاحب الثراء ازدهـار العـلم ، واستقرار العلماء . فقامت فى **تمبكتو** وغيرها من مدن غرب افريقية المراكز العلمية العربية ، التى أسسها العلماء العرب الذين وفدوا فى ركب القوافل التجارية . فاشتهر فى **تمبكتو** العـالم الجليل **أحمد بابا** الذى نقـل عنه السعدى المؤرخ العـربى الكثير من المعلومات عن السودان الغربى . وفى نفس الوقت وجـد العلماء المحليون بمدن غرب افريقية وطـلاب البحث فيها عن طريق التجار العرب وقوافلهم السبل ميسرة للوصـــول رأسا الى الجامعات العربية فى مصر وبلاد المغرب والتزود من ينابيعها ومعارفها . وكان خير مثـال لذلك أهـل **تكرور** الذين سـيطروا على مقاليـد التجـارة فى مملكة **مالى** والجهات الغربية المجاورة لها . اذ اشتهر هؤلاء السكان من غرب افريقية بحرصهم على تعليم أبنائهم ، وارسالهم خاصة الى الأزهر الشريف ، (الجامعة العربية الكبرى) حيث كثر عددهم هناك بدرجة جعلت لهم رواقا خاصا بهم يقيمون فيـــه ، وعرف باسمهم ، وهو **رواق التكارنة** .

وان تحرر مصر العربية ، واقصاءها للمستعمر عن أراضيها التى تحتـل ركنا هـــاما من قارة افريقيـــة ، ومسـاعدتها لبلاد المغرب اليوم على التحرر كذلك من ربقة الاسـتعمار الفرنسى ، سوف يعيد قصة النشاط العربى الزاهر ، والعلاقات الطيبة مع بلاد غرب افريقية ، التى وضع أساسها من قبل التجار العرب . وهكذا تثبت مصر بجهادها من أجل تحرير العرب على أن رسالة العروبة الخـالدة مع جيرانها ، ولا سيما مع أهـل غرب افريقية ، تقوم على أساس المحبـة والمساواة ، وانتزاع ما فى الصـدور من أحقاد غرسها المستعمر البغيض . وان المستقبل القريب ، الذى لاحت بشائره فى المؤتمرات الافريقية بالقاهرة فى الفترات الأخيرة ، سوف يحمـل علاقات اقتصـادية وثيقة العرا بين غرب افريقية ومصر وبلاد المغرب ، تتلوها روابط ثقافية عربية متينة ، يتوجها تفاهم سياسى صادق للعمل على رفاهية القارة الافريقية ، وابدال تسميتها من **القارة المظلمة** الى **القارة المضيئة المشرقة** .

افريقية الاستوائية

بين بطن الأخدود وجنوب ليبيا ، يعيش شعب وديع ، لم يعرف المكر أو الخبث أو الخداع . شعب كان يعيش فى بساطة وأمن . وكانت قبائله تربطها روابط الجوار ، وكانت تتعامل مع بعضها بمعاملات هى أقرب ما تكون من معاملات أفراد أسرة واحدة ، تقوم على أساس من المقايضة ، وكانت تطبيقا مبسطا لنظرية الاكتفاء الذاتى ، ولم تكن هناك حدود تقيد تنقلاتهم فى رحلاتهم او أسفارهم . الى أن ابتلى هذا الشعب بالمستعمرين الأوروبيين الذين سيطرت عليهم نزعات الاستغلال والاستبداد . الذين كفروا بالقيم الانسانية وتنكروا لمبادىء الحق والعدالة ، ولم يفكروا الا فى أنفسهم وفى مصالحهم ، ولو على حساب الشعوب الأخرى ، ولم يكن الاستعمار الذى ابتلى به شعب افريقية الاستوائية غير الاستعمار الفرنسى .

لمحة تاريخية :

تزعمت كل من البرتغال واسبانيا عمليات الكشوف الجغرافية فى كل من القارتين الافريقية والآسيوية . ولقد كانت البرتغال ذات حظ موفور من هذه العمليات ، وقد كان لموقعها الجغرافى ميزة استراتيجية فى الكشوف والرحلات ، فهى فى الطرف الغربى من أوروبا الجنوبى فى مواجهة أفريقية فاكتسبت خبرة بحرية بافريقية والمحيط الأطلسى ، وكانت «لشبونة» فى القرن الرابع عشر مخزنا للتجارة الافريقية المستوردة الى أوروبا . وهى أول دولة أوروبية وصلت الى سواحل غرب افريقية ، وتاجرت مباشرة مع الافريقيين .

وقد بدأ « هنرى الملاح » عمليات الكشف والغزو فى افريقية باحتلال مدينة « سبته » فى شمال افريقية سنة ١٤١٥ وكان هذا اول احتلال أوروبى لافريقية . ثم تابع كشوفه فاكتشف « ماديرا » سنة ١٤٢٠ ، و « جزر الأزورس » سنة ١٤٢٣ ، ثم اجتاز « رأس باجادور » ووصل الى غينيا سنة ١٤٣٤ حيث كانت تصل قوافل التجارة من « تمبكتو » حتى وصل الى ساحل خليج غانة ومصب نهر الكنغو ، واكتشف « هنرى » الطريق للهند سنة ١٤٥٤ ، وتابع البرتغاليون عمليات الكشوف حتى وصلوا الى « رأس الرجاء الصالح » سنة ١٤٨٧ بقيادة « فاسكودا جاما » . وتقابل البرتغاليون مع العرب والهنود على الساحل الشرقى ، وقام صراع عنيف انتهى باحتلال البرتغاليين للساحل الشرقى . ولقد كانت عمليات الكشوف منحصرة فى المناطق الساحلية

للقارة ، ولم يستطع البرتغاليون التقدم داخل القارة ، وذلك لعدم وجود وسائل النقل التى تساعد على هذا التقدم ، الى أن قامت الثورات فى أوروبا ، وبخاصة الثورة الصناعية فى انجلترا ، وما صاحبها من تقدم وسائل المواصلات التى استخدمت فى عمليات الكشوف داخل القارة . وكان العرب أول من تقدم داخل القارة فقد عرفوا منطقة البحيرات وأعالى الكنغو ، وأقاموا هناك امارات وممالك اسلامية . ولقد حاول أحد المكتشفين البرتغاليين التقدم داخل القارة بمفرده وهو « داجاما » فوصل الى افريقية الاستوائية سنة ١٤٨٢ الا أنه لقى عقبات كثيرة ومرض فعاد سريعا الى الساحل . ولقد تكونت فى فرنسا وانجلترا جمعيات جغرافية وتبشيرية غرضها الوصول داخل القارة . وهذه الجمعيات بجوار هدفها فى الاكتشافات كانت تباشر نشاطا تجاريا ، فقد وجدت الرأسمالية الناشئة وكانت تبحث عن أسواق جديدة للتجارة ، ومواطن المواد الأولية اللازمة للصناعة . فكانت تمد يد المساعدة لهذه الجمعيات .

فقد زار « جيمس بروس » الحبشة سنة ١٧٧٠ واكتشف منابع النيل الأزرق ، و فى سنة ١٧٩٥ بدأ « مونجوبارك » محاولاته لاكتشاف نهر « جامبيا » ثم اتجه لاكتشاف منابع نهر النيجر ، وفى سنة ١٨٢٣ تمكن « كلا برتون » وزملاؤه من الوصول الى بحيرة تشاد . وأرسلت فرنسا « دى برازا » باكتشافاته الجغرافية لخلق امبراطورية فرنسية فى افريقية الاستوائية . وقد بدأ من « الجابون » على الساحل الغربى سنة ١٨٨٠ ، وتوغل داخل البلاد ، واتصل بالحاكم الفرنسى بالسنغال الذى حاول مساعدته بحملة عسكرية تمت هزيمتها أمام قوات منطقة «تشاد» .

وفى سنة ١٨٨٩ اجتمعت جمعية افريقية الفرنسية لتنسيق عمليات احتلال وغزو المناطق الافريقية . وجاء فى محضر الاجتماع : « نحن الآن فى اجتماع فريد فى التاريخ ، وهو تقسيم قارة لا يعرف عنها شيئا الا عدد قليل من الدول الأوروبية المتمدينة ، ولفرنسا فى هذه القسمة الجزء الأكبر والنصيب الأوفر . وذلك لتنازلها وموافقتها لباقى الدول على التمتع بحقوقها فى افريقية الشرقية . والمجهودات التى بذلتها فرنسا لتنمية ممتلكاتها فى الجزائر وتونس والسنغال والكنغو الأوسط ، ولقد جاء فى الاتفاق المبرم بين فرنسا وانجلترا حقنا فى ربط مستعمراتنا فى السنغال والجزائر عبر الصحراء . كما يعطينا الاتفاق نفسه الحق فى شمال بحيرة تشاد التى نزمع الوصول اليها من الكنغو عن طريق « باجورمى » ويجب أن ينتشر نفوذنا أولا فى هذه المنطقة ، وأن نعمل على ربط الكنغو مع باقى المناطق فى افريقية الاستوائية ، واننا نأخذ على عاتقنا مهمة تمويل الحملة، ونرى أن تسند هذه الحملة الى « بول كرامبيل » الفرنسى » .

وفعلا تحرك « بول كرامبيل » فى سنة ١٨٩٠ على رأس حملة صوب أفريقية

الاستوائية . لأنه كان قد زارها فى سنة ١٨٨٨ ، ومرض هناك ثم عاد الى باريس . فكانت له خبرة بالمنطقة .

واستطاعت هذه الحملات المتتالية التى دخلت افريقية الاستوائية عن طريق « جابون » أن تخدع السلاطين فى الجابون والكنغو والأوبنجى ، وتوقع معهم معاهدات ذات طابع تجارى احيانا وهى فى حقيقتها ذات طابع سياسى . ثم استولت عسكريا على هذه المناطق ، الا أنها اصطدمت فى تقدمها نحو « تشاد » بقوات دولة أحفاد السلطان «عبد الكريم» . وكانت هذه الحملة التى اصطدمت حربيا بقواتهم بقيادة «بول كرامبيل» ،ولكن قوات تشاد استطاعت القضاء على هذه الحملة وقتل « بول كرامبيل » ثم جاءت بعدها حملة بقيادة « اميل جونتى » . وكانت مزودة بالعدد والعدة . الا أن أبناء السلطان «عبد الكريم » صمدوا فى الدفاع عن بلادهم لمدة سبع سنوات . وكان على رأس هذه القوات البطل « **رابح** » الذى قاد قواته بكل حنكة ،وكان بطلا فذا، أخذ ينتقل من نصر الى نصر ،ووجدت فرنسا نفسها أمام هذا البطل المغوار .

فجندت كل قواتها وأرسلت ثلاث حملات لمساعدة « اميل جونتى » وجعلت القائد « لامى » قائدا عاما .. ولجأ الفرنسيون الى الخيانة والفتنة كسلاح آخر . ووجد البطل « **رابح** » نفسه أمام هذا الجيش الجرار ، ودب الوهن بين بعض أعوانه . فأخذت الدنيا تعبس له . ومع هذا لم يتقهقر الى أن استطاع قتل القائد « لامى » وجرح هو جرحا خطيرا ، حمله أتباعه على أثره بعيدا عن المعركة . ومات سنة ١٩٠٠ واستطاع الفرنسيون احتلال « تشاد » فى سنة ١٩٠٩ . ودفن القائد « لامى » فى العاصمة « فورت لامى » أى قبر « لامى » . وبدأت الهمجية الفرنسية تعم البلاد ،وأخذ الفرنسيون يبحثون عن ذوى المكانة فيها . وهم علماء الدين الذين يلتف الشعب حولهم، ودبروا لهم مذبحة بشعة هى مذبحة « الكبكب » أى الساطور سنة ١٩١٦ حيث استشهد فيها ٤٠٠ عالم استعمل الساطور فى قتلهم . كما أحرقوا مدينة «مورو» سنة ١٩٤١ .

موقع افريقية الاستوائية :

تقع افريقية الاستوائية فى المنطقة الحارة ، تحدها ليبيا شمالا ونيجريا والكمرون غربا والكنغو البلجيكى والمحيط الأطلنطى جنوبا والسودان شرقا . وتتكون افريقية الاستوائية من أربع مناطق هى : تشاد ،وأوبنجى شارى ، والكنغو الأوسط ،وجابون. وهذا التقسيم الرباعى حدث فى عام ١٩٥٤ ، بعد أن وجدت فرنسا نفسها أمام وعى وطنى ، وتكتل من الأحزاب يهدد الكيان الفرنسى ، فجعلت لكل مقاطعة ادارة خاصة تنظم شئونها الداخلية بنفسها ، واختارت « برازفيل » عاصمة الكنغو مقرا للادارة المركزية . وعلى هذا النظام سنت لائحة داخلية لاجراء الانتخابات فى عام ١٩٥٦ ، وكانت اللائحة تنص على تكوين الجمعيات التشريعية لكل اقليم من الأقاليم المذكورة ، حيث يمارس كل اقليم سياسته الداخلية، ماعدا وزارة الدفاع والمالية والخارجية،

وجاء ديجول فأمعن فى تفتيتها فجعل كلا منها جمهورية .

عدد السكان والمساحة :

تعداد سكان افريقية الاستوائية يبلغ ١٦ مليون نسمة ، وتبلغ مساحتها حوالى ٩٧٠,٠٠٠ كيلو متر مربع . وقبل الاستفتاء على دستور ديجول كانت تعتبر « برازفيل » هى العاصمة لافريقية الاستوائية ، تدار الأجهزة الادارية فى الأقاليم الأربعة بواسطتها أما الآن وقد أصبحت كل منطقة جمهورية منفصلة داخل الاتحاد الفرنسى فقد أصبح لكل اقليم عاصمة: فعاصمة « تشاد » « فورتلامى » . وعاصمة « أوبنجى « شارى بانجى» وعاصمة الكنغو الأوسط « برازفيل» وعاصمة « جابون» « ليبرفيل » .

اللغات المستعملة فى افريقية الاستوائية :

يتحدث باللغة العربية حوالى ٩٥٪ من سكان « تشاد » ، وكلما اتجهنا جنوبا كلما قل استعمال هذه اللغة ، ويتحدثون أيضا اللغة الفرنسية ، كما توجد اللغات الوطنية الآتية ، وهى. وداى لغة أبناء تشاد الوطنية — ومساليد — وزغاوة قرعان — كالمبو ، وفى الكنغو تستعمل بجوار الفرنسية كنغو ، وهى منتشرة ، وموبى — وساره — وتاما — والعربية . وفى جابون تستعمل بجوار الفرنسية رونغه ، وهى اللغة الوطنية المنتشرة ، وارينا — وقمر — وميمى — ودرن — وتستعمل فى الأوبنجى بجوار الفرنسية باندا ، وهى اللغة الوطنية ، وكبيت.

الوضع الثقافى والاقتصادى والاجتماعى فى تشاد :

تشاد هى الاقليم الشمالى لافريقية الاستوائية — وعدد السكان فيها حوالى أربعة ملايين نسمة المسلمين فيهم ٩٠٪ . ويتكلم أهل تشاد اللغة العربية ، ويتمسكون بتعلمها بالرغم من محاربة فرنسا لتعليم اللغة العربية .

وتتكون تشاد من عشر مديريات، هى : فورتى لامى — ابشه — فورشنبول — فايا — آتيا — ماو — منقو — مندو — دوبا — كمرا .

وقد بذل الفرنسيون جهدهم للقضاء على الشخصية التشاديه ، وفرنسة التشاديين ، كما بذلوا قصارى جهدهم للسيطرة واستغلال مناطق افريقية الاستوائية كلها ، فاستولوا على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وسلبوا الحكومة الوطنية كل سلطانها ، ثم ضمت هذه الاقطار الى الأراضى الفرنسية ، وفرض الجنسية الفرنسية على التشاديين . وترغيبهم فى التجنس ، وتشجيع الاجانب المقيمين بالتجنس بجنسيتها . لتكسب الأغلبية فى البلاد ، ولتضم الى فرنسا . ولكن فرنسا فشلت فى هذا كله نتيجة لرفض الاهالى لمطالب فرنسا . ولقد ساعدت الجاليات الفرنسية فرنسا فى السيطرة التامة على حكم البلاد . وأعطتها حق الاشتراك فى المجالس التشريعية والاستشارية ، ولذلك نجد برلمان تشاد وعدد نوابه ٨٥ نائبا ، ١٥ نائبا فرنسيا . وانما حاربت فرنسا الاسلام ، لأن تعاليمه

الراسخة القويمةمتأصلة فى الشخصية التشادية فحاربت اللغة العربيـــة ، وجعلتها فى الدرجة الثانيـة بالنسبة للغـــة الفرنسية فى الادارة ومعاهد التعليم ، بينمايتكلمالسكانالتشاديون اللغة العربية بنسبة ٩٥٪ تقريبا ، وكذلك حاربت التشريع الاسلامى فى المحاكم ، وخلقتفكرة التمييزالعنصرى التى تقضى بتفوق الفرنسيين واعتبار التشاديين أقل درجة منهم ، واتخذت المعابد ومدارس الارساليات التبشيرية وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية . وفتـــح أبواب البـــلاد للمهـــاجرين الفرنسيين ، وتشجيعهم على الهجرة بمختلف الوسائل ، وخصوصا بعـــد خروجهم من تونس ومراكش والهنـــد الصينية . وبلغعدد السكانالفرنسيين ١٥ ٪ من مجموع سكان افريقيـــة الاستوائية البالغ عددهم ١٦ مليـــون نسمة حتى يكون لهم وطن على مـــر الزمان . ويجعلوا من البـــلاد اتحـــادا افريقيا جنوبيا آخر فى بلاد تشـــاد ، وهذا ما يرفضه شـــعب افريقيـــة الاستوائيـــة بأسره . وقـــد فرضت الســـلطات الاســـتعمارية الحـــكم العسكرى المباشر على المناطق الكبيرة منذ الاحتـــلال ، وســـيطرت الادارة العسكرية على البلاد ، واســـتخدمت القوة فى قمع الحركاتالوطنية . وخنق الحريات العامة ، كتحريم الاجتماعات وحرية القول والنشر والتنقلمن مكان الى آخر فى الوقت الذى يتمتع فيـــه جميع الأجانب أفرادا وجماعات بكل هذه الحريات .

الحالة الاقتصادية :

١ـ الزراعة : يزرع الاهالى القطن ــ القمح ــ الشعير ــ البن ــ الكاكاو ــ والأرز ــ النخيل ــ زيت النخيل ــ المطاط ، وتنتشر زراعته بالمنطقـــة الجنوبية .

٢ ــ قطـــع الأخشـــاب ــ تبنى السفن فى « فورتلامى » و « فـــور شمبل » .

٣ ــ المراعى والغـــابات الكثيفـــة ــ ساعد ذلك كله على تربية الماشية واستخراج الصوف بوفرة .

٤ ــ التعـــدين ــ الحـــديد : فى منطقة « ادرى وام دم » . الذهب والفضة والماس فى « لوجـــون » ــ البترول : وتعرقل فرنسا استخراجه لحين الفرصة المواتية لها . النحاسفى مديرية « ابشة » .

٥ ــ الصيد ــ يقوم الوطنيـــون بصيد الاسماك والتماسيح لاستعمال جلدها فى بحيرةتشاد والأنهار المتفرعة منها . وبحيرة فترى ، ونهر سلامات، ونهر شارى ، ونهر لوجون .

٦ ــ الملاحة ، توجد الملاحة فى نهر شارىونهر لوجون وبحيرةتشاد، وأهم موانئها فورتلامى على البحيرة . وكبابى ، وبره ،وفورشمبول ، وفور كرابيل ، وهى تعتبر موانى نهرية .

٧ ــ الصناعات توجـــد مصـــانع لغزل القطن ، ومصانع لحفظ الاسماك فى فورتلامى . ومصانع لدبغ الجلود ، وصنع الأحذية .

الصادرات :

تصدر تشاد : القطن ، والمطاط ، و « الشنط » والأحذية ، والاسماك ، والأخشاب الى فرنســـا ــ والمواشى للسودان ومصر عن طريق الاربعين ، وليبيا عن طريق الصحراء .

وقـــد عمـــل الاستعماريون على انتزاع الأراضى الخصبة من الأهالى،

وتسليمها الفرنسيين واستخدام أصحاب الأراضي الحقيقيين عبيدا لدى الملاك الفرنسيين ، كما استولوا على منابع الثروة من معادن وغابات، وشجعوا على تكوين الشركات الفرنسية واقامة العراقيل أمام الشركات الوطنية . فشركة «سديق» وشركة « سكوى » ، تستولى على أموال المواطنين ، وتستغلها لنفسها خاصة ، ولمنفعة الفرنسيين ، بحيث لا يستفيد الوطنيون منها شيئا ، وتعمل الشركات الفرنسية هذه على مضايقة التجار فى تصريف بضائعهم ، وذلك بالاتفاق مع الحكام الفرنسيين ، كما يسن المستعمرون التشريعات الاقتصادية لخدمة تصريف مصالحهم ، وحمايتهم ومنع التطور الصناعى الوطنى واحتكار التجارة وعرقلة نشاط تجارة الوطنيين . كما لوحظ أيضا أن السلطات استولت على أجود الأراضى بحجة حاجتها لتربية الخنازير ، لأن المسلمين يحرمونها ، ولا يهتمون بتربيتها .

الحالة الاجتماعية :

عمل الاستعمار على الهبوط بالمستوى الاجتماعى ، بالاستيلاء على الثروة الوطنية وأصبح الأهالى فقراء، يبحثون عن لقمة العيش لسد رمقهم وأدى ذلك الفقر الى انتشار الجهل بين الأهالى لعدم القدرة على تعليم أولادهم . فأصبح التعليم محدودا وواضح أن هدف الحكومة من التعليم هو اعداد موظفين يساعدون الفرنسيين . وأن السلطات الاستعمارية تتجاهل الثقافة القومية فى اللغة والتاريخ والأدب فى مناهجها التعليمية. كما تضع العراقيل فى وجه التعليم الحر ، وليس أدل على ذلك من قفل معهد « أبشه » الدينى عام ١٩٥٣ ، ذلك المعهد الذى احتضن الثقافة العربية ودراسة الدين الاسلامى ، وتولى التدريس فيه أساتذة ممن درسوا بالأزهر والسودان أو ليبيا ومراكش وتونس ، وقامت المظاهرات احتجاجا على اغلاق هذا المعهد ،لأنه أمل التشاديين فى المحافظة على اللغة والدين ، مما أضطر السلطات الى اعادة فتحه فى عام ١٩٥٧ . وكان هذا المعهد فرعا للأزهر قبل اغلاقه أما الآن فقد فصله الفرنسيون عن الأزهر. وبالمعهد حوالى ٢٠٠ طالب . وتحتضن الحكومة معهدا آخر أغلب طلابه من الاجانب ، وأوقعت الحكومة الخصومة بين المعهدين فاحتدمت العداوة بينهما

حالة التعليم فى المديريات العشر :

١ ــ **مديرية فابا** ، لا يوجد بها سوى مدرسة أولية واحدة فقط ، ولا سبيل لأبنائها الى الذهاب الى مدرسة ابتدائية أو ثانوية لانعدام طرق المواصلات فيها .

٢ ــ **مديرية ماو** ، بها مدرسة أولية واحدة ، ومع قربها لفورت لامى لا يسمح لأبنائها بدخول مدرسة فورت لامى الثانوية .

٣ ــ **مديرية فورت لامى : بها** مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية .

٤ ــ **مديرية مندو** ــ بها مدرسة ابتدائية ، وأخرى ثانوية .

٥ ــ **مديرية دوبا** ــ بها مدرسة أولية فقط .

٦ ــ **مديرية كمرا** ــ بها مدرسة أولية فقط .

٧ ــ **مديرية أبشه** ــ بها مدرسة أولية ، ومدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية . ومعهد ابشة الدينى الأهلى، ومعهد آخر حكومى . وتعتبر المديرية

الوحيدة التى فيها هذا التقدم من التعليم ، وبخاصة التعليم الدينى .

٨ ـ **مديرية فور شمبول :** بها مدرسةابتدائية ، تدرس فيها الشريعة الاسلامية . ولذلك يوجد مدرسون فيها ، الا أن السلطات تعرقل عملهم وتضطهدهم دائما .

٩ ـ **مديرية آيتا :** بها مدرسة أولية ، ومع أن أهلها جميعا عرب ، فاللغة العربية لا تدرس كلغة أصلية وطلبة المدارس كلهم من الأجانب ، ولا يقبل من أبناء البلاد طالب واحد ، وعدد الطلبة بها ٢٥ طالبا .

١٠ ـ **مديرية منقو :** ليس بها مدارس اطلاقا ، وقد قرر البرلمان أخيرا فتح مدرسة أولية بها .

وخلاصة القول أن السلطات تمنع ارسال البعثات العلمية للخارج وخاصة للبلاد العربية الاسلامية ، ونادرا ما تسمح بها للبلاد الفرنسية ، وتمنع الأهلين من ممارسة حقهم فى انشاء مدارس لتعليم الصغار ، أو لتثقيف الكبار ـ وبذلك حرمت البلاد من كل تطور ينهض بها ثقافيا ، كما لا تسمح بتكوين مؤسسات علاجية المرضى ولا تبذل عناية ما بالصحة العامة ، ويبدو ذلك من انتشار الأوبئة ، وكثرة الوفيات ، وتنوع الأمراض وانتشارها بين العمال الافريقيين والمزارعين .

كذلك أوجدت السلطات تفرقة فى المعاملة بين العمال الافريقيين والعمال الأجانب فى الأجور والامتيازات النقابية والتشريعية أضف الى ذلك أن البغاء منتشر بصفة رسمية وهم يشجعون عليه ، لأن من شأنه تقويض دعائم الكيان الاجتماعى للبلاد .

ولم يكتف المستعمرون بذلك ، بل سيطروا على الجيش وعملوا على اضعافه من الناحية القومية ، واستخدامه فى قمع الحركات الوطنية وبقية الشعوب الافريقية الناهضة ، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية . فلقد اشترك اخواننا التشاديون فى هذه الحرب ، بعد ما مناهم ديجول بوعوده المعسولة . باعطائهم الاستقلال بمجرد انتصاره فى الحرب ، ولكنه نكث فى الوعود التى بذلها ولاسيما منح البلاد الاستقلال .

وهاهى فرنسا فى تشاد لها مايزيد على نصف قرن ، ماذا قدمت لشعب تشاد ؟ وماذا فعلته من الاصلاحات التى تزعمها ؟ أن فرنسا لم تقم بأية اصلاحات مادية تذكر : وان ما قامت به انما هو لمصلحة وجودها فى البلاد ، كتعبيد الطرق ، وتشييد المبانى لسكنى الفرنسيين . واستخدام الوسائل الحديثة لتسهيل طرق الاستغلال ، واستنزاف دماء الأهالى المواطنين الذين لا يستفيدون من هذه الأمور شيئا . أما الاصلاحات الجوهرية التى من شأنها الرقى بالبلاد والسير بها نحو الحرية والاستقلال ، فلم تقم بها فرنسا بل انها تعمل جاهدة على منعها .

وان أى موظف أو تاجر أو أى شخص يطالب بحق شرعى له فان مصيره الطرد من وظيفته ، أو مصادرة أمواله ان كان تاجرا مع التعذيب والسجن .

الحالة السياسية :

منعت السلطات الفرنسية تكوين أحزاب وطنية ينشئها الوطنيون ،

ولذلك فالأحزاب التي في تشاد انما هي فروع للأحزاب الفرنسية بباريس ، يوجهها زعماء هذه الأحزاب ، وليس هذا في افريقية الاستوائية فحسب بل في افريقية الغربية ، وان كانت بدأت تظهر تكوينات حزبية جديدة في غرب أفريقية تدعو الى استقلال هذه الفروع وانفصالها عن الحزب الأم بباريس .

والأحزاب السياسية في افريقية الاستوائية هي : ــ

أولا : الحزب الراديكالي : A.S.T

وهو فرع للحزب الراديكالي الفرنسي . وقد كان رئيسه السيد « جبريال لزيت » ثم تولى رياسته الآن السيد « تمبل بي » رئيس وزراء تشاد الآن . وأشخاصه البارزون هم : « جبريال لزيت » ، « تمبل بي » « سوليه » الذي كان رئيسا للوزراء بعد الاستفتاء على دستور ديجول .

ثانيا : الحزب الاشتراكي : A. S. A

وهو فرع للحزب الاشتراكي الفرنسي الذي يرأسه جي موليه الاستعماري الفرنسي ، وهو الذي يرسم سياسة الحزب ويوجهه حسب المصلحة الفرنسية ولقد انحصر أتباع هذا الحزب بعد دستور ديجول في الاجانب المؤيدين لسياسة فرنسا . وقد انفض الشعب عن هذا الحزب .

ثالثا : حزب آ ر. د. ا R. D. A ويقال له حزب .. أوديت U. D. I. T

ويوجه سياسة هذا الحزب السيد منديس فرانس بباريس ، وكان رئيس هذا الفرع بتشاد السيد « روجي » وأما الآن فرئيسه السيد ربتليس .

رابعا : الحزب الوطني التشادي :

ويرأسه السيد أحمد أبا . ولقد انفصل من الحزب الاشتراكي بعض الاعضاء الوطنيين .

الانتخابات :

أجريت الانتخابات في تشاد في ١٥ أبريل ١٩٥٩ وذلك بعد الاستفتاء على دستور ديجول الذي أجرى في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وكان الفوز في الانتخابات بأغلبية الحزب لا بالدائرة ، فالحزب الذي يحصل على الاغلبية تكون له مقاعد البرلمان ، حتى لا تكون هناك معارضة ، ولقد تآلف الحزب الراديكالي ، وحزب أوديت ، وحصلا على الاغلبية ، ولذلك حصلا على جميع مقاعد البرلمان البالغ عددها ٨٥ مقعدا . ويعتبر برلمان تشاد أكبر البرلمانات في افريقية الاستوائية ، فتبلغ مقاعد برلمان الاوبنجي ٥٥ مقعدا وبرلمان جابون ٤٥ مقعدا ، وبرلمان برازفيل ٧٥ مقعدا ، ويمثل برلمان تشاد المديريات العشر .

هذا عرض سريع لاحدى مناطق الكفاح في قلب افريقية ، ولقد اندلعت نيران الثورة ، وبدأ الأحرار ينظمون صفوفهم في زحفهم المقدس ، وليست ثورة برازفيل التي سقط فيها مئات من الشهداء الا انتفاضة من انتفاضات الأحرار تبعتها انتفاضات في تشاد والجابون وأوبنجي ، وقد أقسم الأحرار أن يواصلوا الكفاح حتى تتحرر بلادهم وتستقل ، ويخرج المستعمر الغاصب ، ولن يبخلوا بالدماء والأرواح والأموال في سبيل وطنهم ، وان غدا لناظره قريب .

افريقية الوسطى وروديسيا الجنوبية

تقرير سياسى

بقلم جوشيا م . نكومو

الرئيس العام لمؤتمر روديسيا الجنوبية الافريقى الوطنى

فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر من العام الماضى ١٩٥٨ اتفقت أنا وزملائى أعضاء المؤتمر الوطنى فى روديسيا الجنوبية على تسمية ذلك اليوم « بيوم الحرية » وجعله عيدا سنويا لروديسيا ، اذ أنه كان اليوم الذى احتل فيه المستعمرون قطرنا الغنى العزيز فى عام ١٨٩٠ .

وأعلنا عن عزمنا على تكريس جهودنا من أجل تحقيق الحرية والعدالة ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ليس فى وطننا فحسب ، بل فى افريقية كلها من مدينة الرأس حتى القاهرة ، ومن السنغال حتى زنزبار . ولقد أوضحنا فى جلاء تام أن هدفنا لا يقوم على طرد أحد من روديسيا الجنوبية ، وانما على استعادة الكرامة الآدمية والعزة القومية والثقة بالنفس لشعبنا ، بعدما أهدرها المستعمرون والمستوطنون البيض خلال سنى الاستعمار ، وما فرضته سلطاتهم عليها من اذلال واستغلال وظلم ،

وقد أوضحنا مطالبنا بالأمس ، وها أنا أعيد تلاوتها اليوم ، وهى : أنه لم يعد فى امكاننا تحمل استغلال الأقلية البيضاء لشعبنا بعد الآن ، واننا نطالب بالمساواة فى المعاملة بين شعبنا وبينها ، واننا لنؤمن اليوم أشد من ايماننا بالأمس بحق الأغلبية الوطنية فى ممارسة حقها الشرعى فى تقرير نوع الحكومة للوطن الذى يعيشون تحت سمائه ، وسيموتون فوق أرضه . لقد أعلنا بصراحة تامة فى الماضى ، وما زلنا نعلن اليوم أن سياسة تمليك الأرض للبيض ، تهدف الى تشتيت الشعب الافريقى وافقاره ، ويجب أن توقف منذ الآن ، ودون أى ابطاء أو تأخير . ان مطلبنا كان وما يزال هو التغيير الكامل الشامل لنظام وطننا السياسى والاجتماعى والاقتصادى بعد أن ظل هذا النظام طوال هذه السنين الكثيرة يعمل على جعل الوطنيين الافريقيين طبقة مسودة تابعة خاضعة للمستعمرين والمستوطنين البيض ، مع أنهم فى وطنهم ومسقط رأسهم ، وأرض آبائهم وأجدادهم .

غير أن حكومة المستعمرين ، بدلا من أن تستجيب لهذا المطلب العادل الذى يضمن لها الاستقرار فى

روديسيا الجنوبية ، وافريقية الوسطى ، بل القارة الافريقية كلها ، لجأت الى سياسة القمع والارهاب والخيانة والغدر .

ان يوم الحرية — الثانى عشر من سبتمبر — يأتى هذا العام ليجدنى فى القاهرة ، وليجد اخوانى وزملائى اما فى السجون خلف القضبان أو فى المعتقلات ، حيث يهدد مرض النوم حياتهم . وتأمل حكومة المستعمرين من هذه الخطة الوقوف فى طريق الشعب الافريقى الزاحف نحو الحرية والعدالة والاستقلال والكرامة ، ولكنى أحذر حكومة المستعمرين وانذرها ، بأنها بذلك تعرض أرواح البيض للخطر ، وتلقى بهم وبمصائرهم الى التهلكة ليس فى روديسيا وحدها ، بل فى القارة الافريقية كلها ، وانى لأنصح المستعمرين والمستوطنين الأوروبيين بأنهم ان أرادوا البقاء معنا ، فعليهم من اليوم أن ينبذوا فكرة سيادة الجنس الأبيض ، كما أذكرهم بأن هذه الفكرة بعينها هى التى أودت بهتلر الى مصيره المظلم المحتوم . ولن يمكن الوصول الى اتفاق بخصوص هذه السياسة التى تتعارض مع مبدأ الحياة نفسها . ولن ينجم عنها الا الشقاق والحقد والدمار لكل من ينادى بها .

ولما كان هذا أول تقرير سياسى لى منذ اعلان حالة الطوارىء فى أوائل هذا العام فى روديسيا الجنوبية وما تبعه من حظر وتشريعات وقائية أرى من واجبى أن أتخذ موقفا محددا واضحا من أجل بلدى وخير مواطنى .

اننى أبين ، لحكومة الاستعمار فى روديسيا الجنوبية ، ولكل دول العالم المحبة للسلام والحرية ، انه لن يكون هناك سلم أو تفاهم أو استقرار دائم فى روديسيا ، ما دامت تحكمها هذه «العصبة المعينة» التى تحكمها الآن ، كما أنذرها أن روديسيا لم تعد بلدا معزولا كما يحلو لبعضهم أن يعتقده وأن مشكلاتها لن يمكن حلها بعيدا عن الاتجاه العالمى العام سواء فى القارة الافريقية أو فى أى مكان آخر فى العالم .
وعلى «العصبة الحاكمة» فى روديسيا الجنوبية ومناصريها فى بريطانيا ، أن يدركوا أن الاستعمار الأوروبى فى الماضى كان يحكم لا عن رضى المحكومين ، ولكن بواسطة أذلال الأغلبية المحكومة واخضاعها ، ومثل هذا الحكم لن تقدر له الحياة بعد اليوم ، فان الحركات التحررية والاستقلالية التى اجتاحت آسيا فى العشرين السنة الأخيرة تجتاح اليوم شمال وغرب افريقية ، كما وصلت الى شرق ووسط وجنوب افريقية ، ولقد بلغت من القوة والشدة بحيث لن يستطيع أى شىء أن يقف فى طريقها ، أو يعرقل تقدمها ، ولن تستطيع القوى الاستعمارية ولا دسائس المستعمرين وفتنهم ومكائدهم أن تؤثر فيها ، وان سكان روديسيا وسائر القارة الافريقية سيعرفون بأنفسهم كيف يتجنبون سياسات رد الفعل ، ويلجأون الى المطالب المشروعة العادلة التى ينادون بها ، وان الحكومة الوهمية التى تزعم أنها حكومة الشعب المتمدين المسئول ، لن يمكن بقاؤها بعد اليوم ، فالشعب هو الشعب . ولن يمكننا الحكم عليه بمقاييس أجنبية اصطنعت لتعمل

على بقاء الاستعمار الأجنبي ودوامه وتأييده ، ودمغ شخصية الشعب الافريقي بطابعه - ان على الأوروبيين في روديسيا أن يحترموا الشعوب التي يقيمون في وسطها ، فان المشكلة التي ابتدعوها وسموها المجتمع المتعدد الأجناس والمستويات المختلفة للمدنية كما يدعون . لن تكون السبيل الى اذلال شعبنا بعد الآن ولا لجعله في مرتبة دون مرتبة البيض ليتسنى لهم بذلك استغلاله وامتصاص دمائه باعتباره اليد العاملة الرخيصة التي تخدم مصالح الأجناس الأوروبية التي تقطن افريقية .

انني أؤكد لمناصري المؤتمر ومشجعيه أنه وان كان عقد المؤتمر محرما بصفة مؤقتة في روديسيا الجنوبية ، فان مبادئه وأهدافه ومثله العليا لن يمكن منعها أوتحريمها لأنها تقوم على الحق والعدل ومبادىء الأمم المتحدة ،وحقوق الانسان المعترف بها في كل أنحاء العالم ، ولقد كرس المؤتمر وما زال يكرس كل نشاطه لتحقيق هذه الأهداف التي لا ينكرها غير الدول التي تقول بسيادة بعض الأجناس على الأخرى ، وهي سياسة خاطئة قضى عليها بالفشل في عام ١٩٤٥ عندما هزمت ألمانيا الهتلرية .

ان حكومة روديسيا الجنوبية قد عجزت حتى الآن عن تقديم دليل ما يثبت به أن المؤتمر الافريقي الوطني لروديسيا الجنوبية منظمة مخربة ، وكل ما أمكنها اتهامنا به هو أن المؤتمر لا يؤمن بحكومة الشعب المتمدين المسئول ، كما يسمونها ،ولعدم رضاء المؤتمر عنها ، وانعدام ثقته فيها ، ورفض التعاون معها اتهم المؤتمر بالتآمر السري عليها ، واذا صح أن هذا هو السبب الحقيقي الوحيد - كما أعتقد - في كل ما تتخذه حكومة روديسيا الجنوبية حيالنا من اجراءات فليس لدينا ما نعتذر به ، لأنه لا يوجد شعب يحترم نفسه ،ويقبل الوضع الشائن الذي يعاني منه الافريقيون في روديسيا الجنوبية . والذي أجبروا قسرا على قبوله ،وان الظلم الكامن في قوانين تقسيم الأراضي وفلاحتها وتسجيل أراضي المدن وقانون الاسكان وغيره من القوانين التي تميز الأجناس وتعمل على التفريق العنصري كل ذلك يجب أن يلغى .

واني لأهمس في آذان شعبنا الافريقي الذي قاسى من التعذيب والارهاب والاضطهاد والاذلال منذ اعلان حالة الطوارىء وبعدها ، بأنه لامبرر للتحسر على أنفسهم أو استدرار العطف عليهم ، كما أؤكد لأهالي المسجونين والمعتقلين وأصدقائهم انه ليست هناك قوة مهما بلغت يمكنها أن تقف في طريق الركب الزاحف نحو العدالة والحرية - انها قد تعطل سيره حينا ولكنها لن توقفه بحال، فلقد وطدنا العزم على الكفاح الى أن ننال الحرية والعدالة والمساواة أو يزج بنا في أعماق السجون ، وغيابات المعتقلات ، وان شبابنا الحر الجريء في أفريقية ، الذين تمتلىء بهم معسكرات الاعتقال وجدران السجون ، ليعدون أنفسهم لتحمل مسئوليات أعظم حينما يدعون الى قيادة روديسيا

الجديدة ، وتولى مقاليد الأمر فيها فى وقت قريب ، بل أقرب مما يظن الكثيرون حتى تسود المساواة والعدالة الجميع.

ان الأحزاب السياسية الحالية فى روديسيا الجنوبية وفيها الحزب الافريقى المركزى الجديد ، الذى درست مبادئه السياسية بعناية تامة، تتفق كلها على نقطة واحدة .

« ان لكل مواطن الحق فى الاشتراك فى حكومة بلاده عن طريق مباشر أو غير مباشر بواسطة ممثليه الذين تكون له حرية انتخابهم » اذا لم تتمكن الأحزاب السياسية فى روديسيا الجنوبية ومعها الحزب الافريقى المركزى « الحر » من اثبات أن المواطن الافريقى الذى لا يتفق معهم على هذا التمييز العنصرى لا يعتبر « انسانا » وليس له حق فى التمتع بحقوق الانسان، فاننا لن نوافق على أية حكومة تشكلها هذه الأحزاب ، واننا لن نعترف بهم كممثلين لشعب روديسيا ونواب له، اننا لن تتخلى عن ايماننا بأن « ارادة الشعب هى مصدر كل سلطة » وارادة الشعب لا يمكن معرفتها الا باجراء انتخابات دورية حرة يشترك فيها جميع المواطنين على قدم المساواة .

لقد نشرت الجرائد فى روديسيا الجنوبية وفى غيرها من البلاد أننى قررت أن أتخذ لنفسى منفى اختياريا ! وأننى أفكر فى أخذ عائلتى معى بعيدا عن روديسيا ! وانى لأعلنها فى صراحة قاطعة لا غموض فيها ، وهى أنه لا نية لدى فى اتخاذ أى ملجأ لى بعيدا عن وطنى ، وانى لم ولن أفكر فى أخذ عائلتى بعيدا عن روديسيا الجنوبية .

ولكنى ازاء الموقف الذى فرضه على ((**السير أدجار هوايت هد**)) وحكومته على أن أقرر اما البقاء فى روديسيا الجنوبية لألحق بزملائى فى المعتقلات والسجون وأترك بذلك لحكومة روديسيا الجنوبية الحرية فى أن تلصق بنا ما تشاء من تهم وتسيء الى سمعتنا فى روديسيا الجنوبية وافريقية الوسطى ، وأما أن أبقى خارج روديسيا ، لأكشف للعالم عن سياسة الحكومة المنافقة الأثيمة تجاه الشعب ، لا فى الدول الافريقية فحسب ، بل فى جميع الدول المحبة للسلام والحرية . ولقد قررت اختيار الأمر الثانى ، ولا يمكن تفسير هذا بأنه نفى اختيارى فضلته لنفسى ،ان على واجبا تجاه شعبى وأمتى ، ولن تثنينى عن أداء هذا الواجب حملة التشنيعات الخبيثة هذه ، مهما بلغت من فظاعتها وقبحها .

وانى لأوصح للمواطنين فى روديسيا أن المؤتمر الافريقى الوطنى محرم عقده فى روديسيا الجنوبية وفى ((**لمبوبو**)) أو ((**زمبيزى**)) أو فى باقى مؤقتة ، ولكنه ليس محرما فى « لمبوبو » أو « زمبيزى » أو فى باقى القارة الافريقية أو فى باقى أنحاء العالم، ولقد أدركت هذه الحقيقة ففتحت مكتبا للمؤتمر فى لندن ، وفى نيتى أننى متى وجدت الشخص المناسب الكفء فسأفتتح مكتبا للمؤتمر فى القاهرة حتى نخدم مصالح دول شمال افريقية كما أنوى فتح مكتب آخر فى احدى دول غرب افريقية المستقلة لينسق مجهوداتنا هناك .

والواجب علينا أن ندرك – كما سبق أن أعلنته فى غير هذا المكان – أن صراعنا من أجل تحرير أنفسنا من العبودية لم يعد صراعا بين الظالمة والمظلومين ، بل هو صراع يهتم به الافريقيون كلهم ، كما تهتم به دول العالم المحبة للسلام كلها ، اذ أن شرارة واحدة قد تقوم فى أى جزء من أجزاء العالم الذى يسوده الظلم والاستغلال والاستعباد ، فيشب الحريق المدمر فى العالم كله .

ويقودنى الحديث الى نقطة هامة، وهى : ما مدى علاقة الدول الافريقية فى جنوب الصحراء الكبرى بالدول الافريقية الأخرى التى فى شمالها ؟ والى من يهمهم أن تبقى بمعزل عن العالم العربى الذى سدد ضربة قاضية للاستعمار فى الدول العربية ، والذى يمد لنا يده متطوعا لمساعدة الوطنيين الافريقيين فى تحرير افريقية من المستعمرين والغاصبين ، دعونى أؤكد لهم أن الصحراء الكبرى لا تفصلنا عنهم ، بل بالعكس تربطنا بهم . ان العالم العربى والقاهرة فى طليعة الجيش الذى يكافح الاستعمار وستقترب ساعة تحرير افريقية والافريقيين ، أى أن كل القوى المناهضة للاستعمار مدفوعة نحو تحقيق الكرامة الآدمية للجميع لدعم جهادنا وهى تستحق منا كل معاونة وتقدير .

وانى لمقتنع تمام الاقتناع – بعد أن اتصلت شخصيا بكل الدول العربية فى شمال افريقية بأنها لاتعمل ولاتهتم بسياسة التوسع التى يتهمها بها المستعمرون كذبا ، ليوقعوا الفرقة بين الشعب الافريقى والشعوب العربية. ان كل ما تهتم به الدول العربية هو دعم استقلالها وهى تدرك أن ذلك لن يتم ما دامت دول الجنوب يحتلها المستعمرون ،ويديرون دفة سياستها، ولقد أدركت قوى الاستعمار ذلك مما جعلها تحاول جاهدة أن تجعلنا نحارب معها ضد حلفائنا واخواننا . أما نحن فنعتقد أن افريقية وحدة لاتتجزأ سواء أكانت فى شمال الصحراء الافريقية أم جنوبها .

أما عن موقفنا فقد أوضحنا بطريقة لا لبس فيها ولا غموض فنحن فى الوقت الذى نشعر فيه بالحاجة الى معونة وعطف العالم فى كفاحنا ضد الحكم الأجنبى المستعمر نأبى أن نكون مخلب قط لأية دولة أو تابعين لأى انسان آخر ، اننا نعمل على دعم شخصيتنا وتكوين ذاتيتنا وتقرير مصيرنا ، ولن نستبدل استعمارا بآخر حتى لو كان المستعمرون افريقيين مثلنا ، لقد اتفقنا على هذا فى «مؤتمر أكرا » ولن نحيد عن هذا الاتفاق ، وعلى الشعوب الافريقية أن تدرك هذا حتى لا تخدعها دعاية الاستعمار المسمومة ، فأهدافنا واضحة ، وأغراضنا محددة ،وهى تحقيق ذاتيتنا وتقرير مصيرنا .

أما عن الخطر الشيوعى المزعوم فى افريقية ، فانى أؤكد بصفة قاطعة أننا لسنا من دعاة التطاحن بين الأنظمة والآراء ، كما أننا لن نكون دعاة الكتلة الغربية ، أو للكتلة الشرقية ، ان لنا هدفا هو اتحاد افريقية ، وفى سبيل

تحقيق هذا الهدف نحيا ، ومن أجله نموت .

أعود الى النقطة الهامة فى هذا التقرير ، وهى روديسيا الجنوبية التى ظل الناس يعتبرونها طوال هذه السنين مستعمرة تتمتع بالحكم الذاتى .

وانه ليسعدنى أن أقرر هنا أن ممثلينا فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة المنعقد فى « منروفيا » قد أثبتوا أن روديسيا الجنوبية لا يمكن اعتبارها دولة مستقلة تتمتع بالحكم الذاتى ، وقد وافق المؤتمر على اعتبارها دولة غير مستقلة ، وسيعقب هذا عرض مسألة روديسيا الجنوبية على هيئة الأمم المتحدة .

أما عن الاتحاد الفيدرالى بين روديسيا ونياسالاند ، فان موقفنا تجاهه واضح معروف ، اذ لا يمكن استمرار هذا الاتحاد بغير رغبة المواطنين ، ورغم ارادتهم ، فلقد قرر الشعب الافريقى فى المستعمرات الثلاث أن هذا الاتحاد يجب أن يحل ، ولن يرجع الشعب الافريقى عن قراره هذا . وكل ما أنصح به الحكومة البريطانية ـ أن كانت ما تزال فى شك من تعرف وجهة نظر المواطنين الافريقيين ، بالرغم من تقرير « لجنة ديفلين » المحدد الصريح ـ هو أن تطرح المسألة لاستفتاء عام . ان تقرير « ديفلين » قد فضح المؤامرة التى حاك خيوطها حاكم نياسالاند متآمرا مع « السير روى ولسنكى » و « السير ادجار هويتهد » و « والسير أرثر بنسون » (وهم فرسان المؤامرة الأربعة) الذين دبروا المؤامرة للقضاء على المنظمات الافريقية الشعبية وسحقها ، حتى يتسنى لهم تحقيق الاتحاد الذى يضمن للأوروبى المستعمر سيادته وتحكمه دون مقاومة تذكر ، أو معارضة يحسب لها أى حساب

وبعد أن تمكن هؤلاء المستعمرون من التخلص من ممثلى الشعب الافريقى الحقيقيين ، بزجهم فى السجون ، أو حشدهم فى معسكرات الاعتقال التى تزخر بذباب «التسى تسى» طلبوا من حكومة المحافظين ـ وهم عملاؤها ـ أن ترسل لجنة الى افريقية الوسطى ، لتبحث وتتحرى ، وتمهد الطريق للمؤتمر الدستورى المنتظر عقده فى لندن سنة ١٩٦٠ ، وان تكوين هذه اللجنة يسترعى الانتباه حقا ، فهى تتكون من ٢٦ عضوا ١٣ منهم من افريقية الوسطى ، ٣ أعضاء من دول «الكومنولث» ممن لهم خبرة سياسية بالاتحاد الفيدرالى ، وتعين حكومة المملكة المتحدة بناء على ترشيح الحكام المحليين خمسة من الثلاثة عشر عضوا من افريقية الوسطى .

أما نحن فلن نعترف بهذه اللجنة ، لأنها لجنة من المستعمرين البيض وحدهم ، وليس للافريقيين فيها صوت ولا نصيب ، فالخمسة الافريقيون من افريقية الوسطى ، والذين سيعينهم الحاكم الأوروبى المستعمر قد يكونون أفريقيين لونا وشكلا ، ولكنهم مستعمرون بيض حقيقة وفعلا .

أنا لنرجو حزب العمال ألا يخذلنا ، وأن يقبل عضوية هذه اللجنة ، انا لنرجوه أن يترك حكومة المحافظين تتورط فى طريقها ، وتكشف بذلك عن نفسها أمام العالم الخارجى . أن لدى

الحكومة البريطانية تقرير « لجنة ديفلين » فما الداعى الى تكوين لجنة أخرى ؟ !!

سأكون مقصرا فى واجبى أن لم أوضح للعالم حقيقة السياسة المشتركة لأفريقية الوسطى — التى ظلوا ينادون بها طيلة السنين الخمس الأخيرة — ولم أكشف عن نواياها .

ان من يعرف سياسة جنوب افريقية الانفصالية لابد يدرك أن المستعمر البريطانى فى افريقية الوسطى قد نادى بسياسة المشاركة هذه ، حتى ينأى بشخصيته الانجليزية ، وحتى لا يختلط الامر ببوير جنوب أفريقية لأن طبيعة البريطانيين المنافقة المرائية ، لا يمكن للبوير مجاراتهم فيها .

انا لنرفض دون تحفظ قبول مجتمع كهذا ، يقوم على أسس مصطنعة مفتعلة غير طبيعية .

كما أذكر بمنتهى الاغتباط والارتياح النتائج الطيبة ، والجهود المتناسقة التى قامت بها حركة التحرر الافريقى المتحدة بين وسط وشرق افريقية ، التى تقوم على أسس اقليمية طبيعية ، والتى حققها مؤتمر الشعوب الافريقية جميعها الذى يمثل قارة افريقية كلها ، ومؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية الذى يمثل القارتين معا ، ان نشاط هذه المنظمات قد ساعد قضية الحرية وتقرير المصير ، وقرب ساعة تحقيقها .

كما يجب على أن أنوه بالعمل الهائل الذى قامت به لجنة المنظمات (الهيئات) الافريقية فى لندن ، فقد نجحت فى اطلاع العالم على حقيقة ما يجرى فى القارة الافريقية . وانى لأرجو كلا من سكرتاريتى تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية فى القاهرة ، ومؤتمر الشعوب الافريقية كلها فى « أكرا » أن تدرك أهمية هذه اللجنة ، وأن تبذل جهدها كله فى تنسيق نشاطها مع هذه اللجنة .

اننا فى وسط افريقية لنفرح ونفخر بزيادة عدد الدول الافريقية المستقلة ، وانا لنشعر بأن استقلال « نيجيريا » و « توجولاند » و « الصومال » و « الكمرون » وانضمامها الى قائمة الدول الافريقية المستقلة سيساعد باقى الدول الافريقية على تحقيق استقلالها ، وسيعود بالخير على قارتنا الحبيبة ، وسيساعد على اقرار السلم العالمى .

كما أرى من واجبى أن أنوه بأننا شديدو الاهتمام بمسألة الغاء الانتخاب فى « الكمرون » قبل استقلالها ، وكلنا أمل وثقة فى أن هيئة الأمم المتحدة فى جلستها التالية ستلغى هذا القرار ، وستوصى باجراء الانتخابات ، وسترفع الحظر عن الأحزاب السياسية ، وستسمح بعودة اللاجئين السياسيين الى « الكمرون » قبل نهاية هذا العام .

والى اخواننا المجتمعين فى باريس الآن نقدم الرجاء فى أن يدركوا أن الوطن الافريقى لا يمكن أن يكون امتدادا لفرنسا ، أو لغيرها من القارات ، وأن قبول الجزائر عضوا فى المجتمع الفرنسى كما يزعمون ، سوف يؤخر ان لم يعرقل حركة التحرر الافريقى فى القارة كلها ، بل لعل ذلك سيكون أشنع جريمة كريهة يمكن ارتكابها ضد الشعب الافريقى كله ، اذ ستشوه شخصيته ، وتقضى على ذاتيته .

عن الانجليزية بقلم : ع . م . ع

هذه هي غانة

غانه عضو مستقل فى الكومنولث البريطانى ، تضم خمسة أقاليم ادارية: الأقليمين الشرقى والغربى فى الجنوب على امتداد ساحل الأطلنطى : وأشانتى فى الوسط ، والأقليم الشمالى ، وتوجلاند فى الشرق .

وكان الاقليم الأخير – فيما مضى – تحت وصاية بريطانيا ، ولكنه ضم الى ساحل الذهب عندما منح استقلاله فى مارس سنة ١٩٥٧ ، وأصبحت الدلتا مندمجتين فى دولة واحدة ، أطلق عليها اسم جديد ، هو « غانه »

وتبلغ مساحة غانه حوالى ٩٢ر٠٠٠ مربع ، وتقع بين خطى طول حوالى ٥١ شرقا ، ٥٣ غربا ، وخطى عرض ٣٠َ ٥٤ و ٥١١ شمالا . ويحدها من الجنوب خليج غينيا ، ومن الشرق توجلاند الفرنسية ، ومن الغرب ساحل العاج ، ومن الشمال أفريقية الغربية الفرنسية .

وعدد سكان غانه حوالى أربعة ملايين وتسعمائة ألف نسمة ، بينهم حوالى ١٥ر٠٠٠ فقط من غير الأفريقيين .

ويتبع سكان غانه عدد كبير من الأجناس البشرية متبايني الأصول : منها «الاكانز» Akans على الساحل، والاشانتى فى الوسط ، والايوى ، والماميروزى فى الشمال ، والهوسا فى العاصمة .. ولكل قبيلة لغتها الخاصة وبالاضافة الى ذلك يتكلم معظم السكان اللغة الانجليزية ، وتعتبر لغة مشتركة بينهم جميعا . وهم يتخاطبون بها فيما بينهم ، أكثر مما يتخاطبون بلغاتهم الوطنية .

ويتميز الغانيون بالمزايا الخلقية الآتية :

١ – المرح وحب الضحك والمزاح وحب الاستمتاع بالحياة ، اذ قلما يرى الانسان بينهم وجها عابسا ، ومهما اشتد بهم الكد والنصب ، فهم لا يتخلون عن روحهم المرحة ، وابتسامتهم المشرقة .

٢ – حبهم لمساعدة الآخرين ، واكرامهم الضيوف ، وترحيبهم بهم .

٣ – حبهم للأطفال ، وتوثيق أواصر الأسرة بينهم ..

الملابس :

يرتدى الرجال والنساء الملابس الأفرنجية أحيانا ، وخاصة فى المدن وفى محيط موظفى الحكومة ، والمحال التجارية . كما يرتدون أيضا – وخاصة فى الريف – الرداء الوطنى المزركش الجميل ، وهو ثوب يلفونه حول أجسامهم ، ويعرف عندهم بالكنت . Kente

الديانات :

أما الديانات السائدة فى غانه فهى المسيحية والاسلام . وقد كان للبعثات

التبشيرية أكبر الأثر فى انتشار المسيحية فى غانه . وتوجد بالمدن الرئيسية مساجد وكنائس . وتحتفل الطوائف المسيحية بأعيادها الوطنية فى الكنائس ، كما يحتفل المسلمون بعيدى الفطر والأضحى فى مجتمعاتهم كما توجد ديانات محلية خاصة .

مناخ غانة :

تتراوح درجة الحرارة بين ٢٠°م و ٣٥°م ، وتختلف كمية الأمطار السنوية اختلافا كبيرا فى الجهات المختلفة بين ٢٥ و ٨٥ بوصة ، وتصل الى ١٠٠ بوصة فى الغرب ، حيث تقترب الغابة من ساحل المحيط .

وهناك فصلان مطيران : أحدهما فى الربيع من مارس الى يونيو ، والثانى فى الخريف من سبتمبر الى نوفمبر .

وتختلف كمية الأمطار فى الشهور المختلفة ، وأقل الشهور مطرا شهر يناير ، وأغزرها مطرا شهر سبتمبر فى الجنوب ، وشهر أكتوبر فى الشمال

والرطوبة الجوية عالية ، ولذلك يشعر الانسان بالضيق ، ويتصبب عرقا فى فصل الشتاء ، أما فى فصل الأمطار فالجو يتلطف ، وتقل رطوبته بسقوط المطر .

وتهب رياح جافة على الأقليم الشمالى من الصحارى الواقعة شمالى غانا .

الكساء الخضرى :

تغطى الغابات المطيرة الاستوائية سطح الأرض فى الجهات التى تزيد فيها كمية المطر السنوى على ٥٠ بوصة ، ولذلك فهى توجد فى الجنوب فيما يلى السهل الساحلى العريض ، وتمتد شمالا لمسافة ١٧٠ ميلا فى اقليم اشانتى .

ويتوفر الظل والرطوبة داخل الغابات ، مما يلائم زراعة الكاكاو بنوع خاص ، وبعض الحاصلات الزراعية الأخرى أيضا .

وفى الشمال يسود فصل جفاف طويل ، وتقل الأمطار ، وتهب رياح جافة من الصحارى الشمالية ، ولذلك تتحول الغابات تدريجيا الى سفانا تسود فيها الحشائش والأعشاب الصالحة للرعى .

الصفات الطبوغرافية :

لاتوجد فى غانه جبال عالية ، وأعلى قممها لا يزيد ارتفاعها على ٢٩٠٠ قدم فوق سطح البحر ، أى حوالى ١٠٠٠ متر ، وتتاخم الجبال العالية نسبيا الحدود الشرقية ، أى ما بين غانه وتوجلاند الفرنسية .

ولا توجد فى غانه من البحيرات سوى بحيرة واحدة صغيرة بأقليم اشانتى ، قرب كوماسى ، لا يزيد قطرها على خمسة أميال .

وهناك سهل ساحلى فى الجنوب عريض فى معظم الجهات ، ضيق فى الجهة الغربية وحدها ، تبدأ بعده الغابات الكثيفة ، هذا السهل الساحلى يكاد يكون مستويا ، ويصلح لزراعة الحاصلات المختلفة ، وتنتشر به قرب المحيط برك صغيرة تنمو بها أشجار الشورة ، وغيرها من نباتات المقابر .

الأنهار :

توجد فى غانه عدة مجار مائية ضيقة بعضها موسمى يمتلىء ابان فصل

المطر ، ويجف فى بقية فصول العام ، وبعضها مستديم . وبالاضافة اليها يوجد عدد من الأنهار الكبيرة المستديمة أهمها نهـر الفولتـــا الذى ينبع من صحارى أفريقية الغربية الفرنسية فى الشمال ، ويصب فى المحيط الأطلسى قرب أكرا جنوبا . ونهر تانو فى الغرب وكذلك نهرا الكوبرا وبرا Pra وكلها تصب فى الأطلنطى .

المدن الرئيسية :

أهم مدن غانه هى مدينة أكرا ، العاصمة ، على الساحل الجنـوبى . وهى احــدى مدن الاقليم الشرقى وعدد سكانها أقل من مائتى ألف نسمة.

وتلى أكرا فى الأهمية مدينة كوماسى عاصمة اقليم اشانتى ، ثم مدينـة كوفوريدوا Koforidua فى الاقليــم الشرقى ، وهو Ho فى توجـولاند وتمالى Tamale فى الاقليم الشمالى

أما أهم المدن الساحلية ــ بعد أكرا فهى كيب كوست ، وســيكوندى ، وتاكورداى .

الأرض ومواردها :

أهم موارد الدخل القومى فى غانه فى الوقت الحـاضر هى : الزراعــة ، والتعدين ، والغابات ، والصـــيد . وبالرغم من ادخال صناعات جديدة فى الأعوام الأخـــيرة فان اقتصاديات غانه ما زالت تعتمد أساسيا على موارد الأرض ، فالزراعة يشتغل بها ٧٠٪ من الذكور البالغين . ويلى واردات غانه من المعـادن الكاكاو فى الأهمية. وقد وضعت مشروعات كثيرة للوصول باستغلال الأرض الى الذروة وللتغلب على الصعوبات التى تعترض ســبيل الاستغلال التام ، وسنتحدث فيما يلى عن كل هذه الموارد بايجاز .

(أولا) : المحصولات الزراعية :

الكاكاو :

هو أهم حاصلات غانه الزراعية ، وتعتبر غانه أهم أقطار العالم المنتجة لهذا المحصول ، اذ أنها تنتج ٢٨٨٠٠٠ سنويا . ويعتبر الكاكاو أهـم مورد الدخل القومى ، ويشتغل بزراعتـه عدد كبير من السكان يبلغ ٣٠٠ر٠٠٠ مزارع ، يزرع كل منهم مســـاحة صغيرة لاتتجاوز بضعة أفدنة .

وتاريخ زراعة الكاكاو فى غانه حديث ومع ذلك فقد امتدت زراعته واتسعت رقعتها فى وقت وجيز .

وظهر فى عام ١٩٣٦ بالاقليم الشرقى مرض أصاب الـكاكاو فيروسى اسمه Swollen shoor انتشر فى مساحات شاسعة ، وتنقل هـذا المرض حشرة البق الدقيقى ، ولا يزال هـذ المرض يعد خطرا كبيرا على زراعة الـكاكاو فى غانة حتى الآن . ومنـذ ســنة ١٩٥١ بدأت مكافحة هذا المرض بشدة ولما لم يكن هناك علاج معروف فقد اتخذت لم يكن هناك علاج معروف فقد اتخذت المكافحة شكلا وقائيا . وتنحصر الوقاية فى استئصال الأشجار المصابة واعدامها وفى الوقت نفســه أنشئت محطات لأبحاث الكاكاو ، بقصد مقاومة آفاته ، وتحسين طرق زراعته ، والعمل على زيادة محصوله . وتجرى هذه الأبحاث بمعاونة معهد غرب أفريقية لأبحاث الكاكاو .

المحصولات الزراعية الأخرى :

بالاضـــافة الى الكاكاو ، اتجهت

العناية حديثا الى التوسع فى انتاج المحصولات الغذائية ، بقصد الاكثار من مواد الغذاء النباتية التى تنتج محليا ، مما يؤدى الى خفض تكاليف المعيشة ، وتحسين الغذاء القومى وتنويعه . وكان من آثار هذه السياسة أن ارتفعت كمية المحصولات الغذائية المختلفة الى ثلاثة ملايين من الأطنان سنويا . وتشمل هذه المحصولات الذرة والذرة العويجة والأرز والفول السودانى ونخيل الزيت وجوز الهند

ولكن هذه الكمية ما زالت مع ذلك كافية للاستهلاك المحلى ، ولذلك تستورد منها كميات كبيرة من مختلف المواد الغذائية . وقد وضع برنامج شامل للتوسع الزراعى بدىء تنفيذه منذ عام ١٩٥١ ، وأنشئت لأغراض هذا التوسع محطة رى فى كبونج تديرها محطة الأبحاث الزراعية الجامعية بنونجوا .

وتنتشر زراعة الأرز بشكل خاص فى الاقليم الشمالى ، أما فى الجنوب فيزرع البن ونخيل الزيت والموز .

ثانيا ــ الماشية :

تربى الماشية على نطاق واسع فى منطقة السفانا بالاقليم الشمالى ، وكذلك فى السهل الساحلى الجنوبى ، بين أكرا والحدود الشرقية . وهناك سلالات متوطنة من البقر قصير القرون وهى أقدم السلالات الموجودة فى غانه ، كما يعنون بتربية الأغنام والماعز والدواجن .

على أن الماشية ما زالت من القلة بحيث لا تفى باحتياجات البلاد ، ولذلك يستورد الكثير منها .

وقد أولت حكومة غانه تربية الدواجن عناية خاصة فى المدة الأخيرة. فأنشأت عدة مزارع للدواجن موزعة فى سائر أرجاء البلاد ، وتربى صغار الدواجن فى هذه المزارع مدة ثمانية أسابيع ، ثم تباع للأهالى ليكملوا تربيتها .

ولا يزال هناك الكثير مما يجب عمله فى هذا المضمار ، لمواجهة مطالب البلاد المتزايدة من اللحوم والألبان والبيض فى الغذاء اليومى للشعب .

ثالثا ــ الغابات :

هناك مصلحة حكومية تسمى مصلحة الغابات ، وظيفتها الأساسية المحافظة على موارد البلاد من الأخشاب ، وتنميتها الى أقصى حدود طاقتها . وهناك مساحة كبيرة من الغابات المحفوظة ، وتبلغ ٧٦٢٨ ميلا مربعا ، لا يسمح للأهلين باتلافها أو العبث بها . وتعتمد عليها البلاد كثيرا كمورد للأخشاب .

وللمحافظة على الغابات أيضا أغراض وقائية ، فضلا عن أغراض الاستغلال ، مثال ذلك أنها توفر الظل والرطوبة اللازمين لزراعة الكاكاو ، وتمنع تعرية التربة وتآكلها بفضل الغطاء النباتى الكثيف ، الذى يحول دون تعرض التربة مباشرة لعوامل التعرية .

وقد بدأت الأخشاب تستعمل محليا فى صناعة الأثاث وأعمال الحفر ، وبذلك أدخلت صناعة جديدة الى البلاد .

رابعا ــ صيد الأسماك :

يصاد السمك أساسيا من المحيط

ويستعمل فى الصيد نوع من القوارب يعرف بالكانو – يمثل جذع شجرة محفور . ويبلغ وزن السمك الذى يصاد سنويا ٢٠٠٠٠ طن ، يستعمل فى صيدها ٨٠٠٠ قارب . وينتشر الصيد على طول الساحل كله .

وفى سنة ١٩٥١ وضعت خطة لتحسين طرق الصيد ، فأنشىء لهذا الغرض حوض لبناء قوارب الصيد البخارية السريعة فى ميناء سيكوندى، والنية متجهة الى انشاء أسطول حديث للصيد ، يقوم بهذه المهمة على أحدث الطرق المعروفة فى العالم .

ويحد من استعمال الأنهار الداخلية فى أعمال الصيد وجود طفيليات فى الماء تصيب الصيادين ببعض الأمراض، وقد بدأت بالفعل أبحاث تهدف الى وقاية الصيادين من التعرض لهذه الأمراض ، عندما يخوضون فى مياه الأنهار .

خامسا – التعدين :

والتعدين فى المرتبة الثانية من انتاج البلاد بعد الكاكاو مباشرة ، وهو مورد هام للثروة فى البلاد . وتصدر غانا الذهب والمنجنيز والماس وخام الالومنيوم المعروف باسم بوكسيت .

والذهب : أقدم مواد التعدين فى البلاد ، وكان فى الماضى – قبل أن تنتشر زراعة الكاكاو – أهم الصادرات ومنه اشتق الاسم القديم للدولة « ساحل الذهب » . غير أن تعدين الذهب يتعرض فى الوقت الحاضر لبعض الكساد ، بسبب ارتفاع تكاليف الانتاج مع بقاء سعر الذهب ثابتا ، ولذلك لجأت الحكومة الى بذل المعونة المالية لمنجمى الذهب ، حتى يستطيعوا الاستمرار فى مزاولة صناعتهم الهامة

أما **المنجنيز** : فتعتبر غانه من أهم بلاد العالم المنتجة له ، وقد صدرت منه فى عام ١٩٥٥ أربعة وخمسين ألف طن !

والماس : يوجد فى الاقليمين الغربى والشرقى ، وتقوم باستغلاله شركات التعدين ، وكذلك بعض المولين من الوطنيين .

والبوكسيت : الذى يستخرج منه الألومنيوم ويوجد خاما بكميات كبيرة، ولم يستغل من مناجمه حتى الآن سوى منجم واحد ، وستستغل بقية المناجم بعد تنفيذ مشروع نهر الفولتا لأن ذلك المشروع سيمكن من استخلاص المعدن من الخام محليا .

مشروع نهر الفولتا :

هذا المشروع هو بلا شك أهم المشروعات الصناعية فى غانه ، اذ تعول عليه البلاد كثيرا فى تصنيعها ، كما تعتمد عليه فى تخليصها من الاعتماد على محصول الكاكاو كمورد رئيسى للدخل القومى .

والمشروع عبارة عن بناء سد ومحطة لتوليد الكهرباء من مساقط المياه ، ومن بين أوجه الاستفادة من هذه الطاقة الكهربائية المولدة استعمالها فى ادارة مصنع الالومنيوم ، وتصميم المصنع الأخير يسمح بانتاج ٢١٠٠٠ طن من المعدن سنويا .

وقد شكلت منذ سنوات لجنة فنية لدراسة مشروع نهر الفولتا . فقررت صلاحيته من الوجهة الاقتصادية ، وامكان تنفيذه عمليا .

وسيترتب على تنفيذ المشروع تكون بحيرة كبيرة يمكن الاستفادة منها فى أغراض الصيد ، كما يمكن الاعتماد عليها فى مد مدينة أكرا بالمياه .

المرافىء :

ليس لغانه فيالوقت الحاضر مرافىء عميقة تصلح لرسو السفن الكبيرة . ولذلك شرع فى انشاء مرفأ عميق كبير ، ومدينة ساحلية جديدة بناحية تما Tema على بعد ١٦ ميلا شرقى أكرا . وبدىء فى تنفيذ هذا المشروع عام ١٩٥٤ ، ولا يزال العمل حتى الآن جاريا فيه بهمة كبيرة . والغرض من انشائه مواجهة التوسع التجارى والصناعى الذى تقبل عليه البلاد فى عهد نهضتها الجديدة .

الطرق :

هناك شبكة من الطرق الحديثة المرصوفة ، موزعة فى سائر أرجاء غانه ، وهى طرق جيدة من الطراز الأول . وقد أنفق على انشاء هذه الطرق فيما بين سنتى ١٩٥٢و١٩٥٥ عشرة ملايين من الجنيهات ، أى بمعدل ثلاثة ملايين من الجنيهات سنويا . وهناك فى الوقت الحاضر أكثر من ١٣٠٠ ميل من الطرق المرصوفة ، شريانها الرئيسى هو ذلك الطريق الذى يربط أكرا فى الجنوب بكوماس فى الوسط ، ثم يمتد حتى تمالى فى الشمال .

السكك الحديدية :

تم حديثا انشاء عدد من خطوط السكك الحديدية ، أفادت كثيرا فى تقريب المسافات بين البلدان .

الاستقلال والوضع السياسى :

كان ساحل الذهب حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، مستعمرة انجليزية ، وبعد الحرب بدأت البلاد تطالب بالاستقلال والحكم الذاتى . واستمر كفاح الشعب حتى ٦ مارس سنة ١٩٥٧ ، حين أعلن استقلال ساحل الذهب ، وضمت اليه توجولاند التى كانت تحت الوصاية البريطانية ، وألفت منهما دولة غانه المستقلة الجديدة ، التى تعتبر أحدث عضو مستقل فى الكومنولث .

وفى داخل غانه يوجد جهاز من الحكومات المحلية على النظام الزعامى، ولكل حكومة زعيم هو رئيسها ، أما أعضاؤها فيختار بعضهم الزعيم بنفسه ، وينتخب معظمهم الأهلون . ويدين الناس بالولاء والاحترام والتقديس لزعيمهم .

وتتكون الحكومة المركزية من عدد من الوزراء كلهم من الوطنيين ، وهناك مجلس نيابى واحد ، اسمه « المجلس الوطنى » National Assembly ، وهو يتكون من رئيس و ١٠٤ من الأعضاء يختارون بالانتخاب المباشر بطريقة الاقتراع السرى بين البالغين ، وتجرى الانتخابات لهذا المجلس مرة كل خمس سنوات .

الأحزاب :

توجد فى غانه ستة أحزاب سياسية هى التى اشتركت فى انتخابات سنة ١٩٥٦ ، وأهم هذه الأحزاب حزب الاتحاد CorvensionPeople الذى يرأسه الدكتور نكروما ، وله ٧٢ مقعدا فى البرلمان ، وقد سجن زعيمه نكروما مع عدد كبير من أتباعه بسبب كفاحهم الوطنى ضد المستعمر عدة سنين ، وكانت التهمة التى وجهت اليهم هى التمرد على الحكومة ، والعمل الايجابى ضدها . وقد شهدت مدينة أكرا يوما تاريخيامن أيامها عندما أفرج عن نكروما ورفاقه من نزلاء قلعة جيمس .

والحزب الثانى ، هو حزب الشعب الشمالى ، وله ١٥ صوتا فى البرلمان ، ثم حزب الحركة الأهلية التحررية وله ١٢ صوتا ، ومؤتمر توجولاند ، وله صوتان . ومنظمة اتحاد الشباب ولها صوت واحد ، وحزب الاتحاد الاسلامى ، وله صوت واحد كذلك ، والمستقلون ولهم صوت واحد .

الشخصية الافريقية

ترى ما الذى يتخيله الانسان عندما يسمع هذا التعبير المألوف الدارج **الشخصية الافريقية ؟** . قل من يفكر منا انه كائن متآلف تتمثل فيه أبرز مميزات الشعب الافريقى فى جميع أجزاء قارتنا الشاسعة المترامية الأطراف ، ان هذا التعبير ليحمل الينا ــ رغم ذلك ــ شيئا ملحوظا ملموسا .

وفى رأيى ان احسن تعريف للشخصية الافريقية يمكن أن تجده فى كلمات « **توم مبويا** » عندما خطب فى مؤتمر الشعوب الأفريقية وقال : « **ان افريقية كلها تتحدث بصوت واحد ولسبب واحد ومن اجل هدف واحد تسعى وتصمم على تحقيقه وهو الحرية** » . وعندما يتفهم الافريقى معنى كلمات **توم مبويا** هذه ويدرك معناها تكون الشخصية الافريقية قد تبلورت وتكونت ، فان الشخصية الافريقية مرادفة للحرية الافريقية .

ولقد أمن الدكتور **نكروما** رئيس وزراء غانه على كلام الزعيم **توم مبويا** عندما قال فى المؤتمر نفسه : « **ان افريقية قارة قائمة بذاتها فهى ليست امتدادا لأوروبا ولا لغيرها من القارات ومن أجل هذا نريد أن نكون مجتمعنا الخاص بنا وشخصيتنا الافريقية التى ننفرد بها** » وفى الواقع أن هذين المؤتمرين الافريقيين اللذين أثارا اهتمام العالم كله ولفتا انظاره سوف تقل قيمتهما بل ستنعدم ان لم يكن من وراء عقدهما تحقيق الحلم الكبير ، وهو خلق الشخصية الافريقية ، والكيان الافريقى .

لقد كان الغرض من عقد هذين المؤتمرين هو بدء عهد جديد فى تاريخ قارتنا ، عهد تحرر من قيود الاستعمار ، عهد وحدة شعوب افريقية ، عهد استعادة القارة الافريقية متحدة متكاملة بعد طول ما عانت من التفرق والانقسام عهد تحقيق الحرية والاستقلال لقارة افريقية والكرامة والمجد للافريقيين .

لقد حدث تجزىء افريقية ــ كما هو معلوم ــ فى مؤتمر برلين المشئوم المنكود عام ١٨٨٦ ، فقد اقتطع هذا المؤتمر اقساما من جسم افريقية جعلها اشلاء ثم وزعها على الدول الاستعمارية المختلفة التى استأثرت كل منها بعائلات وقبائل وشعوب جعلت منها مستعمرات خاصة منعزلة ، بالرغم من انها كلها من اصل واحد وتشترك جميعها فى العادات والثقافة والتقاليد .

وفى **أكرا** اجتمعت هذه الشعوب الافريقية لتسأل الدول الاستعمارية نفسها ــ التى سبق أن قسمتها وعبثت بوحدتها وقطعت أوصالها ــ أن تجلو عنها ، وتتركها لأبنائها لأن الشخصية الافريقية قد أفاقت من غفوتها وتنبهت من غفلتها بعد كل هذه السنين وهى الآن تصر على اجلاء المستعمر من ارضها ، لأن نتيجة الجلاء المباشرة هى خلق الشخصية الافريقية ودعمها .

ان بعض أعداء أفريقية والعاملين ضدها يثبطون عزائمنا ، ويفتون فى عضدنا بقولهم ان آراءنا ليست عملية، وبمعنى آخر ان **الشخصية الافريقية** لا يمكن تكوينها ، وابرازها الى حيز الوجود ، ولكنا نتساءل : اليس للأمريكيين شخصية الأمريكي العادى، فلم لايكون لنا مثلهم شخصية الافريقى؟ الم تتكون الولايات المتحدة الأمريكية أول ما تكونت من ثلاث عشرة ولاية ؟ وهى اليوم تتألف من خمسين ! واذا كانت أمريكا قد جمعت كل الولايات المختلفة معا فلم لا نستطيع نحن أن نتجمع ونتكتل ونكون الولايات المتحدة الافريقية ! وفى الاتحاد قوة .

ان التنافس الآن على أشده بين الكتلتين الكبيرتين فى العالم ، وكل منهما تريد أن تحمل افريقية على الانضمام اليها والسير فى فلكها ، وهذا التنازع على انحياز افريقية الى جانب من الجانبين المتنافسين المتخاصمين قد جربناه فى الماضى وخبرنا نتائجه ، ولن نسمح للتاريخ بأن يعيد نفسه بل اننا سننجح لا محالة فى دعم كياننا الذاتى وتكوين شخصيتنا الافريقية المستقلة، فتقل بذلك أسباب نشوب الحرب ، وبهذا ستنجح افريقية فى احلال السلام والوئام محل الخصام .

لقد صدق السير رايدر هاجرتى عندما قال : « انه يخرج من افريقية شىء جديد » . أجل لقد استقلت فى افريقية دولتان هما غانه وغينيا ويحدوهما الأمل فى دعم الكيان الافريقى، وابراز الذاتية الافريقية ، باتحادهما معا كنواة لاتحاد عام يشمل كل افريقية، وستبرز الشخصية الافريقية وتصبح حقيقة ثابتة محسوسة ملموسة كنتيجة لاتحادهما .

ان هذه الشخصية يمكن مشاهدتها حية تسعى وتعمل بين الافريقيين فى أروقة هيئة الأمم المتحدة ، فلقد كونت الدول الافريقية فى هيئة الأمم المتحدة وحدة فى الرأى لها شأنها الذى سيزداد قوة بعد انضمام الدول الافريقية الأخرى . التى ستحصل ولابد على استقلالها فى المستقبل القريب .

وبهذه الكيفية سيصبح لأفريقية كيان ذاتى قوى ، له صوته المسموع فى الشئون الافريقية والشئون العالمية على حد سواء ، كيان ذاتى قادر على العمل لفائدة الكل وخير الجميع ، يحارب الظلم حيثما يقع ، ويمنع الدول الكبرى من استعباد الدول الصغرى ، واستغلالها سواء فى افريقية أو فى العالم الخارجى .

ولألخص هنا بعض المبادىء والأهداف التى تتميز بها الشخصية الافريقية ، فهى تحس العطف والمحبة لجميع الناس على اختلاف أجناسهم، ولا تحمل حقدا لأحد ، تهدف الذاتية الافريقية الى تحقيق العدالة ومساعدة الضعيف وتعليم الجاهل ونصرة المظلوم ، وتحرص على صيانة الحقوق الانسانية الأساسية للبشر جميعا ، وتعمل لتحقيق السلام فى العالم ؛

ولأن **الشخصية الافريقية** قد ولدت ونشأت ونمت وترعرعت بين التجارب والمحن فى الماضى والحاضر ، فانها لتدرك تمام الادراك ضخامة مهمتها ، واهمية دورها الذى يجب ان تقوم به ، حتى تحقق هذه الأهداف النبيلة ، وتساهم فى تحقيقها .

« مترجمة عن الانجليزية »

ذكريات الخرطوم

سمراء ما زال الحنين اليك مشبوب الفكر
وعلى جبينى من حنانك راحة ظلت تمر
وبقية من ذكريات عالقات بالبصر
.. عن أعين سوداء يبرق فى تأملها الحذر
عن عالم فى قبضة الشمس العنيدة ينصهر
.. تتسلق الجدران والأبهاء فيك خطى الزهر
ويكاد يورق فى لياليك المحجبة .. الحجر
فبقلب هذا المنجم المسود شعب مزدهر
رفع الجباه . وسار منداحا كفجر من صور
فاذا السلام على الوجوه . وفى أسارير النهر !

* * *

غنيت تحت ظلالك الهدباء أسراب الطفوله
كانوا فراشات حيارى يمرحون اليوم طوله
يتواثبون كما تواثبت الأغاريد الجميلة
ويزخرفون الحائط الممتد بالصور الهزيله
. . . . مازلت أذكر بينهم طفلا يتيما كالخميله
لم يحم صفحة وجهه بيديه من كفى الثقيله
فيداه فوق قميصه المخروق تلتمسان حيله
واذا بشرثرة العيون تذيب فى عبث نحوله
حتى اذا ما قطعت من روحه قطعا خجوله
ترك «القميص» لكى يغطى جرح أيام ذليله !!

* * *

أنا لست أنسى ليلة عذراء ساجية الجفون
قد سرت فى أهدابها دمعا جريحا مستكين
متذكرا فى قريتى نبضا من البذر الدفين

والقمح يقفز في وشاح شـاحب رطب الرنين
واذا بنخل بين ((شمبات)) (١) يهرم في العيون
وقرى تنام مع البـذور على جفون الكادحين
والجدة العجفاء تروى والصـفار يحملقون
وعلى الروابى من حداء الراحلين شذى حزين
. . احسست أنى فى قرى مصر أدور على حنين
فهويت احتضن التراب بما ملكت من السنين

* * *

فى هذه الأرض السخية عشت عمـرا مخصبا
أسرعت خلف غزالهـا حتى ترامى متعبـا
وسمعت ((دوبيتا)) (٢) تغنى باللقـاء ورحبا
ورقصت رقص الحرب مهتاجا . عنيفا . مغضبا
وعلى صدى((دلوكة)) (٣) قد هب عمرى واثبا !
. . ومع ((النوير)) (٤)وقفت مشدوه التأمل معجبا
فهم الوجود الطفل يخطر فى البراءة لاعبـا
ايامهم للصـيد والمرعى الذى قد أعشـبا
وصباحهم أكواب خمر أترعوها بالصـبا
حتى اذا ما أفرغـوها حطموها . . . مغـربا !!

* * *

أحبيبتى السمراء يا تهويمة الفجـر النـدى
قالوا ((لقد أضحى الهوى والود غير مورد !))
فهتفت هذى كفك السـمراء تحضنها يدى
وهواى فى عينيك امـا رائح أو مغتـدى
ألقـاه فى مرح الحقول . وفى ظـلال الموعد
ويرى بحقـل نائم متوسـد بالسـاعد
وبسنبل ذهب الأصـيل بجفنه لم يعقـد
وبكرمة شفت عن السـاقى وكأس مجهـد
. . . هذا هو الحب الذى سيظل (أو فى) مورد
من أجله نحيا بقلب خافق متوحـد . . . !

(١) ضاحية بجوار الخرطوم .
(٢) نوع من النظم كالموال فى مصر .
(٣) نوع من الطبول .
(٤) قبيلة فى جنوب السودان .

السودان في صور

سعد العالم العربى بالاتفاقية التى تمت اخيرا بين الجمهورية العربيـة المتحدة ، وجمهورية السودان ، وقد غمرت الفرحة أبنـاء الجمهوريتين ، ولعل البرقيتين المتبادلتين بين الرئيس ((**جمـال عبـد النـاصر**)) والفريق ((**ابراهيم عبود**)) أكبر دليـــل على الروح الجـــديدة التى ســـادت بين الجمهوريتين .

فقد تلقى الرئيس ((**جمـال عبد الناصر**)) البرقية الآتية :

((لقد عاد وفدنا وهو يلهج ثناء وتقديرا ، على ما أوليتموه من حفاوة وتكريم ، وما لمسه من فخامتكم ، ومن زملائه رئيـس وأعضـاء الوفد من روح أخوى كريم أثناء المباحثـات ، وانى انتهز هذه الفرصة لأعرب باسم المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، ونيابة عن الشعب السودانى المبتهج بهذه المناسبة عن أصـدق المشاعر الأخوية لفخامتكم ، وللشعب العربى الشقيق ، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لخـير ورفاهية الشعبين ، واشاعة المودة والتعـاون بين العرب أجمعين)) .

كما تلقى الفريق ((**ابراهيم عبود**)) البرقية الآتية :

((لقـد كان أعز أمانينا أن يلتقى بوفـد السودان الشقيق ، وان يرى الوفد بنفسـه عميق المشاعر التى يحتفظ بها شعب الجمهورية العربية المتحدة تجاه بلدكم العزيز . ولقـد كان من دواعى سعادتنا احساسنا بأن وفدكم حمل الينا معه من النوايا الطيبة مايؤكد اصالة العلاقات بين شعبينا ، والروابط الخالدة التى تجمع بيننا منذ أن كان التاريخ)) .

.. أنهما بلا شك وثيقتان من وثائق الصلة الدائمة الأبدية بين البلدين .

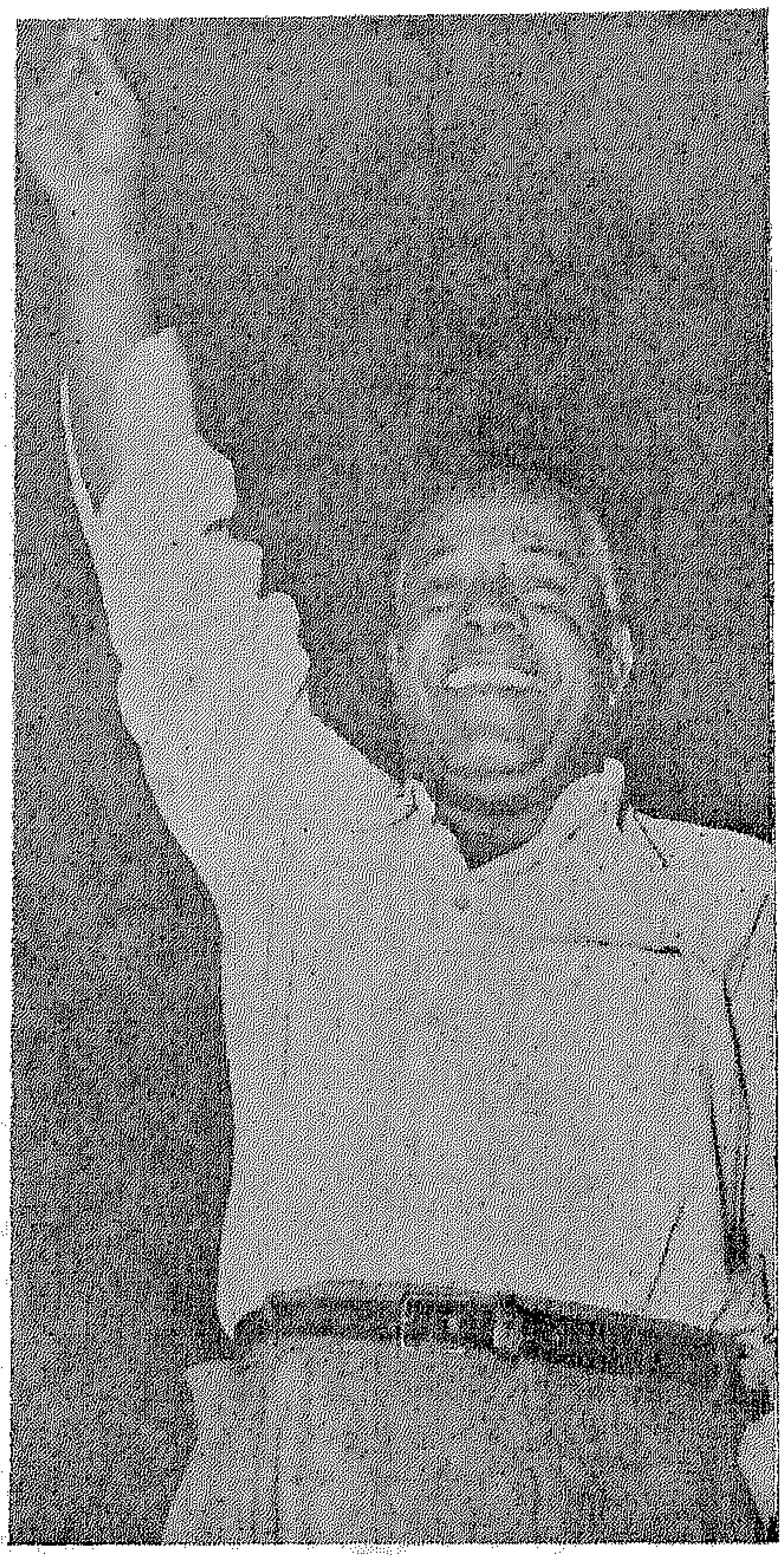

الفريق ابراهيم عبود

رئيسا وفدي المفاوضات

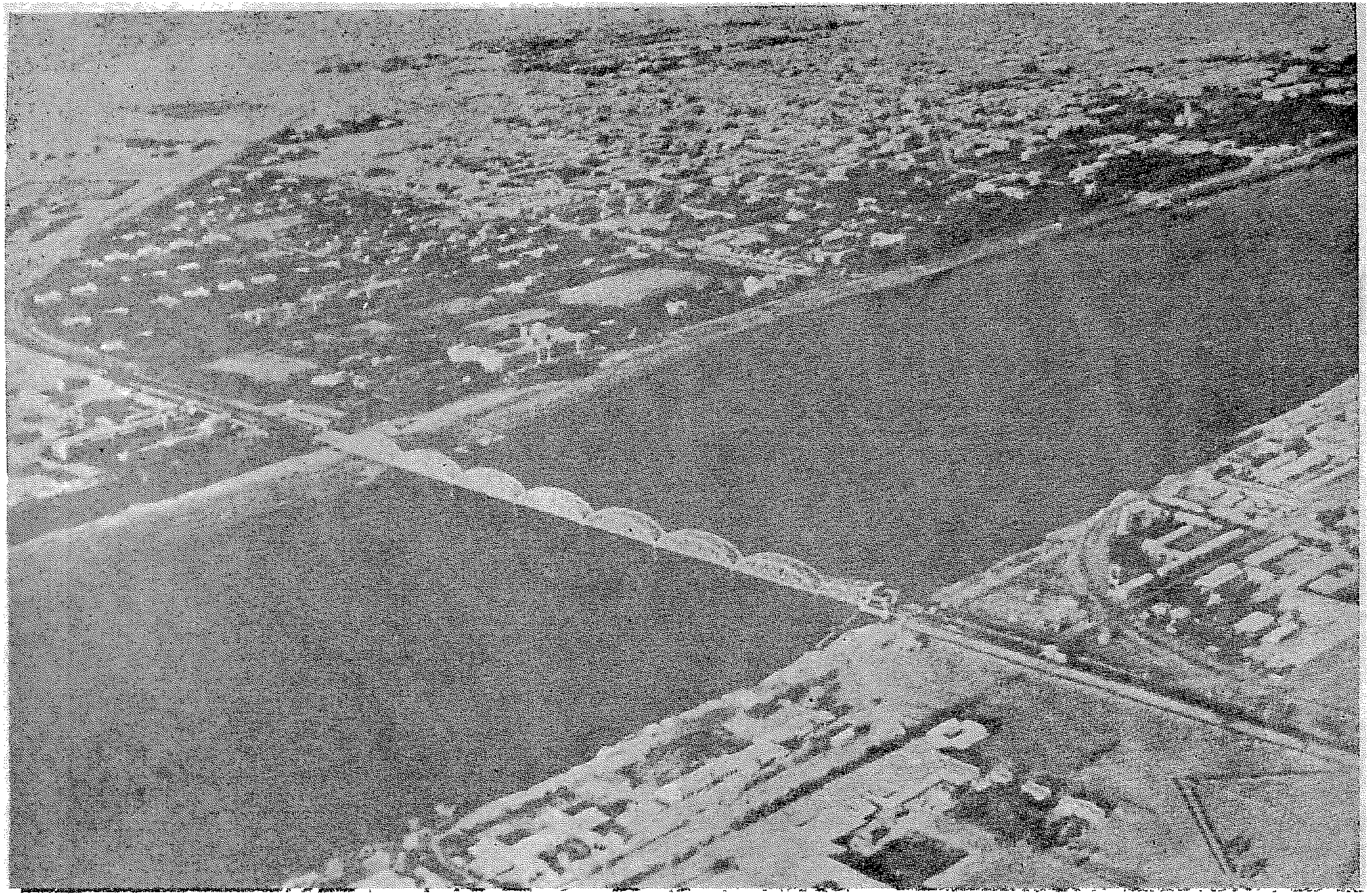

النيل الأزرق

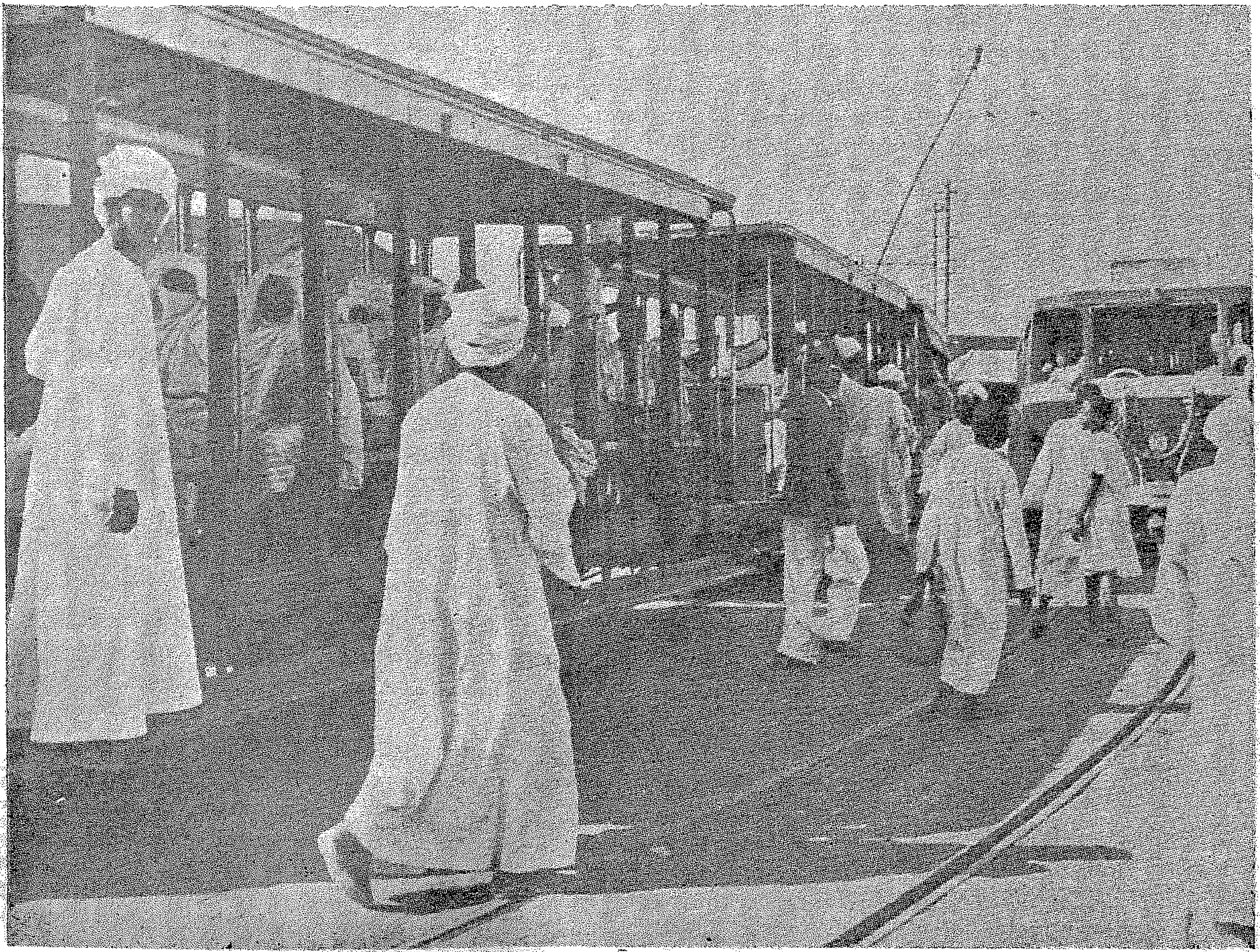

من مظاهر الحياة فى الخرطوم

من القصص السوداني

« أولاد السمكة »

بقلم الأستاذ عباس خضر

تكورت الجدة العجوز على عنجريبها الذى نسج سطحه من حبال الليف ، والتف حولها أحفادها ينتظرون صامتين فى شوق ما ستحكيه لهم من الأحاجى (الحواديت) ..

بدأت الجدة بجملتها التقليدية التى تعلن بها أنها ستقص « حجوة » أى حدوتة :

ـ حجيتكم ما بجيتكم ..
ـ خيرا جانا وجاك .

قالت الجدة فى صوت كله حنان وعطف :

كان للملك ((**ابن النمير**)) زوجة يحبها حبا شديدا ويؤثرها بعطفه وعنايته ، مما جعل زوجاته الأخريات يغرن منها ويتفقن على تدبير المكايد لها والعمل على تنفير زوجها منها .

أظهرت الزوجات الضرائر ودهن وحبهن الزائف للزوجة المحبوبة ، وكانت هى سمحة النفس طيبة القلب فانخدعت بما يبدين لها ، ووثقت بهن الى حد أنها صدقت ما زعمنه من أنها ولدت .. مكنسة !

فقد أحطن بها فى أثناء ولادتها ، وأخفين عنها مولودها الحقيقى وأرسلنه مع احدي الجواري لتلقيه في البحر ، وأحضرن مكنسة ولففنها وادعين أنها المولود العزيز .. وأبلغن زوجهن الملك بذلك ، فحزن ولكنه تذرع بالصبر ..

وولدت الزوجة الطيبة مرة ثانية ، فتكررت المأساة اذ ألقى المولود الحقيقى فى البحر ، وأتى بحجر كان هو المولود المزعوم !

وهكذا استمرت الزوجات الضرائر فى تدبيرهن السيىء ضد الزوجة الطيبة ، حتى بلغ المواليد الضحايا الذين ألقى بهم فى اليم خمسة : بنتا وأربعة بنين .

اعتادت سمكة كبيرة أن تأتى عند الشاطىء الذى يلقى منه الأطفال الأبرياء ، فكانت السمكة تبتلع كل طفل عند القائه ، حتى ضم بطنها الكبير الأولاد الخمسة ، وعاشوا فيه آمنين من كيد الكائدين وغدر الغادرين ، يأكلون مما تأكله السمكة وتختزنه فى بطنها .

وظل الاطفال فى بطن السمكة الى أن شاء الله أن يخرجوا الى النور على يد صياد اصطادها وباعها فى المدينة لاحد الفقهاء ، وكان الفقيه فقيرا وله أولاد كثيرون يكد فى سبيل الحصول على رزقهم ، وقد فرح بالسمكة الكبيرة

التى سيشبع منها أولاده وخاصة أنه اشتراها بثمن زهيد .

ذهب الفقيه بالسمكة الى بيته ، ففرح بها الاولاد فرحا عظيما والتفوا حولها يداعبونها مسرورين زائطين .. وقد وضعتها زوجة الفقيه فى طشت كبير مملوء بالماء .

ثم فتحوا بطن السمكة .. فهالهم منظر الاطفال وهم يخرجون منـه .. وصاحت الزوجة فى فزع :

ـ ما هذا يا ربى !

فقال الزوج :

ـ هذا فضل من الله .

ـ فضل من الله ! هل تنقصنا العيال !!

ـ اسكتى يا امرأة ، واستغفرى الله .. ان الله يرزقنا واياهم .

وفعلا تيسرت أسباب الرزق للفقيه وانهالت عليه الخيرات من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم . وفرح هو وزوجته بالاطفال الذين أتى الخير على قدومهم .

وكبر الأولاد الأربعة وكبرت البنت معهم وقد سماها الفقيه فاطمة وكانت ذات حسن وجمال . وعاشوا زمنا فى سعادة واطمئنان ، ولكن حدث يوما أن تخاصم أكبر الاولاد مع بعض أترابه ، فقال له هذا : يا ابن السمكة !

وصار الاولاد الآخرون يقولون لهم كلما أرادوا أن يغيظوهم ويعيروهم :

ـ يا أولاد السمكة !

وذات يوم أتى الولد الاكبر الى الفقيه باكيا ، وتوسل اليه أن يخبره بسر هذه التسمية ، وهل هم حقيقة أولاد سمكة ؟! فما كان من الفقيه الا أن أخبره بالحقيقة . فأقسم الولد أن يذهب باخوته بعيدا عن أعين هؤلاء الذين يحتقرونهم ويذلونهم الى حيث يبدأون حياة جديدة .

سار الأولاد الخمسة حتى وصلوا الى غابة كثيفة الأشجار فنزلوا بها ، وأنشأوا لهم كوخا من ورق الأشجار وفروعها . وكان الاخوة البنون يذهبون الى الصيد أما البنت فكانت تمكث فى الكوخ تهيىء لهم الطعام وترعى ما استطاعوا تأنيسه من الطيور والحيوان ، و كانت اذا خرجت تتنكر فى زى رجل عجوز وكانت كثيرا ما تذهب الى الغدير القريب لتسقى حيوانها وتملأ جرتها بالماء . وكانت أحيانا تتجرد من زيها فيبدو جمالها الفاتن وتنزل الى الغدير لتستحم فيه ، فتبدو كالزهرة البرية نضرة جميلة لا تشوبها شوائب المدنية المصطنعة .

وذات يوم رآها عبد من عبيد السلطان ، الذين اعتادوا الصيد فى مجاهل تلك الغابة البعيدة ، وقد تخلت عن زى التنكر ، فسحره جمالها ، ولدهشته لم يستطع أن يكلمها ، فذهب الى سيده وأخبره بأمرها . فأراد السلطان أن يتحقق من صحة الامر ، فأرسل عبدا آخر لهذا الغرض وكان هذا العبد لا يحسن النطق فزاده جمال الفتاة تلعثما فى الكلام . ولما عاد لم يفهم منه **ابن النمير** شيئا ، فقرر أن يذهب بنفسه ليتحقق ما قاله العبد الاول .

ذهب السلطان الى الغابة واختفى وراء شجرة كبيرة قريبة من الغدير . وظل مختفيا يرقب الطريق حتى رأى رجلا عجوزا مقبلا يتجه نحو الغدير ، فلما وصل اليه تجرد من زيه ، وظهر على حقيقته فتاة رائعة الجمال هى فاطمة ..

ونزلت فاطمة الى الغدير لتستحم ، وابتعد السلطان عنها حتى خرجت ولبست ثيابها وتزيت بزى الرجل

العجوز ، وعندئذ تقدم منها وحياها ولم يظهر لها أنه عرف حقيقتها .

ثم عرض السلطان على ((**الرجل العجوز**)) أن يعمل بستانيا فى قصره ، فقبل قائلا :

ـ اننى يا ملك الزمان صاحب عيال وأولادى يعيشون فى كوخ بالغابه ولا بد أن أعود اليهم اخر النهار وأقضى الليل معهم .

وقال السلطان : لك ذلك أيها البستانى العجوز .

وجعلت فاطمة تعمل فى بستان السلطان فى شكل الرجل العجوز ، وكان السلطان يذهب اليها كثيرا ويحادثها متلطفا معها ويغمرها بالهدايا التي كانت تعود بها الى اخوتها فى المساء . وكان يشعر نحوها بالحب ولكنه يكتم عواطفه حتى تحين الفرصة .

وكان يرقبها من نافذة القصر وقت الظهيرة ، وعندما تجد نفسها منفردة فى البستان ولا أحد يراها تتجرد من زى الرجل العجوز وتبدو فى جمالها ومحاسنها . فيهم بأن ينزل اليها ويفاجئها ، ولكنه يضبط نفسه حتى لا يخجلها .

واستمر الحال على ذلك حتى زاد الوجد بالسلطان ، فسار وراءها ذات يوم متخفيا بحيث لا تراه ولا تعرفه وهى عائدة الى الكوخ فى الغابة ، حتى وصلت الى اخوتها الذين كانوا ينتظرونها . وبعد برهة أقبل عليهم وحياهم ، فردوا تحيته وأكرموه ، ثم عرفهم بنفسه ، وعرفته فاطمة فدهشت لمجيئه ، ولكن الأمر انكشف لها عندما سمعته يخطبها من أخيها الاكبر ...

وانتشر نبأ خطبة السلطان بالمدينة وعمت الافراح أهلها الا شخصا واحدا لم يرحب بهذا النبأ .. هى تلك الببغاء التى كانت تعمر أحد أركان البيت..

لقد أخذت تردد كلما رأت السلطان قادما :

((**ابن النمير يريد أن يتزوج ابنته !**))

ولم يعر السلطان ذلك التفاتا أول الامر ولكن لما تكرر ذلك القول من الببغاء انتبه السلطان واهتم .. فسأل الببغاء عما تقصده بهذه العبارة التى ترددها ، فأخبرته الببغاء بأن خطيبته ما هى الا ابنته ..

ذلك أن السلطان ما هو الا ابن النمير زوج المرأة الطيبة المسكينة التى كادت لها ضراتها فزعمن أنها تلد مكنسة وحجرا ... الخ ، واستطعن بذلك أن ينفرن ابن النمير منها ويحملنه على هجرها واهمالها ، فلما بلغن ما أردنه بكيدهن ظهرن لها على حقيقتهن وجعلن يعيرنها ، مرة بأنها ((أم مكنسة)) وأخرى بأنها ((أم حجر)) ... الخ . ولما لم تجد لها صديقا أو أحدا تركن اليه خرجت من القصر ذات ليلة ولم تعد .

ولما علم الولد الاكبر بقصة أمه تذكر امرأة كان يراها هائمة على وجهها فى الغابة ، وكان يسمعها أحيانا تردد :

((يا بنتى يا مكنسة .. يا ابنى يا حجر !)) .

وأدرك الآن سر نظرتها الحنون اليه ، وسر شعوره نحوها بالعطف والاشفاق حتى كان يذهب اليها بالطعام وهو لا يعلم بأنها أمه ..

تذكر الولد الاكبر ذلك ، فراح يبحث عن أمه فى الغابة حتى وجدها ، وعاد بها الى قصر والده ابن النمير .

فسر ابن النمير سرورا عظيما بعودة زوجته الطيبة ، وندم على ما كان منه من اهمالها وهجرها .

واجتمع شمل الزوجين وأولادهما وفرح الجميع بذلك ، وأخذت الببغاء تغرد صائحة كلما رأت ابن النمير :

((**يا ابن النمير .. جاك الخير ..**))

أثر السياسة الاستعمارية فى التعليم

للأستاذ على شلش

لعل عبارة « جوبلز » وزير دعاية هتلر : ((**كلما سمعت كلمة الثقافة ، تحسست مسدسى !**)) تكون مفتاحا لمشكلة التعليم والثقافة ، ووضعها بالنسبة للسياسة الاستعمارية . ذلك لأن الثقافة والتعليم عاملان جوهريان فى تحديد رقى الأمة ووعيها ، فما بالنا اذا كانت الأمة مغلوبة على أمرها ، واقعة تحت السيطرة والاستغلال .

والواقع أن عبارة جوبلز ليست سوى انعكاس مركز لما يقوم به الاستعمار ازاء تعليم أصحاب الأرض التى يفرض عليها سيطرته .

واذا كانت أفريقية هى « الجبهة الأخيرة » للاستعمار ، كما قال جون جنتر ، فانها تعرف هذه المشكلة وتكابدها ، منذ فرض الرجل الأبيض نفسه وصيا على مصالحها ، وقيما على قدراتها . والسياسة التعليمية فى البلاد الأفريقية المستعمرة ، ما كانت يوما غير نابعة من السياسة الاستعمارية نفسها .

ولعل من المفيد هنا أن نتناول مشكلة التعليم بقصرنا الحديث على الجهات التى ما زالت واقعة تحت السيطرة الاستعمارية ، مسقطين من حسابنا الدول التى نالت استقلالها أخيرا . ذلك أن المشكلة تبدو حادة عنيفة كلما توغلنا فى جنوب القارة ، ويخيل لى أنها مرتبطة أوثق الارتباط بمشكلة التفرقة العنصرية ولذلك نراها فى جنوب افريقية ونيجيريا وأوغنده ، أكثر مما نراها فى مكان آخر .

وتهدف السياسات التعليمية التى يضعها المستعمرون الى تربية السكان الوطنيين تربية تضمن تنشئتهم على الطاعة العمياء والذلة ، كما ترسم هذه السياسات على أساس بث روح الخضوع والاستسلام للرجل الأبيض الذى يصور فى المناهج التعليمية على أنه المنقذ الفذ الذى ادخرته العناية الالهية للأخذ بيد الأفريقيين ، ومعاونتهم وتحضيرهم !

يقول أحد تقارير اللجنة المشتركة لتعليم الوطنيين فى اتحاد جنوب افريقية :

((**ان الهدف من تعليم الوطنيين فى أفريقية ، ينبغى أن يختلف تماما عن الهدف من تعليم الاوروبيين . فاننا نعلم الطفل الأبيض لنعده للحياة فى بيئة خاضعة مستسلمة !**)) .

كذلك ذكر وزير شئون الوطنيين فى عبارة كتبها عام ١٩٥٣ : ((أنه

لا جدوى من تدريس الرياضة لأبناء قبائل البانتو ، طالما هم لايستطيعون استخدامها فى الحياة » . ثم يضيف قائلا : « **وعلى كل حال لاينبغى المبالغة فى مسائل التعليم ، بل ينبغى أن يعطى التعليم للناس حسب الامكانيات المتاحة لهم فى الحياة »** .

هكذا يفهمون التعليم فى جنوب افريقية : أنه اذلال لصاحب الأرض الأصلى ، وتحقير من شانه ، وسلبه حقا هاما من حقوقه .

ووزارة شئون الوطنيين السابقة هى التى تطبق السياسة التعليمية فى الاتحاد ، وهى أيضا التى تطبق « قانون البانتو للتعليم » منذ عام ١٩٥٤ ، ذلك القانون الذى قدمه وزيرها بقوله « انه يتجاوب مع سياسة التفرقة العنصرية ، وانه يستهدف استجابة الأهالى لسياسة الحكومة ، ولا يؤدى الى خلق « **طبقة من المشاغبين** » . والقانون السابق يحدد عدد الأفريقيين الذين تتاح لهم فرصة التعليم ، ويضع جزاء قاسيا لمن يخالف قواعده . ويقول نيفل روبين نائب رئيس قسم الشئون الدولية فى الاتحاد القومى لطلبة جنوب أفريقية : « **أن حكومة الاتحاد تنفق على مدارس الملونين ثلث ماتنفقه على مدارس البيض . ومع ذلك فقد تقرر أخيرا جمع المبالغ التى تنفق على تعليم الوطنيين عن طريق فرض ضريبة خاصة عليهم** » . ويضيف : « **ان الحكومة قامت بالغاء المنحة الدراسية التى كانت قد منحتها لخمسة من طلبة الطب الأفريقيين** » (مجلة اتحاد الطلبة : ٢٨ يونيو ١٩٥٨) .

وكنتيجة لهذا نجد أن أربعة أخماس الشباب فى اتحاد جنوب أفريقية لا يتعلمون شيئا ، وأن نسبة الطلبة الأفريقيين فى الجامعات والمعاهد العليا لا تتعدى ٣٪ من عدد الطلبة الأوروبيين . ولذلك ليس من الغريب أن تذكر احصاءات اليونسكو أن ٩٠٪ من سكان الجنوب جهلة تماما ، تقف القوانين أمام رغبتهم فى التعليم .

وفى أوغنده مثلا ، التى يبلغ تعدادها نحو ستة ملايين نسمة ، نجد ١٦ مدرسة ثانوية فقط ، تخضع جميعها باستثناء مدرستين فى ناكاسورا وناتارا — لاشراف بعثات التبشير . (مجلة نهضة أوغنده : العدد الأول مايو ١٩٥٨) .

كما يوضح لنا الاحصاء التالى مشكلة التعليم فى بعض جهات أخرى من القارة :

من ذلك يتبين لنا كيف يعيش معظم سكان أفريقية فى متاهات الجهل ، وكيف يكذب الاستعماريون حينما يقولون : اننا فعلنا ، وفعلنا من أجل افريقية ومن أجل الحاقها بركب الحضارة . فما زال الاستعماريون يعملون بوحى ما كتبه أحد غلاتهم ، وهو « السير ايرل جراى » فى نهاية القرن الماضى فى قوله : « لعلنا نتفق على أن الانجليزى محق فى اعتبار طريقته فى النظر الى العالم والحياة متفوقة عن طريقة الماورى والهوتنتوت . وسوف لا يعارضنا احد فى مسألة بذل انجلترا الجهود فى سبيل فرض نظرتها الأرقى والأحسن على أولئك المتوحشين » .

ويلح علينا السؤال : لماذا يلجأ الاستعمار الى هذه الوسائل ؟ وماذا يفيده الحجر على التعليم ؟

الواقع أن اتباع هذه السياسات الخرقاء ، ومحاربة التعليم ، ومهاجمة الثقافة والحجر عليها ، واطلاق مسدسات جوبلز باستمرار ، كل ذلك راجع الى عدة أسباب نجملها فيما يأتي :

أولا : يخشى الاستعماريون تعلم الأفريقيين ، ويعتبرون ذلك ايذانا لهم بالرحيل ، وهم يخشون التعليم الجامعي والعالى أشد الخشية . ولذا نجد الأفريقيين الذين يلتحقون بالجامعات قلة معدودة . ولقد صدر اخيرا فى جنوب أفريقية قانون يمنع حضور الطلبة الملونين الى الجامعات التى يدرس بها الطلبة البيض فى كيباتاون مثلا ، كما يضع كلية الطب فى ناتال والجامعة الأفريقية فى « فورت هير » تحت اشراف الحكومة. ويتراوح الجزاء المقرر لمن يخالف هذه القوانين بين الحبس والجلد والغرامة.

ثانيا : يعتقد كثير من الاستعماريين أن التعليم يعطل أعمالهم ونشاطهم داخل مستعمراتهم . فهم فى حاجة الى أيدى عاملة باستمرار لامتصاص كنوز الأرض ، فمن العسير اذن ايجاد هؤلاء العمال فى حالة التوسع فى التعليم . ولذلك نجد أصحاب الشركات والاحتكارات يحاربون التعليم محاربة شديدة ، لأن المحاربة تضمن لهم وفرة الأيدى العاملة بأقل التكاليف الممكنة.

لذلك تلجأ السياسات الاستعمارية الى تحديد فرص التعليم أمام الأفريقيين وتضع أمامهم العراقيل لتضمن بقاءهم فى ظلام الجهل حتى لا يثوروا . ومع ذلك فالثورات لا تنقطع ، والانتفاضات لا تهدأ ، والروح الثورية تسيطر على الجميع معلنة أن الحرية يمكن ان تنال رغم القيود والجهل .

وقد عرفت أفريقية ، فيما عرفته من نظم تعليمية . نظاما غريبا دعم الاستعمار وسانده . ذلك هو نظام الارساليات أو « ارساليات الحضارة » كما كانوا يسمونها . فما هى مهمة هذه الارساليات ؟

ان الاحصائيات تذكر لنا أن هناك ٤٥٠٠ ارسالية أمريكية فقط تقوم بالتبشير عدا ارساليات انجلترا وفرنسا وغيرهما . وهذه الارساليات جميعها تقوم بدور خطير يتمثل فى محاربتها للفاشية الوطنيين واعلاء شأن اللغات الأوربية وفرضها فرضا ، كذلك تشويه رسالة الدين المسيحى للتأثير على عقول الأفريقيين حتى يتخلوا عن أراضيهم ، ويعتبروا أنفسهم ضيوفا على هذه الأرض . حقا لقد صدق مثل الروديسيين القائل :

« عندما جاء الرجل الأبيض كانت لدينا الأرض ، ولديه الكتاب المقدس ، أما الآن فالأمر على العكس ، لديه الأرض ، ولدينا الكتاب المقدس ! » .

ان التاريخ سوف يسطر دائما للمستعمرين أنهم حرموا الافريقيين من التعلم فترة طويلة ، وأنهم حجروا على الثقافة وزيفوها ، ومزقوا قداسة الدين ، ولكن التاريخ سوف يسطر أيضا أن مائتى مليون من البشر قد حققوا حريتهم ، وألقوا بمستغليهم فى البحر ، رغم الجهل الذى عاش فيه أكثرهم .

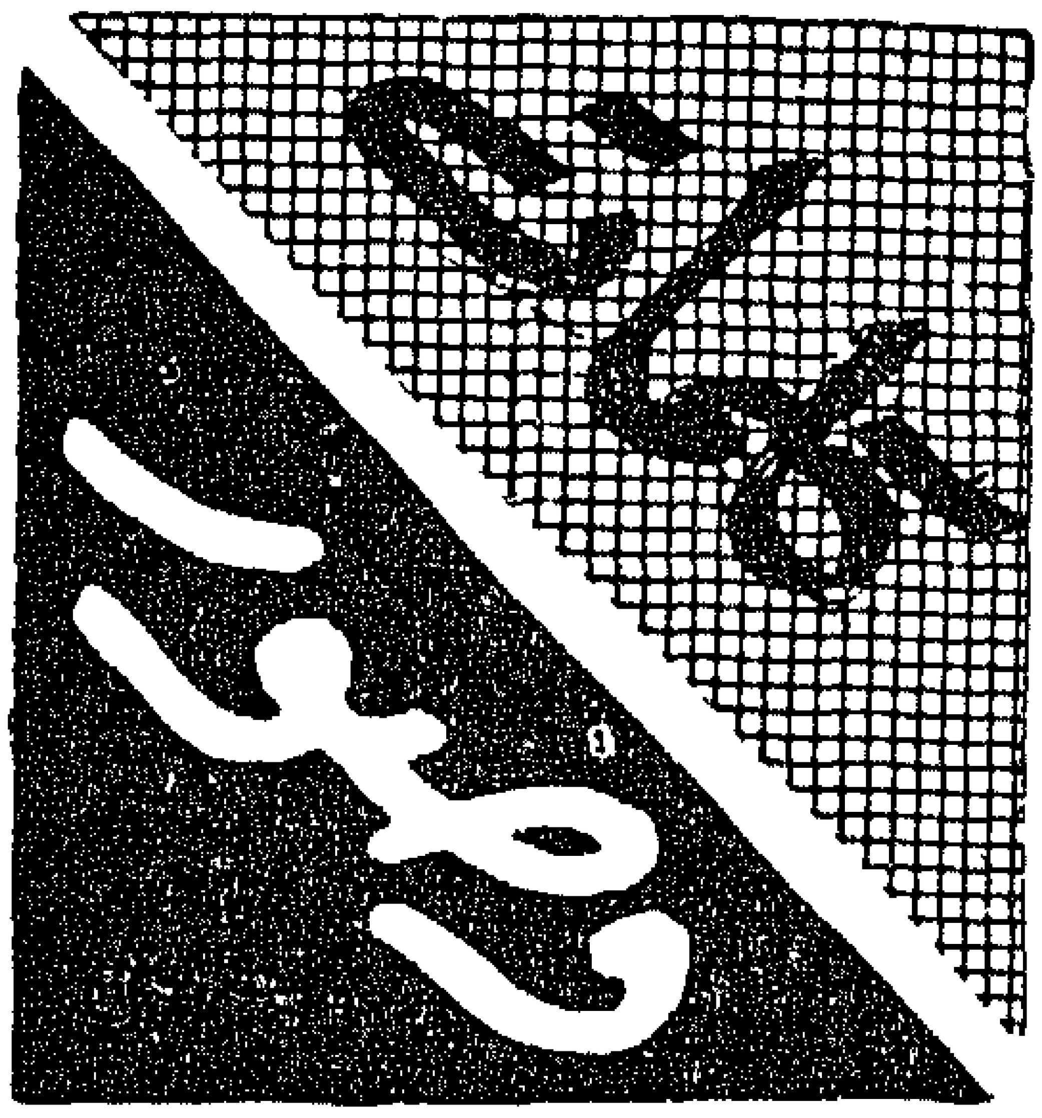

أسطورة افريقية :

لا تزال تتردد فى قرية بالقرب من ((**مريدى**)) أسطورة ((**أرانجو الساحر**)) الذى كان يخرج دائما للبحث عن السلاحف لأنه يحب لحمها أكثر مما يحب أى لحم آخر ،فقد كان ينطلق بين كل آونة وأخرى ، وعلى شفتيه ابتسامة آملة فى أنه سيجد ما يتمنى من السلاحف بين الأحجار والكهوف .

وبينما هو يفتش فى يوم من الأيام عن هذه السلاحف اذا به يكتشف ثلاثةجحور متقاربة . وقد دار فى ذهنه أنه لابد أن يغامر بالدخول فى واحد منها لعله يجد به أى نوع من أنواع الصيد ، وبدأ بالجحر الأول فدخل فيه وفى قلبه شيء من الرهبة ، ولم تزايله هذه الرهبة لأن الطريق قد امتد به داخل الجحر دون أن يجد شيئا به سوى الصمت والظلام .

وقد حاول الخروج ولكنه ضل الطريق ، فقد كان هذا الجحر الذى بدأ به يتصل بالجحرين الآخرين . ومن هنا لم يجد بدا من الجلوس ،والتفكير فى طريقة الخروج ، ولكنه ما كاد يقدح زناد فكره حتى كان النوم قد غاب عليه ، وعقد أجفانه ، وحينما أصاب شيئا من الراحة فتح عينيه ببطء ، ونظر حوله . فوجد نفسه على مقربة من مدينة يسكنها أقزام صغار لكل واحد منهم أربع عيون ولما اقترب منهم أخذ كل منهم يتوجس خيفة من الآخر .

وقد بدأهم بقوله « أين أنا الآن ؟ » فكانت اجابتهم « أموكارا باوازى أمويو » ثم سمع منهم كلمة غريبة أخرى وهى « كبى كبى » ومع أنه لم يعرف هذه اللغة فانه أحس أن الكلمة الأخيرة تتضمن معنى الشر . وقد كان صادقا فى حدسه فقد كان معناها « يسقط هذا الرجل » وزاد تأكده حينما رأى مئات منهم يقتربون منه . ثم ينهالون على رجليه بالضرب. ويحيطونها بحبل . ثم يلقونه على الأرض ، ويظل على هذه الحال مدة اربعين يوما ، يحلون بعدها وثاقه ، ويقذفونه فى مكان بعيد عن مدينتهم.

وقد غلبه النوم مرة ثانية بعد الاجهاد الذى لقيه . حتى اذا فتح عينيه مرة ثانية وجد نفسه قريبا من قريته ، فامتلأ بالسرور لأنه سيرى أهله ، وسيعيش مرة ثانية فى قريته الحبيبة .

وحين وصل الى قريته استقبله أهلها جزعين عليه ، ولكنه طمأنهم ، وقص عليهم قصة رحلته الغريبة . ثم غنى لهم أغنية قال فيها ((**ترك أرانجو المحبوب بلده ، وصار يبحث عن السلاحف مدة طالت حتى بلغت أربعين يوما ،وبالرغم من هذا فمن يرفض أن**

يعطيه سلحفاة فسيموت ! » ... ثم صمت بقية أيامه . فلم يتحدث الى أحد ، ولم يسمعه الناس يتكلم بعد ذلك أبدا . بالرغم من السنوات الكثيرة التى مضت على هذا الحادث، وقد تأثر الناس بهذا الحادث كل التأثر ، وظل المقطع الأخير من أغنيته يتردد فى قلوبهم ، ويلقى فى نفوسهم بعض الرعب . فقد كان يتوعدهم بالموت ان لم يحضروا له السلاحف التى يحبها . وبينما كان يجلس «رانجو» صامتا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة .. كانت السلاحف تنهال عليه من جميع أبناء القرية !! .

الكونغو :

من عادة الأوروبيين أنهم كانوا كلما نزلوا بلدا افريقيا أشاعوا عنه التأخر، ووصفوه بالمتوحش ، وأنه ليس هناك أمل لتقدم هذا البلد الا على أيديهم. ولا شك فى أنه لم يكن ثمة ما يبرر هذا الا امتهانهم لحقوق البلاد ، كما لم يكن الا ذرا للرماد فى عيون الرأى العام العالمى .

ونحن اذا أخذنا « الكونغو » مثلا للتدليل على هذه الحقيقة نجد أن الأوروبيين قد ذكروا الكثير من المغالطات عن تأخر الحياة فى هذه البلاد ، حتى لتكاد تشبه حياة السوائم ، ولكن الحقيقة تؤكد أن أهل هذه البلاد كانت تنتشر بينهم العدالة ، وانه كانت تحكمهم قوانين متكاملة من الناحية الاجتماعية ، وأن هذه القوانين كانت تراعى دائما مصلحة المجتمع وأنهم كانوا ينفرون كل النفور من الجريمة بكل ألوانها . فكل انسان يرتكب لونا من ألوان الجريمة التى لا يقرها المجتمع ينفى منه ، وتعلن قبيلته البراءة منه ، ومن هنا كان كل مذنب يجد جزاءه بعيدا عن المجتمع اما بالموت جوعا .. واما بالجنون .

والوان الفنون التى سجلوها على الخشب ، والعاج ، وسعف النخيل، والتى تمثل الحياة من حولهم تؤكد ذكاءهم ، وحبهم للخير ، والانسانية، واعتقادهم فى قوة خفية وراء العالم هى « الله » .

ترى ماذا أفادته هذه البلاد الثائرة الآن فى وجه المستعمرين من الحضارة الغربية التى امتصت قواهم ، وأراقت دماءهم ، وسجنت زعماءهم ؟ لعل الاجابة تكمن فى تعليمات الملك **« مانويل »** التى جاء فيها فى أوائل عهد الاحتلال :

« بالرغم من أن الهدف الرئيسى هو خدمة الله ، ومتعة الملك . فعليكم أن تشرحوا لملك الكونغو كما لو كنتم تتحدثون باسمى . أنه يجب عليه أن يقوم بملء سفننا بالعبيد والنحاس والعاج ! » .

على أن مما يطمئن النفوس اليوم حقا أن هذه السفن التى كانت تمتلىء فى الماضى بالبشر ، وبالنحاس ، والعاج. تمتلىء اليوم بالجرحى من الأوروبيين وبذكرياتهم ، ثم تقلع عن شواطىء افريقية فى صمت ، وحزن ، وخيبة!

المقربون :

لم يهتم الأوروبيون فى أول معرفتهم بافريقية بالثروات الكامنة فى البلاد ، وانما نراهم ينظرون الى البلاد كغابة

مملوءة بالمادة البشرية ، ومن هنا نراهم يوجهون همهم الى صيد الناس كالحيوانات ،ودفعهم دفعا الى ماوراء البحار . فقد كانت البرتغال فى أزمة اقتصادية ترى حلها فى جلب الرقيق، وكانت الأعمال الخشنة فى أوروبا كلها لا تحل الا على أيدى هؤلاء الذين يساقون سوقا من افريقية ، بل لقد دخلت المسألة فى دور « الحرب الباردة » بين انجلترا وأمريكا ، فقد كانت انجلترا تعمل دائما على تحويل الرقيق عن أمريكا عقابا لها على مطالبتها بالحرية .

وهكذا امتهنت كرامة الانسان فى هذه القارة ! فقد كان الارقاء يؤخذون بلا مقابل . أو مقابل أشياء تافهة كالمحار ، لن تنسى البشرية كلمة ألفونسو الأول التى قال فيها : ((**ان جون يستطيع أن يشترى بالخمسة الآلاف من المحارات عبيدا يستطيع بيعها فى لشبونة بثمن مربح !!))** .

وقد قدر المؤرخ الافريقى المشهور ((**دوبوا**)) عدد الافريقيين الذين أصابتهم هذه المحنة بمائة مليون انسان ، ويدخل فى هذا الاحصاء من قتل وقت الصيد ، ومن مات فى الطريق ! .

وزيادة على هذا فقد كانت التجارة أحد عناصر التجمع الرأسمالى التى رأيناها قامت بدور خطير فى تطور الرأسمالية فى أوروبا . فى الوقت الذى أدت فيه الى اضعاف السكان فى افريقية، والى انهيارهم اقتصاديا ونفسيا . ولقد صدق ((**يونتجين**)) حينما قال أخيرا : ((**حقيقة أنهم قد تخلوا عن عملية تصدير الرقيق من افريقية ، ولكن ذلك كان يقصد تحويل الافريقيين الى رقيق فى أوطانهم ، واستغلالهم فى قسوة ، لاستنزاف ثرواتهم بأيديهم، وتسليمها للغرباء !!))** .

الشعر الشعبى :

شلت يد أحد الشعراء الشعبيين فى السودان ، فعزت عليه نفسه وقال :

يا أيدى ما تستاهلى الشلل والعوار
يا أيدى ما تستاهلى يا المـا تبنت الجار
كم سلت سيوف . كم هزت النقاره
كم فتحت كتب . كم شقلبت طياره

والمعنى الذى قصد اليه الشاعر الشعبى هو قوله « انك لا تستحقين يا يدى ما أصابك من الشلل والعيب. فأنت يد لم تمتد يوما بالاساءة الى جار ، وفى الوقت نفسه كثيرا ما سللت السيوف لمقابلة الأعداء ، وضربت على طبل الحرب ليجتمع الفرسان للمعركة ، وفتحت الكتب ليستقى وجدانك نور المعرفة ، واحكمت اطلاق البنادق على طائرات الأعداء التى أسقطت الكثير منها » .

من مشكلات العمال :

أرجع السنيور جالفاؤو مشكلة العمال بالنسبة لأصحاب العمل فى الكونغو الى الأسباب الآتية :

١ ــ مقاومة أصحاب العمل أى تحسن فى أجور العمال بكل الوسائل الممكنة التى لديهم الكثير منها .

٢ ــ معاملة العمال معاملة سيئة، واهمال شئونهم عامة سواء فى الملبس او المأكل ، أو الناحية الصحية .

٣ ــ سوء استغلال العمال ،

واشعارهم دائما بأنهم زائدون عن الحاجة ، مع التهديد المستمر بقطع أرزاقهم .

٤ ـ التحكم فى نقل العمال من مكان الى آخر من غير مراعاةالتغيرات المفاجئة فى الطقس ، وخاصةمايتصل بنقل أهل السواحل الى الداخل . أو العكس .

٥ ـ اعتياد التجار الأجانب انتزاع أموال الوطنيين بالقوة .

٦ ـ اهمال الأحوال السكنية للعامل .

٧ ـ اشعار العمال الوطنيين دائما بأنهم من طبقة أدنى ، ويمكن الاستغناء عنهم فى أية لحظة .

٨ ـ استعمال القسوة فىتجنيدهم للعمل .

كما تعرض السنيور جالفاؤو الى المعاملة القاسية التى تتبعها الحكومة أثناء التجنيد . فقد جاء فى تقريره **« ان الموقف من بعض جوانبه يكاد يكون أقسى من الرق الخالص ، ففى الرق غالبا يشترى الوطنى باعتباره حيوانا يرجو سيده بقاءه معافى كالحصان أو الثور ، ولكن الوطنى هنا لا يشترى ، وانما يؤجر من الدولة بالرغم من الادعاء بأنه حر . فاذا عمل فمخدومه لا يعنيه شىء من مرضه أو وفاته ، لأنه ليس عليه الا أن يطلب آخر فتعطيه له الحكومة ! »** .

اعتقاد :

تعتقد قبائل « **كردى** » الافريقية أن الشمس والقمر قد افترق كل منهما عن الآخر على أثر شجار نشب بينهما من قديم الزمن ، وانهما قبل ذلك كانا لا يفترقان ، وأن من آثار هذه المعركة وجود « الكلف » الذى يظهر على وجه القمر .

كما ترى قبائل « **السارا** » أن الشمس ، والقمر ، والنجوم كائنات حية ، وأن النجوم من نسل الشمس والقمر ، وأن النجم كلما كان صغيرا فى حجمه كلما كان طفلا بالنسبة للنجوم الأخرى الكبيرة .

حالة الطوارىء فى كينيا :

أعلن « أيان ماكلويد » وزير المستعمرات البريطانى فى مجلس العموم فى ١٩٥٩/١١/١٠ أنالحكومة البريطانية بالاتفاق مع حكومة كينيا قد قررت الغاء حالة الطوارىء التى استمرت فى كينيا مدة سبع سنوات عقب الثورة القوية المعروفة بثورة « الماو ماو » وقد سارعالى اعلانهذا الاتفاق فى حفل افتتاح المجلس التشريعى « باتريك ـ رينيسون » حاكم كينيا . كما أعلن أن حكومته تعتزم العفو عنالمسجونين السياسيين فى كينيا ، الذين يبلغ عددهم ٣ر٢١٧ مواطنا كينيا .

وهذا شىء لا بأس به كخطوة هامة فى رفع الظلم عن السياسيين فىالبلاد. أما الشىء الذى لا يفهم ، والذى لن يقابل بالصمت فى كينيا ، فهو عدم اطلاق سراح الزعيم « **جوموكينياتا** » الذى عادت الحكومة فأبعدته الى مقاطعة « لودوار » بعد أن أمضى خمسة أعوام فى السجن . فالسماح لجميع المعتقلين بمباشرة حياتهمماعدا زعيم الحركة التحررية فى البلاد يدل دلالة صادقة على أن بريطانيا غير جادة فىكلخطوة تخطوها لصالح أبناء

البلاد ، وأنها لابد من أن تترك البلاد سريعا ، ولعل الخارجين من المعتقلات سيكونون أقدر على ترديد هذه الأفكار باللسان وبالرمح من الذين هم فى خارج المعتقلات .

زعيم غينيا

ما زال الزعيم « **سيكوتورى** » يواصل رحلاته فى العالم الغربى بعد أن زار أمريكا ، وقد أكد فى كل مكان ذهب اليه . انه لابد لجميع القارة من ان تتحرر ، فلم يعد للاستعمار بقاء فى أصغر بقعة من بقاع افريقية ، وأن كل من يتشبث بالبقاء بعد عملية الصحو التى غزت القارة فستكون القارة مقبرة له . وستكون حرية القارة خالصة لوجه الحرية لا لوجه المعاهدات ، والاتفاقات ، والانحياز الى أى معسكر دولى . فالقارة الافريقية اليوم لا تستوحى سياستها من قوى خارجية ، ولكن سياستها تنبع من أرضها ، وظروفها ، وقيمها وتقاليدها الانسانية .

هذا وستكون آخر رحلاته الى لندن ، ثم الى ألمانيا الغربية .

الزعيم سيكوتورى

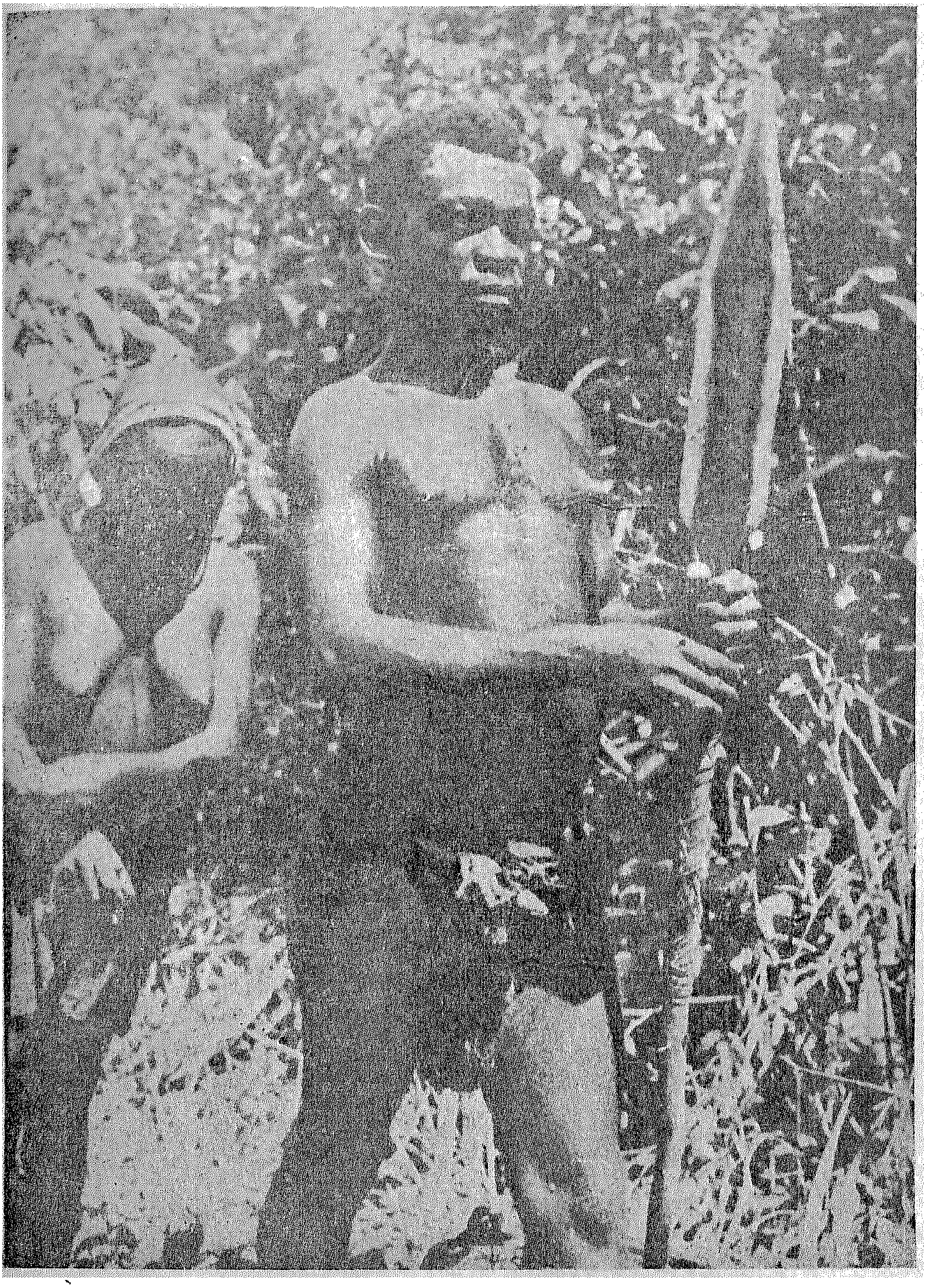

السعى للرزق

من القصص الأفريقي

الغـــيرة !

ترجمة : سيد العقاد

« القصص الشعبي في غانه » الشفيقة منتزع من طبيعـة شعبها العريق .. انه يصور جلد أبنائه ، وكفاحهم المرير في تخطي العقبات .. ويصور روح العدل والمساواة التي تسري في دمائهم جميعا .. انه يؤكد في جلاء أن نهضة « غانه » تستند الى صفات أصيلة لاتعرف التراجع .. فيها من الاصرار والثبات ما يضمن لها بلوغ أهدافها كاملة في وقت قريب .. بل أقرب .. من القريب .. »

في الماضي البعيد جدا .. عاش رجل فقير اسمه « أوهيا » Ohia (١) مع زوجـــة تزيد عنـه فقـرا اسـمها « أويرهـــو »(٢) Awirehu وظـــل التعســان يواجهان مصائب الحيـــاة الواحدة بعد الأخرى .. وأي عمـــل يتوليانه يبدو وكأنما ســـوء الحظ ينتظرهما فيه بفارغ الصبر .. وبلغ فقرهما حدا جعلهما لا يحصلان على الملابس الضرورية الا بصعوبة بالغـــة جدا .. واخيرا فكر « أوهيا » في مزاولة عمـــل زاوله الكثيرون من جـــيرانه ونجحوا فيه نجاحا ملحوظا .. وحينئذ لم يضع وقته سدى بل ذهب الى فلاح غني يسكن في مكان قريب من مسكنهما .. وعرض عليه السماح له بأن يأخذ عصير بضع نخـــلات من نخيله الكثير ليصنع منه خمرا .. ثم تتولى « أويرهو » أمر بيعه في السوق فور اعداده .. على أن تقسم الأرباح بالتســـاوي بين الفلاح الغني و «أوهيا» وزوجته .. وأظهر الغني ارتيـاحـــه للاقتراح بمجرد سماعه .. وعبر عن شعوره الطيب بأن أعطى « أوهيا » ما يلزمه من الأوعية الفخارية الخاصة بجمع العصير ، بعد أن علم أن حالته لا تسمح بشراء واحدة منها ..

وفي سرور بالغ بدأ « أوهيـــــا » وزوجته يعمـــلان ليل نهـــار .. كانا يقصـــدان أشجار النخيل في النهار ، يضعان تحتها الأوعية ليتجمع فيها العصير المتساقط .. وفي صباح يوم الســـوق استيقظ « أوهيا » مع صياح الديك ، ليجهز ما في الأوعية لتحمله زوجته وتقوم بعملية البيع التي كانت مشوقة اليها كثيرا ..

وعندما وصل « أوهيا » الى النخلة الأولى لاحظ أن ســـوء حظه ما زال يلازمه .. اذ لم يجد وعاء الفخار مليئا بالعصير كما كان يتوقع .. بل وجـــده مهشما وقطعا متناثرة ، ولا أثر للخمر أبدا .. فأسرع الى النخلة الثانية ثم الى الثالثة وبعدهما قصد الى النخـــلة

---

(١) معناها : الفقر ..

(٢) معناها : الحزن ..

الرابعة .. وظل يسرع من نخلة الى اخرى حتى انتهى منها جميعا .. وكانت جميع أوعيتها الفخارية بالحالة التى وجد بها وعاء النخلة الأولى نفسه!!

ووصلت الزوجة اثر ذلك وروحها المعنوية قوية لتأدية واجبها .. وفى الحال لاحظت السحابة القاتمة التى تغطى سمات وجه زوجها .. وبعد أن وقفت منه على ماحدث ، أخذا يبحثان فى أسف شديد عن أسباب المأساة .. وانتهيا آخر الأمر الى أن شخصا خبيثا سرق الخمر ثم كسر الأوعية ليخفى معالم جريمته .. وعادت الزوجة الى المنزل تخنقها العبرات ، بينما ظل « أوهيا » يعمل دون كلل حتى أتم فصد النخيل ووضع أوعية فخارية جديدة تحته ..

ولما عاد « أوهيا » فى صباح يوم السوق التالى وجد نفس ما وجده فى المرة السابقة .. الخمر سرقت جميعها والأوعية هشمت الى قطع صغيرة جدا .. ولم يكن أمامه الا أن يذهب الى الفلاح الغنى ليخبره بما حدث .. واثبت الرجل صدق معدنه الكريم بأن طمأن « أوهيا » على أنه ما زال مرتبطا بما اتفق معه عليه .. ثم أصدر أوامره الى عماله بأن يعطوه كل مايلزمه من الأوعية الفخارية ..

ورجع « أوهيا » للمرة الثالثة الى النخيل .. وفصدها ووضع الأوعية الفخارية كما صنع فى المرتين السابقتين .. وكانت النتيجة للأسف هى النتيجة التى واجهها من قبل .. فعاد الى منزله واليأس يكاد يمزق قلبه ويقضى عليه.. واعتقدت الزوجة أنه لا جدوى من محاولة التغلب على سوء حظهما .. ولكن « أوهيا » صمم على القيام بمحاولة رابعة ، ولو لمعرفة الجانى والاقتصاص منه .. وأسرع الى وضع أوعية فخارية جديدة تحت أشجار النخيل بنفس الطريقة .. على أن تكون هذه المحاولة هى الأخيرة مهما كانت نتيجتها ..

وعندما قدم الليل .. أخذ يرقب الحالة وهو بين الأشجار .. وظل قابعا فى مكانه الى ما بعد منتصف الليل دون أن يحدث شىء .. ولكن قبيل الساعة الثانية بعد منتصف الليل بقليل شعر بشبح يمر أمامه الى أول نخلة .. وبعد لحظات سمع صوت تكسير وعاء الفخار .. فتسلل بخفة الى الشبح الذى تبين أنه « أيل » (١) يحمل فوق رأسه وعاء ضخما يصب فيه الخمر من الأوعية الفخارية ، ثم يقذفها وهى فارغة على الأرض فتتهشم الى قطع تتناثر هنا وهناك ..

وخاطر « أوهيا » بالاقتراب من اللص لرغبته فى القبض عليه مهما كلفه الأمر .. وأحس هذا بخطواته الحثيثة نحوه فأخذ يعدو بسرعة تفوق سرعة غريمه أضعافا مضاعفة..وبذا استطاع الافلات ، ولكن بعد أن سال كل ما فى ابريقه الضخم من الخمر على الأرض هدرا .. ولم يتوقف « أوهيا » عن مطاردته حتى الظهيرة حتى اذا وصلا الى سفح جبل مرتفع أخذ « الأيل » يتسلقه وتبعه « أوهيا » بالرغم من تعبه الشديد الى أن بلغا قمة الجبل حيث كانت تجتمع مجموعة كبيرة من الحيوانات ذوات الأربع .. وفى الحال

(١) « الأيل » ذكر الوعل وهو التيس الجبلى ..

رمى « الأيل » بنفسه وهو يلهث على الأرض أمام الملك وهو « النمر » الذى يعرف عادة فى قصص غرب افريقية بالنمر الأرقط ..

وغضب الملك وأمر باحضار «أوهيا» امامه فورا ، ليعاقبه على اقتحامه هذا الاجتماع الخطير .. والتمس « أوهيا » الاستماع الى شكواه قبل صدور الحكم بالقصاص منه .. وبعد مشاورات هادئة بين الملك وبعض المجتمعين وافق على رغبته .. وبدأ « أوهيا » يقص قصة سوء حظه من الألف الى الياء ..

بدأ « أوهيا » كلامه بأن سرد فى لباقة كيف باءت محاولاته للنجاح فى الحياة بالفشل .. وكيف أنه فكر فى النهاية فى بيع الخمر المقطر من عصير النخيل .. واستطرد بعد ذلك شارحا شعوره عند اكتشافه السرقة الأولى بعد المجهودات التى بذلها هو وزوجته.. وكذلك شعوره عند اكتشافه السرقة للمرة الثانية ثم الثالثة وبعدهما الرابعة .. وختم حديثه بوصف مطاردته للص بعناد حتى اقتحم مؤتمرهم العظيم ..

واصغت الحيوانات الى حديث « أوهيا » باهتمام شديد .. ودون تردد أفتوا بأن « الأيل » هو المذنب ، وأن الفلاح البائس لايلام البتة على ما فعل .. وفورا أحضر المذنب لمجازاته على ما قدمت يداه ، بينما قدم الى « أوهيا » اعتذار رسمى باسم أعضاء المؤتمر .. وقد ظهر أن الملك كان يعطى « الأيل » كل صباح مبلغا كافيا من النقود ليحضر قدرا من خمر النخيل للأعضاء .. وكان هذا يسرق خمر « أوهيا » ويستبقى النقود لنفسه .. وكمكافأة لـ « أوهيا » على الخسائر التى لحقت به منحه الملك القدرة على فهم المحادثات التى تدور بين جميع الحيوانات .. وهذا — على حد تعبير النمر — يمكنه من جمع ثروة ضخمة فى فترة قصيرة .. والشرط الذى طالبه به مقابل هذه المنحة هو عدم كشف هذا السر لأى مخاوق والا تعرض للموت .. وذهب « أوهيا » والفرح يغمره الى منزله فى لحظات .. ولم يضع وقته بل أخذ يجد فى فصد النخيل ووضع الأوعية تحتها .. وبدأت متاعبه تزول منذ ذلك اليوم .. فلم تسرق خموره ولم تهشم أوعيته أبدا .. فأصبح هو وزوجته أغنياء وسعداء ..

وذات صباح .. بينما كان يستحم فى بركة قريبة من منزله .. سمع دجاجة وديكا صغيرين يحدثان أمهما عن ثلاثة أباريق من الذهب الخالص مدفونة فى حديقة منزل « أوهيا » نفسه .. وقد حذرت الأم ابنيها من أن ينبشا بالقرب منها أمامه خشية أن يكتشف مكانها.. ولم يظهر « أوهيا » أى اهتمام بما سمع ، وأسرع عائدا المنزل .. وأخذ يحفر فى المكان الذى وصفته الدجاجة الأم وأبناها . وبلغ سروره أقصاه عندما وجد الأباريق الذهبية الثلاثة ممتلئة بالأموال الوفيرة التى تكفيه العيش فى رغد طوال حياته .. وحرص كل الحرص على عدم اظهار كنزه هذا لأحد ولا لزوجته .. وأخفاه فى حذر بمكان سرى فى منزله الكبير ..

وأصبح « أوهيا » وزوجته « أويرهو » من أغنياء المنطقة ، بل فى مقدمتهم .. واشتريا عقارات ضخمة ومزارع شاسعة جدا .. وفكر فى أنه قادر على

الزواج مرة ثانية فتزوج ..ولسوء حظه كانت زوجته الثانية غيورا وأنانية الى حد بعيد .. ولأنها عرجاء كانت دائما تظن أن الناس يسخرون منها بسبب عاهتها هذه .. ودخل فى روعها أن « أوهيا » و « أويرهو » يضحكان عليها كلما اختبآ .. وبالرغم من أن ذلك كان بعيدا عن الصواب لم تكن تصدق الا احساسها الذى دفعها آخر الأمر الى استراق السمع خارج باب حجرتهما .. وطفقت تكرر عملها الشائن هذا مع انها لم تسمع فى أية مرة من المرات شيئا ما ، ولو شيئا تافها عنهما ..

وذات مساء .. ذهب « أوهيا » و « أويرهو » الى مخدعهما بعد أن استغرقت الزوجة الجديدة فى نوم عميق .. وحينئذ سمع هو حديثا سره جدا كان بين فأرين واقفين فى احد أركان الحجرة .. فقد كانا يستعدان للذهاب الى « الكرار » لاحضار ما تيسر من الطعام بعد نوم أوهيا صاحب المنزل ..وضحك «أوهيا» بصوت مرتفع سمعته الزوجة العرجاء فاقتحمت الحجرة فى ثورة .. واخذت تلومه بعنف لسخريته بها ، ومعاونة « أويرهو » عليها .. وأنكر الزوج فى دهشة هذا الاتهام ولكن دون جدوى .. وأصرت الزوجة على أن يذكر النكتة التى أضحكته اذا كان صادقا فى دعواه .. ولأن « أوهيا » لا يستطيع تنفيذ رغبتها تمسكا بالوعد الذى قطعه على نفسه لملك الحيوانات أصر على الصمت الذى زاد من شكوك زوجته التى انتهى بها الأمر الى تبليغ شكواها الى الحاكم .. وكان هذا صديقا حميما « لأوهيا » فأخذ يغريه بشتى الطرق لذكر النكتة التى أضحكته ، لتعود المياه الى مجاريها ثانية ، ولكنه أخفق ..

ولم تترك الزوج العرجاء الغيور الحاكم فى راحة أبدا .. بل أخذت تلح عليه ليبادر باتخاذ اجراءات تقديم زوجها للمحاكمة بسرعة .. ولأن « أوهيا » لم يجد وسيلة تنقذه من المثول أمام المحكمةجهز نفسه للموت .. فدعا جميعأصدقائهوأقاربهالىاحتفال ضخم ودعهم فيه الوداع الأخير .. ووضع بعد ذلك الأمور فى نصابها بأن أوصى بذهبه جميعه لزوجته الأولى .. وبأملاكه المختلفة لابنه وخدمه .. وقصد اثر هذا مكان انعقاد المحكمة حيث حضر جميع أهالى المنطقة ليشهدوا هذه المحاكمة العجيبة ..

واستأذن « أوهيا » الرئيس بعد أن حياه وزملاءه التحية اللائقة بهم .. استاذنهم فى أن يقص القصة من أولها الى آخرها .. ولما سمحوا له استرسل فى ذكر كل شىء مما صادفه من سوء الحظ .. وأردف ذلك بوصف مطاردته « الأيل » حتى مؤتمر الحيوانات .. وأضاف بطبيعة الحال ملابسات الوعد الذى قطعه على نفسه للملك النمر .. وفى النهاية شرح سبب ضحكته التى أغضبت زوجه العرجاء .. وفى الختام سقط على الأرض ميتا كما أنذره النمر من قبل .. وشيع فى جنازة مهيبة دفن بعدها فى قبر ضخم .. وحزن عليه الجميع صغارا وكبارا لأنهم أصبحوا يحبونه ويقدرونه .. وأما الزوج الغيور التى تسببت لزوجها فى الموت فقد قبض عليها ، وحرقت كأنها ساحرة .. وبعثر رماد جثتها فى الجهات الأربع للرياح فى وقتواحد..

وانتشرت منذ ذلك الحين الغيرة والأنانية فى أرجاء الدنيا ، بعد أن كانت نادرة جدا فيها .

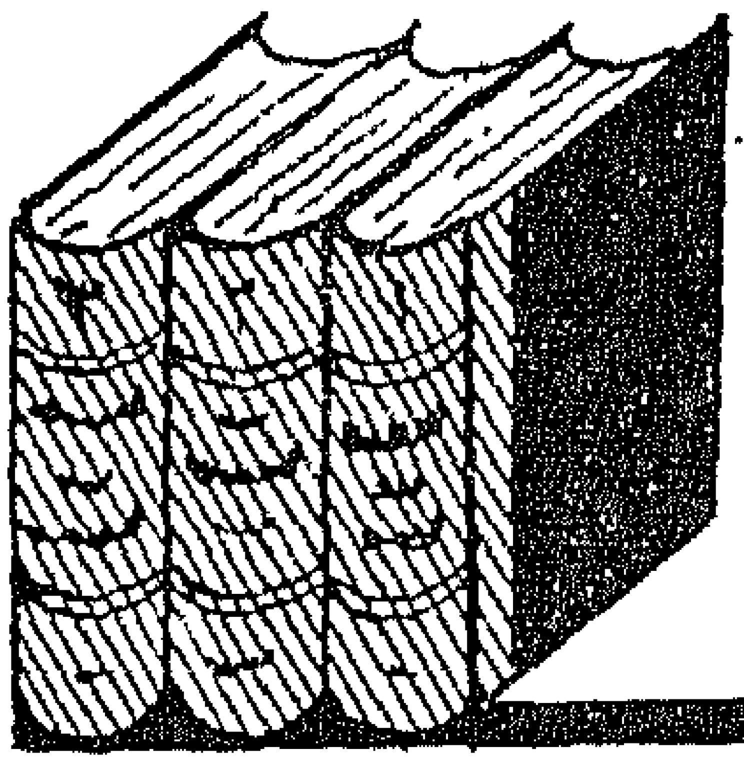

كتاب الشهر

كينيا ... أرض الصراع .. تأليف جومو كينياتا
تلخيص الأستاذ أحمد عبد الواحد
— ٢ —

وهنا دعت الحاجة الى تنظيم ما ولو فى السر ، لرفع الظلم البين عن كواهل الافريقيين ، فتجمع الشباب وكونوا جمعية أطلقوا عليها اسم ((**جمعية شرق افريقية**)) وبدأت هذه الجمعية تدعو بطريقة دستورية الى رفع الحيف والظلم الواقع على شعب كينيا ، وتعارض الاعمال المجافية لروح الانسانية والقانون التى ينفذها الموظفون الاجانب والمستوطنون . وتذهب بالقضايا الفردية الى المحاكم القانونية ، وتبعث باحتجاجاتها مباشرة الى وزارة المستعمرات فى لندن وأغضب نشاط هذه الجمعية بالطبع الموظفين والمستوطنين ، فحاولوا أن يستميلوا بعض الزعماء الى جانبهم ازاء هذه الجمعية ، وواجهت هذه الجمعية لونا من الدعايات المضادة ، ولكن هذه الحركة لم تزد الجمعية الا انتشارا ، فاتسع نطاقها ، وانضم اليها الكثيرون من أبناء كينيا .

* * *

أول اضراب عام : —

وفى شهر مارس عام ١٩٢٢ ، وقع أول اضراب عام فى تاريخ كينيا ، وذلك عندما ألقت الحكومة القبض على زعيم الجمعية ، واحتشد الافريقيون من كل مكان رجالا ونساء وأطفالا أمام مركز البوليس فى نيروبى ، يطالبون باطلاق سراح الزعيم ، كما وصلت الى هذا المكان أيضا جماعات غفيرة تحمل الاعلام البيضاء ، وتردد الدعاء الذى كان يتلوه عليهم رجال الدين من المسلمين والمسيحيين طول الليل ، ثم تقرر ايفاد وفد يقوم بالتفاوض مع المسئولين حول اطلاق سراح الزعيم المقبوض عليه ، وبينما كانت الامور تسير على هذا الوضع تسرع رجال البوليس ، وأطلقوا نيرانهم على الجماهير المحتشدة ، فمات منهم من مات وجرح منهم من جرح ، وتناثرت الجثث فى مختلف شوارع مدينة **نيروبى** .

وطارت أنباء هذا الحادث الى كل مكان فى كينيا ، وتوقع حكام المقاطعات قيام ثورات أهلية ، فنشروا رجال البوليس المسلحين فى كل زاوية ، اجتماع ، كما أمروا زعماء القبائل بمراقبة أى شخص يمكن أن تكون له ميول نحو هذه الجمعية ، وكتابة تقرير عن نشاطه .

ثم قررت الحكومة اصدار أمرها بنفى الزعيم واثنين من أقاربه ، دون أية محاكمة ، وعندئذ تعاقدت الجمعية مع أحد المحامين الأوروبيين واسمه

صدر هذا المقال نشر فى العدد السابق من مجلة نهضة افريقية .

((**درايكوت**)) لكى يتولى مهمة الدفاع عنهم . وتبرع الاهالى بجمع المال الذى سيتقاضاه هذا المحامى . وبعد أن قبض المحامى ما طلبه حزم حقائبه فى اليوم التالى ، ثم فر هاربا - دون أن يترافع فى القضـــية التى تناول أجره فيها مقدما . وهـــكذا أعطى هذا المحامى للافريقيين درســا فى أن القـــانون والسياسة جانبان من جوانب أسلوب الرجل الأبيض فى طريقـــة استغلاله للرجل الاسود .

ثم بذلت الســلطات المسئولة فى كينيا كل جهودها لالغاء جمعية شرق افريقية ، فأعلنت أنها جمعية لا تتمتع برضا القانون ، وأوقعت بكل زعمائها أشــد ألوان العقوبات ، وأوحت الى بعض الزعماء بتكوين جمعيات محلية مستقلة تتمتع باشراف الحــكومة . ولكن فكرة الوحدة والتضامن ظلت حية فى أذهان أبناء الشعب ، فعملوا للثورة فى الخفـــاء ونظموا أنفســهم بتقسيم أفراد الشعب الى مجموعات تتكون الواحدة منها من ثلاثة أو أربعة أعضـــاء ، وذلك تســهيلا للاتصال السرى عند احداث عمليات الاضرابات والاحتجاجات ، وهكذا ظهر نظــام ((**الماكيوسى**)) فى كينيا ، قبل أن يظهر هتلر على مسرح الوجود فى أوروبا .

وفى عام ١٩٢٣ أصدرت الحكومة البريطانية بيانا أعلنت فيه سياستها محاولة بذلك اقرار أســباب النزاع حول وضع الجالية الهندية فى كينيا ، وجاء فى هذا البيان :

((تعتبر كينيا منطقــة افريقيــة ، وترى حكومة صاحبة الجــلالة أنه من الضرورى فى الوقت الذى تتحدى فيــه مصــالح العنــاصر الافريقية أن تدافع عن مصالح الأجناس الأخرى من أوروبيين وعرب وهنود ، وترى حكومــة صاحب الجلالة أن الافريقيــين من غــير شك عاجزون عن القيام برعاية هذه المصالح ، مما اضطرها الى أن تنوب عنهم فى هذه المهمة ، كما تنوب عنهم فى العمل على تحســين مســتوى الافريقيين وتطويرهم ، ولا جدال فى أن رسالة بريطانيا العظمى هى العمل بصورة دائمة على نشر الثقافة بين الافريقيين لتمكينهم من الوصول الى مستوى اقتصادى وثقافى وأخلاقى أفضل الخ ..)) .

وفى العام الثانى أى فى ١٩٢٤ أذيع أن بعثة ملكية بريطانية تحت رياسة **أورمس جــــور** ستزور شرق افريقية لبحث موضـــوعات مختلفة ، وقرر الافريقيون أن يقدموا للبعثة قضيتهم . ولكنهم كانوا يعرفون أن الحكومة قد ألفت جمعية شرق افريقية فوجدوا أنه لا فائدة من ارســال مندوب يتحدث باســمها ، وعنـــدئذ قرر الشباب الافريقى الذى كان قد مارس أساليب الانجليز تكوين جمعية جديدة أطلقوا عليها اسم (جمعية الكيكيو المركزية) وأعدوا تقريرا وافيـــا ، تناولوا فيه مظـــاهر الظلم الواقع على كواهلهم . كما ضـــمنوه آمالهم ومطالبهم ، ثم كتبوه باللغة الانجليزية ، وعرضوه على الزعماء والقادة فناقشوا تفاصيله ثم قرروا تكوين الجبهة المتحدة . وبالرغم من هـــذا التماسك والتضامن فقد استطاعت السلطات الاستعمارية أن تفكك هذه الجبهة ، وكان هذا التقرير الذى أعده الشباب الافريقى يتضمن مشـــكلة العمل ، وتمثيل الوطنيين الافريقيين فى المجالس التشريعيـــة والبلدية ، ومستوى التعليم ومشكلة الاراضى الزراعية . وفى الوقت الذى كانت **جمعية الكيكيو** المركزية تعمل

على بنـــاء كيانهـــا ، وتقوى أواصر التضـــامن بين مختلف الفئـــات الجماهيرية ، تأسست شقيقة أخرى لها فى مقاطعة **كافير وندو** أطلق عليها اسم **((جمعية رعاية دافعى الضرائب))** وواجهت هذه الجمعية نفس المشكلات التى كانت تواجه **جمعية الكيكيو** ولكن الاخيرة قد ظلت باقية طيلة فترة ما بين الحربين ، تمثل الحركة السياســـية القيادية لشباب افريقية ، وأنشأت هذه الجمعية عدة فروع لها فى مختلف مناطق كينيا .

وفى عام ١٩٢٩ جاءت حكومة العمال البريطانيـــة ، وأصـــدرت وثيقـــة خلاصتها :

((أنه لن يسمح بعد اليوم بالاستيلاء على شبر من أراضى الافريقيين ، وأهم ما يجب الاهتمام به هو أن نزيل من أذهان الافريقيين أى شعور بعدم الأمان ، فكل الأراضى الموجودة الآن فى حوزة الافريقيين يجب أن تظل فى أيديهم يستغلونها ، ويستفيدون منها كما يشاءون من الآن والى الأبد)) .

ولـــكن هـــذه **((الماجنا كارتا))** استثنت من ذلك الاراضى التى تخصص للمصالح العـــامة كبنـــاء المدارس والمستشفيات ومكاتب البريد والمجارى المائية ، والاعمال الكهربائية ، وشق الطرق والسكك الحديدية .

وأكدت عدم جواز الاستيلاء على أية قطعة زراعية تعود فائدتها على الفرد فقط .. ولكن حدث أن مزقت الحكومة فيما بعد فى عام ١٩٣١ هذا التعهد ، وأقرت قانونا وافق عليـــــه المجلس التشريعى الكينى ، ويقضى هذا القانون بالسماح للاوروبيين بامتـــلاك مناطق الذهب فى **كافير وندو** ، ونفـــذ هذا القانون بالرغم من الاحتجاجات الكثيرة ، وقد بعث اتحاد جمعية رعاية دافعى الضرائب وجمعية الكيكيو بمذكرة الى وزير المســـتعمرات عام ١٩٣٩ جاء فيها :

((لقد حرم أهل ((كافير وندو)) من أراضيهم دون أن تدفع لهم الحـــكومة تعويضا مجزيا ، وكان الاعتذار الذى وجهته اليهم حكومة كينيا يدل على منتهى السخرية بحقوقهم !

ولابد أن نقرر أن هـــذه الاحداث التى وقعت والوقائع التى شهدناها فى الماضى تجعلنا لا نثق كثيرا فى الوعود التى تبذلها بريطانيا))

وفى عام ١٩٣٧ طردت حكومة كينيا شعب **الـــكيكيو** الذى كان يعيش فى منطقـــة **((تيجـــونى))** وحرمتهم من أراضيهم ونقلتهم الى مقاطعات **((تيام))** وقد شرح وزير المستعمرات يومئـــذ ((مستر ارمسبى جور)) فى مجلس العموم البريطانى هذا الموقف بقوله :

((لقد تمت هذه الحركة بالتعاون مع ٧٫٥ من ١٠ من أفراد العشـــائر الموجودة فى ((تيجونى)) وبالتعـــاون مع الجمعية الفرعية للمجلس الوطنى والاقليمى)) .

ولكن الجماهير التى كانت مجتمعة فى **تيجونى** بعثت ببرقيـــة الى وزارة المستعمرات كذبت فيها ما قاله **مستر جـــور** ، وكان نص هـــذه البرقية كما يلى : ـ

((قدمت حـــكومة كينيا تقريرا كاذبا ادعت فيه أن الوطنين فى ((تيجونى)) قد منحوا أرضا نظير أراضيهم ... لقـــد أرغم الوطنيون على

الخروج من اراضيهم ... ابعثوا بلجنة خاصة او مندوب لبحث الحالة » .

* * *

مشكلة الماشية مشكلة سياسية : —

وفي عام ١٩٣٨ وقعت حادثة الماشية المعروفة ، ورأى فيها الافريقيون مدى استبداد الرجل الابيض ، واستهتاره بمصالح الافريقيين وحياتهم . ففي اليوم الاول من شهر مارس صدر قرار الاراضي العليا ، وهو القرار الذى يقضي بأن تكون الاراضي العليا التي تشمل أجود المناطق الزراعية وأخصبها ملكا للاوروبيين ، ولا يصح للهنود أو العرب أو الافريقيين أن يشتروا أو يتملكوا الاراضي فيها . ولم يكن هناك تبرير معقول لحرمان الافريقيين من ممتلكاتهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وكان قرار التمليك يشمل الأوروبيين والامريكان البيض ، ولم تكن احتجاجات الافريقيين تجد أذنا صاغية .

* * *

الطرد مرة أخرى : —

وفي شهر يونيو عام ١٩٣٣ حدثت عملية طرد ارغامية أخرى ، فقد أرغمت الحكومة شعب **واتانا** على الهجرة من أرضه ، وبعث رجال القبائل في يوم ٢٦ يونيو ببرقية احتجاج الى وزارة المستعمرات احتجوا فيها على هذه الاساليب التي تتبع معهم ، وطالبوا بوقف هذه العمليات فورا ... ولكنهم لم يتلقوا جوابا شافيا فقامت حركة اضراب عامة ، وانتشرت حتى شملت مقاطعة **تانجا** في **تنجانيقا** واضطر البوليس الى اطلاق النيران على الجماهير ، فمات عدد من المتظاهرين وجرح الكثيرون ، وألقى القبض على ثلاثين شخصا .. وكان هذا هو بداية الكفاح الحقيقي الذى دخله شعب شرق افريقية قبيل بداية الحرب العالمية الثانية .

فماذا كان يتوقع الافريقيون من الشعوب التي انتصرت للسلام ! ! شرق افريقية في الحرب : —

لعب أفريقيو شرق افريقية دورا كبيرا في الحرب العالمية الثانية ، ولم يقتصر نشاطهم على مساعدة الحلفاء داخل افريقية فحسب ، بل انهم أسهموا بصورة ايجابية فعالة في المعارك المختلفة التي دارت رحاها في ايطاليا وفي آسيا .

وعلقت جريدة التايمز اللندنية في كثير من مقالاتها على هذا الدور الكبير الذى أداه الافريقيون بجانب الحلفاء في المعارك المختلفة التي خاضتها جيوش الحلفاء ضد المحور .

وكان الافريقيون ينتظرون جزاء ما قدموه لبريطانيا من خدمات ، أحس بها المسئولون وغيرهم في الحرب العالمية الثانية ، ولكن هذا الجزاء غير عادل . فقد حرمتهم الحكومة من أراضيهم ومنعتهم من حرية الاجتماع ، وحرية التعبير ، بل منعتهم من حرية الكتابة .

وقد كتب « **ليونارد وولف** » معلقا على مشكلة العلاقات العنصرية في كينيا بقوله :

« منذ أربعين سنة حتى الآن ذهبت مصالح ثلاثة ملايين من الافريقيين ضحية لحفنة من الأوروبيين ، وادعاء حكومة كينيا بأنها قد تولت ادارة هذه البلاد لمصلحة الافريقيين أنفسهم والعمل على تطويرهم ، وتحسين أحوالهم ادعاء

فارغ ، واننا لنقولها كلمة حق يصدقها الواقع وهو أن كينيا كانت أثناء الحرب العالمية تعتبر المصدر الرئيسى الذى يمد جيوش الحلفاء بما يحتاجون اليه من البن والذرة والقمح وكثير من هذه الأشياء التى تنمو فى أراضى كينيا » .

وفى عام ١٩٤٣ دفعت حكومة كينيا ١١٧ر٠٠٠ جنيه على سبيل المساعدات للمزارعين الاوروبيين ، حتى يتمكنوا من استصلاح مزيد من الاراضى الزراعية ، والتعويض عن الخسائر التى تصيبهم ، وكان استصلاح مزيد من الارض يحتاج الى مزيد من العمل والعمال . مما جعل الاوروبيين ينقدون نظام السخرة ، ويرغمون الافريقيين على العمل فى حقول البيض نظير ٨ : ١٠ شلنات فى الشهر للعامل .

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية راجت الدعاية لجذب مزيد من البيض للهجرة الى كينيا ، وكانت الحكومة هناك تمنح كل مهاجر أوروبى ، مهما كانت جنسيته وبلده مكانا وأرضا . كما أغرت الحكومة الضباط البريطانيين الذين كانوا يخدمون فى الجيش فى حملة شرق افريقية بالعودة الى كينيا ، واتخاذها مأوى لهم ، وقد أغراهم على قبول هذا العرض جمال الجو فى كينيا ، ورخص الأيدى العاملة ، ووفرة الاراضى الزراعية ، فى الوقت الذى كان الافريقيون أصحاب الاراضى الحقيقيون يتزاحمون فى مناطق العزل التى خصصت لهم !

* * *

المستقبل :

لقد قدم لنا هذا العرض الموجز فكرة واضحة عن الطريقة التى استعمر بها الانجليز كينيا ، ومدى ما تحمله سكانها الافريقيون ، ولكن يبدو أنه من المستحيل طرد هؤلاء الانجليز من بلادنا دون ثورة دامية ، والافريقيون لا يريدون هذه الثورة الدامية . فكل ما نطالب به اليوم هو احداث تغير جذرى فى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية القائمة بين الاوروبيين والافريقيين ، فالافريقيون لا يعادون الحضارة الغربية بل انه لما يسعدهم حقا أن يتعلموا فنون الغرب ، وأن يسهموا فى التطور المادى والثقافى ، ولكنهم مع الأسف ليسوا فى الوضع الذى يسمح لهم بذلك ، اذ يدمر العداء الاوروبى أسس حياتهم وتقاليدهم القبلية كلها . فالأوروبيون لم يمنحوا بعد العناصر الافريقية مكانها المعقول فى المجتمع الجديد ، وليس لهم مكان فيها الا مكان العبيد !

فالامراض الخطيرة تكاد تفتك بالافريقيين دون أن يقف علم أوروبا فى طريق خطورتها ، وحتى العلاج فى الحروب التى تدور بين القبائل ، وهى الوسيلة التى تذرع الأوروبيون بأنهم قد جاءوا الى كينيا لكى يقضوا عليها لا تزال دائرتها أوسع مما كانت . ولو ترضى طبيعة الانسان ، ولو من الناحية الجسمانية بأن يظل الى الأبد تحت نير الظلم والطغيان ، انهم يطالبون اليوم بالعدالة ، وهذه العدالة التى يريدونها يمكن أن تتحقق فى برنامج عام يضم هذه الموضوعات الثلاثة الرئيسية : —

١ — **الأرض** : فلا يزال هناك كثير من الأراضى فى كينيا يجب أن يصدر قانون بأن تكون الاولوية فى ملكيتها

للافريقيين ، ولا يصح أن يفد الى كينيا مستوطنون من البيض ينزعونها منهم بعد ذلك ، ويجب أن تهيأ للافريقيين الحرية الكاملة فى أن يعيشوا على أرضهم فى أمان ، كما لا يصح ارغامهم على العمل فى مزارع البيض ، بل اذا كان هناك عمال يرغبون فى العمل فى أراضى البيض فلابد أن تضمن لهم الاجور المناسبة ، وليس من العدل فى شيء أن يرغم الافريقيون على العمل دون احترام لحقوقهم الانسانية .

٢ ــ **التعليم** : لا شك أن الافريقيين فى حاجة ماسة الى أن يتعلموا كيف يستغلون أراضيهم استغلالا فنيا ــ فقد أصبحوا يدركون تماما أن العالم من حولهم قد تغير فى الخمسين السنة الماضية ، وهم لا يستطيعون أن يعودوا مرة ثانية الى أساليب حياتهم البدائية القديمة . فلا بد من العمل على تمرينهم على الوسائل الحديثة فى الزراعة ، وتربية الماشية ،ولابد من توفير وسائل التعليم العام التى تمكنهم من فهم معنى حضارة البيض وعلومهم ، وادراك مشكلات العالم الحديث باعتبارهم جزءا منه .

٣ ــ **الرعاية الاجتماعية والصحية** : ان تأثير الحضارة الأوروبية قد كان سببا فى وجود عدة تغييرات فى المستوى المعيشى للشعوب الافريقية . فقد غيرت هذه الحضارة كثيرا من أحوال الشعب ، فقيدت حريته ، وقضت على كثير من عاداته القبلية ، وبعثت بالكثيرين منهم الى المدن ، وأرغمت الكثيرين منهم أن يعيشوا مدة كبيرة بين المزارع والمناجم ، وللاسف الشديد لم تأت لهم هذه الحضارة الأوروبية مع هذا الا بالأمراض الجديدة التى تكمن فيها الخطورة الرهيبة على الصحة ، وسوء الظروف الاقتصادية فالعمال الافريقيون لا يتمتعون بالضمانات التى يتمتع بها العمال الأوروبيون .

ان كل ما يطالب به الافريقيون هو أن تعود عليهم منافع الضرائب التى يدفعونها وكما هى الحال فى الشعب البريطانى .

٤ ــ **الحرية المدنية** : فاذا ظل الأوروبيون ينظرون الى الأفريقيين على أنهم أطفال لا يستطيعون التفكير والعمل لأنفسهم ، فان أية وسيلة من وسائل الاصلاح لن تكون مجدية ما ، اننا نطالب بأن يتمتع سكان كينيا الافريقيون بالمساواة أمام القانون ، وبالحرية التى يتمتع بها الأوروبيون فى التعبير عن أنفسهم ، وفى التنقل فى بلادهم ، والتعيين فى الوظائف العامة ، والاشتغال بالصناعة والتجارة ، وهى المجالات المفتوحة أمام الأوروبيين ، فلا يصح أن توصد أمام الأفريقيين لأنهم أفريقيون !

٥ ــ **الحكم الذاتى** : وأخيرا وليس آخرا يطالب الافريقيون بالاسهام فى حكم بلادهم فلابد من تمثيلهم سياسيا فالبرنامج العام الذى يقوم على أساس من هذه الخطوط الواضحة سيمكن الافريقيين حتما من التطلع الى حياة أفضل ، وعن طريق تنفيذ الاسلوب الديمقراطى تتحدد مطالب الشعب الافريقى فى الحقوق السياسية والاجتماعية الأساسية .

africains et asiatiques d'une part et les peuples occidentaux de l'autre, sont conditionnés par l'établissement de la paix en Algérie et au Kamerun. Il appartiendra donc à la haute instance internationale et aux membres influents qui la composent, de prendre leurs responsabilités devant l'histoire.

L'opinion publique mondiale s'est déjà prononcée sans ambages et sans équivoque contre la politique de guerre coloniale menée par la France. Il appartiendra donc aux Nations-Unies de sanctionner cette réprobation universelle en condamnant la guerre d'extermination qui est menée contre les peuples algériens et kamerunais. Ceux-ci, quant à eux, sont plus cofiants que jamais dans l'issue du combat qu'ils livrent héroiquement, respectivement depuis le 1er Novembre 1954 et le 25 Mai 1955. Ils ont aujourd'hui la certitude de triompher. Les victoires militaires, politiques et diplomatique des révolutions algériennes et kamerunaises sont le gage de leur réussite. Elles consacrent l'échec d'une politique française basée sur le mépris du droit. Elles sont à l'origine de l'isolement diplomatique de la France. C'est dire que notre lutte ne cessera pas de se renforcer. La cause des peuples algériens et Kamerunais est adoptée par tous les pays épris de paix et de liberté. Elle ne saurait donc avoir d'autre aboutissement que celui qu'ont connu tous les peuples qui ont vaillamment combattu l'odieux système de domination et d'exploitation coloniales: la liberation et l'indépendance de la Patrie.

NDJOG Aloys-Marie
Secrétaire à la Propagande
de la J.D.C.

Radio-Paris en région Bamiléké, de nombreux assassinat ont été commis depuis les dernières quarantehuit heures, par les soldats de l'armée de libération nationale dans les rangs de l'ennemi.

— Dans la nuit du 23 Septembre 1959, à Bangangté circonscription électorale du Président de l'Assemblée Législative, 16 militaires français trouvaient la mort au cours d'un engagement avec les troupes de l'Armée de Libération Nationale ;

— Dans la même période, toujours en région Bamiléké (Bafou), les forces dites de l'ordre, laissaient sur le terrain 18 morts dans une embuscade ;

— A Bafoussam, le bilan de l'accrochage accusait un chiffre de 30 morts parmi les troupes françaises ;

— A Yabassi, dans la région du Nkam, le chef de Région était abattu et un important matériel saisi ;

— A Edéa, région de la Sanaga-Maritime, 2 français étaient abattus au cours d'un raid ;

— A Kribi, région voisine, on comptait 5 morts dont 2 fonctionnaires français particulièrement connus pour leur hostilité aux aspirations nationales kamerunaises ;

Le même journal finit par avouer que "le terrorisme Kamerunais a beaucoup gagné en intensité et les maquis rebelles exercent actuellement dans les départements limitrophes du Cameroun britannique, le Mungo et le Bamiléké une pression croissante".

Malgré tous les euphémismes dont on entoure ces informations l'opinion publique se fait une idée nette de ce que cache le black-out colonialiste autour de la situation au Kamerun.

Le 20 Fevrier de cette année, convoquée aux seuls fins de discuter du problème Kamerunais, l'O.N.U. s'est aventurée, sans aucun fondement à accréditer les allégations visiblement insoutenables de la clique des fantoches du soi-disant gouvernement du Kamerun. Cette fois-ci encore, le Parlement du Palais de Manhattan a maintenu à son ordre du jour le problème Kamerunais. Les Nations-Unies devront tenir compte de ce fait majeur: la stabilité internationale, la paix et la sécurité dans le monde, les relations entre les peuples arabes,

Nous ne devons pas perdre de vue que jusqu'aujourd'hui les colonialistes ont toujours considéré le problème Kamerunais sous l'angle racial et ethnique pour mieux asseoir leur ignoble politique de division et de diversion. Mais ils ont classé dans l'oubli que le peuple Kamerunais tout entier a pris les armes contre un système, le système colonial de l'impérialisme franco-britannique. Le problème de notre pays n'est pas confessionnel, pas plus qu'idéologique. C'est en pure perte que pour s'opposer aux légitimes aspirations de notre peuple on nous cherche des poux dans la tête. Nous luttons pour conquérir notre indépendance nationale en nous attaquant implacablement contre le fait colonial sans ménager les tenants du système qui caracterise ce fait. Dès lors il est aisé de comprendre la situation explosive qui prévaut dans notre pays et qui oppose par les armes les combattants notre armée de libération nationale aux soldats français. Les colonialistes français sont frappés par l'action révolutionnaire dans leurs intérêts et dans leur propre existence. Les objectifs des balles des combattants resistants nationalistes ne sont ni ethnique ni tribalistes ni religieux. Leurs objectifs sont essentiellement ceux qui sont les tenant irréductibles du système colonial de l'impérialisme; peu nous importe qu'ils soient noirs, jaunes ou blancs, car le colonialisme n'a pas de prédilection spécifique pour un milieu donné.

Mais pourquoi les impérialistes tremblent-ils après s'être bouché les oreilles devant le peuple ? Les français réalisent brutalement qu'ils ont assis leurs fantoches sur un volcan qui gronde. Ils sont pris de panique. Les soldats de notre armée de libération nationale, vu des moyens rudimentaires dont ils disposent, opèrent vraiment des miracles. Devant l'ampleur des activités du maquis Kamerunais, les colonialistes sont obligés, de fois à autre, de laisser transpirer quelques informations, du reste bien tamisées.

Le 10 Octobre 1959, au cours de son émission de 8 heures, Radio-Paris annonçait que dans le Mungo au cours d'un accrochage entre les troupes françaises et les nationalistes, il y a eu deux tués du côté de ces derniers. Toujours selon la même

LA JEUNESSE KAMERUNAISE A PRIS SES RESPONSABILITES

Depuis la dernière session des Nations Unies consacrée spécialement au problème Kamerunais, laquelle session a jugé bon de voter une résolution réactionnaire portant préjudice aux intérêts supérieurs de notre peuple, la situaion, comme nous n'avons cessé de le répéter, ne s'est détériorée dans ce pays, bien au contraire elle s'est détériorée davantage. Nos Jeunes combattants Kamerunais, conscients alors de la situation de l'heure, ont pris leurs responsabilités. Forts du soutien total de leur peuple et de toutes les forces juvéniles du monde et de la Patrie Africaine, nos Jeunes résistants nationalistes, ont repris résolument la lutte armée, abattant sans pitié valets et colons. C'est ainsi que l'inspecteur Bepather, commissaire spécial de la sûreté de NKongsamba fut envoyé coloniser un nouveau monde invisible. Devant le dynamisme de l'action révolutionnaire, Mr. Caulier directeur de la Sûreté au Kamerun, fit paraître une circulaire, aux termes de laquelle tout l'appareil repressif du Kamerun est mobilisé dans une action de vengeance contre les patriotes Kamerunais. Dans ce document Mr. Caulier dit nettement que de l'officier supérieur au dernier agent de police ou de l'armée ou de la gendarmerie, il faut mettre à mort et sans distinction de sexe ou d'âge, tous ceux dont le seul crime est de revendiquer leur part de soleil sous le ciel. C'est ce qui explique en partie le mythe des milices dites populaires prétendûment organisées spontanément pour lutter contre le terrorisme. Mais en réalité il s'agit de tous les "flics" du régime mobilisés contre un peuple sans défense qui n'a pour lui que l'histoire et les armes de la raison et du bon droit. La circulaire ne manqua pas de produire l'effet escompté. En effet le 10 Octobre 1959, quatre autres combattants Kamerunais passaient par les armes sans autre forme de procès.

Affairs). Ce groupe d'étude a, jusqu'à ces derniers jours, tenu le rôle de brain trust reconnu du mouvement afrikanders. Composé de professeurs, de sociologues, de juristes, il a défini la doctrine de l'apartheid en l'infléchissant dans "un sens constructif". C'est le S.A.B.R.A. qui écrit le "Tomlinson Report", base de l'action gouvernementale, qui met l'accent sur les "côtés positifs" de l'apartheid. Ce rapport recommande l'arrêt de l'afflux des Bantous hors des réserves, la formation de réserves viables, c'est-à-dire capables d'assurer aux habitants la satisfaction de leurs besoins économiques et politiques au prix de dépenses immenses se chiffrant par dizaines de millions de livres.

C'est le S.A.B.R.A. qui a conçu l'idée de construire des industries dans les réserves, même s'il faut les protéger par des droits de douane intérieurs, même si leur mise en route doit être ralentie par la nécessité d'empêcher l'intervention blanche pour éviter tout danger d'accaparement.

Mais le gouvernement n'a prévu qu'un budget de quelques centaines de milliers de livres pour l'exécution du plan et le Dr. Verwoerd vient de démissionner du S.A.B.R.A., parce qu'une partie de ses membres avaient décidé de consulter des leaders africains pour les engager à soutenir ces plans.

La crise afrikander a commencé. Elle ne saurait évoluer rapidement étant donné la force de la machine du parti, la puissance personnelle du Dr. Werwoerd et la dispersion de ses opposants. Mais, pour un parti puritain, il est grave de connaître des doutes de doctrine. Sa principale force a été la peur de l'ascension trop rapide des Bantous et, à long terme, la crainte de l'éviction des Européens; Sa principale faiblesse devient l'appréhension qu'éprouvent ses partisans à l'idée d'une double économie dirigée, protégée et arriérée dans les bantoustans, libérale et avancée mais sans appui dans le reste du pays.

Une récession mettrait le feu aux poudres. Elle ne parait pouvoir être évitée qu'en cas de relèvement du prix de l'or avant deux ans.

leurs chefs traditionnels, chaque tribu considérant la voisine comme un ennemi ou un rival potentiel.

LES PREMIERS DISSIDENTS AFRIKANDERS

Aussi le ferment du changement et du doute s'avère-t-il plus virulent qu'ailleurs au sein du parti afrikander. Son leader, le docteur Verwoerd, qui, au physique d'un Ehrard, joint le dogmatisme d'un Adenauer, demeure persuadé qu'il est le dépositaire de la vérité. A savoir que la séparation des races est à leur avantage à toutes, que leur destin doit se poursuivre parallèlement. Il prône une division totale du pays en zones blanches et zones noires ou Bantoustan, qui doivent être interdites aux Européens et développées non seulement pour les Bantous, mais par les Bantous, tant sur le plan économique - création d'industrie noire - que sur le plan politique (chefs et assemblées locales bantous), créées en même temps qu'est supprimée toute représentation des non-Européens, fût-ce par des Blancs - au Parlement sud-africain. Selon le docteur Verwoed, l'apartheid doit être poussé jusqu'à son terme: le reflux des Noirs des zones blanches de l'Union et la construction coûteuse des Bantoustans.

C'est à ce stade que vient d'éclater une crise latente au sein du mouvement afrikander - on pourrait dire de la croisade si l'on songe à l'influence déterminante de l'Eglise réformée. Un député afrikander, M. J. Bassen, vient d'être expulsé de son parti pour s'être opposé à l'exclusion, d'une part, des étudiants noirs des universités et, d'autre part, des députés représentant les Africains de la Chambre des Communes.

Pour la première fois un membre du Parlement s'est montré prêt à risquer la mort politique et peut-être des soucis quotidiens graves si l'on écoute ceux qui croient à l'influence déterminante d'une société secrète africaine, le Broder Board surveillant tous les Afrikanders.

Néanmoins, M. J. Bassen a pris position avec éclat. Cette attitude ne se comprendrait pas sans les hésitations qui se manifestent au sein du S.A.B.R.A. (South African Bureau of Racial

minimum d'égalité et plus de droits, sans pour autant souhaiter une rébellion. Il n'était pas un leader noir qui ne commençât ses discours en rappelant qu'il souhaitait le calme et non la violence. La répression, en cas contraire, serait sanglante et d'autant plus que les fermiers blancs et les colons isolés viendraient à avoir peur. Les principaux leaders bantous ont surtout répété, à chaque meeting, qu'il fallait appliquer les principes de la religion, reconnaitre les vertus de la coopération pacifique entre toutes les races et se rapprocher d'abord des métis, des Indiens et des Blancs comprenant ces grandes vérités.

Mais le continent noir est sorti de la torpeur tropicale.

La conférence d'Accra des peuples africains ayant accédé à l'autonomie et à l'indépendance, a eu un immense retentissement au Sud du Sahara. Les révoltes récentes au Congo et au Nyassaland ont suscité un intérêt passionné.

L'autorité du vieil *African National Congress* de l'Union s'en est trouvée atteinte. Un nouveau groupe s'est formé, le *Pan Africanist Congress* (P.A.C.). Il a pour chef Mangaliso Sobukwe, qui s'est insurgé contre le vieux leader modéré, le chef Luthuli.

Sobukwe, qui jusqu'à présent n'a pas été exclu de la vie politique, se réclame des mouvements nationalistes du reste de l'Afrique et plus particulièrement, du docteur N'Krumah, chef incontesté du Ghana, et de M'boya, leader syndicaliste et porte-parole des Noirs du Kenya. Il a pris contact avec eux et, croit-on, avec certains leaders travaillistes anglais, dont la victoire électorale serait considérée par le gouvernement sud-africain comme le pire péril pour l'Union.

Sobukwe parait prudent. Sa tactique semble être de commencer progressivement à prêcher la nécessité pour les Bantous de conquérir un statut digne d'eux par leurs propres efforts et ceux de leurs frères des pays voisins, sans compter sur l'Eglise ou les alliés blancs. Pour le reste, Sobuwke attend de connaitre le résultat des élections prochaines en Grande-Bretagne. Que les espoirs des Bantous puissent s'incarner en ces hommes est un fait nouveau de grande importance, même s'il n'en est ainsi que pour quelques évolués, les gens dans les réserves ne connaissant que

bois pour étayer les mines, machines pour les exploiter, explosifs et surtout banques et maisons d'escompte complétant une gamme financière très large.

L'ARGENT NE SUFFIT PAS

L'United party dispose de l'argent, de la presse, contrôlant à deux ou trois exceptions près toutes les grandes publications, à commencer par la totalité des publications de langue anglaise et quelques autres en langue afrikander. Mais la violence des attaques contre le gouvernement ne se nuance guère; chaque jour l'United party dénonce dans les journaux les efforts du gouvernement pour se détacher de la Grande-Bretagne, tendre vers la République et varier ses sources d'importations; chaque jour, il condamne l'apartheid: ou plutôt les erreurs, les abus de la ségrégation plutôt que ses réalités. Par une singulière acrobatie intellectuelle, l'opposition critique la ségrégation en tant que système, mais non le principe de la séparation des races quand et dans la mesure où il est applicable. Elle déclare tous les hommes égaux s'ils ont le même degré d'éducation ainsi que de culture politique, la différence de niveau actuelle justifiant seule provisoirement la différence des statuts.

Chaque jour, l'opposition met à nu tel ou tel scandale local d'abus de pouvoir, sans s'en prendre au système, car les masses d'origine anglaise, aussi bien qu'allemande et hollandaise, demeurent également persuadées que tous les moyens sont bons pour défendre la prééminence — la survie des trois millions d'Européens de l'Union — contre la marée montante des neuf millions de Bantous et des deux millions d'Asiates et de Coloured (métis).

Ainsi en était-il jusqu'à ces derniers mois, il y avait des conflits, mais pas de véritables problèmes. L'Union Sud-Africaine était un pays de certitude.

Il faut bien l'écrire au passé. Il n'en est plus ainsi.

L'évolution s'affirme: elle ne vient pas de l'opposition, qui demeure un parti politique peu efficace, plaqué sur des intérêts fortement majoritaires (88% des mines, 80% des banques, 75% des assurances, 55% de l'industrie sont sous même centrale de groupes liés à l'Angleterre).

Elle vient à la fois des Bantous et des Afrikanders.

UNE NOUVELLE OPPOSITION AFRICAINE

Chez les Bantous, le principal souci a été longtemps de faire admettre qu'il était demandé un

AFRIQUE DU SUD
VACILLEMENT DES CERTITUDES

Dans l'Union Sud-Africaine, les hommes bougent plus que les idées: le goût des grands treks demeure, l'émigration au Kenya, au Congo et en Rhodésie ne fixe les fermiers que pour quelques décennies dans des parties provisoires et l'administration du pays se déplace massivement tous les six mois de Prétoria au Cap et du Cap à Prétoria.

Les doctrines et les partis varient peu. Le premier ministre actuel, le docteur Verwoerd, continue de défendre l'apartheid comme ses prédécesseurs, le docteur Malan et M. Stridjom, mais avec plus de fougue et de passion. Le processus de séparation des races se poursuit: l'Université de Johannesburg, qui comptait une douzaine d'étudiants noirs en temps normal, a reçu l'ordre de ne plus en accepter d'autres quand ceux-là auront terminé leurs études. Les taudis noirs de Sopheatown, banlieue de Johannesburg, tombent sous la pioche des démolisseurs. Les Blancs viendront dans le quartier reconstruit, tandis qu'une ville-dortoir nouvelle de quarante mille habitants, Meadowtown, se crée a quelques kilomètres de là pour reloger les Bantous (1).

L'opposition — l'United party qui fut celui du général Smuts — n'a pas trouvé de véritable chef: M. Harry Oppenheimer, qui se trouve à la tête du plus immense empire minier d'Afrique Noire, a renoncé à ce rôle dangereux pour ses intérêts, qui s'étendent du diamant (De Beers) aux mines d'or (contrôle direct absolu de l'Anglo-American Corporation, contrôle indirect de la majorité des autres grandes "mining houses"), sans oublier toutes les activités pouvant s'y rapporter de plus ou moins près:

(1) Nom donné en Union sud-Africaine à toutes les tribus noires de l'Union, des Rhodésies, du Mozambique.

nistres n'ait pas tenu compte des oppositions des Guinéens.

Ce système obéit à un vieux proverbe soussou : *Fata mu beri tinka man beri*, ce qui, signifie : «Apprendre est éternel, non savoir». Il dit assez l'ambition du gouvernement de mobiliser les esprits, de les discipliner et d'en faire le moteur même de sa politique — un moteur qu'il entend contrôler.

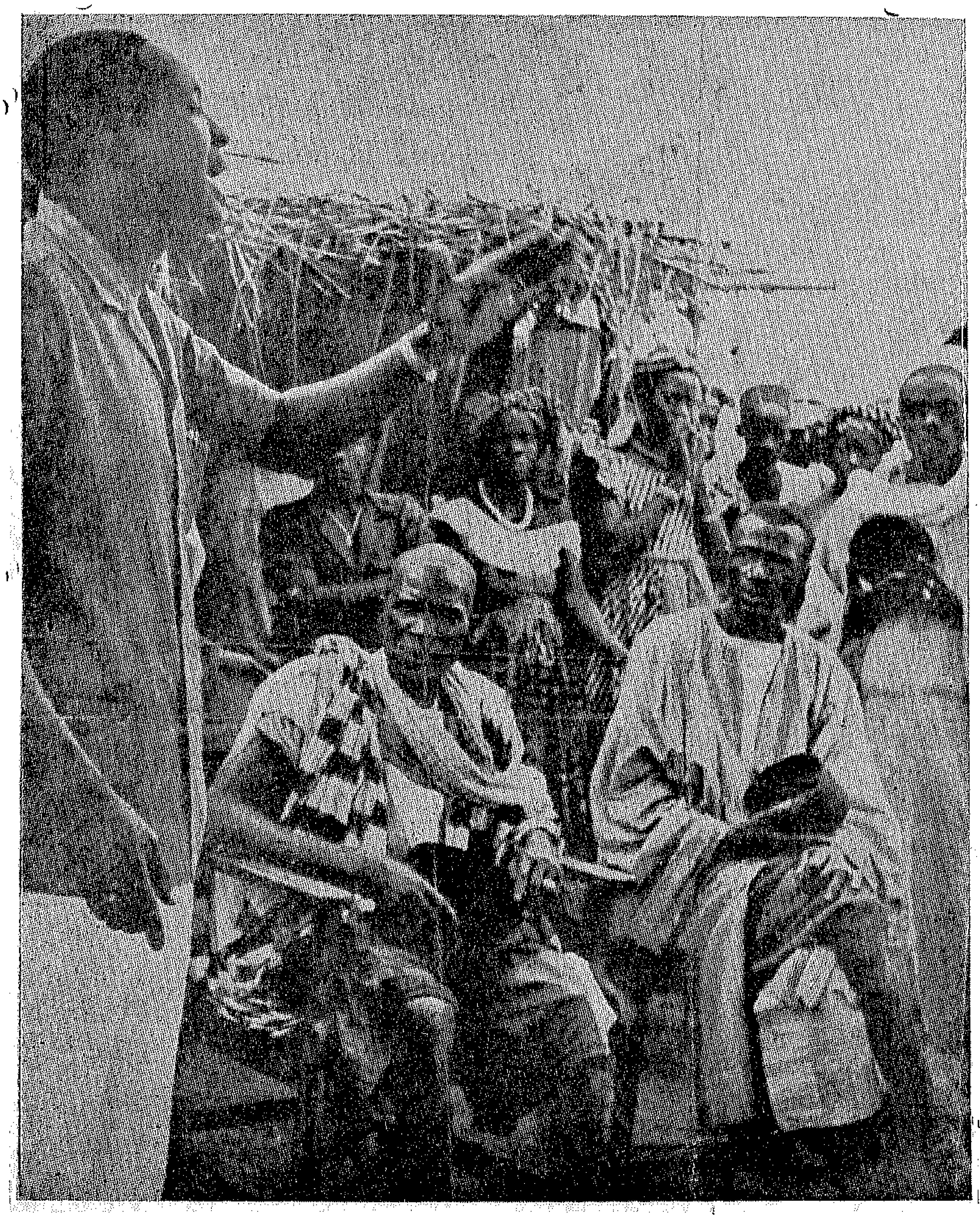

Le chef de circonscription, responsable devant le Gouvernment, vient écouter le Conseil communal, puis profite de l'occasion pour parler impôts.

des éclats de couleurs. Une reproduction de Picasso, une autre d'Utrillo, délèguent dans ce coin perdu de la brousse africaine une femme à trois yeux, deux nez et un coin de Montmartre hivernal.

Comme un pendule

Dès que Nabi Soumah reçoit des instructions de Conakry, lui, en assure la redistribution à travers son territoire et en même temps à travers sa propre ville. Dans chaque quartier, une section locale du parti, du PDG. mobilise les citoyens et les oblige à participer à ces discussions publiques. Pour les assembler, on fait sonner le clairon ou, au contraire, on envoie à travers les rues un cycliste muni d'une cornette, parfois d'un sifflet; les gens du quartier comprennent alors qu'une réunion exceptionnelle aura lieu le soir dans leur secteur.

A Forécariah, le Conseil communal comprend 17 membres, plus 5 chefs de service, dont 2 femmes. Tous les jeudis soirs, il y a réunion de la section politique et discussion. Les 17 membres sont aussi chefs de quartier, c'est-à-dire chefs politiques de section et responsables devant leur bureau central. Cette imbrication marxiste du pouvoir administratif et des obligations politiques ressemble au système des «cambous» chinois. Eux aussi servent l'Etat à travers leur parti ou le contraire.

Les réunions sont obligatoires et ont lieu une fois par semaine. Elles sont fixées d'avance, sauf en cas d'exception. Tandis qu'à Forécariah les sections du parti discutent pour faire connaître leur opinion, le chef de la circonscription fait le tour des villages afin de recueillir les critiques élaborées à l'échelon local. Il profite du contact avec ses administrés pour leur rappeler les choses désagréables qui s'appellent récolte des impôts, obéissance aux chefs, présence obligatoire aux séances, gamme étendue des responsabilités et droits en décroissance. C'est un genre de discours que personne n'aime, mais c'est à travers ces paroles-là que le dernier des Guinéens fait connaissance avec l'indépendance.

Quand le chef de circonscription a réuni toutes les réactions des villages, il les retransmet à Conakry au gouvernement ou au parti sous forme de rapport écrit ou verbal, selon les cas. Ce système de démocratie pendulatoire permet ainsi au pays d'être alerté continuellement sur les problèmes du jour, d'en discuter, de faire connaître son avis. Une idée émise par la capitale revient à son point de départ souvent modifiée, chargée de nuances. Jusqu'à présent, il n'est pas de cas où le Conseil des mi-

par ce geste, il exprime sa liberté de parole à l'égard de l'autorité. Il parle longuement. D'abord d'une voix monotone. Puis la danse des mots commence à agiter son imagination. Il répète alors sous toutes sortes de formes la même idée, la détaille, la multiplie, la fait éclater en mille feux autour de lui. Son discours peut durer des heures.

« *Landsgemeinde* » *à la mode africaine*

Pendant ce temps, le village, qui connaît par le tam-tam le thème de la discussion de son conseil, s'agite dans les huttes. Les hommes, retour des champs ou de la forêt, se lavent, enfilent d'ample robe et viennent cerner peu à peu le Conseil du village. Les femmes, les jeunes filles, vêtues de leurs plus beaux boubous — c'est pour elles une occasion de les montrer—viennent à leur tour s'agglutiner autour de leurs chefs. Elles forment une masse à part. Les plus âgées assises, les nubiles derrière, la poitrine nue. Tout le village participe ainsi à la discussion, heureux d'échapper aux trois problèmes-chefs qui alimentent depuis toujours leurs disputes: le mariage, les bœufs en promenades et qui causent des dégâts dans les champs et, enfin, les litiges concernant la limite des champs de culture. Les femmes se montrent les plus acharnées à faire rebondir les problèmes. Parfois, une grosse plaisanterie interrompt la discussion. Tout le monde rit. Les femmes rient plus fort encore, mais placent devant leur bouche, ainsi que le veut l'usage, une main aux doigts écartés. Rien ne rappelle davantage ces séances de villages africains que les *Landsgemeinden* de la Suisse primitive. Mais ici, les femmes considérées comme inférieures du point de vue politique ne participent pas à ces rassemblements.

C'est à ce moment que surgit le chef de la circonscription. J'en ai suivi un au cours de sa quête d'information, Je l'ai trouvé d'abord à Forécarish, petite ville de 3000 habitants, enfouis sous les bananiers. Il s'appelle Nabi Soumah. Agé de 31 ans, il est membre de l'Assemblée nationale. Dans son petit bureau, ouvert à la fraîcheur des fromagers et à la couleur des bougainvillées, il me reçoit avec une extrême gentillesse. L'appareil à air conditionné ne marche pas, car l'électricité est coupée. La nuit dernière, un orage a abattu une bonne douzaine de poteaux électriques. Dans sa petite bibliothèque, une encyclopédie juridique voisine avec un Larousse un peu usé. Des livres de droit, le Code Napoléon, emprisonnent un roman policier. Un calendrier évoque des fraîcheurs azuréennes et jette sur les parois passées à la chaux

restait plus qu'à transformer nos idées en réalités.

Dès qu'une décision est prise au Conseil des ministres, les secrétaires d'Etat à la Présidence se chargent de la faire connaître au pays. Radio-Conakry, le soir et à midi, la diffuse, en français, en soussou et en malinké. Par téléphone, on la fait parvenir jusqu'au chef des 25 circonscriptions. A leur tour, ceux-ci envoient des plantons, des éclaireurs, des messagers dans les différentes communes de leur territoire. Il faut que chaque village connaisse dans le délai le plus bref — qui ne doit pas dépasser vingt quatre houres en certaines circonstances la décision de Conakry. A partir de certains villages, il n'y a plus aucun moyen de transmission moderne. Dans la montagne, dans les vallées sombres de la forêt vierge, les habitants ne possèdent ni poste de TSF, ni téléphone. Parfois le premier achat collectif, donc le premier geste volontairement accepté qui soude le hameau au reste du monde, c'est un appareil récepteur à galère. L'humidité ne lui assure guère plus de deux saisons de vie. Pour atteindre ces lieux perdus, en utilisant des sentes rougies de latérite, un messager met parfois plus d'un jour. Pour simplifier sa tâche, avant qu'il arrive avec ses instructions écrites, le tam-tam alors se met en marche. C'est un téléphone extraordinaire d'efficacité. Il traduit en sons, en roulements de tambour, en rythmes syncopés les instructions du gouvernement. Dans les villages accrochés au flanc des montagnes, une oreille dont la sensibilité dépasse la nôtre de 10 nuances, perçoit dans l'air ce message sourd que porte la terre. A mesure qu'il le traduit en langage clair, il le transmet afin que plus loin, toujours plus loin, jusqu'au fin du pays, le Conseil des ministres fasse entendre sa voix.

Dans chaque village, le chef réunit alors son Conseil local qui ne peut jamais compter moins de 5 membres. Souvent les femmes font parties de ces conseils de commune. Leur participation ajoute une sorte de ferment violent, pour ne pas dire passionnel, aux palabres qui vont commencer sous l'avant-toit en branches de palmes d'une case ou sous un baobab. Elles jouent leur rôle nouveau avec ardeur et ne feront pas mentir le proverbe africain «l'homme est l'enclume, l'enfant le fer et la femme le feu». Le chef du village expose à ses collègues le problème qui vient d'être agité à Conakry. Aussi longtemps qu'il reflète la décision du gouvernement, il enlève sa coiffure, sorte de chéhia en velours dévorée par le soleil. Au cours de la discussion, il la remet sur sa tête. Et

nistres de se faire entendre jusqu'au fin fond de la forêt vierge, dans les villages les plus reculés du pays.

Comment les Guinées sont-ils arrivés à ce résultat pratique? Sékou Touré, un jour, me l'a révélé en me disant ceci :

— Nous pensons à l'indépendance de la Guinée depuis 1944 : exactement depuis que le général de Gaulle nous a laissé entrevoir la possibilité d'accéder à l'indépendance. Cétait à Brazzaville. Vous vous en souvenez?... A partir de ce moment-là, nous avons imaginé comment se présenterait notre pays en tant qu'Etat libre. Nous avons passé en revue les problèmes de la souveraineté et de l'autorité. Nous avons essayé de trouver pour chacun de ces deux aspects de la vie nationale d'un pays les solutions les plus adaptées à la situation africaine. Il nous a fallu des années, après avoir éliminé beucoup d'erreurs de jugement, pour trouver notre voie. Cet acquis positif en nos mains et à partir de ce moment-là, il ne nous

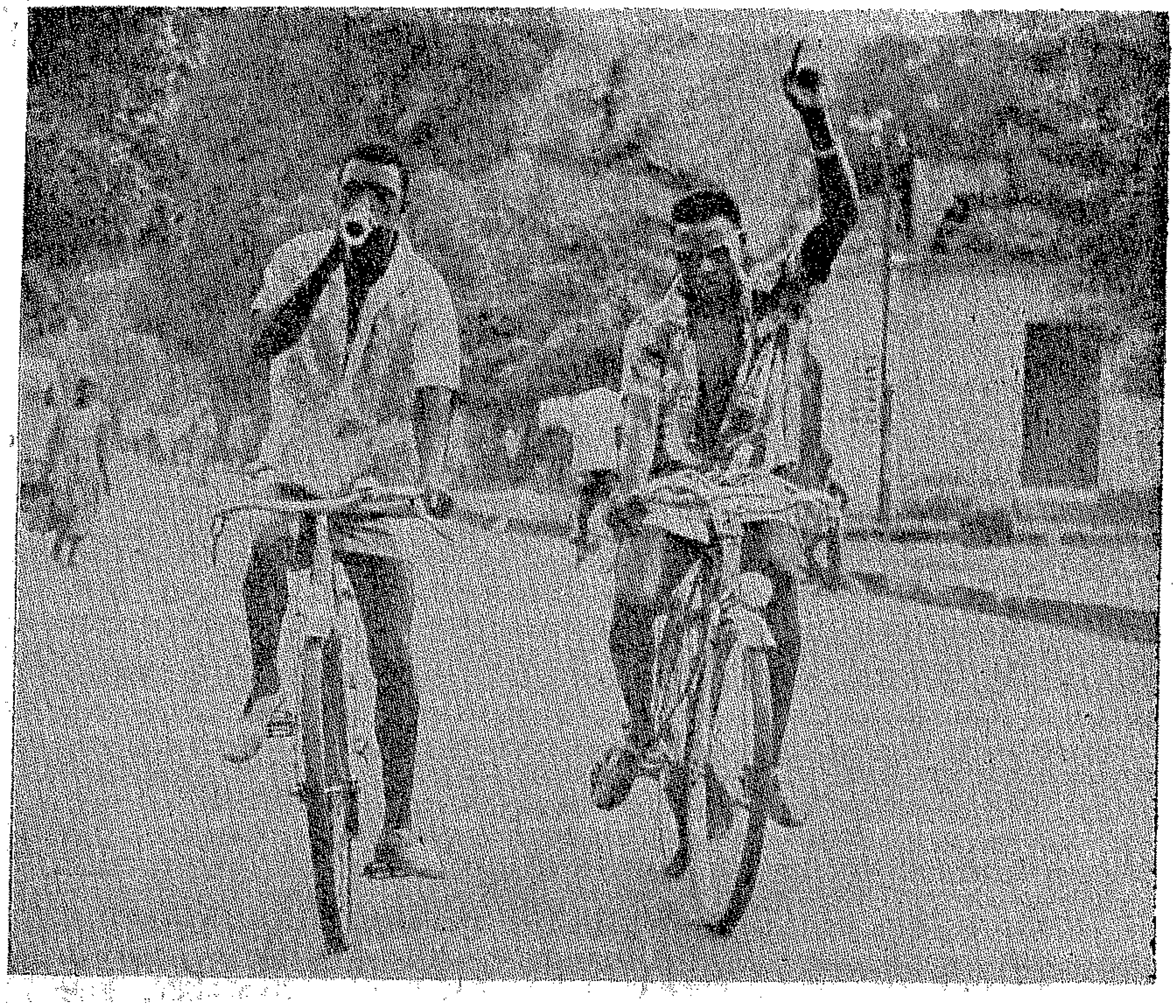

Dans les quartiers indigènes de Conakry, deux cyclistes traversent la ville en trompettant. Ce qui signifie: réunion publique et obligatoire ce soir.

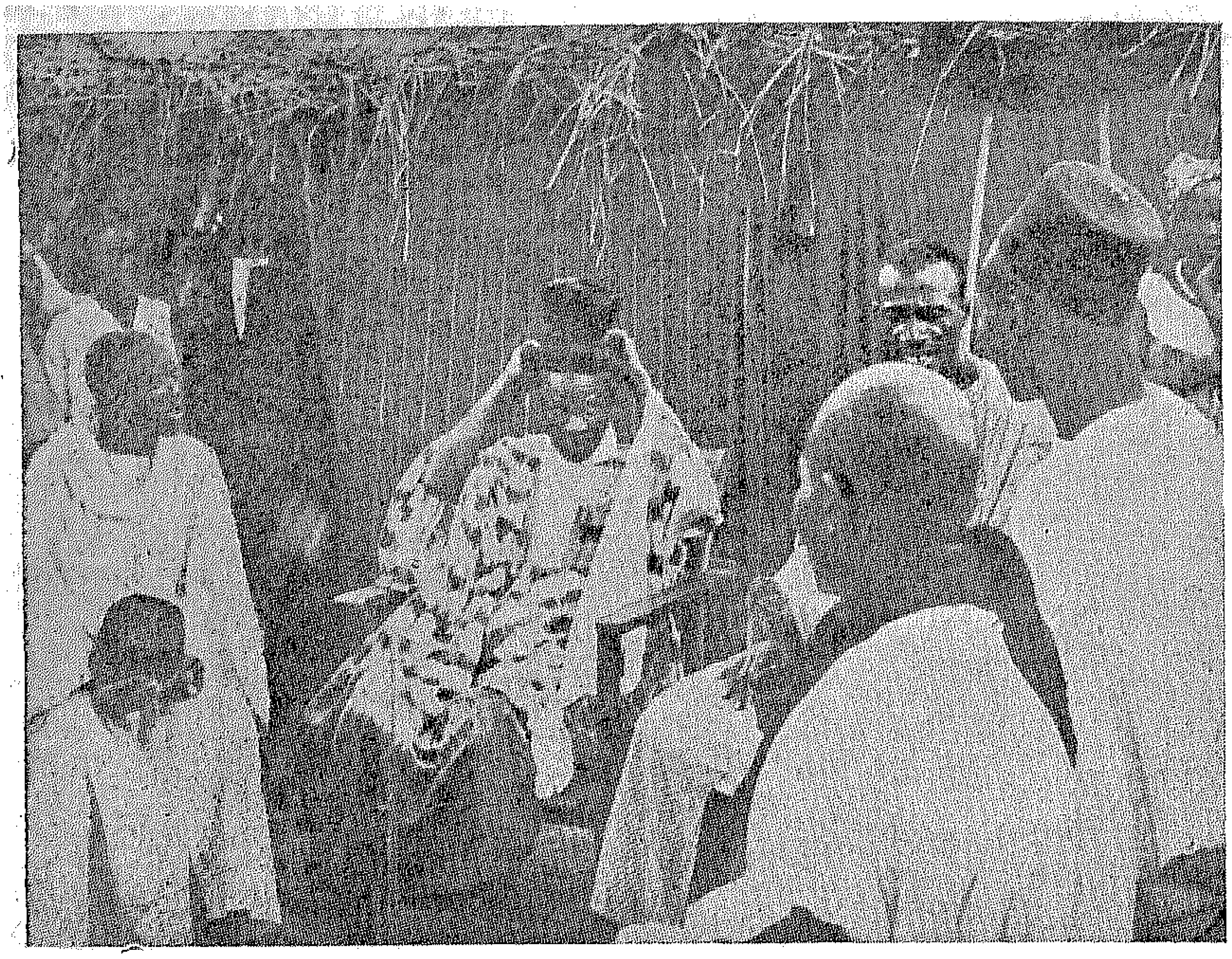

Dans un petit village de la frontière de la Sierra Leone, le tam-tam a apporté la décision du Conseil des ministres. Alors le Conseil du village, composé de cinq membres, se réunit.

tionne un autre au passage, fait le tour de la table et choisit un mot aimable pour chacun. On entend voler dans la pièce, selon l'habitude africaine, beaucoup de «Ça va ?» et de «Mon vieux...». La séance peut alors commencer dans une atmosphère très «quartier Latin et séance de boys scouts» jusqu'au moment où l'opposition fait entendre sa voix. A l'amitié succède le souci de l'efficacité.

Quand un des ministres a quelque chose à dire, il commence presque toujours par : «Tu ne crois pas que...», et ce disant, il se tourne vers Sékou Touré.

Chaque jour, dans cette salle un peu austère, les responsables abordent des sujets dont la veille ils ignoraient même l'existence. Chaque jour aussi, ils voient surgir des problèmes de plus en plus épineux. La Guinée commence tout à partir de zéro. Leur indépendance est si neuve qu'ils n'ont pas encore réussi à l'insérer dans le contexte historique du monde moderne. Ce qui est stupéfiant en Guinée, et les observateurs sont unanimes à le reconnaître, c'est cette possibilité, pour le Conseil des mi-

GUINÉE
LA PLUS JEUNE RÉPUBLIQUE DU MONDE

A Conakry, dans le Palais de la Présidence, au premier étage, la grande salle qui accueillait autrefois les hôtes du gouverneur de la France pour y fêter le Quatorze Juillet, accueille aujourd'hui le Conseil des ministres de la nouvelle République de Guinée. Ils prennent place autour d'une immense table rectangulaire. Selon le caractère des discussions, le président Sékou Touré s'assied au centre de ses ministres ou à l'extrémité de la table.

Au milieu de ce cercle d'Africains brille une étoile noire : c'est Keita Fodéba, ministre de l'Intérieur. Son nom, plus de 30 pays le connaissent. On l'a vu flamber sur les affiches et sur le fronton des théâtres du monde entier. C'est lui qui inspirait, puis dirigeait la troupe des ballets africains qui portent son nom.

Il ne faut pas beaucoup de temps pour réunir le Conseil des ministres. Le plus éloigné de ses membres ne travaille pas à plus de 100 mètres du palais. Un coup de téléphone ou, au besoin, l'envoi d'un planton, et les voilà qui arrivent pour discuter des problèmes du jour. L'ordre du jour court au plus pressé. Souvent, le Conseil commence à 9 heures du matin. Il n'est pas rare qu'il se termine au petit jour. Le goût de la discussion, l'enivrement du verbe, l'exaltation d'aborder de face des problèmes aussi durs que l'acier, créent, au sein de ce Conseil, une intensité exceptionnelle.

L'arrivée du président

Tout le monde parle français, puisque c'est la langue officielle. Presque tous se tutoient. Les premiers arrivés prennent place dans leur fauteuil, se communiquent leurs dossiers, lisent une dépêche, échangent leurs impressions et attendent le président Sékou Touré. Celui-ci, par son intelligence et une indiscutable clairvoyance politique, les domine tous. Mais en bon Africain qu'il est, son sens du compromis, le rend prudent.

A son entrée, quelques-uns des ministres se lèvent et vont à lui. Il leur serre la main, en entraîne un dans un coin à qui il glisse une confidence, en ques-

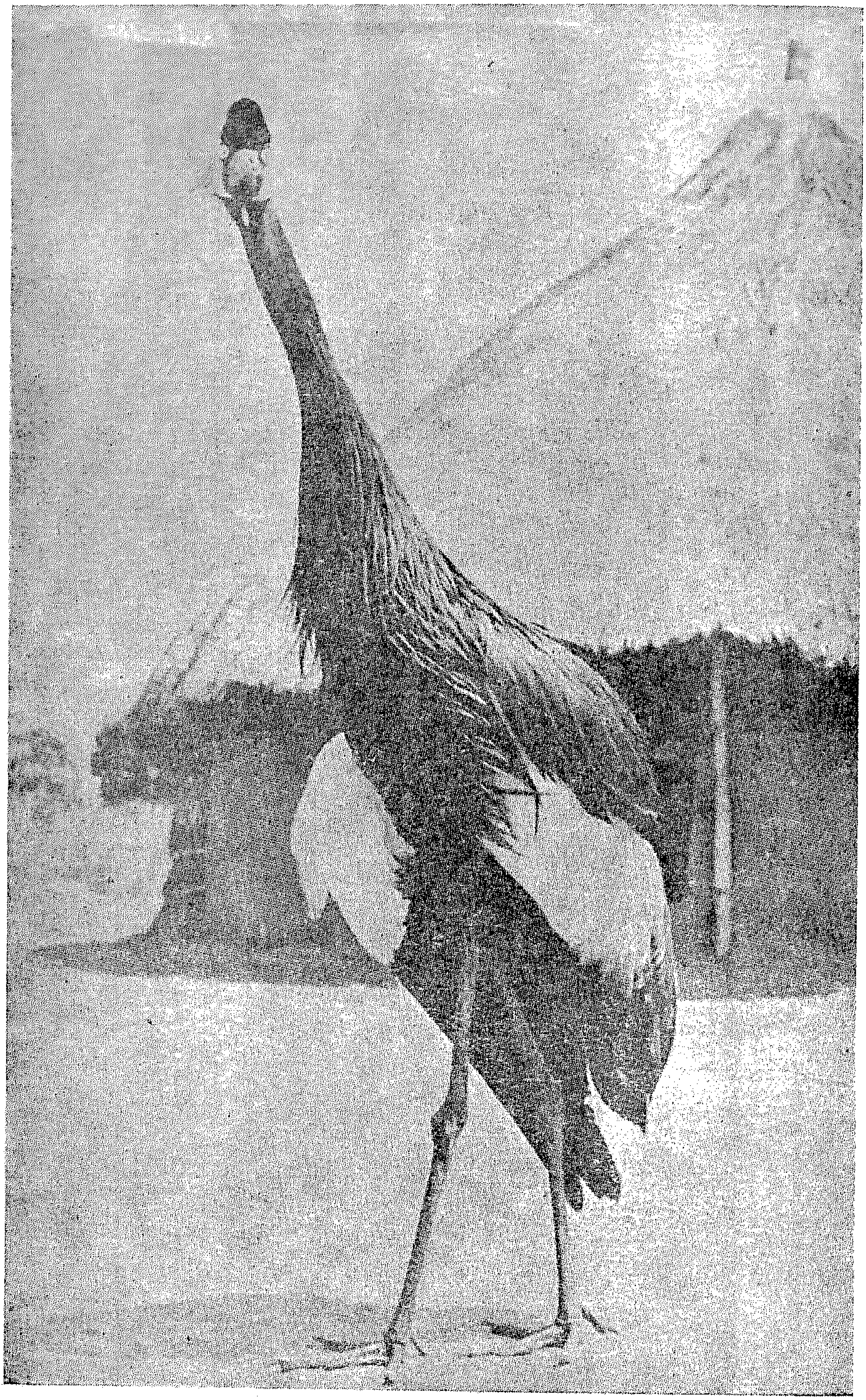

((طائر افريقي

2nd. Year

Issue No. 24 November 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- WHAT LIES BEYOND SMOKE
- ARAB TRADERS IN AFRICA
- SOME AFRICAN NOVELISTS
- KHARTOUM REMINISCENCE
- THE ART OF SCULPTURE
- BOOK OF THE MONTH

30 Milliemes

السنة الثالثة

العدد ٢٥

ديسمبر ١٩٥٩

نهضة أفريقية

في هذا العدد

- المؤتمرات الأفريقية الصغرى
- فن النحت في أفريقية
- الشعر في غرب أفريقية
- اللغة السواحلية
- الرحالة العرب في أفريقية
- كتاب الشهر

الثمن ٥ قروش

فن النحت فى الكونغو

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ـ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٦ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

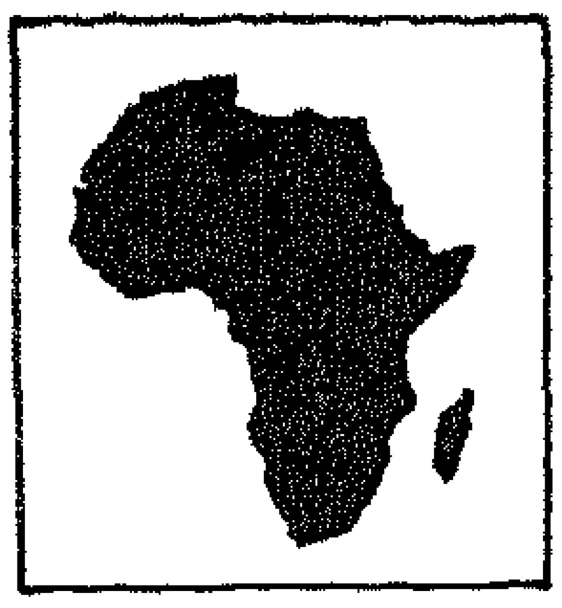

نهضة افريقية

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

يضم هذا العام ـ عام ١٩٦٠ ـ بين جنبيه لافريقية آمالا كبيرة فستتحرر فيه أربع دول هي ((نيجيريا ، والكاميرون ، والصومال ، وتوجولاند)) ولا شك أن في هذا مكسبا ضخما للقارة . فستنضم موجات التحرر هذه الى موجات التحرر الأخرى التي لم تقف، ولكنها سعت ، وحرضت ، وتلاطمت في وجه الاستعمار حتى غدا بقاؤه في افريقية مستحيلا ! .

وهكذا تأخذ كل موجة جديدة دورها في بحر الحرية الكبير ، فلم يحدث أبدا في تاريخ القارة أن انعزلت دولة متحررة عن اخواتها . لأنها تتلاقى مع كل الدول الافريقية بجذور ضاربة في أعماق التاريخ .. في أعماق افريقية! هذا هو المصير المشرق الذي تقرر بالنسبة لهذه الدول الأربع التي تنضم الى قافلة الحرية . ولكن قلعة الحرية لاتزال تخفي ثوارا ، وتضم سواعد متشنجة على القدر في رءوس الرماح ، وتؤكد عزم القارة على أن تكون افريقية للافريقيين ، وليس معنى هذا أن القارة ستنعزل على نفسها ، ولكن معناه أنها ستجد مزيدا من الوقت ، ومزيدا من التفكير لاثراء الحياة ، والاسهام في خلق مزيد من الرخاء ، والسلام ، والحرية للعالم أجمع ! .

ان الأمل كبير في أن تنال كل افريقية حريتها في هذا العام ، ولاشك أنه سيكون مليئا بالدم ، وبالضحايا ، ولكن المعركة ستسفر أخيرا كما كانت تسفر دائما عن مزيد من النور . فالى فجر الحرية الكبير في عام قادم .. عام ١٩٦١ .

((عبده بدوى))

محتويات العدد

	صفحة
المؤتمرات الافريقية الصغرى :	
للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق	٣
افريقية كما يراها الأجانب :	٧
اللغة السواحيلية :	
للأستاذ محمد جلال عباس	١٧
الرحالة العرب في افريقية :	
للدكتور حفني شرف	٢١
الشعر الافريقي بعد الصحراء :	
للأستاذ عبده بدوى	٢٧
من وحى افريقية :	
للأستاذ سعد دعبيس	٣٢
ما بين البيض والسود :	
للأستاذ فتحى اسماعيل كوكب	٣٥
جولة مصورة حول افريقية :	٣٩
شخصية العدد :	
((ابن مسجح))	٤٣
فن النحت في غرب افريقية :	
للأستاذ حلمى شعراوى	٤٦
كلمات وصور	٥٥
من القصص السوداني :	٦٣
للأستاذ عباس خضر	
صور على كتاب :	
للدكتور بطرس غالى	٦٧

حديث الشهر :

المؤتمرات الأفريقية الصغرى

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

ان الحركات القومية العارمة التى تجتاح القارة الافريقية اليوم من أدناها الى أقصاها لم توجد بمحض المصادفة ولم تتكون خبط عشواء ، وانما سبقتها مراحل طويلة من التهيؤ النفسى ، والنضج العاطفى ، والتصور الخيالى ، والتخطيط العقلى الذى أدى فى النهاية الى التجمعات العملية البشرية التى يسمونها أحزابا ومؤتمرات .

ولم تكن المؤتمرات الافريقية بنت السنوات القليلة الماضية ، بل انها لم تبدأ على أرض القارة نفسها ، ولم يقم بها أول الأمر أناس عاشوا على أرض أفريقية ، وان كانوا من سلالتها. فقد شهدت جزر الهند الغربية (التى تقع فى فجوة بين الأمريكتين : الشمالية والجنوبية) فى أوائل هذا القرن ((براعم)) مؤتمرات عقدها الزنوج المسخرون هناك لزراعة البن وقصب السكر — للتعبير عن السخط وطلب الانصاف ((للجنس الأسود)) ، وشهدت أمريكا الشمالية نفسها ، فى الثلث الأول من هذا القرن تيارات ((زنجية)) قوية كان بعضها يرمى الى حمل زنوج أمريكا للعودة الى افريقية لكى يعيشوا بها أحرارا ، وكان بعضها الآخر يدعو الى تهيئة المشاعر والأذهان، فى الأوساط الدولية ، لرفع الحيف والاستعباد عن الشعوب الافريقية المغلوبة على أمرها ..

وكان العدد القليل من الشباب الافريقى المثقف الذى استطاع النفاذ الى العواصم الأوروبية طلبا للعلم أو سعيا وراء الرزق أو هربا من العسف والطغيان — كان هؤلاء يتجمعون ، وتقوى جماعتهم سنة بعد أخرى ، ويعقدون بين الفينة والفينة مؤتمرا، فى ((لندن)) ، أو ((باريس)) ، أو ((مانشستر)) للدعوة ووضع الخطط لتحرير افريقية . ومن هذه التجمعات الصغيرة انبثقت فيما بعد أحزاب سياسية كبرى نراها اليوم ممسكة بزمام الحكم فى ((**غينيا**)) و ((**غانة**)) و ((**نيجيريا**)) ، ونشهدها رافعة شعلة الكفاح فى ((**أوغندا**)) و ((**كينيا**)) و ((**زنجبار**)) ((**ونياسا**)) .

ومن تلاميذ تلك المدارس الوطنية الأولى ((**سيكوتورى**)) و ((**انكروما**)) و ((**أزيكوى**)) و ((**كوانوكا**)) و ((**على محسن**)) و ((**الدكتور باندا**)) و ((**جوموكينياتا**)) ..

ومن هذه الروافد المتعددة تكون « نهر » فتى افريقى التقى بآخر آسيوى دافق فى ((باندونج)) ، وبدأت من ذلك الحين (عام ١٩٥٥) التجمعات الافريقية الآسيوية ذات المدى الواسع ، والمؤتمرات الافريقية الشاملة الوطيدة الأركان التى استطاعت أن تجمع ، على صعيد واحد فى القاهرة وأكرا ومنروفيا ممثلى شعوب افريقية وحكوماتها، واستطاعت أن تجتذب الأحرار من وراء الحواجز الاستعمارية الرهيبة التى أقيمت من حولهم فى « الكونغو » و « انجولا » و « كينيا » و « موزمبيق » ...

وقد أصبحت هذه المؤتمرات ظواهر تاريخية ضخمة شاخصة اليها الأبصار ، وأصبحت أنباؤها وقراراتها ومنظماتها الدائمة ، ودوراتها المقبلة حديثا يدور على كل لسان ، لا فى القارة الافريقية وحدها ، وانما فى هيئة الأمم ، وفى أركان العالم الفسيح، ولكنها — أى هذه المؤتمرات ، قد سبقها على أرض القارة ، وتولد منها مجموعة من الهيئات و « المؤتمرات الصغرى » التى توصف فى العرف الدولى « بالمنظمات الاقليمية » والتى قامت، وسوف تقوم ، بدور حيوى فى انجاح « المؤتمرات الكبرى » وتمهيد الطريق لتحقيق أهدافها ..

فمما سبق المؤتمرات الافريقية الشاملة هيئة شملت الجانب الأكبر من افريقية الغربية ، أنشأها القادة والمثقفون الافريقيون فى مدينة ((باماكو)) عاصمة السودان الغربى باسم **((التجمع الديموقراطى الافريقى))** عام ١٩٤٦ .

كانت الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها .

وكان مؤتمر « برازافيل » قد أوضح تراخى قبضة فرنسا على مستعمراتها ، وتجمع أكثر المشتغلين بالحركات القومية فى المستعمرات الفرنسية الشاسعة ، فى « باماكو » ليضعوا أسس نهضة قومية وبعث التراث الافريقى .

وقد اعتبر هذا التجمع « مؤتمرا » أو « حركة دائمة » لها شرايينها التى تسمى « فروعا » فى مختلف المناطق « الفرنسية » وبرز من خلال صفوفه زعماء من أمثال «سنجور» و «هوفوى بوانييه » و « موديبو كيتا » و « سيكوتورى » ..

والواقع أن ظروف التطور الاجتماعى فى المستعمرات الفرنسية فى ذلك الحين، والظروف الخاصة لزعماء « التجمع » لم تتح له أهدافا وطنية « مثالية » . فقد استقر رأى زعماء التجمع على طلب المزيد من «الحكم الذاتى» وعلى تقوية أواصر التعاون ، والتكافل بين الأقاليم المنتظمة فيه ، ولكنه لم يجعل « الاستقلال » من بين أهدافه ..

كان هذا التجمع خطوة تمهيدية فى سبيل « الوحدة الافريقية » وقد استطاع أن يزيل كثيرا من الحواجز التى كانت تقف بين بعض أقاليم « افريقية الفرنسية » وبعضها الآخر، كما استطاع أن ينتزع من فرنسا كثيرا من «الصلاحيات الإدارية» التى

مهدت السبيل فيما بعد لـ «أفرقة» الوظائف الحكومية ..

وكان « التجمع » فى الوقت نفسه بوتقة استفاد بحرارتها زعماء «غينيا» الشبان الذين كانوا يضمرون منذ البداية التخلص التام من ربقة الاستعمار .

ولما جاء بعد ذلك « باندونج » بتياراته الدافقة ، ثم مؤتمر « أكرا » للدول الافريقية المستقلة ، ثم مؤتمر الشعوب الافريقية ، بدا الكثيرين من زعماء « التجمع » أن الزمن يسبق أمانيهم ، فمنهم من ضرب ضربته الحاسمة وفاز بالاستقلال الكامل « كزعماء غينيا » ومنهم من تقدم فى اصرار لازاحة « الكابوس الفرنسى » قدر المستطاع وتكوين «اتحاد مستقل» كما حدث فى « اتحاد مالى » ..

وقد كان من نتيجة التيارات القوية الدافقة التى أشرنا اليها أن ((تخاخل)) التجمع الديموقراطى وانفصل بعض أجزائه وتطور بعضها الآخر ، بعد أن استنفد غرضه التاريخى ..

والى الشمال من منطقة « التجمع الديموقراطى الافريقى » شهدنا عام ١٩٥٧ « مؤتمر طنجه » الذى ضم ممثلى الأحزاب الحاكمة فى تونس والمملكة المغربية وممثلى جبهةالتحرير الوطنى الجزائرية ..

وقد كانت **((وحدة المغرب العربى))** وما زالت هدف المسئولين والقادة المغاربة كجزء من الوحدة العربية ، ثم الوحدة الافريقية .

وحينما قرر القادة الجزائريون « قبيل عام ١٩٤٥ » القيام بحركتهم التاريخية اجتمعوا مع ممثلى الشعب التونسى والشعب المراكشى ، اللذين كانا يكافحان فرنسا ويحملان فى وجهها السلاح ، واتفقوا جميعا على الا يلقى أحد منهم السلاح الا بعد اعتراف فرنسا باستقلال أقطار المغرب الثلاثة.

ولكن ظروفا متنوعة جعلت المسيطرين من القادة فى تونس ، ثم فى مراكش ، يغيرون الخطة ويقبلون **((فترةانتقال))** قبل الاستقلال ، وظلت الجزائر وحدها ، تقريبا ، فى خط النار ، وتوالت الأحداث فتولى « حزب الاستقلال» الحكم فى مراكش وارتكبت فرنسا حماقاتها المشهورة فى تونس وأصبح الجو مهيئا لتجمع مغربى جديد ، واتخذ هذا التجمع هيئة « مؤتمر طنجة » فى ابريل عام ١٩٥٧.

ونظرا للظروف الخاصة التى تحيط بالحرب الجزائرية فقد جعل المؤتمر جلساته سرية ، ولكنه أعلن بعد انتهائه بعض القرارات التى اتخذها وأهمها : مواصلة حرب الاستقلال فى الجزائر، واجلاء القوات الفرنسية والأسبانية عن أراضى المغرب العربى ، كما أعلن أنه وضع أسس الوحدة المغربية والمراحل التى سوف تتخذها هذه الوحدة . وقرر المؤتمر تكوين ((سكرتارية دائمة)) تتمثل فيها الحركات المغربية الثلاث وتتكون من مكتبين أحدهما فى ((تونس)) والآخر فى ((الرباط)) .

ومن أهم التجمعات الأفريقية التى حدثت فى الآونة الأخيرة مؤتمر الـ « بافميكا » ..

وهذه الكلمة تتكون من الحروف

الأولى الافرنجية لـ «الحركة الوطنية الشاملة لشرق ووسط افريقية » أو
Pan African Movement of East Central Africa.

ويضم هذا المؤتمر الذى انعقد لأول مرة فى سبتمبر من العام الماضى (١٩٥٨) فى بلدة « موانزا » فى « تنجانيقا » ممثلى الأحزاب الوطنية فى « أوغندا » و « كينيا » و « زنجبار » و « تنجانيقا » و « الروديسيات » و « نياسا » .

وقد بحث المؤتمر تنسيق الكفاح بين الأقاليم الممثلة فيه ، والتى تتفاوت فى نصيبها من التقدم ومن التطور نحو الحكم الذاتى . وقد وحد المجتمعون أهدافهم العليا التى تتلخص فى الاستقلال وتكوين حكومات افريقية خالصة ، ووضعوا أسس التعاون فيما بينهم والتشاور فيما قد تتقدم به اليهم بريطانيا من مقترحات وعروض . كما أصدروا قرارات أهمها الاصرار على طلب الافراج عن المسجونين السياسيين وعلى رأسهم « جوموكينياتا » و «دكتور باندا» والغاء حالة الطوارىء المعلنة فى « نياسا » و « كينيا » و « أوغندا » وضرورة تمثيل الافريقيين تمثيلا صحيحا فى المؤتمرات التى سوف تعقد فى لندن (خلال عام ١٩٦٠) لبحث شئون أقاليم الـ « بافميكا » ..

هذه هى الروافد الهامة التى تغذى حركة « الزحف المقدس » الكبرى الى التحرر والاستقلال

زنجبار « ذات القرنفل »

أفريقية كما يراها الأجانب

فى هدوء ووضوح نادى موجه الطائرات فى مطار دار السلام فى تنجانيقا قائلا : « ليتفضل المسافرون الى زنجبار وطنجة وممباسا بركوب الطائرة » .

ولم يمض وقت طويل على تحليق الطائرة بنا حتى بدأت تتكشف أمام عينى جزيرة خضراء بدأت تظهر وتتضح وسط غمام المحيط ، ثم تجلت أمام ناظرى الصخور المرجانية فى زرقة الياقوت وأشجار جوز الهند الباسقة المورقة ومزارع القرنفل تمتد حولها ، ثم هبطت بنا الطائرة بعد أن طافت بنا حول هذه المدينة المكتظة بالسكان ، والتى تقع على مثلث بارز داخل فى مياه المحيط من ارض الجزيرة .

تاريخ زنجبار تكتبه الرياح

وفى مياه المحيط الزرقاء كان أسطول من السفن العربية التجارية يتجمع فى ميناء زنجبار ، وان الرياح التى تدفع قلوع هذه المراكب بين سواحل البحر الأحمر والهند هى التى كتبت تاريخ زنجبار .

ومنذ سنة ستين ميلادية عندما تمكن أحد التجار الاغريق الذين يعيشون فى مصر من تحديد الاتجاه البحرى الى المحيط الهندى ، والسفن العربية تدفعها الرياح الموسمية تبحر الى زنجبار محملة بالرماح والفؤوس والخناجر والزجاج وهدايا من القمح والنبيذ ، وترجع محملة بالعاج وقرن الخرتيت وصدف السلاحف وزيت جوز الهند .

وحتى يومنا هذا لاتزال السفن التجارية العربية تبحر الى زنجبار تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ، وعليها البلح واللبان ولحم السمك المقدد والسجاد الفارسى والتحف النحاسية ، ثم تبقى حتى يتغير اتجاه الريح فترجع وعلى ظهرها الشاى والبن والسكر والأذرة .

ولقد قابلت فى أسواق زنجبار وفى مقاهيها العربية الكثيرين من بحارة هذه السفن ، وقد اسمرت وجوههم من الشمس المحرقة ، وطالت لحاهم ، وملابسهم واسعة طويلة فضفاضة ، وعلى رؤوسهم عمائم ، وفى أرجلهم صنادل ، كما تظهر الخناجر من أغمادها . وهى معلقة فى أحزمتهم المزركشة الملفوفة حول خصورهم ،

وكأنهم يقولون : لاداعى للاستخفاء فأنا مسلحون ! .

ومعظم هؤلاء البحارة قد أبحروا من الشواطىء العربية من مسقط وسر ، على ساحل عمان ، كما كان من بينهم رجال نحاف لوحت الشمس وجوههم ، وعيونهم تقدح شررا وهم بحارة من حضرموت .

السلطنة تحت الحماية البريطانية

تقع جزيرة زنجبار على بعد خمسة وعشرين ميلا من الساحل الأفريقى الشرقى ، وكانت الجزيرة فى الأيام الغابرة مركزا ممتازا للتجارة بالرغم من قربها من القارة الافريقية وكان بعدها عنها كفيلا بحمايتها من غارات القبائل المحاربة ، كما تكثر بها المياه العذبة ، وميناؤها آمن صالح لرسو السفن .

وسرعان ما بهرت الجزيرة أنظار العرب والفرس والهنود والصينيين ، كما أن البرتغاليين الذين تبعوا فاسكودا جاما انشأوا لهم فيها مراكز تجارية فى أوائل القرن الخامس عشر ، حتى أجلاهم العرب عنها بعد قرنين من الزمان ، وفى عام ١٨٣٢ نقل سلطان عمان عاصمة ملكه من مسقط الى زنجبار .

وفى أواخر القرن الماضى عندما بدأت الدول الأوروبية الاهتمام بافريقية سلخت هذه الدول الاستعمارية معظم ممتلكات زنجبار عنها ، ولهذا اضطر السلطان حتى يضمن بقاء عرشه الى أن يقبل الحماية البريطانية فى سنة ١٨٩٠ .

وتقتصر السلطنة اليوم على زنجبار وبمبا والجزر الصغيرة التى تحيط بهما ، وبالرغم من أن علم السلطان الأحمر ما زال يرفرف على حصن « جيزى » فى ممباسا الا أن هذا الحصن ومعه شريط طويل من الأرض عرضه عشرة أميال ، ويمتد محاذيا ساحل كينيا ، قد أجرته المملكة الى حكومة كينيا ، كما أن ميناءى ممباسا ودار السلام قد استحوذتا على معظم تجارة شرق افريقية .

العرب والتليفونات

وبالرغم من أن زنجبار قد فقدت رواج تجارتها التى تمتعت بها هذا الزمن الطويل فان هذه الخسارة لم تؤثر فيها أبدا ، فقد سارت زنجبار فى طريق الرخاء والتقدم والازدهار فى هدوء وسكينة محتفظة بجاذبيتها وبطابعها الشرقى القديم .

وفى زنجبار وحدها يمكنك أن تمسك بالتليفون ، وتطلب التحدث مع من تريد وتطلبه باسمه من عامل التليفون دون حاجة الى ذكر رقم ، أو ادارة قرص التليفون .

ويخيل الى أن أحدا قد اختطف جزءا من قصص ألف ليلة وليلة ووضعها بجانب المحيط ، فالمدينة بمبانيها البيضاء وشرفاتها وحاراتها الضيقة الكثيرة اللف والالتواء وأسواقها الشرقية تكاد تكون قطعة من بلاد العرب أو حيا من أحياء القاهرة لا ينقصها الا الجوامع ذات الألوان الزاهية والمآذن العالية ، اذ أن جوامع زنجبار صغيرة وبسيطة ومآذنها قصيرة .

أما المدينة نفسها فليست قديمة العهد ، فقد كانت عبارة عن قرية صغيرة بنى معظم مبانيها ومنشآتها السلطان السيد سعيد ،عندما اتخذها عاصمة لسلطنته منذ مائة وعشرين سنة مضت .

ولما لم يكن فى زنجبار مهندسون يخططون لها الطرق ، ويرسمون لها الشوارع كما كان الأهالى يبنون مساكنهم فى المكان الذى يلائمهم ،لذلك أصبحت معظم شوارع زنجبار عبارة عن أزقة ضيقة كثيرة الالتواء والمنحنيات ، ووقت زيارتى للمدينة لم يكن بها الا فندق واحد ، كان منزلا للسكنى ثم أدخلوا عليه من التعديلات ما جعله شبيها بالفندق ، وكل الشوارع المؤدية اليه يبلغ من ضيقها أن السيارة لا يمكن أن تصل الى بابها كما أن الناس كانوا يطلقون على شارع جانبى بالقرب منها اسم « عطفة الانتحار » لأن المنازل كانت مزدحمة فيه بشكل جعل كل عربة تمر فيه تحتك بحوائطه ، وتهدم جزءا من جدرانه .

ومع أن السيارات الخاصة وعربات الأجرة متوفرة فى زنجبار ، فان استعمالها للمواصلات يقصر على الطرق الزراعية خارج المدينة ، اما فى داخلها فالقاعدة السائدة أن الكل يمشون .

لا خوف من أن تضل الطريق

لقد سألت مرة أحد المواطنين الأجانب فى زنجبار : « كيف يمكنك أن تجد طريقك وسط هذه الأزقة المتعرجة المتشابكة الكثيرة الالتواء والالتفاف؟» فاجابنى قائلا : « ان أحدا لا يمكنه أن يضل الطريق ، وكل ما عليه أن يظل سائرا ،فاما أن يصل الى ساحل المحيط أو يجد نفسه فى النقطة التى بدأ منها المسير اما اذا كنت تريد أن تصل الى مكان معين بالذات ، فقد تلاقى بعض الصعوبات » .

ثم بدأت السير فعلا فى وهج الشمس ، ووسط الأزقة الضيقة الكثيرة المنعطفات ، ورأيت المنازل القديمة وأبوابها المتقنة الصنع والمطعمة بالنحاس والمزينة بالرسوم العربية ، والمنقوش عليها آيات من القرآن الكريم ، كما حفرت عليها رسوم الأسماك ، وأشجار النخيل وزهرة اللوتس .

ولقد أضيف الى الكثير من هذه الأبواب أزرار نحاسية كالتى تضاف الى أبواب المنازل فى الهند لتحمى الناس من هجوم الفيلة على منازلهم . ويخيل الى أن البنائين فى زنجبار كانت طريقتهم أنهم يجدون أولا بابا دقيق الصنع ، ثم يبنون له منزلا .

فقد كانت بعض هذه الأبواب تشترى من الهند ، كما كان بعضها يصنع محليا ،ولقد رأيت بعينى صناعا فى محلات التجارة يقومون بصنع أبواب فخمة تضفى جمالا ورواء على أحقر المنازل ، حتى المبنى منها بالآجر أو اللبن .

كما كانت المتاجر على طول الطريق مليئة بالعاج المنحوت والسجاجيد الشرقية ، وأباريق القهوة العربية والتحف النحاسية والصناديق العربية الشهيرة ، وهذه الصناديق

لم تصنع فى بلاد العرب ، بل تأتى من ايران والهند ، وهى باهظة الثمن غالية القيمة .

المارة يخاطرون بأرواحهم

أثناء تجوالى فى شوارع زنجبار الضيقة كنت أصطدم بخليط من الشعوب ، كما ألقيت بنفسى وسط زحام الناس الذين خرجوا من بيوتهم فى الصباح الباكر لشراء الخضراوات من سوق الخضر ، فى الوقت الذى كان يتحتم على تجنب التصادم مع راكبى الدراجات وسائقى عربات اليد ، والباعة الذين يحملون على رؤوسهم سلالا كبيرة ملأى بالفاكهة والخضر ، وكثيرا ما اضطررت الى الاستناد بظهرى فى جوار حائط أو الجرى للوقوف على عتبة باب بيت قريب حتى لاتدهسنى احدى العربات.

أما باعة القهوة المتجولون فيجوبون الشوارع والطرقات ممسكين بأوعية القهوة النحاسية فى يد ، وباليد الأخرى يدقون الفناجين فى رنين موسيقى رتيب ، اعلانا عن بضائعهم، بينما يتجمع أطفال المدارس حول عربات الحلوى .

تصادف فى هذه الشوارع شعوبا متعددة من بلاد العرب والخليج الفارسى والهند وأفريقية ، وأروع هذه الشعوب منظرا ملابس العرب الفضفاضة البيضاء ، وتسمى « كنزس » وعمائمهم الكبيرة الناصعة البياض ، ويتلوهم الافريقيون ولباسهم يميل الى البساطة .

ومعظم التجار من الهنود من مسلمين وهندوس ومجوس ، ويختلف غطاء رؤوسهم من عمائم بيضاء الى قبعات عالية سوداء الى قلنسوة ذهبية اللون .

أما السيدات العربيات المسلمات المحجبات فيمشين فى الطرقات فى سرعة وهدوء كالأشباح ، ويلففن اجسامهن ووجوههن فى أردية واسعة سوداء لاتكشف منهن شيئا ، وتسمى «البردة» . أما نساء السواحيلى فبالرغم من انهن مسلمات أيضا ويلففن أنفسهن فى معاطف سوداء فان ألوان ملابسهن المسماة « كنجى » لا تقل فى الذوق والتفصيل والجمال ، عن ملابس السيدات فى البلاد المتمدينة الأخرى .

وفى اختيار هذه الملابس التى تتكدس فى المحلات التجارية بألوانها الزاهية تبدى سيدات السواحيلى اهتماما كبيرا مثل شقيقاتهن الغربيات بنوع القماش وطريقة التفصيل وفى زنجبار تحاك هذه الملابس بروعة ودقة ، وطبقا للنماذج الحديثة ، والويل للتاجر الذى يختزن بضائع أو ألوانا قدم عهدها ، فانه لن يتيسر له بيعها.

أما السيدات الهنديات فيلبسن السارى ، وهو يضفى عليهن جمالا جديدا الى جمال الزى فى زنجبار ، وخاصة بعد قرب غروب الشمس ، عندما تتجمع السيدات فى المتنزه الذى يجاور سراى الحاكم ، ليتمتعن بالهواء الطلق ، ويضىء البستان بجمالهن .

زيارة للسلطان

فى غروب كل يوم تقريبا يهب الحراس فى سراى السلطان ، ليحيوا

سيارة فاخرة حمراء ، تحمل السلطان والسلطانة فى طريقهمـــا الى نزهتهما الخاوية عصر كل يوم .

أما السلطان الحالى وهو صاحب الجلالة السيد السير خليفة بن حرب، فقد تولى العرش عام ١٩١١ ، ويبلغ من العمر الآن ٩٣ عاما .

ولقد حدد لى موعدا لزيارة جلالته ذات صباح وكان يوم جمعة ، وهو اليوم الذى يخصصه جلالته لاستقبال كبار رجـــال المجتمع ، ويسمونه فى زنجبار « برازا » .

ولقد وجدت فى حضرة جلالته نحو اثنى عشر رجـــلا ، وكلهم من كبار السن ذوى اللحى ، ويلبسون الزى الرسمى لسكان زنجبار .

وعنـــدما دخلت قاعة العـــرش المتواضعة تفضل جلالته ، فحيـانى قائلا : « صباح الخير . كيف حالك ؟ » قالها فى لغة سليمة وبترحيب قلبى كبير .

ولم يكن السلطان يلبس سيفا ولا خنجرا ، أما لباسه فكان يشابه لباس افراد رعيته ، غير أن عمامتـه كانت اكبر من عمائمهم ، كما أن كبر السن قد جعل لحيته ناصعة البياض .

تحدثت عن زنجبار ، وعن زيارتى لأفريقية الشرقية ، كما تفضل وسمح لى بأخذ صورته مع ابنه الوحيـــد الأمير عبد الله ، وعندما انتهى حديثنا قدم لنا شرابا حلوا ، ولقــد أدركت خلال مدة زيارتى القصيرة لجلالته سر حب الرعية له .

ويجاور سراى السلطان مبنى آخر، لعله أفخم وأبهى من السراى نفسها ، هو : « بيت العجائب » بناه السلطان برغش سنة ١٨٨٣ . ولا يوجد فى زنجبار مبنى يفوقه فخامة واتساعا .

وله شرفات واسعة ذات أعمـدة هائلة ، كما يقوم فيه برج السـاعة المرتفع الشاهق ، وبالرغم من أنه بنى لأغراض رسمية الا أن السلطان الحالى والذى سبقه قد استعملاه للسكنى، وهو الآن يضم كل المكاتب الحكومية . وان أبوابه المزخرفة والمطعمة بالنحاس، والمحفـور عليهـــا الكثير من الآيات القرآنية الكريمة لتدل على تقدم هائل فى الفن ، ودقة خارقة فى الصناعة .

وان الزمن الذى تسجله الساعة فى برج القصر ليسبب الدهشة والحيرة للغريب الذى يزور زنجبار لأول مرة ، ففى الظهر تشير عقاب السـاعة الى السادسة ، وتبلغ الساعة الثانية عشرة وقت الغروب تماما ، وهى الطريقـة العربية القديمة فى حساب الوقت .

لقد احتلت السيدات قلعة عربية

ويجاور بيت العجائب قلعة حصينة عربية قديمـــة ـ يدوى الآن بين جدرانها صوت السيدات ، وتسمع رنين ضحكاتهن بدلا من قعقعة السلاح وصليل السيوف ، ذلك لأن سيدات زنجبار قد اتخذن من هذه القاعة ناديا رياضـيا خاصـا بهن بالرغم من أن معظمهن ما زلن يلبســـن الـــبردة ويتحجبن ، ولقد حولت حدائق القلعة الداخليـــة الى ملاعب لكرة التنس والبيدمنتن وكرة السلة .

عندما نقل السلطان عاصمة ملكه

من مسقط الى زنجبار كان نفـــوذ العرب قد تغلغل فيها ، وهناك مثـــل عربى دارج يقول : « عنـــدما تلعب الناى فى زنجبار ترقص كل افريقية حتى اقليم البحيرات » .

وترتعش كل افريقية أيضا ، لأن تجارة الرقيق أو « العاج الأسود » كانت منتشرة فى ذلك العهــد ، وكان النخاسون تجار الرقيق يتجولون فى القارة الافريقية ، ويلقون القبض على كل من يصادفهم من الأفريقيين .

وكان العبيد المقبوض عليهم يربطون فى سوق الرقيق مع الثيران والماعز والدواجن ، ومن المحزن أن ثمن العبد الشاب المكتمل صحة وقوة ما كان يصل ثمنه الى نصف ثمن حمار عربى.

وفى الناحية الأخرى من زنجبار تقوم صناعة القرنفل التى أدخلهـــا « **السيد سعيد** » الى هذه الجزيرة ، ومن الحدائق التى غرسها ومن زنجبار وجزيرة « بمبـــا » القريبـــة منهـــا تستخرج أربعة أخماس كمية القرنفل فى العالم كله .

اننى لأعتقـــد أن المدينـــة مكتظة بالســـكان ، وأن ميناءها مزدحـــم بالسفن مزين بالصـــور والرســـوم والنقوش التى تمثل المخـــاطر التى صادفها البحارة على ظهر سفنهم ، ومنظر العشـــاء الربانى ، وصـــور الأطفـــال وهم يعـــانون آلام مرض الأسنان ، ولا عجب فهنا تفوح رائحة القرنفل المسكن كما أن رائحة القرنفل النفاذة تغطى على رائحة جوز الهند الذى تمتلىء به مخازن الميناء .

أول ميناء عالمى للتوابل

ان القرنفل حياة زنجبار وقوتها ، ولقد رأيت فى حوض الميناء رجـــالا بظهورهم العارية وأجسامهم اللامعة يدفعون العربات المحمـــلة بأكياس البهارات المكدسة ، كما كانت آلاف الجوالق الأخرى مكدسة فى المخازن فى أكوام عالية هائلة تنتظر المزاد والفحص والشراء ، كما رأيت آلاف العمـــال يحمـــاون المراكب الكثيرة بأكداس الجوالق المليئة بالقرنفل ، والمصدرة الى الخارج . كما رأيت معملا لتقطير زيت القرنفل الذى يســـتخدم فى المستحضرات الطبية ، وفى صـــناعة العطور ، وفى عمل الفانيليـــا وكانت الروائح المتصاعدة منه تعطر الجو الى مسافات بعيدة .

ثم ذهبت الى الريف مع أحـــد رؤساء هيئة منتجى القرنفل لأرى زراعتـــه ، ولـــم يكن الوقت وقت حصـــاد ، ولكن البراعم على الأشجار كانت قد اكتملت فى حجمها وفى هذا الوقت تحمر أغلفة البراعم . وعندئذ تصبح معدة للجنى فان وقت الحصاد يجب أن يبدأ وينتهى قبل أن تزهر البراعم .

وعندما يصبح القرنفل معدا للجمع، يجتمع الرجال والنساء والفتيـــة والفتيـــات ، فى ضـــجيج ومرح ، استعدادا لجمع القرنفل وجنيه ، أما النســـاء والأطفـــال فيقتطفن البراعم القريبة من الأرض ، بينما يســـتعين الرجال بالسلم ، أو يتسلقون جذوع الأشجار ليصلوا الى الفروع، ويجمعون عناقيد البراعم بواسطة عصى تنتهى

بخطاف ، ولما كان ارتفاع أشجار القرنفل قد يصل فى بعض الأحيان من ثلاثين الى خمسين قدما فان عملية جنى القرنفل ليست بالعملية السهلة الهينة .

تجنى العناقيد بسيقانها ، وبعد نهاية الجنى تفصل البراعم عن السيقان ، ويتطلب ذلك مهارة وخفة يد ، فيجلس العمال القرفصاء ، ويمسكون عناقيد القرنفل فى يد ، ويفركونها باليد الأخرى ، فتسقط البراعم أمامهم ، أما ساق النبات وأوراقه فترمى فى مكان منفرد آخر ، ثم يجفف القرنفل بنشره فى العراء على أرصفة حجرية .

الموت الفجائى فى مزارع القرنفل

لقد سمعت فى زنجبار عن الموت الفجائى ، وهم لايقصدون الموت بطعنة خنجر حاد فى شوارع زنجبار الضيقة المظلمة ، ولكنه موت فجائى نتيجة مرض طارىء يودى بحياة الآلاف من أشجار القرنفل ، فالشجرة المورقة فى الصباح قد لا يأتى مساء اليوم نفسه الا وأوراقها ذابلة وفروعها جافة يابسة ، ثم اذا بها ميتة لا حياة فيها .

ولقد أصاب المرض أشجار القرنفل فى زنجبار ، فقضى على نصفها ثم انتقلت العدوى الى بمبا ، وبدأت دراسة هذا المرض لمعرفة أسبابه ، وطرق القضاء عليه . ويعلل العلماء أن هذا المرض يسببه فيروس «ميكروب» خاص يحمله النمل الى الأشجار فيقضى عليها ، ولمقاومة هذه الآفات قررت الحكومة اقتلاع ٦٠ ألف شجرة ورش الأشجار الباقية بالمبيدات الحشرية .

وبالرغم من هذا المرض الفتاك فان عدد الأشجار فى الجزيرتين ما زال حوالى أربعة ملايين شجرة تنتج فى العام من القرنفل الجاف ما لا يقل عن تسعة آلاف طن .

أما البناء الذى يجرى فيه العلماء بحوثهم فهو المنزل الذى كان يسكنه الدكتور دافيد ليفنجستون عام ١٨٦٦ عندما كان يعد العدة للقيام برحلته الشهيرة الى قلب قارة افريقية ، ويقع المنزل على الشاطىء فى الطرف الشمالى لجزيرة زنجبار .

ولعل أظهر ماخلفه هذا المستكشف الكبير من ذكريات فى زنجبار هى جامعة الارسالية والكاتدرائية الانجيلية ، التى شيدت فى المكان الذى كانت تقام فيه سوق الرقيق .

ولم يقتصر فضل ليفنجستون على تشجيعه بناء الجامعات فى افريقية بل لعله أول رجل قام بأضخم مجهود لايقاظ الضمير العالمى لمنع تجارة النخاسة وبيع العبيد ، ويرجع الفضل الأكبر لهذا الرجل فى تحريم هذه التجارة تجارة بيع الرقيق الآدمى ، وفى المكان الذى كان يقف فيه تجار الرقيق لاجراء المزاد يقف الآن واعظ يبشر الناس بأمور دينهم ودنياهم .

ولقد وصف ليفنجستون زنجبار بأنها جزيرة قذرة ، وذلك للروائح الكريهة التى كانت تزكم الأنوف نتيجة لرمى المخلفات وجثث الموتى من الحيوانات والآدميين فى جزء من المدينة ، ولكن هذه الخرائب قد تحولت الآن الى

حدائق واسعة ، وملاعب فسيحة .

ولقد عبرت القنطرة التى تصل نصف المدينة النظيف بنصفها الآخر ويسمونه « نيجامبو » ومساحة هذا القسم تبلغ ألف فدان تغطيهما الشوارع الضيقة ، والحوارى المتعرجة، والمتاجر الصغيرة كما يسكنها حوالى ثلاثين ألف نسمة ، ومعظمهم من الافريقيين الذين يكونون نصف عدد السكان فى مدينة زنجبار .

ويجرى العمل الآن لتحويل الأكواخ الفقيرة القذرة المتلاصقة الى منازل صحية نموذجية ، وقد أنشئت فيها استراحة مدنية فسيحة تشتمل على قاعة لعرض الأفلام السينمائية ، وصالة للرقص ، وحجرات للقراءة والاطلاع ، ومحطة للاذاعة ، وعيادة طبية ، وملاعب رياضية للأطفال ، واحتفل بافتتاح هذه الاستراحة عام ١٩٤٨ . ومن هذا يتضح أن أعمال التعمير والتنظيم سائرة فى طريقها الى هذا الجانب من الجزيرة الذى تحسنت أحواله الى حد كبير .

الحدائق الاستوائية والأرض المرجانية المجدبة

تتفرع من مدينة زنجبار طرق تربط أجزاء الجزيرة بعضها ببعض ، وتمتد الطرق المرصوفة على طول الجزيرة البالغ ٥٥ ميلا ومحاذية لها . كما تخترق الطرق وسط الجزيرة الى الساحل الشرقى حيث تصل الى قرية « تشواكا » كما يخترق طريق آخر يبدأ من جنوبى العاصمة حيث ينتهى بقرية « رأس قمبا » وعلى سواحلها وجد الصوريون القدماء الأصداف التى كانوا يستخرجون منها الألوان الأرجوانية التى اشتهروا بها .

والتباين ظاهر فى جانبى الجزيرة ، فنصفها الغربى تكسوه الحدائق الاستوائية المزدهرة ، وتنمو فيه أشجار جوز الهند ، وأشجار القرنفل تكسو سفوح تلاله القليلة الارتفاع ومنحدراته .

أما نصف الجزيرة الغربى فتنمو الأعشاب فى أرضه ، ثم تكثر فيه الصخور المرجانية غير الخصيبة ، كما توجد به الفهود والخنازير البرية ، والغزلان .

وعلى مقربة من شمال العاصمة يجرى نهيران أحدهما « تشم تشم » والآخر « بوبربر » وقد أكسبا زنجبار شهرتها بأنها مرفأ صالح لرسو السفن وقد كانا يمدانها بحاجتها من الماء فى الماضى ، وهما اليوم يمدان المدينة بحاجتها من الماء العذب الصافى للشرب.

كما تتناثر بقايا القصور القديمة على طول ساحل الجزيرة الغربى ، ويظهر أن السلاطين كانت هوايتهم بناء القصور الفخمة . واعداد الحدائق الغناء ، وأقامة الحمامات الجميلة لحريم قصورهم . أما المدن القديمة فقد كادت تطمس معالمها تماما ، وان الأسوار المتهدمة والجوامع المهجورة هى كل ما تبقى من المدن القديمة التى ازدهرت يوما ما فى جزيرة «تومباتو» و « أنجوجا أكيو » وفى «كيزمكازى» .

ولقد عثرت فى « كيز مكازى » على جامع صغير ما زالت الشعائر الدينية تقام فيه ، مع أن عمره يتجاوز ثمانمائة وثلاثين عاما ، كما يتبين ذلك من

كتابة بالخط الكوفى محفورة فى محرابه، تحدد زمن انشائه ، والمعتقد أن الشيرازيين القدامى أو المستوطنين من الخليج الفارسى هم الذين قاموا ببنائه.

جامعو جوز الهند

يتسلقون أشجاره كالضفادع

وفى أثناء تجوالى فى أنحاء الجزيرة قابلت جمعا من الناس يتهيأون لجمع ثمار جوز الهند ، بينما يتفيأ أصحاب النخيل ظلاله ، ينتظرون سقوط الثمار وجمعها ، فعندما تنضج الثمار يتسلق العمال النخيل ، ويهزونه لتسقط الثمار ثم يقطعون ما تبقى منها بسكاكين يحملونها .

ولقد رأيت المواطنين فى جزر المحيط الباسفيكى يتسلقون الأشجار بمهارة عجيبة ، وسرعة مذهلة ، مستخدمين الحبال فى عمل عروة لأرجلهم ، تساعدهم على التسلق بسرعة ، مستعينين بأيديهم ، وهم يقفزون على جذوع الأشجار كالضفادع وعندما ينتهى العامل من جمع ثمار نخلة يصيح بطريقته الخاصة فيسجل صاحب الكرم له النخلة التى تسلقها وجمع ثمارها ، وبعد أن تتساقط الثمار كلها يجمعها العمال ، وينقلونها على رؤوسهم أو على ظهور الحمير الى عمال آخرين يقشرونها ويقطعونها.

وبعد أن تزال القشور التى على الثمار بعد دقها على أوتاد حديدية مثبتة فى الأرض يشقون الثمار وينشرونها فى الشمس حتى تجف .

ومعظم الثمار تجفف الآن فى قمائن « أفران » وهى طريقة أحسن وأضمن خشية نزول الأمطار واحتجاب الشمس التى تعرقل التجفيف بالطريقة الأولى .

ويأتى جوز الهند فى المحل الثانى فى الأهمية لجزيرة زنجبار ، كما أن جوز الهند فى عاصمة زنجبار وفى غيرها لاتقوم أهميته الاقتصادية على ثماره وحدها ، بل لأن فوائد أشجار جوز الهند كثيرة متعددة .

فمن أوراقه تصنع السلال والحصر ، وتغطى سقوف الأكواخ كما يخمر العصير الموجود داخل الثمرة ليستخرج منه سائل حلو مسكر ، كما يمدنا جوز الهند نفسه بالطعام والزيت ، بينما تستخدم القشور للوقود ، وتصنع الحبال المتينة من الألياف .

وفى « ماكو اندتشى » فى طرف الجزيرة الجنوبى نجح الوطنيون من قبيلة « الواهاديمى » وهى احدى القبائل الوطنية الثلاث فى اقامة مصنع محلى لعمل الحبال ، كما تقوم السيدات بفتل ألياف جوز الهند ، وعمل حبال فى سمك أصابع اليد . وذلك بلف الألياف بأيديهن ، وتستخدم الحبال فى عمل الأنشوطات التى تساعد الوطنيين على تسلق أشجار النخيل ، كما تستخدم الأنواع المتينة منها فى السفن التجارية .

البحث عن حمار مصبوغ بالحناء

سألنى أحد أصدقائى ذات يوم قائلا : « ألم تر حمارا مصبوغا بالحناء ؟ ألم تشاهد صورة له ؟ » فلما أجبته بالنفى عمل ترتيبه لمقابلة أحد الوطنيين ممن يملكون مثل

هذا الحمار . ولقد علمت أن صبغ الحمير بالحناء كانت عادة شائعة فى الجزيرة ، ولكنها بدات فى الزوال الآن .

وتطوع أحد الأعراب فاخذنا الى أحد كبار الملاك واسمه الشيخ عزيز ابن عامر ، فاستقبلنا بحفاوة واكرام، وسمح لنا بأخذ صورته راكبا حماره المصبوغ بالحناء ، ثم دعانا الى شرب الشاى معتذرا بأنه شاى متواضع .

وبعد أن شربنا شايا ممتازا وأكلنا «الكعك» والبسكوت ، وتناولنا القهوة العربية المرة المذاق ، قدم لنا الخدم الحلوى على أطباق ، ثم تبعها جوز الهند ، ولقد أكلنا فوق طاقتنا تحت الحاح مضيفنا ، وعندما تأهبنا للانصراف دعانا الى العودة الى زيارته لتناول الطعام معه ، وليس لمجرد شرب فنجان من الشاى !

أهالى زنجبار يرقصون على دقات الطبول المثيرة

ودعانى عمدة زنجبار ليلة مغادرتى لها الى الذهاب معه الى احدى الحدائق لمشاهدة الرقص ، ووصلنا الى صالة الرقص بعد أن كان الحفل قد بدا فعلا وبدأ الأوركسترا يدق ألحانا هادئة أولا ثم أخذت فى الارتفاع تصاحبها دقات الطبول المتعددة الأنواع والأحجام ، وكانت السيدات يلبسن غطاء مزركشا بالريش فوق رؤوسهن ، وعقودا ثقيلة حول أعناقهن ، كما طليت وجوههن بالمساحيق البيضاء وكن يهتززن ويتمايلن ويرقصن على دقات الطبول وأنغام الموسيقى الأفريقية ، وكان بعضهن تمسك بعضا فى يدها ، كما كان يسمع رنين الخلاخيل فى أرجلهن .

وقد غرست الحراب حول حلقة الرقص دليلا على وجود أرواح شريرة، وعفاريت تتقمص أجساد الراقصات حتى يتمايلن ويرقصن ، ويخيل الى بعد ما لاحظته من حماسة فى الرقص وافراط فى التثنى والتمايل أن عفاريت زنجبار كلها كانت حاضرة فى الحفل ، تؤدى رسالتها على أكمل وجه .

عن الانجليزية بقلم : ع . م . ع

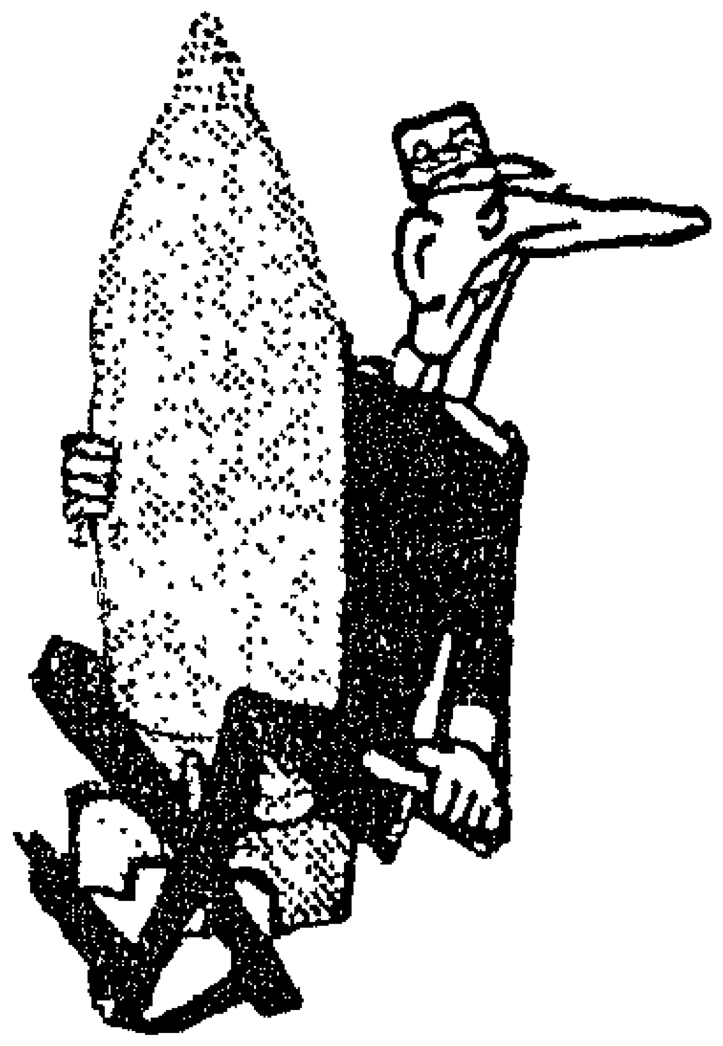

اللغة السواحلية

للاستاذ محمد جلال عباس

مقدمة

اللغة السواحلية هى أكثر اللغات انتشارا فى شرق افريقية ، وذلك أنه على الرغم من وجود لغات متعددة فى شرق افريقية مثل اللغات البانتوية واللغات النيلية الحامية واللغات النيلوتية الا أن معظم سكان شرق افريقية وبخاصة فى المناطق الساحلية والمدن الرئيسية يعرفون اللغة السواحلية الى جانب لغاتهم الأصلية ، وتمتد المنطقة التى تتكلم اللغة السواحلية كلغة رئيسية فتشمل زنجبار والمناطق الساحلية فى كينيا وتنجانيقا ، وتمتد فى الداخل حتى المناطق الشرقية من حوض الكنغو غير أن درجة انتشارها تقل تدريجيا كلما بعدنا عن الساحل ، من موطنها الأصلى ، واتجهنا غربا الى المناطق الداخلية .

أصل اللغة وخصائصها :

وهناك اختلاف فى الرأى حول أصل اللغة السواحلية ، فيرى البعض أنها كانت أصلا لغة احدى القبائل التى كانت تحتل الجزر المواجهة لزنجبار من ساحل شرق افريقية ، ويرى البعض الآخر انها لا ترجع الى لغة قبيلة بعينها ، ولكنها نمت كلغة للتجارة فى مراكز استيطان العرب نتيجة لاختلاط عدد من اللهجات البانتوية بعضها بالبعض الآخر من جهة وباللغة العربية من جهة أخرى ؛ ومن أهم خواص اللغة السواحلية انها لغة طابع بانتوى صرف ودخلها الكثير من الألفاظ العربية ، وقد انصهرت هذه الألفاظ فيها وتعدل بعضها لدرجة أبعدته عن الأصل العربى ، فمن وجهة النظر الفيلولوجية يمكن وصف اللغة السواحلية بأنها لغة بانتوية فى قواعدها ، غير أنها فقدت بعض الخصائص الصوتية لهذه المجموعة لكى تتلاءم مع الألفاظ العربية الكثيرة التى دخلتها ، وعلى ذلك لايمكن أن نعتبر اللغة السواحلية لغة مختلطة لأنها لم تأخذ من اللغة السواحلية العربية سوى الألفاظ .

ولكن يمكن القول بأنها مركب لغوى من أصل بانتوى افريقى مطعم أو ممزوج بألفاظ عربية .

وللسواحلية ثلاث لهجات معروفة هى :

١ ــ لهجة ممباسا وتعرف باسم « كمفيتا » Kimvita وتنتشر فى المناطق الساحلية فى كينيا .

١ ــ لهجة زنجبار وتعرف باسم « كيونجوجا » Kiungoga ، وهى أوسع انتشارا من اللهجة السابقة اذ تشمل جميع مناطق الساحل فى تنجانيقا وجهات شرق افريقية الداخلية .

٣ ـ لهجة الغرب وتعرف باسم « كنجوانا » Kingwana وتنتشر فى منطقة حدود الكنغو الشرقية ، غير أن هذه اللهجة نظرا لبعد مناطقها عن الموطن الأصلى للغة السواحيلية قد حدثت فيها بعض التغيرات التى أبعدتها عن خواص اللغة الأصلية .

انتشار اللغة السواحيلية

يقدر المتكلمون باللغة السواحيلية فى مؤلفات الانجليز بنحو سبعة ملايين، غير أن هذا التقدير لا يمثل الواقع ، لأن المتكلمين باللغة السواحيلية فى الحقيقة أكثر من ذلك بكثير ، وقد يبلغ عددهم نحو عشرين مليونا ، ويرجع الانتشار الواسع للغة السواحيلية الى أسباب عدة أهمها :

١ ـ عدم اقتصار المتكلمين بها على العناصر السواحيلية التى تسكن المنطقة الساحلية وانما يتكلمها أيضا جميع العرب والهنود والباكستانيين والجاويين والملايويين ممن يعملون فى التجارة وبعض المهن الأخرى ، وينتشرون فى كل أنحاء شرق افريقية.

٢ ـ وقد تبناها العرب بحيث اصبحت لغة التفاهم العامة فى الأسواق التجارية خاصة وأن العرب كانوا فى وقت من الأوقات يحتكرون التجارة فى الأسواق ولا يزال أكثر تجار التجزئة فى الوقت الحاضر منهم.

٣ ـ تعدد اللغات القبلية وصعوبة التفاهم بين القبائل بلغاتهم الأصلية مما أدى الى شعور هذه القبائل جميعها بالحاجة الملحة الى لغة عامة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم وساعد ذلك على تقبل اللغة السواحيلية كلغة عامة ، ومن ثم انتشرت بين الكثير من سكان منطقة شرق افريقية .

٤ ـ طبيعة اللغة السواحيلية التى تتميز باحتوائها على خواص اللغات البانتوية الى جانب الألفاظ العربية جعل تعلمها أمرا سهلا على العرب المهاجرين للعمل فى شرق افريقية ، وكذلك على قبائل هذه المنطقة وخاصة البانتوية منها .

التراث الأدبى للغة السواحيلية :

السواحيلية من أقدم اللغات الافريقية المكتوبة ، وقد كانت الحروف العربية تستخدم فى كتابتها ، ولايزال بعض سكان المناطق الساحلية يتمسكون باستخدام الحروف العربية فى كتاباتهم على الرغم من أن السلطات الاستعمارية بذلت كل الجهود لنشر كتابتها بالحروف اللاتينية .

وللغة السواحيلية تراث أدبى من الشعر والنثر والقصص المكتوب بل تفسير القرآن والحديث ومما ساعد على ذلك انتشار اللغة السواحيلية بين العرب الذين طبعوا فى بيئتهم الأصلية على قرض الشعر وقول النثر ، فلما تبنوا هذه اللغة انعكست طباعهم الأدبية عليها ، هذا فضلا عن أن العرب كانوا الى جانب عملهم فى التجارة يعملون على نشر الدين الاسلامى الأمر الذى دفعهم الى تفسير القرآن والحديث باللغة التى يتكلمون بها مع السكان الأصليين .

موقف السلطات الاستعمارية من اللغة السواحيلية

للانجليز سياستهم الخاصة التى يتبعونها لنشر لغتهم فى مناطق المستعمرات ، وتتلخص هذه السياسة

فى البدء بأحياء اللغات المحلية وبخاصة فى المناطق التى لها صلات بالعالم العربى أو الاسلامى لكى يقفوا انتشار اللغة العربية ، ثم تتبع ذلك مرحلة ادخال اللغة الانجليزية واحلالها محل اللغات المحلية تدريجيا ، مع العناية بتكوين طبقة المثقفين التى تعد خصيصا لشغل الوظائف فى الادارات الحكومية ومكاتب الشركات التى تعمل فى ميادين الاستغلال الاقتصادى المختلفة فى المستعمرات ، ثم تلغى اللغات المحلية نهائيا من مرحلة التعليم الابتدائى أو الأولى لتحل محلها اللغة الانجليزية

ولقد اتبعت هذه السياسة فى شرق افريقية ، اذ أن الانجليز منذ أن بسطوا سلطانهم على مناطق شرق افريقية وجدوا أن اللغة العربية تنتشر مع انتشار الاسلام وتزايد عدد العرب المهاجرين الى هذه المناطق ، فرأوا أن وسيلة وقف هذا التيار الجارف هو احياء اللغة السواحيلية لشغل الناس وصرفهم بها عن اللغة العربية — فأدخلت السواحيلية فى التعليم ، وأصبح محتما على كل من يعمل فى احدى الوظائف الحكومية أن يعرف اللغة السواحيلية لأنها اللغة الرسمية الثانية بعد اللغة الانجليزية فى كل من كينيا وزنجبار وتنجانيقا فيما بعد الحرب العالمية الأولى .

وأدركت السلطات الاستعمارية أن كتابة السواحيلية بالحروف العربية أمر يوثق ارتباطها بهذه اللغة ، فأوحت الى بعض الموالين لها بالدعوة الى كتابة السواحيلية بالحروف اللاتينية وانتهى نشاط الدعاة لذلك الى تشكيل لجنة باسم Inter - Territorial Conguage سنة ١٩٣٢ لكى تضع الأسس والقواعد لكتابة اللغة السواحيلية بالحروف اللاتينية ، وقد اعترفت الحكومات رسميا بهذه اللجنة منذ سنة ١٩٤٨ وتبنت السلطات الحكومية هناك تنفيذ قرارات هذه اللجنة التى تقضى بطبع الكتب فى مختلف فروع العلوم والآداب وخاصة الكتب المدرسية بالسواحيلية الحديثة وقد أوكل الى مكتب شرق افريقية للنشر «East African Literature Bureau» طبع هذه المؤلفات والكتب كما نشط هذا المكتب فى تشجيع الكتاب على التأليف بهذه اللغة عن طريق الاعلان عن مسابقات للكتابة فى مختلف الميادين العلمية والأدبية .

والى جانب كل هذا النشاط أدخلت السواحيلية كلغة تعليم فى المرحلة الابتدائية فقط .

غير أن هذه السياسة لم توصل الى الهدف الأساسى لها وهو اخلاء الجو للغة الانجليزية اذ ترتب على العناية باللغة السواحيلية أن اللغة قد قويت وازداد انتشارها واشتد تمسك أهلها بها ، كما أن اقبال المسلمين فى شرق افريقية على اللغة العربية لم يقل وان قلت فرص تعلمها ، وكانت النتيجة النهائية أن لم يقض على أثر اللغة العربية كما أن فرص انتشار الانجليزية قد ضعفت .

وفى سنة ١٩٥٣ وصلت الى شرق افريقية بعثة ملكية من لندن East African High Commission وكانت نظم التعليم من بين الموضوعات التى درستها البعثة ونظرت فى المشكلات المتعلقة بها ، وقد أدركت هذه البعثة خطورة حصص اللغة السواحيلية والحصص القرآنية على مستقبل اللغة الانجليزية هناك ، ولذلك قررت أن هذه الحصص تعتبر مضيعة للوقت

والمجهود • وأوصت فيما أوصت به بأن توضع الخطة لاحلال اللغة الانجليزية تدريجيا محلها فى مدارس زنجبار وكينيا وتنجانيقا ، وأخذت السلطات الاستعمارية فى هذه الأقطار فى تنفيذ ما أوصت به اللجنة ، فلما أعيد النظر فى نظم التعليم فى أقطار شرق افريقية وضع نظام الحصص على أن تدرس اللغة السواحيلية واللغة العربية والقرآن فى المرحلة الابتدائية فقط وبحيث تقل حصصها تدريجيا كلما ارتفع الفصل الدراسى وتحل محل هذه الحصص حصص اللغة الانجليزية .

ففى زنجبار تخصص عشر حصص للقرآن وتسع للغة السواحيلية فى السنة الأولى وتقل تدريجيا هذه الحصص حتى تصبح حصتين فى السنة السابعة ، وتحل محلها اللغة الانجليزية وتبدأ من السنة الثالثة الابتدائية بثمان حصص وتزاد حتى تصبح فى السنة النهائية اثنتى عشرة حصة . أما فى مدارس الساحل فى كينيا وتنجانيقا فقد تقرر أن تدرس اللغة الانجليزية من أول سنة فى المرحلة الابتدائية فخصص منذ السنة الدراسية الأولى اثنتا عشرة حصة للغة الانجليزية وبجانبها حصتان فقط للسواحيلية وحصتان للقرآن ، وتلغى حصص السواحيلية والقرآن بعد السنة الثانية من المرحلة الابتدائية .

يتضح من ذلك أن السياسة الاستعمارية التى أتبعت نحو اللغة السواحيلية فى شرق افريقية تتلخص فيما يلى : ـ

١ ـ البدء باحياء اللغة السواحيلية لشغل الأهالى هناك بلغتهم عن اللغة العربية ، وذلك لكى يقف تيار انتشار اللغة العربية .

٢ ـ قطع الخيط الذى كان يربط أهل السواحيلية باللغة العربية عن طريق كتابتها بالحروف اللاتينية.

وقد كانت هذه الخطوات تهدف أساسا الى تهيئة الجو الملائم لنشر اللغة الانجليزية فى مناطق شرق افريقية. ومن بين الخطوات التى اتبعت للتسلل التدريجى باللغة الانجليزية بين أهالى شرق افريقية العمل على تطعيم السواحيلية ببعض الألفاظ الانجليزية لايجاد لغة انجليزية مختلطة Pidgin English تعليم السواحيلية فى المرحلة الابتدائية مع تقليل حصصها تدريجيا ، واحلال اللغة الانجليزية محلها كلما ارتفعت الفصول الدراسية، فان السلطات الاستعمارية تهدف من وراء هذه الخطوة الأخيرة الى خداع الأهالى باظهار الاهتمام بلغتهم فى احدى مراحل التعليم وفى نفس الوقت يضعفون اللغة الوطنية لكيلا تصبح منافسا قويا للغة الانجليزية .

وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التى تبذلها السلطات فى هذا المجال فان الأفريقيين مازالوا يعتبرون الانجليزية لغة غريبة عنهم وهم متمسكون باللغة السواحيلية لغة أجدادهم تمسكا شديدا ، **كما أنهم يقبلون على اللغة العربية التى يطلقون عليها اسم (زبانى قرآنى) أى لسان القرآن لأنها لغة الاسلام دينهم . ولئن استطاع المستعمر أن ينجح فى فرض لغته على المصالح الحكومية وعلى بعض المعاملات المدنية فانه لن ينجح فى صرف السكان عن لغة أجدادهم أو لغة دينهم، ولئن انتشرت اللغة الانجليزية فى هذه المستعمرات فانها لن تبقى بل ستمحوها الشعوب بمجرد تخلصها من الاستعمار .**

الرحالة العرب فى افريقية

للدكتور حفنى شرف

اتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية، وامتد ملك العرب ، وانبسطت امبراطوريتهم من حدود الهند شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالا الى صحارى افريقية جنوبا .

وأتيح للرحالة العرب أن يحرزوا قصب السبق فى الكشف برحلاتهم الكثيرة التى كانت تشجع عليها طبيعة الدين ، فأفادت بذلك علماء أوروبا ، وأوقفتهم على كثير من معالم أجزاء العالم التى كانوا يجهلونها . فانتشار الاسلام ، وتطبيق الشريعة الاسلامية لابد لهما من دراسة البلاد وطرقها وتجارتها ومصادرها ، والرحالة العرب قاموا بالدراسة العملية قديما التى قامت مقام الدراسة العلمية التى نسير عليها الآن .

والرحالة العرب وجهوا اهتمامهم فى رحلاتهم الكشفية فى افريقية الى الركن الشرقى المطل على المحيط الهندى ، وذلك لقرب هذه البلاد من الجزيرة العربية وانتشار الاسلام فيها، كما ان الغنى الوفير فى المواد الغذائية الذى كانت تتمتع به المنطقة من أكبر الدوافع على اقتحامها والرحلات اليها .

والرحالة العرب أول من تكلم عن تاريخ شرق افريقية. وهم وان كانوا قد قرأوا عنه فى تاريخ البطالسة الا انهم كشفوه عمليا . وأثبتوا أن النيل ينبع منه . كما أنهم لم يتوغلوا فى الحبشة وان كانت أكبر دولة فى شرق افريقية لوعورة جبالها اذ يبلغ ارتفاعها (٢٥٠٠)متر تقريبا .

وقد كان الرحالة العرب فى صدام دائم مع المنافسين من الرحالة الهنود، ولذلك فضل العرب أن يخلوا لهم جنوب افريقية ورضوا من ذلك بالاياب . وأنا أرجح أن سبب رجوع الرحالة العرب عن التوغل فى جنوب افريقية هو رداءة الملاحة والجو هناك ، ولذلك وقفوا برحلاتهم عند شمال نيجيريا ، لأن الطبيعة كانت لا تسمح لهم بالبقاء هناك لقساوتها وسوء مناخها ، وكثرة أمراضها حتى ذكر مؤرخو العصر الحديث فى كتبهم « أن خليج غانا مقبرة الرجل الأبيض». ونشأ فى جنوب افريقية العنصر البويرى الذى تكون من السكان الأصليين والزنوج ، والنازحين من الهنود ، وكان لهذا العنصر الناتج أثر كبير فى حرب الانجليز وارغامهم على اعطاء اتحاد جنوب افريقية استقلاله.

وكان اهتمام الرحالة العرب موجها

الى شمال افريقية ليكتشفوا ويؤرخوا ويدرسوا .

ومن بين هؤلاء الرحالة العرب « ابن بطوطة » .

الذى ولد فى طنجة سنة ٧٠٣ (١٣٠٤ م) من أسرة عالية أتيحت الفرص لكثير من أبنائها أن يتولوا القضاء ، ويمتازوا بالنبوغ فى مختلف العلوم ، وبخاصة الشرعية منها .

وابن بطوطة من بين هذه الأسرة شغف بالرحلات فكان من أعظم الرحالة العرب قاطبة ، وأكثرهم جولانا ، وأوفرهم نشاطا واستيعابا للأخبار ، وأشدهم عناية بالحديث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد التى يحل بها ويتحدث عنها ، كما يمتاز من بينهم بالمغامرة وحب الاستطلاع ، والرغبة فى الاستمتاع بالمشاهدات المختلفة ، واضطراب المؤرخين فى تاريخه يرجع الى عدم تدوين رحلته والحذف والزيادة التى فعلها ابن جزى الكلبى فيها ، لأن ذلك دعا بعض الناس الى الشك فى وصول ابن بطوطة الى الصين ، وان كان هذا لا ينقص من شأن الرحالة العربى ، وكفاه فخرا ما أوضحه من الظواهر أو النظم الاجتماعية والاقتصادية التى نظنها جديدة فى عصرنا الحديث .

فارق ابن بطوطة وطنه ومسقط رأسه ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة تاركا وراءه والديه وأحبابه ورفاقه ، مؤثرا الرحلة ، مفضلا البحث والاطلاع فسار الى الحجاز وتلك كانت أولى رحلاته وأشار الى ذلك بقوله : « كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول – عليه الصلاة والسلام – منفردا عن رفيق آنس بصحبته ، وركب أكون فى فى جملته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهد الشريفة ، فحزمت أمرى على هجر الأحباب من الاناث والذكور ، وفارقت وطنى مفارقة الطيور للوكور ، وكان والداى بقيد الحياة ، فتحملت لبعدهما وصبا ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا »

والذى لاحظته على رحلته هذه أنه لم يقصد بيت الله **كما يقول** ، بل كان يريد الطواف بكثير من البلاد ، وذلك الذى كان ، فمر ببلاد المغرب – تونس والجزائر وطرابلس ، ولم يسلك طريقا آمنا كل الآمان ، ثم واصل رحلته الى الاسكندرية ومر بدمياط ، وعرج على القاهرة والتقى ببعض علمائها ، ووصف ما شاهده وصفا موجزا ، وذكر شيئا من أخلاق المصريين ، وميزهم بالطرب واللهو والسرور ، ثم رحل الى عيذاب ثم وقف فى رحلته وقفل راجعا الى الفسطاط لثورة قامت ضد السلطان الناصر المملوكى ، ثم اتجه بركبه الى فلسطين وسورية ولبنان ، وهنا أطال وصف تلك البلاد ، وأبان عن فضائل أهلها ، وحرفهم التى يحترفونها ، وزراعتهم التى يزرعونها .

ولم ينس فى الوقت نفسه أن يذكر خصوصياته ، فقال : « ووقع بينى وبين صهرى مشاجرة أوجبت فراق بنته ، وتزوجت بنتا لبعض طلبة « فاس » ، وبنيت بها ، وأولمت وليمة حبست لها الركب يوما وأطعمتهم » .

أدى ابن بطوطة مناسك الحج ، وعاد من أرض الحجاز من طريق غير الذى ذهب منه ، فمر بالعراق ،وعرج على واسط والبصرة والكوفة وبغداد، وزار تستر ، واصبهان ، وشيراز ، وكازرون من مدن غرب ايران .

وقد دفع ابن بطوطة شوقه الى الاطلاع وحنينه الى الطواف أن يرى غرب افريقية « السودان الغربى » ففكر أن يقوم برحلة ليزور مدن السودان الغربى ، ويطلع على أحوال المسلمين فيه ، وكانت هذه الرحلة الثالثة من رحلاته ــ وهى المقصودة من هذا المقال ــ وكان بدء رحلته فى اول سنة ٧٥٣ هـ الموافق فبراير سنة ١٣٥٢ حيث انضم الى جماعة من التجار من أهل سجلماسة التى اعتبرها من أحسن المدن ، وشبهها بالبصرة لكثرة التمر فيها ، ثم انطلق الركب عبر الصحراء الكبرى الى مدينة « تغازى » (١) التى نزل بها الرحالة ومن معه بعد خمسة وعشرين يوما من قيام الرحلة ، ثم وصف مدينة « تغازى » بأنها مدينة بنيت بيوتها ومساجدها من حجر الملح وسقوفها من جلود الجمال ، لا شجر فيها ، والماء بها قليل ،وأرضها رملية،ويوجد فيها معدن الملح يحفر عليه فى الأرض، فيوجد ألواحا متراصة كأنها نحتت بيد فاعل ، ووضعت تحت الأرض ولضخامتها يحمل الجمل منها اثنين فقط . كما وجد الناس يتعاملون بالملح كما نتعامل نحن اليوم بالذهب والفضة .

ثم اتجهت الرحلة الى بلدة «تاسهلا» (٢) وفيها قبيلة تسمى «مسوفة» يحترف أبناؤها التكشيف ــ عيون القوافل المسافرة ــ تكترى القافلة التى تود السفر الى بلدة « أيولاتن » دليلا من هذه القبيلة تحمله كتابا الى معرفة أو صديق فى «ايوالاتن» يخبره بقدوم القافلة ليقابلها بالماء فى الطريق من مسيرة أربعة أيام.يستأجر لها الدور لتنزل فيها واذا لم يصل الدليل أو هلك فى الصحراء ولم يقابل أحد الرحلة هلكت أو هلك أكثرها لطول المسافة وحرارة الطريق وقلة الماء فيه .

وذكر الرحالة ابن بطوطة أن دليل رحلته الى «ايوالاتن» كان ، مع مرض فى احدى عينيه ،اعرف الناس بالطريق، ومع ذلك لاقى الرحالة كثيرا من المشاق فى هذه الرحلة ، لشدة الحر وكثرة الأوبئة فى الصحراء ، مما اضطر القافلة الى السير ليلا والوقوف نهارا.

وصل ابن بطوطة الى « ايوالاتن » بعد شهرين من بدء الرحلة ، وقال عنها : انها أول أقاليم مملكة السودان الشمالى ، ثم وصف أهلها ، وأبان صلتهم بمصر ، وانهم يستوردون ملابسهم منها ، وان أهلها سود البشرة جدا ، ولذلك يكرهون بيض الوجوه اعتقادا منهم أنهم لم ينضجوا بعد . ونساؤهم جميلات يختلطن بالرجال ــ ولا حرج فى ذلك ، وان كان الرحالة قد تعجب من هذا الاختلاط ومن مركز المراة هناك فقال : «وشأن هؤلاء القوم

(١) تغازى بفتح التاء والغين وزاى مفتوحة، مدينة لاخير فيها .

(٢) تاسهلا بفتح التاء والسين وسكون الهاء ، مدينة تنزل بها القوافل أياما للراحة .

عجيب وأمرهم غريب ؛ فأما رجالهم فلا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب الى خاله ، ولا يرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه .. وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلاة ، وتعلم الفقه وحفظ القرآن » .

ثم كشف لنا عن مركز المرأة في الأسرة وشخصيتها بجانب زوجها ،واختلاط الجنسين فقال : « وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ،ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلاة . ومن أراد التزوج منهن تزوج ،ولكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت احداهن ذلك لمنعها أهلها .

ولا شك أن هذا القدر من الحرية التي للمرأة ، لم تظفر به في أي مكان آخر .

يمم **ابن بطوطه** وجهه شطر « مالى » وهي احدى مدن الجنوب الواقعة على بعد مسيرة أربعة وعشرين يوما من « ايوالاتن » مارا بطريق كله أشجار ضخمة تستظل القوافل بظلها ، ويختزن ماء المطر بداخلها ، ويسكن في بعضها النحل فيكون منه العسل الكُثير الذي يأكل منه الناس، ومما لفت نظر الرحالة في هذا الطريق رؤيته بعض النساجين ينسج الثياب داخل هذه الأشجار ، ومن أشهر زراعتهم نبات القرع فانه يعظم عندهم جدا . ويكفي المسافر في هذا الطريق أن يحمل معه قطع الملح والخرز والعطر والأشياء التي يتعامل بها لأنه سيجد في الطريق كل ما يحتاجه فيشتريه .

ثم واصل رحلته حتى وصل الى بلدة « زاغزى » (١) فوجد أهلها يحترفون التجارة ،ووجد منهم جماعة تذهب مذهب الاباضية من الخوارج، وجماعة تذهب مذهب مالك رحمه الله.

ثم اتجه الى نهر النيجر ، وهناك التقى بمدينة « كارمخو » (٢) ،وسار مع هذا فوجده ينحدر الى بلدة « كابره » ثم بلدة « زاغه » ووجد أن أهلها يحترفون الزراعة ، وهم مسلمون متعصبون لاسلامهم مقبلون على طلب العلم وحفظ القرآن ، والمنطقة التي توجد فيها بلدة « زاغة » مقر لمملكة تكرور التي كانت أول معقل للاسلام، ودعا هذا الاكتشاف الرحالة ابن بطوطه الى الاعتقاد بأن النيل «النيجر » ينحدر من « تمبكتو » الى بلدة « كوكو » ثم يسير الى بلدة « يوفى » ثم ينحدر الى بلاد النوبة ، ولعل الدافع الى هذا الاعتقاد هو وجود نهر الغزال ، وظل هذا الاعتقاد حتى كشف أخيرا الدكتور الطبيب البريطاني منجو بارك Mango Barke حوض النيجر سنة ٧٩٥

ثم رحل ابن بطوطة الى بلدة «مولى»(٤) ودرس أخلاق أهلها ، والتقى بسلطان مملكة « مالى » وعرف نظام حكمه في مملكته الذي كان من أهمه

---

(١) زاغزى بفتح الزاى والغين ثم كسر الزاى الثانية : قرية كبيرة يسكنها معظم تجار السودان ، وهي من أهم مدنه .

(٢) كارمخو بفتح الكاف والميم وراء ساكنة وخاء مضمومة ، قرية على نهر النيجر ، وينحدر منها الى كابره .

(٣) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى : ١٦٨ .

(٤) مولى بضم الميم وكسر اللام وهي آخر بلاد مملكة مالى .

انه لا يمكن دخـول مملكته الا باذن خاص منه ، كما عرف أن من أبرز صفـاته الشح ، واكتشف فى هـذه المملكة جالية مصرية من أشهر رجالها تاجر يدعى شمس الدين المصرى كما انه عولج من مرض الم به فى هذه المملكة على يد طبيب مصرى ، كما كانت لغة السكان الأصليين غير العربية ، أما العرب والبربر المقيمون فى هذه المملكة فكانت لغتهم العربية ، ولذلك تعلموا لغة البلاد .

ومن أهم مميزات الحكم فى هذه البلاد أيضا العـدل الشـامل والأمن المستتب ، والبعد عـن الظلم ولذلك عـاش أهلها فى أمـان واطمئنـان ، لا يخشى المسـافر فيـها أو المقيم سارقا أو غاصبا . كما لاحظ الرحالة عناية أهل هذه المملكة بحفظ القرآن، بل وجدهم يجعلون القيد فى أرجل أبنائهم حتى يحفظوا القرآن ، ولذلك يقول : « ولقد دخلت على القاضى يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت : الا تفرج عنهم فى هذا اليوم ، فقـال : لا تفك قيودهم حتى يحفظوا القرآن » ويقول: « ومررت يوما بشـاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة ، وفى رجله قيد ثقيل ، فقلت لمن كان معى : ما فعل هذا ؟ أقتل ؟ ففهم عنى الشاب وضحك، وقال : انما قيد حتى يحفظ القرآن» وبقيت هذه العادة متفشية فى هذه البلاد الى عهد قريب جدا ، حتى كان من مؤهلات الرجل الأولى عنـد التأهيـل بزوجـه أن يكون حافظـا للقرآن ، ثم يسأل عن بقية الشروط الأخرى التى تشترط فى الزوج الكامل، ولذلك كانت الصفة الغالبة على سكان هذه المملكة رجالا ونساء حفظ القرآن، الى أن جاء الاستعمار وسيطر على معظم غرب افريقية ، فأهمل القرآن واستبدل بلغة الاستعمار .

كمـا لاحظ عليهم المحافظـة على الصـلاة وتأديتـها فى أوقاتهـا . وضربهم أولادهم على تركها ، ولابد ان تكون غالبا فى جماعة ، وفى ثياب بيض نظيفة ، حتى ان الواحد منهم اذا لم يجد الا ثوبه الفريد المهلهل خلعه وغسله غسلا جيدا حتى يعيد اليـه بياضه .

ولما كان الرحالة آخذا فى تسجيل عاداتهم لم ينس ما لم يعجبه منها ، فذكر أن من العادات التى تعجبه ظهور الخدم والجوارى والبنـات عرايا ، وخاصة فى شهر رمضان ، كما لاحظ عليهم التلطخ بالرماد والتراب عنـد الحزن والخضوع .

ثم اتجه شرقا فى الصحراء الكبرى حتى التقى ببلدة « تنبكتو » ومنهـا ركب النهر فى قارب منحوت من خشبة واحدة ، وكان ينزل هو ومن معه الى القرى المنتشرة على الشاطىء ليتزودوا بالزاد ، فنزل فى قـرية « كوكو » و « بردامة » ، ولاحظ على الأخيرة أن سكانها من البربر وبها تنزل القوافل، ثم واصل السير الى بلدة « تكدا » فوجد فيها المنازل المبنية بالحجارة الحمراء ، وماءها يجرى على معدن النحاس فيتغير طعمه ولونه ، ووجد أهلها يحترفون التجارة ويستوردون أكثرها من مصر ، ويعيشون فى بحبوحة من العيش ، وزراعتهم قليلة ، كمـا

أن العملة تختلف فيها عن غيرها من البلاد فبينما غيرها يتعامل بالملح يتعامل أهلها بالنحاس الذى يوجد عندهم بكثرة فكانوا يسبكونه على هيئة أعمدة بعضها رقيق والآخر غليظ يشترون بالرقيق منها الطعام والشراب ، وبالغليظ الحيوانات والعبيد الذين كانت كثرتهم موضع التفاخر والتباهى .

عاود ابن بطوطة الحنين الى فاس ومن فيها ، لأنه تركها مدة تقرب من السنتين فعزم على الرحيل، ولكنه كعادته لم يعد من الطريق الذى أتى منه ، فمر فى ايابه ببلدة « كاهر » من بلاد السلطان الكركرى ، ووجدها كثيرة الأعشاب يعيش أهلها على الرعى، ثم سار فى طريق برى خمسة عشر يوما حتى التقى ببلدة « توان » ورأى الماء فيها يجرى على الحديد فيتغير لونه ، ثم بعد عشرة أيام من وصوله الى « توان » وصل الى مدينة « دهكار » وتقابل مع سكانها وهم طائفة من البربر يعيشون على على التجارة وقليل من الزراعة ، ثم واصل سيره حتى وصل الى بلدة « بوط » وهى من أكبر مدن «ترات». ثم سار منها حتى وصل «سجلماسه» ومنها الى فاس ، وفيها ألقى عصا التسيار ، وانتهت جولته فى غرب افريقية .

ومما لا شك فيه أن الرحالة ابن بطوطة أوقفنا على كثير من معالم هذه البلاد الكثيرة التى مر بها أو نزل فيها، فعرفنا حياة أهلها الاجتماعية والاقتصادية ، ونظم الحكم عندهم ، والحركة التجارية وطرق القوافل فى بلادهم وحسن المعاملة بين الرئيس والمرءوس ، وانتشار العدل بين ربوع البلاد ، كما كشفت لنا هذه الرحلة عن حب الرحالة المغامرة والكشف، وارتكاب المخاطر فى سبيل الوصول الى معالم جديدة فى بلاد تربطنا بها صلات كثيرة .

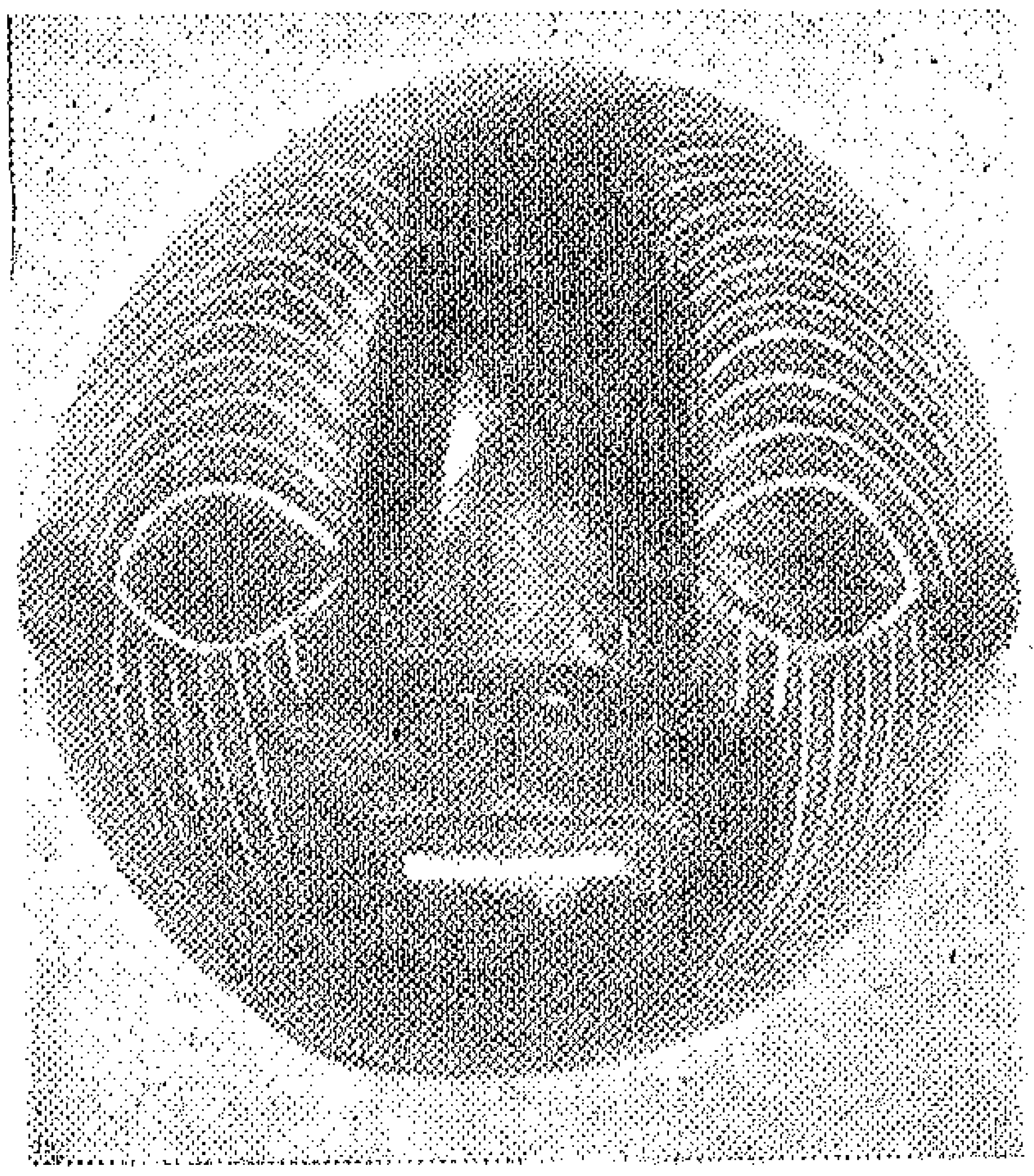

الشعر الافريقى بعد الصحراء الكبرى

بقلم الأستاذ عبده بدوى

اعتقد أن عددا من الكتب العميقة لا يكفى فى القاء الضوء على الشعر الافريقى فيما بعد الصحراء الكبرى. ذلك لأن افريقية فى هذه الأماكن عالم ضخم . متعدد الثقافة متغير الحياة، وان كان يجمع بينها جميعا شعور افريقى موحد رغم العزلة التى فرضت عليها ،ورغم الحدود المفتعلة، والحواجز السميكة التى كانت تشطر القبيلة الواحدة الى عدة مناطق من النفوذ .

وقد ترتب على هذا أن قسمت افريقية ثقافيا كما قسمت سياسيا ، فالفرنسيون قد قالوا فى التقسيم الفكرى ان هناك افريقيتين لا افريقية واحدة . فأولاهما افريقية شمال الصحراء ، وتعتبر جزءا مكملا لثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط ، والشرق الأدنى ، وآسيا . وثانيهما افريقية ما بعد الصحراء . وتشكل هذا الجزء ثقافة غربية حديثة فالثقافة المحلية هناك ضحلة وغير ضاربة الجذور فى أعماق الافريقيين. أما الانجليز فقد قالوا ان هناك خمس افريقيات هى :

١ ــ افريقية السواحل الشمالية .
٢ ــ افريقية الصحراء .
٣ ــ افريقية السوداء .
٤ ــ أفريقية الاستوائية .
٥ ــ افريقية جنوب افريقية .

وهم يرون أن الثقافة فى هذه المناطق تتبع « الخط البارد » وتموت حيث تشتد الحرارة ، وأن الثقافة فى أكثر هذه المناطق تتحرك فى اطار غربى . وهكذا يرون انه لا وجود لأى لون من الوان الثقافة فيما بعد الصحراء الكبرى الافريقية ،وأن الثقافة الموجودة فيها ليست الا امتدادا للثقافة الفرنسية أو الانجليزية . ومن خصائص المدرسة الثقافية الفرنسية أنها تقوم على الوعى، والاحساس بالذاتية الافريقية فى اطار عام من الأفكار الفرنسية .

أما المدرسة الانجليزية فيغلب عليها طابع المحافظة على التقاليد الافريقية، ومزجها بالروح الانجليزية ،والثقافة الانجليزية .

فافريقية عندهم فى القطاع الذى نتحدث عنه شىء جديد بلا ماض من الثقافة والمعرفة . شىء اكتشفه حديثا التجار ، والمبشرون ، والمكتشفون .

وقد تنبه كثير من المؤرخين المنصفين ــ وأكثرهم من السود ــ الى هذه المغالطة ، والى ما يختفى وراءها من أغراض سياسية وعنصرية ، وفى مقدمة هؤلاء الأمريكى الأسود الدكتور

«دى بوا» فى كتابه «العالم وافريقية»، والدكتور النيجيرى « اونوو كاديكى » فى موسوعته التاريخية ، ومنهم أيضا العالم الافريقى الدكتور «دى جرافت جونسون » الذى أكد فى كتابه «مجد افريقية » قيام حضارات افريقية ، وفنون مكتملة فى أنحاء القارة . فالقول بتخلف افريقية شىء لا يستند على أساس تاريخى لأنه سبق ان ازدهرت فى القارة ممالك عدة ، ولمعت جامعة « تمبكتو » ، وامتاز عدد وفير من القبائل بتنظيمات اجتماعية فى منتهى الرقى من قبل أن تطأ افريقية أحذية البيض .

ونحن لا ننسى فى هذا المجال قول الدكتور كوامى نكرومة ((**لقد استطاع أجدادنا منذ قرون طويلة أن يشيدوا امبراطورية شامخة قبل أن تكون لبريطانيا أية أهمية فى الوجود ، وقبل أن تتجمع قبائلها التى كانت متخلفة فى شعب موحد ، وقد ظلت هذه الامبراطورية الافريقية قائمة ، ومظللة بأجواء الحضارة من ((تمبكتو)) الى ((باماكو)) الى شاطىء المحيط .**

وقد كان بها العلماء والفقهاء يحوطهم الاحترام ، والتقدير ، ومن حولهم شعب ((غانة)) رافلا فى أثواب المخمل والحرير ، يصوغ أفانين الذهب ، والجواهر ، والفضة ، والنحاس كما كانت تبدع أناملهم أروع أنواع النسيج .

وهذا يجعلنا نزهو باسم ((غانة)) . فنحن لا نخجل من ماضينا لأنه يشع علينا فخارا . فما أنجزه أجدادنا من نجاح ، وتقدم اجتماعى يمنحنا الثقة والقدرة على مواصلة الكفاح والتحرر بنجاح)) .

وهكذا نؤكد أن افريقية جنوب الصحراء كانت بها حضارة من أرقى الحضارات ، وأن القول بأن لبنات هيكل البعث الافريقى الأدبى مأخوذة من حجارة أوروبية — كما يدعون — قول مبالغ فيه فقد عرفت القارة نفسها فى الماضى كما تعرف نفسها الآن ، وقد أسهمت فى البناء الحضارى الانسانى فى الماضى كما تسهم فيه الآن .

وازاء هذا فقد رأينا الشخصية الافريقية المعاصرة تتضح ملامحها ، وتظهر لها خصائصها المميزة بحيث يمكن القول بأن لها الآن ((**شعرا** افريقيا)) لا أثر فيه لثقافة أجنبية بعد نكبة التقسيم عمت كل أجزائها ، وأن كل جزء من القارة بعد الصحراء يترك ظلاله على الشعر .. ظلاله الافريقية !.

.. فالشعر فى ((الجنوب)) يعتبر تسجيلا صادقا للحياة القاسية المضطربة التى يعيشها الافريقيون هناك . بينما يصرخ فيه لون حاد هو لون الاضطهاد والتفرقة العنصرية ، والبكاء على الحياة الطليقة التى كانوا يتمتعون بها ، والتى يغتصبون منها عنوة للعمل فى مزارع البيض ، والمصانع ، والمناجم فى غير مقابل عادل للمجهود العنيف الذى يقومون به .

أما الشعر فى ((الشرق)) فيتلون بالأحداث السياسية ، والظروف البيئية . بينما تخفت فيه الحدة والانفعال ، والشعور بالاضطهاد ، والتفرقة العنصرية .

فاذا انتقلنا الى « الغرب » وجدنا الشعر هناك مزدهرا كأقوى مايكون الازدهار ، ومرتبطا بخطوات الصراع التى انتهت أخيرا بالحرية فى ليبيريا وغانة ، وغينيا ، ونيجيريا ، وفى الوقت نفسه لا يكاد يوجد أثر حاد للشعور البغيض بالتفرقة العنصرية ، لأن الشعوب فى هذه المنطقة تقاوم . وتشعر بقيمتها ، وسطحية الرجل الأبيض ، ومن هنا نراها تستوحى فى شعرها « الفولكلور » وتعتز بكل ماهو افريقى ، وأشد الناس التصاقا بالقومية الافريقية ، وأمجادها هم أولئك الشعراء الذين نزحوا الى الخارج . ثم عادوا ليلتصقوا تماما بالواقع الاجتماعى والنفسى لبلادهم .

ومن خصائص هذا الشعر بعامة ارتباطه بالواقع المر الذى تعيشه هذه البلاد ، وتصوير ما تلاقيه النفس الافريقية من عناد فى ظل الاستعمار ، ولعل هذه القصيدة التى ساقها الشاعر على لسان أمه توضح لنا فى خط درامى العذاب النفسى الذى يلاقيه الكثير من الافريقيين ، والقصيدة تبدأ هكذا :

« .. وعندما تشرق الشمس فترسل اشعتها
تنهض أمى العجوز من كوخها القديم
وتتطلع فى وجوهنا فلا تجد الا جلدا على عظم
وأن «الرجل الأبيض» امتص دماءنا كالثعبان
وتجد الحقل الذى كان فى يدنا فى يد الأجنبى
..وعندما تجد ذلك أمى
تذرف الدمع باردا فى الصباح
كأنه الندى على دوحة جفت أغصانها

* * *

وعند الظهيرة حينما تجد أمى الاناء فارغا
وتنظر الى « البيض » فتراهم اصحاء !
بينما خدى ككهف من جلد وعظام
حينما تجد أمى ذلك
يسيل الدمع من مآقيها ساخنا

* * *

وعند الغروب حينما تتلفت فلا تجد غطاء
وتسمع وقع أقدام « البيض » الغاصبين !
وتلمح حرابهم اللامعة فى أقفية الرجال
يعود الدمع فيسيل على خديها
ويصيح الجميع أين بيوتنا ؟ أين وطننا ؟
أين شرفنا ؟ أين كرامتنا ؟
وتتدفق الدموع كالسيل على وجوه الجميع

* * *

والشاعر الافريقى لا يلون شعره باليأس ، ولا يصبغه بالحزن ، ولكنه يفتح فى ختام كل قصيدة كوة تتدفق بالنور ، وبالأمل ، وبالغد :

ونحن نرى هذا واضحا فى قصيدة الشاعر « دافيد ديوب » التى يقول فيها :

« افريقية يا قارتى
يابلاد المحاربين الأبطال الذين حاربوا
فى بلاد الأجداد !
أنا لم اعرفك ابدا
ولكن دمك يملأ نظراتى
دمك الأسود يغمر الحقول
دم عرقك
عرق عملك
افريقية حدثينى
ان ظهرك المنحنى
والدموع تحت ثقل الخضوع
ترتعش فى خطوط حمراء وهى تقول :
« نعم » للسوط الذى يلهبها فى الظهيرة
وعندئذ يجيبنى صوت حزين
« أيها الولد المندفع »
ان الشجرة العملاقة الشابة
الشجرة التى ترقد هناك
وحيدة فى فخار بين الأزهار الذابلة
هى افريقية !

افريقيتك التى تولد مرة ثانية
تولد من جديد فى عناد واصرار
وتكتشف فاكهتها شيئا فشيئا
رائحة مرة هي رائحة الحرية
فالحرية لها رائحة مرة !! »

* * *

والشاعر الكاميرونى « فامبانى » حينما يصور لنا حيرة الشباب الافريقى، ، وفراغه ، وضياع روحه فى هذا العصر لا ينسى أن يأمل فى نهاية قصيدته فيقول :

« أنا واحد من شباب بلادى
فقير فى الحب
غنى بالتعاسة والبؤس
ووطنى وطن شهيد !
وأنا فى العشرين من عمرى
ولكنى مع ذلك فارغ كطفل ولد حديثا
آه .. أيها الكاميرون التعس
ان شبابك يموتون قبل أن ينضجوا
والأطفال الجياع يصرخون ثم يموتون
وعلى شفاههم دعاء لأمهاتهم اللاتى
يسقطن من فرط الاجهاد
وهن يكدحن فى الحقول
انى أخاطب من يسخرون منى
فأنا لا أريد أن أظل شابا مختنقا
مكمم الفم

أريد أن أصبح شابا فى عمرى الحقيقى
شابا يعيش فى العصر الحديث
شابا من شباب بلادى ! .

* * *

ومع أن هذا هو الحظ الآمل الذى يلون كل شعرهم ، ويترك قطرات النور تتساقط على ختام قصائدهم بحيث نرى شعرهم راقصا ملونا . الا أنا نراهم فى بعض الأحيان يجأرون من الظلم ، ويصرخون من الاهمال .

كما نرى فى شعر «أرماتو» الذى يقول فى احدى قصائده :

« لا أعلم صديقا للزنوج
سوى الأرض ، والسماء ، والعواصف
والأمطار ، والبعوض !
ذلك لأن الأرض تراهم يسقطون كالتراب
ولأن السماء تسمع صراخهم
وتنكر عليهم حقهم !
ولأن العواصف تحمل أناتهم
ولا تستطيع اخفاءها
ولأن الأمطار تمتزج بدموعهم المستمرة
ولأن البعوض لا ينكر ما امتصه من دمهم
.. ليس من شيء صديق الزنوج
سوى الأرض ، والسماء والعواصف ،
والأمطار ، والبعوض !! »

* * *

والافريقى معتز بافريقيته . شديد الحفاظ على تراثه . بالرغم من أن النقاد الأوروبيين يروجون أن الافريقيين لا يكرهون شيئا كما يكرهون ماضيهم لارتباطه بالظلم ، واستبداد الزعماء ، وجمود التقاليد القبلية ، ولا شك أن هذه دعوى ظالمة فالافريقى من أشد الناس تمسكا بماضيه وتقاليده ولا تزال الجمعيات التبشيرية هناك تعانى من اعتزاز الافريقى بماضيه وتقاليده مالم تعانيه فى قارة أخرى . فقد أقاموا هناك كنائس تسمى كنائس « المتنبئين » تستحدث تعاليم جديدة لها صلة بماضيهم . كما تظهر دعوات مستمرة لتجديد دياناتهم القديمة فى اطار المسيحية ، ومن أفكارهم هذه أن « المسيح » أسود البشرة ، وأن من يمر مجرد مرور بكنائس البيض يحرم من الجنة ، وأن لحم الخنزير محرم .

فما يكرهه الافريقى هو التندر بماضيه ، ومن هنا صاح الشاعر النيجرى « دينيس اساديهى » فى وجه هذه الدعوى بقوله :

« أيها الأبيض » لا تحافظ على عاداتى وتقاليدى . كشىء عجيب مضحك محاولا تسلية أبناء جلدتك ! »

* * *

ومن مظاهر اعتزاز الافريقى بافريقيته واعتزازه بلونه ، ويظهر هذا من قصيدة الشاعر « أرماتو » التى يقول فيها :

« ان الهنا أسود
اهتفوا بهذا فى الغابات
من التلال الى الأحراش
دعوا العالم يردد هتافكم
ان الهنا أسود
شعره مجعد ، وعيناه بنيتان
وشكله جميل مهيب
خلقنا على صورته ومثاله
ان الهنا أسود
أسود من ظلام الليل الدامس
ومن الفستق المقيم
والفجر غير المشمس
أعلنوها على العالم أجمع
ان الهنا أسود !! »

* * *

كما نرى فى شعرهم تعمقا فى أسرار الحياة وحبا عميقا للانسانية

وهذه احدى قصائد « جولس من » أحد شعراء « البانتو » التى يقول فيها :

« يا طفولتى البعيدة
مازالت هناك حركاتنا ، وملعبنا
ومازال هناك سيرنا على حافة الوديان الجميلة
حيث نصرخ لنسمع صدانا !
وحيث الأفق يعمق اللانهائية !
فعند شجر الليمون تضىء لى السماء
وأرى أكواخنا تعشش فى حب
بين أشجار الموز المشمسة
النابعة من أرضنا الطيبة
والتى تلتف حول قرانا
وحول النيران التى نوقدها
والنخل الذى يصعد فوقنا
فكل شىء هنا يستقبل الانسان
يستقبل الانسان دائما . دائما !
كم من طريق ضائع يحف بالحياة ؟
كم من طريق هنا يصل الى القلب ؟
فمن مكاننا هنا فى القمم المتوهجة
نشاهد كل شىء .. كل شىء
حتى الخواطر فى النفوس !
اينها الانسانية المشدوهة من الجمال على الأرض
حيث السماء تظلل الطفولة
هل يمكن ان نعلم اسرار الينابيع
التى عاشت من زمن بعيد
والتى لا تزال تعيش فى عالمنا المضطرب
فما زالت على الارض ظلال
وما زال كل شىء يخدم الانسان
فللانسان قد خلقت الحياة !

* * *

ولا شك اننا نجرد هذا الشعر من الكثير من خواصه . وبخاصة اذا علمنا أنه يعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على النغم العنيف ، والصورة الزاهية . بحيث يمكن تحويله الى موسيقى خالصة اذا رفعنا عنه الصورة ، كما يمكن تحويله الى مراسم اذا نحينا عنه الموسيقى .

ولعلنا بهذا نكون قد أمطنا اللثام لأول مرة عن الشعر فى هذه البلاد التى ترتبط معنا بأكثر من رابطة .

من وحى أفريقية

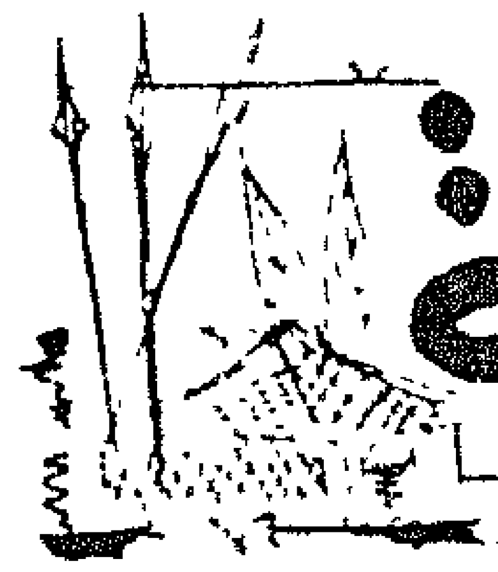

نداء من القارة

للأستاذ سعد دعبيس

أذاعت وكالة الأنباء أن الاستعمار البريطانى رفض أن يفرج عن البطل الافريقى ((جوموكينياتا))زعيم ((كينيا)) بعد أن أنهى مدة العقوبة فى سجون الاستعمار .. فالىهذا البطل الذى تخشاه امبراطورية وهو أسير فى أيدى جلاديها .. ! أهدى هذه القصيدة ! أهديها اليه والى شعب ((كينيا)) :

أخى فى العالم الحر ... أنا ((ماوماو)) أنا ((كينيا))
أنا اصرار ((أفريقيا)) ... يشد على يدى آسيا
أنا الفرد الذى فى حقـ ... ـله يشقى ولا يحيا ..؟
أنا أنشودة الفجر الـ ... ـذى ترنو له الدنيا

* * *

أخى فى العالم الحر ... أخى فى الخوف والرعب
كلانا يصنع الموت ... كلانا مخلب الذئب
كلانا مدفع يطوى ... ضحاياه بلا ذنب !
كلانا قصة حيرى ... لانسان بلا قلب !
كلانا يطلق النيرا ... ن فى خوف على شعب
على الأنسام والأنغا ... م والأزهار والعشب
أخى فى العالم الحر ... أخى فى الشرق والغرب
افق هيا معى حطم ... دعاة الموت والحرب

* * *

اذا متنـــا فلن يبـــكى   علينـــا صـــانع الحـــرب
ولن يطـعم أطفـــــالى   دعـــاة الســـلب والنهـــب
ولن يشــقى بهم مــن قـــا   دنا للقحـــط والجـــدب
ولن أســـمع الا صيـــ   ـحة الأيتـــام ((يارب !))

* * *

ســيغدو قبرك الهجـــو   ر أحجـــارا وأطـــلالا
ويمضى بعـــدك القـــائـ   ـد فى قتـــلاه مختـــالا
على أشـــلائك الحـــيرى   ينـــال الجـــاه والمـــالا
وأنت بقـــبرك العـــارى   فقـــدت الصـــحب والآلا
تعـــانق فى الدجى صمتـــا   وصحـــراء وأهـــوالا
صنعت لغـــيرك النـــيرا   ن أطـــواقا وأغـــلالا
وصغت المـــدفع الجبـــا   ر للأحـــرار قتـــالا
ومـــاذا بعــــــدما تغنى   أتجنى أنت تمثـــالا
أتســـمع قول شـــيطان   ((مضوا للحـــرب أبطالا ؟))
أتسمعه ؟ اذن قم واشـــ   ـــهد الكون الذى زالا
وأمسى فى الدجى جـــوعا   وأشـــباحا وأســـمالا !

* * *

أنا الانســـان فى ((كينيـــا))   اصغ لى يا أخى واســـمع
أشـــاع الظلم أنى دمـــ   ـــية يلهـــو بهـــا أصبع
وأنى مـــن وحـــوش الغـــا   ب لا أعـــرف مـــا أصـــنع
وأنى مجـــــرم آكـــ   ـــل أطفـــالى ولا أشـــبع
وأن الذيل فى ظهـــــرى   دليـــل ناطـــق يســـطع
روايات ســـــمعناها   وما أكثر مـــا نســـمع
بأن القـــارة الســـودا   ء لا تعـــرف ما ينفـــع .. !
وأن لهم رســـــالات   بهـــذا المهمـــه البلقع !
لارشـــاد المســـاكين   لضـــوء العلم والمصـــنع !
أنا الانســـان فى ((كينيا))   أصغ لى يا أخى واســـمع !
أنا مثلك انســـــان   سيمضى فى لظى المـــدفع !

أنا مثلك لى أفق ولى فجر به يسطع !
ولى أهل وأوطان ولى أرض بها أزرع !
ولن أرضى بأغلالى ولن أسجد ، ولن أركع

* * *

سأسقى الغاصب المحتل أحقادى ونيرانى
وأروى ظلمه الباغى لأولادى واخوانى !
سأشعل غابتى من نار آلامى وأحزانى !
سأشعلها .. غدا أشعل اعصارى وبركانى !

* * *

وإما هوم الليل وأغفى النجم حيرانا
وراح المدفع الظمآ ن يحسو من ضحايانا !
ومت على ثرى « كينيا » على الصحراء عريانا
ورحت معانقا حصباءها ومضيت نشوانا
سأسمع صيحة كبرى « لقد حررت أوطانا »
سأسمع صوت أبنائى يصوغونى ألحانا

* * *

اذا ما حررت « كينيا » سأنسى كل ما كانا !
وأشعر أننى قد عشت أزمانا وأزمانا !!!
وأشعر أننى حى وأن عانقت أكفانا !

ما بين البيض والسود في افريقية

بقلم الأستاذ فتحى اسماعيل كوكب

دمعة الماضى ، وصحوة المستقبل :

عندما كانت قارات الدنيا تغط فى ليالى الجهالة ، وتسرح فى مراعى الظلام ، كانت أفريقية وآسيا تنعمان بالمدنية والحضارة . وتتمتعان بالرفاهية والعمران : فاذا تباهت مدنية اليوم بصواريخها وأقمارها وأعاجيبها الصناعية ، ومخترعاتها الحديثة فى القرن العشرين حدثها تاريخ ما قبل الميلاد بما كان لآسيا وافريقية من أمجاد ، وجاوبتها أطلال بغداد وآثار الأندلس وروائع القاهرة وغيرها عن حضارة ما بعد الميلاد ، فمن آسيا وافريقية بدأ الزحف المقدس لخير البشرية . ومنهما شع نور الايمان الذى طهر الدنيا من الرجس ، وحررها من الأغلال .. رسلهما : بنوا وشرعوا ونظموا المعاملات والعبادات والأحكام . وحكماؤهما خططوا ووضعوا لبنات العمران . وأسس المخترعات .. وسارت رسالتهم مسير الكهرباء فى أرجا الدنيا ، فكانت للانسانية مصدر التوجيه ، ومرجع التشريع ، وميزان العدل ، ومفتاح الخير والسعادة . ولكن لما كان دوام الحال من المحال فقد تفوقت عليهما الدول الاستعمارية فعاشت افريقية فى الظلام وتصرف المستعمرون فيها . تصرف التجار فى السلع والسادة فى العبيد واستغلوا مرافقها . واستنزفوا دماءها ، وها هى اليوم قد دب الوعى بين صفوفها وسرت الوطنية فى أوصالها وخرجت من زوايا الاهمال ونهضت نهضتها الحديثة حتى صارت الى المدنية الأولى فى السياسة العالمية : وهكذا كان الحال فى آسيا عندما كان الغرب لا يأبه بشىء فيها الا بما له مساس بمصالحه الذاتية فقط ، فلما تطورت السياسة العالمية سارعت الى ربطها بعجلتها سياسيا واستراتيجيا .

وقد جاءت الثورات الوطنية مسرعة بعد الخلافات الاستعمارية على تقسيم النفوذ وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية اللتين أطاحتا بدول وأقامتا أخرى . فهبت الشعوب المغاوبة على أمرها مطالبة بحقوقها المغتصبة وتفجر الشعور الوطنى من مصر الى مراكش فى الشمال والى ليبيا فى الغرب ، واتحاد جنوب افريقية فى الجنوب ثم انطلقت بعد هذا شرارة الوطنية فى باقى مناطق القارة معلنة بأن ٥ مليون أوروبى بين سكان القارة البالغ عددهم ١٩٨ مليونا

لا يجوز لهم وهم دخلاء عليهم أن يتحكم الاستعمار بهم في تقرير مصيرهم وأعلنوا أن ثوراتهم لا تخمد الا بتولى الافريقيين شئون بلادهم .

مشكلات افريقية : يمكن تلخيص هذه المشكلات فى أربع :

(أ) معاقل الاستعمار : وأهمها لانجلترا وفرنسا ، وبلجيكا والبرتغال وأسبانيا وسكانها فى كفاح مرير للتخلص من نيره وقد حاولوا ارضاءهم بمنحهم الحق فى ادارة شئون بلادهم الداخلية فباءت محاولاتهم بالفشل خصوصا فى غرب افريقية .

(ب) التخلص من الاستعمار الأوروبى : هبت شعوب شمال وغرب وأواسط افريقية لطرد المستعمرين لما عانته من تحطيم فى قواها المادية والمعنوية فلما غلبت على امرها وتأخرت عن ركب الحضارة أخذت شعوبها فى الكفاح معتمدة على نفسها وعلى وطنية ابنائها .

(جـ) الاضطهاد العنصرى : فى جنوب افريقية وشمالها ووسطها تقوم اقلية من الجنس الأبيض تسعى جاهدة فى تنفيذ سياسة سيطرة الرجل الأبيض على تلك المناطق ، ويحتضن الاستعمار هذه السياسة الاستعمارية ويؤيدها بكل قواه : واذا نشبت حرب فسوف يحتاج الرجل الأبيض الى معونة الرجل الافريقى ولكن الشعوب الافريقية سوف لا تقبل مد يد المساعدة إلى هؤلاء البيض الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وأن ما عداهم عبيدا وأرقاء .

(د) المركز الاستراتيجى : هناك صراع دائم بين الكتلة الشرقية والغربية ويتركز هذا الصراع على افريقية باعتبارها العمود الفقرى للمواد الخام اللازمة لصناعات الحربية : كما أنها توفر العمق الاستراتيجى للكتلة الغربية فى أى حرب مقبلة فضلا عن القواعد العسكرية العامة التى لا تتوافر فى غيرها .

وعلى ذلك فان الكتلة الغربيه تفترض فى سياستها أن الشعوب الافريقية سوف تنضم اليها فى أى صراع قادم رضيت أم لم ترض ، ولذلك تعمل على استمرار نفوذها فى سيادة الرجل الأبيض .. ثم تعمل على ارضاء الشعوب بالمشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، ومنحها القليل من الحكم الذاتى : ومن ثم يجب أن تحدد الدول الافريقية موقفها أزاء الكتلة الغربية فى أى صراع مقبل تبعا لاجابة مطالبها وما تمليه عليها مصالحها .

تأثير الحرب : تعتبر افريقية أهم مناطق العالم الاستعمارية ، لأن مناطقها ما عدا عشر مساحتها وجميع شعوبها ما عدا خمس الـ ١٩٨ ألف خاضعون للحكم الأوروبى . وتعتبر انجلترا وفرنسا وبلجيكا هى الدول الاستعمارية الرئيسية فى القارة ، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى فقدت ألمانيا مستعمراتها ، كما فقدتها ايطاليا فى الحرب الثانية وقد قامت اضطرابات واسعة النطاق بعد هذا فى المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسى ، وفى غرب افريقية وفى الكونغو البلجيكى وفى مدغشقر ، ولكنها لم تكن من القوة بحيث يمكنها تحقيق أمانى الشعوب . فكانت ثورة

الجزائر فى سنة ١٩٤٥ ضد الحكم الفرنسى بداية صفحة جديدة فى تاريخ الصراع بين العرب والفرنسيين فى شمال افريقية التى ترتبط سياسيا بالعالم الاسلامى وببقاع الشرق الأوسط وبالدول العربية .

تقسيم غنائم الحرب : وبعد أن وضعت الحرب أوزارها طالبت روسيا أن تكون احدى الدول فى مجلس الوصاية على ليبيا ، وطالبت الكتلة الغربية منحها الاستقلال فاستقلت تنفيذا لقرار هيئة الأمم فى سنة ١٩٤٩ ولما كان النفوذ الانجليزى فى برقة وطربلس والنفوذ الفرنسى فى فزان قويا ، فإن الاستعمار لا تنام عينه هناك . ووضع الصومال الايطالى تحت الوصاية الايطالية لمدة عشر سنوات تنتهى فى سنة ١٩٦٠ ، ودخلت ارتريا فى نظام فيدرالى مع أثيوبيا .

هيئة الأمم : كان المنتظر أن تؤدى هيئة الأمم رسالتها ولكن المناقشات والقرارات كانت تخضع فى غالب الأوقات الى أغلبية شبه متفقة فى مشاربها وأوضاعها وكانت باكورة أعمالها اقامة نظام الوصاية تحت اشرافها وهو أشبه بنظام الانتداب الذى انتهى بانتهاء عصبة الأمم فلم يغير نظام الوصاية من وضع المستعمرات التى كانت تحت الانتداب شيئا بل زاد من الاشراف عليها وقد تأثرت بهذا التغيير فى افريقيا مناطق النفوذ الانجليزى والفرنسى وهى الكمرون وتوجولاند وتنجانيقا وروانda أوراندى البلجيكية ووضع جنوب غرب افريقية تحت وصاية اتحاد افريقية .

والعجيب أن جميع الدول الاستعمارية قبلت وضع مستعمراتها تحت الوصاية ماعدا جنوب افريقية الذى التجأ الى محكمة العدل الدولية فأقرت نظام الوصاية ومع ذلك لم ينفذ وزادت بارسال معظم الأفراد المعروفين بكراهيتهم للجنس الملون لحكم هذه الشعوب وقد حاولت شعوبهم التخلص من هذا النظام ومن الحكام فلم توفق .

كما أن قبيلة آوى التى تقطن ساحل افريقية الغربى وهى موزعة فى ثلاث مناطق احداها خاضعة لفرنسا والثانية لانجلترا والثالثة لساحل الذهب حاولت توحيد قبيلتها فى منطقة واحدة فلم توفق أيضا .

وقد طلب مجلس الوصاية بعث تقارير عن النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية من الدول الاستعمارية التى تشرف على هذه المناطق ولكنه لم يجب الى طلبه وهذا يكشف نوايا الاستعمار ولهذا اصبحت معظم قرارات هيئة الأمم غير ذات موضوع .

الحرب الاقتصادية الأوروبية : عندما زادت أزمة الغرب الاقتصادية ولى الاستعمار وجهه شطر مستعمراته فأعلنت الدول الاستعمارية عن برامجها الاقتصادية لعشر سنوات قادمة وقدرت أرباحها بما يوازى ٧ ملايين من الدولارات لأن هذه البرامج تهدف الى استنزاف اقتصاديات المستعمرات عن طريق انتاج السلع الاستهلاكية لهذه الشعوب حتى تكون أسواقا هامة لتصريف بضائع الاستعمار وفى الوقت نفسه تحصل الدول

الاستعمارية على جميع الخامات الزراعية والصناعية والمعدنية ففى افريقيا ١٧ دولة تعتمد على مادة أو مادتين أو ثلاث على الأكثر وهذه المواد تكون محصولا زراعيا مثل الكاكاو والقطن والسكر ، ولقد زادت هذه الصادرات زيادة ملموسة فى السنوات الأخيرة .

أما عن المواد الخام التى تعتبر حيوية بالنسبة الى الاقتصاد الأوروبى فتصدر منها الى اوروبا ما قيمته ٢ر٥ مليون من الدولارات سنويا .. والبيانات التالية توضح الكماليات التى تنتجها افريقية من المواد الخام :

الكمية من محصول العالم	المواد	المناطق التى فيها
٢٠ ٪	النحاس والصفيح	الكنغو ـ روديسيا ـ نيجيريا
٢٥ ٪	المنجنيز	غانة ـ اتحاد جنوب افريقية
٥٠ ٪	الذهب	اتحاد جنوب افريقية ـ الكونغو ـ افريقية الجنوبية
٧٠ ٪	زيت النخيل	نيجيريا ـ الكونغو
٨٠ ٪	كوبالت	الكونغو ـ روديسيا الشمالية ـ مراكش
٩٨ ٪	الماس	اتحاد جنوب افريقية ـ افريقية ـ الكونغو
١٠٠٪	اليورانيوم	الكونغو وسوف يستخرج من أنحاء جنوب افريقية

افريقية فى خدمة المصالح الأوروبية :

جاء فى احصائيات هيئة الأمم : أن الدخل السنوى للفرد فى افريقية ٧٥ دولارا سنويا بينما يصل الى ٢٨٠ دولارا سنويا فى أوروبا ويصل الى ١١٠٠ فى أمريكا الشمالية وحتى هذه الخمسة والسبعون دولارا ليست للفرد الافريقى فقط بل هى للافريقى والأوروبى : وهذه الحقيقة تبدو واضحة فى بعض الدول ففى روسيا وكينيا نجد أن دخل الفرد الافريقى يتراوح بين ١٤ ـ ٢٨ دولارا بينما يصل الدخل السنوى للفرد الأوروبى بين ٢٦٠ ـ ٢٨٠ دولارا وفى الكونغو البلجيكى حصل الافريقيون وتعدادهم ٩٧٪ من السكان على ٢٥٪ من الدخل القومى عام ١٩٥٠ ، الذى يبلغ ٢٢ر٥ من افرنكات البلجيكية .

هذه الاحصائيات تبين أن افريقية بالنسبة لرءوس الأموال الاميرية تعتبر أحسن المناطق للاستغلال ، فالاستعمار الأوروبى لافريقية هو استعمار اقتصادى بحت تحاول الدول الاستعمارية أن تحافظ عليه بكل ماتملك من القوات العسكرية وغيرها ، وتضحى فى سبيله بأعز ما لديها ، لأن عليه مقومات حياتها . ولكن هيهات أن يتحقق لها ذلك ، بعد فوات الأوان !

جولة مصورة حول

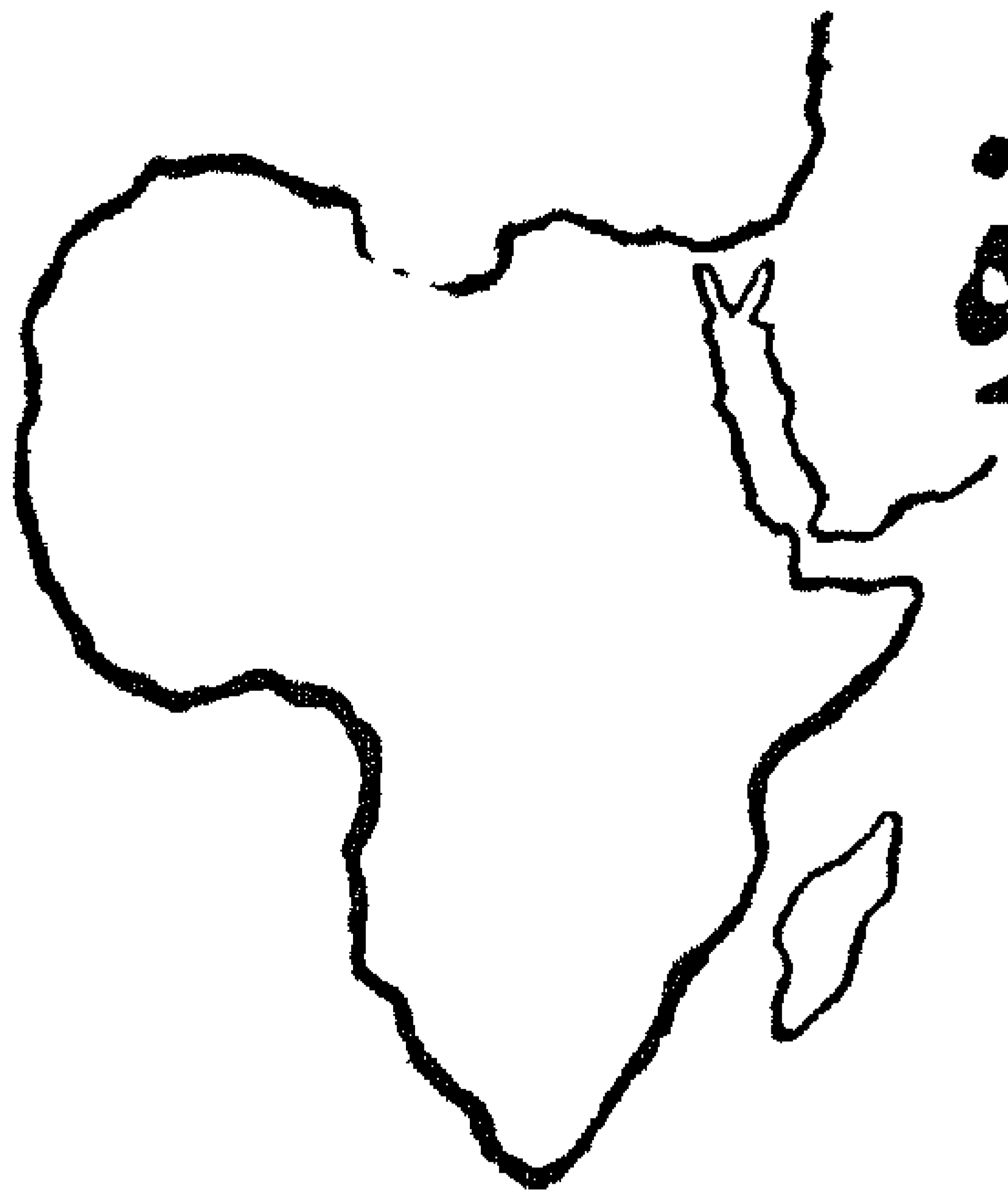

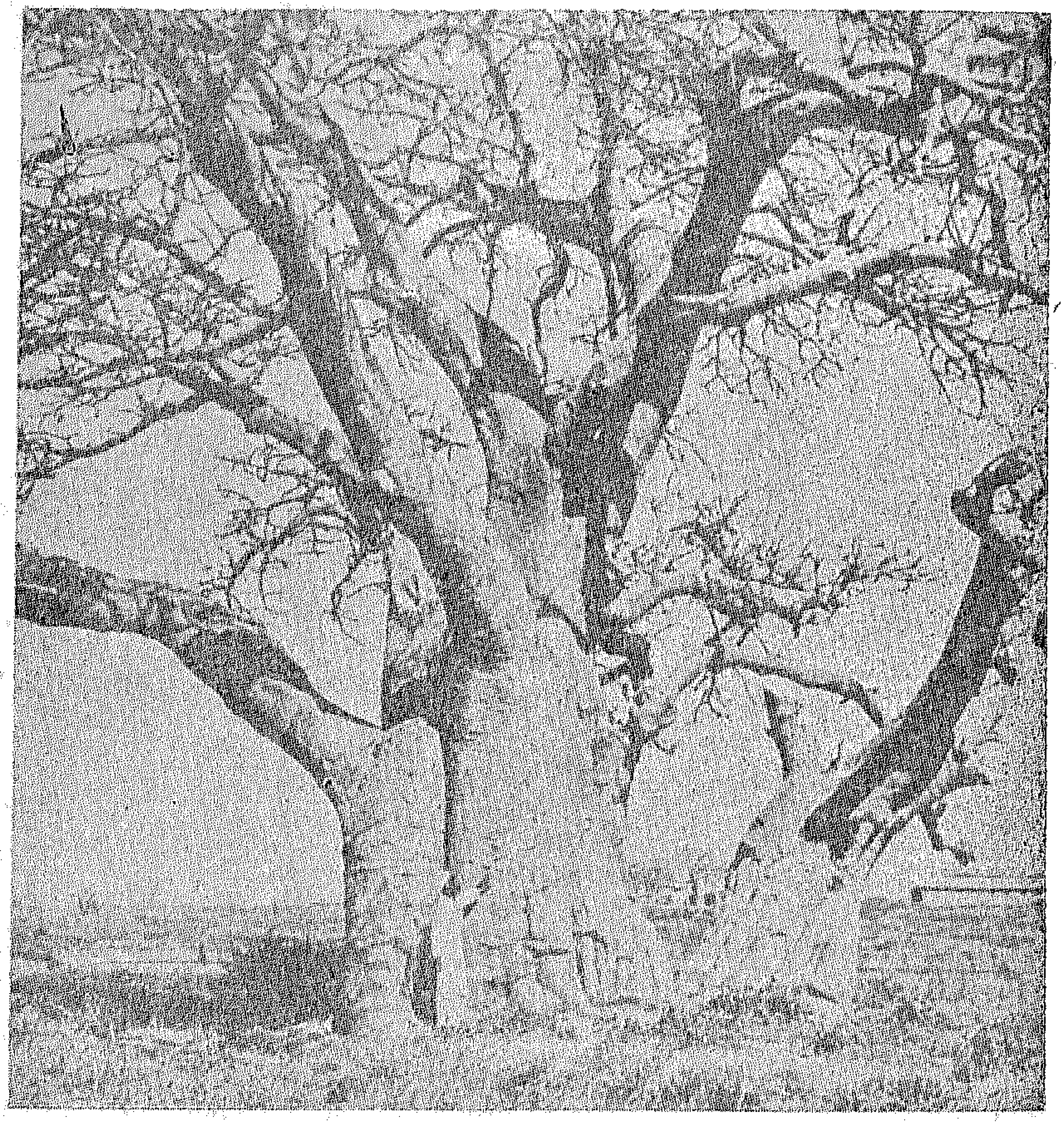

شجرة يخزن فيها المـاء

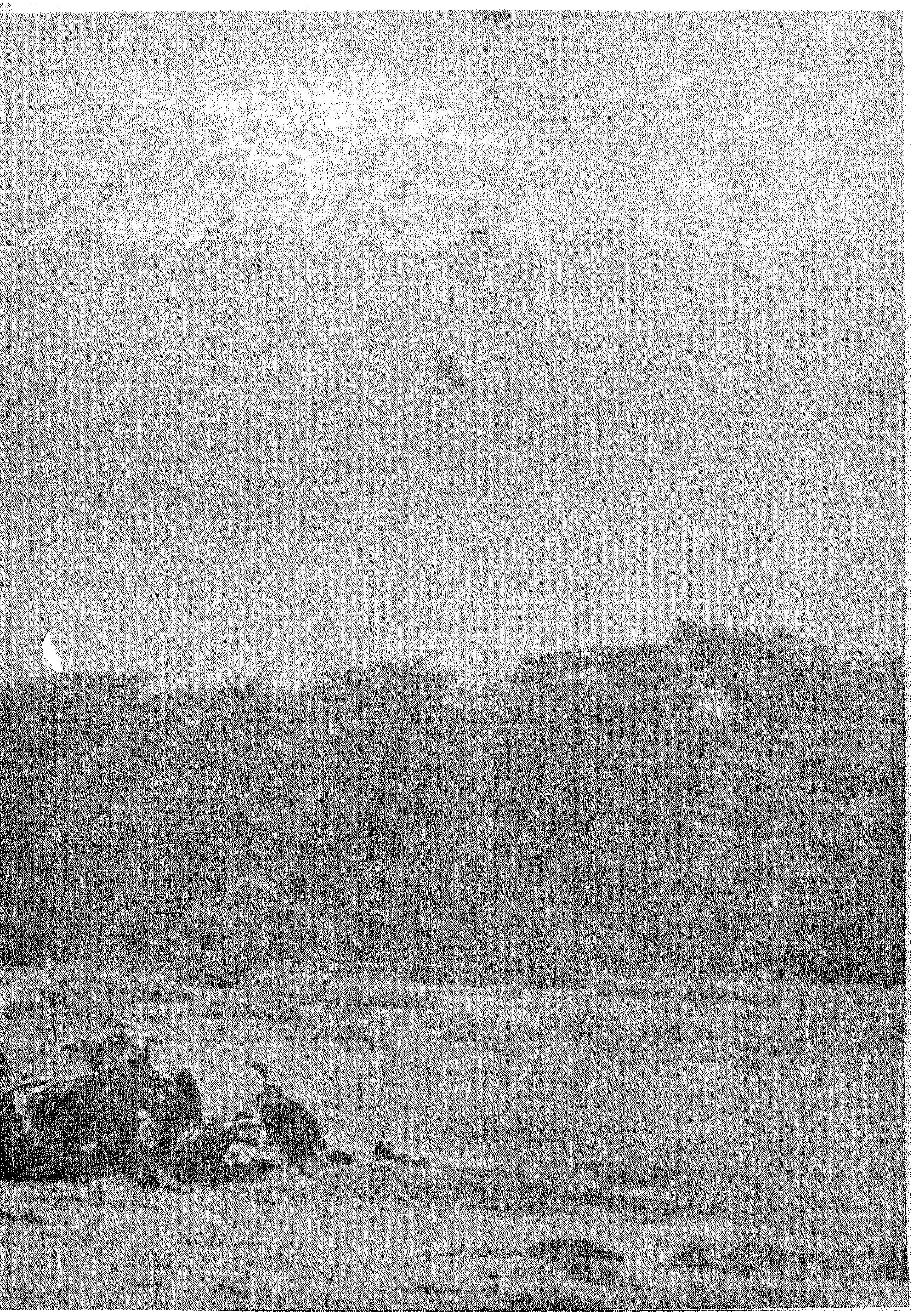

أحد المنـاظر الطبيعية

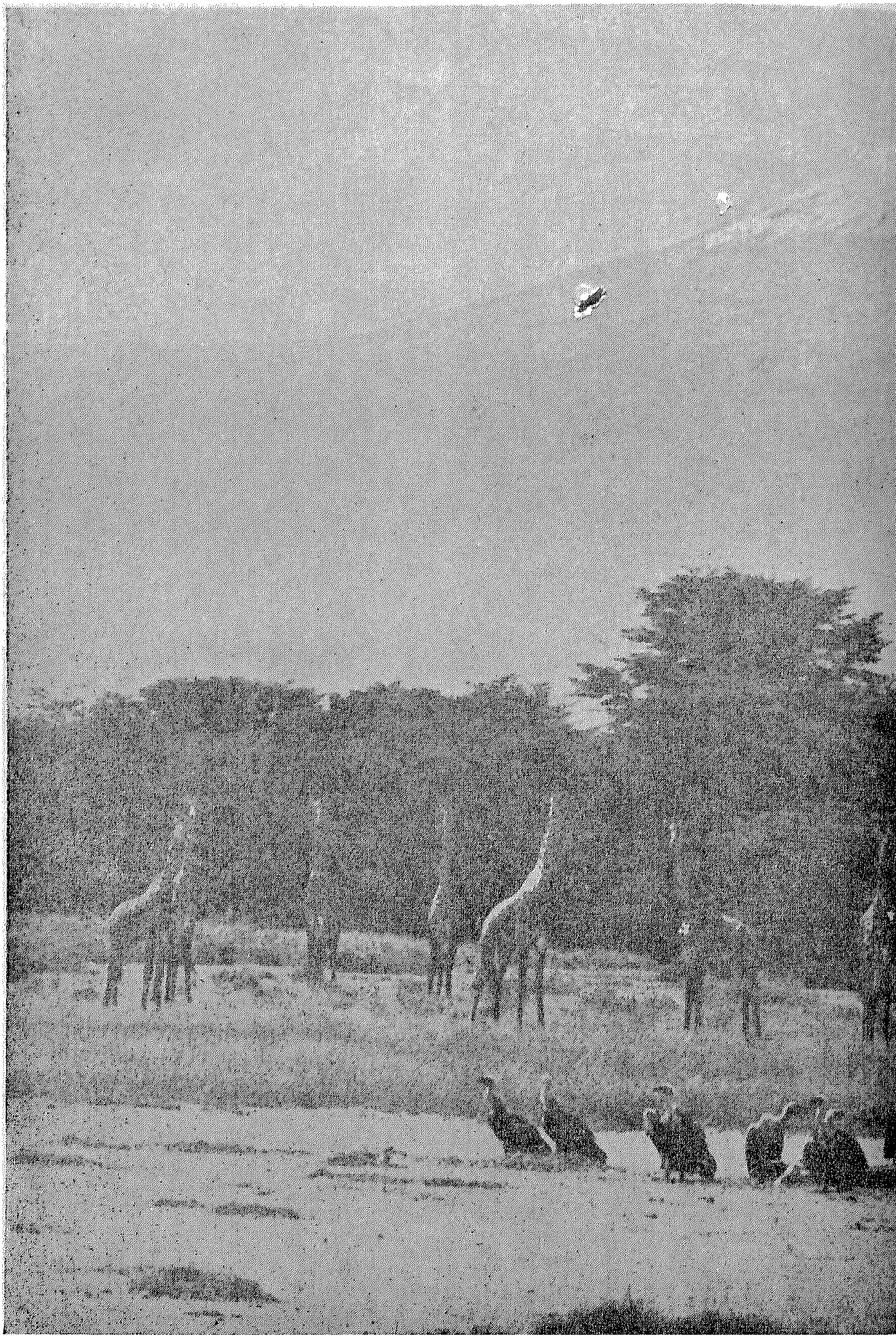

رقية

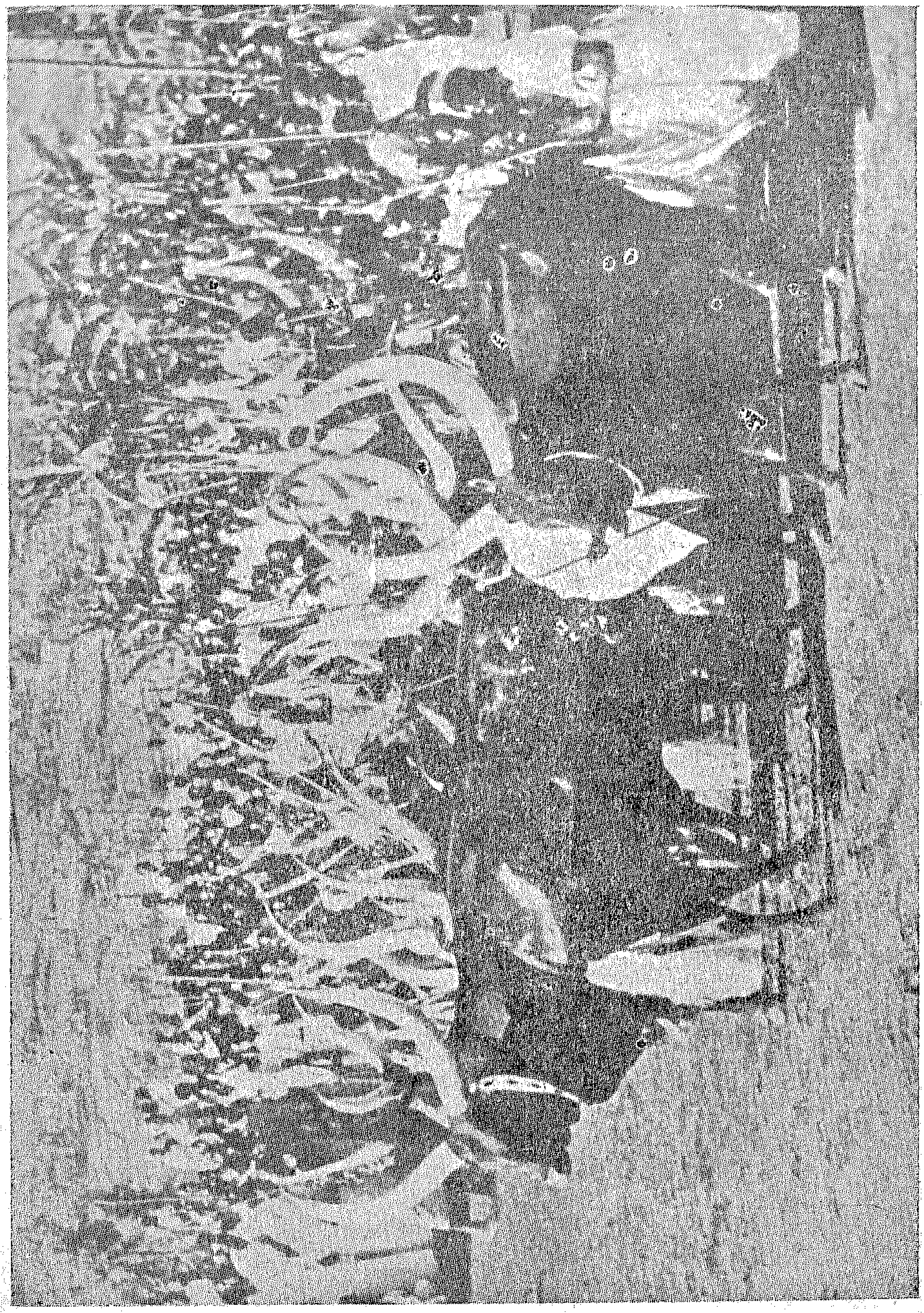

من الثروة الحيوانية

شخصية العدد

ابن مسجح ...

من الشخصيات الافريقية التي كان لها دور هام في الغناء العربي شخصية ((**سعيد بن مسجح أبو عثمان**)) مولى بني جمح(١) . وقد كان فطنا ذكيا يسرع الناس الى مجالسه ، ويتعشقون أحاديثه وخاصة حينما كان يتحدث به عن طوافه في البلاد التي مر بها من قبل . فقد رحل الى الشام حيث وعت روحه ألحان الروم ، والألحان البربطية (٢) وهم قوم كانوا يسكنون جزيرة في جنوب فرنسا ، وعلى قدر كبير من اجادة الغناء والقصف .

ولم يقف طموحه ، عند استيعاب هذه الألحان ، وانما انقلب الى فارس حيث أغرق نفسه في تلك الأنغام المؤثرة التي تفيض بها طبيعة هذه البلاد ، ولم يكتف بمرحلة السماع هذه ، وانما تعلم أيضا العزف على بعض الآلات الفارسية .

ويقال انه تأثر بغناء الفرس ، واستوعب ملامحه من الفارسيين الذين كانوا يبنون المسجد الحرام ، بعد أن امتدت الريح الى أستار الكعبة بنيران ابن الزبير بعد أن أمر برفعها على رمح لينظر في ضوئها الناس ، مثبتا لقلوبهم من الحصار الذي كان مضروبا عليهم . فلما أحرقت النيران أستار الكعبة ، دعا ابن الزبير ببنائين من الفرس والروم لاعادة البناء .

ويستدل أصحاب هذا الرأي القائل بأنه لم يذهب الى فارس بقصة « حرية مسجح » التي تتلخص في أن مولاه قد سمعه يغني بصوت مؤثر ، وبتلوين جديد عن الغناء العربي هذين البيتين :

ألم على طلل عفا متقادم
بين الكليك ، وبين غيب الناعم (٣)
لولا الحياء وأن رأسي قد مشى
فيه المشيب لزرت أم القاسم

فحين سمع مولاه هذا النغم الجديد المؤثر سأله عنه فأجاب مسجح .

« سمعت هذه الأعاجم تتغنى بالفارسية ، فثقفتها (٤) وقلبتها في هذا الشعر ، فقال له مولاه ((**أنت حر**)) .

فدور « مسجح » هنا لم يكن الجمود على الأنغام العربية التي سمعها في « مكة » التي عاش بها ، ولكنه كان القيام بتطوير هذه الأغاني ، وتطعيمها بما تقبله الطبيعة العربية ، وتتأثر به .

وقد عاش محبوبا في أهل مكة . ومقصدا للطبقة العليا فيها . وخاصة

---

(١) يقال انه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .
(٢) قال الأب انستاس الكرملي ان هذه الكلمة محرفة عن البزنطية .
(٣) الكليك ، وغيب الناعم موضعان .
(٤) ثقف الشيء فهمه واخذه .

طبقة الشباب الذين فتنوا به ، ولم يفارقوا مجالسه ؛ مما ترتب عليه خشية والى مكة « دحمان الأشقر » على هؤلاء الشبان .

ومن هنا نراه يكتب فى هذا الأمر الى «**عبد الملك بن مروان**» الذى يأمر هو الآخر بالاستيلاء على ماله ، وارساله الى الشام بعيدا عن هؤلاء الذين أحبوا فنه من كل قلوبهم .

وقد سارع الى تنفيذ رغبة «عبد الملك بن مروان» رغم تمسك الشباب المكى به ، وحزنهم على فراقه ، وفى أثناء سيره الى الشام وجد بعض الناس يسارعون الى سماع مغنية تدعى « برق الأفق » . فهاجه الحنين الى مجالس الغناء ، وأقبل على هؤلاء الناس بوجهه الأسود المبتسم سائلا اياهم الضيافة ، والسير معهم . فرحبوا به ، وصاحبوه حتى حضروا مجالس هذه المغنية .

وفى المجلس سمع كلاما كثيرا عن جمال «**برق الأفق**» وعن صوتها العميق ،ومقدرتها على تلوينه .فهاجه الحنين الى رؤيتها ، وأطرق برأسه متذكرا هذه المجالس الغنائية التى يفتن بها الناس عن أنفسهم ، وهذه الألحان التى كان يسمعها الناس فى كل مراحل حياتهم ،وفى كل مكان بمكة وحولها . فهذا راع يلاطف أغنامه وهذا شاب يصعد بها نخلته ، وهذا طفل يلثغ بها ولا يكاد يحسنها . وهذا صوت نحيل يسمعه وهنا خلف خباء من شابة أو سيدة ليس يدرى ! .

وتتكاثف هذه الذكريات ، وتتوارد حتى أنه لا يحس بمقدم «برق الأفق» وهى تدخل على الجالسين بوجهها المبتسم ، وعينيها المستديرتين فى عمق وكأنهما تديران بالأهداب الكرة الأرضية المستديرة هى ايضا . ومن هنا نراها تتحول بعينيها الصحراويتين الى هذا الوجه المطرق الذى لم يحس بها وكأنها تعاتبه ، ولكنه سرعان ما يستيقظ على مائة عين — هى كل من فى المجلس — تتركز على وجهه . فيبتسم ، وكأنه يعتذر بهذه الابتسامة ، ويتألم فى داخله لأنه يعرف مقدار ما يعانيه الفنان من انصراف الناس عنه .

وتدق أياد جميلة على الآلات ، ويتصاعد صوت «برق الأفق» هادئا عميقا كالصحراء من حوله . فتدور رءوس الناس ، وتتصاعد من قلوبهم وعيونهم كلمات الاعجاب . ويلتفت الناس مرة ثانية الي جموده . وقبل أن يوجهوا اليه كلمة نابية نراه يسرع فيوجه الى المغنية اعتراضه على تشويه اللحن الذى تتغنى به ، وتصرفها فيه تصرفا يفقده روحه ، وشاعريته ، وعمقه . فيتململ الناس من حوله ، ويحسون بأن الهواء أصبح راكدا ، وأنهم أساءوا الى أنفسهم ، والى أفراحهم بهذه المغنية ، حينما دعوا هذا الرجل الغريب ، ويهم به أحدهم، ولكن يدا رفيقة تمتد من المغنية . فتسقط اليد الأخرى التى كانت قد أعدت على أطرافها صفعة قاسية .

وتحدق « برق الأفق » مليا . ثم تأخذ فى لحن آخر . فيتمايل الناس، ويتعالى اعجابهم ، وسرعان ما يهبط هذا الاعجاب حينما يحوله الرجل الغريب بصمته الى سخرية ، وضيقه منه ،وهكذا نراه يسارع الى الاعتراض على اللحن الجديد ، فيجتمع البغض

فى أعين جميع الجالسين ، ويحدث كل واحد منهم نفسه بقتاله ، ويحس الغريب بهذا ، فيسارع الى قوله بأنه سيريها كى تغنى هذا اللحن .

ويغنى « مسجح » فتلين الملامح القاسية ، وتنفرد القبضات المتجمعة، وتتعالى أصوات الاعجاب بقوة وحماسة ، ويود كل واحد منهم القيام ليقبله ويتعذر اليه ، ولكنه يخاف على اللحن الذى يمتد ويمتد فيخاطب القلوب والصحراء ، وكل الحياة من حولهم ! .

وتصمت المغنية ، وتشرب اللحن بقلبها ، وعينيها الجميلتين ، وما يكاد اللحن ينتهى حتى تصيح هو والله لن يكون غيره . هو **« أبو عثمان سعيد بن مسجح »** ويقبل عليه الجميع مرحبين ومقبلين ، وطالبين منه الاقامة بينهم ، ولكنه يذكر لهم انه معاقب ، وانه سائر الى الشام .

فيضيق الناس بالشام ومن فيه ويودعونه باكبار وحب ، وفى عيونهم لحن لن يموت أبدا ! .

وما كان له الا أن يتحايل حتى يخلص من عقاب عبد الملك بن مروان، ومن هنا نراه يتحين الفرص حتى يسمع « عبد الملك » صوته فيطير عبد الملك فرحا بهذا الصوت ،ويعرف انه لابن مسجح ، فيقبل عليه فى بشر ، ثم يقول :

« قد وضح عذر فتيان قريش فى أن ينفقوا عليك أموالهم » ، وأمنه ، ووصله وكتب الى عامله ليرد عليه ماله ، والا يتعرض له بسوء .

.. وهكذا عاد الشدو من جديد الى مكة بعد أن كانت قد صمتت تماما .

فن النحت فى غرب أفريقية

للأستاذ حلمى شعراوى

حاولنا فى عـدد سابق أن نعرف ما يحيط فن النحت من جو عقائدى يدور فى فلكه الابداع الفنى ، وخاصة عند فنانى منطقة غرب أفريقية التى يعتبر فيها فن النحت من أبرز الفنون. وعرضنا من خلال ذلك أهم جوانب عقائدهم الروحية والسحرية ، وما فى ذلك مـن قيم يتضمنها فن النحت . وكنا قد وعدنا بالحديث عن الأسلوب الفنى واتجاهاته وخصائصه فى مقال آخر ونرجـو أن يكون فى الصفحات التالية وفاء بوعدنا .

وقد اخترت عنوان هذا المقال على النحـو الذى جاء به لأنى لا أحب أن أفصل الفن عن الفنان ، كما لا أحب أن أفصل الفنان عن مادته ، ومن خلال تفاعل الفنان مع خصائص مادته ، كما يقول « ليسنج » تتشكل عبقريته ، ونستطيع أن نفهم التكتيك البحت لهذا الفنان أو ذاك . ولذا أحب أن أتناول أولا الفنان الافريقى المثال وما يدور حوله من القضايا فى عرض سريع ، ثم نتعرف ما يستخدمه من المواد ، ثم نرى كيف يشكل هذه المادة . وأرجو فى الختام أن أشير الى أثر كل هـذا البناء الفنى على الفنان الاوربى الحديث الذى لفتت نظره فنون أفريقية .

وأول ما يتردد عن الفنان الافريقى المثال أنه قلما ينظر الى ما يصنعه نظرة ((**فنية**)) فحسب ، وانما غالبا ما تكون نظرته ((**نفعية**)) أى أنها لفائدة عقيدة عملية أو منفعة مادية . ويتساءل كاتب مثل « أليسوفون » عما اذا كان هذا القناع الذى يصنعه النحات فى شكل تكعيبى ذى قيمة هندسـية كبيرة فى عصرنا ، يقصد به الجمال لذاته ، أو أنه رمز للجمعية السرية التى ينتمى اليها الفنان ؟ . ولكنه هو نفسه يعود فيتسـاءل : ولكن هـذه الصناديق والكراسى والفناجين وأغطية الرأس والاعمدة الهندسية « وجهازالعروس » وغير ذلك مما يبدو فيه جهد فنى كبير هل صنـع ذلك كله لمجـرد الكفاية المادية ؟ ولكنه يتشكك فيما كاد ينتهى اليـه فيسأل : هل يفهم الافريقى « الانطباعية » كما نفهمها نحن أو أنه يحفظ أنماطا للاشكال عن قبيلته ؟ وهو يحاول بذلك أن يخرج الفنان عن وعيه بفنه ، وبالتالى من زمرة الفنانين

لقد حاول كاتب أوروبى أن يتحقق بنفسه هذا السؤال الأخير ، وكان فى سـاحل العـاج فجاء بثلاثة من الفنانين الافريقيين ، وسألهم ((**ماذا يحـدث لو حاولوا التجديد بمعنى**

ادخال عناصر جديدة على تماثيلهم ؟ »
وأجاب الاول : « أنه يمكن ذلك ولكن أحدا لن يشتريها » . وأجاب الثانى : « أن أحدا لا يفعل هذه الاشياء » ، وأجاب الثالث « انها لن تكون جميلة » وخرج يعجب من أن حضارة قبلية على نطاق ضيق مثل هذه يمكن أن تنتج عنها هذه الاجابات الثلاث المختلفة !

ونحن ازاء هذه التساؤلات لا يسعنا الا أن نتناول قطاعا أفريقيا نرى فيه وضع الفنان ونتاجه ، حتى لا نظل نظريين الى النهاية . ويقدم « سيجى » فى كتابه « النحت الافريقى » هذا المثل ص ٩٥ فيقول : فى قبائل « أتوتو » لا تجد عصبيات ولا ظواهر معينة بارزة .. اذ يحيا الناس حياة عادية ، ويمارسون المهارة الحقيقية فى كل صورها .. وهم يحترمون الفنان ويقدرونه ، وبالتالى يعطونه الوقت الكافى ليتفرغ لفنه حتى ان سكان القرية اذا دعوا للاشغال العامة كتمهيد الطريق .. فانهم يستثنون الفنانين من ذلك !! فماذا كانت نتيجة هذه الظاهرة ؟ لقد وجد لدى هذه القبيلة بجانب التماثيل السحرية والدينية وتماثيل الاسلاف المعتادة .. تماثيل أخرى تعتبر « عرائس » أو « لعب » يتناولها الكبار تماما مثل الاطفال ، كما أنه وجدت لديهم عادة صنع تماثيل خاصة (يبلغ ارتفاعها من ٤٠ الى ٦٠ سم) يوصى بها أحدهم لصديقه ثم يقدمها له هدية !! كما تجد لديهم « الزهريات » الأصص ، وتماثيل الحيوانات ... وفى أيام العيد يخرج الناس ما لديهم من تماثيل يضعونها أمام بيوتهم ويتأملونها فى اعجاب » !

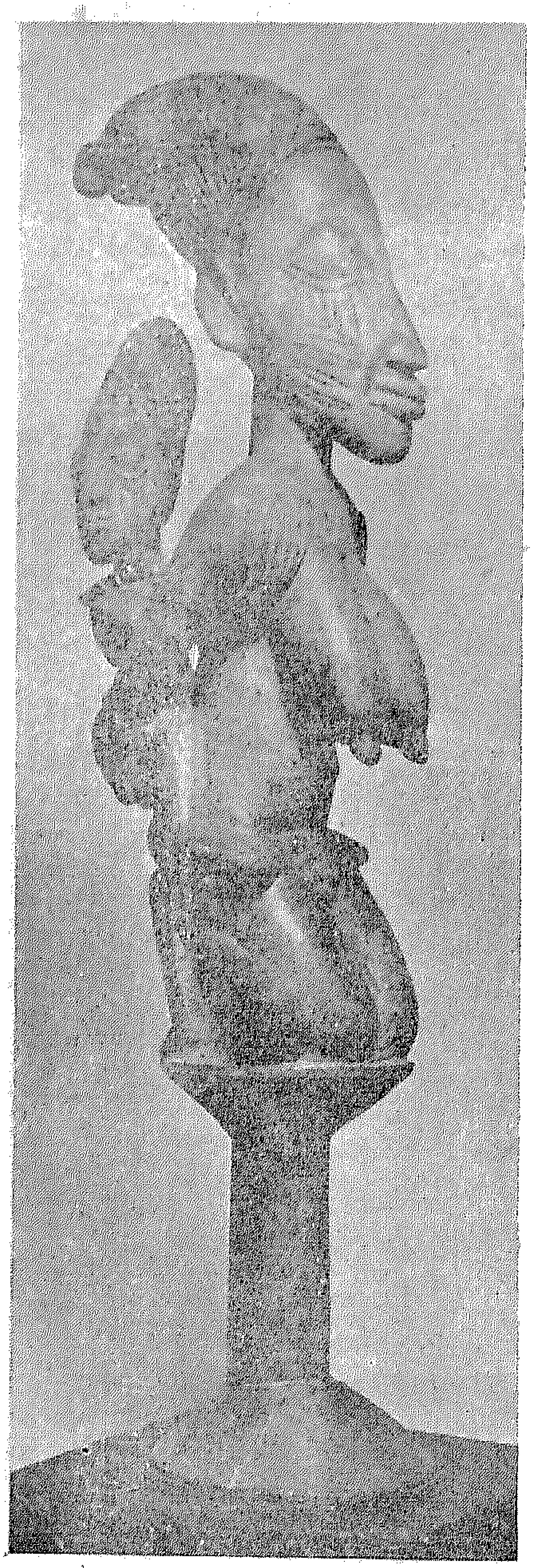

من فن النحت الافريقى

فماذا نستطيع أن ننتهى اليه ؟ انها ليست قضية تحتمل الصدق أو الكذب ولكنها موقف من حضارة . الكاتب الذى يريد أن ينفى صفة الفنية ، يريد أن يسلب شعبا أو شعوبا من أخصب نواحى حياتهـا وحضارتها . والفنان الافريقى ، انسان قبل كل شىء ينفعل بما ينفعل به المجتمع الذى حـوله ، يمتص الانماط التى يبرزها له اطار حضارته . ونحن نعرف أن المجتمع الافريقى القبلى مجتمع يركز انفعالاته فى عقائده ، فينعكس هذا الوجدان والعقائد على الفنان فيخرج التمثال . ان المجتمع يركز انفعالاته فى عقائده وطقوسه ، والفنـان يركز انفعالاته وانفعالات الجماعة معا فى تمثاله ، فيوجد .. فن .. تقليدى .. عقائدى . ونحن مـع « هربرت ريد » فى أنه ليس هناك ما يصيب « الجمال » عند شعب من الشعوب الا أن نقيسه بالمعنى الذى نفهم نحن به هذا الجمال . ان الجمال فى كل مكان يتحد مع الظواهر النفسـية والاجتماعيـة الاخرى . ولا نستطيع أن نتهم الافريقى بالتقاليد الجامد ، ونحن نرى هـذه المجموعة الـكبيرة من التماثيل التكعيبيـة والتعبيرية المختلفـة . ولو عرفت أن الآلات التى يسـتخدمها فى النحت لا تزيد عن فأس أو سكين ، وهى التى لا تدعو الا الى « القطع » بأنها الأكثر اسـتخداما فى « النحت » ومع ذلك فانه يـكون لديه من الفـراغ ما يجعله يبرز كل التفصيلات فى كتل خشبية تتراوح بين ٥٠ ــ ٨٠ سم ، ولا يرى ضرورة الى ازالتهـا ، حتى لا يضحى بما فى ذلك من قيم جمالية .

وقبل أن نتعرض لالوان التماثيل وفنيتها نرى أنه حرى بنا أن نتناول بالحديث المادة الخام التى يصوغ فيها الفنان أفكاره وانفعالاته ، ذلك لان المادة بدورها يحوطهـا عند الفنان الافريقى المثال معنى معين يستخدمها ويشكلها من خلاله . ومعرفة المادة التى صنع منها التمثال ذات أهميـة فى فهمه ، اذ فى كثير من الحالات تحدد المادة طبيعة التمثال ، فالمثال يعرف أنه لا يستطيع أن يفعل شيئا لمادة معينة وانما هو يحاول أن يفعل ما هو من طبيعة المادة ، فحين يستخدم المثال البرونز يصوغ موضوعات لا تصاغ فى الخشب ، وحين يستخدم الخشب تصبح له حرية فى التعبير لا تتوفر له باستخدام الحجر ، فاختيـار المـادة للتمثال ، يعتمد على ما فيـها من امكانيـات . ففى المكسيك يستخدم الحجر والصلصـال ، أما الافريقى فيستخدم أكثر من مادة ولكن أكثرها انتشارا هو الخشب وأقلها الحجر ، وان كانت سيراليون تستخدم الحجر كما تستخدمه قبائل **« منـدى »** و **« كيس »** فى غينيـا . أما فى الكنغو البلجيكى فيستخدمون العاج من سن الفيل ، وكذلك داهومى . أما الاشانتى فى غانة فيغلب عندهم استخدام الذهب وفى نيجـيريا ، وخاصـة « بنين » و « اليوروبا » فيستخدمون البرونز .

وسنتناول نحن هنا نوعين مختلفين من المادة هما أكثر المواد استخداما ، لنرى كيف يستخدمونها ، وأهميتها فى حياتهم ومعناها عند الفنان الذى يتمثل ترات مجتمعه . **فالخشب** مثلا من أكثر المواد شيوعا فى افريقية وغربها

خاصـــة ، ذلك لانه متوفر فى معظم انحائها من جهة ومن جهة أخرى ــ وهى الاهم ــ بسبب دلالتـــه الســـحرية والدينية ، ففى أنحاء مختلفة منأفريقية تجد عبـــادة الشجرة ، كملجأ للقوى الخارقة ، وفى نيجيريا ترتبط الشجرة بالحياة الانسانية ، فاذا سقط الرجل مريضا أو أرادت المرأة أن تنجب طفلا تقدم العطايا لشجرة معينة ، وتعتقد بعض القبائل أن الاشجار هى أجدادها (والتوتم هنـــا نبـــاتى بتعبير الانثروبولوجيين) كما أنها تعبر أحيانا على رمز الامومة ، ما دامت تحمل معنى الخصوبة والتناسل (الاثمار) كما أن الموتى يدفنون فى « الغابة المقدسة » حيث تعيش الارواح هناك . من أجل ذلك يسبق النحت فى الخشب أنماط طقوسية ، كما يختار الجزء المنحوت جيدا من الجذع أو من الاطراف ، وحين تقطع الشجرة يقام احتفـال سحرى ليندمجوا مع روحها .وقد تترك الكتلة الخشبية لتعطى الروح فرصة مغادرتها قبل نحتها . وخلاصة ذلك أن الشعور بأن الخشب المنحوت يشتمل على روح وفيهحياة يدفع النحاتليحس احساسا عميقا نحو مادته . هذا الاحساس الذى يجعله بالرغم من اســـتخدام الآلات الخشـــنة التى ذكرناها وبالرغم من استخدام كتل كبيرة يحرص على عدم تجزئتها ، بالرغم من كل ذلك يخلق هذه الاعمال الفنية التى لا نستطيع الآن أن نخرجها من دائرة الفن والجمال

البرونز : يعتبر فنالنحت بالبرونز فى شمال نيجيريا على أعلى مستوى فنى وهو يستخدم فى قبائل « بنين » على أوسع نطـــاق . ويصب البرونز على نوعين اما فى تماثيل بالحجم الطبيعى للانسان أو الحيوان ، واما (بروز) فى قاعدة لمناظر كاملة أو رموز سحرية أو أسطورية . ويذكر «سيجى» طريقة صب البرونز لعمل التمثال على هذا النحو : يصنع التمثال أولا من الطين ، ثم يغطى بطبقة من الشمع ، ثم توضع هذه الكتلة فى معجون من الطين مرة أخرى بعد أن تركب فى رأس التمثال أنبوبة ، ومن أسفله أنبوبة أخرى ، ثم يترك الى أن يجف الطين الخارجى والداخـــلى ، ثم يصب البرونز من الانبوبة العليا ساخنا فيصهر الشمع ويحل محله (بين طبقتى الطين) وينزل الشمع الى أسفل ويحل التمثال مكان الشمع ثم يبعد عنـــه الطين ويسوى بالمبرد . وتعرف هذه الطريقة باسم Are-Perdu ، وهى شـــائعة كذلك فىشرقافريقية . وكما ذكرها«سيجى» فى كتابه « النحت الافريقى » ذكرها آدم فى كتابه « الفن البدائى » .

أما الحجر مثلا فيغلب استخدامه فى شمال الكنغو علىشكل رءوس يبدو فيها الاتجـــاه « الطبيعى » ساذجا وتصورفيه الحياة اليومية ،كماكشفوا عن ٧٠٠ قطعة حجرية فى نيجيريا .

وازاء ما عرفنـــاه عن المادة التى يتناولها الفنان الافريقى بالتشكيل ، وطبيعة علاقته بهذه المادة ، يمكن أن نذكر شيئا عن الاشكال العامة التى تسود فى ذهن الفنـــان الافريقى ، ويصوغ تماثيله فى قوالبها . ويذكر « سيجى » أن التماثيل الافريقيـــة تصنف عادة الى ثلاثة أنواع : تماثيل بشرية ، وتماثيل حيوانات ، ثم أقنعة أما الاولى فقد تكون صورة مطابقة ،

وغالبا ما تكون للاسلاف حيث تكون قيمتها روحية ، وحتى تماثيل الحيوانات قد ترمز الى الاجداد ، أو الى الشر فتأخذ شكلا عدوانيا تميل فيه الى الاحساس بالحركة . أما **((الاقنعة))** فهي أكثر « النتاج الفنى » الافريقى دلالة على « فنية » الفنان وابداعه ، وبخاصة اذا عرفنا أنها تأخذ أشكالا مختلفة من ناحية الصياغة الفنية فهى قد تكون طبيعية كما قد تكون ذات أسلوب هندسى ، تكعيبى أحيانا ، وقد تأتى تعبيرية لتصور انفعالات الخوف أو السرور أو خصائص حيوانية معينة وقد اهتم الافريقى بالقناع ، لانه كما قلنا يؤمن بأن الحكمة والروح تكمن فى الرأس ، ولذلك تتمثل الأقنعة غالبا فى شكل رأس ، وان كان بعضها يغطى الجسم كله ، وهى كأى تمثال لا تصور الروح ولكنها الروح نفسها ، ولذا يمثل النحات عليها تضخم الاثر الروحى ولذا يعتبر «كارل اينشتين» أن القناع تثبيت للانفعال فى لحظة معينة » . كما اعتبر من وظائف القناع السيكولوجية أنه هو الروح فى ذاتها يتقمصها الراقص ، ويخرج بها عن مألوف الحياة اليومية ويكسبها الحيوية ، بعكس تماثيل الاسلاف الثابتة الوقور . كما أنه يؤدى من خلالها طقوس الجمعيات السرية التى ينتمى اليها .

ويذكر الأستاذ « آدم » أن معظم الأقنعة تكون ملونة بألوان فاقعة مختلفة . ففى الكمرون ينحتون القناع الاسود ، أما فى نيجيريا وخاصة فى اليوروبا فيميلون الى اللون الاصفر أو الاحمر أو الابيض . والملاحظة الاخيرة الجديرة بالذكر عن فن الاقنعة أنها أكثر الالوان تحقيقا لحرية الفنان عنها فى التصوير الطبيعى ، فالوجه القناعى قد لا يكون له أنف واحد ، بل أكثر كما قد لا يكون هناك أنف بالمرة ، وقد ينظر الوجه الى أكثر من اتجاه ، فهو يحقق فيه مالا يستطيع أن تمليه طبيعة الواقع ، وهذه وظيفة الفن .

والآن لم يعد أمامنا الا أن نستعرض أبرز خصائص الوسائل الفنية أو ما يسمى « تكتيك » فن النحت على الصعيد الافريقى ، أو من خلال تماثيل المنطقة التى نتناولها بالدراسة .

وسنشير باديء ذى بدء الى ما يغلف هذا الاسلوب الفنى ، وهو التقليد . فكثير من الكتاب لا يعتبرون للفنان الافريقى « أسلوبا » بالمعنى المتعارف عليه الآن وانما هو « نمط » يترسمه . وبالرغم من أننا ناقشنا هذه القضية تقريبا ، الا أننا نرى « سيجى » يقول عن ذلك فى معرض حديثه عن الاسلوب الفنى : ان الثبات فى المجتمع يعكس ثباتا فى التقاليد الفنية ، والخوف من التغيير انما هو خوف على العقائد ، وليس نقصا فى القدرة الابداعية .

ويذكر من دلائل القدرة الفردية اختلاف الانتاج فى القبيلة الواحدة .

وأول ما يطالعنا بعد فى أسلوب النحت أن التمثال يتخذ شكل البناء الهندسى ، ونعنى بذلك أن كتلة التمثال تعكس أثرا عموديا ذلك أن الافريقى ينحت تمثاله من كتلة واحدة من الخشب فيبدو التمثال وكأنه منبثق عن المادة ، وتتبع خطوط النحت الشكل الاسطوانى الذى يتناسق معه كل أجزاء التمثال .

التمثال لما يوحي بالهدوء الذى يرجع الى التناسق بين الاتجاهات الانفعاليه والايديولوجية من جهة وبين المبادىء البنائية من جهة أخرى . ان من أشهر القبائل التى تستخدم الاسلوب الهندسى فى تماثيلها قبيلة « هابى » فى السودان الفرنسى ،فالفنانالافريقى هناك يفهم الشكل ذا الابعاد الثلاثة فهما حقيقيا ، بحيث لا يجد صعوبةفى التخلص من الشكل ذى البعدين باعطاء الجسم شكلا اسطوانيا .

ومن خصائص النحات الافريقى أيضا كمهندس : أنه يشكل المادة الخام الرئيسية دون اضافات ، وقلما نجد فنانا يضيف قطعة خارجية من الخشب الى تمثاله ليزينه مثلا ، وانما نجده اذا أراد احداث بروز يضغط على الخشب نفسه ليبرز ما يشاء ، وهو لا يلجأ الى الاضافة الا فى حالة « التطعيم » مثلا ، وهو أسلوب موجود عند الفنانين الافريقيين وهم يطعمون تماثيلهم بأنفسهم أحيانا ولكن كثيرا ما تذهب العناية الفنية بهم الى أن يذهبوا بالتمثال الى متخصص ، ولقد ذكر أحد المثالين الافريقيين أنه اذا رزق ولدين فيسلم أحدهما ليتعلم النحت والآخر ليتعلم التطعيم حتى يتعاونا .

واذا كانت هذه النقاط من خصائص العمل الفنى فان هناك خصائص أخرى للنتاج الفنى نفسه يجب أن نذكرها . فيذكر « اليسوفون » مثلا أن القدم فى معظم التماثيل مسطحة وهى تكون للتمثال بمثابة القاعدة ، أما الساق فهى فى الغالب منثنية كمن يريد ان يتحرك ، وخاصة فى تماثيل الآدميين .

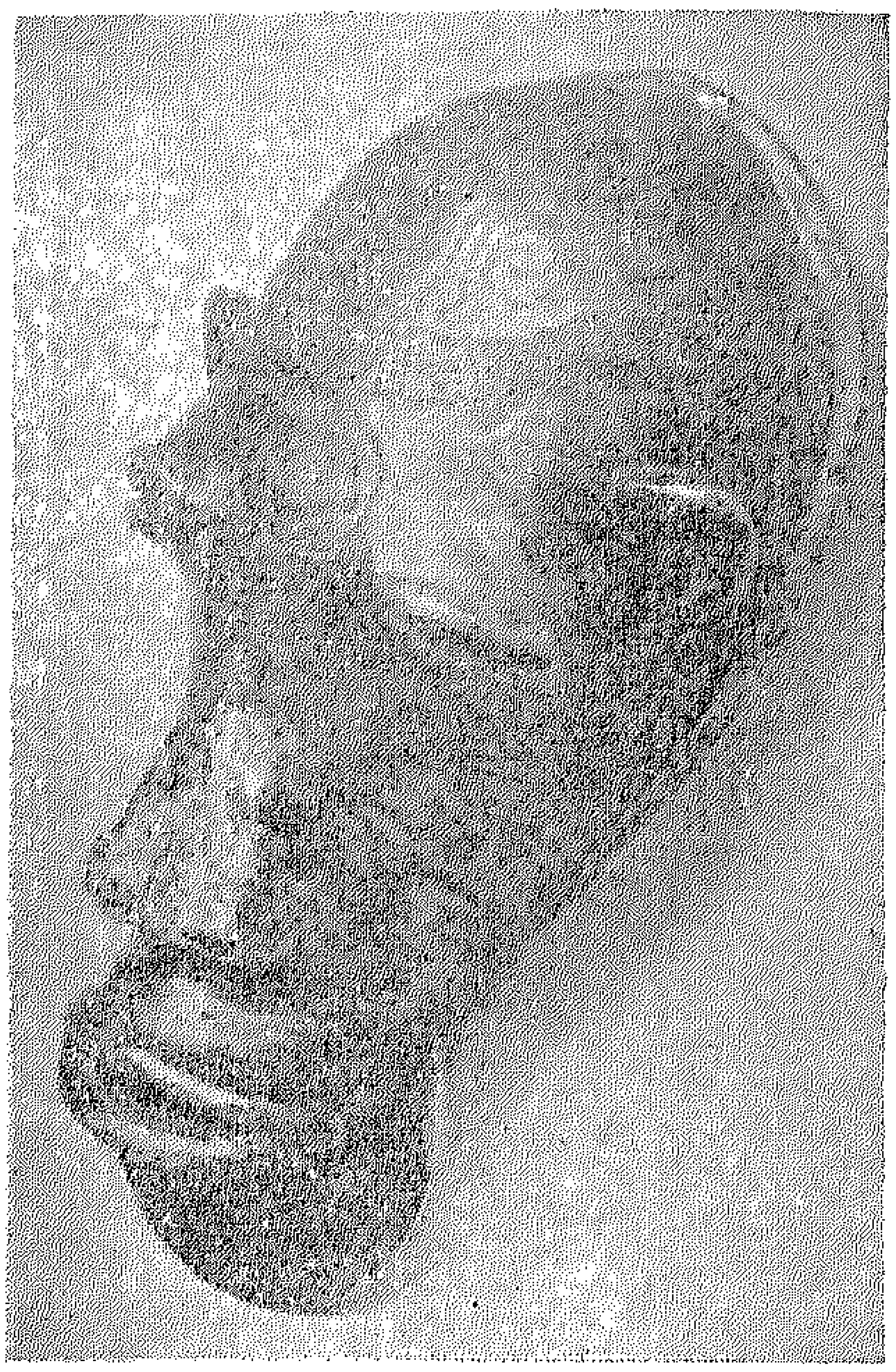

ويقول « سيجى » معللا ما نراه من احتفاظ الفنان . بالخطوط الطبيعية الطولية في الخشب بأنه اللاشعور الذى يحتفظ بالرمز الجنسى فى شكله (القضيبى) ، وهذا الخط الطولى من الخشب يعطى للتمثال محورا طوليا تتصل به كل أعضاء التمثال الأخرى، ولذا نجد أن التمثال الافريقى ينقسم الى نصفين متساويين يجعلانك تحس بالاستدارة . والافريقى فى تحقيق الشكل الطولى يجعل لكل جزء وظيفة فى وحدة التمثال ، وكل جانب فيه ينتهى الى الآخر فيعطى كل جانب معنى من معانى الاستمرار ، ويدفعنا النظر من الأمام الى أن تدور حوله .

أن التمثال الافريقى قلما يأخذ الأشكال ذات الزوايا ، وهو حين يستخدمها يحيطها بأشكال مستديرة. وان هذه الاستدارة والتكامل بين أجزاء

والجسد يبدو مستقيما نحو الاعلى أو الاسفل والرأس ثابت (صفة العمودية التى ذكرناها) وقلما يبدو الرأس منحنيا . وغالبا ما يدهن التمثال بمواد سحرية .

ومن ناحية عدم تناسب أجزاء التمثال الافريقى يذكر البعض أن الرأس كثيرا ما يكون متضخما والجسد طويلا بالنسبة للساقين اللذين يحملانه ، كما أن القناع قد لا يتناسب مع الوجه الذى يحمله ، ويرجع البعض ذلك الى أسباب عقائدية فيقول ان التأكيد على الرأس للاعتقاد بأن الروح كامنة فيه. حتى انهم يقولون أنه بمقدار ما يختلف الاعتقاد فى مكان الروح بقدر ما يختلف التضخم ، أما الاستاذ آدم مثلا فيرجع ذلك الى طبيعة علاقة الفنان بالمادة فالفنان الذى يريد أن يحتفظ بوحدة الخط غير المكسور فى الجسم فى نفس الوقت الذى يستخدم فيه كتلة واحدة ، ولا يريد أن يضيف اليها شيئا من الخارج ، فانه يضطر ازاء ذلك للخضوع الى طبيعة الكتلة الخشبية مما ينجم عنه الافتقار الى التناسب . ومن الطبيعى ازاء ما فهمناه عن «تعبيرية» الفن الافريقى لا «طبيعيته» أن نفسر هذا الافتقار الى التناسب بأنه ميل الى « التجريد » الذى يميل الافريقى الى صب مفاهيمه الروحية فيه من خلاله ونحن هنا لا نحب أن نقيس مفاهيم الافريقى الاصيل بمفاهيم حضارات معاصرة فنضطر الى الافتراء أو القسوة عليه ، ولكننا نريد أن نفهمه من حيث هو .

ومما قد يسهل علينا هذا الامر أن ننظر فى الاثر الذى تركه هذا الفنان الافريقى فى الفنان الاوروبى الحديث والمعاصر ، لنرى كيف يختلف « التأثر » نفسه بطبيعة المرحلة الحضارية التى يعيش فيها الفنان ، ولنرى من ناحية أخرى كيف أن الفن الافريقى فن يمكن أن نتذوقه كما نتذوق كبار فنانينا المحدثين على النحو الذى سنراه .

ففى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الدوائر الاوروبية « الثقافية » وخاصة فى ألمانيا قد نما فيها الدافع الى « الموضوعات الخارجية » وبدأوا فى جمع كل ما هو غريب بلا تمييز ، ولم تكن اهتماماتهم اتنوجرافية ولاجمالية وانما كانت « رومانسية » ، وأنهم كانوا مدفوعين فى حقيقة الأمر بدافع الهرب من الواقع ، وقد اتضح ذلك فى فن الرسم فى القرن التاسع عشر ، وكان ذلك جزءا من الثورة الجمالية العامة على الاكاديمية السابقة . ولذا رأينا أثر الفن اليابانى على الانطباعيين أمثال « جوجان » الذى ذهب الى تاهيتى ، كما نحت « باولاخ » نسخا من التماثيل الافريقية . وقد استعمل كثير من الفنانين موضوعات خارجية ولكنهم استعملوها استعمالا «علميا» فلم تكشف أعمالهم فى تلك الفترة عن تمثل داخلى للفنون البدائية . وقد بدا هذا الاثر أكثر وضوحا عند فنان مثل « جيمس انسور » وهو فنان بلجيكى تأثر بأقنعة الكنغو .

وقد كتب سيزان ــ ولم يكن له شغف كبير بالفن الافريقى ــ الى ابنه يقول : « **ان ما يريده هو أن يعالج الطبيعة فى صورة أشكال اسطوانية**

أو أشـــكال كرية فى شكل القمع ، أى فى صـــورة تجعل كل جـــوانب الموضوع متجهة نحو النقطة المركزية »

وفكرة سيزان هى أن يصب عنـــاصر الطبيعة فى صور بسيطة يخلق بها هندسة تصويرية ، وأظن أننا شرحنا هذه الخاصية فى الفن الافريقى اذ أن الفنـــان الافريقى قد خلق من صور الطبيعة البسيطة ، «هندسة نحتية» كما يقول « سيجى » . وقد تمثلت فكرة « سيزان » فى صور «الكانفاه» التى رســـمها وتطورت حتى وصلت كاملة فى المدرسة التكعيبية .

لقد ظل الرســـامون والنحـــاتون الاوروبيون دائبى النظر فى أوائل هذا القرن الى النماذج البدائية ، حتى أنهم لم يعودوا يتفقون مع المفهوم الطبيعى الذى ســـاد أوروبا مدى ألفى عام .. وأصبح هؤلاء يجدون فى وجه من أوجه الفن الزنجى ما يمكن أن يبرز نظرياتهم . فوجد الانطباعيون فى الفن الافريقى طريقة الاستعمال الانفعالى للون وتغيير الشكل ، ووجد التكعيبيون « البناء » الهندسى ، ووجد السيرياليون الخيال والغموض (وهى الروحية الواضحة فى التمثال الافـــريقى ، التى تصـــورها الاوروبيون غموضا) .

وقد بلغ تأثر بعض الفنـــانين الاوروبيين بالفن الافريقى الى حد أن « بيكاسو » مثلا قد غير سنة ١٩٠٧ رسم وجهين كانا على لوحة « كاناڤا » هما « بنات افينون » حتى يجعلهما شبيهتين بالأقنعة الافريقية . كما أن التشابه بين لوحة « بيكاسو » المسماة « الراقص » وبين اللوحـــة المعدنية الموجـــودة فى الكنغو الفرنسى عنـــد

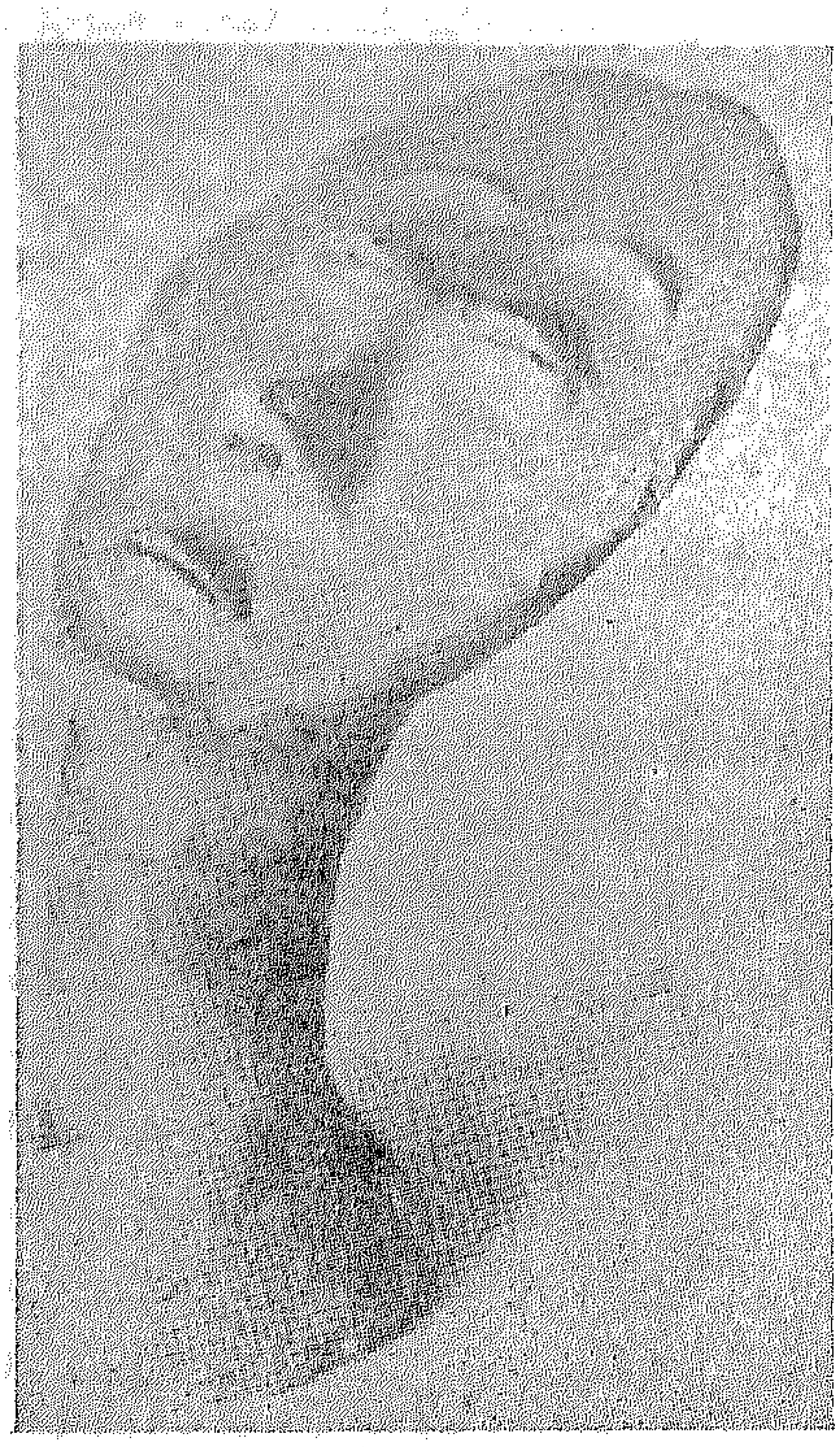

« الباكوتا » يوضح هذا التأثر ، وقد كان هذا « الكانفاه » بداية الحركة التكعيبيـــة فى الرسم ، كمـــا يرى « سيجى » وهى احدى الركائز الهامة فى الفن الحـــديث حتى أن هنـــاك ما يعـــرف فى فن « بيكاســـو » ب « التأثير الافريقى » الواضح .

ويجمل « سيجى » بعض أوجـــه التشابه بين الفن الافريقى ، وبعض اتجاهات الفن الحديث ، فيقول : ان الفن الافريقى والفن الحديث يحاولان معا « التعبير » عن الفكرة أو الانفعال بدلا من اكمال الوسط الذى يحدثان فيـــه . وبذا يكون الموضوع وســـيلة للفـــكرة . وقد قال « سيزان » ان الموضـــوع هـــو مرجع للتعبير عن الاحساس أو الرؤية ، وكلا الفنانين

يعبر عن صورة ذهنية بدلا من الصورة المرئية . كما يشترك الفنانان فى أنهما يعبران بفنهما مباشرة ، لا أن يشبه فنهما شيئا آخر ، فالفنان الحديث تجريدى ، والافريقى «روحى» وكلاهما يحقق فنا له وجوده بذاته ، حتى ليقول « بيكاسو » : « ان الصورة تكمل حين تعمل لتعيش بنفسها » .

وفى بحث علمى مثل هذا لا يكفى أن نتعرض للتأثير الفردى بين الفن الافريقى والفن الحديث ، ولكن لابد من اشارة الى مدى اهتمام الأوروبيين بوجه عام بهذا الفن القديم . وقد كان متحف « جرينويل » هو أول من جرا على عرض الفن الافريقى بجوار الفن الحديث . كما عرض « متحف الفن الحديث » بنيويورك النحت الزنجى فى معرض توضيح ألوان « الفن التكعيبى والتجريدى » سنة ١٩٣٦ . وتبعه متحف الفن المعاصر فى بوسطن سنة ١٩٣٩ ، فتعرض لمصادر الفن الحديث . ونظم معرض الفنون المعاصرة فى لندن معرضا يتضمن مقارنة بين الفن التكعيبى الحديث والفن الافريقى

وهناك سؤال قد يثار فى ذهن القارىء الآن ، وهو ماموقف الافريقيين المعاصرين أنفسهم من فنونهم التقليدية؟

والواقع أن ذلك الموضوع وحده جدير بالدراسة ، بل ان هدفى فى هذه المجلة أن أتعرض بعد ذلك لشخصيات فنية وأدبية افريقية معاصرة ، لأعرض من خلالها أثر التراث الافريقى والعالمى على المثقف الافريقى ، ولكن الذى يمكن أن نقوله الآن بوجه عام هو أن هناك موقفين أحدهما – كما يعرضه « وليم فاج » فيقول ان الاعجاب بالفن الافريقى انما هو محاولة للاحتفاظ بالافريقيين فى تخلفهم لبقاء سيادة الاوروبيين عليهم « وهى نظرة تشاؤمية من غير شك لا تعى تراثها . اذ أن هناك من يرون الاحتفاظ به احتفاظهم بتراثهم وحضارتهم ، ليطوروه على نحو ما يبذل العالم الحديث جهده فى جميع فنونه الشعبية وتراثه القومى لتطوير الشخصية الوطنية . وقد رأينا بعض الحكومات الافريقية – على ما لها من سلطة محدودة تحاول استرداد ما لها من تراث خارج أفريقية ، ومتحف « جوس » بنيجيريا صورة لهذه العناية بالفنون الافريقية ، حتى لقد عرضت نيجيريا مبلغا كبيرا لاستعادة قناع « بنين » العاجى ، وهو تقليد افريقى قديم . ولكن متحف الفن البدائى طلب منها ٥٦٠٠٠ دولار ثمنا له !!

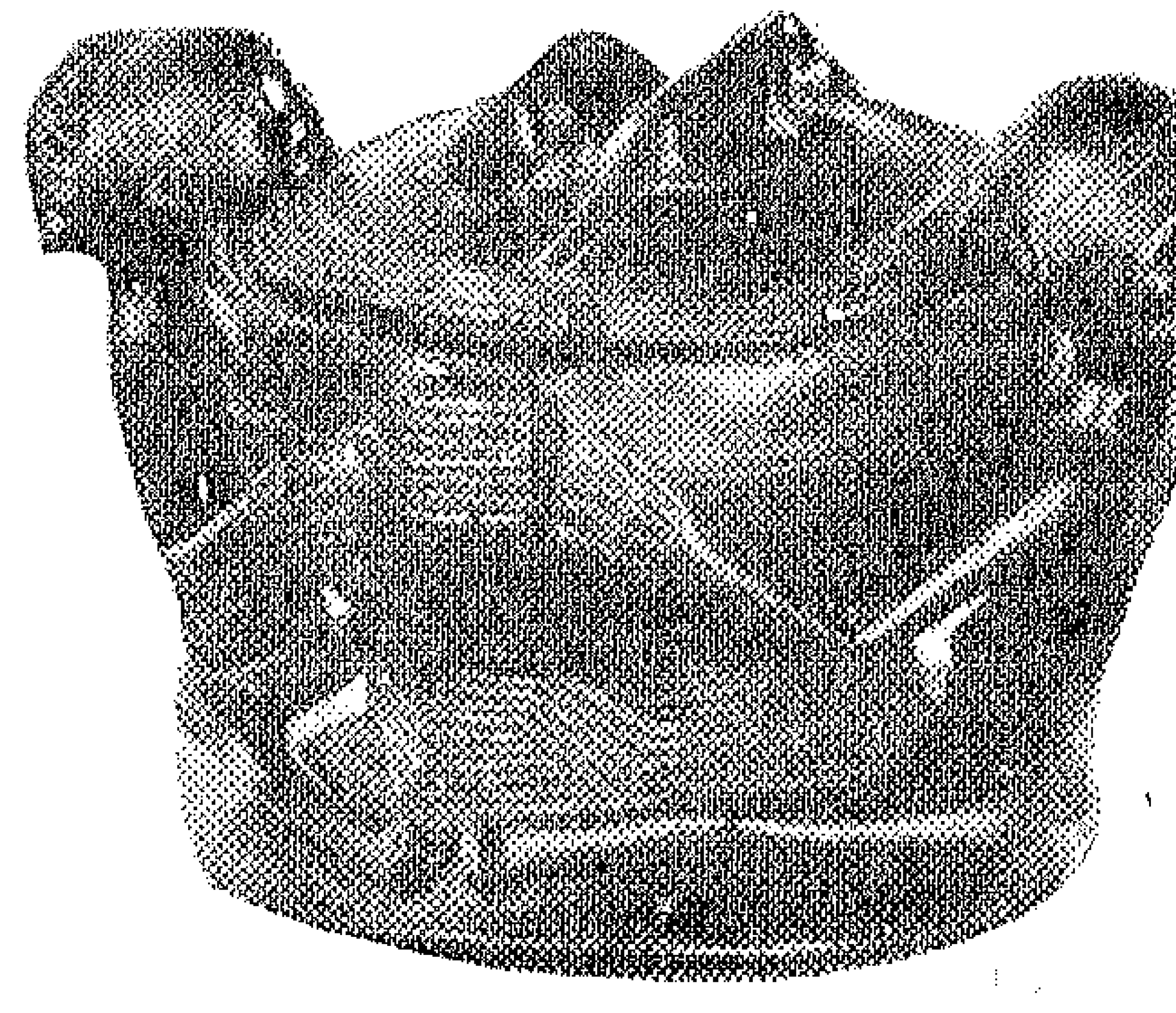

توم مبويا

يعتبر الزعيم الكينى «توم مبويا» الذى حمل أمانة الكفاح الوطنى بعد اعتقال الزعيم الكبير « جوموكنياتا » من ألمع الشباب الافريقى الواعى الذى يؤمن بقضية القارة ككل ، والذى يدعو بين الحين والحين الى التضامن الافريقى ، والدعوة الى مقاومة الاستعمار بكل الطرق .

وهو فى الوقت نفسه من الزعماء الذين يدعون الى احترام المثل الانسانية ، والى التسامح ، ومعاملة الأجانب باللين ، والاخلاص لكل القضايا الوطنية فى كل العالم ، والعالم لا ينسى قوله رغم الصحيفة السوداء للأوروبيين فى بلاده «.. فى الوقت الذى نؤكد فيه باخلاص أن كل شىء فى هذه البلاد ينتمى الى الافريقيين . نؤكد كذلك أننا لا نسعى لكى نخرج الى الوجود عنصرية سوداء » .

فكينيا المستقبل لن تسمح لسيادة شىء فيها سوى الحقوق الديمقراطية، ومن هنا فسيعامل كل أبيض كما أعامل أنا وكما يعامل أولادى تماما .

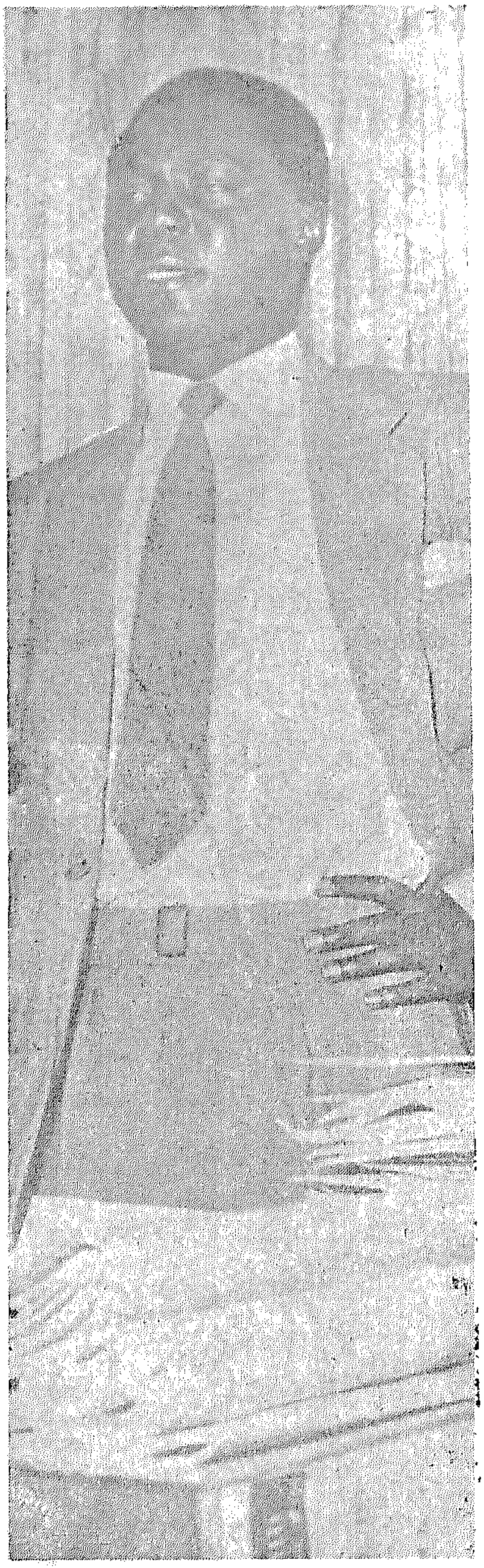

توم مبويا

نعم لن نعاملهم كما عاملونا ، لأن افريقية عادلة ! » .

وقد سافر فى هذا الشهر الى « بروكسل » ليجتمع بزعماء الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحر ، وقد بحث معهم الطرق التى يمكن بها تدعيم حركات النقابات العمالية فى افريقية ، والطرق التى يضمن بها تأييد الاتحاد الدولى لأغراض المنظمات الاقليمية الافريقية ، وفى مقدمة هذه الأغراض ، الدعوات الاستقلالية ، وعدم الانحياز الى أحد المعسكرين الدوليين المتصارعين ، واعتناق كل ما من سبيله أن ينشر السلام ، والطمأنينة ، والرخاء فى العالم .

ويعتبر « توم مبويا » من أول المهتمين فى بلاده بحركات العمال . فهو يرى أن الدخل القومى لا يتبع فى بلاده النمو الاقتصادى ، وأن عبء العمل فى بلاده يقع على سواعد الافريقيين الذين يفرق بينهم وبين من يقوم بمثل عملهم من البيض . زيادة على عزلهم دائما فى القطاعات التى لا تعتمد الا على قوة السواعد ، وعدم تأمين الحياة بالنسبة لهم ، وتهديدهم دائما بسيل من المهاجرين .

ومن الملاحظ أنه حين تكلم فى الاتحاد الدولى لنقابات العمال فى بروكسل لم يقصر الكلام على بلاده ، وانما نعرض للنقابات العمالية فى كل افريقية ، ومن هنا فقد دعا الى أن يكون وكيل الاتحاد فى افريقية . كما دعا الى تمثيل الافريقيين فى سكرتارية المؤتمر ، فتحية الى الزعيم الشاب الذى تقع على كاهله الآن أخطر المسئوليات فى بلاده .. مسئولية الحرية !!.

الشعوب التى تتكلم العربية

جاء فى كتاب « الاسلام والحضارة العربية » للأستاذ «محمد كرد على» حديث ضاف عن الشعوب التى تتكلم بالعربية بما فيها افريقية .

« ويتكلم اليوم باللغة العربية أو بها وبلغة أخرى ، فى جزيرة العرب ، والعراق ، والشام الى تخوم آسيا الصغرى ، وفى افريقية الشمالية (طرابلس وبرقة وتونس والجزائر والمغرب الأقصى) الى حدود الصحراء ومالطة ومصر الى أقصى الجنوب حيث الأنهار التى تتألف منها منابع النيل الغربية ، وانتشرت فى كردفان ، ودارفور ، ووادای ، وبورنو ، وفى النيجر والسنغال والصحراء الغربية الواقعة بين السنغال والغرب الأقصى ، ولم يستعمر سكان بلاد العرب الجنوبية جزيرة زنجبار فقط ، بل استعمروا الأرض الافريقية المناوحة(١) لها ، وبعثوا المستعمرين الى أرخبيل ماليزيا ، وقديما كانوا يتكلمون بالعربية ، وتكلموا العربية حتى القرن الثامن عشر فى جزيرة قوصرة (بنتيلاريا) بين تونس وصقلية .

وفى كلام أهل الجزيرة ، وأهل جزائر الباليار كثير من المفردات العربية ، ويتكلم العربية بعض أهل مدغشقر ، ولا يعرف بالتحقيق ما اذا كانت العربية لسان شعب الموبال فى

---

(١) المناوحة : المقابلة ، يقال تناوح الجبلان اذا تقابلا .

الجنوب الغربى من الهند أو لغة غيرهم ، وقد نشر الحضارة من سكان اليمن اللغة العربية حيث حلوا من ديار الهند الانجليزية والمستعمرات الهولندية ، وأصدروا بها جرائد ، وأنشأوا لتعليمها مدارس .

ولا يقل عدد من يتكلمون العربية اليوم فى الأقطار العربية عن سبعين مليونا ، هذا عدا من يتكلمها ويكتبها من المسلمين فى الصين ، والهند ، وجاوة ، وتركستان ، وايران ، وأفغانستان ، والسودان » .

* * *

افريقية والشعر

صدر الدكتور محمد محمود الصياد كتابه الرائع « صور افريقية» بهذه الأبيات من الشعر :

ملأوا البطون وأنت محرومه
منهوبة الخيرات مهضومه
ان الذين طعمت جائعهم
تركوا شعوبك غير مطعومه
وبنوا بما نهبوا قواعدهم
وأرى القواعد فيك مهدومه
ويقول الاستعمار « مظالمة »
او كان ينصف قال « مظلومة ! »

* * *

الرقص السودانى :

توجد فى السودان عدة رقصات شعبية تختلف باختلاف الاقليم والقبيلة فهناك رقصات خاصة بقبائل الشلك ، والدنكا ، والنوير وغيرهم فى الجنوب ، وفى الغرب توجد رقصة البقارة المشهورة . أما فى الشمال فهناك عدة رقصات خاصة بالنوبة والشايقية ، وكذلك الحال فى الشرق.

وتعتبر رقصة « الرقبة » — التى يقال أنها مقتبسة من حركة رقبة الناقة أو الحمامة — من أهم هذه الرقصات ؛ وتتميز هذه الرقصة بالاسترخاء ، والبطء ، والتتابع ،وقد بذلت محاولات لتطويرها ،وخاصة بعد أن رقصتها بعض السودانيات فى مهرجان الشباب الخامس بوارسو .

وتليها فى الاهتمام رقصة البقارة التى تنتفض فيها الراقصة انتفاضا بأن تشرك فى الرقص أكثر أعضاء جسمها بعكس رقصة « الرقبة » التى لا يميزها الا الهزات الرتيبة للرقبة ،

كما توجد فى السودان عدة رقصات شعبية يشترك فيها الجنسان

وهكذا نرى هذا الفن الشعبى متعدد الجوانب فى السودان . كما نراه يعيش فى دماء الناس جميعا حتى أن العروس لها رقصة خاصة تؤديها فى اغراء ، وأنوثة ، وفن ، ولعله يمكن اقتباس رقصة مميزة من كل هذه العناصر فى هذا العصر الذى يهتم فيه كل شعب بتراثه الفنى ، ويجعل له رقصة خاصة به تكون شعارا عليه فى المجالات الدولية .

* * *

كلمة :

من الكلمات الطيبة التى تعرضت لقضية القارة تلك الكلمة المخلصة التى كتبها الأستاذ أحمد بهاء الدين ، والتى جاء فيها :

« عندما حانت ساعة التصويت ، فى الأمم المتحدة ، على القرار الخاص بادانة حكومة اتحاد جنوب افريقية على سياستها فى التفرقة العنصرية .. وقفت الى جانب هذه الحكومة دولتان آخريان فقط هما : بريطانيا وفرنسا !.

وصدر القرار باجماع الأصوات ، ماعدا هذه الأصوات الثلاثة . بريطانيا

وفرنسا .. وحكومة اتحاد جنوب افريقية ! .

وبذلك تدمغ بريطانيا وفرنسا نفسيهما بأبشع تهمة فى هذا العصر، تهمة التفريق العنصرى ، وما أقدمت بريطانيا وفرنسا على ذلك الا لأن كلا منهما تمارس هذه السياسة فى مستعمراتها الى الآن .

وعندما أعلن ماكميلان برنامج رحلته المقبلة الى أفريقيا .. فوجىء الناس بأنه يضع فيها زيارته لحكومة اتحاد جنوب افريقية ! واجتمع عدد من نواب حزب العمال وكتبوا مذكرة احتجاج على هذا التأييد الأدبى العلنى الذى يقدمه ماكميلان الى الدولة التى يستنكر سلوكها الجميع .. وقرروا المطالبة بلوم ماكميلان على هذا القرار..

ولكن أغلبية النواب البريطانيين طبعا ما زالوا يجدون غضاضة فى أن يكون هناك نوعان من البشر .. نوع أبيض ونوع أسود ! . ولذلك فلن يوجه البرلمان أى لوم الى ماكميلان .

لقد شبه أحد الكتاب السكان البيض فى أفريقيا السوداء ، بأنهم يشبهون « تراب الملح » على وجه القارة .. وانهم اذا لم يمتزجوا تماما على الأرض .. ولم يختلطوا على قدم المساواة بالسكان السود . فسوف يجىء يوم ينفخ فيه السود هذا الملح الأبيض عن القارة كلها ! » .

* * *

الاسلام فى افريقية :

كتب « مستر اجون كاسكيلاين » فى مجلة « كريستيان سانيس مونيتور » بحثا طويلا تحت عنوان **« الاسلام يتغلغل فى افريقية »** قال فيه :

« تسير الحركة الاسلامية فى افريقية بسرعة عجيبة ، وسنسمع قريبا أن الاسلام قد شكل وجه القارة السوداء بطابعه الخاص ، أن عرب وبربر شمال افريقية مازالوا منذ قرون طويلة يقدسون القرآن ويمجدونه ، وبالرغم من أن منطقة جنوب الصحراء تحرص فى كثير من الأحيان على أن تقاوم نفوذ المسلمين وتقف أمام حركة المد الاسلامى الا أن الاسلام ينتشر بصورة تلفت النظر بين الملايين من الافريقيين الذين يسكنون المنطقة الفسيحة من الحدود الصخرية للصحراء حتى الغابات المعروفة بكثرة أمطارها ، والتى توجد فى وادى الكونغو .

وقد أثبتت أحدث الاحصائيات أن تعداد المسلمين فى افريقية اليوم قد وصل الى ضعفى ما كان عليه منذ ثلاثين عاما مضت . ففى عام ١٩٣١ كان عدد مسلمى افريقية قد وصل الى ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة ، وكان التعداد العام للشعوب الافريقية يومئذاك هو ١٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة، اما اليوم فقد أصبح عدد المسلمين حوالى ٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ أو ٨٥٫٠٠٠٫٠٠٠ .

كما توضح الاحصائيات الأخيرة التى تتميز بدقة تفصيلاتها أن حركة اعتناق الاسلام فى المقاطعات التى تسيطر عليها فرنسا تزداد بصورة مطردة ، وقد جاء فى هذه الاحصائيات أن مجموع سكان افريقية الفرنسيين

كانوا حوالى ٣٥ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٢ من بينهم ٨ر٥٠٠ر٠٠٠ مسلم ، ولكن فى عام ١٩٥٦ ارتفع عدد المسلمين الى ١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة تقريبا .

ان جاليات التبشير فى كل الملل والنحل تقول : « ان اندفاع الموجة الاسلامية داخل افريقية يقتلع جذور كفاح المبشرين المسيحيين التى وضعوها خلال قرون فى أرض الزنوج السود ».

وكثير من رجال الادارة والحكم من الأوروبيين البيض يؤكدون فى اصرار أن الدعوة للدين الاسلامى فى افريقية لم تعد مجرد حركة دينية بل انها قد أصبحت مرتبطة بالأهداف السياسية التى تطمع هذه الشعوب فى تحقيقها وخاصة فكرة القومية العربية .

وغدت القاهرة — أكثر من مكة فى هذا الصدد — مركزا للدعاية للاسلام .

ففى كل يوم يخصص « صوت افريقية » برنامجا موجها لشعوب المناطق الافريقية التى تعيش فى ظل الاستعمار الأوروبى يدعوهم الى حرب الرجل الأبيض وكراهية حكمه وادارته، وتدعو هذه الاذاعات فى صراحة الى اشعال حرب مقدسة ضد الأوروبيين، وتسمع فى وضوح تام فى المنطقة التى تمتد من داكار الى غرب زنجبار وجزيرة مدغشقر فى الشرق ..

ويستطرد مستر اجون فيقول :

أن الجيل الجديد من الشباب المستنير وهم غالبية الطلبة الذين تلقوا علومهم فى جامعات شمال افريقية، يقفون اليوم فى تحد أمام النظام التقليدى الذى تدين به العناصر المتزمتة والذى كان يسود المجتمع الافريقى المسلم .

خاصة وان الجامعات الكبيرة التى تقع فى شمال القارة . كالجامعة الأزهرية فى القاهرة والقيروان فى مراكش والزيتونة فى تونس هذه الجامعات لم تعد اليوم معاهد يكتفى الطالب فيها باستيعاب علوم اللغة العربية والدين الاسلامى فحسب ، بل انها قد أصبحت من أهم مراكز امداد عقول الشباب المسلم بفكرة القومية العربية ، وقد تحول عدد كبير من خريجيها الى قادة يعملون على نشر حركة الكراهية ضد العنصر الأوروبى فى افريقية .

وتقدم هذه الجامعات عددا من المنح الدراسية للطلبة الافريقيين الذين يتزايد عددهم من عام الى آخر . وقد كان فى الأزهر عام ١٩٥٢ حوالى ٣٠٠ طالب جاءوا من افريقية الفرنسية للدراسة فى الجامعة الأزهرية ووصل عددهم الى حوالى ٥٠٠ طالب عام ١٩٥٧ .

ومنذ حرب السويس والسلطات الفرنسية والبريطانية فى افريقية تعمل على الحيلولة دون الالتحاق بجامعات شمال القارة ، ولكى تنجحا فى هذا المجال قامتا بانشاء وتحسين كليات المسلمين ومدارسهم العليا داخل مقاطعاتهم ، حتى لا يفكروا فى الهجرة الى الخارج لدراسة اللغة العربية والدين الاسلامى .

وفى غانة توجد الآن أربع مدارس عالية لتعليم اللغة العربية وتبذل حكومة فرنسا من ناحيتها جهدا

ملحوظا لكى تجعل من المدرسة القرآنية العالية فى « باماكو » غرب افريقية الفرنسية ومن المعهد الاسلامى فى وتيلمين من اعمال موريتانيا معهدين كبيرين يجذبان اليهما الطلاب المسلمين من سكان المناطق المجاورة حتى تحول بينهم وبين جامعات شمال القارة .

ولعل السبب فى انتشار الاسلام — وخاصة بين الشعوب الافريقية — بهذه السهولة والسرعة ، هو أن هذا الدين لا يتطلب ممن يعتنقونه سوى أداء بعض الشعائر البعيدة عن التعقيد ، ويمكن للمسلم أن يعيش بنفس النظم الاجتماعية التى تعود أن يعيش عليها قبل اسلامه بما فى ذلك نظام تعدد الزوجات .

وبين المسلمين فى افريقية قلة تعتبر من أكثر المسلمين تمسكا بأهداب دينها ولهم طرق خاصة فى أداء عباداتها ، ولكنها لا تختلف عن أصل الدين وجوهره .

وأشهر هذه الطوائف الاسلامية هى :

١ — القادرية وزعيمها الشيخ « سيد بان » ويعيش فى موريتانيا .

٢ — التيجانية وأغلب أتباعها من أهالى نيجيريا وزعيم هذه الطائفة الشيخ ابراهيم نيامى السنغالى .

٣ — الطائفة العاملة (المريدين) وأتباعها كلهم تقريبا من المزارعين فى بلاد السنغال . والدعوة الى الاسلام فى القارة السوداء والدخول فيه ظاهرة واضحة فى افريقية فكل المراقبين السياسيين فى افريقية يؤكدون ان الاسلام يقف حصنا منيعا أمام تسرب غزو الأيديولوجيات الهدامة الى عقول الزنوج ، ويسيطر المسلمون الآن على معظم الجمعيات الموجودة فى مقاطعات افريقية الغربية الفرنسية وهى الجمعيات التى أقيمت حديثا فى ظل القانون الجديد ، وتضم هذه المنظمات السياسية عددا من مختلف الأديان تصل نسبة المسلمين فيها الى ٢٧٠ عضوا مقابل ٢٠٥ من المسيحيين والمستشارين الوثنيين . بينما نرى أن نسبة المسلمين الى غيرهم من الطوائف الآخرى فى منطقة افريقية الاستوائية الفرنسية هى ٢٧ مقابل ١٧٣ من غير المسلمين ونعنى بهذا العدد مجموع الشخصيات البارزة التى تشترك فى الهيئات السياسية . وهذا دليل يوضح ان الاسلام قد توقف عند تخوم الغابات الاستوائية . .

ويختم مستر ارجون حديثه بقوله :

« ان قافلة الاسلام التى تتجه فى سيرها الى قلب افريقية ، تترسم الطريق التجارى القديم الذى كانت تسلكه قوافل التجارة العربية فى افريقية ، ولايزال التجار المسلمون حتى اليوم ومنهم مصريون وسوريون وليبيون وعناصر اخرى من مسلمى العرب يتحكمون فى جزء كبير من تجارة السواحل والمناطق الداخلية وهؤلاء التجار الرحل متحمسون جدا فى نشاطهم للدعاية للاسلام ، وكثيرا ما يستعملون أساليب الضغط الاقتصادى للتأثير على عملائهم من الوثنيين فينجحون فى تحويلهم الى الدين الاسلامى ، وقد ارتبط هؤلاء التجار بعدد كبير من زعماء القبائل الافريقية عن طريق المصاهرة .

ولا شك فى أن مثل هذه الصلات العائلية تساعد كثيرا على نشر الدين الاسلامى .

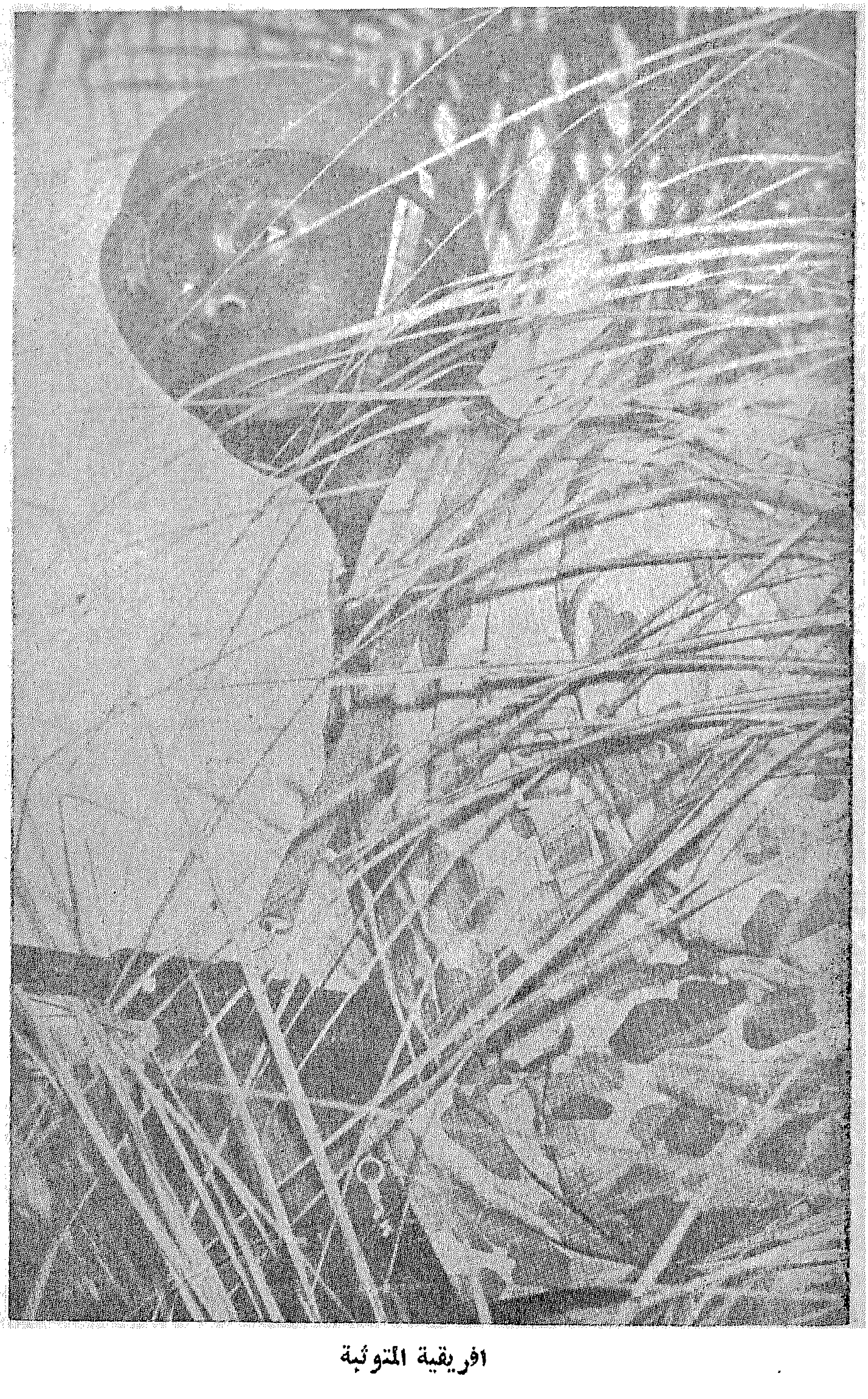

افريقية المتوثبة

احد الشهداء في كينيا

من القصص السوداني

حسن .. وعبد المعين

للأستاذ عباس خضر

قالت الجدة في صوت كله حنان :

كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان .. رجل اسمه حسن .. كان مسافرا الى بلد بعيد ، يحمل معه زاده من طعام وماء ، وكان يود أن يجد رفيقا يصاحبه في السفر ، يتعاونان على الخير والشر ، ويؤنس أحدهما الآخر .

وبينما هو سائر اذ رأى رجلا يسير أمامه على بعد في الطريق نفسه فأسرع حتى لحق به ، وسلم عليه وصافحه ، وتحدث معه وعرف أن اسمه عبد المعين ، وأنه يقصد الجهة التي يقصدها .

طفق الاثنان يسيران ويتجاذبان أطراف الحديث ، فاذا تعبا من السير قصدا الى ظل شجرة ليستريحا ويتناولا بعض الطعام ، وكان حسن يدعو عبد المعين دائما الى أن يأكل معه

استأنف الرفيقان سيرهما بعد الراحة . وظلا سائرين الى أن زحفت الشمس الى الغرب وتوارت وراء الأفق ، وأقبل الليل فلفهما بالظلام ، وساد الصمت حتى لم يعودا يسمعان الا وقع خطواتهما على الرمال .. ولم يقطع الصمت الا صوت عبد المعين يقول لصاحبه : انه لا يقدر على مواصلة السير ، وانه يشعر بحمى تسرى في أوصاله ، فأجلسه حسن في مكان مريح ، وراح يعتني به ويخفف عنه آلامه ، ثم هبت الريح الباردة وهطلت الأمطار ، فخلع حسن ملابسه ، وجعل يدثر صديقه المريض . وبقي هو عاريا ينتفض من البرد والمطر . ولما هدأ غضب الطبيعة نام عبد المعين ، وظل حسن ساهرا بجواره يرتعش من البرد ، حتى انجلى الليل ، وبدأت تباشير الصباح تحمل اليه من الشرق ، ثم تنتشر في أرجاء الوادي ، واستيقظ عبد المعين ، وسأله حسن عن حاله ، فأجابه بأنه في حال لا بأس بها ، وأنه يستطيع أن يعاود السير .

وقطع الصديقان مسافة من الطريق استرد عبد المعين في أثنائها قوته ونشاطه ، ولكن حسن أخذ يشعر بالضعف فكان يتجلد ويجهد نفسه ، وكان يشعر بالجوع لأن زاده قد نفد ، اذ كان يطعم منه صاحبه الذي كان يدخر زاده ولا يمسه .

ولما انتصف النهار جلس الرفيقان ليستريحا ، وجعل عبد المعين يأكل مما معه دون أن يدعو صديقه أو يعطيه شيئا .. فاضطر حسن أن

يسأله بعض الطعام ، فأبى عبد المعين.. واشتد الجوع والضعف بحسن ، فألح على صاحبه وتوسل اليه .. وأخيرا رضى عبد المعين أن يعطيه من زاده ومائه على شرط ..

كان الشرط الذى اشترطه عبد المعين على صديقه قاسيا فظيعا .. وهو أن يفقأ احدى عينيه .. فرفض حسن ، وعاود الاثنان السير ، ولكن جهد المسير وارهاق الجوع استبدا بحسن بالاضافة الى ما عاناه فى الليلة الماضية من السهر عاريا فى البرد والمطر ، فخارت قواه ، وتحقق أنه لابد هالك ، فقال فى نفسه : ان العيش بعين واحدة خير من الموت ..

قبل حسن الشرط ، وأصبح بعين واحدة ، وكان ذلك عند ما ولى النهار، وزحف جيش الظلام ، فاستسلم للألم وصار يبكى حظه العاثر وصديقه الغادر ، وسهر الليل وهو يئن ويصعد الزفرات ، على حين راح الصديق الغادر فى سبات عميق ..

وفى الصباح عاودا المسير ، ولما انتصف النهار وجلسا يستريحان وطلب حسن من عبد المعين أن يمده بشىء من الطعام والماء ، فرفض .. ولما أعاد عليه الطلب قال له انه لن يعطيه شيئا الا اذا رضى بأن يفقأ عينه الأخرى ..

وأيقن حسن أن لا فائدة فى المعارضة او الرفض ، فقبل ، وقال فى نفسه للمرة الثانية : لأن أعيش أعمى خير من أن أفقد الحياة .

وكان هدف عبد المعين أن يتخلص من حسن بعد أن استنفد زاده وماءه وجرده من كل ما معه ، فلما صار حسن أعمى لا يبصر شيئا تركه عبد المعين تحت شجرة من الأشجار وذهب ، ولم يشغل نفسه بأمره ، ولم يهتم بما سيؤول اليه حاله ..

وجلس حسن تحت الشجرة مستسلما للمقادير ، فلم يدع له اليأس مجالا لأن يفكر فى أى شىء .. وبينما هو كذلك اذا به يسمع صوتا لم يسمع فى حياته أرق ولا أعذب منه .. كان كموسيقى انبعثت من ضمير الغيب تعزف له لحن النجاة .. وأرهف سمعه حتى يتبين الصوت واضحا .. كانت عصفورة فى أعلى الشجرة تقول له :

« كل من ورق هذه الشجرة تعد اليك نعمة البصر » .

وأكل حسن من ورق الشجرة . ولم تمض توان حتى ارتد بصيرا يرى كل ما حوله .. ونهض يمشى ، ثم لاحت له على بعد معالم مدينة قصد اليها ، وهو فى غاية السرور والنشاط.

دخل حسن المدينة وراح يجوب شوارعها ويخترق طرقاتها، ويتحدث مع من يصادفه من أهلها ، حتى علم أن للسلطان ابنة رائعة الجمال فى ريعان الصبا ، قد اكتملت لها المحاسن وكل شىء فيها جميل الا عينيها .. فهى عمياء فاقدة البصر ، وأن السلطان حزين من أجلها أشد الحزن .

لما علم حسن بذلك ذهب الى قصر السلطان ، وأراد أن يدخل فمنعه الحراس ، واستهزؤا به لما قال لهم : انه يريد مقابلة السلطان ، واعتقدوا أنه مجنون . وظل واقفا بالباب يحاور الحراس حتى استطاع الدخول ، ولما مثل بين يدى السلطان قال له السلطان:

ـ ماذا تريد أيها الرجل ؟

ـ أدام الله عزك يامولاى السلطان،

علمت أن الأميرة فاقدة البصر ..

ــ وما شأنك بهذا أيها الأفاق .. ؟

ــ جئت يامولاى لأرد لها نعمة الابصار ..

ــ أنت .. ؟ ما هذه الترهات .. ؟ هل أنت طبيب ؟ وكيف يكون طبيب بهذا المنظر الرث وهذه الثياب البالية .. ؟

كيف اجترأت أيها الرجل على الدخول الى .. ؟

ــ مهلا يامولاى السلطان .. اذا أنا لم أشف الأميرة وارد لها بصرها فاقتلنى .. اقطع رأسى .

وفكر السلطان فيما قاله حسن ، وتدبر موقفه .. هل يمكن أن يجازف بحياته لولا أنه واثق بنفسه متحقق من مقدرته على ما يقول ؟ ثم قال له :

ــ أعلم أيها الرجل أنك اذا لم تكن صادقا فى دعواك فستقتل شر قتلة .

ــ واذا كنت صادقا يامولاى ، وأفلحت فى اعادة النور الى عينى الأميرة ؟

ــ أزوجها لك ..

وأتى حسن بورق من الشجرة وأعطاها لابنة السلطان فأكلت منها .. وعاد اليها بصرها ، فبر السلطان بوعده وزوجها لحسن . وأقيمت الزينات فى القصر ، وعاشت المدينة ليالى ملاحا ، وأياما كلها أفراح .

وابتهج السلطان بشفاء ابنته وفرح بعرسها ، وأحاط حسن بعنايته . ومرت الأيام .. وقذفت الأقدار الى المدينة بعبد المعين .. سمع عبد المعين بقصة حسن وما جرى منه وما صار اليه من نعمة وسعادة ، فاغتم لذلك وذهب الى السلطان ، وقال له أن هذا الذى زوجه ابنته ما هو الا شحاذ أفاق كان يأكل من فتات الطعام ، وكان ملقى على قارعة الطريق كأنه قمامة . وأنهى كلامه بقوله :

ــ كيف يحظى سليل الشحاذين والمعوزين وحثالات الناس بسليلة المجد ، وصاحبة الحسب والنسب وذات الحسن والجمال ؟!

سمع السلطان هذا الكلام ، وتذكر حالة حسن ومنظره عند ما أتى اليه أول مرة ، فداخله الشعور بالندم على اعطاء ابنته لهذا الفقير المنبوذ !!

ولما شعر عبد المعين بأن كلامه وقع من نفس السلطان الموقع الذى أراده انبرى يعرض عليه طريقة للتخلص من حسن .. قال :

ــ لقد فكرت يامولاى السلطان فى حيلة تنقذ بها شرف أسرتكم الكريمة من أن ينتسب اليها هذا الدعى الزرى .. دون أن يدرك أحد أن أمرا دبر له .

ــ هات ما عندك .

ــ تأمر يامولاى السلطان بحفر حفرة واسعة عميقة ذات قرار بعيد ، وتغطى بسطح هش ، على أن تكون فى وسط هذا السطح فجوة تبدو كأنها حفرة صغيرة . وتحفر بجانب الحفرة الكبيرة فى عرض الطريق حفرة صغيرة فى حجم الفجوة .

ــ وبعد ذلك ؟

ــ وبعد ذلك تعلن يامولاى السلطان أنك قررت اقامة حفلة سباق يركب فيها حسن حصانا ، وأركب أنا حصانا آخر ، ثم يدبر الأمر بحيث يقفز حسن بحصانه فوق الحفرة الكبيرة المغطاة ويقفز حصانى فوق الحفرة الصغيرة .

ـ وكيف يدبر هذا الأمر ؟
ـ تكون الحفـــــرة الكبيرة على الشمال ، والحفرة الصـــغيرة على اليمين . وأنا سأركض بحصـــانى فى الجهة اليمنى فلا يكون هناك مجال لحسن الا أن يجرى حصانه فى الجهة اليسرى .
ـ فليكن ذلك .

وكان حسن يخرج وحده فى بعض الليالى ويســـير حتى يبلغ الشجرة المباركة التى تشفى أوراقها من العمى، لأن قلبه قد تعلق بحبها وحب المكان الذى تقوم فيه ، ولم ينس أبدا فضل العصفورة ذات الصـــوت الموسيقى الجميل ، وكان يصغى عساه يسمعها ويستعيد الذكرى الســعيدة يوم أشـارت عليـــه بأن يأكل من ورق الشجرة لكى يستعيد البصر الذى ذهب به غدر عبد المعين .

ففى الليلة التى ستسفر عن اليوم الذى حـدد للسـباق بينـه وبين عبد المعين أحس حسن بشوق شديد الى تلك الشجرة ، ومنى نفسه بأن يسمع صـوت العصـــفورة الملائكى الساحر .. فذهب الى هناك ، وكانت ليلة مقمرة ساطعة الضـــياء ذكرته باللحظة التى شعر فيها بالنور يعود الى عينيه ، وحمد الله على النعمـــة الكبرى التى يرى بها هـــذا الجمال

وبينما هو جالس تحت الشـــجرة يستعيد ذكرى تلك اللحظة السعيدة، ويتأمل جمال المكان ينعكس عليـه ضوء القمر الغامر اذا بالصوت المنغم الحلو .. صوت العصفورة .. يأتى اليه من أعلى الشـــجرة كأنه وحى من السماء .. يقول له :

« أحذر الحفرة التى على الشمال ! »

ولم يزد الصوت على ذلك حرفا ، فجعل يسائل نفسه بعد أن أفاق من نشوة الاستماع الى الصـــوت : اية حفرة هذه وأين تكون ؟

ولكنه كان يشعر شعورا عميقـــا بالاطمئنان ، لأن هناك عناية خفيـة علوية ترعاه ، وتدفع عنـــه الشرور والمكايد ، فهو يحب الناس ويسـعى لخيرهم ، ويعفو عن اساءاتهم ، لهذا أسلم حسن أمره لله ، وعول فى الوقت نفسه على أن يكون حذرا مما عسى أن يدبره له أهل الشر والغدر .

وفى الوقت المحـدد للسباق ركب كل من عبد المعين وحسن الحصـــان المعد له ، وابتدأ السباق وعبد المعين يجنح بحصـــانه الى اليمين .. ولمح حسن الحفـرتين فى عرض الطريق ، فتذكر فى الحال تحـذير العصفورة فلكز الجواد فى جنبه فأسرع وسبق عبد المعين ، وشد العنان جهة اليمين فكان أمام الحفرة اليمنى وقفز فوقها وجرى فى أمان . وكان من نتيجة هذه الحركة أن حاد حصان عبد المعين الى اليسار فوقع به فى الحفرة الكبيرة ، وهوى الى القرار السحيق ..

دهش السلطان مما حدث .. ونادى حسن وقال له :

أتعرف هذا الشخص ؟ قال نعم ، ثم قص عليه ما كان بينهما فى الطريق.

وأمر السلطان باخراج عبد المعين من الحفرة ، فأخرجوه منها وهو على وشك الموت ، وأتوا به الى السلطان ، وكان حسن حاضرا ، فقال عبدالمعين لحسن فى صوت متحشرج :

« سامحنى ياحسن ! » .

ولم يستطع أن يزيد على ذلك ، فقد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وعقـدت الدهشة لسان السلطان وهو يسمع حسن الطيب القلب يقول لصاحبه :
سامحك الله ياعبد المعين ..

ضوء على كتاب

السياسة والحكم فى إفريقية

((للدكتور عبد الملك عوده))

بقلم الدكتور بطرس بطرس غالى

الاهتمام بالشئون السياسية الافريقية ظاهرة حديثة فى العالم كله لم تتباور الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التى كانت سببا قويا فى انضاج وعى الشعوب الافريقية . وقد أسفر هذا الاهتمام عن ادخال مادة الشئون الافريقية فى الدراسة بالمعاهد والجامعات . ثم خصصت لذلك شعب وأقسام تؤهل المنضمين اليها للتخصص فى المسائل الافريقية .

ولسنا نعنى انه لم تكن هناك معاهد خاصة بالشئون الافريقية قبل الحرب . فالحق انه كانت توجد مدارس أوروبية خاصة تلحق بها قلة ضئيلة ممن تعدهم حكوماتهم للالتحاق بوزارة المستعمرات ، أو العمل فى المستعمرات ، فكانت دراسة ذات طابع خاص يتلاءم مع وظيفة الاستعمار .

اما الجامعات العربية فلم يكن من المقرر أن تدرس فيها الشئون السياسية الافريقية حتى صدر القرار الجمهورى رقم ٢١٦ لسنة ١٩٥٦ ومن حينئذ أدخلت فى قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة مادة جديدة سميت ((مشكلات افريقية)) وأصبحنا فى حاجة الى مرجع قيم يهتدى به الطالب فى دراسته لهذه المادة ، ويسترشد به كل متتبع لتطورات السياسة الافريقية فما لبث الدكتور ((**عبد الملك عوده**)) أن طالعنا بهذا الكتاب .

والدكتور عبد الملك عوده خير من يصلح للتأليف فى هذا الموضوع ، وأقدر من يلم بأطرافه ، ويعرف حاجة قسم العلوم السياسية منه .

لأنه أول من نال درجة الدكتوراه من قسم العلوم السياسية . ولأنه أول من أسند اليه النهوض بعبء تدريس هذه المادة .

ولذلك لم يكن غريبا أن يكون أول من يصدر باللغة العربية كتابا جامعا شاملا فى هذا الموضوع ، هو الذى سماه :

((السياسة والحكم فى أفريقية)) .

قسم المؤلف كتابه الى ثمانية أبواب ، ففى الباب الأول تناول

أهمية الدراسات الافريقية للعالم عامة، وللأمة العربية خاصة اذ أن أكبر رقعة من الوطن العربى تقع فيها بنحو ٧٢٪ من هذا الوطن يقع فى افريقية، وتلثا سكانه يقيمون بها، والباقى فى آسيا .

ثم يختتم هذا الباب بنقل تنبؤات وردت فى ختام تقرير شامل نشرته مجلة أمريكية، ومما اشتملت عليه هذه التنبؤات أن افريقية الغد ستكون اشتراكية وستتبع سياسة الحياد، وسيسودها الاسلام ولا تستطيع الشيوعية أن تتغلغل فيها، ويرجىء المؤلف مناقشة هذه الآراء والتنبؤات الى ختام الكتاب .

وفى الباب الثانى قام المؤلف بتحليل العلاقات الدولية بين أوروبا وافريقية وفى أسلوب تحليلى بارع ينقلنا من فترة الكشوف الجغرافية التى كانت نقطة التقاء أوروبا وافريقية لتتخذ من الافريقيين رقيقا تتجر فيهم مع القارة الثالثة التى كانت فى أمس الحاجة الى اليد العاملة، ثم يبين كيف أن الغاء تجارة الرقيق أتاحت للبحرية الانجليزية فرصة التغلغل فى سواحل القارة ثم الاندفاع منها الى الداخل، ثم يحدثنا عن تخاطف الدول الأوروبية لأفريقية، وعن مؤتمر برلين الذى تولى تنظيم هذا التخاطف، ثم عن نظام الانتداب ونظام الوصاية على أساس أنهما محاولتان لتلطيف حدة الاستعمار الذى نجم عن هذا التخاطف وتدويله .

وانتقل بنا فى الباب الثالث عن العلاقات الدولية التى تظم الحكومات فحلل الأنظمة الاستعمارية المختلفة تحليلا علميا دقيقا، فبدأ بنظام الحكم البريطانى وانواعه المختلفة وأساليبه ومن ذلك نظام الحكم غير المباشر الذى عمدت انجلترا فى سبيل تحقيقه الى انشاء سلطات محلية ناجمة عن ربط بعض المجموعات فى صورة اتحادات جعلت نقاد السياسة يقولون ان أسلوب الحكم الانجليزى فى افريقية وآسيا تطور من قاعدة « فرق تسد» الى قاعدة « وحد تسد » .

ويلى ذلك تحليل نظام الحكم الفرنسى فى هذه القارة وهو على نقيض الحكم البريطانى يستند على المركزية الجامدة والحكم المباشر بغية الوصول الى تحقيق اندماج كامل بين الافريقى والفرنسى، ويذكر التطورات الأخيرة التى مرت بها السياسة الاستعمارية الفرنسية فى مؤتمر برازفيل سنة ١٩٤٤ الى دستور سنة ١٩٤٦ والاتحاد الفرنسى، ثم الى القانون الاطارى الصادر فى يونيو سنة ١٩٥٦ وينتهى بدستور ديجول سنة ١٩٥٨ .

ثم ينتقل الى تحليل الحكم البلجيكى، والحكم البرتغالى اللذين يتميز أولهما « بالوصاية الأبوية » وثانيهما بدكتاتورية « سالازار » .

واذا كان الباب الثانى من كتاب الدكتور عوده يدخل فى عداد « علم العلاقات الدولية » والباب الثالث يدخل فى عداد « علم نظم الحكومات» فالباب الرابع منه أقرب الى « علم الاقتصاد والاجتماع » ذلك لأنه تناول فيه الأوضاع الاقتصادية الجديدة فى افريقية، ومشكلة الأقليات غير الافريقية التى تضم الى جانب

الأوروبيين بعض الهنود وبعض الباكستانيين ، ثم ينتقل الى مشكلة ملكية الأرض التى تدور فى محور واحد ،سواء أكان المستعمر فرنسيا فى الجزائر ،أم انجليزيا فى كينيا وأوغنده، وذلك المحور هو قصر الأراضى الجيدة على أفرادهم وعلى شركاتهم الكبرى وحرمان المواطنين منها .

ثم يتحدث عن ظاهرة التبشير والتعليم ، وعن الطبقات الجديدة ، والنقابات وهو يحلل كل هذه المشكلات الافريقية ،تحليلا اقتصاديا واجتماعيا مصطبغا بتلك الصبغة السياسية التى تلازم الكتاب .

وفى الباب الخامس دراسة للمنظمات والأحزاب السياسية الافريقية فى تحليل علمى رائع فيعرض فلسفة تلك الأحزاب والمنظمات،ويوضح خصائصها ويتبع تطوراتها ، ويطبق ذلك على مختلف المناطق من أقصى الجنوب الى المغرب العربى .

وبذلك يبين مقدار الرابطة الوثيقة بين الحركات السياسية العربية . وللدكتور عوده فضل كبير فى هذا الربط اذ أن الباحثين والمعلقين من غير الافريقيين ما زالوا يفصلون بينها .

وابتداء من الباب السادس ينتقل من الدراسة العامة للقارة الافريقية الى دراسة مشكلات بعينها فيخصص بابا لتصفية الاستعمار الايطالى فى افريقية حيث كانت ايطاليا ذات سلطان على ليبيا واريتريا والصومال. ثم يخصص بابا للتفرقة العنصرية فى افريقية الجنوبية ، ثم بابا آخر للمؤتمرات الافريقية التى اشترك فيها الافريقيون مثل مؤتمر باندونج ؛ ومؤتمر أكرا . ومؤتمر مونروفيا الأخير . ثم يختم الكتاب بافريقية عام ١٩٦٠ وهنا يناقش التوقعات التى تكهنت بها المجلة الأمريكية فى بداية كتابه .

* * *

فالكتاب اذن كما يبدو من عرضنا السابق جمع بين مختلف العلوم التى يتكون منها علم السياسة ، فقد نظر فى علم العلاقات الدولية والقانون الدولى ، ونظم الحكومات ، والنظرية السياسية ، والأحزاب السياسية وطبق كل هذا على منطقة جغرافية واحدة أصبحت مثار اهتمام العالم هى القارة الافريقية وذلك ليمد المكتبة العربية بأول كتاب من نوعه عن افريقية .

وشكرا للدكتور عوده على كتابه القيم الذى سيظل يذكرنا نحن أبناء الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة بأننا افريقيون . وخير ما نختتم به التصدير هو أن نقدم للقراء رأيين يدوران حول مكانة بلادنا من افريقية ، اما الرأى الأول فهو لعالم زنجى أمريكى أثبت فى أحد كتبه أن الحضارة الانسانية مهدها الأول هو افريقية ، وأما الرأى الثانى فهو لسياسى عربى افريقى ، تعنيه مصلحة بلاده ومستقبل ثورته .

اما العالم الأمريكى فهو «بورجخات ديبوا » الذى وصف فى أسلوب أدبى رائع العلاقات الوثيقة التى تربط بلادنا بافريقية منذ أقدم العصور .

« بزغت فى أثيوبيا شمس الحضارة البشرية . ومن هناك استفاض مشرقها الى ربوع وادى النيل ... ومن وراء حدود أثيوبيا . امتدت فى وسط أفريقية وجنوبها كنوز الذهب فى «أوفير» وكذلك ازدهرت تجارة بونت الواسعة والتى ارتبط بها الى حد بعيد رخاء مصر وثراؤها ..

وقد جلبت مصر الرقيق من افريقية السوداء كما أتت بهم من آسيا وأوروبا . ولكنها جلبت أيضا — من افريقية السوداء — مواطنين وزعماء ..

وعندما فتحت مصر أقطار آسيا استخدمت فى فتوحاتها جنودا سودا على أوسع نطاق ...

اما السياسى المعاصر فهو الرئيس جمال عبد الناصر الذى يقول فى فلسفة الثورة :

« أيمكن أن نتجاهل ان هناك قارة افريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها — وشاء أيضا أن يكون فيها صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أم لم نرد ؟ . ..

اننا لن نستطيع بحال من الأحوال — حتى لو أردنا — أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور فى أعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين ،

لا نستطيع لسبب هام وبدهى : هو أننا فى افريقية .

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .

ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء .

ويبقى بعد ذلك سبب هام — هو أن النيل شريان الحياة لوطننا يستمد ماءه من قلب القارة .

ويبقى أيضا أن السودان — الشقيق الحبيب — تمتد حدوده الى أعماق افريقية ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة فى وسطها .

والمؤكد أن افريقية مسرح لفوران عجيب مثير — وان الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوروبية يحاول الآن اعادة تقسيم خريطتها ، ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف امام الذى يجرى فى افريقية ولا نتصور أنه لا يمسنا ولا يعنينا » .

diately be released. But now events have begun to take a new shape at a tremendously marvellous speed here and there all over the continent; there is resurrection not for destruction but for a rebirth and reconstruction of the former glory of the African People.

Mr. Chairmann, Afro-Asian Fighters for Freedom. This is not a place for long speeches, and I do not intend to say more than this and that is we from Nigeria are here with open heart to join hands with our Kenya brothers in order to make our dreams a reality. We come to join in planning a new future, happy furure not only for ourselves and our children but for the whole World. All African Nations of today and those that are to be, have not the slightest thought of aggression, but the thought and desire of bringing about all those bounties of life and beauty of harmonious living, respect for the individual, dignity of man and an atmosphere of true democracy.

Africa is proud of having all the potentialities that make a great nation. The natural and human resources are there and our only duty today is to free ourselves from political domination in order to enable ourselves to harness these forces that God has given us to bring comfort to our people.

The Imperialists and Colonialists must quit Africa. Now Africa must be free. Africa for Africans. Africans must rule themselves. The white settlers must quit Africa Soil.

shamefully assassinated by the French Imperialistic criminal Forces.

Dear Compatriots: Today, the convocation of this meeting of 26th. of September is for the condemnation of Her Majesty's British Colonialist and White-settlerism evils and atrocious brutal massacres in Kenya and *declaration of a state of emergency against the BLACK NATIONALS IN KENYA.* Africa as a whole and all that it means, peoples of Africa fighting for Freedom and Justice. - the opportunity afford to Africans from all corners of Africa to meet together to discuss their peculiar problems in relation to World politics is very rare opportunity. We should not forget the unprovoked Colonialist and Imperialist oppression on the Africa soil. We should remember and sympathise with the gallant Nationalists of Kenya who are being killed in thousands and Heroic Alegerian Nationalists who are being killed in thousands for resenting a political economic, and social philosophy quite inconsistent with the democracy and for what thousands of Africans shed their blood for the sake of SOVEREIGNTY AND INDEPENDENCE. The plight of these heroes whose daring effort sacrifices and determination to rid themselves of these evils of democracy.

May I be allowed to say that all human beings are born free and equal in dignity and rights. They are endowed with reason and conscience and should act towards one another in spirit of brotherhood.

The Universal Declaration of human Rights is a common standard of achievement for all peoples and all nations. This Article is not taken into practice. It is unfortunate that the Western Powers had unanimously endorsed the Universal declaration of human rights for their own benefit and political selfish interests as Great Powers against small nations, who have been for long severed by colonialism.

This meeting proclaims its fullest support to the principle of selfdetermination of Nations and denounces the Policy of slavery and foreign domination of Colonialism in Africa. Our gallant leader Jomo Kenyatta, Dr. Bundar of central Africa and other African Nationalist Leaders must unconditionally and imme-

VOICE OF NIGERIA ON KENYA DAY

On behalf of the people of Nigeria and in the name of African patriotic Nationalists who have sacrified their lives for the sake of FREEDOM, JUSTICE, AND INDEPENDENCE, We have the honour to present our heartfelt gratitude to THE LEADING COMMITTEE OF KENYA NATIONAL OFFICE IN CAIRO for giving us this opportunity to address to you our humble comprehensive speech on the momentous occasion of the celebration of JOMO KENYATTA DAY. This momentous occasion is mark of protesting against the British Colonialism and Whitesettlerism oppression in KENYA LAND OF CONFLICT for imprisoning of African gallant Nationalist Leader JOMO KENYATTA and other African Nationalists during the KENYA WAR OF LIBERATION. Of course; the Nationalist Kenya People have got to defend their rights-not only their rights alone, but also of their Children and Children's children.

We the Nigerian People enthusiastically support the people of Kenya, Algeria, Uganda, Kameroons Central Africa Southern Rhodesia, South-Africa and also Afro-Asian Peoples who are struggling for their Freedom and Independence.

Fellow Afro-Asian Fighters for freedom. We have the honour to point out that on September 7th. we have gathered together at the Senate House (National Assembly Building) foı the denunciation of the French Imperialistic planned Atomic Test in our Mother land Africa. On Sept. 12 on the African Association premises we vigorously condemned the oppression of the British Colonialist in Southern Rhodesia, Uganda and Central Africa. On September 13th the occasion of the celebration of the First Anniversary of the death of RUBEN UM NYOBE the Secretary General of U. P. C.

d'Aviation D.T.A.

14. Almeida Pires da Conceicao

Commerçant

15. Armando Ferreira

Fonctionnaire au Consulat du Portugal à Léopoldville (Congo-Belge)

16. Teofilo Kinkela

Commerçant

17. Dr. Boavida

Avocat.

A ce propos, le Gouverneur Général de l'ANGOLA, de Sa Vianna Rebello a fait la déclaration suivante:

"La Nation Portugaise est une et indivisible. Et que dès lors on ne pourrait admettre une quelconque opinion tendant vers la secession ou l'Indépendance. Ce serait un crime de haute trahison que d'exprimer des idées en ce sens.".

Ces quelques faits suffisent à prouver l'inconsistance de toutes les affirmations du Gouvernement SALAZAR selon lesquelles les Colonies sont partie intégrante de la Nation Portugaise et parlant de l'unité morale et politique de cette soi-disant nation qui ne peut exister que dans l'imagination de la politique Salazariste.

Entre la Nation portugaise et les peuples des Colonies, il n'y a aucune des caractéristiques fondamentales qui permettraient de les indentifier comme une Nation commune. Pas de Communauté historique, pas de Communauté territoriale, pas de Communauté d'intérêt économique, pas de Communauté de langue, pas de Communauté spirituelle et culturelle. Ce qui existe, ce sont des antagonismes aggravés jour après jour par la discrimination raciale, par l'inégalité des droits, même les plus élémentaires, par l'exploitation sans vergogne et l'oppression sans précédent dans les annales coloniales. Ce qui existe, c'est une révolte toujours grandissante des peuples coloniaux (révolte que les Colonialistes portugais s'efforcent d'étouffer) contre cette politique rétrograde d'exploitation forcenée, de pillage, d'oppression culturelle et économique couronnée de leurs richesses et leurs ressources naturelles, déportation de tortures, d'assassinats et de meurtres.

Par l'étendue et l'importance des territoires coloniaux sous son Administration, le Portugal est la quatrième puissance colonialiste du monde. Pourtant les Colonies portugaises se rangent parmi celles ou l'organisation d'un mouvement de libération est la plus en retard. Tous ces faits placent les Etats Indépendants au développement de ce mouvement. Les peuples de ces Territoires ont le droit de l'attendre des Etats indépendants d'Afrique qui ont le devoir de répondre à leur appel, en leur donnant leur aide, y compris sous la forme de leur expérience de lutte contre l'ennemi commun le colonialisme et l'impérialisme.

pays pour la réhabilitation du colonialisme et de l'impérialisme.

* * *

A l'ile de S. Tomé en 1953, le colonialisme portugais découvrit son vrai visage. Cette année-là, au mois de Février, devant une provocation du Gouverneur CARLOS GORGULHO qui augmenta les heures du régime des travaux forcés, les habitants élevèrent une protestation. Le Gouverneur déclencha alors une brutale et sanglante repression. Il y eut 3.080 tués. On procéda à des emprisonnements en masse; des centaines de gens sans défense furent torturés et assassinés; des villages entiers furent saccagés, incendiés et leurs populations massacrées ou déportées. Le sang coula à flots. On remplit les prisons. La grande majorité des fonctionnaires noirs furent arrêtés et envoyés aux brigades de Fernao-Dias où ils furent liés avec de lourdes chaînes de deux tours attachés au cou, à la ceinture, aux jambes. Ils furent ensuite contraints de charger de grosses cuves d'eau sur la tête, de pénétrer ainsi dans la mer et d'y rester en punition avec de l'eau jusqu'au cou. Les emprisonnés furent torturés jusqu'à la mort pour les amener à faire des aveux. Beaucoup d'entre eux furent soumis à des chocs électriques durant des heures.

Un véritable climat d'enfer, avec toute l'insouciance comparable au Génie du Satan sévit sur l'ANGOLA et le Mozambique. On ne peut décrire ce qui s'y passe, depuis les sanglants évènements du Congo-Belge et du Nyassaland. Des troubles ayant éclaté dans certaines localités de L'ANGOLA, plus de 200 élèments nationalistes, comptant parmi l'élite du pays et dont quelques noms suivent, ont été déportés. Les bruits les plus divers circulent quant au sort qui leur a été réservé.

1. Pedro Antonio Benge
Fonctionnaire à l'Administration
2. Ferando Pascoal
Commerçant
3. Figueiredo Alfredo
Fonctionnaire à l'Administration
4. Andre Rodrigues Mingas
Fonctionnaire à l'Administration
5. Tanclero
Fonctionnaire à l'Administration
6. Sebastiao Gaspar Domingos
Pasteur des Missions Protestantes
7. Gaspar d'Alméida
Directeur d'une Ecole Evangélique (Mission Protestante)
8. Nobre Pereira Dias
Directeur d'une Ecole Primaire
9. Agostinho Hendes de Carvalho
Fonctionnaire à l'Administration
10. Jose Vieira Dias Vandune
Fonctionnaire à l'Administration
11. Belarmina Vandune
Fonctionnaire à l'Administration
12. Correia
Fonctionnaire à l'Administration
13. Lucreia de Silva
Fonctionnaire de la Compagnie

situés à des milliers de miles du Portugal, séparés de ce dernier par d'autres pays, les Océans Atlantique et Méditerranée et appelés "Provinces Portugaises" servent depuis 5 siècles de greniers d'esclavage et de champs de travail forcé, où viennent s'enrichir tous les mendiants du Portugal.

Les Colonies Portugaises d'Afrique, particulièrement l'ANGOLA et le Mozambique disposent d'immenses ressources. On y trouve abondamment du pétrole, du charbon, du fer, du manganèse, de l'or, des diamants, du cuivre et d'autres métaux et matières premières nécessaires au développement d'une industrie puissante et moderne. Les terrains et climats sont favorables à l'essor d'une agriculture et d'un élevage des plus prospères. Leurs fleuves et leurs côtes sont propices à une industrie de la pêche des plus florissants. Et cependant des générations et des générations d'Africains mènent une vie de misère, d'ignorance, soumis aux persécutions et à l'exploitation inhumaine de leur labeur. Les travailleurs agricoles meurent prématurément faute d'assistance médicale. La culture Africaine est méprisée, oubliée, détruite. Les langues sont déconsidérées et leur développement est freiné. La contribution de l'homme noir au développement de la culture humaine est réduite à zéro.

Les institutions en place ne sont que le perfectionnement du lourd appareil répressif pour mieux noyer les revendications légitimes des noirs. Un travail de sabotage sur l'échelle nationale est entrepris avec les prévisions d'une domination portugaise éternelle.

Les institutions réligieuses sont elles-mêmes dénaturées et épousent complètement la politique coloniale dont elles sont devenues de véritables auxiliaires tout dévoués.

Le Gouvernement SALAZAR craignant le développement d'un mouvement que les échos de la lutte libératrice des autres coloniaux viennent stimuler, en même temps qu'il renforce son appareil répressif policier militaire (LA FIDE, sorte de Gestapo) cherche à empêcher le contact des peuples qu'il domine avec le monde extérieur. De là leur position à l'O.N.U. qui nie que les Colonies soient des Colonies, de là aussi leur participation active à des Conférences et à des coalitions avec d'autres pays qui possèdent des Colonies en Afrique, afin de coordonner la défense commune de leurs positions colonialistes respectives et la répression des mouvements de libération, de là enfin, les efforts développés par les théoriciens Salazaristes dans le sens de la mobilisation idéologique de certains

10.510.000 habitants; de ce total 10.214.151 figurent comme "non évolués". Ce chiffre donne une idée exacte de ce que représente l'action soi-disant "Civilisatrice des Colonialistes Portugais durant 5 siècles de domination.

Depuis 5 siècles les Portugais sont maîtres en ANGOLA, au Mozambique, en Guinée, au Cap-Vert et au Saô Tome. Cette longue période suffit largement pour étudier la vie des peuples autochtones et de leur apporter des progrès considérables, mais cela n'a jamais figuré dans les plans des Colonialistes Portugais. Se retranchant derrière le fumiste argument, selon lequel, ils ne pratiquent pas de discrimination raciale, les maîtres-esclaves Portugais ont établi le plus violent système colonial d'exploitation. Les Statuts "d'indigenato" et "d'assimilacaô" ne dissimulent rien d'autre qu'une version Portugaise de l'apartheid Sud-Africain.

La Conférence d'Accra a révélé que les peuples Africains sous domination portugaise vivent sous un régime colonial fasciste et sont privés des droits humains et démocratiques les plus élémentaires.

La pénétration accrue du capital monopoliste et des trusts impérialistes aux Colonies, a accentué encore la politique d'exploitation et de pillage dans les Territoires Africains sous domination portugaise. L'utilisation des ressources hydro-électriques et les travaux d'hydraulique agricole en cours ou en perspective, le développement des ports et des Chemins de Fer n'ont pas d'autre but. Il en est de même de l'élargissement des exploitations et des recherches minières et pétrolifères en ANGOLA, et au Mozambique au profit de grands trusts portugais et de leurs complices.

Dans ces conditions, parallèlement à l'appauvrissement et à l'épuisement des travailleurs agricoles, on note une augmentation constante des profits des grands monopoles coloniaux, lesquels atteignent souvent des sommes fabuleuses. C'est le cas par exemple de la fameuse Compagnie des Diamants d'ANGOLA "LA DIAMANG" qui tient en esclavage et exploite le travail de 50.000 Angolais et dont les profits sont passés de 211.200 MILLIONS d'escudos en 1951 à 340.401 MILLIONS d'escudos en 1955. La Compagnie Charbonnière de Mozambique qui a à son service 2.000 travailleurs indigènes, a obtenu en 1956, 24.000 MILLIONS d'escudos de profits et sa production, de 16.000 tonnes en 1946, est passée à 170.000 tonnes en 1956. Plus de 700.000 noirs sont annuellement maintenus sous le régime des travaux forcés en ANGOLA.

Nul n'ignore d'ailleurs que le Mozambique et l'ANGOLA,

ANGOLA

Dans le procès de désagrégation du système colonial, de l'impérialisme et de formation de nouveaux Etats Indépendants Africains, quelle est la situation présente des Colonies Portugaises qui couvrent une superficie supérieure à 2 MILLIONS de kilomètres carrés, et ont une population de plus de 10 MILLIONS d'habitants ?

Quel est l'état d'évolution des peuples de ces Colonies, de développement d'un mouvement national et quelle est la position du Gouvernement Portugais sur ces problèmes ?

Ces questions sont souvent posées depuis l'Admission du Portugal à l'O.N.U. Et le Gouvernement SALAZAR se contente d'y répondre: "Le portugal ne connait aucun problème colonial, dans les Territoires Portugais d'Afrique, il n'y a aucune sorte de colonialisme, puisque, d'après la Constitution Portugaise, le portugal n'a pas de Colonies".

Il est vrai que devant l'évolution générale du système colonial, le Gouvernement SALAZAR s'est empressé d'introduire en 1950 des changements dans la Constitution et de décréter purement et simplement que les Colonies Portugaises n'étaient plus des Colonies et devenaient des "Provinces d'Outre-Mer".

Mais cette Comédie n'apporte évidemment aucune solution. Les Colonies et les peuples coloniaux n'ont pas cessé de l'être parce qu'un décret a été publié.

Dans les Colonies Portugaises d'Afrique, aucun changement n'a été apporté au retard séculaire des peuples qui y vivent, pas plus qu'à l'oppression et à l'exploitation coloniale dont les habitants sont victimes, par le fait que ces Territoires sont à présent désignés comme "Provinces".

Les Colonies Portugaises sont parmi les plus anciennes du continent Africain. La présence portugaise date de la seconde moitié du XVème siècle, il y a donc 500 ans. Or, l'ANGOLA, dont la population indigène est d'un peu plus de 4.000.000 de personnes, ne compte parmi celles-ci, d'après les statistiques officielles que 290.000 personnes considérées comme évoluées, dont plus de 280.000 personnes sont de race blanche. Au Mozambique, la situation est encore plus impressionnante, puisque sur une population de 6.000.000 il n'y a que 4.349 Africains qui soient déclarés évolués. Enfin, en GUINEE sur 510.000 habitants, 1.500 seulement sont rangés parmi les évolués. L'ensemble de ces trois Colonies Africaines, selon les statistiques est peuplé par

LE SOUDAN A DEUX KEITA

Le premier *Modibo Keita*, est le plus connu. Président du Conseil du Soudan, vice-président de la Fédération du Mali - Soudan-Sénégal -, c'est ce géant à la parole douce que l'on a vu récemment à l'Elysée, en compagnie des autres chefs de la Communauté. C'est lui qui a formulé les inquiétudes les plus vives quant à l'explosion d'une bombe A française au Sahara ; c'est lui qui, avec le plus d'insistance, parle d'indépendance pour le Mali.

Le second se nomme *Maderia Keita.* Il est le cousin de Modibo et son ministre de l'Intérieur au sein du gouvernement du Soudan. A ce titre, et lui aussi en vue d'un referendum pour l'indépendance, *il a mis sur pied un encadrement rigoureux des masses populaires.* L'Union Soudanaise, le parti des deux Keita, a implanté une section dans chaque ville du Soudan, une cellule dans chaque village, un délégué dans chaque entreprise, dans chaque école. Ainsi, les Keita rallieraient-ils aisément 90% des voix.

Madeira a quarante-deux ans. Ancien secrétaire général du R.D.A. de Guinée, il fut expulsé du territoire en 1951 pour activités anti-françaises. De son passage à Konakry, *il conserve des liens d'amitié très étroits avec Sékou Touré.* C'est lui qui représentait le Soudan au récent congrès du parti démocratique de Guinée, qui se déroula à Konakry en présence de très nombreuses délégations des démocraties populaires et de l'U.R.S.S.

Si Madeira pousse Modibo à réclamer l'indépendance pour 1960, il est lui-même *poussé par les étudiants de Bamako*, très sensibles aux influences de l'Est. Ces jeunes gens se consolent mal de n'avoir pas eu à prendre le maquis contre les Français. L'évolution pacifique de l'Afrique noire les contrarie. Ils rêvent d'une indépendance conquise dans le sang.

Madeira ne se laissera pas déborder par les extrêmistes. Mais *déjà, à travers tout le Soudan la campagne pour un referendum à 90% de "oui" pour l'indépendance est engagée.*

NAHDATU IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.
2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.
3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.
2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

Subsciptions should be sent to :

Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.

Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture

Editor in Chief
M. ABD EL AZIZ ISHAK

من النحت الافريقى

3rd. Year

Issue No. 25 December 1959

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- [illegible] AFRICAN CONGRESSES
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

30 Milliemes

السنة الثالثة — يناير ١٩٦٠ — (العدد ٣٦)

نهضة افريقية

في هذا العدد

- ثعالب في افريقية
- المملكة المغربية
- كفاح الصومال
- اول رحلة حول افريقية
- نقد الكتب
- كتاب الشهر

الثمن ٣ قروش

« احتفال ديني في نيجيريا »

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ـ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع احمد حشمت ـ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

نهضة افريقية

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

فى مطلع هذا العام تحقق أمل كبير من آمال افريقية . ففى أول يوم فيه تحقق استقلال ((الكمرون)) وأصبح شعلة مضيئة فى غرب القارة بعد أن ظلت المنطقة مظلمة أمدا طويلا . ذلك لأن النور الحقيقى الآن فى كل بلد هو نور الحرية !

وقد تقلب ((الكمرون)) بين عدة ألوان من السياسات ، والضغوط فبعد أن كان سعيدا فى ظلال الحرية يتنفسها فى الهواء ، وفى نفسه . أصبح بضربة عنيفة من ضربات الغدر محمية ألمانية فى الفترة بين عامى ١٨٨٤ ، ١٩١٤ ثم نراه بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى منشطرا الى قسمين يحتل أولهما انجلترا ، ويحتل الثانى فرنسا . ثم نراه أخيرا تحت اشراف ((عصبة الأمم)) ثم كانت الحرب العالمية الثانية ، وكان الجنود الكمرونيون وقودها ، والرماد المحترق الذى يمر عليه الانتصار بعد ذلك . وكانت الثمرة المرة التى جناها الكمرون هى وضعه مرة ثانية تحت وصاية الامم المتحدة .

والكمرون يعتبر من البلاد الغنية الخصبة التى يمكنها أن تلعب دورا هاما فى الاقتصاد الافريقى . ان شعبها ليس خمسة ملايين من البشر ، ولكنه خمسة ملايين أمل ، وشعلة على الطريق الأسود الكبير : طريق افريقية !

((عبده بدوى))

محتويات العدد

	صفحة
ثعالب فى افريقية :	
للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق :	٣
كفاح الصومال :	
للدكتور جلال يحيى	٧
المملكة المغربية :	
للدكتور على ابراهيم عبده	١٨
نقد الكتب :	
للأستاذ عبده بدوى	٢٥
أول رحلة بحرية فى افريقية :	
للأستاذ مصطفى الشهابى	٣٤
المغرب فى صور :	
شخصية العدد :	
للأستاذ محمد فهمى	٤٣
كلمات وصور :	
رواندا ــ اوراندى :	
للأستاذ بهجت الدسوقى	٥٦
من القصص السودانى :	
للأستاذ عباس خضر	٦٠
الفدائيون :	
للأستاذ سمير سويلم	٦٣
بول روبنسون :	٦٥
كتاب الشهر	٦٧
للأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم	

ثعالب في افريقية

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

خرج « الأسد البريطانى » منتصرا فى الحرب العالمية الاخيرة ، ولكن أنيابه تهشمت فى « دنكرك » و « الفلاندر » و « آرنهيم » وفى « هونج كونج » و « سنغافورة » .. وما كاد يقتسم هو وحلفاؤه مغانم النصر حتى اشتبك فى صراع مرير مع مستعمراته الآسيوية ، وكان أن خرج من الصراع ، وقد تثلمت مخالبه وأصابه الهزال . ومع ذلك فقد ظل يختال و « يهز ذنبه ! » فى افريقية الى أن دخل « مغامرة السويس ! » ..

وخرج من المغامرة ، وقد اعتصر ذنبه والتوى ، ولم يعد يصلح حتى للزهو والخيلاء ! ، وانتفضت المستعمرات الافريقية ، الواحدة تلو الاخرى ، فحاول الاسد أن يكابر ، ولكن العقلاء من فوق نصحوا له بأن يهادن ويساوم ويتنزل من تخيلات « الامبراطورية » الى واقع « الكومنولث » ..

هذا هو التصوير التاريخى المبسط لنشاط الاسد البريطانى فى السنوات الاخيرة ، ذلك النشاط الذى بدأ بالزئير فى وجه « أوغندا » و « ساحل الذهب » و « نيجيريا » و « كينيا » ، وبالتهديد والوعيد فى « سيراليون » و « تنجانيقا » و « زنجبار » و « الروديسيات » ، ثم انجلى التهديد والوعيد عن استقلال « ساحل الذهب » و « نيجيريا » ووعد « سيراليون » و « أوغندة » بالحكم الذاتى تمهيدا للاستقلال القريب ، والاقتناع بانشاء حكومة يغلب عليها الطابع الافريقى فى « تنجانيقا » والتمهيد للتراجع فى « نياسالاند » .

ومنذ أسابيع طار السيد **«ماكلويد»** وزير المستعمرات البريطانى ، وجال فى أنحاء « الامبراطورية السابقة » تمهيدا لجولة رئيس الحكومة البريطانية الذى صرح قبل أن يقوم بجولته بأنه ذاهب الى افريقية « لينصت الى مطالب الشعوب » ، كأنما كانت « مطالب الشعوب » غامضة ، وأصواتها خافتة ولهيب كفاحها غير مبين ! ...

مهما يكن من شىء فقد جاء **« مستر ماكميلان »** الى افريقية ، وهو لا يرتدى **« فروة الاسد »** وانما جاء وفى يده « غصن الزيتون » يلوح به للدكتور **« أنكروما »** ويرجوه أن يترفق ب « رمز الامبراطورية » و « رأس الكومنولث » وأن لا يتعجل باعلان الجمهورية فى غانا ، والاقتصار مع بريطانيا ، على العلاقات الثقافية والاقتصادية ...

وهو يأمل فى أن يوصى زعماء نيجيريا خيرا بشركة « شل » وأخواتها من ذوات الاحتكارات البريطانية التى تركزت فى أيديها خيرات البلاد ،

واستيرادها وتصديرها ، كما يأمل فى أن يقنع زعماء « أوغندا » بأن يقبلوا ما قبلته جارتهم « تنجانيقا » من انشاء حكومة « متعددة الأجناس » يغلب عليها العنصر الافريقى الى أن يأتى الله بالفرج فى العالم القادم ، حينما تجرى انتخابات جديدة ..

ولئن كان « مستر ماكميلان » يحمل فى جعبته الكثير من أغصان الزيتون الا أنه من المؤكد أنه لايدخر أحدها لاهالى«كينيا» و «الروديسيات» فان المتوطنين البيض الذين أعماهم التعصب يخوضون الآن ما يعتبرونه صراع موت أو حياة ، ولئن كان مستر ماكميلان على ثقة منذ الآن من نتيجة الصراع ، الا أنه لا ينتظر أن يتخذ موقفا يتفق والعدالة ازاء ذلك الصراع .

وفى الوقت الذى يتظاهر فيه « مستر ماكميلان » بالعطف على أمانى الشعوب الافريقية نراه يستثنى — بصراحة — شعب جنوب افريقية ، ويضرب صفحا عما تلاقيه كثرة الاهالى الساحقة من عسف الاقلية البيضاء ، ذلك العسف الذى اهتز له الضمير العالمى ، وأدانته — مرارا هيئة الأمم المتحدة ، وتحرك ، لفظاعته ، قطاع كبير من الشعب البريطانى ..

وللمستر « ماكميلان » فى ذلك حجة تقليدية ، تتلخص فى أنه يعتبر « اتحاد جنوب افريقية » بلادا مستقلة وعضوا مع بريطانيا ، على قدم المساواة ، فى الكومنولث ، وأنه لذلك لا يجد من اللياقة أن يتحدث مع مضيفيه فى شئونهم الداخلية .. !

.. وكأن محنة الملايين من الافريقيين فى ذلك « **الاتحاد** » اللعين لم تأت على يدى بريطانيا التى وضعت أسس التفرقة العنصرية هناك ، والتى هيأت لحكام« الاتحاد » أن يدوسوا بأقدامهم على رقاب السود ، ثم رحبت بهؤلاء الحكام « أعضاء على قدم المساواة فى الكومنولث البريطانى » ..

وليست هذه المراوغة غريبة عن الحكام والساسة البريطانيين ، فان لحكومة « المستر ماكميلان » مواقف لا تقل غرابة ازاء زعيم كينيا « **جومو كينياتا** » ، وازاء الدكتور « **باندا** » زعيم نياسالاند . ذلك أن « **جومو كينياتا** » قد حكمت عليه محكمة بريطانية بالسجن (عام ١٩٥٢) بتهمة تشجيعه وتحريضه لحركة « **ماو ماو** » . وقد بنت المحكمة حكمها على أساس شهادة أدلى بها أحد الاهالى من ذوى الصلة الحميمة بالمتوطنين البيض ، ولم تستمع المحكمة لتجريح الدفاع لذلك الشاهد ، وأرسلت الزعيم الوطنى الى السجن حيث قضى مدة العقوبة ، وهى سبع سنوات . ولما أفرج عنه (عام ١٩٥٩) رأى الحاكم البريطانى أن يفرض عليه عقوبة جديدة (لا نهائية) هى عقوبة النفى ، وأرسل به فعلا الى معسكر اعتقال صحراوى

وفى الوقت الذى أصدر فيه الحاكم قراره تيقظ ضمير الشاهد فى القضية فأعلن أن شهادته كانت مغرضة ومزورة وأنه تقاضى عنها مبلغا من المال وحصل على بعثة دراسية الى بريطانيا . وحوكم الشاهد على « يقظة ضميره » واعترف مرة أخرى بأنه ظلم « جومو كينياتا » حينما قرر أنه يحرض الـ « ماو ماو »

وقضت المحكمة بحبس الشاهد ، وأصبح من أوضح الامور ، للعالم أجمع فضلا عن ((مستر ماكميلان)) وحكومته أن ((جومو كينياتا)) ـ قد سجن ظلما وأنه الآن قد اعتقل ظلمـا ، وكانت أبسط مظاهر العدالة تقضى بأن يفرج الحاكم البريطانى فى كينيا عن الزعيم الوطنى ، وأن يعيد اليه اعتباره .

ولكن ((مستر ماكميلان)) ـ الذى يزور افريقية ليتحرى الحقائق ـ ((لم تعجبه هذه الحقيقة الدامغة)) ..

وهذا نفسه هو ما حدث فى نياسا ..

لقد اتهم الحاكم البريطـانى زعيم نياسا ((**الدكتور باندا**)) بأنه حرض الاهـالى على ارتكاب أعمال العنف ، ولكنه لم يقدم للمحاكمة ، فان المحاكمة قد تستدعي ايجاد شهود (ولو شهود زور) بل أرسل به الى السجن رأسا ، وثار شعب نياسا احتجاجا ، وغضبت معه شعوب افريقية ، وأثيرت مسألته على نطاق دولى ، وتحركت ((المعارضة)) فى بريطانيـا ، واضطرت حـكومة ((المستر ماكميلان)) الى أن ترسـل ((لجنة تحقيق)) الى ((نياسا)) لاستجلاء الحقائق . ولم تجد اللجنـة بدا من الاقرار بالحقيقة ، وهى أن الزعيم السجين لم يثبت أنه حرض على العنف ، وهكذا ثبت بشهادة مبعوثى ((المستر ماكميلان)) أنفسهم أن الدكتـور ((باندا)) برىء وأن اعتقاله ظلم وطغيان . فماذا يفعل المستر ماكميلان ؟

هـل يغضب الحق والعـدل ؟ أو يغضـب المسـتوطنين البيض فى ((نياسالاند)) .. ؟

لقد كان الجواب هو استمرار بقاء الدكتور ((باندا)) فى معتقـله حتى الآن .. !

ومن قبل هذه الجولة ((**الثعلبانية**)) التى يجولها ((المستر ماكميلان)) فى افريقيـة ، جاء ملك بلجيكا على أثر حوادث الاضطرابات التى نتجت عن قرار مقاطعة الانتخابات البلدية ، فى الكونغو البلجيكى .

وقد جاء الملك بنفسه ((ليطمئن)) أهالى الكونغو على مستقبلهم ، وليؤكد لهم أن حكومته سوف ((تتدرج)) بهم الى الحكم الذاتى فى خلال أربع سنوات ولـكن ... هل اقتنع الـكونغيون الوطنيون ((**بحسن النيـة**)) وروح التودد التى جاء بها الزائر الملكى .. ؟

لقد كان جواب الكونغيين قاطعـا وحاسما فقد انعقد فى ((ليوبولدڤيل)) مؤتمر عام للاحزاب الوطنية برياسة الزعيم ((جوزيف كازاڤوبو)) رئيس حزب ((أباكو)) وقرر المؤتمر المطالبة بالافراج فورا عن الزعيم ((**لومومبا**))

الذى اعتقل على أثر حوادث « ستانلي ڤيل » ، كما قرر التفاوض مع الحكومة البلجيكية على أساس واحد هو « تسليم السلطات فى الكونغو الى حكومة وطنية فدرالية » ، وجاء فى البيان الختامى الذى أصدره المؤتمر : « اننا نرفض كل المفاوضات العقيمة التى بشأن العلاقات بين الكونغو وبلجيكا ، قبل أن تتألف هذه الحكومة الوطنية » .

وهكذا أسفرت رحلة الملك البلجيكي « لاستجلاء الحقائق وتهدئة الخواطر » عن وحدة الصف الوطنى الكونغى ، واصراره على الاستقلال الناجز ...

اما الشريك الاستعمارى الثالث ، ونعنى به « الجنرال ديجول » فقد سبق زميليه الى افريقية ، وطاف بها من « موريتانيا » الى « جابون » ، وفى خلال رحلته « وافق » على استقلال « اتحاد مالى » وبارك رغبة « موريتانيا » فى الاستقلال ، ونظر بعين الرضا الى مشروع اتحاد مستقل يضم « ساحل العاج » و « النيجر » و «داهومى» و « ڤولتا العليا » وأعلن أنه لا يعترض على الحركات التحررية الوطنية الرامية الى « الاستقلال » ما دامت هذه الحركات لا ترمى الى « الانفصال التام » عن « الجماعة الفرنسية » .

وهكذا اضطر « ديجول » الى قبول « الموت البطىء للامبراطورية الفرنسية ، والاعتراف الضمنى بأن فرنسا أضعف من أن تصمد للمد القومى الذى اجتاح الاقاليم الافريقية الشاسعة من « داكار » الى « برازاڤيل » ..

ومن وراء هؤلاء السادة يحاول « الدولار » و « الكتاب الامريكى » أن يمهد الطريق لنفوذ « العم سام » و « شركاته الاحتكارية » و « قواعده العسكرية » وما من شركة كبرى تبحث الآن عن البترول أو تنقب عن المعادن فى « الجزائر » أو « ليبيريا » أو « نيجيريا » أو « الكاميرون » أو « الكونغو » الا ورأس المال الامريكى يقف من ورائها . وما من فرصة تسنح لعقد الاتفاقيات العسكرية الا وحكومه الولايات المتحدة تنتهزها (كما حدث مؤخرا فى ليبيريا) ، والغاية من ذلك فى منتهى الوضوح ، ألا وهى ربط الحركات الوطنية الافريقيه — التى تقوم فى كثير من البلدان على أساس النشاط النقابى « بعجلة الغرب » واخضاعها لسياسة الدولار .

ولئن لقيت هذه المحاولات بعض النجاح واستطاعت أن تجتذب بعض القادة النقابيين الافريقيين ، الا أنه لن يمضى وقت طويل قبل أن ينكشف هؤلاء القادة ، ويسقطوا من أعين مواطنيهم ، وتتبرأ منهم النقابات الافريقية الوطنية ..

وقد كان آخر المفاجآت السيئه للاستعمار وثعابيه ما أعلنه وزير خارجية « كوبا » لدى زيارته للقاهره من الاتجاه الى عقد مؤتمر اقتصادى « اسيوى — افريقى — لاتينى » يضم دول آسيا وافريقيه وأمريكا الجنوبيه (اللاتينية) لكى تنسق هذه الدول — التى اصطلح الاستعمار على تسميتها بالدول المتخلفة — جهودها ومواردها الاقتصادية ، بحيث تتعاون تعاونا حرا على الاستفادة بتلك الموارد لرفع مستوى معيشتها ، وبناء اقتصادها ، على أسس سليمة خالصة من الاحتكار والاستغلال .

واذا علمنا أن عدد سكان هذه المنظمة الجديدة يزيد على ثلثي سكان العالم أدركنا مدى أهمية المؤتمر لمستقبل الشعوب الناهضة ، ونضالها فى سبيل التحرر والاستقلال .

كفاح الصومال

للدكتور جلال يحيى

يمكننا أن نعتبر الصومال من أكثر الشعوب عشقا للحرية والاستقلال فى العالم . ويمتلىء تاريخ هذا الشعب بصفحات مجيدة متتالية من الكفاح من أجل حريته ووحدته واستقلاله. ويستعد الصومال مرة جديدة الآن لخوض معركة حاسمة من أجل مبادئه التى اعتنقها وسرت فى دمائه منذ أقدم العصور .

ان شعب الصومال يتكون من امتزاج الافريقيين فى شرق القارة باخوانهم العرب فى جنوب الجزيرة ، ولقد تم هذا الامتزاج على مراحل مختلفة فى العصور القديمة ، وفى العصور الاسلامية ، وفى العصور الحديثة . ونشأ عنه ذلك الشعب الافريقى الأبى الذى يعتز الآن بافريقيته اعتزازه باسلامه وبدمائه العربية .

ولقد اشترك شعب الصومال فى بداية عصر النهضة فى تلك المعركة التى قامت بين الشرق والغرب للسيطرة على طرق التجارة العالمية، ومحاولة الغربيين انتزاعها من أيادى سكان الشرق الأدنى العربى مشاركة فعالة ، ووقف فيها الى جانب اخوانه المرتبطين به بروابط الدم والدين والمصلحة ، وقام بدوره على أتم وجه.

* * *

حاولت الدول الغربية تحويل طريق التجارة العالمية التى كانت تمر فى البحر الأحمر ومصر أو فى الخليج الفارسى وبلاد ما بين النهرين الى رأس الرجاء الصالح والمحيط الأطلسى . ووقفت البرتغال تهدد الشرق العربى فى مصالحه وأقواته . وأقامت قواعد لها حول القارة الافريقية ، تتخذها نقطا لتموين سفنها ، ولاصطياد أهالى افريقية لبيعهم فى أسواق الرقيق . واضطرت الدولة العثمانية فى ذلك الوقت الى الوقوف أمام أطماع البرتغاليين ، وعملت على تكتيل الشعوب العربية والافريقية والآسيوية، والوقوف بها فى جبهة متحدة أمام محاولات الغرب . وكان شعب الصومال من بين هذه الشعوب التى لبت النداء ، خصوصا بعد أن رأى الطريقة الشاذة التى يعامل بها البرتغاليون أبناء افريقية ، وأبناء الشرق فى كل مكان .

وصل البرتغاليون الى مياه المحيط الهندى فى السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، وفرضوا حكمهم وسيطرتهم على موزمبيق ، وأذاقوا أهلها الأمرين . ثم دمروا كثيرا من مدن الساحل الشرقى الافريقى ، العربى الاسلامى . ووصلت جرائمهم الى موانىء الصومال المطلة على المحيط الهندى . وأعطوا لهذه الحرب صورة

الحروب الصليبية المعلنة على المسلمين، وأخفوا وراءها تلك الحرب الاقتصادية التي كانوا يهدفون من ورائها الى اخضاع الشرق لمصالح الغرب ، واخضاعه لتحكم القوى الاستعمارية الناشئة .

* * *

انضم أبناء الصومال الى هذه الحركة الوطنية الاسلامية ، التي قامت للدفاع عن حقوق أبناء البلاد ، والدفاع عن حريتهم امام الغزاة الأجانب ، ولكنهم فوجئوا بشعوب افريقية أخرى مجاورة لهم تعمل كمخلب القط في أيدي البرتغاليين . ورأوا تحالفا بين حكام الحبشة وأمراء البحر البرتغاليين، ورأوا الحبشة تقبل العمل مع الأجانب ضد مصلحة أبناء الاقليم الواحد ، وكأن الحبشة لم تفهم في ذلك الوقت خطر هذا الانقسام الاقليمي ، ولا خطر ازدياد النفوذ البرتغالي نفسه في بلادها .

اضطر أبناء الصومال اذن الى العمل والكفاح ضد هذا الاتجاه الجديد ، وأرسلوا جيوشهم لاعادة توحيد المعسكر الاقليمي والدفاع عن المصالح الافريقية الآسيوية أمام اعتداء الغرب. واستمرت الحرب سنوات طويلة وتمكن البرتغاليون من ارسال قواتهم الى الحبشة ، ومن الافادة من هذا الانشقاق في المعسكر الاقليمي ، الى أن فطن الأحباش الى ألاعيب البرتغاليين، وفطنوا الى محاولة فرضهم المذهب الكاثوليكي على الأحباش الأورثوذكس، فقاموا بدورهم في التخلص من البرتغاليين ، وان كان ذلك قد تم بعد أن مكنوهم من اضعاف القوى الاقليمية في شرق افريقية .

حافظ أبناء الصومال على حريتهم واستقلالهم ، وتعاونوا مع القوة العربية الناشئة في عمان ومسقط ، لهزيمة البرتغاليين ، وابعادهم عن المحيط الهندى . وشاركت أجزاء كثيرة من بلادهم في تلك الحضارة العربية الاسلامية التي واصلت ازدهارها ، وساعدت على تبادل التجارة والمنافع بين سكان السواحل المطلة على المحيط الهندى .

ولكن أخطارا جديدة بدت في الأفق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين تأهبت الدول الاستعمارية ، لافتتاح قناة السويس للملاحة ، وعودة خطوط التجارة العالمية الى ذلك الشريان الرئيسي : البحر الأحمر وخليج عدن الذي يحف بسواحل الصومال .

* * *

أخذ عملاء الدول الأجنبية ، من انجليز وفرنسيين وايطاليين ، في دراسة سواحل الصومال . وشرعوا في اعداد وثائق يقدمونها الى الشيوخ المحليين ، ويشترون بها قطعا من الأرض تمكنهم من الاستناد اليها فيما بعد وتسليمها الى حكوماتهم الأوروبية لاتخاذها قواعد للملاحة ومحطات للسفن ومراكز للاستعمار في شرق القارة . رأى أبناء الصومال هذا النشاط الاستعماري الأوروبي ، وشعروا بخطورته على بلادهم . وكان هذا سببا رئيسيا في ترحيبهم بقدوم المصريين الى بلادهم ، وباتحادهم مع تلك الامبراطورية الافريقية التي أنشأتها مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، لتقف بها سدا

* * *

منيعا أمام اعتداء الأوروبيين على الحقوق الإقليمية ومصالح أبناء البلاد.

* * *

اثبتت هذه التجربة أن روابط مختلفة تربط ما بين الافريقيين ، وأنه من السهل اقامة وحدة اقليمية تساعد على الأخذ بيد الضعيف واعطائه حقوق أخيه القوى نفسه ، وتسوى بين الجميع فى الالتزامات . ورأت بلاد الصومال فى هذه الفترة مرحلة مجيدة من مراحل تاريخها القومى المرتبط بالوحدة وبآراء الاتحاد الافريقى . وأصبحت موانىء زيلع وبربره تفخر بما أنشىء فيها من مشروعات عمرانية، وتتباهى بنفسها على غيرها من المدن . ولكن القوى الاستعمارية تدخلت ، ومنعت انضمام بقية بلاد الصومال الى هذه الوحدة ، وخصوصا المناطق الصومالية المطلة على المحيط الهندى ، فنجد أن انجلترا تدعى خضوعها لسلطان زنجبار ، وتصربذلك على تقسيم المناطق الصومالية بين أكثر من سيادة . وكانت انجلترا فى حقيقة الأمر تخشى وصول المصريين الى المحيط الهندى ، وتخشى قيام وحدة بالفعل بين شعوب وادى النيل وهضبة البحيرات والشعوب الصومالية .

* * *

لم يمض وقت طويل حتى تنكرت انجلترا لهذه الامبراطورية الافريقية، وشعرت بضرورة سيطرتها على ساحل الصومال الشمالى المواجه لقاعدتها فى عدن ، لضمان حصول هذه القاعدة على ما يلزمها من مواد تموينية وخضر ولحوم ، فعمدت الى الاستيلاء على هذا الاقليم ، بالرغم من معارضة الأهالى لهذه السياسة الاستعمارية ، ورفضهم قبول الحماية البريطانية ، أو ترك الانجليز ينزلون فى البلاد .

ولكن انجلترا تهيأت للأمر واستعدت للعمل ، وتعاونت فى ذلك قوات عدن البريطانية مع سلطات الاستعمار البريطانى فى الهند . وفرضت الحماية البريطانية على هذه المنطقة تحت تهديد نيران مدفعية الأسطول . وساعد انجلترا على ذلك عدم قدرة مصر على الحركة فى هذا الوقت ، بعد ان احتلتها القوات البريطانية ،وأعادت سلطة الخديوى الرجعية التحكم فى أبناء البلاد .

* * *

احتفظت انجلترا بالعلم المصرى مرفوعا على زيلع فترة من الوقت ، حتى لا تثير بذلك مشكلات مع تركيا او مع المانيا ، خصوصا وأن هذه الدولة الأخيرة حاولت استخدام التوسع البريطانى فى الصومال كنقطة للضغط على بريطانيا ، وللمساومة من أجل اعتراف لندن بالنفوذ الألمانى فى تنجانيقا . فلن تتمكن انجلترا من رفع علمها على هذه المناطق الا بعد أن تسوى مشكلاتها مع المانيا ومع فرنسا بخصوص المسائل الاستعمارية .

كان هذا هو أول جزء تقتطعه احدى الدول الاستعمارية من جسد الصومال، وترسل اليه بجنودها ، وتضعه فى خدمة مصالحها الاستعمارية ، ومجالا لاستغلال موارد الصومال البشرية والاقتصادية ، وتسخيرها لخدمة الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ! .

وجاءت فرنسا أيضا تحاول الحصول على بعض أراضى الصومال ، مساهمة

منها فى تقسيم الأسلاب ، فاستندت فى ذلك الى عقد كانت قد اشترت به فى عام ١٨٦٢ قطعة من الأرض أمام بوغاز باب المندب ، المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . ادعت فرنسا أن الأراضى المحيطة بأبك تابعة لها ، وأخذت فى الاتصال ببعض الشيوخ المحليين ، وأغرتهم على بصم بعض العقود ببصماتهم ، اتماما لعملية توسعها الاقليمى . وادعت فرنسا ، أمام انجلترا ، أنها تقوم بنفس ما تقوم به هذه الدولة فى أجزاء أخرى من بلاد الصومال . وحينما احتجت الدولة صاحبة السيادة على هذه الألاعيب المكشوفة ، ردت عليها فرنسا بضرورة توجيه اللوم أيضا الى انجلترا .وبالرغم من وجود تنافس واضح بين هاتين الدولتين الاستعماريتين الغربيتين ، فان الدولة العثمانية لم تفد من ذلك، وفشلت فى الحصول على حليف جديد يمكنه أن يقف معها فى وجه هاتين الدولتين الاستعماريتين معا .

ولقد حاولت كل من فرنسا وانجلترا أن تصلا الى اقليم هرر الصومالى فى الداخل . فحاولت فرنسا السيطرة عليه ، وتثبيت أقدامها فى هذه المنطقة الهامة من افريقية ، والوصول بالتالى الى مناطق الجالا ومناطق شوا الغنية بمواردها . ولكن انجلترا عملت على منع فرنسا من الوصول الى هذه المناطق ، وتركها تحت حكم الشيوخ المحليين ، الى أن قام منليك ملك شوا ، فى جنوب الحبشة ، باحتلالها سنة ١٨٨٧ واخضاع أهلها لحكمه الاقطاعى .

أما بقية سواحل الصومال المطلة على المحيط الهندى ، فانها قد ابتليت باحتلال ايطالى ، رتبت خطته أثناء اقامة الحصار البحرى على سواحل زنجبار بين أساطيل كل من انجلترا والمانيا وايطاليا . وكانت انجلترا تخشى غضب المانيا عليها فى شرق افريقية ، وفى الأجزاء الجنوبية من سلطنة زنجبار ، وكانت تعلم بصداقة ألمانيا لايطاليا . وجاءت هذه الدولة الأخيرة تعرض على انجلترا تحالفا مشتركا فى البحر المتوسط ، فاقتربت هذه الدول الثلاث فى مصالحها وخططها ، وتركت ايطاليا لكى تتوسع فى موانىء الصومال المطلة على المحيط الهندى والواقعة الى شمال قسمايو ، عند مصب نهر جوبا .

وهكذا اقتسمت الدول الأوروبية الاستعمارية سواحل بلاد الصومال فيما بينها ، وسيطرت كل من ايطاليا وانجلترا وفرنسا على أجزاء مختلفة منه ، كما سيطرت شوا على اقليم هرر الداخلى . حقيقة أن الدوافع التى دفعت كلا من هذه الدول الى اقتطاع أجزاء من بلاد الصومال كانت مختلفة عن الدوافع التى دفعت الأخرى . فكانت فرنسا تعمل على الوصول من «أبك» و « جيبوتى » الى موانىء داخل القارة. أما انجلترا فكانت تحاول ضمان حصولها على تموين قاعدتها الاستراتيجية فى عدن . وأما ايطاليا فانها كانت تحلم بعودة الامبراطورية الرومانية القديمة، وتحلم بارسال الايطاليين للاستيطان فيما وراء البحار فى حماية العلم الايطالى . وأما منليك ملك شوا ، فانه عمل على توسيع حدود دولته ، وعمل على انشاء امبراطورية كبيرة له، يسيطر عليها ، وتخدمه فى الاستيلاء

على عرش الإمبراطورية من يوحنا الرابع ملك الأمهرا .

وعلى العموم ، فقد رأى أبناء « الصومال » بلادهم مقسمة بين الأجانب من كل اتجاه ، فأثار هذا في نفوسهم الرغبة الكامنة في الكفاح لتخليص بلادهم ، ولانتزاع حقوقهم ، ولاستعادة حريتهم التى لايرتضون بها بديلا .

* * *

إحتلت القوات الاستعمارية الأجنبية أطراف البلاد الصومالية من كل جانب ، فاحتلت القوات الفرنسية والانجليزية والايطالية منطقة السواحل بينما اقتطعت هرر من جسد الصومال . ولكن سلطة البلاد الاستعمارية لم تكن ثابتة الا في المناطق التى تتمكن من البقاء فيها تحت حماية مدفعية الأساطيل ، وفى منطقة هرر الداخلية . وظلت القبائل الصومالية محتفظة باستقلالها ، دون أن يجرؤ أحد على التوغل في الداخل ، أو يضعها تحت سلطته . وكان من الضرورى لهذه الدول الإستعمارية ، طبقا لاتفاقية برلين سنة ١٨٨٥ ، أن تخضع مستعمراتها لسلطتها الفعلية . ولكن هذا الأمر لم يكن هينا بالنسبة للصومال ، وان كانت الدول الاستعمارية قد عملت على تقسيمه الى مناطق نفوذ بينها ، انتظارا لليوم الذى تتمكن فيه من بسط سلطانها على المناطق التى اعترفت بها الدول الأخرى داخل نطاق نفوذها . فاتفقت فرنسا مع انجلترا على خط للحدود ، يسير من رأس جيبوتى حتى جلديسا وهرر ، ويفصل ساحل الصومال الفرنسى عن منطقة الصومال البريطانية ، وكان هذا فى عام ١٨٨٨ .

وفى العام التالى ، قامت ايطاليا بعقد اتفاقات متعددة مع شيوخ الصومال فى المنطقة المطلة على المحيط الهندى ، وعقدت معاهدة مع منليك ، ملك شوا ، فى أوتشالى ، اعترفت فيها به امبراطورا على الحبشة واستندت الى المادة السابعة عشرة منها ، وادعت أن امبراطورية الحبشة ، بما فيها هرر الصومالية ، قد أصبحت تحت الحماية الايطالية . واعترفت الحكومة البريطانية فى عام ١٨٩١ بكل مناطق الارتريا والحبشة والصومال مناطق نفوذ ايطالية ومحددة بخط يبدأ من شمال الاريتريا غربا صوب كسلا فى السودان ، ثم جنوبا بين الحبشة والسودان الى أن يتجه شرقا وينتهى على المحيط الهندى عند مصب نهر جوبا .

اصبحت كل هذه المنطقة اذن تابعة لايطاليا من الناحية الدولية ، دون أن يكون لهذه الدولة فيها أية سلطة أو أى نفوذ مباشر . ثم قامت المفاوضات مرة جديدة بين ايطاليا وفرنسا من ناحية ، وبين ايطاليا وانجلترا من ناحية أخرى لتحديد مناطق النفوذ التابعة لكل من هذه الدول فى بلاد الصومال . ولقد فشلت المفاوضات الايطالية الفرنسية نتيجة لرفض الفرنسيين قبول مبدأ تطويقهم من الغرب بمنطقة نفوذ ايطالية ، وكانوا يسعون الى مد نفوذهم الى داخل القارة ، والى قطعها بين شرق وغرب مع مستعمراتهم فى غرب افريقية . أما المفاوضات الانجليزية الايطالية ، فانها قد تمت فى عام ١٨٩٤ باتفاقية حددت أراضى الصومال الخاضعة

لانجلترا ، وتركت بقية الأقاليم الداخلية باعتبارها منطقة نفوذ ايطالية .

* * *

نشأت المشكلات بعد ذلك بين ايطاليا ومنليك الذى رفض الاعتراف بأية حماية ايطالية على بلاده . وبدأت المناوشات ، وتطور الأمر الى حرب انتهت بهزيمة الايطاليين فى «عدوة» ، وفقدهم لمدفعيتهم ، والقضاء على قواتهم العسكرية التى أرادوا بها اخضاع شرق افريقية . وفى ذلك الوقت قبلت فرنسا أن تحدد ساحل الصومال الفرنسى بخط يسير على بعد خمسين ميلا من الساحل . اما انجلترا ، فانها أسرعت بارسال قواتها لاعادة فتح السودان ، وأرسلت بعثة « سسل رود » الى الحبشة للمفاوضة مع منليك فى أمر وقف مساعدته للمهديين ، وفى أمر تحديد الحدود بين الصومال البريطانى وبين بقية الصومال الذى تركته للحبشة . واحتاجت انجلترا الى وعد من الأحباش بعدم مساعدة المهدية ، فاضطرت الى أن تكون « كريمة » معهم على حساب الصوماليين ، ونتج عن هذه الاتفاقية الجديدة ضم منطقة « الأوجادين» الى بلاد الحبشة . وهكذا تم تقسيم بلاد الصومال بين الدول الأجنبية ، المجاورة لها والبعيدة عنها ، وبدأت هذه الدول التأهب لاحتلال مناطق نفوذها فى بلاد الصومال ، تمهيدا لاستغلالها واستنزاف ثرواتها ومواردها الاقتصادية والبشرية . وكان هذا عاملا فعالا على قيام الصوماليين بالكفاح من أجل حريتهم واستقلالهم . وبدأوا بهذا صفحة جديدة ومجيدة فى تاريخ الكفاح القومى ، والكفاح الافريقى فى العصر الحديث .

* * *

اتحد أبناء الصومال ، ووقفوا صفا واحدا بقيادة السيد محمد عبد الله حسن ، المجاهد الافريقى ، **مهدى الصومال** . وتمكن هذا الزعيم من القضاء على الخلافات المحلية ، وعلى المشكلات الداخلية بين القبائل . كما نجح فى تكتيل أبناء الصومال فى حركة وطنية تحررية مجيدة ، اتخذ لها الحرية شعارا والاسلام دينا ، والكفاح والجهاد سبيلا . ودل ذلك على بعد نظر هذا الزعيم ، وعلى اختياره الأساس الصحيح الذى يمكن من تكتيل الشعب الصومالى وتعبئة موارده ، ورفع روحه المعنوى للقيام بحركته فى سبيل الله وفى سبيل الوطن .

أخذ مجاهدو الصومال فى مهاجمة مواقع القوات الاستعمارية قرب السواحل ، واستولوا منها على الأسلحة والذخائر اللازمة لمواصلة الحرب أمامهم . واعتمدوا على حركات الكر والفر السريع ، وعادوا بغنائمهم الى داخل البلاد ، دون أن تتمكن القوات الاستعمارية من تعقبهم أو السير فى أثرهم . واهتزت وزارات المستعمرات فى كل من لندن وباريس وروما ، وصفق لهذه الحركة ولهذا النجاح مسلمو العالم فى الهند والقسطنطينية والقاهرة . وكانوا حينئذ يعارضون جميعا فى دخول القوات الانجليزية السودان ، ورأوا فى ثورة الصومال تقوية للمعسكر الاسلامى المعادى للاستعمار .

اضطرت الحكومة البريطانية الى ارسال الحملة اثر الأخرى الى بلاد الصومال ، ولكن هذه الحملات كلفت الدولة أكثر مما حصلت عليه من نتائج. وفكرت انجلترا فى عقد هدنة مع الصوماليين ، وخشيت ايطاليا ضياع منطقة حكمها فى الصومال . وأخذت قوات المجاهدين تنتقل من الصومال الانجليزى الى الصومال الفرنسى ثم تعود لتهاجم المراكز القريبة من «هرر»، وتردف ذلك بهجوم خاطف على الصومال الايطالى . فبدأت ايطاليا بترتيب عقد هدنة مع مجاهدى الصومال ، ولكن ذلك لم يصرف هؤلاء الأحرار عن مواصلة الكفاح .

استمرت هذه الحرب وهذا الجهاد ما يزيد على عشرين عاما ، ذاق فيها المستعمرون الأمرين ، وأقسم فيها المجاهدون الا يتركوا أقدام الأجانب تطأ البلاد الا فوق أجسادهم. وتكتلت القوات الاستعمارية لكل من انجلترا وفرنسا وايطاليا . وتعاونت هذه القوات مع جيوش الحبشة لوضع حد لهذه الثورة المجيدة والقضاء عليها . وجاءت الحرب العالمية الأولى، فأعلن السيد محمد بن عبد الله حسن تأييده لاعلان الجهاد ضد الدول الاستعمارية التى تحكمت فى مسلمى الهند ومسلمى شمال افريقية ومسلمى وسط آسيا . وخشيت انجلترا تعاون مجاهدى الصومال مع العرب فى اليمن والألمان فى تنجانيقا ، فأسرعت الى حصار منطقة الثورة ، وارسلت الامدادات الجديدة لوقف امتدادها . ثم جاءت بطائراتها ، وتعاونت مع فرنسا وايطاليا اللتين أسرعتا بارسال قوات جديدة خبرت الحرب الأوروبية زودتها بأحدث الاسلحة الفتاكة . وبالرغم من ذلك ، واصل الصوماليون كفاحهم وجهادهم لمدة أربع سنوات بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، أمام قوات تفوقهم عددا وعدة وتدريبا . ولكن عامل الزمن تكاتف مع العوامل الاقتصادية على انهاك قوى المجاهدين الأحرار . وبدأت الغارات الجوية تحصد صفوفهم حصدا ، وهم لا يتسلحون الا بسيوفهم وحرابهم وايمانهم بقضيتهم وبدينهم . وتغلب الحديد والنار على صدور الافريقيين وحماسهم . وتمكن الغرب الاستعمارى من السيطرة على البلاد ، وبدأ استغلالها والسيطرة على مواردها ، وكأنه لا يعلم بأن الأبناء قد أقسموا على مواصلة كفاح الآباء ! .

* * *

اضطر الصوماليون الى الرضوخ انتظارا ليوم التحرر من سيطرة الأجنبى . وجاءت الحرب العالمية الثانية ، وانتهت بهزيمة ايطاليا . ومعها بصيص من النور يبشر باستقلال أحد أجزاء الصومال . ومرت القضية الصومالية بأطوار مختلفة فى الأمم المتحدة وفى المؤتمرات الافريقية والآسيوية ، وبين رجال الحكومات الاستعمارية الغربية. وظهر العالم منقسما بين معسكرين كبيرين - شرقى وغربى - يتهم كل منهما الآخر بمحاولة السيطرة على العالم ، ويتشدق هو نفسه بأنه لا يهمل الا على مساعدة الدول الضعيفة .

* * *

ازداد النفوذ الأمريكى فى افريقية بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تأزم علاقات هذه الدولة مع الكتلة الشرقية،

فأخذت الولايات المتحدة الأمريكية تبحث عن قواعد لها ، تنشئها على شكل شبكة كبيرة تمكنها من حرية الحركة وسهولتها فى جميع أنحاء العالم . وكان لمركز الصومال أهمية خاصة من الناحية الاستراتيجية لاكمال القواعد الموجودة فى الحبشة وفى عدن وفى نيروبى .

واهتم العالم الغربى بالبترول ، عصب الحرب الحديثة ، والمادة الأساسية لاستمرارها . كما اهتم بخطوط نقل البترول عبر المناطق العالمية المختلفة . وليس غريبا أن يكون فى الصومال بترول . كما أن الصومال يشرف من ناحية أخرى على المحيط الهندى وعلى خليج عدن ، ويتحكم بالتالى فى خطوط نقل البترول وفى خطوط الملاحة الدولية .

وكان ذلك سببا دعا الولايات المتحدة الأمريكية الى زيادة اهتمامها بالصومال ، وليس بغريب أن تسعى هذه الدولة الى زيادة نفوذها فى هذه المناطق ، وأن تحاول ربطها بكل وسيلة بعجلة السياسة الأمريكية ، أو بمناطق النفوذ الأمريكية فى العالم . ويعتبر هذا أول خطر يواجه أبناء الصومال فى كفاحهم من أجل قضيتهم ومن أجل حريتهم . ويشعر الصوماليون الآن بهذه المحاولات الأمريكية التى تهدف الى السيطرة على بلادهم ، فيرون أن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على بقاء الصومال محتاجا الى معونتها الاقتصادية والفنية ، حتى تتحكم فيه . كما أن أمريكا تحاول الاحتفاظ بامتيازات لاستغلال معادن الصومال ، بما فيها البترول ، وتدعى أن نفقات البحث والتنقيب هى مصدر هام من مصادر رفاهية البلاد . ولا تشجع أمريكا فكرة استقلال الصومال ، مدعية أنه متخلف من الناحية الاقتصادية ، وتشير بعض صحفها من وقت الى آخر الى أن الحاقه باثيوبيا سيعمل على تقويته من الناحية الاقتصادية ، وواضح من ذلك أن أمريكا ترغب فى ربط الصومال بها بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر حسب الظروف . وليس اصرار أمريكا على اعانة الصومال اقتصاديا الا محاولة لابقاء هذا القطر خاضعا للنفوذ الغربى ، وابعاده عن بقية الدول الافريقية والآسيوية ، التى جعلت شعارها سياسة الحياد الايجابى والتحرر من التكتلات الاستعمارية .

وهكذا نجد أن أمريكا تعمل على انشاء مكتب للاستعلامات والنشر ، وزودته بمكتبة كبيرة للقيام بالدعاية لها بين أبناء الصومال . كما أنها تنفذ النقطة الرابعة . وهى وسيلة للتأثير فى الصوماليين ، وجعلهم يقبلون الاعانات التافهة بدلا من عملهم على الانتاج بسواعدهم ولأبنائهم . ويقوم مندوبو الشركات الأمريكية بالتجول فى البلاد طولا وعرضا ، مدعين البحث عن البترول ، ولكن الصوماليين يعرفون مدى هذا النشاط ، وخطورة رسم خرائط تفصيلية لبلادهم تدرس فى وزارة الحربية الأمريكية . ويمكننا أن نضيف الى ذلك ازدياد نشاط بعثات التبشير الأمريكية فى بلاد يتمسك أهلها بالاسلام وبالوحدة .

وكان أول خطر يواجه « الصومال » ، وهو على أبواب

الاستقلال ذلك النشاط الأمريكي الذي يتعارض تعارضا تاما مع الخطة التي رسمها الوطنيون لأنفسهم .

* * *

أما الخطر الثاني فهو الخطر الانجليزي : ذلك أن بريطانيا قد بدأت تجربتها لتحويل عدد من مستعمراتها الى أعضاء في الكومنولث . وبدأت هذه التجربة تعطي نتائج ايجابية ، اذ أن الأعباء بدأت تقل عن كاهل خزانة لندن ، ورضيت بعض حكومات المستعمرات بتمتعها بلفظ الاستقلال المحلي ، وبالمظاهر الشكلية لهذا الاستقلال : من تكوين قوات عسكرية ، ورفع أعلام وطنية ، نظير ضمانها لانجلترا استمرار مصالحها الاقتصادية في الاقليم . ورأت انجلترا أن فرصة استقلال صوماليا فرصة لا تعوض ، فلوحت بفكرة منح الصومال البريطاني استقلالا محليا ، نظير دخول صوماليا معه في اتحاد ، أي أن بريطانيا تسعى الى ضم صوماليا الى الصومال الانجليزي وتركهما يديران شئونهما الداخلية بأنفسهما ، نظير ارتباطهما بعجلة الامبراطورية البريطانية .

* * *

ان انجلترا تخشى استقلال صوماليا ، لانه سيشجع العناصر الحرة في مستعمراتها في كل شرق في افريقية : في الصومال وفي كينيا وأوغندا وتنجانيقا ، ويجعلها تطالب أيضا بالاستقلال . كما أنه يعني تصفية النفوذ الغربي في شرق افريقية ولا تغيب عن بال انجلترا الاهمية الاستراتيجية للصومال بالنسبة لعدن وبالنسبة لنيروبي ، وبالنسبة للملاحة في البحر الاحمر ، خصوصا بعد أن فقدت انجلترا قواعدها في منطقة قناة السويس ، فيمكن لانجلترا أن تنشيء فيها قواعد جديدة ، وتعتمد عليها في عملياتها الحربية في كل من المحيط الهندي والبحر الاحمر . ولذلك فان انجلترا تسعى الى ضم الصومال الذي هو تحت الوصاية الى الصومال البريطاني ، والتمهيد بذلك لانشاء كتلة بريطانية في شرق افريقية ، تمتد من جنوب عدن الى آخر تنجانيقا وتتصل غربا بكينيا وأوغندا مثل اتصالها ببقية المستعمرات الانجليزية في وسط افريقية .

* * *

أخذت بريطانيا تزيد من بعثاتها ومن زيارات مندوبيها الى بلاد الصومال وزاد اهتمام وزارة الخارجية البريطانية والصحافة البريطانية بهذه البلاد ومستقبلها . كما أخذت انجلترا في دراسة امكانيات الصومال الاقتصادية وفتحت مركزا ثقافيا في «هرجيسا» ، وزادت من نشاطها في ميدان الدعاية تحت اسم الثقافة . ولكن انجلترا لم تحدد ميعادا لنهاية حكمها في الصومال البريطاني ، بل أعطت وعودا ، وأشارت الى اتجاهات يمكن تحقيقها للصومال البريطاني اذا ما انضمت اليه صوماليا ، أي أنها ترغب في ضمان انضمام صوماليا الى الصومال البريطاني ، قبل أن تعلن موافقتها على دخولهما في نطاق الكومنولث .

وهذا الخطر الثاني الذي يواجه الصوماليين اليوم وهم يستعدون لاستقلال بلادهم ، هو خطر الارتباط بالامبراطورية البريطانية ، دون حاجة الى ذلك ، مع تعارضه التام مع أماني

الوطنيين فى هذه البلاد ، ومع خط كفاحهم من أجل حريتهم واستقلالهم .

* * *

وهناك أيضا ايطاليا التى ترغب فى العودة الى الصومال الموضوع تحت الوصاية بطريقة غير مباشرة ، وتريد أن تحتفظ به سوقا لانتاجها ، وموردا يمونها بالغلات الزراعية . وتحاول الحكومة الايطالية ابقاء النقد الصومالى مرتبطا بالنقد الايطالى ، تسهيلا للعمليات الاقتصادية ولعمليات الاستغلال المنظمة . فتطلب من أمريكا أن تدفع لها قيمة معونة النقطة الرابعة الخاصة بالصومال ، وتقوم هى بالتالى بارسال منتجات بهذه القيمة الى «مقديشو» فتكون النتيجة وصول بعض القمصان والملابس الرديئة المصنوعة فى ايطاليا بأثمان باهظة . كما تحاول ايطاليا الاحتفاظ بخضروات الصومال وفواكهه ، واحتكار استهلاكها فى ايطاليا أو توزيعها على دول وسط أوروبا . وتتحكم ايطاليا بهذه الطريقة فى أسعار هذه المنتجات ، وتحتفظ لنفسها بالربح .

وهذا خطر جديد من الاخطار التى تواجه الصومال ، اذ أن من حقه أن يشرف على اقتصادياته مادام مستقلا، خصوصا وأن أبناء البلاد يحتاجون الى كل مجهود والى كل مورد للعمل على بناء دولتهم .

* * *

أما فرنسا ، فانها تخشى انتشار الآراء التحررية فى الصومال ، وبالتالى تخشى هذه الحركة الاتحادية التى امتدت جذورها الى ساحل الصومال الفرنسى . وأخذ الصوماليون ينادون فى كل مكان بوحدة بلادهم وباستقلالها وزاد تشبث فرنسا بمستعمراتها مع ازدياد شعورها بالضعف والهزال . فأعلنت الحكومة الفرنسية أنها تعارض كل حركة سياسية تسعى الى تغيير الوضع القائم فى البلاد ، وكان فى استطاعة فرنسا أو غيرها من الدول أن تقف حائلا وعقبة أمام التطور الطبيعى للشعوب . وازداد خوف فرنسا من هذه الحركة الوطنية الاسلامية ، وربطت بينها وبين الحركة التحررية فى شمال افريقية . ورأت فرنسا أن العرب والمسلمين يعملون على انتزاع حريتهم واستقلالهم ، فاتخذتهم أعداء ، وتحالفت مع اليهود عليهم . وكما ظهر هذا التحالف الفرنسى الاسرائيلى فى قضية الجزائر وفى قضية قناة السويس ، فقد ظهر أيضا فى قضية كفاح الصوماليين «المسلمين» لنيل حريتهم واستقلالهم .

* * *

أعلنت فرنسا عداءها لكل زعماء الصومال الذين يعتزون بشخصيتهم ، ويجاهدون من أجل بلادهم ، وأصدرت أحكامها على **محمود حربى** ، بعد أن كانت قد أسندت اليه وزارة ساحل الصومال الفرنسى . ثم وضعت فرنسا ميناء جيبوتى تحت تصرف الشركات الاسرائيلية ، وحاولت بذلك أن تفك الحصار الاقتصادى الذى ضربه العرب حول اسرائيل ، وأن تسهل استغلال اسرائيل للمناطق الداخلية فى القارة وتضرب بها القوى الصومالية الناشئة.

ثم وجدت فرنسا أن اثيوبيا تعارض مشروع اتحاد الصومال ، فاتفقت معها على اقامة تعاون عسكرى يسمح لسلطات اثيوبيا بتعقب الصوماليين

داخل مناطق ساحل الصومال الفرنسى فى أى وقت شاءت .

* * *

وهكذا يبدأ الصوماليون صفحة جديدة من كفاحهم للحصول على حريتهم واستقلالهم ، وتوحيد بلادهم ، والعيش فى حرية واخاء مع الجميع ، ولكن أخطارا جسيمة تحيط بذلك الشعب الافريقى من كل جانب ، وتأتى هذه الاخطار من ازدياد النفوذ الغربى بشكل عام ، ومن ازدياد الاطماع الامريكية وظهور الألاعيب الانجليزية وتكرار المحاولات الايطالية الفاشلة . كما تتمثل فى ذلك الجمود الذى تقفه فرنسا ، وذلك الموقف الذى تعلنه اثيوبيا . وهذه هى الاخطار الخارجية ويمكننا أن نضيف اليها أخطارا داخلية تواجه هذا الشعب الناهض المكافح .

ولكن الصوماليين يعلمون جيدا هذه الأخطار ، وقد وطدوا العزم على مواجهتها والتغلب عليها . انهم يسعون الى توحيد صفوفهم فى جميع الأقاليم الصومالية واتخاذ خطة موحدة يسيرون عليها ، ويهدفون بها الى تحقيق أمانيهم الوطنية المشروعة ، من وحدة واستقلال.

يطالب الصوماليون الأمم المتحدة باجراء استفتاء عام للتأكد من رغبة الشعب الصومالى فى كل المناطق المحتلة ويؤكدون أمام الجميع أنهم لن يقبلوا الانضمام الى كتلة دولية معينة ضد الكتلة الاخرى ، بل أنهم سينتهجون سياسة الحياد الايجابى والتضامن مع بقية الدول الافريقية والآسيوية ، والابتعاد عن سياسة الاحلاف العسكرية .

فليعلم العالم أن الصومال لا يسعى الى الاعتداء على أحد ، ولكنه يجاهد من أجل حصوله على حقوقه المشروعة . وليعلم الجميع أن استقلال الصومال ووحدته قوة جديدة تزيد من قوة الكتلة الافريقية الآسيوية ، وتعمل بالتالى على سيادة السلم وابعاد أخطار الحروب .

وان كفاح الشعب الصومالى لجدير بتأييد شعوب العالم المتحررة ، وتأييد كل اخوانه الافريقيين .

المملكة المغربية

للدكتور علي ابراهيم عبده

تقع المملكة المغربية في القسم الغربي من افريقية الشمالية على مضيق جبل طارق ، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق القطر الجزائري ، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الجنوب الصحراء المغربية الكبرى . وتزيد مساحتها على نصف مليون كيلومتر مربع . وسطحها متنوع ، فمن جبال عالية الى سهول منخفضة ونجود وهضبات مرتفعة ثم صحراء واسعة . وبها سلسلتان عظيمتان من الجبال هما : سلسلة جبال الأطلس الممتدة في وسطها وجنوبها ، وسلسلة جبال الريف الممتدة في شمالها . وتنقسم جبال الأطلس الى ثلاث سلاسل : الأطلس الكبير ، ومن أشهر جباله جبل طبقال ، الذي هو أعلى قمة في جبال المغرب ويبلغ ارتفاعه ٤١٦٥ مترا . والأطلس المتوسط ويتراوح ارتفاع جبالها ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ متر ، وأشهر جباله جبل موسى وصالح الذي يبلغ ارتفاعه ٣٢٠٠ متر ، ويشاهد من مدينة فاس . والأطلس الصغير ، وأهم جباله جبل ساغرو الذي يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر . أما سلسلة جبال الريف فهي على شكل قوس ، وهي متصلة بالبحر الأبيض المتوسط شمالا وبحوض نهر سبو جنوبا ، وأعلى جبل بها هو جبل (تادعين) الذى يبلغ ارتفاعه ٢٤٥٢ مترا . وتعتبر هاتان السلسلتان من الجبال أعظم مستودع طبيعي لخزن مياه الأمطار في فصل الشتاء ، وحفظ مياه الثلوج الذائبة في بقية فصول السنة ، وتنفجر فيهما ينابيع لا ينضب لها معين ، طوال فصول السنة . فتجرى أنهارا متدفقة في السهول المغربية ، وجبال المغرب أشد برودة من جبال الجزائر وتونس . ولها أثر فعال في مناخ البلاد وحيوانه ومنتجاته ، فسلسلة جبال الريف تجعل شمال بلاد المغرب جيدة المناخ صالحة للزراعات المختلفة ، بينما تضمن سلسلة جبال الأطلس الساحل المغربي مزية المناخ المعتدل على الشاطىء والمناخ الجاف الصالح للفواكه والزراعات في الداخل . أما الجهة المقابلة من الجنوب فعلى عكس ذلك لأنها شبيهة بالصحراء ، اذ تحول جبال الأطلس دون وصول الأمطار اليها .

وتبلغ مساحة السهول في المملكة المغربية نحو الثلثين من مجموع مساحتها الكلية ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام :

(١) السهول المحاذية للمحيط الأطلسي : وهي عبارة عن منطقة واسعة

ممتدة من مدينة الرباط شمالا الى ضواحى مدينة الصويرة جنوبا . ويعتبر هذا الجزء من أغنى بقاع المغرب لاعتدال مناخه وخصوبة أرضه وسهولة مواصلاته . ويعتمد فيه السكان على الزراعة وتربية الماشية والصناعة والتجارة . ومن مدن هذا الجزء الكبير من المغرب : الرباط ، والدار البيضاء ، وسلا ، والمحمدية ، والجديدة ، واسفى ، وخريبكة ، ووادى زم ، ومراكش . والصويرة ، وأكدير .

(ب) سهول حوض نهر سبو : وهى عزيزة المياه ، يخترقها نهر سبو من الشرق الى الغرب ، ومحصولاتها الزراعية متنوعة من خضر وفاكهة وحبوب ، وتمتاز بتربية الماشية . كما تزدهر بها الصناعة والتجارة . وسهول حوض نهر سبو مزدحمة بالسكان ، ومن مدنها : تازة ، وفاس ، ومكناس ، وصفرو ، وزرهون ، وسيدى قاسم ، وسيدى سليمان ، والقنيطرة ، وسوق اربعاء الغرب ، والمهدية ، حيث يصب نهر سبو .

(جـ) السهول الشرقية : وتقع شرق سلسلة جبال الأطلس الكبير ، وتشتهر بتربية الماشية وزراعة الحبوب والفواكه . وأشهر مدنها مدينة وجدة التى تبعد عن حدود الجزائر بنحو خمسة عشر كيلو مترا .

وتوجد فى المملكة المغربية أنهار غزيرة المياه ، هادئة التيار ، طويلة المسافة ، غير أنها لا تصلح للملاحة لوجود سدود زملية فى مصابها ، وأهم هذه الأنهار هى :

١ ــ نهر سبو ، وينبع من الأطلسى المتوسط ، ويصب فى المحيط الأطلسى ، وطوله ستمائة كيلومترا ، ويتراوح عرضه ما بين ١٥٠ الى ٣٠٠ متر فى أوسع الأماكن ، ويكون فيضانه فى فصل الشتاء .

٢ ــ نهر أم الربيع . وينبع أيضا من الأطلسى المتوسط ، ويصب فى المحيط الأطلسى ، وطوله نحو ستمائة كيلومتر وله أهمية اقتصادية كبيرة لوفرة مياهه ، وانتظام جريانه . وقد بنيت عليه السدود لتوليد الكهرباء ، ورى الأراضى الزراعية .

٣ ــ نهر ملوية ، وينبع من قمم الجبال بين الأطلسين الكبير والمتوسط ، ويصب فى البحر الأبيض المتوسط . وطوله ٤٨٠ كيلومترا مربعا . وعلى ضفافه توجد مناطق زراعية هامة ، وقد اتجهت عناية الحكومة المغربية الى استغلال مياه هذا النهر بانشاء بعض مشروعات الرى .

* * *

والمملكة المغربية غنية بمواردها الطبيعية ومنتجاتها النباتية ، ومما ساعد على ذلك المياه العذبة المتدفقة ، والمناخ المعتدل الجميل . وتختلف ثروة المملكة المغربية باختلاف الأقاليم . ففى اقليم الساحل الشمالى على البحر الأبيض المتوسط تكثر البساتين والمروج وأشجار الفواكه ، كالجوز واللوز والرمان والبرتقال والعنب والتين . كما تكثر الخضر بأنواعها والمزارع والحقول فى سهول حوض نهر ملوية ، وتنتشر غابات الزيتون والسنديان فى هضاب هذا الاقليم وجباله وسهوله . أما اقليم ساحل المحيط الأطلسى فتعد

سهوله من أخصب أراضى المملكة المغربية ولذا تزدحم بالسكان ،ولغزارة أمطارها تكسوها غابات كثيفة تتنوع أشجارها وتتشابك أغصانها ، أهمها غابة المعمورة الواقعة بين نهر أبى رقراق ووادى سبو ،وطول هذه الغابة ٦٠ كيلومترا ، وعرضها ٤٠ كيلومترا، ومساحتها ١٣٥ ألف هكتار ، ومعظم أشجارها من البلوط . وفى اقاليم ساحل المحيط الأطلسى توجد غابات الزيتون حول المدن الكبرى وسفوح جبال الأطلس . كما تكثر فيه أشجار الفواكه كالبرتقال والليمون والعنب والخوخ والمشمش والتوت ، وكذلك تزرع فيه الحبوب كالقمح والشعير، وأيضا الخضر بأنواعها . وتلال هذا الإقليم وأوديته مناسبة جدا لتربية الماشية من غنم وأبقار وخيل وجمال وغيرها . وتكثر غابات الأرز والسنديان والصنوبر على جبال الأطلس المتوسط والصغير ، فتجعل مناظرها خلابة . كما تقع بين هذه الجبال هضاب عالية يزرع بعضها ، وترعى الماشية فى بعضها الآخر . وتكثر المراعى فى الاقليم الشرقى من المغرب . أما اقاليم الصحراء الجنوبية فتوجد به عدة واحات تمتاز بنخيلها الذى يعطى المغرب أنواعا مختلفة من البلح . كما يزرع فى بعضها القمح والشعير والزيتون وقليل من الفواكه، وأهم مورد يعتمد عليه السكان فى هذه الواحات هو تربية الجمال وتجارة القوافل عبر الصحراء .

* * *

وبالمملكة المغربية ثروة معدنية هائلة، فهى من أهم دول العالم المصدرة لمعادن الفوسفات والمنجنيز والحديد والرصاص والنحاس وغيرها من المعادن الهامة . وفى سنة ١٩٥٧ بلغ ما أنتجه المغرب من معدن الفوسفات ستة ملايين من الأطنان ، أى نحو ٢٠٪ من مجموع انتاج العالم من هذا المعدن، وبلغت قيمة صادرات المغرب منه فى السنة ٢٢ مليارا من الفرنكات المغربية، أى نحو ستة عشر مليونا من الجنيهات المصرية . وتضم معامل الفوسفات بخريبكة وكشكاط عشرات الآلاف من العمال المغاربة . والبحوث التى تجرى الآن فى المغرب تبشر بأنه سيبلغ عهدا من الازدهار الاقتصادى ، وبأنه مقبل على ثروة معدنية هائلة ستجعله احد الدول الصناعية فى العالم . فقد عثر على آبار غزيرة بالبترول فى صحراء المغرب ،ويتوقع الخبراء وجود معدن الأورانيوم فى المغرب ،وخصوصا بعد أن عثر مختبرو البحوث المعدنية أخيرا على قطعة من الأورانيوم داخل معادن الرصاص بناحية أكادير ،وهو كما هو معروف أغلى المعادن على الاطلاق ، وأهمها ، لأنه العنصر الأول لانتاج الطاقة الذرية والهيدروجينية.

ويبلغ عدد سكان «المملكة المغربية» نحو عشرة ملايين ونصف مليون نسمة ، يعمل نحو ثمانية فى المائة منهم فى الزراعة ، لأن المغرب قطر زراعى، فتبلغ مساحة الأراضى الزراعية فيه حوالى ٧٫٤٠٠٫٠٠٠ هكتار ، منها ١٫٤٠٠٫٠٠٠ هكتار من المزارع الحديثة الكبرى التى تزرع بالآلات العصرية . أما بقية هذه المساحة الكبيرة فتفلح بالطرق القديمة . ولكن الحكومة المغربية أخذت فى الوقت الحاضر تعين

الفلاحين ، وتقدم لهم المساعدات المادية والفنية ، كالقروض الزراعية . والأسمدة اللازمة ، وآلات الحرث الحديثة . كما أخذت فى تنظيم وسائل الرى على نطاق واسع وتنسيق نظام تربية الماشية فى جميع أنحاء المغرب.

* * *

وتنتج الأرض المغربية القمح والشعير والذرة والعدس والفول والحمص واللوبيا والأرز والقطن والخضر والفواكه . ويعتبر القمح من أهم المحصولات الزراعية التى ينتجها المغرب ، وتزرع منه سنويا نحو مليون ونصف مليون هكتار . ويغطى الشعير مساحات شاسعة وخصوصا فى نواحى الجنوب . اما الذرة فتزرع بكثرة فى المناطق الساحلية وفى الجنوب ، وخصوصا فى سفوح الجبال وعلى ضفاف الأنهار المنحدرة من جبال الأطلس . وتبلغ المساحة المزروعة بالقطن فى المغرب حوالى ثمانية آلاف هكتار ، وتزدهر زراعة الأرز فى نواحى فاس ومكناس وبسيدى سليمان . كما تزدهر زراعة الكتان بالمغرب . ويعد المغرب من أغنى البلاد الافريقية بنبات الحلفاء ، بل هو الدولة الثانية بعد اسبانيا فى انتاجه . وتبلغ مساحة الأراضى التى تنبت الحلفاء ما يزيد على مليونين ونصف المليون من الهكتارات وتستعمل الحلفاء فى الصناعات المحلية كصنع الحبال والحصر والقفف والأطباق والأحذية الشعبية والمكانس والفرش . وكل هذه الصناعات المحلية لا يتجاوز استهلاكها سنويا ألف طن من الحلفاء ، أما الأسواق الخارجية فهى التى تستهلك معظم الانتاج ، وقد صدر فى عام ١٩٥٧ ما يبلغ ٩٦ ألف طن الى دول كثيرة ، حيث تستعمل الحلفاء فى صناعة عجينة الورق الممتاز ، وحبال السفن، ونسج أكياس السكر وغير ذلك .

* * *

ويعمل عدد كبير من أهالى المملكة المغربية فى الصناعة ، وتنقسم الصناعة هناك الى صناعة حديثة وصناعة تقليدية قديمة . والصناعة الحديثة تقوم بها الشركات الكبرى فى ضواحى المدن الكبيرة ، كالدار البيضاء وفضالة، ومكناس، وأسفى، واجادير، والقنيطرة، وفاس ، ومراكش ، وتطوان ، وغيرها، حيث توجد أكبر المعامل لانتاج المواد الغذائية ، والمطاحن الحديثة ، ومصانع السكر واللبن، ومعامل تجفيف السمك، وحفظ الفواكه والخضر ، ومعامل تكرير البترول ، وانتاج المشروبات الغازية والعطوز ، والصابون ، ومصانع الصباغة ، والزجاج ، ونسج الثياب الصوفية والقطنية ، ودبغ الجلود ، وصنع الأدوات المنزلية ، وآلات الراديو، وأدوات البناء من حديد وأسمنت ورخام وآجر ، ومصانع الخشب والنجارة وغير ذلك . أما الصناعة التقليدية القديمة فى المغرب فتثير الاعجاب فى جميع أنحاء العالم ، اذ تجمع بين الروعة والدقة والاتقان والروح الفنية البديعة ، التى يحق للمغرب أن يفتخر بها فى مجال الصناعة الدولية .

واهم الصناعات القديمة فى المغرب: النقش على الخشب والنحاس بأشكال هندسية رائعة ، والمصنوعات

الجلدية كالأكياس وحافظات النقود والوسائد والمقاعد الأنيقة والأحذية والسروج . وكذلك صناعة البسط والسجاد والأغطية الصوفية والأطباق وأواني الخزف ، وأنواع الحلى والمجوهرات ، والنمادق والسيوف والخناجر المموهة بالذهب والفضة وغيرها .

* * *

ومدينة « الرباط » هي عاصمة المملكة المغربية ، وتقع على ساحل المحيط الأطلسي ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٦٠ ألف نسمة ، وتمتاز بقصورها الفخمة ، ومسالكها المعبدة ، وشوارعها النظيفة ، وحدائقها الفيحاء ، ورونق هندستها ، وطقسها المعتدل الجميل .

ومدينة فاس أول مدينة اسلامية أسست في المغرب ، أسسها المولى ادريس الثانى سنة ١٩٢ هـ عندما عظم شأن دولته ، وجعلها عاصمة ملكه . كما كانت عاصمة بنى مرين والسعديين والعلويين بعده ، وظلت فاس عدة قرون مركزا هاما للثقافة الاسلامية والحضارة العربية ، ومعقلا للعلوم والآداب والفنون ، وبها جامعة القرويين ، التى تحتوى مكتبتها على عدد كبير من الكتب المخطوطة فى مختلف الموضوعات ، ويبلغ عدد سكان مدينة فاس نحو ١٨٠ ألف نسمة ، وتمتاز ببساتينها الخضراء ، وآثارها الخالدة ، وتوجد فى ضواحيها المصايف الجميلة كسيدى احرازم ، وصفرو ، وايموزار ، كندر وغيرها .

والعاصمة التجارية للمملكة المغربية هي مدينة الدار البيضاء ، وتقع على ساحل المحيط الأطلسي فى جنوب الرباط بنحو ٩٢ كيلومترا ، ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة ، وهى تشبه كثيرا من المدن الأوروبية فى جمالها ومناظرها ورونقها وشوارعها . وميادينها متسعة ، وأحياؤها عظيمة ، وأسواقها عامرة ، ومساكنها عالية ، وحدائقها غناء ، ومتاجرها كبيرة ، وميناؤها أكبر موانىء الشمال الافريقى . فأحواضه واسعة ، وتكثر السفن التى ترسو به .

ومن أهم مدن المغرب مدينة مراكش ، وهى عاصمة الجنوب ، وباسمها اشتهر المغرب فى الشرق والغرب ، وتقع على سفوح الأطلس الكبير ، ويبلغ عدد سكانها نحو ربع مليون نسمة ، وقد أسسها العاهل العظيم **يوسف بن تاشفين** سنة ٤٥٤ هـ ، وبها الكثير من آثار الموحدين والسعديين مثل : جامع الكتبية الذى تعلوه مئذنة مشهورة ، ومدينة مراكش الآن كثيرة العمران شامخة البنيان . وتمتاز بنخيلها الممتد فى ضواحيها عدة أميال ، وببساتينها وحدائقها التى يؤمها أهل المدينة طلبا للراحة من عناء الأعمال .

ومكناس من المدن الكبيرة فى المغرب ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠ ألف نسمة وتقع قرب جبال زرهون فى موقع جميل ، تحيط بها السهول الخصبة والبساتين الفيحاء ، وغابات الزيتون . وقد اشتهرت بجودة المناخ وعذوبة المياه وجفاف الطقس . ويرجع تاريخها الى القرن الأول الهجرى فى مكان سمى تكرارت ، حيث أسسها

أمراء البربر ، وفى العصر العلوى اتخذها المولى اسماعيل عاصمة لمملكته، وتقع مدينة تطوان فى الشمال على بعد عشرة كيلومترات من البحر الأبيض المتوسط ، أسسها يوسف المرينى ٦٨٥ هـ ، واتسعت عمارتها خلال القرن التاسع الهجرى ، حيث هاجر اليها الأندلسيون الذين جددوا بناءها، وأصلحوا الكثير من مرافقها . ويتجاوز عدد سكانها الآن مائة ألف نسمة ، وتوجد بها عدة آثار تاريخية فى اسوارها وابراجها وأبوابها ودورها الكبرى ومساجدها الفسيحة وأضرحتها ومتاحفها .

ومن أهم مدن المغرب مدينة طنجة، وتقع فى الضفة الجنوبية لبوغاز جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، أسسها الفينيقيون فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، ثم اتخذها الرومان عاصمة لمستعمراتهم بالشمال الأفريقى ، وكانت مركزا هاما للجيوش العربية التى كانت توجه الى الأندلس لتثبت قواعد الاسلام ، ثم تعرضت للغزو الأجنبى خلال القرون الوسطى. وكانت مقرا لقناصل الدول الأجنبية فى أواخر القرن الماضى . ولذا كانت تسمى بعاصمة المغرب الديبلوماسية. وبعد اعلان الحماية على مراكش فى سنة ١٩١٢ خضعت طنجة لنظام دولى ، ولكن حكومة المغرب استعادت سلطانها الشرعى على طنجة بعد أن نالت المملكة المغربية استقلالها فى سنة ١٩٥٦ ، وعقد حينئذ ميثاق قضى بمد أجل الوضع الدولى لميناء طنجة ،ولكن حكومة المغرب أصدرت فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٥٩ مرسوما بالغاء الأوضاع الشاذة القائمة فى ميناء طنجة ، وحددت مدة قدرها ستة أشهر لانهاء الامتيازات التجارية والمالية فى المدينة . وتوجد فى طنجة آثار تاريخية قديمة : كضريح الرحالة المغربى ابن بطوطة ، وبعض القصور الملكية وغيرها . وطنجة من أجمل مصايف العالم ، وتبعد عن مدينة الرباط بنحو ٢٧٤ كيلومترا .

ومنذ سقطت « مراكش » فى يد الاستعمار سنة ١٩١٢ لم تكف عن المقاومة الوطنية للمستعمرين ،سواء الأسبان الذين أخذوا جزءا من شمال البلاد ،وسجل الأمير عبدالكريم معهم معارك لن تنسى فى تاريخ حروب التحرير ، أو الفرنسيين الذين استولوا على منطقة مراكش . وعند نهاية الحرب العالمية الثانية قاد حزب الاستقلال ، الذى أعيد تكوينه قرب نهاية هذه الحرب ، معركة الحرية ، وسيطر على الحياة السياسية فى البلاد ، وعبأ قوى الشعب وأعدها للسيادة واستخلاص الحرية من المستعمرين . وقد ربط الملك محمد الخامس مصيره بمصير شعبه ، وأخذ يؤيد الحركة الوطنية ويقودها بنفسه بالحكمة والصبر والسياسة،حتى أصبح الأب الروحى للجهاد والرمز الحى له . وادرك زعماء الثورة الوطنية المراكشية منذ البداية أن نجاح ثورتهم يعتمد أولا على توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربية الثلاثة ، وهى تونس والجزائر ومراكش . ثم ربط هذا الكفاح

بكفاح شعوب المشرق العربى . وبالفعل عقد مؤتمر الحركات الوطنية الثلاثة التونسية والجزائرية والمراكشية فى القاهرة سنة ١٩٤٧ وقرر الكفاح الثورى حتى الاستقلال التام . وحينما قامت فى مصر ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ م ، وتبين للجميع أنها ثورة تؤمن بالقومية العربية كحقيقة وعقيدة، وتؤمن بوحدة المعركة فى العالم العربى، أدرك الثوار فى تونس والجزائر ومراكش أن ساعة النصر قد حانت ، واشتدت الثورة التى أشعلها التونسيون فى أوائل سنة ١٩٥٢ ، وأعلنت الثورة فى مراكش سنة ١٩٥٣ ، وانفجرت ثورة الجزائر فى سنة ١٩٥٤ ، وأخذ الملك محمد الخامس يرعى الحركة الوطنية فى بلاده ويشد أزرها وينفخ فيها من روحه ، مما أفقد الفرنسيين صوابهم وجعلهم يضمرون له الشر والعداء ، وبجنونهم المعهود صبوا كل ألوان الارهاب على شعب مراكش ، وقاموا بعزل الملك محمد الخامس ونفيه ، وتعيين سلطان طيع لهم مكانه .وبدأت فترة من العسف والتنكيل ، قابلها شعب مراكش ببسالة وبطولة خارقة.

وأدرك الفرنسيون أن هذه الطريقة لن تجدى ، وأرادوا تجربة أسلوب آخر فقام رئيس وزراء فرنسا — وكان منديس فرانس فى ذلك الوقت — بالدعاية الى منح تونس ومراكش شكلا من أشكال الاستقلال ، وبذلك يمكن تهدئة الجزائر ، ويمكن عزل شمال أفريقية كلها عن مصر . وكان يرى أيضا أنه طالما بقى النفوذ الفرنسى فى الجزائر قويا مدعما ، وطالما أمكن عزل الأقطار الثلاثة عن مصر فستظل الامبراطورية الفرنسية بخير . وقبلت تونس الاستقلال الذاتى الداخلى الذى عرضه منديس فرانس ، ورفضت مراكش رفضا باتا أى عرض أقل من الاستقلال التام وعودة الملك محمد الخامس . **ولم يكن أمام فرنسا بعد صمود شعب مراكش الا أن ترضخ ، وأعلن استقلال المغرب ونهاية الحماية فى سنة ١٩٥٦، وعاد الملك محمد الخامس عودة تاريخية ظافرة** . وبعد الاستقلال أخذت المملكة المغربية تنهض بخطوات سريعة واسعة فى جميع الميادين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعمرانية وغيرها .

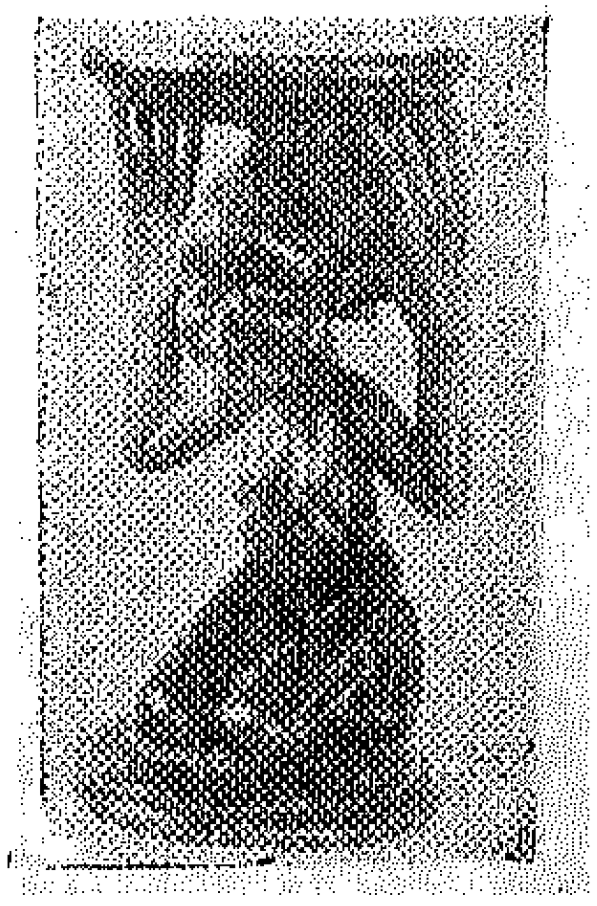

من الكتب الحديثة التى أثرت بها المكتبة الافريقية كتاب **«السياسة والحكم فى افريقية» للدكتور «عبد الملك عودة»** وقد تناول الباب الاول منه أهمية الدراسات الافريقية فى العالم المعاصر . فذكر لنا أن جامعات العالم ، والمطبعة الحديثه ، والادارات الخاصة بالشئون الافريقية فى وزارة الخارجية وأرباب رءوس الاموال ، ومديرى الشركات والعسكريين .. كل أولئك يبدون اهتماما خاصا بافريقية ، ولكن افريقية قد استيقظت ، ووضحت ثورتها فى تيارين متعارضين :

أولهما — يظهر فى خطط الدول الاستعمارية ، والمتوطنين البيض ،

وثانيهما : فى حركة الملايين الذين يعملون على تصفية الاستعمار ، وقد ظهر هذا الصراع بعد الحرب العالمية الثانية ، وتحقق على أيدى زعماء من صميم الشعب ، تتمثل فيهم العلاقات الاجتماعية المتطورة ، ووحدة الشعب وآماله ، والاحساس بشعور الافريقيين عامة . بالرغم مما يثيره المؤلفون الاوروبيون والامريكان ، من أنه لا توجد افريقية واحدة ، وانما توجد عدة افريقيات تصل أحيانا الى خمس ، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى ، ولا شك أن وراء هذه الافكار أغراضا سياسية ، تنبه اليها المؤرخون المنصفون وخاصة الافريقيين منهم الذين أكدوا حضارة الرجل الافريقى ، وتداخل السلالات فيه ، وأن ما يقسم افريقية هو التوطن الأوروبى بآثاره كافة ، وليست بالصحراء ، فقد حدثت أشياء كثيرة تقلل من أهمية هذا الحاجز الرملى الصامت ، كالاسلام الذى يشكل ثلث سكان القارة ، والأنهار ، والأحواض التى تعتبر طريقا للمواصلات تعبر عليه الثقافة ، والتمازج الجنسى ،

ومن هذه العوامل أيضا : الامراض التقليدية التى تنتشر فى القارة ، والحدود الوهمية التى فرضها الساسة وانتشار القبائل فى جميع المناطق كما يقول « جون جنتر » ثم تغير الحياة والعلاقات الاجتماعية عنها فى الماضى ، وقيام أنماط أخرى من الحياة لأسباب أهمها :

١ — التقسيم السياسى الذى لم يحترم الوحدة القبلية . أو اللغوية . أو الدموية ، أو الثقافية .

٢ — قيام المدن الحديثة التى تقوم على أسس اقتصادية ، واجتماعية لا تشبه فى شىء الاسس الافريقية القديمة .

٣ — التقدم ، والانتشار الذى دعم المواصلات الحديثة .

٤ ـ الافكار الجديدة التى دخلت رأس الرجل الافريقى بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية .

وقد تنبه الاستعماريون الى هذه الحقائق ، فتضامنوا لوضع ما يشبه الخطة الجماعية للاستفادة الكاملة من القارة ، وكان من أهم ما فكروا فيه مشروع أوروبا افريقية Euroafrica الذى لا يؤكد مدى التعاون بين الدول الاستعمارية ، فحسب ، بل يربط القارة به اقتصاديا ، ويدفع الى توطين الاوروبيين ، ليضعوا أيديهم تماما على مقدرات القارة .

على أن الامر لم يقف عند الدول الأوروبية وحدها ، وانما تعداها الى أمريكا التى ترى أن لها فى افريقية مصالح استراتيجية ، واقتصادية ، وسياسية . ومن هنا نراها تبارك فكرة « أوروبا افريقية » .

أما دور الاتحاد السوفييتى فى افريقية ، فيدور حول تحطيم النفوذ الأوروبى والأمريكى فى هذه البلاد من أجل مصالحها ، وخطتها التى تلتزمها فى تحطيم الرأسمالية .

فاذا انتقلنا الى دور العروبة فى افريقية وجدناه دورا لا يستوحى الا مصالح القارة ، ومتابعة تقدمها .

* * *

أما الباب الثانى فقد تحدث المؤلف فيه عن العلاقات الدولية بين أوروبا وافريقية فذكر أنه كان لافريقية تاريخ طويل قبل الكشوف الجغرافية ، بالرغم مما يروجه الأوروبيون من أن تاريخ القارة الحضارى مرتبط بوصول الرجل الابيض اليها ، وبالرغم من أنه قامت علاقات تاريخية ، واتصال تجارى بين أوروبا وافريقية ، الا أن الكشوف الجغرافية تعتبر بداية التاريخ الحديث للعلاقات الدولية بين أوروبا وافريقية .

وقد بكرت « البرتغال » فى اكتشاف افريقية ، وكان الامير هنرى الملاح أول من تمكن عام ١٤١٥ من احتلال مدينة « سبته » فى شمال افريقية ، ويعتبر هذا الاحتلال أول احتلال أوروبى لافريقية . ثم تابعت البرتغال امتدادها على الساحل ، وتوغلت فى عدة مناطق حيث اصطدمت بالقوى العربية فى عدة أماكن ، وخاصة على الساحل الشرقى ولم يستطع تكتل العرب والهنود أن يوقف القوى البرتغالية التى كانت مجهزة بالاسلحة الحديثة . كما تغلبوا أيضا على تكتل العثمانيين ، والمماليك فى جزيرة « ريو » ، وقد اتسم الاستعمار البرتغالى بوقوفه على السواحل وعدم تغلغله فى القارة ، وتحطيم قوى التجار المسلمين ، والاشتغال بتجارة الرقيق ، واحتكار التجارة مع الافريقيين !

وقد أثار نجاح البرتغاليين الأوروبيين فأرسل الهولنديون سفنهم الى غرب افريقية ، ثم تبعتها انجلترا فى الدخول غرب افريقية ، وقام الهولنديون بعدة ضربات موفقة ضد النفوذ البرتغالى ، وفى الوقت نفسه استعادت القوى العربية مكانتها بمساعدة سلطان مسقط ، وعمان .

ثم تأكدت مسألة تخاطف افريقية Scramble Africa بمؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) والذى مثلت فيه كل أوروبا ما عدا سويسرا ، والذى وضع فيه مبدأ مشروعية هذا التخاطف

بحيث لم تمض خمس عشرة سنة على هذا المؤتمر ، حتى كانت افريقية مقسمة بين الدول الأوروبية ، وكانت الدول التى لها دور كبير فى عملية التقسيم هذه هى بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا والبرتغال ، وايطاليا ، واسبانيا .

وقد حدثنا المؤلف عن نظام الحكم البريطانى فى افريقية ، فذكر أنه نظام قام على القمع المسلح ، والقيام بمظاهرات عسكرية ، وحربية لضمان بقاء هذا النوع من التسلط ، وان كان هذا النوع ليس هو الوجه الثانى لسياستهم المخاتلة التى كانت تلوح للافريقيين دائما بالوصول بهم الى الحكم الذاتى ، فقد كانوا لا يلجأون اليه الا حينما تواجههم المتاعب ، والثورات

وكان لسياستهم فى مستعمراتهم عدة أشكال من الحكم ، فهناك ما يسمى **« بمستعمرة التاج ، والمحمية »**

والأولى : هى ما تم الاستيلاء عليه بالغزو ، أو بالشراء . أو بالاحتلال أو بالمعاهدات ، وهذا النوع من المستعمرات يتبع وزارة المستعمرات البريطانية .

وأما الثانية : وهى « المحمية » فهى ما بسط عليه ملك بريطانيا حمايته اما باجراء منفرد ، واما باتفاقيات مع الرؤساء ، والحكام المحليين . والفرق بينهما أيضا أن سكان **« مستعمرة التاج »** رعايا بريطانيون ، وسكان **« المحمية »** سكان محميون فقط ، وهذه المحميات قد تتبع وزارة المستعمرات وقد تتبع وزارة الخارجية وقد تتبع وزارة شئون الكومنولث .

ويروى أحد المصادر « أن التعبيرات الفنية التى اخترعها البريطانيون لتحل محل كلمة استعمار بريطانى أو امبراطورية ، انما هى تعبيرات ، وألفاظ شكلية تتغير فى المظهر ، لا تمس الجوهر وهذا من وجهة نظر رجال الحكم ، وأصحاب النفوذ والسلطان فى تسيير أمور هذه الاراضى الواسعة التابعة للتاج البريطانى » .

.. وهناك ما يسمى « بنظام الحكم غير المباشر » ويعتبر هذا النوع من الحكم أحد المظاهر المميزة للحكم البريطانى فى غرب القارة ، ويتلخص فى حكم الافريقيين من خلال الرؤساء الافريقيين الذين يوجهونهم كيفما شاءوا ويعتبرون كعملاء للانجليز .

هذا ويرى البعض أن نتيجة سياسة بريطانيا فى افريقية هى تطوير هذه الشعوب ، والوصول بها الى مرحلة الحكم الذاتى فى نطاق « الكومنولث » .

والاستعمار البريطانى يأخذ عدة مستويات ، فيبدأ بالديكتاتورية المطلقة ووضع كل السلطات فى يد الحاكم البريطانى . ثم تأتى المرحلة الثانية وهى الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وتمثيل الافريقيين فى الحكم ، ثم تأتى المرحلة الثالثة بزيادة القوى الافريقية فى المجلسين ، ومجلس الوزراء . أما المرحلة الرابعة فتبدأ بوضع كل القوى فى يد الافريقيين فى المجلسين ، ومجلس الوزراء . بحيث يصبح البريطانيون موظفين كبارا فى الحكومة فحسب ، ويتولى رياسة مجلس الوزراء رئيس الاغلبية فى

المجالس التشريعي . وحينمــا تتم هذه الاشكال الاربعة يأتى الشكل الخامس والاخير وهو اعلان الاستقلال فى نطاق « الكومنولث » أو بعيدا عنه أما نظام الحكم الفرنسى فى افريقية ، فيدور حول ((**الحكم المباشر**)) ذلك لانها تنظر الى هذه البلاد ، على أساس أنها أراض ملحقة بأرض فرنسا الأم ، فهم يعملون على قطع صـــلة البـلاد بماضـــيها ، ومعتقداتها ، لانهم لا يعترفون بها الا من خلال الاطار العـام لفرنسا . كل هذا مع وضع اليد تماما على مقدرات البلاد ، والاحتفاظ بالقوى العسكرية لمساندة الوضع الجديد .

ومن هنـا نراهم يعملون جاهدين على خلق نظام يوافق هذا الشكل من الحكم ، وهو « سياسة الاستيعاب » التى تفرض على الافريقيين الثقافة ، واللغة ، والنظم ، والمفاهيم الفرنسية .

على أنهم لم يقفوا عند حدود هذه السياسة ، فقـد أجبرتهم الظروف الاقتصـادية ، والظروف الدولية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى أوروبا ، على تغيير هذا الشكل من السياســة الى شبــكل جديد يسمى « سياسة المشاركة » حتى لا تتجمد العلاقة بين فرنســا والمستعمرات فى أشـــكال ادارية تقوم عــلى النظم الاقتصادية . وخاصة وأن هناك تغايرا بين النظم ، والعـادات ، والمجتمعات فى المستعمرات ، وهــكذا وضعت سياسة تهدف الى التعاون بين الحكم الفرنسى ، والنخبة الافريقية المفرنسة فاكتفوا بفرنسة القادة بدلا من فرنسة الشعب ، بحيث يكونوا جسرا بشريا بين الافريقيين ، والفرنسيين .

فالفـــارق هنـــا بين نظام الحكم الفرنسى القائم على المشاركة ، والحكم الانجليزى غـير المباشر ، هو : « أن الانجليز دعموا ، وقووا الهيئـــات ، والزعامات المحلية ، والقبلية لتصبح جزءا من تنظيم حكومى ادارى يشرف على المستعمرة ، بينمايهدف الفرنسيون الى اقامة هيكل ظاهرى لا يمتلك أية ســلطة ، انما يأخـــذ دور المنفذ ، والخادم » .

أما الحكم البلجيكى فيقوم على نظام الوصايا الابوية Imperial Paternalism ومعنى هـــذه السياســـة أن الـــكونغيين قاصرون . لا يحســنون التفكير الا بالبلجيكيين ، ومن هنا لم يقم شكل من أشــكال الحكم المعروفة كالانتخاب . أو المجالس التشريعية أو نظام الحكم المحلى . أو قيام الاحزاب فالنظام هنــاك يقوم على أساس من المركزية المطلقة التى تســتمد نفوذها من « بروكسل » .

فاذا انتقلنا الى نظام الحكم البرتغالى فى افريقية وجدناه يقوم‌عدة أسس هى أن جميع الاراضى الافريقية لا تخرج عن كونهـا جزءا لا يتجزأ من أراضى البرتغال .

٢ ــ الادارة فى المســتعمرات تقوم على أساس مركزى‌يتبع فى نظمه وزارة المستعمرات البرتغالية .

٣ ــ كل ثلاث سنوات يعقد مؤتمر يضم حــكام المستعمرات فى لشبونة برياسة وزير المستعمرات للنظر فى جميع شئون المستعمرات .

٤ — تسيطر البرتغال فى المستعمرات على الشئون السياسية كافة ، وقد ترتب على هذا تحريم الاشتغال بالسياسة ، وقيام الاحزاب والصحافة الموجهة .

٥ — تأخذ البرتغال بمبدأ سياسة « الاستيعاب الاندماجى » وأهم شروطه لعملية الاندماج هذه هى اعتناق الكاثوليكية ، ومعرفة اللغات البرتغالية وآدابها ، فمتى تم هذا بمقتضى طلب رسمى كان من حق الافريقى مباشرة حقوق المواطن البرتغالى ، ورفع القيد العنصرى عنه .

٦ — تصدر الحكومة الخامة البشرية فى داخل المستعمرات الاوروبية أو خارجها التى تحتاج الى الايدى العاملة تحت اسم « عمال العقود » على أن يخضع فى اقامته لنظام البطاقات بحيث لا يتمكن من الخروج المحدد له الا باذن من رئيس البوليس .

* * *

ثم حدثنا المؤلف فى الباب الرابع عن الاقتصاد الجديد ، وكيف أنه أصبح جزءا من حركة اقتصادية عالمية مركزها ومحورها الاشكال الاقتصادية فى غرب أوروبا .

ثم حدثنا عن الاقليات غير الافريقية وعملية التوطن الأوروبى ، وأن عملية التوطن هذه تظهر فى شرق القارة لا فى غربها . بسبب أن الغرب تكثر فيه الامراض المتوطنة ، والحشرات ، وترتفع فيه الحرارة التى يصاحبها ارتفاع آخر شديد فى درجة الرطوبة وقد ترتب على عدم الاقامة هذه نمو الطبقة المتوسطة التى دفعت البلاد الى الحرية .

وقد كان هذا التوطن الأوروبى لعنة على الافريقيين فى كينيا ، واتحادى وسط افريقية ، وجنوب افريقية ، وأوغندة . ذلك لأن الأوروبيين يضعون أيديهم على الارض ، والمناجم ، والمؤسسات . أما الافريقيون فلا يمكنون الا من الاشتغال بالاعمال التى تستلزم جهودا عضلية .

أما الأقليات الآسيوية فلا تشكل خطرا على الافريقيين فى الغرب ، وبالرغم من كثرتهم فى شرق القارة الا أنهم لا يشكلون خطرا كذلك على الافريقيين فيه ، اللهم الا فى المظهر الذى يظهر فى استخدام الاوروبيين للهنود ضد التقدم فى البلاد ، كما هى الحال فى أوغندة .

ولعل من أشد مشكلات التوطن تعقيدا فى افريقية هو هذا التوطن الفرنسى الذى يبلغ تعداده ١٫٦٠٠٫٠٠٠ يعيش منهم ٣٥٠ ألف منهم فى المغرب ، ويعيش ١٦٩ ألف فى تونس ، أما الباقون فيعيشون فى الجزائر .

فاذا انتقلنا الى ملكية الارض . وجدنا أن الارض غالبا لا يملكها الا افريقيون فى غرب القارة . أما فى أوغندا فقد وضع الانجليز أيديهم على الاراضى غير المستغلة فى الزراعة ، وفى « كينيا » نرى الأوروبيين يمكنون من الاستيلاء على الارض المرتفعة الخصبة ، والتى تمتاز بصلاحية المناخ لهم ، أما الأراضى المنخفضة فهى فى يد الافريقيين

وتمتاز بالجدب ، وحرارة الجو ، وكثرة الصحراء .

فاذا انتقلنا الى المغرب العربى وجدنا أن مظاهر السياسة الفرنسية هناك انتزاع الاراضى الزراعية ، وظهور « الكولون Colon » والمقصود بهم « المستوطنون الفرنسيون » الذين تم توطينهم على نظام عسكرى . بمعنى أن الجنود المحاربين يقيمون فى مناطقهم العسكرية ، ويمكنون من الاستيلاء على الارض ، وزراعتها ، وقد يكون التوطين على نمط دينى . أو مدنى . فتقبل العائلات الفرنسية . أو الجماعات التبشيرية . وقد يكون أحيانا بتسهيل هجرة الطليان ، والاسبان ، وسكان الجزر الفرنسية فى البحر المتوسط مع منحهم الجنسية الفرنسية . كما يكون بالتخلص من رجال العصابات ، والمجرمين ، والمسجونين السياسيين ، وقد بلغ عدد رجال « الكولون » حوالى المليون فى عام ١٩٥٥ .

ثم حدثنا المؤلف عن قيام المدن الحديثة التى تعتبر مخازن للتصدير ، والاستيراد اذا كانت فى الداخل . فاذا كانت على الساحل فهى ميناء للتصدير والاستيراد .

وتحدث عن خطوات التبشير ، والتعليم ، والثقافة ، وكيف أنها لم تضن على البلاد بزعماء مبرزين بالرغم من قيام التعليم على أساليب استعمارية

ثم كيف ظهرت طبقة اجتماعية جديدة هى الطبقة المتوسطة لأن نمو الاقتصاد الرأسمالى فى الزراعة ، والتجارة ، والتعدين ، وعلاقات الانتاج والتوزيع . كل هذا قد أتاح لهذه الطبقة أن تتعامل بالبيع والشراء ، وأن تثرى من وراء هذا ، وخاصة أن نشاط هذه الطبقة قد اتسع حتى شمل المدن والقرى . ثم مكنها أخيرا من أن تسهم هى الاخرى فى عدة مجالات اقتصادية فى البلاد . وقد ظهرت هذه الطبقة فى وضوح فى غرب افريقية لكثرة الامراض ، وعدم ملاءمة الجو والحياة للأوروبيين هناك . وقد ساعد هذا الثراء الطبقة المتوسطة على أن تتكلم الانجليزية ، وتأخذ نفسها ببعض ألوان الحياة الانجليزية هناك . كما استطاعت أن ترسل بأبنائها الى جامعات أوروبا ، وأمريكا للتعلم . فاذا أضفنا الى هذا أن الانجليز لم يحطموا القبلية والرياسات المحلية ، وأن مركزهم المالى كان قويا بما كان يربط لهم من اعانات ، ومرتبات ، وبما كان يحق لهم من فرض ضرائب ، وجباية ، واعانات على أبناء الشعب ، وبما كانوا يسهمون به فى شتى الحياة الاقتصادية اذا أضفنا هذا الى ما سبق رأينا أن هذه الطبقة كانت على شتى من الثراء جعلها تدفع بأبنائها الى التعليم فى الخارج ، وتعيش فى حياة اقتصادية موفورة .

وقد ساعد التعليم بالخارج على ظهور طبقة متوسطة . فقد امتهن المتعلمون عدة مهن ضرورية فى حياة الشعب كالمحاماة ، والطب ، والتدريس ، وأعمال البنوك ، وادارات الحكومة ، ودر عليهم كل هذا فائضا من الدخل جعلهم يعيشون حياة تختلف عن حياة آبائهم ، وجعلهم يفكرون بطريقة جديدة اكتسبوها من الخارج .

ولكن سرعان ما اصطدمت هـــذه القوى الجديدة النامية بالقوى المتجمدة الاخرى فى البلاد ، فبحـكم ثقافتهم ، وأوضاعهم الاجتماعية لم يقروا النظم القبلية ، ودور الزعماء ، والرؤساء ، والسلاطين ، والامراء المتوارثة فى البلاد فقد رأوا من حقهم أن يديروا بلادهم بالفهم الجديد ، والخبرات الحية التى اكتسبوها داخل البلاد ، وخارجها . على أن هذا الاصطدام لم يقع فجـأة لأن عملية التمهيد له كانت بطيئة ، وخاصـــة أن الامر كان يتعقـد لأن الاستعمار كان يحاول دائما الاستفادة من هذا الشــقاق بين القوى الحيـــة الجديدة ، والأوضـــاع الموروثة فى البلاد . فقد « أصبح الرؤساء فى مركز شاذ فنتيجة لوظائفهم هم مسئولون يوميا عن تنفيذ سياسة الحكومة فى مناطقهم ، وفى مقـابل هذا يتمتعون بالثقـة الحـكومية ، ومن وقت لآخر تستشيرهم الحكومة سرا فى موضوعات الساعة ، وتعينهم الحكومة فى المجالس التشريعية كأعضاء غير موظفين لتمثيل الافريقيين . فماذا يفعل هذا الرئيس اذا قدمت الحكومة مشروعا أو قانونا سبق أن وافق عليه سرا ؟ وماذا يفعل هو ان قام أحد الاعضاء غير الموظفين بانتقاد اجراء تم فى منطقة هذا الرئيس وسبق أن وافقت الادارة الحـكومية عليه ؟ هل يستطيع أن يعـارض أى قرار أو اتجـاه سبق أن استشارته الحكومة سرا بشـأنه ؟ انه اذا وافق عليه فى المجلس اتهمه الوطنيون بأنه خائن ، ورجل الحـــكومة ، وعـــدو الافريقيين ! ... واذا عارضـه فقد ثقة الحكومة ، وسخطت عليه ! » .

ومن هنا كان لنمو الطبقة الجديدة التى تشـــمل المتعلمين ، والاداريين ، والكتبة ، والمدرسين ، والسياسيين ، والمحامين ، والمهنيين ، والتجـــار ، والصناع ، والخبراء ، وزعماء النقابات العمالية ، والجمعيـــات التعاونية ، والمقاولين ، الخ .. هذه الطوائف كان لنموها أثر كبير فى توجيـــه الحياة السياسية هنـــاك . فهم الذين تحدوا سيطرة الاجانب ، وهم الذين رفعوا صيحات الحرية ، وعلى أيديهم تحقق الاستقلال بعيدا عن الزعامات التقليدية وكانوا مدفوعين الى الحـــرية بعوامل داخلية نفسية ، وبعوامل خارجيـــة ، كتلك الآثار التى أحدثتها فيهم الحرب العالمية الثانية ، والاصداء العالمية التى تقرر للانسان نصيبه من الحياة .

ثم حـــدثنا المؤلف عن الحـــركة الوطنية ، والمنظمات السياســـية . فوضح لنا أن « الحركات الوطنية » تختلف فى الحكم ، والكيف بين كل منطقة وأخرى ، وأنها تمثل فى أغلب حالاتها جبهة . أو تجمعا وطنيا . أو مؤتمرات ، وتنضم تحت لوائها عـــدة طبقـــات اجتماعيـــة تقرب بينها أزمة سياسية ، أو مقاومة اجراء حكومى ، أو مطلب دســـتورى ، وأنهـــا تسعى جاهدة الى القضاء على الحكم الاجنبى واحلال حكم افريقى مكانه . والذى يظهر واضحا من كل هـــذا أن طبيعة الحركات الوطنية تختلف فى مكان عنهـــا فى مـــكان آخر ، فالظروف السياســـية ، والتراث التاريخى فى الشمال غيرها فى الجنوب ، والسياسة الفرنسية غير السياســـة الانجليزية وهكذا ..

ثم وضح لنا المؤلف المنظمات السياسية فى غرب افريقية ، فتعرض لنيجيريا ، وغانه ، وسيراليون . ثم تعرض للمنظمات السياسية فى أوغندا وكينيا ، والشمال الافريقى ، وافريقية الفرنسية . كما وضح لنا دور تصفية الاستعمار الايطالى فى افريقية .

* * *

وفى الباب السابع تعرض للتفرقة العنصرية والسياسية ، فذكر لنا أن الاساس الفلسفى للتفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب افريقية يظهر فيما ورد فى مقدمة دستور جمهورية الترنسفال . فقد جاء فيها ((**لن توجد مساواة مطلقا بين الأبيض والأسود ، سواء أكان فى الكنيسة ، أم فى جهاز الحكم !**)) وتعتبر هذه الفكرة نتيجة لعدة عوامل ، وأسباب قديمة نشأت مع تدافع الأحداث ، واحتكاك الأجناس وتسلط المتوطنين البيض ، وان كانت تتلاقى جميعها تحت العوامل التاريخية وأخرى سياسية ، ويمكن حق الاسباب والعوامل التاريخية الى ما يأتى : —

١ — **آثار الرق** : التى تخلفت عن الاوضاع الأرستقراطية ، التى عاش تحت ظلها البوير ولم يعترفوا بحقوق للافريقيين حتى رسب فى نفوسهم أنهم من طينة غير طينة الافريقيين .

٢ — **الكنيسة** : فقدساعدت الكنيسة هناك على نمو هذا الموقف وتعقيده ، فقد فرقوا منذ البداية بين المسيحى والوثنى ، وظلت كلمة الوثنى عالقة بالافريقى ، حتى لو اعتنق المسيحية . وهذا هو السبب فى تسمية الافريقيين هناك الى الآن « Kaffirs » .

٣ — **العلاقات المتبادلة** : فمنذ هبط الهولنديون رأس الرجاء الصالح وهم يتوسعون شمالا ، ولم يكن بد من كراهية الافريقيين لهم ، وقيام علاقات عدائية بين القوتين حتى لقد امتزجت عواطف الكره والخوف باللون ، ووصل العداء الى حد رهيب بين الطرفين .

٤ — **عقدة البوير ضد الانجليز** :

فقد رأى البوير فى الانجليز قوة جديدة تعمل لصالحها فقط ، وتعمل على تحطيم قوى البربر .

أما العوامل السياسية فترجع الى عدة أسباب أهمها :

١ — **العوامل الاقتصادية** : التى تتمثل فى حيازة الارض ، والتوسع فى الصناعات .

٢ — **العوامل الاجتماعية** : التى تتمثل فى آثار حياة المدنية الحديثة ، ونمو عدة مستويات من الطبقات العاملة ، والفكرية ، والاحتكاك الدائم بين الاجناس المختلفة . ثم أخيرا ظهور الاتجاهات الدولية الحديثة .

ثم يضع المؤلف التفرقة العنصرية فى ميزان العلم ، ويورد ما أجمع عليه العلماء من أن البشر الأحياء يتبعون نوعا واحدا من الكائنات وهو النوع البشرى ، وأنهم قد خرجوا جميعا من أصل واحد ، وأن بعض الاختلافات العضوية بين الجماعات البشرية يرجع الى خلافات فى التركيب الوراثى ، وبعضها الآخر يرجع الى خلافات فى البيئة ، وفى أغلب الاحيان يرجع الاختلاف الى العاملين معا . فالتركيب الوراثى للشعوب المنعزلة يتغير

بالتدريج وبالاستمرار بفعل عامل الانتخاب الطبيعى ، وعوامل الطفرة . كما يمكن التغير العشوائى فى داخل التعدد الجرثومى الوراثى بفعل عوامل الزواج والاختلاط الجنسى . وأنه ليس من الضرورى أن تتوافق الجماعات القومية . أو الدينية . أو الجغرافية . أو اللغوية ، أو الثقافية مع السلالات الجنسية المتعددة ، وليس هناك ارتباط بين الصفات الثقافية لجماعة ما ، وبين صفاتها الجنسية ، كما أن معظم علماء الاجناس لا يضيفون الصفات العقلية عند تقسيم السلالات البشرية ، وهكذا نرى أن المادة العلمية لا تبرر النتائج القائلة بأن الاختلافات الوراثية هى سبب فعال فى انتاج خلافات بين الثقافات ، وأنه ليس هناك دليل على صحة وجود الجنس النقى .

وأخيرا تعرض المؤلف للمؤتمرات الدولية الافريقية ، وذكر أنها كانت خيرا على القارة ، وأن عام ١٩٦٠ يعتبر فجرا صادقا للحرية ، والاستقلال ، والحكم الوطنى .

والكتاب بهذه الصورة يعتبر موسوعة فى بابه . كما يعتبر كسبا للمكتبة العربية التى تحتاج الى جهود كثيرة وصادقة ، كذلك المجهود العلمى الموفق الذى قام به المؤلف .

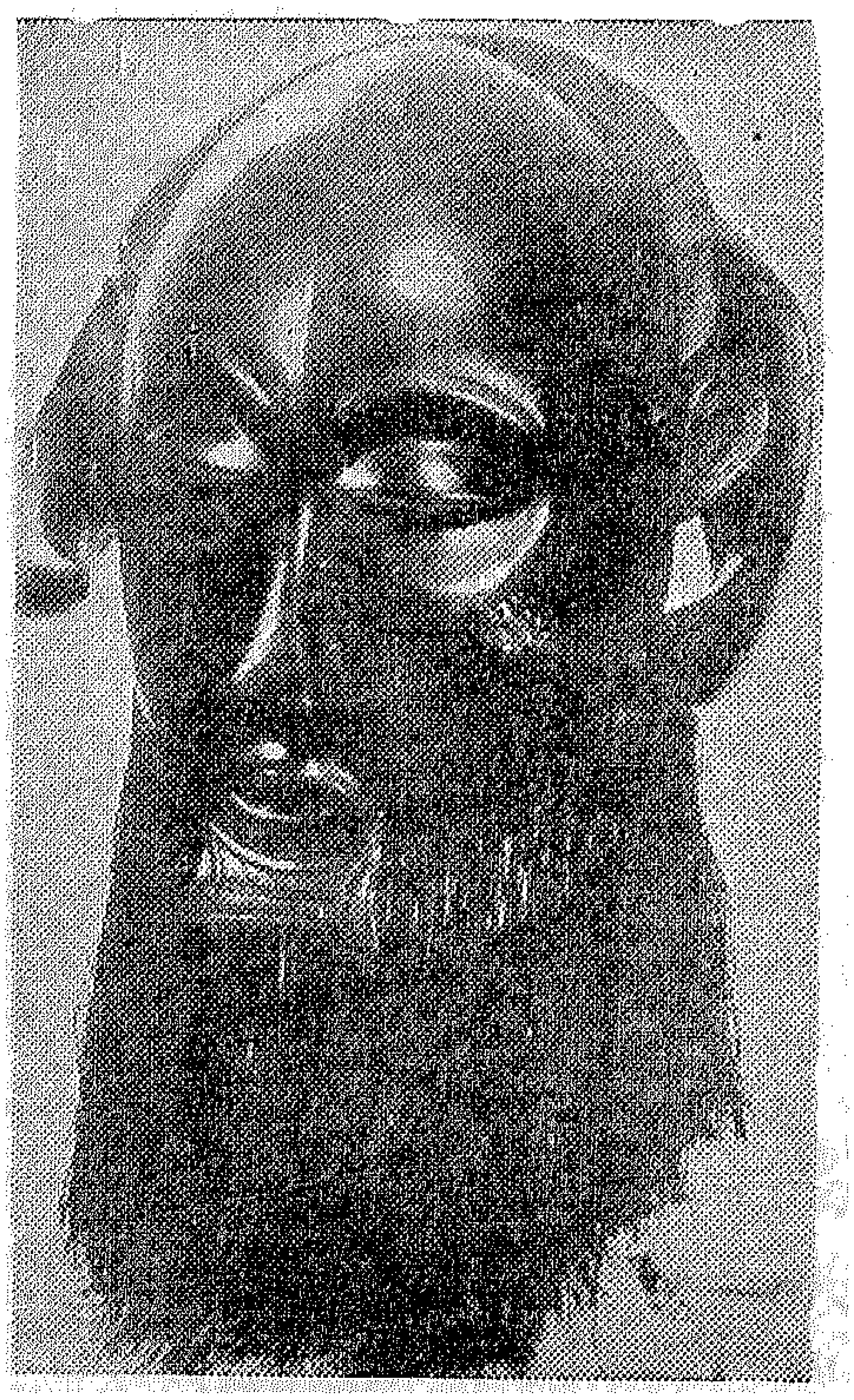

أول رحلة بحرية حول أفريقية

للأستاذ مصطفى الشهابى

ازدهرت الزراعة والصناعة فى عهود عدد كبير من ملوك الفراعنة ، وفاضت الغلات والمنتجات عن حاجة البلاد الى البحر الأحمر حفرت قناة ومخرت بها السفن فى البحر ، متجهة الى البلاد المجاورة لتصريفها فيها .

ولتسهل نقل المتاجر من داخل البلاد الى البحر الأحمر حفرت قناة سيزوستريس بين مدينة منف على النيل وذلك البحر ، وعندما حفرت قناة السويس بعد ذلك بألوف السنين اتبعت الطريق الذى كانت تسير فيه القناة القديمة من البحر الأحمر الى البحيرات المرة .

وفى عهد الملكة حتشبسوت — فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر قبل الميلاد — وصلت التجارة المصرية الى بلاد بونت (الصومال) . وبعد ذلك بثمانمائة عام (أى فى القرن السابع قبل الميلاد) تولى حكم مصر الملك نخاو N:: وكان عظيم الاهتمام بنشر تجارة مصر فى العالم الخارجى وكانت قناة « سيزوستريس » قد أهملت وطمرتها الرمال فشرع نخاو فى اعادة حفرها ، ثم عدل عن ذلك بعد أن فقد فى هذه المحاولة ١٢٠ ألفا من الفلاحين المصريين ، وبعد أن أنذره الكهنة بأن الاجانب سيتخذون من هذه القناة وسيلة للاضرار بمصر ! .

ولكن ذلك لم يثن عزيمة « نخاو » ، فوجه عنايته الى ارسال البعثات البحرية ترتاد البحار للكشف عن الطرق التجارية والبحث عن بلاد جديدة للاتجار معها .

وقد شجع نخاو على ذلك أمران :

١ — نجاح البعثة البحرية التى تمت فى عهد حتشبسوت ، وقيام اسطول المصرية فى السنوات التالية برحلات طويلة من البحر الاحمر نحو الجنوب .

٢ — أسطوله العظيم الذى كان يعمل فى قيادته عدد كبير من الفينيقيين الذين كانوا وقتئذ أمهر الملاحين وأشجعهم ، وكان لهم على الملاحة فضل عظيم .

وكان البحر الاحمر يومئذ بحيرة فينيقية ، وفيه احتكر الفينيقيون التجارة مع الدول التى تطل على سواحله ، ولهذا كان اختيار نخاو لهم لقيادة سفنه فيه جانب كبير من بعد النظر حتى يضمن لأسطوله السلامة فى البحار ، ولا يتعرض له الفينيقيون فى الموانىء التى يتجرون معها .

وقد أصدر نخاو أمره الى أسطوله هذا بالسفر من قاعدته فى البحر الأحمر للطواف حول أفريقية ، والعودة عن طريق بوغاز جبل طارق ، الذى كان القدماء يسمونه **« أعمدة هرقل »**

وكان المصريون يعتقدون أن الارض يحيط بها الماء من جميع الجهات (١) فأراد نخاو برحلته هذه أن يكشف ذلك الجزء الذى يحيط بالساحل الأفريقى ، ولعله كان يأمل أن يعثر له رجاله على أراض تدر عليه الخير العميم .

والمصدر الوحيد لهذه الرحلة هو هيرودوت ـ أبو التاريخ ، الذى طاف قبل الميلاد بأربعمائة سنة ، فى أرجاء أوروبا وأنحاء آسيا ، وزار مصر ، وتجول فى ربوعها حتى أسوان ، واستمع فيها لقصة تلك الرحلة المجيدة واليك تفصيل هذه الرحلة :

خرج الأسطول من احدى الموانىء المصرية التى على البحر الأحمر ـ من السويس غالبا أو من القصير ـ وكانت سفنه من ذات الخمسين مجدافا ، وكان ملاحوها يعتقدون أنهم سيفرغون من رحلتهم فى بضعة أشهر ، ولهذا لم يعدوا أنفسهم لثلاث سنوات .

وكان الملاحون فى الأزمنة القديمة يجوبون البحار على مقربة من الشواطىء فكانت المسافة التى يقطعونها بين مكان وآخر أطول مما لو شقوا عباب البحر ، فضلا عن تعرضهم لخطر الارتطام بالصخور القريبة من الشواطىء ، كما أنهم كانوا يسيرون نهارا فقط ، فاذا ما أقبل الليل أرسوا سفنهم فى ميناء أمين . أما الفينيقيون فقد شقوا عباب البحر نهارا وليلا ، وكانوا يهتدون فى سيرهم ليلا بالنجوم ولذا أطلق اليونانيون اسم «الفينيقى» على نجم القطب الشمالى الثابت دائما فى مكانه ، لأن الملاحين الفينيقيين اتخذوه مرشدا لهم فى أسفارهم .

وسار الاسطول جنوبا ـ والشمس عن يساره ـ محاذيا ساحل افريقية الشرقى ، ولقى كثيرا من المتاعب والمشاق بعد خروجه من البحر الاحمر عن طريق باب المندب ، ومر ببلاد الصومال ، ثم انعطف الساحل نحو الغرب فوقع فى خلد الملاحين أنهم أوشكوا على الوصول الى ساحل موريتانيا ، ولكنهم كانوا ازاء ساحل كينيا ، وساروا ازاء ساحل ناتال الحالية ..

وذات يوم دهش الملاحون ، فقد كانت الشمس تشرق عن يسارهم ، وها هى تشرق عن يمينهم ..

ولم يدروا أنهم داروا حول الطرف الأقصى من جنوبى أفريقية ، وهو الذى مر به بعد ألفى عام « بارثلمى دياز » وسماه « رأس العواصف » ثم سمى بعدئذ رأس الرجاء الصالح ، أو (رأس عشم الخير !) .

ومن الغريب أن « هيرودوت » وهو يروى نبأ هذه الرحلة ، يبدى شكه فى هذه الظاهرة بقوله : « وهذا أمر لا يمكن تصديقه .. وقد يقبله الآخرون أما أنا فلا يمكننى قبوله ! » .

وواصل الاسطول سبيل العودة ، متجها شمالا فى محاذاة ساحل أفريقية

---

(١) كان هيرودوت يعتقد أن ليبيا (وهو الاسم القديم لقارة افريقية) يحيط بها الماء من جميع الجهات ماعدا الجزء الذى يصلها بآسيا فيما بين خليج السويس والبحر المتوسط ، وقد جاء بطلميوس الجغرافى بعده بستمائة سنة فأيده فى ذلك .

الغربى ، حتى وصـــل مضيق جبل طارق (أعمدة هرقل) .

وكانت منطقة جبل طارق يومئذ تعج بالسفن الفينيقية التى تتجر مع أسـبانيا والبرتغـال وبريطانيا التى أطلق عليها الفينيقيون يومئذ « بلاد الصـفيح » لأنهم كانوا يسـتوردونه منها .

ورأت السفن الفينيقيــــة ذلك الاسطول المصرى ، وقد بدا على رجاله الضعف والهزال على أثر تلك الرحلة الطويلة الشاقة ، وهموا بأن يستولوا عليه غنيمة باردة لهم ، ولكن وجود اخوانهم الفينيقيين على رأسـه جعلهم يتركونه يمر بسلام .

ومن جبل طـارق سـارت سفن الاسطول حتى وصلت الى فرع رشيد للنيل ، وسارت فيه حتى وصلت الى مدينة سايس (صا الحجر) عاصمة مصر يومئذ .

وبذلك انتهت تلك الرحلة وسجل التاريخ لمصر القيام بأول رحلة حول أفريقية .

وقد استغرقت هذه الرحلة الطويلة نحو ثلاث سنوات ، نفدت فى خلالها مؤونة الملاحين أكثر من مرة ، فكانوا فى كل مرة ينزلون الى الساحل الأفريقى فيحـرثون الأرض ويبـذرون الحب وينتظرون حتى يحصدوا المحصول ، ثم يقلعون ويواصلون سـيرهم حتى تنفـذ مؤونتهم مرة أخرى فيعيدون الكرة ، وعلى ذلك فلابد أنهم حصدوا ثلاثة مرات فى رحلتهم هذه . وفضلا عن زراعتهم القمح اللازم لخبزهم فقد اشتغلوا أيضا بصيد كثير من الاسماك والحيوان ، وليس هناك ما يدل على حدوث قتـال بينهم وبين أهالى تلك البلاد ، بل يحتمل أنهم صـادقوهم ومنحوهم هدايا ، وذلك لما هو معروف عن الفينيقيين من معـاملة الشعوب الغريبة عنهم بالكرم والحسنى .

ويذكر « هـيرودوت » كيف كان الفينيقيون يتعاملون مع أهالى الساحل الغربى لأفريقية ، فيقول : أنهم كانوا عند وصولهم الى تلك البـلاد ينزلون الى البر ويضعون بضاعتهم على الشاطىء ثم يوقدون نارا يتصـاعد دخانها ، ويعودون الى سفنهم ، فعنـدما يرى الاهالى الدخان المتصاعد يسرعون نحو الشاطىء ويفحصون ما عليه من بضاعة ويضعون بجانبهـا ما تساويه فى نظرهم من الذهب ، ويتراجعون الى مسافة بعيدة .

عندئذ ينزل الفينيقيون الى البر مرة أخرى ، فاذا راقهم ما تركه الاهالى من ذهب ورأوا أنه يكفى ثمنا لبضاعتهم أخذوه ورحلوا ، أما اذا رغبوا ثمنا أعلى رفضوا أخذه ، وعادوا الى سفنهم ثانية وانتظروا صابرين ، فيعود الوطنيون ويزيدون عـلى الذهب ثم ينسـحبون حتى يتأكدوا من رضاء التجار .

ويقول « هيرودوت » ان الفريقين من الفينيقيين والافريقيـين سـلكوا مسلك الأمانة فى معاملتهم ، فـكان الملاحـون لا يمسـون الذهب حتى يساوى ثمن بضاعتهم ، وكان الأهالى لا يقربون البضائع حتى يؤخذ ثمنها .

سجل « هيرودوت » فى كتـابه تفصيلات هذه القصة مما سمعه من الكهنة المصريين ، خـلال زيارته مصر

عام ٤٦٨ ق . م . وقد شك بعض المؤرخين فى صحة هذه الرحلة ، ولكننا عهدنا هيرودوت مؤرخا صادقا لا يختلق ما يكتب ، بل يصف ما تراه عيناه ، ويقص ما تسمعه أذناه .

وأول من أبدى ارتيابه فى هذا الموضوع هما المؤرخان اليونانيان « بوليب » (٢٠٤ — ١٢٤ ق . م) ثم « بوزيدوئيس » .

غير أن كلا منهما لم يذكر الأسباب التى دفعته الى الشك .

وفى يناير سنة ١٩٠٧ نشر المؤرخ الانجليزى « وب » مقالا فى المجلة التاريخية الانجليزية أبدى فيه شكوكه فى تلك الرحلة ، ولكن المؤرخ الألمانى « مولر » تصدى للرد عليه ، بما يثبت صحتها :

وتتلخص أقوال « وب » فيما يأتى :

١ — لا يوجد مصدر آخر يؤيد رواية هيرودوت .

٢ — ان ما رواه هيرودوت تعوزه التفصيلات ، فهو لم يصف البلاد التى مر بها الاسطول المصرى ، ولم يتحدث عن الشعوب التى تعامل معها ، ولا ذكر ما لقيه من رياح وبحار وتيارات بحرية .

٣ — ان ثلاثة أعوام مدة غير كافية للطواف حول أفريقية من السويس حتى بوبسطة فى سفن تسير بالمجاديف .

٤ — ولماذا لم يقم المصريون برحلات أخرى مماثلة فى القرون التالية اذا كانوا حقيقة قد نجحوا فى هذه الرحلة ؟

وتتلخص ردود مولر عليه فيما يلى :

١ — من الجائز جدا أن الرحلة تمت فى الوقت الذى كان فيه حكم نخاو قد انقضى ، وأن الأسطول المصرى وصل الى عاصمة البلاد بعد أن رقد نخاو فى ناووسه ، وأن ابنه ابسماتيك الثانى كان عاقا له فلم يشأ أن يسجل مآثر أبيه .

وقد ثبت أن بعض الفراعنة قد قاموا بأعمال مماثلة ، فالزائر للمتحف المصرى سيجد أن أول تمثال يقابله عند دخوله اليه ، على مقربة من الباب الرئيسى ، تمثال كبير يحمل رقم ٤ .

هذا التمثال صنع لرمسيس الثانى ولكن ابنه منمفتاح اغتصبه ونسبه لنفسه ، ولولا وجود الاسم على القاعدة لما تنبه أحد لذلك الادعاء ، بل ذلك العقوق .

٢ — اذا كان هيرودوت — على غير عادته — لم يتناول ذلك الموضوع باسهاب ، فالسبب فى ذلك يرجع الى أنه يروى حادثا تاريخيا مضى عليه — يوم قدومه مصر — نحو مائة وخمسين عاما ، وربما كان الرواة الذين سمع منهم من الرجال الحذرين فتوخوا الايجاز فى ذكر الموضوع على رجل أجنبى .

وليست هذه هى الحالة الوحيدة التى رواها هيرودوت بايجاز ، فهناك مثلا موضوع التمثيل عند الفراعنة ، وهو موضوع اكتفى هيرودوت بالتلميح اليه تلميحا خفيفا جدا .

وقد كان موضع جدال لدى المؤرخين حتى ثبت أخيرا أن الفراعنة أقاموا

أول مسرح عرفه العالم ، وأن هيرودوت كان صادقا فى روايته .

وهناك ناحيـــة أخرى هامة ، هى أن البحارة الفينيقيين ربما أحجموا عن اعطاء أية تفصيلات مفيدة عن هـذا الموضوع ، حرصا منهم على الاحتفاظ لانفسهم بأسرار الطرق التجـارية ، حتى تظل التجارة دائما فى أيديهم .

ومن المعـــروف أنهم كانوا ـ فى سبيل المحافظـة على تلك الأسرار ـ يؤثرون الموت دون افشـائها ويروى أن احـــدى سفنهم تعقبتهــا سفينة رومانية ، فماكان من السفينة الفينيقية الا أن جنحت الى أقرب شاطىء ولم تتم رحلتهـا ، حتى يئست منها السفينة الرومانية وابتعدت عنها .

بل ان الفينيقيين هم الذين ابتكروا تلك القصص المخيفة عن الأهوال التى يلاقيها كل من يتجول فى البحار ، من حيوانات ضخمة ومخلوقات مخيفة وكوارث لا ينجو منها أحد ، مما نراه فى قصص السندباد وأمثاله . لقـد ابتكروا تلك القصص ليدخلوا الرعب فى قلب كل من تحدثه نفسه بركوب البحار للتجـارة حتى يحتكروا ذلك الميدان .

٣ ـ ان المسافة التىقطعها الاسطول المصرى يبلغ طولهـا نحو ٢٦ر٠٠٠ كيلو مترا ، وثلاثة أعوام تكفى لقطعها اذا سارت السفن بسرعة عادية ، بل أقل من العـادية ، فما بالك والذين يقودونهـا هم أولئـك الملاحـون الفينيقيون المهرة الخبيرون باتجاهات الرياح والتيارات البحرية فى البحر الأحمر والبحر المتوسط .

واذن فلا مفر من التسليم بأن هذه الرحلة قد تمت فعلا ، وأنها كانت أول رحلة من نوعها .

٤ ـ أن الحالة السياسـية تغيرت بعد وفاة نخاو ، ومثل تلك الرحلات تحتاج الىاستعدادفنى ، يتكلفتكاليف مالية باهظة لا يجازف بها الا الاقوياء من الملوك .

وقد منيت مصر بعد نحو نصف قرن من عهد نخاو بغزوة فارسية قام بها قمبيز ، وليس من المعقول أن يفكر أى ملك مصرى فى القيام برحلة مماثلة فى تلك الظروف .

يضـــاف الى ذلك أن تلك الرحلة ـ بالرغم من نجاحهـــا ـ لم تشجع الفينيقيين على القيام برحلة أخرى ، وذلك لأن الوصول الى موريتانيا عن طريق البحر المتوسط أقصر زمنا وأقل تكلفـــة ، وأنه من الخطر الجســيم التعرض لرحـلات طويلة ، ونتائجها الاقتصادية لا تعادل ما يبذل فيها من جهد ووقت ومال .

فلنذكر دائما كلما طالعنا شيئا من قصص الرحلات أن العرب والفينيقيين والمصريين تعاونـوا جميعا على القيام بأول رحلة حول افريقية ، بل حول العالم الذى كان معروفا فى أيامهم .

المغرب فى صور

ملك المغرب

يسعد الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة الآن بزيارة الملك ((محمد الخامس)) ملك المغرب. الذى يعتبر أحد الارتكازات العربية القوية فى المغرب الأقصى ، والذى استطاع بجهاده ، وكفاحه أن يحرر بلاده من الخوف ، والاستقلال ، والعبودية بفضل ما وهب من حب الشعب له ، ومساندته لكل الخطوات العملية التى سارت بشعب المغرب على طريق الحرية ، والاستقلال .

وقصة الملك العربى ترتبط بالسياسة من صغره ، فقد اختير من دون اخوته ، الذين يكبرونه ، ليتولى الحكم ، ولتكون هناك فرصة تستطيع فيها فرنسا أن تحكم قبضتها على البلاد ، ولكن الملك العربى خيب آمال فرنسا ، ووجه لها ضربات قاصمة. فكان وراء الخطط التحررية التى بدأت بصورة فعالة فى عام ١٩٣٦ ، كما ساند ((حزب الاستقلال)) الذى تكون عام ١٩٤٤ ، وقدم وثيقة تاريخية يطالب فيها بالتحرر من السيطرة الفرنسية .

وكان يتلقى كل آمال الشعب ، ويطورها ، ويعتبر نفسه أول المسئولين عنها ، وفى سبيل هذا الاخلاص لشعبه أبعد عن بلاده فى ٢٠ من أغسطس عام ١٩٥٣ ، ولكن الشعب الذى ضحى من أجله لم يهدأ يوما واحدا ، وبفعاليته وحبه لمليكه أمكنه أن يعيده الى عرشه .. والى شعبه .

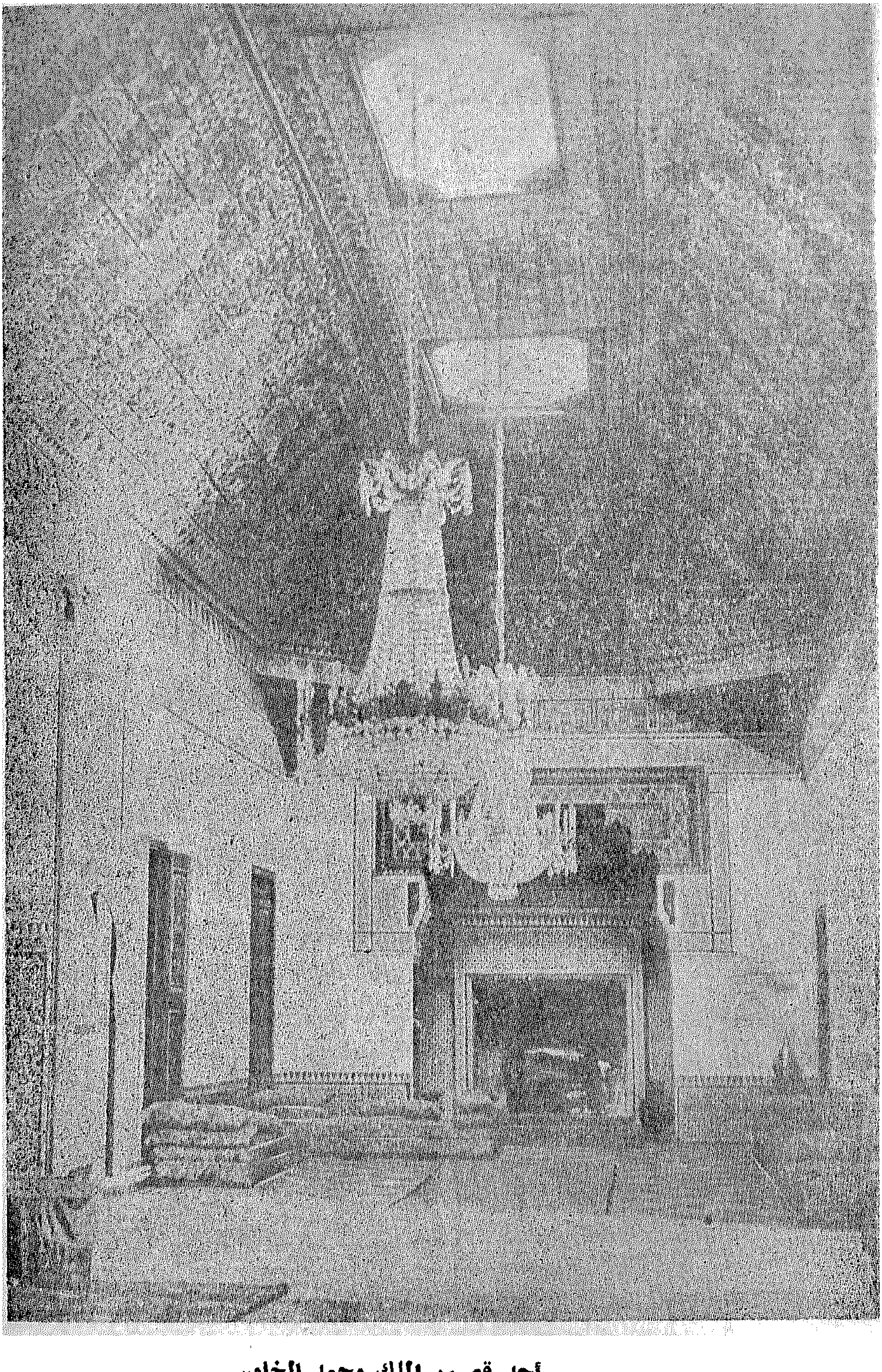

أحد قصور الملك محمد الخامس

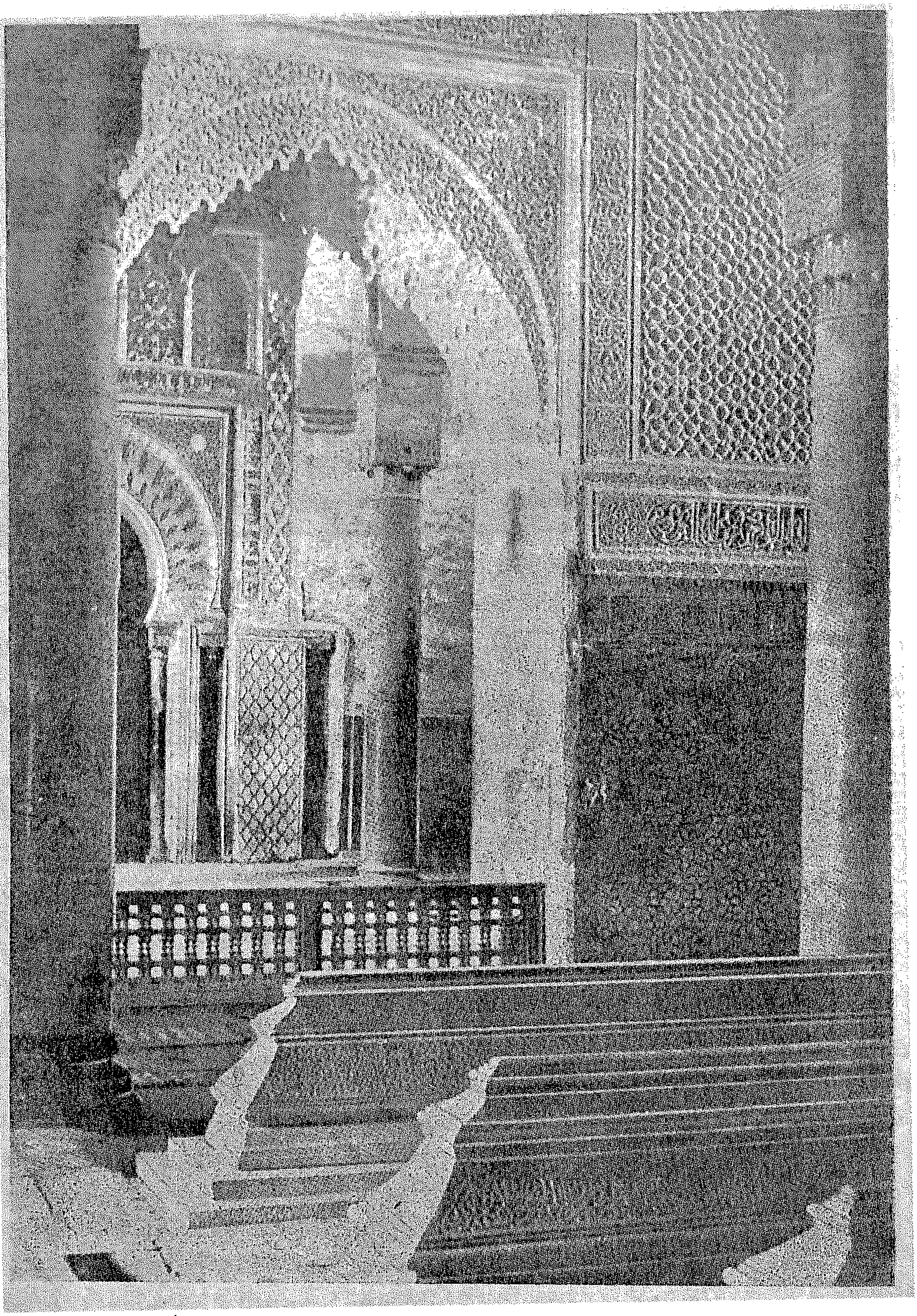

من الفن العربى فى المغرب

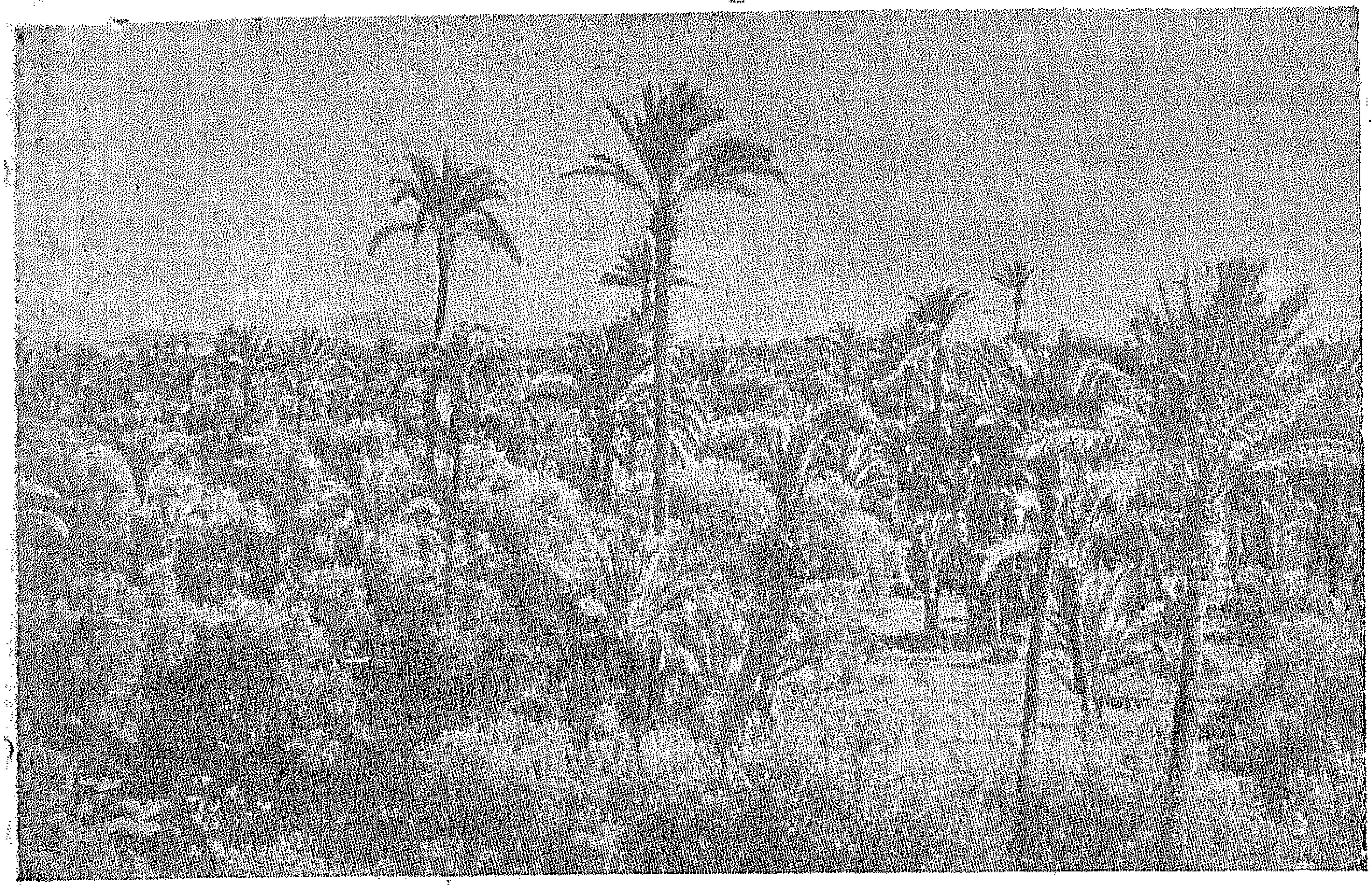

الطبيعة فى المغرب

قافلة الملثمين

شخصية العدد

عقبـــة بن نافع

للأستاذ محمد فهمى

أرجاء العالم كله ترجها الأنباء رج الزلازل . فالأمبراطوريات العتيدة التى رست قواعدها منذ مئات السنين حتى ظنها الناس راسخة رسوخ الجبال، مستقرة استقرار الكواكب فى مداراتها، تهوى متصدعة تحت مطارق حملة الرسالة المحمدية !.

جيوش كسرى فى الأهواز تسحقها ضربة عربية يؤسر على أثرها قائدها الهرمزان .. سواد العراق تحت سنابك خيول الاسلام ..

كسرى يبنى سدا ضخما من جيوشه بالآلاف المؤلفة على رأسها أبرع قواده (رستم) ليصد التيار الجارف ..

سعد بن أبى وقاص يقابله فى القادسية على رأس المجاهدين . لقد عض المجاهدون على سيوفهم بالنواجذ، وصمموا على النصر او الموت .. التيار يسير مندفعا محطما كل ما فى طريقه.. رستم يصرع بعد قتال تشيب لهوله الولدان ، لقد تحطم السد وتناثرت أشلاؤه فابتلعه اليم .. يم الايمان المتدفق !!.

هرقل فى الشام ماكاد يهنأ بانتصاره على ملك الفرس ، ويقيم الاحتفالات الضخمة فى بيت المقدس ابتهاجا بهذا النصر حتى أدركه السيل ..

هرقل يحشد مئات الآلاف من جيوشه .. ثم يقيم سدا من الدروع والحديد والكماة والفرسان ..

خالد بن الوليد فى اليرموك على رأس جيوش الايمان يسحقه بضربة خالدية .. السد يتناثر بددا ، ويبتلعه اليم يم الايمان المتدفق .. سقط بيت المقدس وسوريا وفلسطين . عمرو ابن العاص يدك فى مصر حصن بابليون. وها هى أسوار الاسكندرية تتداعى تحت مطارقه . لاشىء يستطيع الثبات أمام سيل الايمان المتدفق ، لا شىء أبدا من جيوش أو قوة أو حديد ..

فى هذا المعمان الزاخر بمعجزات البطولة والاستشهاد كان الفتى ((**عقبة بن نافع**)) يقوم بواجبه فى الجهاد ، وتحطيم قوى المتكبرين ، بطلا معلما فى الميادين ، ميزته جرأته الفائقة وتصرفه المحكم فى المواقف الحرجة وكان جده لأمه ((**عمرو بن العاص**)) القائد الأعلى لجيوش الفتح فى مصر مغتبطا فى نفسه متفائلا ، واثقا بمستقبل الشاب البطل .. كما كسب الشاب ثقة الخليفة (معاوية) فأمره على عشرة آلاف من المجاهدين لذلك

قوى الطغيان فى افريقية الشمالية ونشر الرسالة المحمدية .. واندفع القائد الشاب كالاعصار لا يبقى على شىء .. تجاه برقة فاكتسحها اكتساحا، بآلافها المؤلفة لصده ، ولكن عقبة القائد الفذ حطم فى سبيله كل الجموع التى تصدت له ، مخترقا طريقه نحو تونس والجزائر ، يدك الحصون والقلاع ، ويسحق الجيوش ببراعة قيادته ، واستماتة جنده من المؤمنين الصابرين الصادقى العزم . حتى بلغ موضع القيروان ، وتلفت وراءه فرأى الشقة قد بعدت بينه وبين قاعدته فى مصر . ولكن عقبة وهو الذى لم يذهب الى كلية حربية ، وانما تلقى العلم على أساتذة كخالد بن الوليد وأبى عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص يكتبون دروسهم بالدم .. أدرك بفطنته أن لابد من انشاء قاعدة جديدة للتموين والامداد لكى يواصل الفتح ، وفى مكان القيروان الحالى كانت تنبت الأعشاب والحشائش ، وتتكدس فيها أكوام الحجارة ، فسوى عقبة أرضها وشيد مكانها مدينة كبيرة فى ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هى مدينة القيروان وجعلها عاصمته الافريقية .

ومن هناك توالت عليه الامدادات، وأخذ يعد العدة لاتمام اكتساحه ،غير عابىء بمقاومة البربر الأشداء الذين كانوا أقوى أعداء العرب بأسا ، وأشدهم مراسا ، لبساطة الحياة عندهم ، وبعدهم عن ترف المدنية الذى أصيب به الروم والفرس .

ولكن أنى لهم الوقوف أمام قوة مستمدة من رسالة عاوية شاء لها الله أن تظهر وأن تسود ؟ .

مضى على عقبة فى جهاده الموفق عشر سنوات توفى بعدها عمرو بن العاص ، وتولى أمر مصر مسلمة بن مخلد ، فعزل (عقبة) عن القيادة فى افريقية ، وولى مكانه أبا المهاجر قائدا على المجاهدين .

دهش « عقبة » وحز فى نفسه هذا العزل المفاجىء لا حبا فى الرياسة ولا طمعا فى الفخر ، بل لأن العزل حال بينه وبين تنفيذ ما أحكم من خطة ، وما وضعه من تصميم **« لاكتساح شمال افريقية حتى الأطلسى »** فعاد الى دمشق يدفعه هذا الشعور الممض، وعاتب الخليفة معاوية فى أمر العزل ، ولما لمس الخليفة ما يكنه من حماس وثقة ، وما يضطرم فى روحه الوثاب من مشاعر البطولة وعده باعادته الى القيادة . ولكن الخليفة معاوية مات قبل أن يتم وعده لعقبة ، وجاء ابنه يزيد فطالبه عقبة بتحقيق وعد أبيه ، فأعاده الى امرة الجيوش فى افريقية مع أن أبا المجاهد كان قد التحم مع الروم والبربر فى عدة معارك وكتب فيها النصر .

وتقدم عقبة فى فتوحه حتى بلغ (بجاية) وهناك انتصر على الروم انتصارا باهرا ، ثم حاصرهم فى مدينتهم ، ولما رأى الحصار سيؤخره عن الاندفاع نحو هدفه ساحل البحر، سار متجها الى بلاد الزاب الواسعة ذات المدن الكثيرة ، وعند العاصمة (اربه) هزم جموع الروم هزيمة منكرة ثم اتجه بعدها الى (تاهرت) فجمع له البربر فيها جموعا عظيمة وأرادوا خضد شوكة هذا القائد الذى لا يقف فى سبيله شىء ، والذى يفل

بجنده جيوش الروم أساتذة الحروب، كما يفل جموع البربر أسود الجبال ، فكأنما هذا القائد قد حاز سر النصر فى قبضة حسامة ، وبالرغم من محاولات أعدائه الأشداء المتكررة فى مقابلته فى الموقعة تلو الموقعة ،والصمود أمامه فى الموقف اثر الموقف ، فقد كان يبدى من اليأس ما يفوق بأسهم ، ومن المهارة ما يفل مهارتهم . فاذا صمدوا له صمد لهم حتى تخور عزائمهم ،واذا صبروا صبر حتى ينفد صبرهم ، واذا ختلوا أو مكروا كان أدهى منهم مكرا وختلا .. حتى وصل الى طنجه.

ومن « طنجة » نزلت جيوش الفتح جنوبا الى بلاد السوس الأدنى، وعلى رأسها القائد المظفر،فلقيته جموع البربر من أهل البلاد ، ونشب قتال عنيف انهزموا على أثره ، وانتصر قائدنا شأنه فى كل المعارك . وكانت الهزيمة ساحقة للعدو ، فدانت له كل بلاد السوس الأدنى ومن بعدها هبط الى بلاد السوس الأقصى ، فاجتمع له جموع البربر فكر عليهم كرة أخرى فهزمهم هزيمة منكرة ، واتجه غربا يفتح البلاد ويدك القلاع، واصبح خبر مسيره يلقى الرعب فى قلوب أعدائه ، فيفر من طريقه كل من الروم والبربر، وقد يئسوا من نضال هذا القائد الذى كأنما عقد مع النصر محالفة لا تنفصم عراها أبدا .. وما النصر الا من عند الله .. وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

فمن أولى بالنصر من جيوش الاسلام وقائدها الباسل عقبة بن نافع ؟ ونظر عقبة أمامه فاذا الأرض قد انطوت تحت سنابك خيله ، واذا المحيط يعترضه باتساعه الذى لا يتناهى.. اذن لم يبق أمام عقبة ما يفتحه من بلاد .. وغاظه أن يقف المحيط الشاسع أخرس لا يبين عن أرض وراءه يذهب اليها فاتحنا العظيم . وشعر بتحدى المحيط له فأثار هذا حنقه ودفع حصانه فى الماء حتى كاد يغمره : وصاح متحديا المحيط قائلا كلمته المشهورة :

(والله لو أعلم أن وراءك أرضا لذهبت اليها غازيا فى سبيل الله) ..

* * *

عاد الفاتح أدراجه الى قاعدته القيروان ، وقد أتم رسالته ، وحقق أمله ولكن اشتجرت فى نفسه وهو عائد مشاعر وأحاسيس حزينة ..

ويحك ياعقبة . .هذا أنت تخوض المعامع والمعارك غازيا فى سبيل الله ، طالبا النصر أو الشهادة ، وان حرصك على النصر ، وهذا أنت تحرم أغلى الأملين ، وفى هذه اللحظة رنت فى أذنه كلمة سيد الأبطال وسيف الله المسلول خالد بن الوليد حينما حضرته الوفاة، فكانت حسرته بالغة لأنه لم يرزق الشهادة فى ميدان القتال ، ولم تفض روحه على شفار السيوف وأسنة الرماح ، فقال قولته المشهورة : ((**لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسدى شبر الا وفيه ضربة أو طعنة، وها أنذا أموت على فرشى كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء !**)) .

وازدادت نفس عقبة انقباضا ، وارتجفت من هذه الخاتمة المؤلمة التى تنتظره ، وهى الموت على فراشه ،كما يموت البعير لا الموت فى الميدان كما يموت البطل .. وسار فى طريق عودته تؤرقه هذه الأشجان ، وتفيض بأمنية رآها أمنية الأمانى . وكأنما شاءت عناية

الله أن تستجيب لرغبة هذا المجاهد العظيم ، وتحقق له أمله بل أعز آماله .. فقد أرسل القائد جيوشه تسبقه فى العودة الى مدينة القيروان ، وأبقى معه ثلاثمائة من فرسانه عطف بهم على قلعة للروم كانت مستعصية ، وكان الزعيم المخاتل كسيلة قد فر قبل ذلك من الأسر ، وجعل يتربص لعقبة فى الطريق فلما علم أن القائد الفاتح قد بقى فى ثلة صغيرة من الرجال ، وأنه قد اتجه بهم الى محاصرة احدى القلاع ، راسل الروم وجيشوا جيشا يبلغ عدة آلاف ، وتصدوا للبطل .

وهنا تهللت نفس عقبة واستبشر ، فها هو أماله الذى ظنه بعيدا قد أوشك أن يتحقق ، وها هو ربه المتعالى لم يشأ أن يخيب رجاء مجاهد من كبار المجاهدين ، فنزل عن ظهر حصانه ، وأمسك بغمد سيفه وكسره على ركبته – أشارة الى أنه القتال حتى الموت ، وبسرعة البرق نزل رجاله الثلاثمائة عن ظهور خيولهم ، وكسروا أغماد سيوفهم متضامنين مع قائدهم على القتال حتى الموت .

صف عقبة أصحابه الثلاثمائة ، ووقف يستعرضهم وهو يخطر بجواده مزهوا فخورا ، وكلما نظر الى فضاء السهل والجبل من حوله ، وهو يموج بجيوش الأعداء علت ثغره ابتسامة خفيفة حجب الحياء والوقار بقيتها ، واشرق وجهه بنور .. ذلك هو نور الرضا ، وفرحة تلاقى المشتاق الواله لحبيبه النائى . وافرحتاه .. وافرحتاه!! اننى لن أموت اذن على فراشى كما يموت البعير ، ولن أنفق كما نفق الحيوان ، وان الله قد من على وأكرمنى بالموت على شفار السيوف وأسنة الرماح . انها الشهادة .. التى مات عليها معظم صحابة الرسول وأبطال دعوة الاسلام ، فشكرا شكرا ، وحمدا حمدا لك يا رب . !! هكذا ناجى عقبة نفسه أو ناجته نفسه فى لحظة هى أسعد لحظات حياته ، انها تشبه الى حد كبير ساعة دخول الزوج على عروسه الفاتنة المحبوبة ..

وانتظر أصحابه الثلاثمائة الاشارة على الاستشهاد أكثر من حرص قائدهم للهجوم وتطلعوا بأعناق مشرئبة وقلوب تكاد تقفز فرحا بين الضلوع للقاء الأعداء ، كى يثخنوا فيهم ضربا وطعنا وتقتيلا ثم لا يبالون بعد ذلك ، على أى جنب كان فى الله مصرعهم .

التحم الجيشان وكان مشهدا رهيبا اذ انقض عقبة وأصحابه على الجموع التى تملأ السهل والجبل من جيوش الأعداء ، كما تنقض الصواعق على الجبال فتدكها دكا ، وكان عقبة يبدو أحيانا كاليراعة تضىء وهو يخترق ظلام الحديد وغبار المعركة ، وأحيانا كأنه باشق ينقض من عل يختطف رؤوس الأعداء ، أو قنة تهوى من رأس الجبل تسحق فى طريقها كل شىء ، وأصحابه يفعلون فعاله ، بل انهم قد صاروا وكأنهم جماعة من الجن تعصف بالبشر عصفا ، لا ثلاثمائة مقاتل فقط من بنى الانسان .. وكان عدد الأعداء وآلافهم المؤلفة أكثر من أن تأكلها نار الثلاثمائة أصحاب عقبة .

وانجلت المعركة عن « عقبة » وأصحابه مجندلين بين آلاف من صرعى الأعداء الذين التهمتهم نار البطولة ، وأفناهم عشاق الشهادة ، أصحاب عقبة ! .

وعلى هذه الصورة حقق البطل وأصحابه أمنية هى أعذب أمانيهم ..

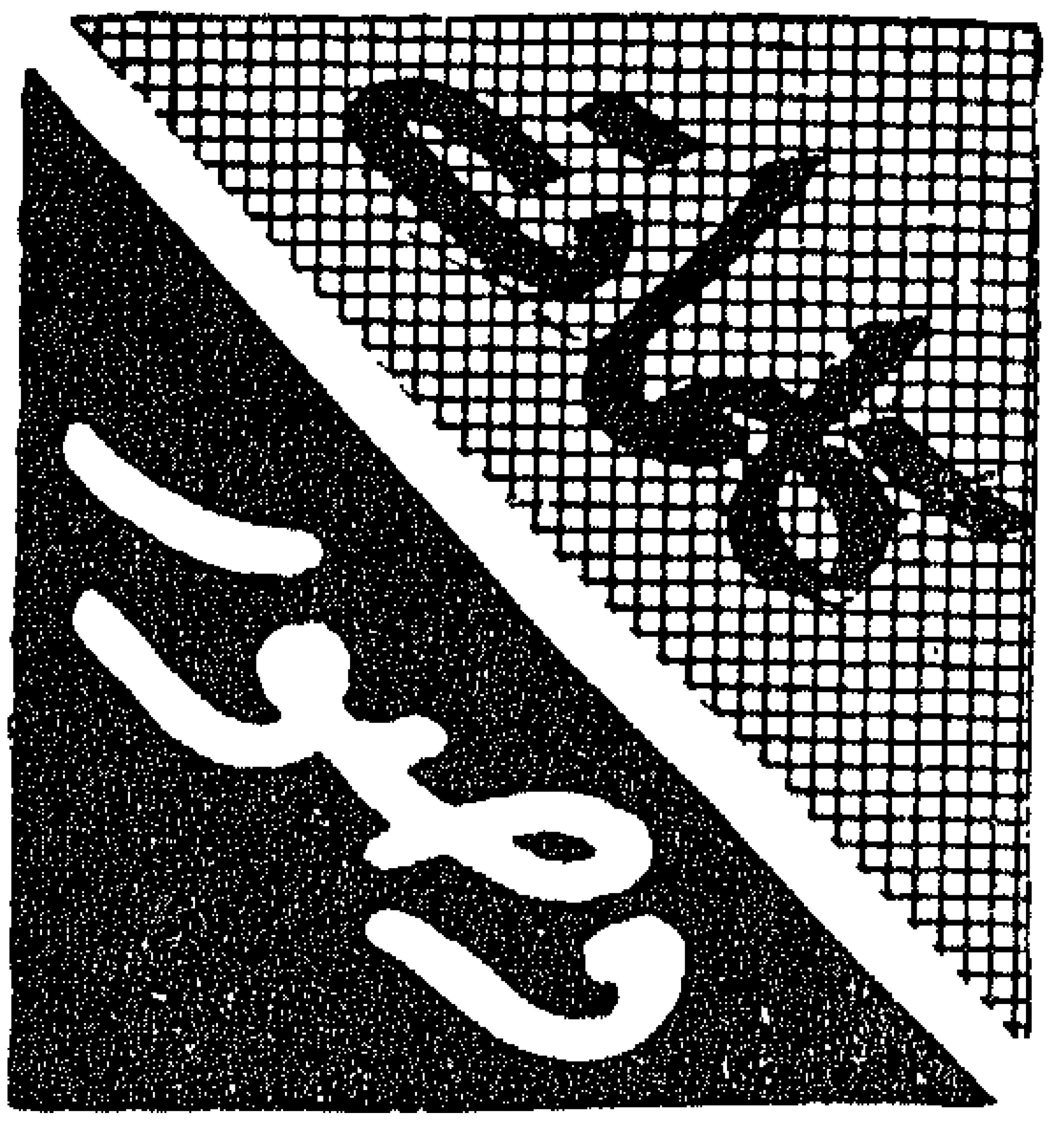

● أسطورة افريقية :

برقت عيون الأسماك فى أحد الأيام ونظر بعضها الى بعض فى حزن وأسى ، فقد كانت كل أسرة سمكية تنتظر بعض أفرادها بدون أمل بعد أن أقبل المساء ،وبرد الماء ، وشاعت فى الجو رائحة صمت ثقيل . لقد كانت بعض الأسماك تفقد بين اليوم والآخر ، ولكن العدد المفقود اليوم كان كثيرا ، ومن كافة الأنواع ، ولقد كان الذعر على أشد ما يكون فى عيون الأسماك الصغيرة التى لم تتعود السهر . ولم تألف هذا الجو الجامد . الحزين ، وبين الحين والآخر كانت ترتفع بعض الرءوس اللامعة متسائلة وقد عضها الجوع « أليس من شىء نأكله ؟ » وحين تنكس الرءوس الكبيرة أكثر فأكثر داخل الماء . كان السمك الصغير ينحنى على نفسه ، ويصمت . فقد كان يدرك أنه لا أمل ، ولكنه لم يكن يعرف لهذه المجاعة التى انتشرت فى الجدول معنى !.

أما السمك الكبير فقد كان يعرف سر المأساة . كان يعرف أنه وقع بين عدوين لا يعرف كل منهما الرحمة ، ومن أين للرحمة أن تلتمس الى قلبيهما سبيلا ، وهما يعرفان أن هذه الرحمة لو أدركت واحدا منهما لكان مصيره الموت . فأين يوجد العدل اذن ؟ وكل من العدل والظلم يعتصر حياته من حياة الآخر ! .

غير أن هذه الأفكار ما لبثت أن تطايرت من الرءوس حين علا صوت آخر يطالب بالطعام ، وليس يعلو على هذا الصوت صوت آخر ، خاصة وأن بعض الأسماك الصغيرة كانت تتلوى حول نفسها فى اعياء . بينما كانت قشورها الفضية تفقد شيئا فشيئا بريقها الزاهى . اللامع . ولكن كيف النجاة من هذين العدوين ، وأحدهما سمكة وحشية عريضة . ذات عينين براقتين تخدر بهما الضحية قبل أن تموت ؟ أما الأخرى فكانت سمكة يكاد الناظر اليها يؤكد أن طولها ليس له نهاية لأنها كانت تمتد أيضا الى ما لا نهاية ! وكانت كل من السمكتين تحتل مكانا « استراتيجيا » من الجدول فاحداهما الى يمينه ،والثانية على يساره ، وليس للسمك من كليهما مفر اذا ذهب الى اليمين . أو ذهب الى اليسار ، وما كان السمك أن يظل قابعا فى جدوله ،وهو يكثر ،وتتضاءل المئونة من حوله ، ثم أخيرا وهو يحب أن يكتشف الحياة من حوله !

وتحت هذه الظروف فقد الكثير من السمك ، ولكنه فى هذه الليلة بالذات فقد عدد كبير منه ، وشمل الحزن كل من فى الجدول ، وأشاع جو من المرارة ، والرهبة بينهم . وكان لابد لهم من أن يواجهوا المحنة التى تقابلهم فى شجاعة ، وصراحة . فكان أن صاحت سمكة عجوز :

« ما لكم صامتين هكذا ؟ أليس هناك من حل لهذه المأساة التى نعيش فى ظلها ! » فانتفض الجميع ، وحدقوا بعيونهم الزجاجية بعضهم فى بعض. وقطع الجرى (القرموط) نظرته ثم حولها الى صغار السمك وهو يصيح فيهم « أظن أنه من المستحسن أن تنصرفوا عنا الآن حتى نتدبر أمورنا » ولكن سمكة صغيرة ذات لون ماسى رفعت رأسها ثم قالت « أعتقد أن القضية ليست قضية الكبار فقط ، وانما هى قضية الحياة فى هذا الجدول، ولا أحسب أن الحياة تهمكم أكثر مما تهمنا . بل انى أراها لنا ألزم ، وازاء هذا فسنبقى ، وسنتعرض للمشكلة باسم الحياة لا باسم الشيوخ والشباب ! »

وما كان للكبار أن يحيدوا عن هذا الرأى . وخاصة أن السمك الصغير كان يظهر من عيونه أنه مصمم على البقاء ، وأنه لن يغلب على رأيه ، وما كادوا يوافقون على بقائهم حتى تزاحموا ، وسدوا المساحات المائية الخالية بأجسامهم ، ثم صمت الجميع حين قامت السمكة العجوز تقول : « اننا هنا محاصرون ، فعن يميننا العدو ، وعن شمالنا العدو ، ولا أرى لنا مفرا من البقاء فى هذا الجدول . فهو الذى يحمينا من الهلاك وأطرق شيوخ السمك رءوسهم ، بينما ارتفع صوت سمكة صغيرة يتلون بالغيظ ويقول : « لقد تكلمتم عن الموت يمينا وشمالا ، ولكنكم لم تتكلموا عن الموت داخل الجدول . كأنما قضية البقاء لا تتحمل الرأى الثالث » .

فكان أن ردت السمكة العجوز : « أنها تفضل الموت حيث هى على أن تسعى اليه بنفسها » ولكن السمكة الصغيرة عادت تقول « مهما يكن رأيك فكثير من السمك هنا يفضل الموت وهو يقارع ، ويتلوى ، وينفعل عن الموت الهادىء الراكد ، الذى يشل الجسم شيئا فشيئا ! » .

وتصارعت الآراء حول قضية البقاء فى الجدول ، و « الحنكليس » صامت ، وان كان يتلون جلده بشتى الانفعالات التى تزخر بها روحه ، وكان لابد أن تتجه اليه النظرات فهو معروف بانسياب جسمه ، ومهارة حركته ، ودقة تفكيره ، وحملته النظرات التى تعلقت به على أن يتكلم وان لم يستغربوا عليه عدم مسارعته الى الرأى كما هى عادته . لأنه كان يعانى فى قلبه جرحا داميا . كان يعانى فقد زوجته ، وأولاده .

ولم يمنعه الحزن من أن يخرج صوته رائقا ، هادئا ، فقد قال « انى أشارك السمك الشباب فى كل ما ذهب اليه ، فالسمكتان الكبيرتان لا تأكلان منا فقط ، ولكنهما تنغصان حياتنا كذلك شيئا فشيئا . فهما تبتلعان غذاءنا فى قسوة ، وتصادران كل ما يمكن أن يمدنا بالحياة فلا مناص حينئذ من أن تنشب بيننا معركة فاصلة بيننا وبينهما .. فصاح أحد شباب السمك : « الرأى عندى أن نجتمع جميعا فى الفجر ، ثم نمضى فى هجرة انتحارية الى الجانب الشمالى حيث تقيم السمكة الطويلة التى تحدثتم عنها . فهما لا شك فيه أن فمها سيكون أقل ضيقا من السمكة

المتوحشة العريضة » وما كاد ينتهى من رأيه هذا حتى هلل السمك الصغير له ، والتف حول نفسه ، وأحدث أصواتا ممتلئة بالحماس .

ولكن الحنكليس رفع صوته الذى كان يظهر فى بعضه حكمة الشيوخ ، وفى بعضه الآخر حماس الشباب ، ثم قال: « ان عندى رأيا آخر لو تم لسارت هجرتنا فى سلام الى حيث الحياة » فهدأ حماس الشباب ، وأطل الشيوخ بوجوه بليدة ، بينما استرسل قائلا « ان فكرتى تقوم على أنه يجب أن تتصادم السمكتان الوحشيتان لتخلو لنا الحياة . ففى الوقت الذى نقرر فيه مصيرنا ، يجب أن نقرر مصيرهما كذلك فننهى ما بينهما من حرب باردة . ثم يكون البقاء بعد ذلك للمواطن السمكى البسيط الذى لم يتعقد بالثراء والخشونة » . فنحن لا نحرص على الحياة بقدر ما نحرص على أن تتلاحم قوى الشر ، وتتقابل وجها لوجه » .

وهنا سر الشيوخ . كما سر الشباب بينما كان الجميع يرددون صوتا واحدا وكيف نجمع هاتين القوتين وجها لوجه . وهنا رفع الحنكليس صوته . ثم قال « الفكرة عندى أن نذهب جميعا الى السمكة العريضة الآن ، وما كاد ينطق بهذا حتى أدار كثير من السمك رأسه الى الجهة الأخرى التى تسكنها السمكة الطويلة ولكنه استطرد « ان فكرتى مرهونة بسيركم جميعا ورائى الى حيث تسكن السمكة العريضة بدون معارضة » ولكن السمك الكبير بدأ يعترض قائلا « اننا نؤيدك ونسير وراءك ، ولكن سير من يعرف لا سير من يجهل فليس كالمعرفة طريق » .

وهنا قال لهم « ان خطتى تقوم على أن نجمع بين السمكتين وجها لوجه . لابد أن يتلاقيا فى صراع حتى نضمن الحياة . مادام لا أمل فى أن يجتمع كلاهما على خير ، ومن هنا سنذهب الى كل منهما ثم نواجهه بما يقوله عنه الخصم الآخر » .

وكان أن وافق الجميع على هذه الفكرة ، وقبيل الفجر بقليل ذهبوا الى اليمين حيث تقيم السمكة الطويلة المتوحشة . ثم تقدم « الحنكليس » منها وهو يجاهد فى رفع صوته قائلا « اننى أحمل اليك رسالة من السمكة الطويلة التى تتوعدك ، وتقسم على هلاكك ، وتأمرك بأن تهاجرى فى الفجر تماما والا فستحضر لتدمرك » وهنا صاحت السمكة العريضة ، ودمدمت، وأقسم على هلاك السمكة الطويلة فى الموعد المحدد ، وما كاد السمك يسمع هذا حتى كر راجعا الى حيث تقيم السمكة الطويلة ، وهناك حدثها بما حدث به غريمتها فاستشاطت غضبا .

وهبت نسمة رطيبة . ثم زقزق عصفور ، وما كادت تتساقط أولى قطرات النور . حتى سمع صوت مدو من كلا الجانبين انشق له الجدول ، وتتطاير الماء ، وما هى الا لحظة حتى أحدث التقاؤهما دويا مروعا ، كان سببه أن السمكة العريضة فتحت فمها العريض بينما توغلت السمكة الطويلة داخلها وبعد

مدة صغيرة انجات المعركة عن موت كلتا السمكتين فقد اختنقت السمكة العريضة بالسمكة الطويلة فى داخلها بينما كانت الأخيرة تنزف دماءها القرمزية فى غزارة .

وعلى الدماء الحمراء تم عبور السمك للحرية ، وقد جزع السمك فى مبدأ أمره حينما وجد قشوره أصبحت حمراء ، وحينما وجد أثر الدماء فى كل شيء من حوله .

ولكن حينما توغل فى السير ، وواجه مياها جديدة وجد أن قشوره البيضاء قد عاد اليها نقاؤها وزهوها ! .

* * *

● الصهيونية فى افريقية :

جاءت الأنباء أن « جولدا مايير » وزيرة خارجية اسرائيل ستقوم برحلة الى افريقية ، حيث تزور عدة دول بها محاولة توثيق العلاقات بينها وبين بلادها ، وقد وضعت الصهيونية فى ذهنها منذ فترة كبيرة خطة تسعى جاهدة الى تحقيقها وهى محاولة التغلغل فى افريقية حيث تعتبرها مستهلكة لبعض منتجاتها ، وأرضا تدر المكاسب الوفيرة غير المشروعة لكل من يدخل برأس المال لها ، واسرائيل تشم دائما رائحة الصفقات غير المشروعة فى العالم ، ثم تضرب ضربتها، وقد وجدت فى افريقية — على يد الانجليز والفرنسيين وبتشجيعهما — أرضا خصبة لاتمام هذه الصفقات الظالمة .

فنحن نراها فى « جنوب افريقية» تعمل بشراهة فى جمع المال بعد أن مهد لها « الجنرال سمطس » الطريق الى هذه البلاد . وكذلك نرى هذه الحال فى « روديسيا » و « ليبيريا » و « السنغال » و « الكمرون » و « تشاد » ، و « أثيوبيا » و «الكونغو الأوسط » وأهم الشركات التى يسيطر عليها الصهيونيون فى افريقية هى شركة « فايرستون » فى ليبيريا التى كانت أحد عوامل الضغط القوية على الحكومة فى الاعتراف باسرائيل، ومن هذه الشركات أيضا شركة « ساديك » فى « فورت لامى » ، و «انكودا» فى أثيوبيا ، وهذه الشركات تتدخل دائما فى كل ما يدمر قوى الشعب ، ويملأ يدها بالمال فهى تتاجر فى الأرض ، والسكر ، والبن ، والكاكاو، والفواكه ، واللحوم ، ودباغة الجلد !

ومع أن زيارة « جولدا مايير » الى افريقية ليست الأولى الا أن الحقائق تؤكد أن نشاطا سياسيا ، واقتصاديا صهيونيا كان يرفع رأسه كلما عادت ! .

* * *

● الزواج فى السودان :

يبدأ الزواج عند السودانيين باعلان الخطبة ، وهكذا تبدأ كل من العائلتين بالتأهب لأيام الفرح . فبعد فترة من اعلان الخطوبة يدفع المهر ويعرف « بسداد المال » ويتكون عادة من النقود ، والملابس ، وبعض الأعواد ذات الرائحة كالصندل ، والشاف ، والكليت، والطلح ، ويتفق فى يوم « سداد المال » على « يوم العقد » وفيما بين هاتين الفترتين يبدأ فى تعليم العروسة الرقص ، ويؤخذ فى

الاستعداد لتمشيط العروس ، و « دق الشلوفة » وهو عبارة عن تلوين الشفة السفلى للمرأة بلون يستخلص من كبد التمساح ، ويميل الى الخضرة ، ويبقى معها ما بقيت حية .

وبعد العقد تأتى أيام جميلة فى حياة الأسرتين هى : —

١ — يوم الحنة :

وفيه تأتى عمات العريس وخالاته ، وهن يحملن « الحناء » فى اناء كبير ، ويقمن بتخضيب يديه ، ويدى وزيره ، وهو الصديق الذى يرافقه هذه الأيام ، ويكون الاحتفال على أشده عند العروس حيث تجلس على « عنجريب » (١) وتحضر لها « الفركه » . ثم يحضر العريس فجأة ، ويقترب من عروسه . فتتدلل ، ويجذب يدها من « الفركة » فتتمنع حتى يتمكن أخيرا من امساك يدها ، فيضع فيها قطعة من « الحناء » والى جانبها بعض النقود وتسمى « نقطة الحنة » ثم يعود العريس الى مكانه بين الرجال ، وتتردد أغنية معروفة هى ليلة « العديل والزين » .

٢ — يوم السيرة :

يخرج أهل « الحلة » فى هذا اليوم لمشاهدة العريس ، ووزيره . وكل منهما يركب جملا حيث يخرجان الى مكان خلوى به خضرة وماء ، وفى هذا المكان الخلوى يجتمعون حيث تبدأ لعبة « السوط » فيأخذ العريس فى ضرب كل الشبان الذين يتجلدون أمام البنات ، ثم يطلبون منهن أن

(١) العنجريب : يشبه السرير .

يقمن بالرقص فيرقصن . ثم يطلب العريس فتقبل واحدة بعد عناء بعد أن يجذبها جذبا . فاذا قامت تقدم شاب ليقدم رقصة « العرضة » ، ولما يخرج الشاب من الحلبة تعطيه الفتاة « شبالا » والشبال هو أن ترفع الفتاة رأسها فى حركة بحيث يستطيع شعرها أن يلامس وجه الشاب . ثم يرجع الجميع وفى أيديهم جريد النخل ، وفروع الليمون ، لتناول العشاء فى بيت العريس .

٣ — يوم قطع الرحط :

تحتفل العروس بهذا اليوم ، وفى عصره تأتى الوزيرة وهى اما عمتها . أو خالتها حيث تحتضن « العروس » وترشدها الى مكانها الذى ستجلس عليه من السجادة . ثم تجلس معطاة « بالفركة » (١) ويبدأ الضرب « بالدلوكة » (٢) . وأخيرا يقبل « العريس » نحوها ، ويمسك بالحجاب ، وتأخذ هى فى الرقص فى حركات دائرية رشيقة محاولة أن تفلت منه بالسقوط على الأرض . فاذا ما أفلتت ضحك الحاضرون على « العريس » ، ولا يزالان فى هذا الصراع حتى يتمكن العريس من « قطع الرحط » ، والرحط عبارة عن حزام به سيور جلدية تتمنطق به الفتاة .

٤ — ليلة الدخلة :

وفيها يستعد الأهل لتدليك العريس ببعض الزيوت العطرية ، وقليل من

(١) ملاءة ملونة وضافية من الحرير .
(٢) نوع من الطبول .

المحابب ، وكذلك الحال بالنسبة للعروس ثم يتم اللقاء .

٥ ـ الرحيل :

بعد انتهاء أيام العرس يطلب العريس من صهره أن يأذن له فى أن يصحب زوجته الى منزله الخاص ، وغالبا ما يكون هذا المنزل قد جهز قبل الزواج حيث يظهر شباب « الحلة » مدى حبهم للعريس بالاسهام فى عملية البناء .

٦ ـ النقطة :

وفيها يظهر مدى التعاون بين أهل « الحلة » حيث يستطيع « العريس» أن يشترى بها ما ينقصه .

والأغانى الشعبية الجُميلة تلعب دورا جميلا فى هذه الأفراح ، ومن أجمل الأغانى التى تردد دائما فى هذا المجال أغنية تقول :

« اللول اللول
العروس بنت السرور العظمه
اللول اللول
فى تانى دور بنت العظمة »

ومن هذه الأغانى أيضا أغنية تقول:

« يا شباب كوريا
عروسنا عروس الزينه
يا شباب كوريا
عروسنا عروسه متينه
عروسنا جت تتثنى
زى فروع الحنه !
يا عريس اتهنى
وشم نسايم الجنه ! »

.. هذا لون من الألوان الزاهية للقطاعات الشعبية فى السودان .

* * *

● فرس البحر :

حينما وصل الرحالة العربى « ابن بطوطة » فى رحلته بافريقية الى نهر « النيجر » وقف حتى أتى الليل لأنه لا يمكنه أن يعبره بالنهار لكثرة البعوض ، وحينما أقبل على الركوب لعبوره راعه منظر ست عشرة دابة كبيرة تقف على الشاطىء فحسبها فيلة ، ولكنها رآها تخوض فى الماء فسأل رفيقه فقال له انها أفراس البحر وقد وصفها بقوله « وهى أغلظ من الخيل ، ولها أعراف ، وأذناب ، ورءوسها كرءوس الخيل ، وأرجلها كأرجل الفيلة » كما قص علينا قصة صيدها ، وتتلخص فى ضربها برماح مثقوبة ذات أشرطة قوية تجذب بواسطتها حيث تذبح ، وتؤكل .

* * *

● الكمرون :

من الدوافع التى أسرعت باستقلال « الكمرون » ذلك التنظيم النقابى المنظم الذى بدأ عام ١٩٤٤ . فمن هذا التاريخ والعمال دور هام فى معركة بلدهم مع الاستعمار ، وقد ارتبط اتحاد النقابات بالفرنسيين فى أول الأمر حتى كان عام ١٩٥٦ فانفصل الاتحاد وانضم الى الاتحاد العلمى للنقابات ، وكانت أولى معارك الاتحاد مع المستعمرين ، معركة الغاء السخرة التى كانت عملا مشروعا ، ولكنه ألغى عام ١٩٤٦ ، ثم كانت المعركة الثانية من معاركه الحصول على لائحة تنظم عمل الموظفين ، وقيام خمس محاكم للفصل فى قضايا العمال ، وأصحاب

العمل ، وفى عام ١٩٥٦ استطاع اتحاد الشعوب الكمرونية ،والحركة النقابية، أن يضموا صفوفهم ، ويتحدوا جميعا فى المطالبة بالاستقلال ، وطرد المستعمرين .

وبالرغم من قيام انتخابات،ومجلس تشريعى ، وحكومة كمرونية محلية . فقد وقف العمل دائما حول قضية بلدهم حتى انتهوا أخيرا الى النصر بفضل الايمان بقضية الكمرون . وهكذا انتهت فترة الحيرة والضياع ، التى عبر عنها الشاعر الكميرونى « فامبانى » بقوله :

« انا عبد
والعبد لا عمر له
لأنه يظل يتعذب حتى يموت
وشباب عصرى لم يشبعوا حربا
ولكن الجراح تغطى أجسامهم
فى كل ارجاء البلاد
أريد أن أصبح شابا
فى عصرى الحقيقى
شابا يعيش فى العصر الحديث
شابا من شباب الكمرون »

* * *

● الشعر الشعبى :

من معانى شعر الغزل الشعبى فى السودان « لون حبيبتى كلون الذهب الصافى ، وهى تزين مكانها ، وتجمل حليها ، خصرها دقيق ، وردفها كبير لاتستطيع بسببه المشى . قوامها مرتفع فى لين وطراوة ، ورقبتها طويلة عليها حزوز تغنيها عن الحلى ، ولون الفل مستعار من لونها . وكم لها من حاسدين » .

* * *

● رحلة الملك :

حينما ذهب الملك بودوان ملك بلجيكا الى الكونغو كان يحسب أنه سيسمع هتافا باسمه ، وكم كان انزعاجه حينما لم يسمع الا دعوة النفوذ البلجيكى الى الرحيل ، فقد سمع هذه الكلمة توجه اليه من كل مكان ، فقد كان الملك الحقيقى الذى ينال الهتاف هناك هو « الحرية » ، وبالرغم من انالجهات الرسمية حاولت اعطاء صورةغير حقيقيةللملك فشددت الاوامر بالبقاء فى العمل ، وحذرت من المظاهرات ، ومن الهتاف باسم الزعيم السجين « كازافوبو » زعيم حزب «أباكو» .. بالرغم من كل هذا فقد سمع الملك الأمر من الشعب عاليا مدويا برحيل النفوذ البلجيكى .

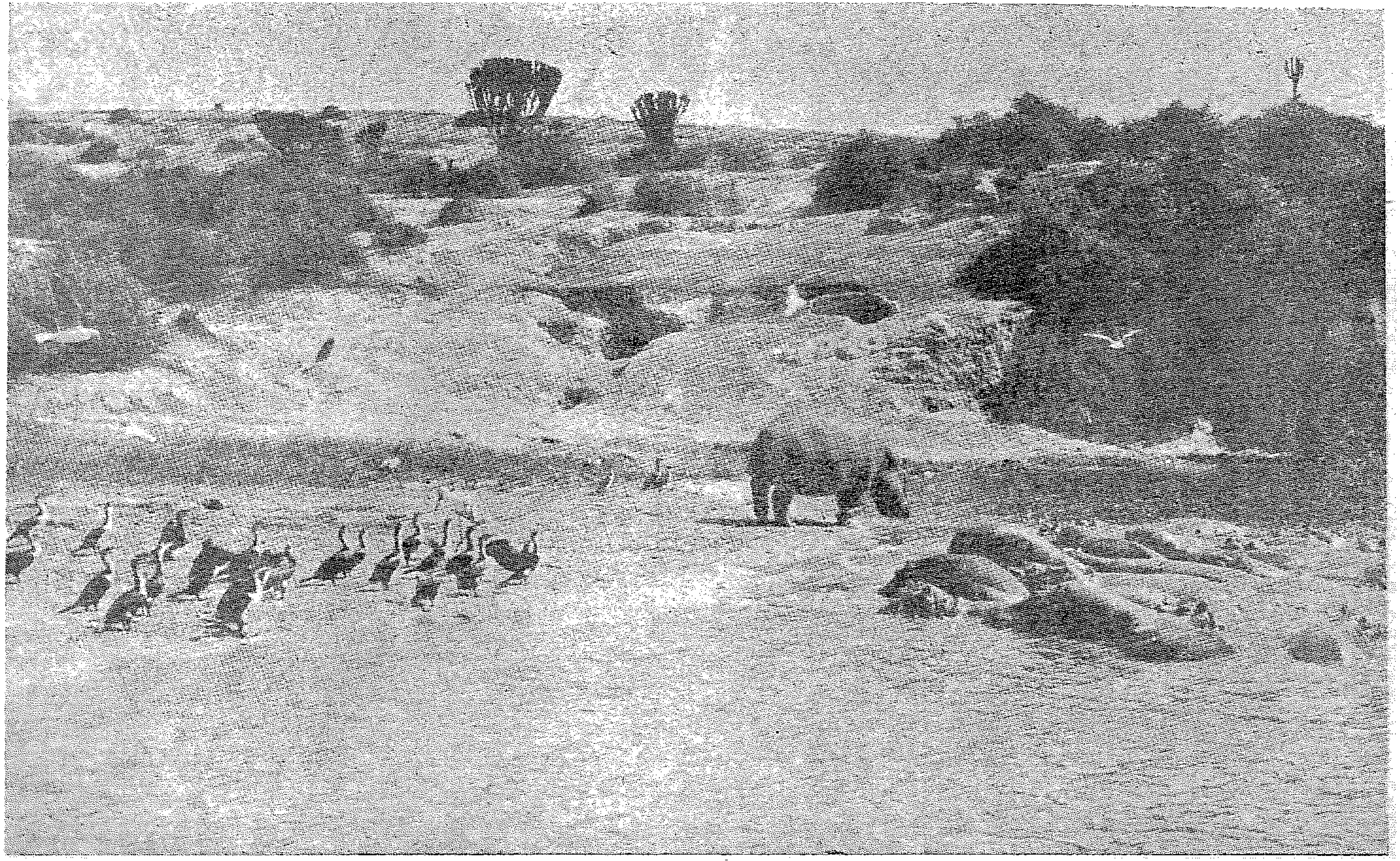

فرس البحر فى أفريقية

نهر جوبا بالصومال

رواندا أوراندى

الأستاذ بهجت الدسوقى

فى قمة افريقيـة وفى وسطها تقع بلاد هى بحق فردوس القارة ، بلاد يعجبك فيها هذا الموقع الجذاب وجوها الساحر البديع . يقطنها شعب عريق منذ وجوده . شعب يجاهد جهـاد الأبطال من أجـل البقـاء والاحتفاظ بمقومات وجوده ، شعب تكالب عليه الاستعمار وأخـذ ينهش فى كيانه ، شعب مرت عليه محن قاسية وعاصر ألوانا من الاستعمار ، وأخيرا وضعت هذه البلاد تحت الوصاية الدولية . انه شعب رواندا ــ أوراندى .

تقع رواندا ــ أوراندى فى افريقية الوسطى فوق سفح القارة ، يحدها من الشمال أوغندا ومن الشرق والجنوب تنجانيقا ومن الغرب الكنغو البلجيكى ، وتبلغ مســاحة رواندا ــ أوراندى حـوالى ٥٤٫٢٠٠ كيلو متر مربع ، وتعتبر هذه البلاد أعلى البلاد الافريقية فوق سطح البحر ، ولذلك كانت بحق جنة افريقية .

تعداد السكان :

ويبلغ تعداد سكان شعب رواندا ــ أوراندى حتى آخر ديسمبر سـنة ١٩٥٣ ــ ٤٫٤٢١٫٧٨٤ نسمة ، يبلغ عدد الوطنيين ٤٫٤١٤٫٠٠٠ نسمة ، وأما عدد الأجانب فيبلغ ٧٫٧٨٤ نسمة من أوروبيين وآسيويين وغيرهم .

والعاصمة هى تدس أوزمبورا .

ويتكون شعب رواندا ــ أوراندى من حيث التكوين الطبيعى الى قسمين . أحدهما يبلغ طوله ما بين أربعة أقدام أو خمسة ، ويبلغ طول الآخر ما بين ستة أقدام وسبعة أقدام . ويتكون شعب رواندا ــ أوراندى من أربعـة أجناس .

أولا : الباهوتو :

ويكونون حوالى ٩٠٪ من السكان ، وهم ليسوا بالأقزام ولا بالعمالقة بل وسط بين هذين النوعين . وهم يكونون الشعب الكادح فيتولون الزراعـة ، ويمثلون غالبية الشعب ، ويقال انهم نتاج تزاوج العمالقة بالأقزام .

ثانيا : الباقوتى :

ويكونون ٨٪ من السكان وأصلهم من الحبشـــة وهم عمالقـــة . وهؤلاء يعيشـــون فى بطن وادى الأخـــدود الافريقى . وأكثر الباقوتى يعيشون فى رواندا . ويمثلون الطبقة الأرستقراطية صاحبة القطعان والجاه والسلطان . ويتميزون بطول القامة ونحافة القوام . ويشتهرون بالجــرأة والشــجاعة . ويدعون أنهم من سلالة الأنبياء . ولذلك فهم يصطنعـــون العظمة والكبرياء فى معاملتهم لمن هم دونهم من القبائل ، وخاصة قبـــائل البـــاهوتو التى تدين لهم بالسيادة ، بل تصل هذه العظمة

الى معاملتهم للبيض أيضا . ويدل مظهرهم على الجمال لرشاقتهم وخفة روحهم . وبشرة بعض الباقوتى سوداء . ولكنهم ليسوا زنوجا ، فهم من سلالة الحاميين ، أو التاوتيين الذين انحدروا من الحبشة من زمن بعيد أى ما يقرب من ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ سنة مضت . وباعتبارهم من أصحاب القطعان فقد تغلبوا على المزارعين المحليين من الباهوتو . وسيطروا عليهم . والباقوتى هم سادة رواندا .

ومن عاداتهم التى تدل على العظمة أنه اذا ركب أحدهم دراجة فانه يعتقد أنه ليس من اللياقة أن يستخدم رجليه فى تسييرها . لأن هذا يعتبر امتهانا له ومشقة عليه ما دام هناك من هو أقل منه ، ويستطيع أن يؤدى المهمة بدلا من استخدام أرجله . ولذلك فانه يأمر أحد أتباعه بدفع الدراجة تباعا الى الأمام . ومع أن الباقوتى أقلية الا أنهم مسيطرون على دفة الأمور بالبلاد ، وذلك يرجع الى كونهم يملكون القطعان والأراضى التى ترعى فيها هذه القطعان .

ثالثا : الباتوا :

وهم الأقزام البدائيون ويبلغ طول القزم حوالى أربعة أقدام وسبع بوصات ، وهم يعيشون فى الغابات وهم محدودو العدد ، ولذلك فهم يكونون مجموعات أسرية ، وهم يمجدون الشمس ويكرهون المطر ، كما يخافون الرعد ، ويلاقونه بالتعاويذ والسحر .

رابعا : السواحيلى :

وهؤلاء عددهم قليل ، وأصلهم نازحون من المناطق الساحلية .

التقسيم الادارى :

من الناحية الادارية نجد هذه البلاد تنقسم الى قسمين :

أولا : رواندا :

وتعتبر المنطقة المتقدمة بالنسبة للبلاد ، لأن أغلب الباقوتى بها . ولها مدير عام بلجيكى له مساعد يعاونه فى شئون ادارتها ، وهذا القسم وهو رواندا يتكون من ثمانية أقاليم ، على رأس كل اقليم مدير ومساعد ووكيل للاقليم ، وكلهم من البلجيكيين . وعاصمتها **كيجالى** ولرواندا ملك خاص هو « ردوا هيجوا موتارا الثالث » .

ثانيا : أوراندى :

وهى أقل تقدما بالنسبة لرواندا وتكثر فيها الغابات ، ويسكنها الزنوج وعاصمتها كيتيجا ، وأوراندى تتكون من تسعة أقاليم . كل اقليم له مدير مساعد ، وله وكيل للاقليم .

وملك أوراندى هو موامبوتا وللبلاد مجلس أعلى فى أوزمبورا ، يلتقى فيه الملكان لتصريف أمور البلاد شكليا .

وتتبع رواندا ــ أوراندى فى ادارتها الحاكم العام فى ليوبولد فيل بالكنغو . وذلك طبقا للقانون البلجيكى الصادر فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٢١ . ويخضع الحاكم العام لتوجيهات بروكسل فى ادارة الكنغو ورواندا ــ أوراندى .

والتشريعات المتعلقة برواندا ــ أوراندى هى من شأن البرلمان البلجيكى والمجلس الاستعمارى الذى يرأسه وزير المستعمرات ، وللملك حق اصدار بعض اللوائح بناء على اقتراح وزير المستعمرات والملك هو الذى يعين الحاكم العام

واللغات المستعملة فى التفاهم هى :

الكينيا روانداً وذلك في رواندا — والكيمرونيدي في أوراندي ، كذلك توجد السواحيلي والفرنسية وبعض لهجات محلية .

والحالة الاجتماعية برواندا — أوراندي من السوء بحيث يرثى لها ، فالفقر المدقع منتشر بين عامة الشعب مع ازدحام السكان ؛ واستيلاء السلطات الاستعمارية على ثروات البلاد . وزيادة تعدد الزوجات بين قبائل الباتوا هي التي أوجدت حالة الزيادة في عدد السكان ، والقد كانت حالات التعدد تصل الى سبع زوجات وثمان وخاصة في قبائل الباتوا والباهوتو ، ثم ألغيت هذه العادة وأصبح لا يجوز الزواج بأكثر من واحدة . وللزوجة شأن عظيم عند قبيلة الباقوتي حيث تستشار في المسائل الهامة .

ومن الأوضاع السيئة في رواندا — أوراندي انحطاط التعليم وعدم وجود مدارس كافية لتعليم الشعب الذى قارب عدده خمسة ملايين نسمة مع أن البلاد ليس بها غير مدرستين ثانويتين .

الحالة الاقتصادية :

جميع أراضي رواندا — أوراندى صالحة للزراعة ، ومع هذا تقدر مساحة الأراضى المنزرعة بحوالى ١ر٥ مليون هكتار . والحاصلات التى تزرع في البلاد هي البن والقطن ، والبطاطس والبقول . أما المعادن فيستخرج منها : الجرانيت والقصدير والذهب والملح والحديد . والبلاد غنية بالثروة الحيوانية فتربى فيها الماشية بكثرة . ويبلغ طول الطريق البحري بالبلاد ٨٠٠ر٨ كيلومتر .

ويحاول ملك رواندا — المساهمة في ايجاد النشاط الاجتماعى ورفع مستوى الحالة المعيشية في البلاد ، والتعاون بين المواطنين ، بانشاء جمعية تعاونية للأطيان ، ولقد قدرت ميزانية رواندا — أوراندى لعام ١٩٥٣ بمبلغ ٠٠٠ر٧١٨ر٦١٩ فرنك للايرادات ، و ٠٠٠ر١٤٦ر٦٣٠ فرنك للمصروفات.

* * *

ذلك جانب من جوانب الحياة في رواندا — أوراندى ، أما الشعب الذى عاش كبقية الشعوب الافريقية هادئا مسالما ، يجنى ثمار كده ، ويضرب في الحياة كغيره من الشعوب ، حتى ابتلى باستعمار الرجل الأبيض الذى تنكر للمبادىء الانسانية ، وأبسط قواعد العدالة ؛ فدخل هذا الاقليم في شكل شركات تجارية . ما لبثت أن سيطرت على البلاد ، وتحكمت في مواردها وثرواتها .

ولقد استطاعت « شركة افريقية الشرقية الألمانية » السيطرة على هذه البلاد وظلت مسيطرة على هذه المنطقة حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، وكان الحلفاء يقومون بدعايات قوية من أجل حق تقرير المصير والدفاع عن الديمقراطيات والحريات ، ولكن في الوقت نفسه كانت هناك اتفاقات ومعاهدات سرية لتقسيم الممتلكات الألمانية ، اذا تحقق النصر للحلفاء . ففي معاهدة لندن السرية في ٢٦ ابريل سنة ١٩١٥ وعدت فرنسا وانجلترا بتعويض ايطاليا بمناطق تضمها لمستعمراتها في افريقية ، نظير توسع انجلترا وفرنسا بعد الحرب . و في سنة ١٩١٦ تبودلت مذكرات بين فرنسا وانجلترا بخصوص ضم

المستعمرات الألمانية الافريقية لممتلكاتها بعد الحرب . وتقدمت بلجيكا بقواتها المعسكرة فى الكنغو نحو اقليم رواندا أوراندى الذى طردت الألمان منه ، وساعدت الحلفاء على طرد فلول الألمان من المناطق الأخرى . وظلت بلجيكا محتلة لاقليم رواندا ــ أوراندى حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وفى معاهدة فرنسا اتفقت الدول الاستعمارية على ادارة الممتلكات الألمانية التى تنازلت عنها ألمانيا فى معاهدة فرساى . ولقد اتفق الحلفاء على تقسيم المناطق الخاضعة لنظام الانتداب الى ثلاث فئات أ ، ب ، ج . وقد حدثت مناقشات طويلة فى عصبة الأمم انتهت باقرار رأى الدول الاستعمارية والموافقة على انتدابات الفئة (ج) فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ وانتدابات الفئة (ب) فى سنة ١٩٢٢ وبموجب الموافقة الأخيرة أصبحت توجولاند والكاميرون وتنجانيقا ورواندا ــ أوراندى مناطق من فئة (ب) وتقاسمتها فرنسا وانجلترا وبلجيكا ، وكان قد صدر تكليف من عصبة الأمم لبلجيكا بادارة رواندا ــ أوراندى . وذلك فى ٢١ أغسطس سنة ١٩١٩ لحين تحديد وضعها . وذلك باخضاعها لنظام الانتداب . . ولقد صدر قانون فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٤ يجيز هذا الانتداب ، وظلت رواندا أوراندى تدار بطريق الانتداب ، حتى تغير الوضع بعد الحرب العالمية الثانية. وذلك لأن ميثاق الأمم المتحدة نص على انشاء نظام للوصاية الدولية تخضع بمقتضاه بعض المناطق والأقاليم التى لا تتمتع بالحكم الذاتى ، ونص فى المادة ٧٢ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة على فئات الأقاليم والمناطق التى يمكن وضعها تحت الوصاية الدولية ، ومنها الأقاليم المشمولة بالانتداب ، وبذلك أصبحت رواندا ــ أوراندى تخضع لنظام الوصاية الدولية . ولقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى جلستها الثانية المنعقدة بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وضع رواندا ــ أوراندى، تحت الوصاية البلجيكية .

والمتتبع لسير الحوادث من يوم الاحتلال فالانتداب فالوصاية الى الآن ، يجد أن السلطات الحاكمة لم تقم بالواجب المفروض عليها حيال شعب رواندا ــ أوراندى ، فما زال هذا الشعب يعانى الضيق والفقر والتأخر ، ولم تبد عليه أية ظاهرة من ظواهر التقدم . وهذا يخالف نصوص نظام الوصاية الذى يلزم الدول المنوط بها تطبيق نظام الوصاية من أن تعمل جديا فى سبيل تقدم الشعب المشمول بالوصاية ، ليتمكن من القيام بأعباء ادارة نفسه وتولى زمام أموره ، وهذا ما قصد اليه البلجيكيون من عدم إتاحة الفرص أمام هذا الشعب ليحكم نفسه ، ويتولى ادارة شئونه ليظل لهم الاشراف والسيطرة والتحكم فى ثروات هذا الشعب ، ولكن الحركات التحررية التى تزحف سريعا نحو أهدافها ، والتى تحطم فى طريقها كل العراقيل التى يضعها المستعمرون ستنتصر ، وستتحقق الحرية والاستقلال لشعب رواندا ــ أوراندى، وان غدا لناظره قريب .

من القصص السوداني

قصـــة لا نهاية لهـــا !

بقلم الاستاذ عباس خضر

تكورت الجـــدة العجـوز عـــلى « عنجريبها » ـ سريرها ـ الذى نسج سطحه من حبـــال الليف ، والتف حولها أحفادها ينتظرون صامتين فى شـــوق ما تحـــكيه لهم من الأحاجى (الجواديت) ..

بدأت الجدة بجملتها التقليدية التى تعلن بها أنها ستقص « حجوة » أى حدوتة :

ـ **حجيتكم ما بجيتكم .**

ـ **خيرا جانا وجاك .**

قالت الجدة فى صوت كله حنان وعطف :

فى مملكة من ممالك الدنيا، وأرض الله الواسعة ، كان ملك قاسي القلب، لم تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا ، يعمل كل ما تصوره له خيالاته ، وما تمليه عليه نزواته ، حتى ضج الناس من ظلمه واستبداده .

ولكنه مع خصاله السيئة الذميمة كانت فيه خصلة واحدة حميدة .. هى أنه يرتبط بما يقول ، ويفى بما يعد .

وكانت له بنت ذات حسن وجمال ممشوقة القوام ، فاتنة الالحاظ . قد كبرت ونضجت أنوثتها ، وفتن بهـــا كثير من الشباب والرجال ، وكان كل منهم يتمنى أن يظفر بالزواج بهـــا ، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يتقدم لخطبتها خوفا من أبيها الملك .

وفكر الملك فى زواج ابنته ، واختيار زوج كفء لها ، على أن يكون ذا فطنة وذكاء .

ثم استقر رأيه على طريقة يعرف بها ذكاء من يتقدم لخطبة ابنته ، وسعة معرفته ، فأعلن بين الناس أن من يأتى اليه ويقص عليه قصة لا نهاية لها فانه يزوجه بابنته الوحيدة ، ويعطيه نصف أملاكه ، وأن كل من يأتيـــه ويصدع رأســـه بقصص لهـــا نهايات ، فانه سيأمر بقطع رأسه وانهاء حياته .

وذاع النبأ بين الناس فى المدينة وفى غيرها من البلاد ، وراح كل من يتطلع الى الحظوة ببنت الملك يبحث ويكد ذهنه ، عساه يهتدى الى قصة لا نهاية لها ، وتقدم كثيرون بقصص زعموا أنها لا تنتهى ، ولكن كل من تقدم منهم كان لقصته نهاية بالرغم من زعمه وادعائه ومحاولة خداع الملك ، وكان مصيرهم جميعا القتل .

وفى يوم من الأيام وصل الى المدينة أمير من أمراء البلاد البعيدة ، مشهور

في البلاد المختلفة بالجود والعدل والوفاء والفطنة . وعرف أهل المدينة أن الأمير أتى كي يتقدم الى الملك ، ويقص عليه قصة لا نهاية لها ليظفر بابنته الجميلة ، فداخل الناس الخوف والاشفاق عليه ، لأنهم كانوا يحبونه لحسن سيرته ، وكانوا يتناقلون أخباره المشهورة ، ولهـذا خشوا أن يكون مصيره كمصير من سبقوه . وانتهت حياتهم كما انتهت قصصهم ، ودعوا الله من أجله راجين له التوفيق ، وقال أحدهم : ان الامير المحبوب لابد أن تكون قصته لا نهاية لها مثل أعماله الخيرة وأفضاله الكثيرة ، وأن الله الذى لا يتخلى عن أمثاله الطيبين الخيرين لابد أن ينصره ويوفقه .

دخل الأمير ((**أنله جابو**)) ــ وهذا هو اسمه ــ على الملك ، وأخبره بما أتى من أجله ، فقال له الملك :

ــ هل تعلم ما اشترطناه ؟ .

ــ نعم يا مولاى الملك .. قصة لا تنتهى حوادثها .

ــ وهل تعلم جزاء من يخفق ؟

ــ نعم يا مولاى .. قطع رأسه .

ــ وهل تعلم بما وقع لمن جاءوا قبلك ؟

ــ أعلم يا مولاى .. لقوا حتفهم جميعا لأن قصصهم انتهت حوادثها . أما أنا فانى واثق مما أقول .

ــ انك يابنى شاب جميل المحيا ، تظهر عليك علامات النبل ، فلا تغامر بحياتك ، فانى لن أرحمك .

ــ ما كنت يا مولاى لأقدم على هذا الأمر ، وأنا أعلم عاقبة الاخفاق فيه ، لولا أننى واثق كل الثقة بأنى قصتى ستفوز برضاك ، لانها تنطبق على الشرط تماما .

ــ اذن فهات ما عندك .

وأخذ ((**الأمير أنله جابو**)) يقص على الملك قصته ، قال :

فى احدى القرى البعيدة يعيش رجل اسمه « عثمان البخيل » وقد أطلق عليه هذا اللقب لشدة بخله وحرصه على المال ، وقد تجرد من كل عاطفة خير ، وصار لا يحب الا المال .. بل صار يعبده عبادة .. فهو لا يتصدق على الفقراء ، ولا يعطف على المساكين ، وكل اهتمامه موجه الى المحافظة على ماله الكثير ، فقد جنى من مزارعه الواسعة غلالا كثيرة ، وبنى لها مخازن كبيرة لتسعها ، وأقام حول المخازن سورا هائلا ليس له باب من أية جهة من الجهات ، فلا يكون الدخول الى المخازن والخروج منها الا بواسطة سلم كبير يحتفظ به فى منزله ، ويأتى به كلما دعت الحاجة .

ولاتساع تلك المخازن وطول ذلك السور أطلق عليها مدينة ((**عثمان البخيل**)) .

وكان عثمان البخيل يعيش فى عزلة عن أهل القرية ، حتى لا يطمع أحد منهم فى ماله . وفى سنة من السنين أصابت القرية مجاعة شديدة فقد امتنع المطر ، وجف الزرع ، وهلكت الماشية ، ولم يجد الناس ما يأكلونه ، فاضطروا الى أكل الكلاب والحمير ، ومات كثير منهم من الجوع .

وفكر أهل القرية فى حالهم ، وبحثوا عن طريقة تحفظهم من الموت جوعا ، فقال واحد منهم :

ـ أرى أن نلجأ الى عثمان البخيل ، لعله يمدنا بشيء من الحبوب المكدسة فى خزائنه .

وقال آخر :

ـ ان عثمان البخيل .. بخيل ، وقلبه أقسى من الحجر ، ولن يرق لنا ولو اهلكنا جميعا .

وقال ثالث :

ـ ولماذا لا نجرب ؟ اننا لن نخسر شيئا ، فانه ان أعطانا .. أعطانا ، واذا رفض فقد عملنا ما علينا ، والله سبحانه وتعالى لن ينسانا على كل حال وسيجعل بعد العسر يسرا ، وبعد الشدة فرجا .

واختاروا من بينهم وفدا قصد الى عثمان البخيل ، وحينما وصل اليه حدثه فى الأمر ووصف له حال القرية وما صار اليه الناس فيها ، فقال لهم :

انى لم أتعب فى جمع مالى ، وخزن هذه الحبوب لكى تأكلوها .. انها من عرق جبينى ، وليس لأحد حق فى أن يطالبنى بشيء منها .

ورجع الوفد حزينا خائبا ، وأبلغ الناس ما قاله له عثمان البخيل ، فاستسلموا للقضاء والقدر ، حتى كادوا يهلكون .

ولكن رحمة الله الواسعة أرادت أن تنجى أهل القرية من ذلك الكرب العظيم ، فسلط الله جيشا كبيرا من جماعات النمل التى لا يحصى عددها على مخازن عثمان البخيل ، فوجدت فيها ثغرة صغيرة جدا لا تسع الا نملة واحدة فى سور المخازن ، فاضطر النمل الى أن يدخل واحدة فواحدة ..

ودخلت النملة الاولى وأخذت حبة وخرجت متوجهة الى أهل القرية .. ثم عادت لتأخذ حبة أخرى .. ودخلت النملة الثانية وأخذت حبة ، وخرجت الى أهل القرية ..

واستمر الأمير ((**الله جابو**)) يحكى للملك قصة كل نملة من النمل الذى لا ينتهى عدده .. وكيف دخلت كل واحدة وخرجت بحبة ، وذهبت بها الى القرية .. واستمر يحكى ذلك أياما وشهورا .. وكلما سأله الملك عما حدث بعد ذلك ، أجابه بأن النمل لا يزال يدخل ويخرج بالحب ، لأن الحبوب فى المخازن كثيرة جدا ، والنمل لا حصر له .. حتى ان الملك ، ولكنه لم يسعه الا أن يعجب بذكاء الأمير « الله جابو » ويعترف بأن القصة التى أتى بها لا نهاية لها طبقا للشرط المشروط .

ووفى الملك بوعده ، فزوج ابنته الجميلة للأمير « الله جابو » وكان كثير من الوزراء وحاشية الملك وغيرهم يطمعون فى أن يتزوجوا بها ، ولم يكن يمنعهم من التقدم لخطبتها الا خوفهم من بطش الملك ، فلما رأوا هذا الامير الذكى قد حظى بها حقدوا عليه وراحوا يكيدون له فى الخفاء ، وفطن بذكائه الى أساليبهم ودسائسهم ، ولكنه أبى أن يقابل أعمالهم السيئة بمثلها ، بل جعل يحسن الى من يسيء اليه ، مع الحذر من مكائدهم وما يدبرون له .

ثم مات الملك ، فأصبح الأمير ((**الله جابو**)) ملكا من بعده فحكم حكما عادلا نزيها ، فأحبه جميع الناس حتى الذين كانوا يناصبونه العداء ، وانتشر العدل وعم الامن والرخاء والسلام .

من وحي أفريقية

الفدائيون

قصيدة من الكاميرون

للشاعر الافريقي : كامارا باسي

انهم يتقدمون ..
في الغابة الواسعة .. وكل شيء
هادىء .. صامت .. من حولهم ..
ومضى وقت طويل .
وهم يتقدمون .. بلا توقف
بلا توقف ..
انهم عظماء .. أشداء .. رجال ..
أولئك الفدائيون الشبان ..
الذين يضحون من أجل تحرير
أفريقية .. أفريقية ..

* * *

انهم غير معروفين ..
ولكن هذا لن يهم ..
انهم موجودون .. بالنسبة لكل
أفريقي ..
وشجاعتهم .. تنير أمامنا الطريق ..
وتسقى الأمل .. في قلوبنا ..
انهم فخر لنا .. لكل أفريقية ..

* * *

في اليوم المشرق .. وفي اليوم
المكفهر ..
في كل الأيام التي تمر بنا ..
ينغصون الحياة .. على المحتل ..
والعدو المتقهقر .. مذعور .. حانق ..
يتخبط .. ويضرب .. ولكن عمله
يذهب سدى ..

* * *

أيها الفدائي الأفريقي ..
أنت فخر لنا ..
وبالرغم من أنه تنقصك .. أشياء
كثيرة ..
فانك تقاوم .. ولا تبالي ..
لا تبالي أبدا .. بآلامك .. بجوعك ..
بظمئك ..

* * *

لا تبالي . وانما تهاجم .. وتهاجم ..
وتحارب .. لتجلب الخير .. لبلدك ..
من أجل الاستقلال .. والوحدة ..
وكرامة أفريقية
أفريقية التي تدفع حياتك .. ثمنا
لحريتها ..
انك لا تحارب .. من أجل شهوة
الحرب ..

انما تحارب .. من أجل الكرامة الموفورة .. لشعبك ..
شعبك الذى .. ينبغى أن يأخذ مكانه .. فى الموكب المتحرر ..
من أجل هذه الغاية المقدسة .. تحارب ..
وستنتصر .. ولا بد أن تنتصر ..
فكل قوة .. تعترض طريقك .. ستسحق بلا شفقة ..
من أجل أفريقية ..

* * *

أيها الفدائى .. الانسان ..
انت لا تركبك كبرياء المنتصرين
وفى غمرة النصر .. تبدو .. متواضعا بسيطا ..
فلتواصل الزحف .
الزحف الى الامام .. من أجل النصر ..
الزحف فى الطريق الذى فرضه علينا كرهنا الاستعمار ..
وشعبك العظيم من خلفك يسمعك .. ويقدرك ..
فوجودك يحفز الناس .. على الكفاح ..
ومن أجل كفاحك .. سيسير كل الناس .. من ورائك ..
من أجل تحرير أفريقية .

ترجمها عن الفرنسية : سمير سويلم

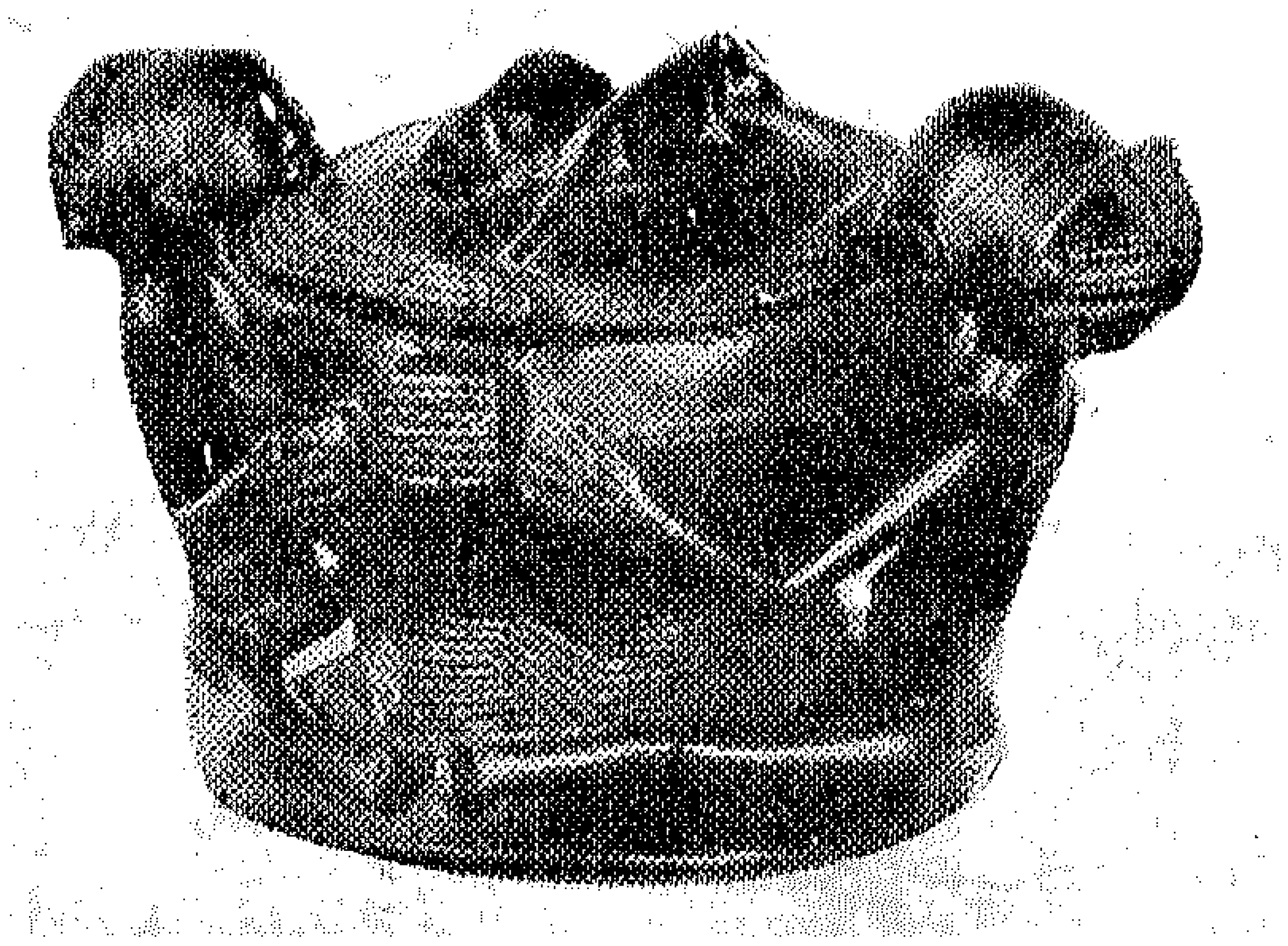

بول روبسون

بين خمسة عشر مليونا من السود في أمريكا ، عاش ((**بول روبسون**)) حياته المليئة بالكفاح والجهد والعرق .. كفاح وجهد وعرق . عمر كل واحد منها واحد وستون عاما .

فقدولد لأبوين فقيرين ، يستخلصان حياتهما يوما بيوم في مجتمع قاس يدين بالتفرقة العنصرية ، ويعمل دائما على اذلال السود ، واشعارهم دائما بأنه يجب عليهم أن يعودوا الى افريقية ، وبأنهم دخلاء على أمريكا ، بل دخلاء على الحياة نفسها ! وفي اطار هذه الحياة الحزينة نما الطفل نموا مضطربا مليئا بالقلق ، مشوبا بالأحداث ، والذكريات القاسية التي تحكي مأساة السود مع « المتوحشين البيض » .

وقد كان من الطبيعي جدا أن يطوى نفسه على الحقد ، والبغض اللذين ذاقهما من المجتمع . ولكنه حمل قلبا كبيرا يسع البيض ، والسود معا ! بل يسع كل ما هو انسان ! .

وقد عرف ((**بول روبسون**)) حياة المواطن الكادح البسيط في الحدود التي يسمح بها المجتمع الامريكي لنمو الشخصية السوداء ، ومن هنا نراه قد اشتغل عاملا زراعيا باخلاص ، فنحن نراه يحمل أعواد السنابل وكأنه يعانقها ، ويضرب الأشجار في الغابة وفي أعماقه شعور من يأسى لها ، ويحنو عليها ، ويقود الماشية في رفق ورحمة وقد يرفه عليها بالغناء الساذج الحزين الذي يحكي الحياة من حوله ، ومن هنا تلون صوته بالطبيعة الامريكية الزاهية . ثم كان أن تلون صوته مرة ثانية بالاشفاق ، حين ترك العمل في الزراعة الى العمل في حمل الاحجار . فقد كان يغني للعمال المجهدين من حوله ، ويهون عذابهم بغناء واهن .. رتيب ، كأنه صدى خطوات العمال المجهدة ، وسط الاحجار القاسية الغليظة !

ثم نمت أخيرا في صوته طبقة لحنية جميلة .. طبقة تنبض بالسلام ، والحرية .. وحق الانسان في أن يحب ، ويفرح ، وينتج ، وقد ساعد على ترسيب هذه الطبقة في صوته اشتغاله خادما في أحد المنازل .. فقد تشربت روحه السكينة التي تحف بالأجواء العائلية ، وهذا المرح الجميل من الاطفال الذين كانوا يتسلقونه ثم يطلبون منه أن يغني ! وهكذا يعتبر النماء ، والاشفاق ، والسلام ، بعض المميزات التي يتميز بها صوته الانساني ! .

وهكذا نراه يعجب بالحياة من حوله بالرغم مما يلاقيه من عزلة

اجتماعية فى المحيط الذى يباشر فيه حياته ، ولكن المجتمع الامريكى يضغط الحياة من حول جسمه ، حتى تصبح منحصرة فى المجتمع الاسود هناك . حتى لنراه يحارب بصوته عن هذا المجتمع المنكمش فى الحياة الامريكية ، فنراه يرفع أعلامه فى عام ١٩٣٦ فى تلك الأغنية التى يقول فيها :

« الرجل الابيض لا يستطيع أن يصبح حرا
ما دام أخوه الاسود عبدا
بلادنا قوية
بلادنا شابة
ولكن أعظم أغانيها لم تزل فى الكتمان ! »

ثم تنداح الحياة فى نفسه ، فنراه يتألم للمظلومين فى كل مكان . بيضا وسودا . حتى لقد وجدت رسالته الصوتية صدى فى أكثر من مكان بالعالم . فكان الاسبان يرددون أغانيه ورصاص الفاشية يخترق صدورهم ! وكان الصينيون يعتصرونها فى شفاههم وهم ينتزعون اليابانيين من وطنهم ! وما زال العمال يرددون أغانيه فى كل مكان وهم يرفعون حجرا . أو يحصدون غلة . أو يقدمون للبشرية شيئا جديدا

ومن بين كل هذه الاغانى كان وجهه الوديع الاسود يرفرف أمام عيونهم ، فيغمرونه بالحنان ، والطيبة ، والحب .

وقد أرادت « المكارثية الامريكية » أن تصادر كل هذه الانسانية المتدفقة فى صوته . فحرمت عليه الخروج من أمريكا وبخاصة بعد أن انضم الى حركة السلام العالمية عام ١٩٥٠ ، ولكنه فى الوقت الذى حرم عليه الخروج فيه كان صوته مع الناس فى كل مكان ! كان صوته يغنى للانسان فى عمق ، وحرارة ، ودفء ، حتى لقد أصبح صوته تراثا انسانيا ضخما ، يعتز به القرن العشرون ! وقدعمت هذه المشاعر الانسانية فى صوته ذلك الميراث الضخم الذى ورثه من افريقية ، وهذا الحنين الدائم الذى كان يدور فى قلبه اليها . ثم أخيرا هذا اللقاء الخالد الذى كان بينه وبين الزعيم الكينى « جوموكينياتا » الذى اكتسبت منه الكثير ، ومن هذا الكثير هذه الاغانى الافريقية التى رددها فى فيلم « مواكب النهر » ، والتى كان يسمعها من « جوموكينياتا » وعيناه مخضلتان بالدموع ، حتى لتحس بين حناياها هذا الصدى الدامع الذى كان ثمرة طبيعية لهذا اللقاء بين القلبين الكبيرين !

وقد خرج « بول روبسون » أخيرا الى العالم الذى أحبه ، فوجد بعض الدول تحتفل بعيد ميلاده ، ووجد جمعيات تعقد باسمه . ووجد صوته وانسانيته صدى فى عالمنا العربى ، فوجدنا الشاعر « كاظم السماوى » يقول فيه بعد أن سمع أغنيته « نشيد الفولجا » :

شق المدى الارحب .. شق المدى
يا ملهبا فى اللحن دفء الصدى
« أنشودة الفولجا » وكم رددا
غنيتها اليوم .. تناجى الغدا
هدارة تستبق الموعدا
ان لها فى غدنا مولدا !

كتاب الشهر

افريقية فى خرائط وإحصائيات

عرض وتقديم العميد (ا . ح) الأستاذ عبد الفتاح ابراهيم

هذا الكتاب : أذكر فيما أذكر مما تلقيته من أصول فى علم التربية وأنا أطلب العلم فى مدرسة المعلمين العليا قبل ثلاثين سنة ، أنهم كانوا يقولون لنا : ان جداول الأرقام الاحصائية . والخرائط والرسوم البيانية أصلح للطلاب من قراءة صفحات متتالية من كتاب، لأن التحديق فى الخرائط والرسوم البيانية ومراجعة الأرقام أسرع للتثبيت فى الذاكرة من الكلمات والسطور ..

أذكر هذا بمناسبة عدة مؤلفات حديثة عن افريقية تستهدف هذا الطابع الصحيح فى أصول العلم ، وكانت هذه المؤلفات هى التى وجهتنى لأخرج منها بهذا الحديث لكتاب الشهر ، وهذه المؤلفات هى :

— An Atlas of African History
رسم وعرض الاستاذ الدكتور ج . د . فاج ، طبع لندن سنة ١٩٥٨ .
— Report of the Export-Import Bank 1957
— The International Flow of Private Capital 1955 - 52 New York 1954
— Scope & Structure of Money Economics in Tropica Africa New York 55
— Enlargement of the Exchange Economy in Tropical Africa New York 1954

* * *

وكان الكتاب الأول المتن الذى قدم المادة الأصلية التى أبرزت الجداول المنقولة من الكتب الأخرى لدراسة القارة بامكانياتها ومشكلاتها فى العصر الحديث ، وكانت هى التى كست عظام التاريخ لحما وجعلت له كيانا .. وهكذا كان من الضرورى أن تنظر الى هذه الاحصائيات فى صحبة المصورات والرسوم التى تقدم لنا قصة القارة التى نعيش فيها منذ أيام الرومان حتى العصر الحديث .

أطلس التاريخ الافريقى : ولكى نستطيع أن نتعرف على كتاب الدكتور فاج يجب أن نعرف أن الأطالس التاريخية تجىء فى نوعين اثنين .

أولهما : يقصد الى التعريف بالبلاد و « مستوطنات » الاقامة فى عصور قديمة مختارة أهمها عصور الانجيل بعهديه القديم والجديد ، وهذا النوع من الأطالس قد حاول مؤلفوه اثبات أو مناقشة القصص الذى جاءت به الكتب المقدسة عن تطور الانسان

وعن بعث الرسل والأنبياء ، ويقصر هذا فى الغالبية على تقديم الشرق الأدنى والبلاد التى اتصلت به . هذا نوع .

والنوع الثانى : يجىء فى طابع تخطيطى « دايجرامى » ليعرض سير حلقات التاريخ ، وتطورات الزمن فى مرحلة تطول أو تقصر ، ولكنها تنتهى عادة بالعصر الحديث ، وتستهدف تقديم المادة للدراسة المقارنة .

وكتاب العلامة الدكتور فاج يقدم طابعا حديثا من النوع الثانى . .

ويقول الدكتور فاج فى تقديمه لأطلسه ان المصورات التخطيطية الخالية من الألوان والظلال ،المصحوبة بجداول وأرقام هىالأسلوب الصحيح للدراسة ، ذلك لأنها تعاون على ابراز الحقائق وتقديم صورة ملفتة للنظر مقبولة !! .

* * *

ويبدأ هذا الأطلس بخرائط « لافريقية الرومانية » ، افريقية البحر المتوسط ، ويستمر فى عرض سلسلة متتابعة من الرسوم على وثبات تصل بنا فى النهاية الى العصر الحديث ، ولكن الجزء الأكبر من الكتاب فى الحقيقة يعالج تطور افريقية الزنجية ويقدم الدول والامبراطوريات حتى اشتد اختراق الأوروبيين الى قلب افريقية السوداء ، وفى تصوير الدول الافريقية القديمة استند المؤلف الى ما جاء فى أحاديث علماء الآثار وعلماء الأنثروبولوجى ، وعلماء اللغات عندما كان التسجيل التاريخى العادى غير موجود .

والشىء الذى يجب أن نلاحظه هو أن المؤلف قد تعقب فى خرائطه الامبراطوريات السودانية من بدء القرن الحادى عشر الميلادى ، وصحب امبراطوريات وسط افريقية من القرن الخامس عشر ، ولكنه فى بعض الأحوال لم يقدم فى خرائطه شيئا عن الشعوب التى لم يكن لها فى الماضى كما ليس لها اليوم أية سيادة ، ولما كانت أساطير الناس مثل « النوير » و « التالينسى » و « التيف » لا تقدم أقل الأدلة على أن مجتمعاتهم قد كونت دولا لها نظمها وأسسها فى الثلاثة أو الأربعة القرون الأخيرة فقد اكتفى بابراز اتجاهات هجراتهم .

ومن الخرائط الجميلة ، فى هذا الضرب من الحديث ، الخرائط التى تقدم اتجاهات هجرات شعوب البانتو الجنوبية فى القرن التاسع عشر ، وهى محاولة لايضاح باقى الهجرات فى كل مكان آخر من افريقية .

* * *

وينتقل المؤلف الى مرحلة أخرى من مراحل الكشف والاستعمار فيقدم عدة خرائط توضح خطوط سير المكتشفين الأولين فى جنوب القارة وشرقيها وغربيها ، ثم يقدم الخطوط التى سار فيها رجال الادارة الذين تبعوا المكتشفين وجاءوا بعدهم ، وفى مجموعة تالية يقدم عدة خرائط تصور الطرق عبر الصحراء ، وفى المحيطات حول القارة الكبيرة ، ولكن فى الواقع لا تصور هذه الخرائط المدى الذى أثرت اليه هذه الطرق البحرية والبرية فى الجزء الداخلى من القارة .

تبعا لحركة التجارة التى سارت على هذه الطرق البرية فى قوافل أو التى نقلتها السفن الى الموانىء التى ازدهرت فيما بعد .

وقدم هنا بعض الرسوم فى الطابع الذى نظر به المكتشفون الى القارة التى داروا من حولها ، والخرائط هنا فى الواقع تستحق النظر والمراجعة ، فقد جاءت بعضها تخطيطية فى أسلوب بدائى على مثال ما يصوره الأطفال ، فلا اهتمام بالأبعاد والمسافات ولا عناية بمواقع البلدان ومجارى المياه ، بل تستهدف المصورات ابراز شىء ما على مثال ما نلقى من ابراز مجرى النيل فى خريطة افريقية من مجموعة خرائط الرحالة فى فينيسيا لسنة ١٥٠٧ ، على حين نجد البعض الآخر دقيقا الى حد بعيد ، على مثال ما جاء فى الخرائط التى رسمها البرتغاليون اثر رحلات فاسكودى جاما (١٤٩٧ — ١٤٩٩) وكابرال (١٥٠٠ — ١٥٠١) راجع الصفحتين التاليتين شكل ١ و ٢ .

وفى هذه المجموعة يقدم المؤلف مختلف ألوان الحكم الأجنبى الدخيل بين سنة ١٨٣٠ — ١٩٥٧ فى ثمانى لوحات من ٤٥ — ٥٢ ، ثم ينفلت ليقدم ناحية أخرى من نواحى الحكم والاستعمار غير المباشر ، يقدم مدى اختراق البعثات التبشيرية الى قلب القارة ، ولكن الاشارات والرموز التى وضعها فى هذه الخريطة (رقم ٥٥) تتضارب ولا معنى لها ، وكان من الممكن أن ينتفع المؤلف بالتنظيم الذى ابتدعه ناشرو أطلس إكسفورد الاقتصادى على سبيل المثال ليدرك الأسلوب الصحيح لعرض الخرائط المصحوبة بجداول وفقرات مفسرة ، كى يستخدم هذا فى الطبعات الجديدة من كتابه ليكون أكمل وأجمل .

وكان هذا نصيبه أيضا فى الخرائط الثلاث (٥٤ — ٥٦) التى حاول فيها ان يصور سقوط المطر ونسبه على طول القارة ، وكذلك انتشار الذباب التسى تسى ، وكذلك ايضاح المستوطنات الأوروبية والوطنية ، أى مناطق الحشد والتجمع الواضح لكل من الجانبين ، وقد استعمل المؤلف الظلال الخطية ، ومن هنا كان التمييز عسيرا لأن القرب والبعد بين الظلال لا يعتبر وسيلة للتمييز على مثال ما لو استخدم الخطوط والنقاط والعلامات الرمزية .

* * *

على أن كتاب الدكتور فاج يتسم بطابع الابتكار ، وان لم يكن هو الذى خرج بأسلوب الدراسة بالمصورات ، كما أن هناك أكثر من كتاب فى دراسة التاريخ القديم على أساس تقديم مجموعات متتالية من الخرائط والرسوم ، على مثال أطلس فيليبس الذى يقدم دراسة وصفية للمناطق الجغرافية من العالم القديم ، التى جاء ذكرها فى الانجيل .

ولكن طابع الابتكار هنا أن أحدا لم يدرس افريقية قبله بهذا الأسلوب البيانى الجيد ، ثم ان هذا الجهد جهد جماعة لا جهد فرد ، ولا يمكن أن نتوقع من رجل واحد أن يكون خبيرا بأمور كل أجزاء افريقية ، بل أن يكون خبيرا فى كل ميادين البحث .

أوجه النقد :

ولكن الكتاب مع هذا الجهد المشكور لا يخلو من أوجه للنقد ، وأبرز ما نلاحظه على المؤلف تفاهة المصادر الثانوية التى استند اليها ، مما يندر أن يستند اليه مؤلف فى اصدار كتاب حديث اليوم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نراه قد استند فى تصويره لتاريخ نيجيريا الى كتاب « تأريخ موجز لنيجيريا » تأليف « نيفين » وهو كتاب قد يكون ــ مع التجاوز ــ كتابا جيدا لصغار طلاب المدارس ، ولكن من المدهش أن يستند اليه مؤلف لمرجع قيم مثل « أطلس التاريخ الإفريقى » .

وفى الكتاب كذلك بعض هنات هينات ، نرجو أن نقدم بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر ، فهو فى الخريطة (رقم ٢٩) وضع قلعة لاندولف على النهر « فورسبادوس » مع أنها كانت على نهر « بنين » ، وفى الخريطة (رقم ٣٩) أخطأ فى وضع مدينة «اجبا» Egba فقد وضعها الى الشرق من مكانها الصحيح بمسافة خمسين ميلا ، وكذلك وضع مدينة ايكيتى Ekiti خطأ بمسافة سبعين ميلا فى اتجاه البحر ، وفى الخريطة (رقم ٥٦) نقل أماكن المستوطنات الأوروبية فى شرق افريقية من تقرير اللجنة الملكية لسنة ١٩٥٣ ــ ٥٥ ، ولكنه نقلها بصورة رديئة ، وهناك غير هذا مما قد يمكن التجاوز عنه ، وذلك بسبب أن الموضوع الذى تعرض له الدكتور فاج مجهد كما قدمت .

* * *

ماذا تقول لنا الدراسات الاحصائية ؟

على أننا قبل أن ننتقل من الحديث عن افريقية فى خرائط للتحدث عنها فى جداول واحصائيات يجب أن نقف متمهلين بازاء السعة الكبيرة للقارة التى نعيش فيها ، فهى تشغل مساحة ١١٥٠٠٠٠ر١١ ميل مربع ، وبها من الأنهار والبحيرات ، وقنن الجبال ما يعد فى مقدمة هذه الظواهر الجغرافية البارزة فى العالم كله .

ففيها جزيرة مدغشقر (٢٢٨٦٤٢ ميل مربع) رابعة جزر العالم بعد جزر جرينلاند ، وغينيا الجديدة وبورنيو .

وفيها بحيرة فيكتوريا ثالثة بحيرات العالم (٢٦٦٤٠ ميل مربع) بعد بحر قزوين ، وبحيرة سوبيريور فى أمريكا الشمالية ، كما أن بحيرات تنجانيقا ونياسا تحتلان على التوالى المركز السابع ، والحادى عشر بين بحيرات العالم الكبرى .

وفيها أنهار النيل الأعظم (٤١٤٥ ميلا) والكونغو (٢٧١٨ ميلا) والنيجر (٢٦٠٠ ميل) وتحتل على التوالى المركز الثانى والخامس والثامن بين أنهار العالم الكبرى .

وفيها عدد كبير من مساقط المياه ، ولا يزيد عليها فى هذا المضمار عدا أمريكا الشمالية وأوروبا ، ومع هذا ففى الناتال بجنوب القارة أعلى مساقط المياه فى العالم فى (توجيتا) حيث تهبط المياه من ارتفاع ٣١١٠ أقدام مع أن أعلى ارتفاع فى شلالات نياجارا ٢٥٠٠ قدم .

وفى افريقية أكبر وثبات الانتقال فى العالم بين مختلف مظاهر الانتاج الزراعى .

.. ومع أن افريقية خزانة الجنس الزنجي الا أن المجموعة البشرية التي تعيش فيها بالاقامة أو بالتوطن تجمع بين كل السمات وبين كل الألوان ، حتى ليمكن القول بأن أجناس العالم كلها تعيش في قارة افريقية .

* * *

وقد يكون من الضروري أن ندرك أن افريقية تقدم لنا المادة الصالحة لعشرات الجداول الاحصائية ، ولكن قد لا يكون هنا محل في هذه الدراسة للكثير من الجداول الخاصة بتوزيع السكان أو تقسيم الغلات أو بيان مختلف ألوان الانتاج ، فنحن في هذه الدراسة بالرغم من العناية بالاحصائيات ذات الطابع المؤثر في اقتصاديات البلاد يجب أن نعنى بالاحصائيات التي تكشف عن الاستغلال الأوروبي الاستعماري ، والتي ترسم لنا الطريق الصحيح للاتجاه الذي يجب أن تتبعه الحركة التحريرية الاقتصادية التي تجيء في أعقاب الحركة التحررية السياسية

* * *

وأول ما نقف أمامه في الاحصائيات الافريقية : الصورة التي تقدم لنا التصوير للمقارنة مختلف الطوابع السياسية في القارة وصلتها بالمساحة والسكان .. ونجد في هذا :

أ ـ فالمناطق المستقلة التي يحكمها الافريقيون تصل مساحتها الى ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ ميل مربع وتعداد سكانها ٧٠ مليونا .

ب ـ المناطق التي تمر بمرحلة الانتقال للاستقلال ، ويحكمها افريقيون (نيجيريا والصومال والكمرون وتوجولاند ، وكلها ستستقل في سنة ١٩٦٠) تصل مساحتها ٦٠٠٫٠٠٠ ميل مربع وتعداد سكانها ٥١ مليونا .

ج ـ المناطق المستقلة أو شبه المستقلة ، ويحكمها أوروبيون كاتحاد جنوب افريقية وروديسيا الجنوبية والشمالية ونياسالاند (اتحاد افريقية الوسطى ـ ١٩٥٣) تصل مساحتها الى ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ميل مربع وتعداد سكانها ٢٧ مليونا .

د ـ مستعمرات تحكم مباشرة بدول أوروبية تصل مساحتها الى ١٫٨٠٠٫٠٠٠ ميل مربع ، وتعداد سكانها ٣١ مليونا .

هـ ـ مستعمرات يسهم الافريقيون في المسئولية السياسية للحكم تصل مساحتها الى ٤٫٨٠٠٫٠٠٠ ميل مربع وتعداد سكانها ٤٧ مليونا .

* * *

فاذا نظرنا الى نسبة الأراضي الزراعية التي يملكها الافريقيون مع ايضاح نسبة ما يملكه الافريقي من الأرض الزراعية الى نسبة ما يملكه الفرد الأوروبي وضحت لنا حقائق تستحق الدراسة .

• ففي الجزائر يملك المواطنون الذين يكونون ٨٧٪ من جملة السكان ٦٣٪ من جملة الأراضي ونسبة ما يملكه الفرد الجزائري ١و١ من الفدان على حين أن متوسط ما يملكه الفرد الأوروبي ٢٠٫٤ أفدنة .

• وفي مراكش يكون المواطنون ٩٥٪ من جملة السكان ويملكون ٨٠٪ من مساحة الأراضي الزراعية ، يخص الفرد ١٫٣ من الفدان على حين أن المتوسط بالنسبة للأوروبي ٤١١٫٧ فدانا .

• وفي تونس يكون المواطنون ٩٣٪ من جملة السكان يملكون ٧٨٪ من مساحة الأراضي الزراعية ويخص

الفرد ١ر٢ على حين يصل المتوسط للأوروبي ٣٣٢ فدانا .

• وفي كينيا يصل الافريقيون الى ٩ر٩٩٪ من السكان يملكون ٧٦٪ من الأراضي الزراعية وتصل نسبة المتوسط للفرد ٨ر٥ من الفدان ، على حين أن المتوسط بالنسبة للأوروبيين يصل الى ٣٤٠٠ فدان .

• وفي روديسيا الجنوبية يكون الافريقيون ٩٣٪ من السكان يملكون ٤٤٪ من مساحة الأراضي الزراعية يخص الفرد منهم ١٧ فدانا ، على حين يصل المتوسط بالنسبة للأوروبي الى ٨٢٠٠ فدان .

• وفي اتحاد جنوب افريقية يملك الأفريقيون الذين يكونون ٧٥٪ من السكان ١٢٪ من مساحة الأراضي الزراعية ، ويصل متوسط الفرد الى ٨ر٣ من الأفدنة على حين يصل المتوسط للأوروبيين الى ٢٢٠٠ فدان .

* * *

فاذا انتقلنا الى الجداول الخاصة بلاهبور وجدنا بعض الأرقام الحرية بالدراسة .

وأول ما يسترعي الانتباه الفروق الهائلة بين الدخل للعمال الافريقيين والأوروبيين في مناجم الذهب بجنوب افريقية ، بل قد يكون من الطريف أن ننظر إلى تطور الدخل في تسلسل زمني ، (على أساس اعتبار أن الجنيه الاسترليني يقابل ٨٠ر٢ من الدولارات) .

• ففي سنة ١٩١١ كان متوسط الدخل السنوي للعامل الافريقي ٩٧ دولارا ، على حين أن متوسط الدخل للعامل الأوروبي ٩٤١ دولارا .

• وفي سنة ١٩٢١ كان متوسط الدخل للعامل الافريقي ١١٠ دولارات على حين أن المتوسط للعامل الأوروبي ارتفع الى ١٥٢٩ دولارا .

• وفي سنة ١٩٣١ هبط متوسط دخل العامل الافريقي الى ٩٢ دولارا كما هبط متوسط دخل العامل الأوروبي الى ١١٦٢ دولارا .

• وفي سنة ١٩٤١ ارتفع متوسط دخل العامل الافريقي الى ١١١ دولارا ولكن متوسط دخل العامل الأوروبي وصل الى ١٤٧٢ دولارا .

• وفي سنة ١٩٤٥ وصل متوسط دخل العامل الافريقي ١٢٤ دولارا ، وارتفع متوسط دخل العامل الأوروبي ١٨٠٣ من الدولارات .

• وفي سنة ١٩٥٠ زاد دخل العامل الافريقي بمعدل السدس فوصل الى ١٤٧ دولارا على حين وصل متوسط دخل العامل الأوروبي الى ٢٣٦٩ دولارا أي أن الزيادة كانت بنسبة تقرب من ٣٠٪ .

• وفي سنة ١٩٥٣ زاد دخل العامل الافريقي بمعدل السدس مرة أخرى فوصل الى ١٧١ دولارا على حين زاد متوسط دخل العامل الأوروبي بنسبة ٢٥٪ فوصل الى ٢٩١٠ دولار في السنة .

* * *

وقد يكون من الطريف أن نناقش قيمة الأجور في مواجهة قيمة الانتاج ونسبة الأرباح في سنوات متتالية :

• ففي سنة ١٩٥٣ كانت قيمة جملة الانتاج من الذهب ٠٠٠ر٦٠٠ر٤١١ دولار ، وكانت جملة الأرباح ٠٠٠ر٥٠٠ر٩٦ دولار .

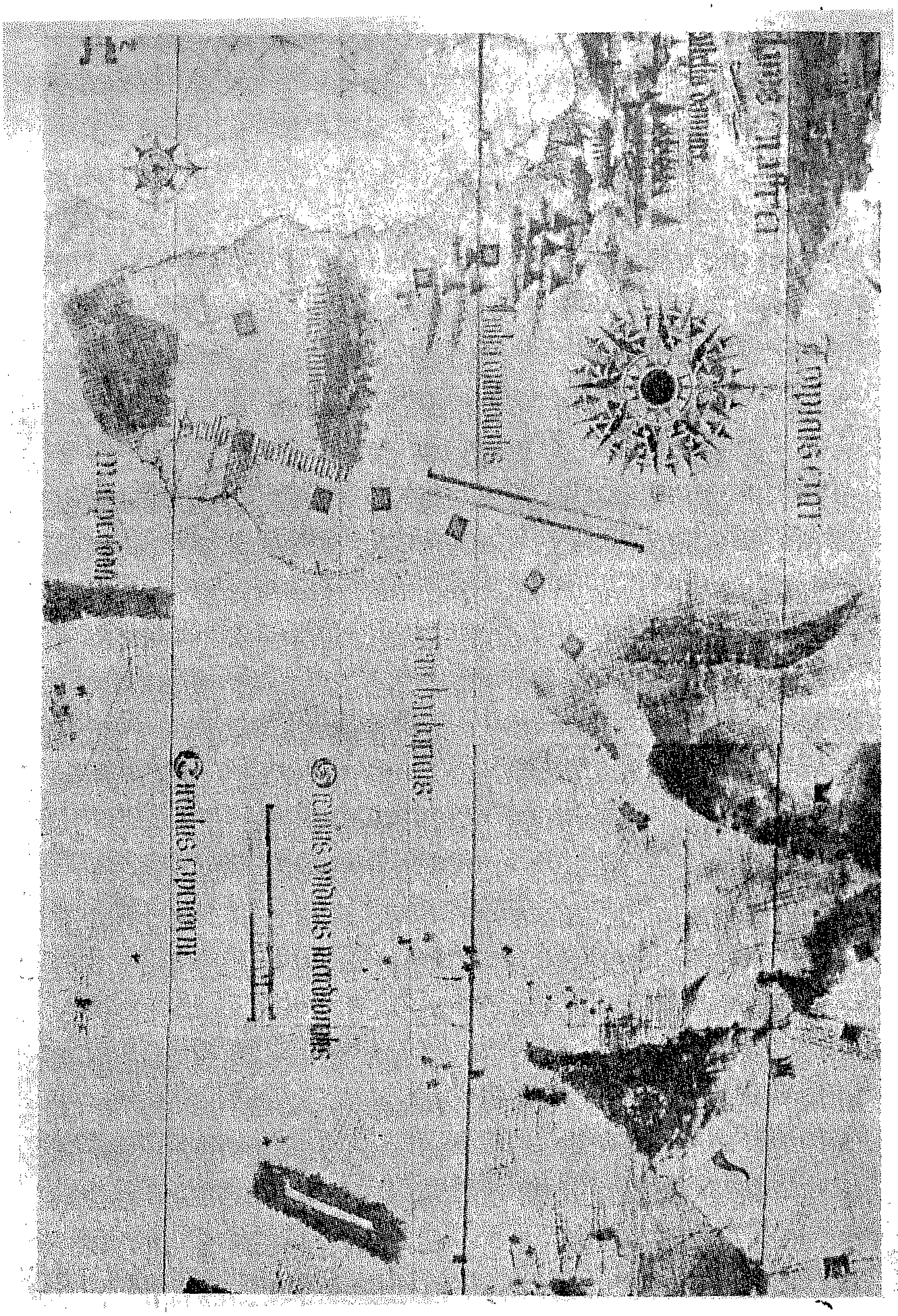

خريطة افريقية والمحيط الهندى كما عرفها البرتغاليون بعد رحلات ڤاسكوى جاما (١٤٩٧ ـ ١٤٩٩) وكابرال (١٥٠٠ ـ ١٥٠١)

• وفى سنة ١٩٥٤ وصلت قيمة جملة الانتاج الى ٤٦٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وكانت جملة الأرباح ١٠٨٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار .

• وفى سنة ١٩٥٥ وصلت قيمة الانتاج الى ٥١١٫٨٠٠٫٠٠٠ دولار وكانت جملة الأرباح ١٢٤٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار .

• وفى سنة ١٩٥٦ وصلت قيمة الانتاج الى ٥٥٥٫٨٠٠٫٠٠٠ دولار وكانت جملة الأرباح ١٣٥٫٨٠٠٫٠٠٠ دولار .

ومعنى هذا أن قيمة الانتاج زادت بنسبة ٣٥٪ على حين زادت الأرباح بنسبة ٤١٪ .

* * *

وهذا الحديث عن الأجور يوجهنا ناحية أخرى من الدراسة التفصيلية لامكانيات افريقية ، ونجد فى مراجع احصائيات روديسيا الشمالية عن المدة بين ١ من يوليو سنة ١٩٤٩ وبين ٣٠ من يونيو سنة ١٩٥٦ أن أرباح مناجم الكوبالت بملايين الدولارات كانت :

(ا) فى سنة ٤٩/٥٠ صافى الأرباح ١٧٫٩٠٠٫٠٠٠ دولار ، أى بنسبة ١٧٪ من قيمة الانتاج .

(ب) وفى سنة ٥٢/٥٣ كان صافى الأرباح ٧١٫٠١٠٫٠٠٠ دولار أى بنسبة ٣١٫٣٪ من قيمة الانتاج

(ج) وفى سنة ٥٥ ــ ٥٦ بلغ صافى الأرباح ١٣٩٫٦٠٠٫٠٠٠ دولار أى بنسبة ٤٠٪ من قيمة الانتاج .

أى أن جملة الأرباح بين سنة ١٩٤٩ وبين ١٩٥٦ كانت ٤٩٢٫٧٠٠٫٠٠٠ دولار أى بنسبة ٣١٫٧٪ من قيمة الانتاج .

* * *

وقد نحاول أن نبحث فى جداول الاحصائيات عما تربحه الشركات الأجنبية المستثمرة لغلات الأرض وحصيلة الحكومات التى تمتلك الأرض ونلقى بيانا طريفا يناقش أرباح شركة فيرستون الأمريكية للمطاط وحصيلة حكومة ليبيريا من هذا المطاط نقلا عن التقارير الرسمية لحكومة ليبيريا ومصلحة التجارة الأمريكية وشركة فيرستون نفسها .

(ا) فى سنة ١٩٣٧ كان صافى دخل شركة فيرستون ٩٫٣٠٠٫٠٠٠ دولار وجملة حصيلة جمهورية ليبيريا من كل الموارد مليون دولار .

(ب) وفى سنة ١٩٤٥ كان صافى دخل شركة فيرستون ١٦٫٤٠٠٫٠٠٠ دولار وجملة حصيلة ليبيريا من كل الموارد ١٫٩٠٠٫٠٠٠ دولار .

(ج) وفى سنة ١٩٥٥ وصلت حصيلة ليبيريا من كل الموارد ٣٫٩٠٠٫٠٠٠ دولار على حين كان صافى دخل شركة فيرستون ٢٦٫٨٠٠٫٠٠٠ دولار .

(د) أما فى سنة ١٩٥٥ فكان صافى دخل شركة فيرستون ٣١٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار ، على حين كانت حصيلة جمهورية ليبيريا من كل الموارد ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار أى أقل من نصف دخل شركة فيرستون الأمريكية .

* * *

والحديث عن مقارنة دخل شركة أمريكية واحدة وحصيلة جمهورية من جمهوريات افريقية المستقلة يوجهنا الى مناقشة رؤوس الأموال الأمريكية

المستثمرة فى افريقية وارباحها بين سنة ١٩٥٠ وبين سنة ١٩٥٤ .

١ — ففى سنة ١٩٥٠ كانت جملة رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرةفى افريقية ٣٥٢ مليون دولار وبلغت الأرباح ٥٨ مليونا .

٢ — وفى سنة ١٩٥١ كانت جملة رؤوس الأموال ٤١٠ مليون دولار وبلغت الأرباح ١٠٢ مليون .

٣ — وفى سنة ١٩٥٣ كانت جملة رؤوس الأموال ٥٠٤ مليون دولار وبلغت الأرباح ١١٨ مليونا .

٤ — وفى سنة ١٩٥٤ كانت جملة رؤوس الأموالالمستثمرة ٦٦٢ مليون دولار وبلغت الأرباح ١١٤ مليونا .

والحرى بالذكر أن رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة فى افريقية كانت فى سنة ١٩٤٨ (٧٧٤) مليون دولار وبلغت الأرباح ١٢٩ مليوندولار أىأن صافى الربح كان بنسبة ١٦٪ ، ولكن مع انخفاض رؤوس الأموال فان الربح حتى فى أقل السنين زاد على هذه الـ ١٦٪ لسنة ١٩٤٨ .

كما يجب أن نلاحظ أن الاستثمار الأمريكى فى افريقية وصل الى ذروة أرباحه فى سنة ١٩٥١ اذ بلغ ٢٥٪ من رأس المال مع أن نسبة أرباح رؤوس الأموال الأمريكية فى نفس السنة لم تتجاوز ١٧٪ فى باقى بلاد العالم .

* * *

وفى سنة ١٩٥٥ كانت نسبة أرباح رؤوس الأموال الأمريكية فى افريقية ١٦ر٧٪ من رأس المال مع أن نسبتها فى باقى بلاد العالم لمتتجاوز ١٤ر٣٪ ، ويوضح لنا هذا مدى نجاح الاستثمار فى افريقية .

ومن الطبيعى أن الكثير من الاستثمارات كان يستند الىالقروض المعاونة على تمويل المشروعات للتنمية الاقتصادية . وقد يكون من الطريف أن نلاحظ الآتى :

١ — كانت جملة قروض بنك الاستيراد والتصدير فى المدة بينسنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٥٥ :

• فى جنوب افريقية ١٤٩ر٧٠٠ر٠٠٠ دولار .

• فىروديسيا الشماليةوالجنوبية ٢٢ر٤٠٠ر٠٠٠دولار .

• فى الكونغو البلجيكى ١٥ر٥٠٠ر٠٠٠ دولار .

• فى انجولا وموزامبيق ١٧ر٣٠٠ر٠٠٠ دولار .

٢ — وكانت قروض البنك الدولى حتى ٣٠ من يونيو سنة ١٩٥٦ :

• فى اتحاد جنوب افريقية ٢٨٠ر٢٠٠ر٠٠٠ دولار .

• فى روديسيا الشماليةوالجنوبية ١٢٢ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار .

• وفى الكونغو البلجيكى ٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار .

• وفى شرق افريقية ٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار .

ويعد هذا قليلا منكثير مما تحدثنا به الاحصائيات الافريقية وهى احصائيات لو انصرفت الى عرضها على القارىء لاحتجت الى أكثر من ثلاثة أضعاف صفحاتمجلتنا الحبيبة (نهضة افريقية) كى أروى ظمأه وأشبع رغبته .

وافريقية الحديثة افريقية التى اجتمعت فى القاهرة وأكرا ومونروفيا لترفع صوتها عاليا فى مشكلاتها الخاصة ، بل مشكلات العالم أجمع ، أحرى بسكانها الوطنيين أن يتدبروا أمرهم وأن يجمعوا صفوفهم لتحقيق استقلالهم الاقتصادى مع تحقيق استقلالهم السياسى .

وانهم لفاعلون . . .

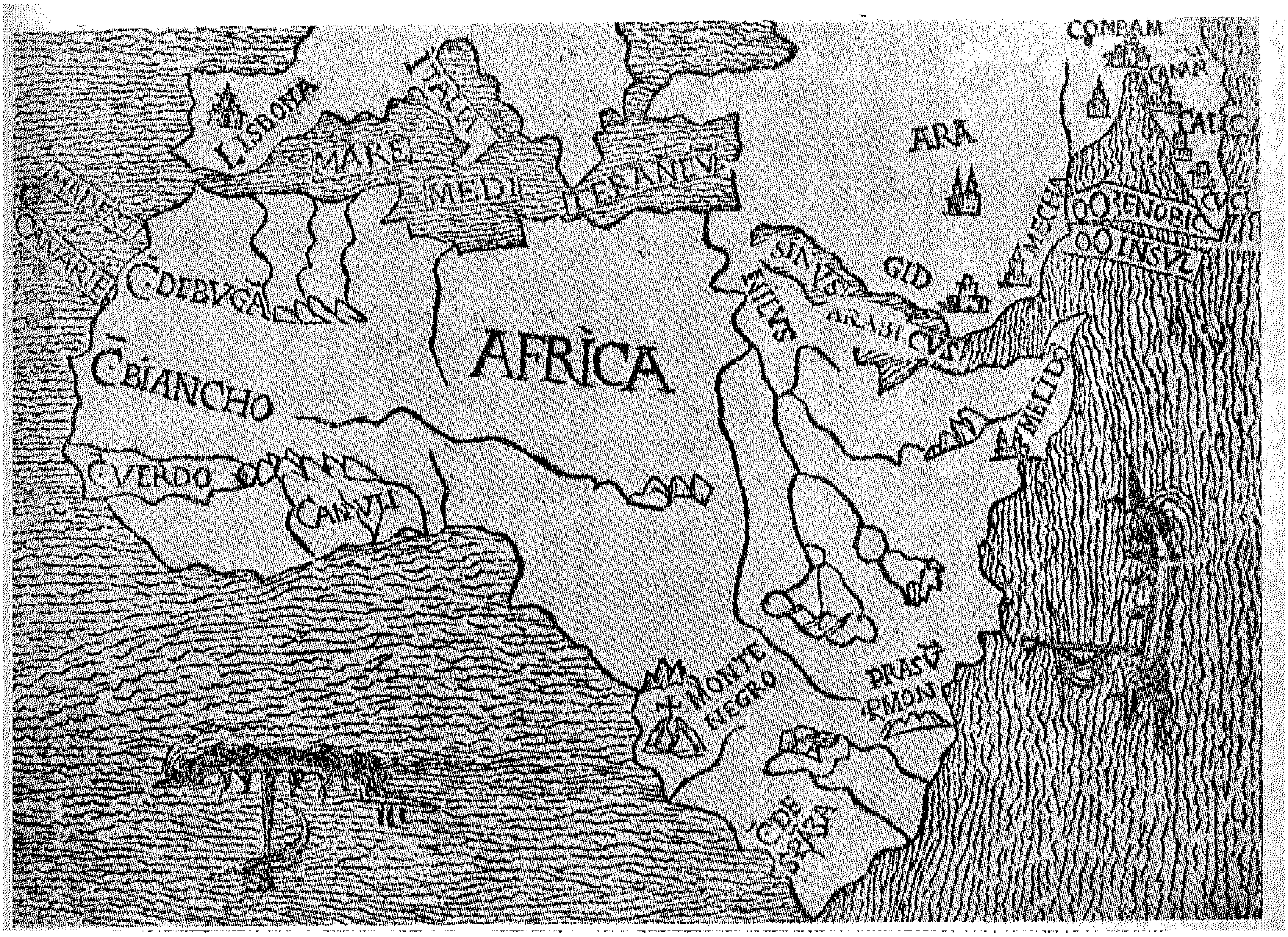

أول خريطة مفصلة لافريقية وجدت محفورة على الخشب وطبعت
ضمن مجموعة خرائط الرحالة فى ڤينيسيا سنة ١٥٠٧

out of Asia, have found in Africa sources of profit which could give them time to catch their breath''. Therefore the imperialists must be thrown out. Hence: no overt Communism; but aggravation of all disorders, and support of the most extreme "African nationalism''.

6. The boiling African development is wholly fluid, and thus in large measure unpredictable. It is by no means impossible that the West can adjust to it, prevent Africa from being taken over by the enemy, and even guide Africa into becoming a great new frontier—in a new sense—of Western enterprise. Granted the immense problems, Britain, France and Belgium, after some rough lessons, have lately been showing intelligence, courage and flexibility in their African policy. Though my opinion on things African is strictly amateur, I think that our government will do best to go along with them politically, while encouraging U.S. business to participate boldly in the building of the African economy.

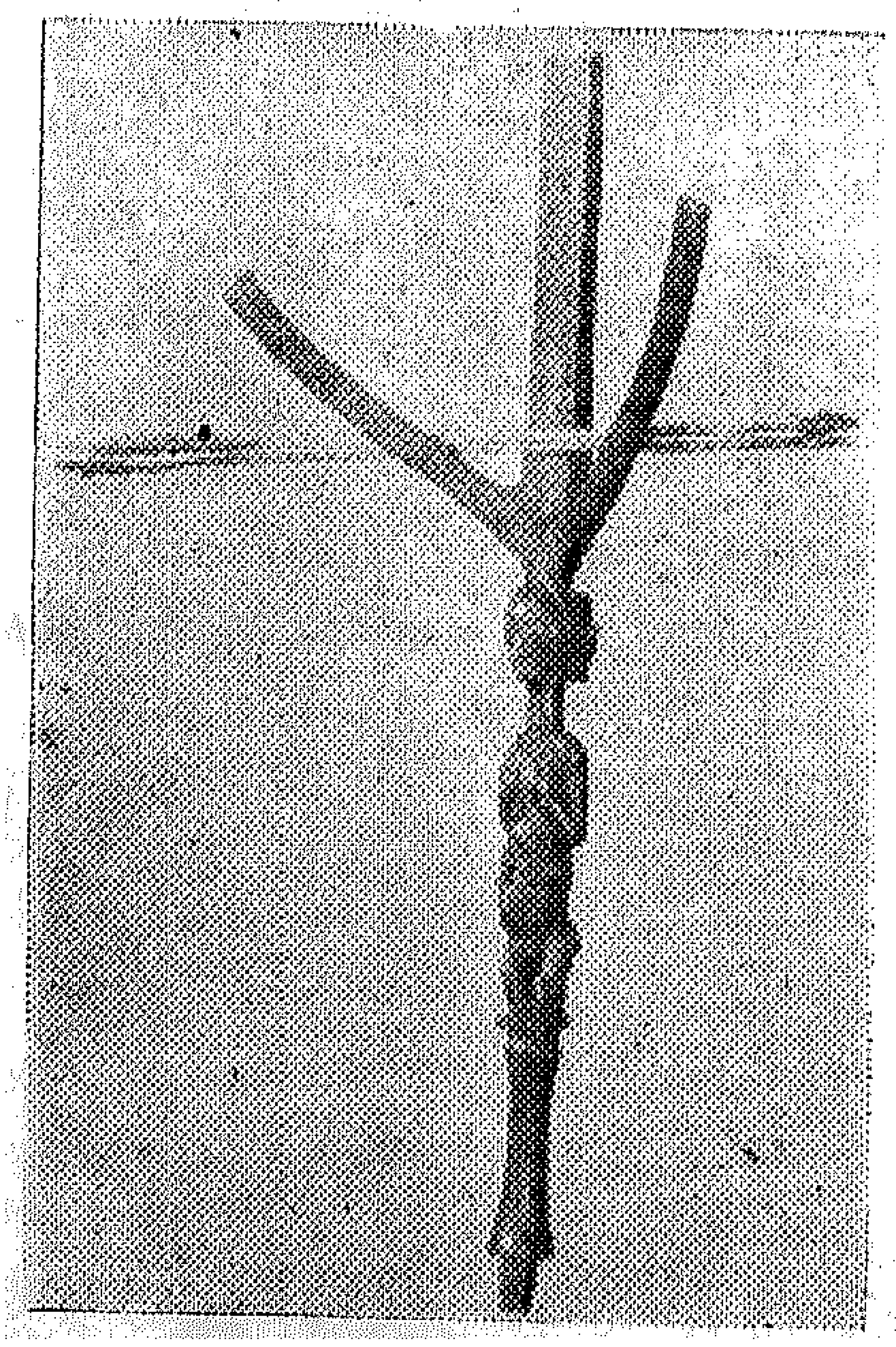

no Europeans in government office. Even where white men will remain exclusively or predominantly in political control—as in the Union of South Africa, and for a while at least in the Central African Federation and Kenya—they will themselves be Africans (*colons*, as the Franch call them). Most of the new nations are to be run by Arabs in the north and black men in the center and south, with whites functioning, if at all, only as advisers and technicians. In Nigeria even today, a year before independence, the administration is as all-black as Ghana. The ten Autonomous Republics of the French Union already have all-native governments.

3. In many African areas the rate of economic development is also rapid—though of course it starts from a low base. In Kenya, for example, in spite of the Mau Mau civil war, petroleum consumption between 1950-57 rose 500 per cent ; electric power, 1'600 per cent; output of light industry, 165 per cent; cement, 58 per cent. In the Rhodesian Federation, in the two years 1955-1957, electricity production rose 300 per cent and personal consumption, 16 per cent. The figures for the Belgian Congo are even more spectacular. One of the world's major oil fields has just been unlocked in the Sahara. Skyscrapers, fancy hotels, boulevards and even traffic problems sprout along with tin shacks in the swelling African cities: Leopoldville, Salisbury, Brazzaville, Dakar, Accra, Nairobi, as well as the cities of the Arab north and Afrikans south. Even primitive Nigeria has three cities with more than 300,000 population. And the urban immigrants are entering for the first time into a money economy and national politics.

4. In most of these new nations a genuine democracy in the Western sense is out of the question. The social premises simply do not exist. Moreover, the rivalries among the native Africans are too deep for a democratic system, once the focus of unity is lost with the retirement of the whites.

5. Except in French or formerly French North Africa, where the Communist cadres were really extensions of the metropolitan party, Communist influence in Africa does not yet seem to be a major quantitative factor. It was not until four or five years ago that the Communists made Africa below the Mediterranean littoral an object of significant strategic attention. They have now penetrated to some degree, chiefly through intellectuals and trade union leaders. Their doctrine runs (according to a 1957 declaration at a Leipzig Congress): "The imperialists, chased

THE EXPLOSION OF AFRICA

Few of us in this country have as yet comprehended the pace of events in Africa. Even in our dizzying epoch of wars, revolutions and supersonic travel, there has never been anything quite like it. within a twenty-year period, along which we are now at midway, the political, economic and social structure of the earth's second largest continent will have been transformed. I have been trying to lighten somewhat the darkness of my ignorance concerning the Dark Continent, and I here note a few of the tentative generalizations toward which the data I have encountered seem to lead.

1. The platitude that "the era of colonialism has ended" is indeed true. The principal colonial powers—Britain and France, and Belgium also, though with a slower planned tempo—accept this as an axiom. They seek to retain an interest and influence in Africa not by preserving the colonial ties but by converting them into the new political forms of Commonwealth (British) or Union(France) and by maintaining close economic links. "All that the British government can do." comments the London *Times*, "is to try to ensure that transfer of power is not merely a negative act, like evacuation of an occupied territory, but also a positive act in the sense that a potentially viable society is left behind."

2. The political development is very rapid. Since World War II, seven former African colonies or protectorates have become sovereign African states: Libya, Egypt, Tunisia, Morocco, Sudan, Ghana, Guinea. Before the end of next year, at least four more will reach independence: Nigeria—which, with its 40 million inhabitants, will join the Commonwealth—and the UN Trust Territories, French Cameroons, French Togoland and Italian Somaliland.

The Central African Federation (the Rhodesias plus Nyasaland) is already semi-autonomous, and Kenya and Uganda are moving quickly. By the terms of the new French Constitution, all the African parts of the French Union, except for Algeria, which has formal status as an integral part of France proper, have the right to follow Guinea in declaring independence. Short of that their path toward autonomy within a federal union is set.

In most of these emerging African nations there are to be

NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.
2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.
3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.
2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.
5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

Subscriptions should be sent to :
Dar Akhbar El Youm for distribution.
7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.

Nahdatu Ifriquiah

A monthly Magazine for African Culture.

Editor in Chief

M. ABD EL AZIZ ISHAK

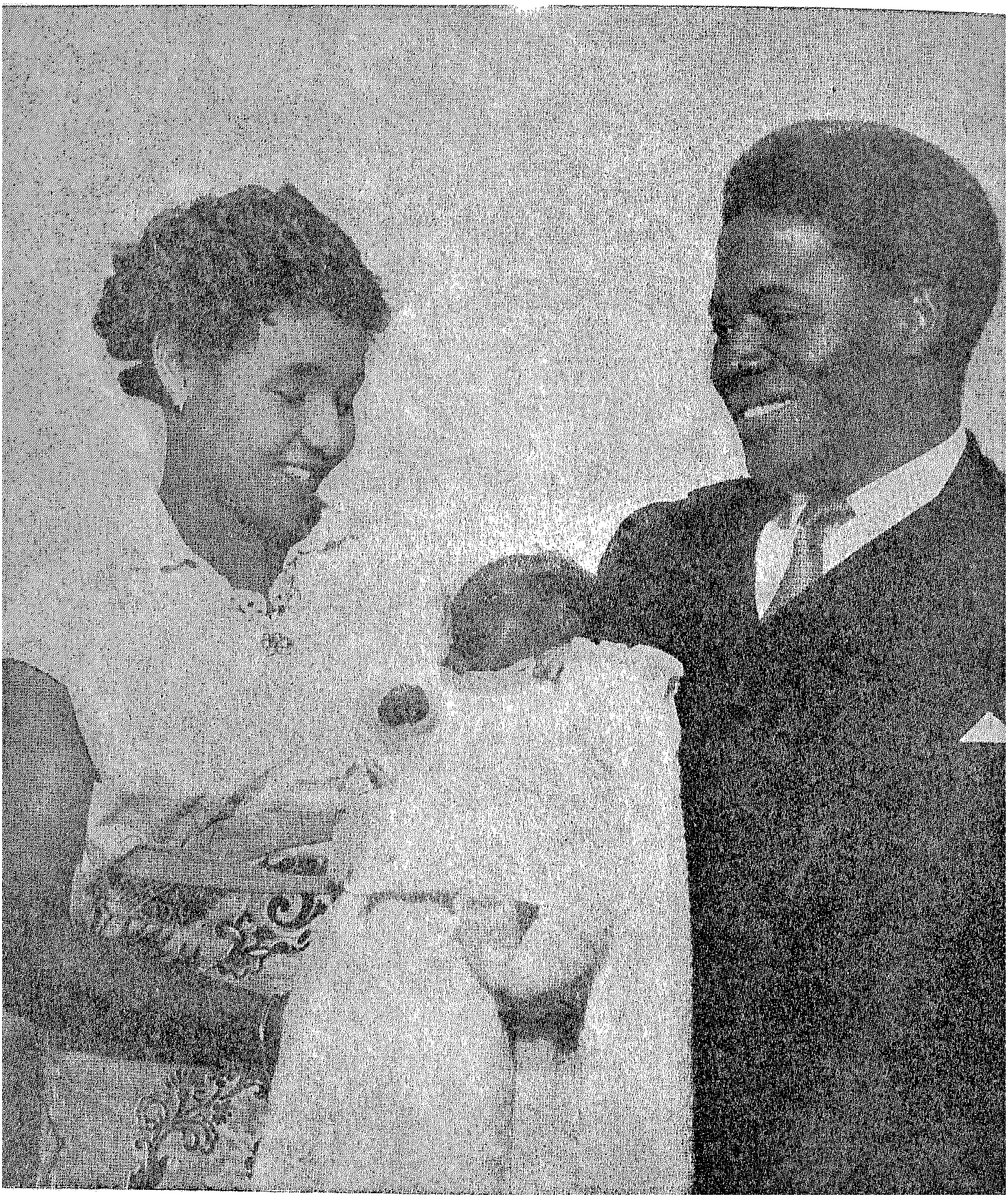

« أسرة أفريقية »

3rd. Year

Issue No. 26 January 1960

Nahdatu IFRIQUIAH

30 Milliemes.

IN THIS ISSUE

- FOXES OF DIPLOMACY IN AFRICA.
- THE MOROCCAN KINGDOM.
- SOMALILAND'S STRUGGLE.
- THE FIRST TRIP ROUND AFRICA.
- BOOK REVIEW.
- BOOK OF THE MONTH.